دار حفظ التراث البحراني

المطاعن البكرية والمثالب العمرية من طريق العثمانية

تأليف

العلامة السيد هاشم بن سليمان البحراني

المتوفى سنة ١١٠٧ هـ.ق

إعداد وتحقيق

السيد محمود العزيزي

دار حفظ التراث البحراني
سلسلة تراث البحرين العلمي [٦٠]

المطاعن البكرية والمثالب العمرية من طريق العثمانية

تصنيف العلّامة المُحدّث
السّيد هاشم بن سليمان الكتكاني التوبلاني البحراني
(المتوفى سنة ١١٠٧ أو ١١٠٩ للهجرة)

إعداد وتحقيق
السّيد محمود الغريفي

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وآل محمد

اللهم اجعل محياي محيا محمد وآل محمد ومماتي ممات محمد وآل محمد

دار لحفظ التراث البحراني

- اسم الكتاب .... مطاعن ومثالب الثلاثة (لعنهم الله)
- تأليف ....العلامة السيد هاشم البحراني قدس سره صاحب تفسير البرهان
- إعداد وتحقيق ....السيد محمود الغريفي البحراني

[مقدمة التحقيق والشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، وعلىٰ آل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، لاسيما بقية الله في أرضه (أرواحنا لمطلعة الفداء)، واللعن الدائم والمؤبّد علىٰ أعداءهم أجمعين من الآن وكل آن إلىٰ قيام يوم الدين.

وبعد:

فتعد مفردتي (المطاعن) و(المثالب) من المفردات الأولىٰ في قاموس (التبري) الذي أُمر أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام بالإرتكاز عليه في تكوين شخصيتهم التي تمثل الهوية والمبدأ الإلهي الذي دعىٰ الله له، وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوام دين الإسلام الذي لا خلاف عليه هو (التولي والتبري) دون التفكيك بينهما.

وهٰذا ما سار عليه السلف الصالح من أصحاب المعصومين الأطهار عليهم السلام ومن بعدهم فقهاء عصر الغيبة الذين حملوا الأمانة بصدق وإخلاص، والتزمته الطائفة المحقة بالدليل والبرهان بالرغم من أنه من فروع الإسلام التي يجب فيها الإتباع والإلتزام.

وقد تعددت كتب (التولي والتبري) وما يتعلق بها من مفردات كـ(المطاعن) و(المثالب)، ومن بينها هٰذا الكتاب الذي امتاز بعدة ميزات في طليعتها أمرين:

• (الأول):

إن مؤلف هٰذا الكتاب وإن كان من أعلام مذهب الحق إلا أنه أعتمد في نقله لـ(المطاعن) و(المثالب) من كتب أهل الخلاف، وما زل بهم لسانهم في نقل الحقيقة التي طالما حاولوا إخفاءها عن عامة الناس.

و:

• (الثاني):

إنه مثل كتابا تحصينيا لقارئ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي الذي طالما انبهر به بعض أتباع المذهب، وركنوا إلىٰ عباراته دون تحقيق، في الوقت الذي شُحن فيه هٰذا الكتاب بالتدليس والمغالطات، إلا أن هٰذا المؤلف وغيره قد كتبوا كتبا في التنبيه علىٰ تلك الأمور، ولذا كان لابد لقارئ مثل هٰذا الكتاب أن يرجع إلىٰ هٰذا الكتاب وكتابه الآخر المتمم له والذي حمل عنوان:

سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد

وقد نُشر هٰذا الكتاب من قبل الأخ الموقر الشيخ محمد عيسىٰ آل مكباس الديهي في ثلاث مجلدات، وسنعمل علىٰ إعادة تحقيقه ونشره وفق منهجنا في التحقيق، وذلك لأن كل واحد من هذين الكتابين يكمل أحدهما الآخر.

وبالرغم من أني بذلت جهدي في تحقيق هٰذا الكتاب وفق أصول التحقيق المعتمدة إلا أنه فاتنا بعض التخريجات والتدقيقات، وذلك للأسباب التالية:

• (أولا): كانت هناك فراغات في المخطوطة من قلم المصنف لم نتمكن من قراءتها أو إضافة بديلا عنها.

• (ثانيا): تعسر الحصول علىٰ بعض المصادر ونحن نعيش نفيا قسريا فرضته علينا ظروف المعركة القائمة بين (النواصب) و(الخوارج) أو (البترية) كما يحلو للبعض تسميتهم، إلا أنه وإن كان نقصا واضحا إلا أنه غير مخل بالجوهر والمضمون الذي هو الهدف المنشود بالدرجة الأولىٰ.

ولا يفوتني هنا أشكر الأخ المكرم (م . ج)[١] الذي زودني بالنسخة المصورة لديه في مكتبته العامة، وكذلك الأخ (هشام العراقي)[٢] الذي بذل من وقت راحته ودراسته وعمله والتزاماته العالية ليقابل معي (مصورة المخطوطة) علىٰ (المطبوعة) والإلفات إلىٰ بعض الأمور التي قد تغيب أو تسقط أثناء زحمة العمل في ظروف المهجر الصعبة للغاية، وكذلك الأخ (ر . و)[٣] الذي تولىٰ مغامرا طبع هٰذا النوع من الكتب الممنوع طباعتها في مثل هٰذا الوقت.

فجزاهما الله خير الجزاء.

وأولا وأخيرا الشكر متوجه إلىٰ ألطافهم وكرمهم عليهم السلام معي إذ يوم عزمت علىٰ إنجاز العمل استخرت الله فكانت الآية القرآنية المباركة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٍ﴾ [الرعد: ٢٩].

أسأل الله أن يثبتني علىٰ ولايتهم والبراءة من أعداءهم.

إنه ولي التوفيق.

كلبهم وعبدهم

السيد محمود نجل السيد مصطفى الغريفي البحراني

من دار الغربة بعيدا عن النجف الأشرف

klbfdk@gmail.cm

(١) لم نصرح بالاسم حفظا لروحه من جرائم من ينسبون أنفسهم إلى التشيع ومن ثم من النواصب.

(٢) وهو اسم مستعار نوعا ما لأحد الذين يرابطون على هٰذا الثغر بإخلاص.

(٣) كذلك لم نصرح بالاسم حفظا لروحه من جرائم من ينسبون أنفسهم إلى التشيع ومن ثم من النواصب.

٢٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الرزاق ذي القوة المتين وآله الأمر الملك الحق المبين والشكر له مرسل رسله مبشرين
ومنذرين وناصب الأئمة الأوصياء أعلاماً للدين القائلين الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن
الله لمع المحسنين والصلاة والسلام على محمد وآله أشرف الأولين والآخرين وأهل بيته الذين جعلهم
الرحمن مطهرين أما بعد فيقول فقير الله الغني عبده هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبد الجواد
[illegible] إني كثيراً ما سرحت نظري وأطلت فكري في شرح عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد [illegible]
فرأيته قد اشتمل على النص من رسول الله صلى الله عليه وآله على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
بالإمامة والخلافة والوصاية والوزارة والولاية والنص بعده [illegible] وأنه منزلة هارون من موسى
والإخاء والتمسك بالثقلين والاقتداء بالأئمة من عترة النبي ص وذكر من فضائل أمير المؤمنين
وأهل البيت ع عن النبي ص وفضائل فاطمة ع وفضائل شيعتهم [illegible] بالنصوص الواردة عن النبي
وهذا الشرح أيضاً قد اشتمل على مطاعن كثيرة على أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمرو بن العاص
والمغيرة بن شعبة والأشعث بن قيس وطلحة والزبير وبسر بن أرطاة وعائشة وحفصة [illegible]
هؤلاء من أتباعهم وأشياعهم [illegible] فخطر ببالي أن أعمل كتابين أحدهما مشتمل على ما ورد
في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ع وأهل البيت ع من الفضائل والثاني في مطاعن أبي بكر وعمر
[illegible] وابن أبي الحديد معتزلي المذهب كما صرح به في شرحه معروف بمذهب الاعتزال
[illegible] فما ذكره [illegible] من فضل أمير المؤمنين ع وماله من المناصب والمراتب وما ذكر من
مطاعن مشايخه وأتباعهم إذ لا تهمة في ذلك [illegible] كتاب الفضائل [illegible] سلاسل الحديد
في تقييد أهل التقليد وهذا الكتاب [illegible] من طريق العثمانية [illegible]
[illegible] له مصنفات كثيرة منها هذا الشرح وهو عشرون جزءاً وله أشعار كثيرة [illegible]
السبع العلويات [illegible] في شهر [illegible] سنة
[illegible] وقد ذكر مطاعن كثيرة في هذا الشرح [illegible]
في هذا الكتاب قال في أول الجزء الحادي عشر [illegible] بعد طعن أبي لؤلؤة [illegible] الشورى فإن ذلك كان
فتنة [illegible] أن تنقضي الدنيا وقد ذكرنا ذلك وشرحنا ما أدى إليه من أمر الشورى
[illegible] ما حصل في نفس كل واحد من الستة من ترشيحه للخلافة وقال أيضاً في الشرح إن أبا بكر لو
[illegible] أبا بكر [illegible] فتنة [illegible] منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله
حتى تنقضي الدنيا ومن نظر في شرح ابن أبي الحديد [illegible] المتعصب لمذهب الاعتزال وتقليد
[illegible] ذكر النصوص الواردة في إمامة علي ع وخلافته بعد وفاة رسول الله ص عن رسول الله ص من جهة
العامة والخاصة [illegible] فهم من قبيل قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى

الهدى

وجيز في سيرة المصنف العلامة السيد هاشم البحراني

اسمه ونسبه:

هو: السيد أبو المكارم (هاشم) ابن السيد سليمان ابن السيد إسماعيل ابن السيد عبدالجواد ابن السيد علي ابن السيد سليمان ابن السيد ناصر ابن السيد سليمان ابن السيد محمد الملقب بـ(المرتضىٰ)، السيد حسين المصري، ابن السيد أحمد ابن السيد يوسف ابن السيد حمزة ابن السيد محمد ابن السيد حسين ابن السيد موسىٰ ابن السيد علي ابن السيد جعفر ابن السيد السيد حسين ابن السيد أحمد الملقب بـ(سيد السادات) ابن السيد إبراهيم المجاب، ابن السيد محمد ابن الإمام موسىٰ الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ابن الإمام محمد الباقر عليه السلام، ابن الإمام علي السجاد عليه السلام، ابن الإمام الحسين الشهيد بكربلاء عليه السلام، ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

تنويه حول النسب:

ذكر الشيخ عبدالله الأفندي رضي الله عنه في كتابه رياض العلماء (ج٥، ص٢٩٨) بأن السيد رضي الله عنه من أولاد السيد المرتضىٰ رضي الله عنه.

إلا أن الشيخ فارس الحسون رضي الله عنه في كتابه سيرة العلامة السيد هاشم البحراني اعتقد إن صاحب الرياض أراد بالسيد المرتضىٰ السيد علم الهدىٰ، لذا قال: وما ذكره الميرزا عبدالله نقطع بخطأه لأن السيد المرتضىٰ علم الهدىٰ انقرض نسله ولم يخلف غير ابن وابن ابن كما في المجدي (ص١٢٥) وعمدة الطالب (ص٢٠٦).

ألقابه:

وقد عُرف من ألقابه: (الموسوي) و(التوبلي) و(الكتكتاني) و(البحراني).

ولادته:

ولد في قرية (كتكان) من توابع بلدة (توبلي) من أعمال البحرين، وبالرغم من أن المؤرخين لم يذكروا تاريخ ولادته إلا أن البعض ممن بحث في حياة السيد حدد التاريخ ما بين ١٠٣٠ إلىٰ ١٠٤٠ من الهجرة، مستفيدا من القرائن التالية:

(١) ما ذكره رضي الله عنه في كتابه نزهة الأبرار (ص٣٩١) أنه كان في النجف الأشرف سنة ١٠٦٣ للهجرة، وشاهد الشيخ فخر الدين، وهٰذا يرجح أن عمره في تلك الفترة كان بين الـ ٢٠ والـ٣٠ سنة.

(٢) ما ذكره الشيخ الأفندي في رياض العلماء (ج٥، ص٣٠٣)من أنه ألف كتابه سير الصحابة سنة ١٠٧٠ للهجرة.

(٣) ما تشير له النسخة الخطية الموجودة في مكتبة السيد المرعشي في قم باسم (مشيخة من لا يحضره الفقيه) له رضي الله عنه وتاريخ كتابتها سنة ١٠٧٦ للهجرة، كما جاء في فهرست المكتبة (ج١٣، ص٢٣٦)، وهٰذا يدل علىٰ أن تأليفه للكتاب كان قبل هٰذا الوقت.

من مجموع تلك القرائن خلص المحتمل إلىٰ هٰذا التاريخ التقريبي لولادته.

نشأته العلمية:

بدأ مسيرته العلمية في بلاده البحرين.

ثم انتقل لمواصلة الدرس والتحصيل إلىٰ النجف الأشرف، وكان فيها سنة ١٠٦٣ للهجرة.

وسافر إلىٰ بعض الحواضر العلمية كـ(شيراز) و(مشهد المقدسة) واستفاد من مرافد العلم فيها.

وفي العام ١٠٩٣ للهجرة عاد إلىٰ البحرين للإقامة فيها إلا أنه غادرها مرة أخرىٰ متجها إلىٰ مدينة مشهد المقدسة، فكان فيها في العام ١٠٩٧ للهجرة.

مشايخه:

وممن عرف من مشائخه:

(١) الشيخ فخر الدين بن علي بن أحمد الطريحي النجفي (المتوفىٰ سنة ١٠٨٥ للهجرة).

(٢) السيد عبد العظيم ابن السيد عباس الأسترآبادي، من تلاميذ الشيخ البهائي رضي الله عنه.

▣ تلامذته:

وأما أشهر تلامذته، ممن نالوا من معارفه، وبلغوا المراتب العالية علىٰ يديه:

(١) الشيخ حسن بن الندي البحراني (قرأ عليه كتاب الكافي كما في إجازات الحديث: ص٣٥).

(٢) الشيخ سليمان بن عبدالله الماحوزي (المتوفىٰ سنة ١١٢١ للهجرة).

(٣) الشيخ عبدالله بن علي بن أحمد البحراني (صاحب كتاب الرسائل المتشتتة في المسائل المتفرقة).

(٤) الشيخ علي بن عبدالله بن راشد المقابي البحراني (وقد استنسخ كتاب السيد حلية النظر، وقابله مع أصله، وكتب أيضا شهادة المقابلة كما في المقدمة: ج١، ص٦).

(٥) الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (المتوفىٰ سنة ١١٠٤ للهجرة).

(٦) السيد محمد بن علي بن سيف الدين العطار البغدادي (المتوفىٰ سنة ١١٧١ للهجرة).

(٧) الشيخ محمود بن عبد السلام المعني (كان حيا في سنة ١١٢٨ للهجرة).

(٨) الشيخ هيكل ابن المقدس الشيخ عبدعلي الأسدي الجزائري (وقد أجازه السيد علىٰ ظهر نسخة من كتاب الاستبصار كما في تراجم الرجال: ص٢٤٢، وقال: النسخة محفوظة في المكتبة المرعشية بقم تحت رقم ٣٥٥٢).

▣ الأقوال في حقه:

وكان محل إطراء الجميع، فكل من ذكره أثنىٰ عليه، وهٰذا بعض ما قيل عنه:

(١) قال السيد إعجاز حسين الكنتوري في كشف الحجب والأستار (ص٦٠١) في نعته:

....

الفاضل العالم، الماهر المدقق، الفقيه العارف، المحقق السيد هاشم المعروف بالعلامة.

....

(٢) وقال ملا حبيب الله الكاشاني في لباب الألقاب (ص٦٤):

....

كان سيدا زاهدا، فاضلا، محدثا، متبعا في الأخبار.

....

(٣) وقال الشيخ حسن بن محمد الدمستاني في كتابه إنتخاب الجيد (ص٢):

....

السيد الهمام، والسائق المقدام، المدرك ببراهين النظر غاية المرام، والبالغ للحفظ سيما للأثر حد الإبرام، حتىٰ لو نودي الأحفظ للحديث أو مطلقا تقدم وحده ونضام الأصمعي وتقاعد ابن عقدة، سيدنا ومولانا السيد هاشم ابن السيد سليمان الحسيني البحراني التوبلي، أهطل الله سبحان عليه سحائب الرضوان، وأسكنه فراديس الجنان، فإنه أرخىٰ عنان القلم في ذٰلك الميدان، فسبق فرسان ذٰلك الزمان وإن سبق بالزمان.

....

(٤) وقال الميرزا حسين النوري في خاتمة المستدرك (ص٣٨٩):

....

السيد الأجل، المعروف بالعلامة، صاحب المؤلفات الشائعة الرائقة.

....

(٥) وقال الزركلي في الأعلام (ج٨، ص٦٦):

....

مفسر إمامي.

....

(٦) وقال الشيخ سليمان الماحوزي في فهرس آل بويه وعلماء البحرين (٧٧، ترجمة ٣٢):

....

محدث متتبع.

....

(٧) وقال السيد شهاب الدين المرعشي في مقدمة ترتيب التهذيب:

العلامــة وصفا وعلمــا بالغلبة، خريــت الحديث، ونابغة الرواية، الهمام المقدام، مولانا السيد هاشم.

(٨) وقال الشيخ عبـاس القمي في كتـاب الكنىٰ والألقـاب (ج٣، ص٨٧ - ٨٨):

عالــم، فاضــل، مدقــق، فقيه، عــارف بالتفسـير والعربية والرجــال، محدث متتبــع للأخبار بما لم يسبق إليه سابق.

وقال في كتاب سفينة البحار (ج٢، ص٧٧):

هــو العالــم الجليــل، والمحــدث الكامــل النبيــل، الماهــر المتتبــع فــي الأخبــار، صاحب المؤلفات الكثيرة.

وأطراه في كتـاب الفوائد الرضويـة (ص٧٠٥) بقوله: السـيد السـند، والركن المعتمـد، الفاضـل العالـم، والمدقـق الفقيـه، الماهر المحـدث، الجامـع المتتبع في الأخبـار، صاحب المؤلفـات الكثيـرة النافعـة، التي تخبـر عن كثيـر اطلاعه وطول باعه.

(٩) وقال العلامة الشيخ عبدالحسين الأميني في موسوعته الغدير:

السيد هاشم... صاحب التآليف القيمة.

(١٠) وقال الميرزا عبدالله الأفندي في رياض العلماء (ج٥، ص٢٩٨):

الفاضــل الجليــل، المحــدث، الفقيــه المعاصر، الصالح الــورع، العابد الزاهد، المعروف بالســيد هاشم العلامة، من أهل [الـ]ـبحرين.

وقال أيضا:

....

وهو من المعاصرين، فقيه، محدث، مفسر، ورع، عابد، زاهد، صالح.

....

(١١) وقال السيد عبدالله الجزائري في الإجازة الكبيرة (ص١٩ و٣٦):

....

ومثله القول بل أبلغ في مشاهير المرتبة الرابعة المتأخرة عن عصر الشهيد الثاني إلىٰ عصرنا هذا... فإنهم قد زادوا... دقة وشهرة علىٰ كثير ممن تقدمهم، وقد بلغنا بالتسامع خلفا عن سلف من ثقتهم وجلالتهم وضبطهم وعدالتهم ما جاوز حد الشياع وبهر الأسماع، كالشيخ... والسيد هاشم العلامة.

....

(١٢) وقال كحالة في معجم المؤلفين (ج١٣، ص١٣٢):

....

مفسر مشارك في بعض العلوم من الإمامية.

....

(١٣) وقال الشيخ محمد حرز الدين في مراقد المعارف (ج٢، ص٣٥٨):

....

العالم الكبير، والمحدث المحقق النحرير، الكامل النبيل، والعارف المتتبع الجليل، المؤلف المصنف، صاحب المؤلفات القيمة الكثيرة... وكان مقدسا عابدا تقيا، بلغ في قداسته وتقواه وورعه مرتبة عالية سامية.. قام بأعباء الرئاسة الدينية، كما ولي القضاء والأمور الحسبية، وسار سيرة حسنة مرضية في بلاده، فعكفت عليه الناس، والتفوا حوله بعد وفاة الشيخ محمد بن ماجد الشهير، فأخذ يأمر المعروف وينهىٰ عن المنكر بشدة وإصرار، ولا تأخذه في الله لومة لائم أبدا.

....

(١٤) وقال الشيخ الحر العاملي في أمل الآمل (ج٢، ص٣٤١):

فاضل، عالم، ماهر، مدقق، فقيه، عارف بالتفسير والعربية والرجال.

(١٥) وقال الميرزا محمد علي مدرس في ريحانة الأدب (ج١، ص٢٣٣):

عالم فاضل، مدقق عارف، مفسر رجالي، محدث، متتبع إمامي، وفي كثير تتبعه يكون تالي المجلسي، وكل مؤلف من مؤلفاته يحكي عن مدىٰ اطلاعه وكثرة تتبعه.

(١٦) وقال في تتمة أمل الآمل:

كان من جبال العلم وبحوره، لم يسبقه سابق، ولا لحقه لاحق في طول الباع وكثرة الاطلاع حتىٰ العلامة المجلسي.

(١٧) وقال الشيخ يوسف البحراني قُدِّسَ سِرُّهُ في لؤلؤة البحرين (ص٦٤):

وكان من الأتقياء المتورعين، شديدا علىٰ الملوك والسلاطين.

◻ الخلاصة في نعوته العلمية:

ومن مجموع تلك الأقوال يمكن وصفه بتلك النعوت والألقاب: (ترجمان الحديث والقرآن) و(جامع شتات العلوم والأخبار) و(صاحب التصانيف الغزيرة والمؤلفات الكثيرة) و(العارف بالتفسير) و(العالم النحرير) و(المحدث الراوية) و(محيي عوافي الرسوم والآثار) و(المصنف المتتبع) و(المقدس العابد) و(نادرة الزمان) و(الورع الزاهد).

ورعه وتقواه:

هٰذا العنوان جاء في مقدمة تحقيق أحد كتب السيد (رضوان الله تعالىٰ عليه)، وذلك لأن (ورع) السيد و(تقواه) صار من الصفات الخاصة به والتي يرمز له بها ويعرف بها، ولم ينفك أحد في ترجمته عن ذكر ذلك، وكمثال علىٰ ذٰلك ما قاله صاحب الجواهرقدس سره في كتابه (ج١٣، ص٢٩٥) وهو يتطرق إلىٰ بحث العدالة وكونها ملكة، قال: لا يمكن الحكم بعدالة شخص أبدا إلا في مثل المقدس الأردبيلي والسيد هاشم علىٰ ما ينقل من أحوالهما.

رئاسته للبلاد:

وكان علىٰ مكانته هذه، وورعه وتقواه مشتغلا بأمور الناس، قائما بالوظائف الصعبة، كالقضاء وإجراء الأحكام، وكان متصديا للبدع، ومهتما بتكريس مبدأ التبري والتولي في الناس، ودفعهم إلىٰ الإرتكاز علىٰ هٰذا الثابت، من خلال مخاطبتهم بذلك، والكتابة في هٰذا الأمر، حتىٰ شاع وذاع وعُرف منهجه بالجمع بين الشدة واللين وبين الورع والتقوىٰ والزهد، وصار مثالا يقتدىٰ به في المعمورة كأجدادهعليهم السلام.

ولربما تكون هٰذه الصفات والخصائص العلمية كانت عوامل مساعدة لتأهيله لرئاسة البلاد والعباد في البحرين، ونقل الشيخ البلادي في كتابه أنوار البدرين (ص١٣٩) ناقلا عن الشيخ سليمان ابن الشيخ عبدالله بن علي البحراني الستراوي أنه قال: دخلت علىٰ شيخنا العلامة السيد هاشم التوبلي زائرا مع والديقدس سره فلما قمنا معه لنودعه وصافحته لزم يدي وعصرها، وقال لي: لا تفتر عن الاشتغال، فإن هٰذه البلاد عن قريب ستحتاج إليك.

ثم عقب صاحب الأنوار بعد نقله لهذه القصة: وصدقرضي الله عنه، فإنه بعد برهة قليلة توفي ذٰلك السيد وانتقلت الرئاسة الدينية إليه.

مؤلفاته:

تعد مصنفات السيد الكثيرة من المصنفات الغزيرة في نوعها، ولذا مثلت مصادر ومشارب لكل الأبحاث الدقيقة في الولاء والاعتقاد من بعده، وقد تنوعت كتاباته وعدها البعض بـ(١٧٥) مصنفا، ذكر أكثرها المرحوم الشيخ فارس حسون في كتاب خاص له عن السيد أورد فيه حتىٰ الكتب التي نسبت له وهي

ليست له، وذكر أماكن تواجد نسخ كل كتاب من الكتب، وهٰذا بعض ما ذُكِرَ من كتبه:

(١) احتجاج المخالفين العامة علىٰ إمامة علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام العامة:

ويشتمل هٰذا الكتاب علىٰ خمس وسبعين احتجاجا من المخالفين أنفسهم علىٰ إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد فرغ منه سنة خمس ومائة وألف، ويعرف أيضا بـ(الإحتجاج) كما عبر عنه الشيخ السماهيجي رضي الله عنه.

(٢) الإنصاف في النص علىٰ الأئمة الاثني عشر من آل محمد الأشراف:

ويشتمل علىٰ ثماني وثلاثمائة حديثا، تشتمل علىٰ النص علىٰ إمامة الأئمة الأطهار الاثني عشر منقولة عن رجال الخاصة والعامة مع إسنادها، وقد ذكر في المقدمة أسماء الكتب والكتاب الذين نقل منهم تلك الأخبار، وقد طبع الكتاب بتحقيق: السيد علي عاشور في ٣٩٣ صفحة، بمعية كتاب آخر له يأتي ذكره، وهو: (عمدة النظر في بيان عصمة الأئمة الاثني عشر)، من قبل مؤسسة التاريخ العربي (بيروت)، كما طبع مستقلا بتحقيق السيد هاشم رسولي محلاتي ونشر في ٣٩٢ صفحة، من قبل: مكتبة محلاتي (قم)، كما طبع بعدها أيضا بتحقيق مشترك من قبل سلام الزبيدي ويوسف علي وجاء في ٦٥٦ صفحة، من نشر: مؤسسة أم القرىٰ للتحقيق والنشر (قم).

(٣) إيضاح المسترشدين:

(في بيان تراجم الراجعين إلىٰ ولاية علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام) أو (هداية المستبصرين)، أورد فيه ثلاثا وخمسين ومائتين نفسا ممن استبصر ورجع إليه عليه السلام، وفرغ منه سنة مائة وخمس وألف، وعبر عنه: (إيضاح المسترشدين في بيان تراجم الراجعين إلىٰ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام).

(٤) البرهان في تفسير القرآن:

وهو تفسير آيات الكتاب الكريم بالمأثور من كلام المعصوم عليه السلام، ألفه تحفة للسلطان شاه سليمان الصفوي في ستة مجلدات كبار. كتبه سنة ١٠٩٤ و١٠٩٥ للهجرة، وطبع عدة مرات بمختلف الطبعات منها في خمسة مجلدات ومنها في عشرة مجلدات.

(٥) بهجة النظر في إثبات الوصاية والإمامة للأئمة الاثني عشر عليهم السلام:

فرغ منه سنة تسع وتسعين وألف، وهو تلخص لكتابه حلية الأبرار، وقد طبع بتحقيق: عبدالرحيم مبارك، ونشر من قبل: مجمع البحوث الإسلامية (في مشهد) في ٢١٦ صفحة.

ويوجد كتاب آخر باسم (البهجة المرضية في إثبات الخلافة والوصية) لم يعلم إنه هو هٰذا الكتاب أو كتاب آخر باسم (إثبات الوصية) أو في موضوعه.

(٦) تبصرة الولي:

وتتمة العنوان: (فيمن رأىٰ القائم المهدي في زمن أبيه عليه السلام وفي أيام الغيبة الصغرىٰ والكبرىٰ)، فرغ منه سنة تسع وتسعين وألف، صدر محققا من قبل: مؤسسة المعارف الإسلامية (قم) في ٣٥٠ صفحة.

(٧) تبصرة الولي:

وهو كتاب آخر: (في النص الجلي علىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الخليفة والإمام والوصي وولده الأحد عشر أوصياء النبي)، ويحتوي هٰذا الكتاب علىٰ ما يزيد علىٰ ثلاثمائة حديث وخمسين حديثا في إثبات إمامة الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وآله، وتوجد نسخة منه في مكتبة مدرسة الآخوند في مدينة همدان ضمن مجموعة من رسائله.

(٨) التحفة البهية في إثبات الوصية لعلي عليه السلام:

فرغ منه سنة تسع وتسعين وألف، ويشمل علىٰ أربعمائة وخمسين حديثا من طرق الخاصة، منها خمسين حديثا من طرق العامة في إثبات الوصية، وقد طبع بتحقيق الشيخ محمود الأركاني البهبهاني الحائري، ونشر في مجلدين.

(٩) ترتيب التهذيب:

أو: جامع الأحكام الجسام في أحكام الحلال والحرام، فرغ منه سنة ١٠٧٤ للهجرة، أورد فيه كل حديث من أحاديث كتاب التهذيب في الباب المناسب له.

(١٠) تعريف رجال من لا يحضره الفقيه:

شرح لمشيخة كتاب (من لا يحضره الفقيه) للشيخ الصدوق قدس سره.

(١١) تفضيل الأئمة عليهم السلام علىٰ الأنبياء عدا نبينا صلى الله عليه وآله:

ذكره شيخ الباحثين قدس سره في الذريعة (ج٤، ص٣٥٨).

(١٢) تفضيل علي عليه السلام على الأنبياء أولي العزم:

كتب هذا الكتاب في آخر أيامه عندما كان مريضا، بإلحاح جماعة من الطلاب، فلما تمت الرسالة توفي رضي الله عنه بعد يوم أو أزيد.

(١٣) تنبيهات الأريب في رجال التهذيب:

أو: (تنبيه الأريب) وهو كتاب مبسوط في بيان أحوال رجال تهذيب الأحكام.

(١٤) التنبيهات في تمام الفقه:

قال عنه الأفندي في كتابه رياض العلماء (ج٥، ص٣٠٠): هو كتاب كبير مشتمل على الاستدلالات في المسائل إلى آخر أبواب الفقه، وهو موجود الآن عند ورثة العلامة المجلسي قدس سره.

(١٥) التيمية في بيان نسب التيمي:

نسبه له شيخ الباحثين قدس سره كما في الذريعة (ج٤، ص٥١٨).

(١٦) حقيقة الإيمان المبثوث على الجوارح:

وفيه أحاديث عن التوحيد والنبوة والإمامة، فرغ من تأليفه سنة ١٠٩٠ للهجرة كما في الذريعة (ج٧، ص٤٨).

(١٧) حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار:

قال شيخ الباحثين رضي الله عنه في كتابه الذريعة (ج٧، ص٧٩): كتاب كبير مرتب على ثلاثة عشر منهجا في أحوال النبي والأئمة الاثني عشر عليهم السلام، فالمنهج الأول في أحوال النبي وفيه سبعون بابا، وهكذا في كل منهج عدة ابواب إلى المنهج الثالث عشر في أحوال الإمام المنتظر فيه أربعة وخمسون بابا، وفي أوله فهرس جميع الأبواب، ألفه للوزير العارف إيماني بك، وقد فرغ منه سنة ١٠٩٩ للهجرة، طبع بتحقيق الشيخ غلام رضا مولانا البروجردي في قم المقدسة من قبل مؤسسة المعارف الإسلامية، في خمس مجلدات.

(١٨) حلية النظر في فضل الأئمة الاثني عشر عليهم السلام:

وقد عبر عنه الباحث عبدالجبار الرفاعي في في التعريف بمصادر الإمامة في التراث الشيعي بـ(حلية النظر في إمامة الأئمة الاثني عشر)، وقال شيخ الباحثين رضي الله عنه في كتابه الذريعة (ج٧، ص٨٥): عده صاحب الرياض من تصانيفه التي رآه في أصفهان عند ولد المؤلف، ثم قال: وقد فرغ من تأليفه سنة ١٠٩٩

للهجرة، وتوجد نسخة منه في المكتبة الرضوية بخط تلميذه الشيخ علي بن عبدالله بن راشد المقابي البحراني، وهي مستنسخة في نفس سنة الفراغ من التأليف ومقابلة علىٰ الأصل، وعليها إمضاء المؤلف.

(١٩) الدرة الثمينة:

أو: الدرة اليتيمة، في فضل الأئمة عليهم السلام، مرتب علىٰ اثني عشر بابا، كل باب يشتمل علىٰ اثني عشر حديثا، ذكره الشيخ عبدالله الأفندي رضي الله عنه في رياض العلماء (ج٥، ص٣٠٢)، وقال محققو كتاب مدينة المعاجز إنه غير كتابه اليتيمة.

(٢٠) الدر النضيد في فضائل الحسين الشهيد:

ذكره شيخ الباحثين قدس سره في الذريعة (ج٨، ص٨٢)، وذكره صاحب الرياض (ج٥، ص٣٠٢) باسم: (الدر النضيد في خصائص الحسين الشهيد صلوات الله عليه) وقد رآه عند ولده بأصفهان، واحتمل أن يكون هو (مقتل الحسين)، وذكره السيد إعجاز حسين في كتابه كشف الحجب والأستار (ص٢١٣) باسم (الدر النضيد في فضل الحسين الشهيد عليه السلام).

(٢١) روضة العارفين ونزهة الراغبين في أسامي شيعة أمير المؤمنين عليه السلام:

ويسمىٰ الكتاب أيضا: (وصية العارفين في أسماء شيعة أمير المؤمنين عليه السلام)، قال في مقدمته: (إني ذاكر في هٰذا الكتاب جملة من مشايخنا العالمين العاملين والزهاد والأتقياء لتكون لهم الأسوة في العلم والعمل الذي هو الغاية)، قال شيخ الباحثين رضي الله عنه في الذريعة (ج١١، ص٢٩٩): وذكر منهم مائة وثمان وخمسين رجلا، آخرهم في النسخة التي رأيتها قنبر مولىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، وأولهم: أبان بن تغلب (انتهىٰ)، وقد قام بتحقيقه مركز الأمير لإحياء التراث الإسلامي، وجاء في ٦٣٠ صفحة.

(٢٢) روضة الواعظين في أحاديث الأئمة الطاهرين عليهم السلام:

توجد نسخة منه في خزانة السيد هبة الدين الشهرستاني، وأخرىٰ في خزانة سبهسالار في طهران كما ذكر ذٰلك شيخ الباحثين قدس سره في الذريعة (ج١١، ص٣٠٥).

(٢٣) سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد مما ذكره ابن أبي الحديد:

أو: (شفاء العليل من تعليل العليل) أو (شفاء الغليل) في مسألة الإمامة، وقد وصفه السيد إعجاز حسين في كشف الحجب والأستار (ص٣١١) إنه

منتخب من شرح نهج البلاغة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام، فرغ منه سنة ألف ومائة، وقد تولىٰ إخراجه للنشر الشيخ محمد عيسىٰ آل مكباس البحراني، وطبع من قبل دار المحجة البيضاء في ثلاث مجلدات.

(٢٤) سير الصحابة:

ألفه سنة سبعين وألف، ذكره الشيخ عبدالله الأفندي رضي الله عنه في كتابه رياض العلماء (ج٥، ص٣٠٣).

(٢٥) شرح ترتيب التهذيب:

ذكره الشيخ عبدالله الأفندي رضي الله عنه في رياض العلماء (ج٥، ص٢٩٩)، و(ترتيب التهذيب) كتاب له تقدم ذكره.

(٢٦) ضرطة البقرة في يوم وفاة عمر:

ذكرها شيخ الباحثين رضي الله عنه في كتابه الذريعة (ج٢٥، ص٣٠٣) إنها في إثبات إنه اليوم التاسع من ربيع الأول وليس ٢٤ ذي الحجة في رواية طويلة، في ١٠ صفحات، وردد في أن يكون إما له، أو: لأبي الفتح محمد بن محمد جعفر الحسني الحائري، أو: للسيد حسين المجتهد، أو: للقاضي نور الله الشهيد باسم (فضل عيد بابا شجاع).

(٢٧) علي عليه السلام والسنة:

ذكره شيخ الباحثين رضي الله عنه في الذريعة (ج٢٢، ص٣٢٢)، وقال: [هو] تعليقات علىٰ مناقب الأمير المؤمنين عليه السلام، وذكر الجعفري في تقديم عمدة النظر (ص٢٠): طبع الكتاب في سنة ١٣٧٢ للهجرة ببغداد بتحقيق وتعليق الشيخ نجم الدين العسكري، ونقله إلىٰ اللغة الفارسية محمد الأميني.

(٢٨) عمدة النظر:

وتتمة عنوان الكتاب والذي فيه بيان موضوعه: (في بيان عصمة الأئمة الاثني عشر ببراهين العقل والكتاب والأثر) مرتب علىٰ ثلاثة مطالب: أولها الأدلة العقلية، وثانيها الآيات القرآنية، وثالثها الأخبار النبوية والروايات الدالة علىٰ عصمة الأئمة عليهم السلام، فرغ منه في السنة الثانية والمائة والألف، وقال صاحب رياض العلماء إنه هو كتاب (بهجة النظر في إثبات الوصاية والإمامة للأئمة الإثني عشر) الذي تقدم ذكره، وقد طبع كتاب (عمدة النظر) ملحقا بكتاب

الإنصاف كما تقدم، ومستقلا بتحقيق: السيد محمد المنير الحسيني الميلاني، من قبل: مؤسسة الجليل للتحقيقات الثقافية في ١٩٠ صفحة.

(٢٩) غاية المرام وحجة الخصام:

(في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام) فرغ منه سنة ١١٠٠ أو ١١٠٣ للهجرة، قال المصنف في مقدمته: (إني ذاكر في هٰذا الكتاب ما هو الحجة علىٰ الخاص والعام في النص علىٰ الإمام بعد الرسول بالنص منه، وذلك برواية الصحابة والتابعين عنهﷺ بأن الإمام بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة الأحد عشر من ولدهﷺ بالروايات الكثيرة والأحاديث المنيرة والبراهين الساطعة، والحجج القوية الظاهرة من طرق العامة والخاصة عن المشايخ الثقاة عند الفريقين مما سطروه في مصنفاتهم المعلومة عند الفئتين)، وقد طبع أول مرة في سنة ١٢٧٢ للهجرة، وعلىٰ الكتاب حواشي وتعليقات، ثم أعيد تحقيقه، فصدرت له طبعة في بيروت في ٧ مجلدات بتحقيق: السيد علي عاشور.

(٣٠) فصل معتبر:

فيمن رأىٰ الإمام الثاني عشر القائم المنتظر علىٰ البشرعليه السلام.

(٣١) فضائل علي والأئمة من ولدهعليهم السلام:

ذكره الشيخ عبدالله الأفندي في رياض العلماء (ج٥، ص٢٢٩).

(٣٢) فضل الشيعة:

ويعرف بـ(مناقب الشيعة) ويشمل مائة وثمانية عشر حديثا، توجد نسخة منه في المكتبة الرضوية.

(٣٣) كشف المهم في طريق خبر غدير خم:

كتاب يحتوي علىٰ ثلاثة أبواب: (الأول) احتوىٰ فيما جاء من طريق الخاصة، وفيه ٣٦ حديثا، و(الثاني): فيما جاء من طريق العامة، ويحتوي علىٰ ٨٨ حديثا، و(الثالث): في نص رسول اللهﷺ علىٰ أمير المؤمنين بالولاية من طريق الخاصة، وفيه ٤٣ حديثا، فرغ منه سنة ١١٠١ للهجرة، ونشر محققا من قبل مؤسسة إحياء تراث السيد هاشم البحراني في مدينة قم المقدسة سنة ١٤١٠ للهجرة في ٢٢٩ صفحة.

(٣٤) اللباب المستخرج من كتاب الشهاب:

أورد فيه الأخبار المروية عن النبيﷺ في شأن علي والأئمةﻉ وما يتعلق بذلك، المستخرجة من كتاب (شهاب الأخبار في الحكم والأمثال) للقاضي القضاعي سلامة بن جعفر الشافعي (المتوفىٰ سنة ٤٥٤ للهجرة).

(٣٥) اللوامع النورانية في أسماء علي وبنيه القرآنية:

وهو تفسير للآيات النازلة في أهل البيتﻉ، ويحتوي علىٰ ألف ومائة وأربع وخمسين آية أورد بعد كل آية الأحاديث المروية في تفسيرها، فرغ منه سنة ١٠٩٦ للهجرة، وطبع أول مرة في قم بتصحيح محمد بن الحسن التفرشي، واعيد طبعه مرة ثانية في أصفهان سنة ١٤٠٤ للهجرة من قبل حسينية عماد زادة، ثم ثالثا من قبل الشيخ محمد دردودي ونشر من قبل: دار التفسير في قم المقدسة في ٥٦٧ صفحة، ورابعا طبع بتحقيق الشيخ حامد فدوي الأردستاني في ٩٤١ صفحة، من قبل المكتبة الرضوية لإحياء الآثار الجعفرية (قم).

(٣٦) المحجة فيما نزل في القائم الحجة:

وجاء أيضا باسم: (الحجة فيما نزل بالحجة) كما في لؤلؤة البحرين، وفي الذريعة (ج٢٠، ص١٤٤) اسمه (الحجة فيما نزل من القرآن في القائم الحجة)، وهو كتاب يحتوي علىٰ ١٢٠ آية نازلة في الإمام المنتظرﻉ مع الروايت المفسرة لها، وقد طبع مرة ملحقا بكتاب (غاية المرام) وثانيا مع كتاب الألفين للعلامة الحليﭫ، وثالثا: بتحقيق السيد محمد المنير الميلاني، وتوالت طبعاته، وترجم في الخامسة إلىٰ الفارسية من قبل السيد مهدي الحائري القزويني باسم (سيماي حضرت مهدي در قرآن).

(٣٧) مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج علىٰ البشر:

وذكره صاحب الحدائقﭫ في لؤلؤة البحرين (ص٦٤) باسم (مدينة المعجزات) فرغ منه سنة تسعين وألف، بهدف نقل الكثير من معاجز الأئمةﻉ التي هي دلائل الإمامة والعصمة، نقلها عن رجال معتبرين، وعلماء مشهورين، وقد طبع أول مرة في طهران سنة ١٢١٧ للهجرة علىٰ الحجر في قطع رحلي، ثم قام الشيخ عزة الله المولائي الهمداني بتحقيقه، ونشرته مؤسسة المعارف الإسلامية في قم المقدسة سنة ١٤١٣ للهجرة في ٨ مجلدات.

(٣٨) مصباح الأنوار وأنوار الأبصار في بيان معجزات ودلالات النبي المختارﷺ:

ذكره الشيخ عبدالله الأفنديقدس سره في كتابه رياض العلماء (ج٥، ص٣٠٢)، وقام الشيخ محمود الأردكاني البهبهاني الحائري بتحقيقه، ونشر من قبل: دار المودة في مجلدين.

(٣٩) المطاعن البكرية والمثالب العمرية من طريق العثمانية:

وهو كتاب نفيس في رصد بعض المطاعن والمثالب للملاعين الثلاثة من كتاب ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة، فرغ منه سنة إحدىٰ ومائة بعد الألف، وهو هٰذا الكتاب الذي قمنا بما يمكن نحوه.

(٤٠) معالم الزلفىٰ في معارف النشأة الأولىٰ والأخرىٰ:

جاء ذكره في كتاب رياض الجنان وإنه كتاب حسن حاو لفوائد جمة، وينقل فيها عن كتب غريبة ليست مذكورة في البحار (انتهىٰ)، فرغ منه سنة ثلاث وتسعون وألف، وتناول فيه خمسة مباحث: (الأول) في معالم النشأة الأولىٰ وهي الدنيا، و(الثاني) في معالم الأمور المتعلقة بأحوال الميت إلىٰ حين الوضع في القبر، و(الثالث): في معالم البرزخ وهو من حين الوضع في القبر قيام الساعة، و(الرابع): في معالم الخروج من القبر إلىٰ دخول الجنة والنار، و(الخامس): في معالم الجنة والنار وما أعد الله جل جلاله لأهلهما، وقد طبع أول مرة سنة ١٢٧١ للهجرة، ثم أعيد طبعه ثانيا سنة ١٢٨٨ للهجرة، وثالثا مع كتاب نزهة الأبرار سنة ١٢٩٨ للهجرة، وقامت بتحقيقه مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، وتولت نشره: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر في مدينة قم المقدسة في ثلاث مجلدات.

(٤١) مقتل أبي عبد الله الحسينعليه السلام:

ذكره شيخ الباحثينقدس سره في الذريعة (ج٢٢، ص٢٩).

(٤٢) من روىٰ النص علىٰ الأئمة الاثني عشرعليهم السلام:

يذكر فيه الأخبار التي أشارت إلىٰ النص علىٰ الأئمة الأثني عشر المروية برواية الصحابة والتابعين عن النبي والأئمة الطاهرينعليهم السلام.

(٤٣) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام:

نسبه شيخ الباحثين قدس سره في الذريعة (ج٢٢، ص٣٢٢) إليه رضي الله عنه وقال: وأكثر النقل عنه الشيخ أحمد بن سليمان البحراني في كتابه عقد اللئال في مناقب النبي والآل عليهم السلام، ورأيت نسخة منه بالكاظمية، فرغ الكاتب منه يوم الجمعة ٢٨ ذي القعدة سنة ١١٢٠ للهجرة، وطبع بالكاظمية سنة ١٣٧٢ للهجرة.

(٤٤) مولد القائم عليه السلام:

ذكره الشيخ يوسف البحراني قدس سره في كتابه لؤلؤة البحرين (ص٦٥)، وقال شيخ الباحثين رضي الله عنه في الذريعة (ج٢٣، ص٢٧٥): عده في الرياض من تصانيفه التي رآها عند ولده بإصبهان.

(٤٥) نزهة الأبرار ومنار الأنظار في خلق الجنة والنار:

أو: (نزهة الأفكار) وذكره غيره باسم: (نزهة الأبرار ومنار الأفكار في خلق الجنة والنار) كتبه بعد معالم الزلفىٰ وطبع أول مرة معه سنة ١٢٨٩ للهجرة باسم (الجنة والنار) وأعيد طبعه.

(٤٦) نسب عمر بن الخطاب:

ذكره الشيخ عبدالله الأفندي في كتابه رياض العلماء (ج٥، ص٢٩٩) وكذلك الشيخ يوسف في لؤلؤة البحرين (ص٦٥).

(٤٧) نهاية الإكمال فيما به تقبل الأعمال:

كتاب في بيان أصول الدين الخمسة، فرغ منه سنة تسعين وألف، وعبر عنه شيخ الباحثين رضي الله عنه في الذريعة (ج٢٤، ص١٤١) بـ(نهاية الإكحال) وقال: هو في الإمامة، وقد طبع بتحقيق الشيخ عبدالله الغفراني في ٣٢٠ صفحة، من قبل مؤسسة عاشوراء للتحقيقات والبحوث الإسلامية بمشهد المقدسة.

(٤٨) نور الأنوار:

وهو في تفسير القرآن نظير كتابي (كنز الدقائق) و(نور الثقلين)، وتوجد نسخة منه عند السيد محمد علي الروضاتي غير تامة وإنما من سورة الحاقة إلىٰ الفلق.

(٤٩) الهادي ومصباح النادي:

أو: (الهادي وضياء النادي)، ذكره الشيخ عبدالله الأفندي رضي الله عنه في رياض العلماء (ج٥، ص٣٠١)، وهو في تفسير القرآن الكريم بالأحاديث المأثورة عن

المعصومينعليهم السلام، فرغ من تأليفه سنة ١٠٧٦ للهجرة، وتوجد نسخة منه بخط محمد بن حرز بن سليمان البحراني مؤرخة بتاريخ سنة ١٠٨١ للهجرة، منقولة من خط المؤلف، وهي موجودة في الرضوية، ونسخة أخرىٰ بخط أحمد بن محمد البحراني فرغ منه سنة ١٠١٥ للهجرة وهي موجودة في خزانة محمد أمين الكاظمي.

(٥٠) الهداية القرآنية في الولاية الإمامية:

وهو في تفسير القرآن، ألفه بعد كتبه (البرهان) و(نور الأنوار) و(اللباب) و(اللوامع) وفرغ منه سنة ١٠٩٦ للهجرة، وتوجد نسخة منه في المكتبة الرضوية، وقد طبع بتحقيق الشيخ محمود الأركاني البهبهاني الحائري، ونشر في مجلدين من قبل دار المودة سنة ١٤٢٧ للهجرة، واعيد تحقيقه من قبل مؤسسة البعثة ونشر أيضا في مجلدين سنة ١٤٢٩ للهجرة.

(٥١) وفاة الزهراءعليها السلام:

ذكره شيخ الباحثينرضي الله عنه في الذريعة (ج٢٥، ص١١٩).

(٥٢) وفاة النبيين:

ذكره الشيخ يوسف البحرانيرضي الله عنه في لؤلؤة البحرين (ص٦٤).

(٥٣) وفاة النبيصلى الله عليه وآله:

ذكره الشيخ يوسف البحرانيرضي الله عنه في لؤلؤة البحرين (ص٦٥).

(٥٤) اليتيمة والدرة الثمينة:

كتاب يحتوي علىٰ اثني عشر بابا، كل باب يحتوي علىٰ اثني عشر حديثا، وذكرت اللجنة التي قامت بتحقيق كتاب مدينة المعاجز في الجزء الأول (ص١٩) بأن هٰذا الكتاب هو غير كتابه (الدرة اليتيمة) والذي هو في نفس الموضوع، وقد قام بتحقيقه الأستاذ فارس حسون كريم، وتولت مؤسسة الأعلمي في بيروت نشره في ٢٣٨ صفحة، سنة ١٤١٥ للهجرة.

(٥٥) ينابيع المعاجز وأصول الدلائل:

وهو مختصر لكتاب مدينة المعاجز، فرغ منه سنة ١٠٩٧م، قامت بتحقيقه الأستاذ فارس حسون كريم، وجاء في ٣٤٩ صفحة من نشر: مؤسسة المعارف الإسلامية بمدينة قم المقدسة سنة ١٤١٦ للهجرة.

◘ وفاته ومدفنه:

وبعد عمر حافل بالعطاء العلمي، وهو في بيت الشيخ عبدالله ابن الشيخ حسين بن علي بن كنبار في منطقة النعيم، لأنه كان متزوجا بمخلّفة الشيخ المذكور كما عبر عن ذلك الشيخ يوسف البحراني قدس سره في لؤلؤة البحرين (ص٦٤)،

ونقل نعشه إلىٰ قرية توبلي، ودفن في مقبرة ماتيني من مساجد القرية المشهورة.

أما تاريخ وفاته فهو مردد بين سنة ١١٠٧ و١١٠٩ للهجرة.

◘ مرقده الشريف:

قال الشيخ محمد حرز الدين رضي الله عنه في كتابه مراقد المعارف (ج٢، ص٣٥٨): وقبره عامر مشهور يزار، ينذر إليه النذور ويتبركون به.

وقال السيد حسن الأمين رضي الله عنه في موسوعته دائرة المعارف الإسلامية الشيعية (ج٩، ص٤٦): وهو يقع علىٰ مرتفع مطل علىٰ طريق السيارات العام من جهة، وعلىٰ ساقية ماء من جهة ثانية، وهٰذا المرتفع هو إطلال بيت السيد وإطلال مسجده، وأمامه اليوم أرض فضاء واسعة كانت في القديم تتبع المسجد، ويفصلها عن القبر ساقية ماء... مظهره الخارجي يدل علىٰ عناية وتحسين أكثر من القبر السابق.

ويوجد مع قبر السيد جملة من قبور العلماء.

◘ أولاده:

ذكرت كتب التراجم والرجال أن السيد (قدس الله نفسه الزكية) خلف أربعة من الأولاد، هاجروا بعد وفاة أبيهم وتوزعوا في عدد من المدن الإيرانية، واقاموا بها ينشرون تعاليم الآل الكرام عليهم السلام كما كان ديدن وسيرة والدهم (رضوان الله تعالىٰ عليه)، وخلف السيد من الأولاد:

(١) السيد عيسىٰ:

وصفه شيخ الباحثين قدس سره بالعالم الفاضل المحقق الكامل، وعبر عنه الميرزا عبدالله أفندي: بالصالح من طلبة العلم، وله: شرح زبدة الأصول للشيخ البهائي قدس سره.

(٢) السيد محمد جواد.

(٣) السيد محسن:

عبر عنه الميرزا عبدالله أفندي: بالصالح من طلبة العلم، وأكثر مؤلفات والده عنده بأصبهان.

(٤) السيد علي.

⊡ مصادر ومراجع المقدمة:

(١) **إجازات الحديث التي كتبها شيخ المحدثين العلامة المجلسي**: للسيد أحمد الحسيني.

(٢) **الإجازة الكبيرة**: للسيد عبدالله الموسوي الجزائري التستري (المتوفى سنة ١١٧٣ للهجرة).

(٣) **الأعلام**: لخير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي (المتوفى سنة ١٤١٠ للهجرة).

(٤) **أعيان الشيعة**: للسيد محسن بن السيد عبدالكريم الأمين الحسيني العاملي (المتوفى سنة ١٣٧١ للهجرة).

(٥) **أمل الآمل**: للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (المتوفى سنة ١١٠٤ للهجرة).

(٦) **انتخاب الجيد من تنبيهات السيد**: للشيخ حسن بن محمد الدمستاني البحراني (المتوفى سنة ١١٨١ للهجرة).

(٧) **أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والإحساء والبحرين**: للشيخ علي بن الشيخ حسن البلادي البحراني (المتوفى سنة ١٣٤٠ للهجرة).

(٨) **تتميم أمل الآمل**: للشيخ عبدالنبي القزويني (من أعلام القرن الثاني عشر للهجرة).

(٩) **تراجم الرجال**: للسيد أحمد الحسيني الأشكوري.

(١٠) **التعريف بمصادر الإمامة عند الإسلاميين**: للشيخ عبدالجبار الرفاعي.

(١١) **جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام**: للشيخ محمد حسن بن الشيخ باقر بن الشيخ عبدالرحيم النجفي (المتوفى سنة ١٢٦٦ للهجرة).

(١٢) **حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار عليهم السلام**: للسيد هاشم بن سليمان الكتكاني البحراني (المتوفىٰ سنة ١١٠٧ للهجرة).

(١٣) **حلية النظر في فضل الأئمة الاثني عشر عليهم السلام**: للسيد هاشم بن سليمان الكتكاني البحراني (المتوفىٰ سنة ١١٠٧ للهجرة).

(١٤) **خاتمة مستدرك الوسائل**: للميرزا حسين النوري الطبرسي (المتوفىٰ سنة ١٣٢٠ للهجرة).

(١٥) **الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة**: للشيخ محمد محسن الرازي، المعروف بـ: آغا بزرگ الطهراني (المتوفىٰ سنة ١٣٩٨ للهجرة).

(١٦) **رياض العلماء وحياض الفضلاء**: للميرزا عبدالله أفندي الإصبهاني (المتوفىٰ سنة ١١٣٠ للهجرة).

(١٧) **ريحانة الأدب في تراجم المشهورين (أو: المعروفين) بالكنية واللقب**: للشيخ الميرزا محمد علي المدرس التبريزي (المتوفىٰ سنة ١٣٧٣ للهجرة).

(١٨) **سفينة البحار**: للشيخ عباس بن الشيخ محمد رضا القمي (المتوفىٰ سنة ١٣٥٩ للهجرة).

(١٩) **سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد**: للسيد هاشم بن سليمان الكتكاني البحراني (المتوفىٰ سنة ١١٠٧ للهجرة).

(٢٠) **عمدة الطالب (في أنساب آل أبي طالب)**: للسيد جمال الدين أحمد بن علي المعروف بـ: ابن عنبة (من أعلام القرن التاسع الهجري).

(٢١) **الغدير في الكتاب والسنة والأدب**: للشيخ عبدالحسين بن أحمد الأميني النجفي (المتوفىٰ سنة ١٣٩٠ للهجرة).

(٢٢) **فهرست آل بابويه وعلماء البحرين**: للشيخ سليمان الماحوزي البحراني (المتوفىٰ سنة ١١٢١ للهجرة).

(٢٣) **فهرست مخطوطات مكتبة آية الله العظمىٰ المرعشي النجفي**: السيد أحمد الحسيني.

(٢٤) **الفوائد الرضوية (في أحوال علماء المذهب الجعفرية)**: للشيخ عباس بن الشيخ محمد رضا القمي (المتوفى سنة ١٣٥٩ للهجرة).

(٢٥) **كشف الحجب والأستار (عن أسماء الكتب والأسفار)**: للسيد إعجاز حسين النيسابوري الكنتوري (المتوفى سنة ١٢٤٠ للهجرة).

(٢٦) **لباب الألقاب في ألقاب الأطياب**: للمولى حبيب الله شريف الكاشاني (المتوفى سنة ١٣٤٠ للهجرة).

(٢٧) **لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين**: للشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور البحراني (المتوفى سنة ١١٨٧ للهجرة).

(٢٨) **المجدي في أنساب الطالبيين**: للسيد أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد العلوي (المتوفى سنة ٧٠٩ للهجرة).

(٢٩) **مراقد المعارف**: للشيخ محمد حرز الدين (المتوفى سنة ١٣٦٥ للهجرة).

(٣٠) **معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)**: لعمر رضا كحالة (المتوفى سنة ١٤٠٨ للهجرة).

(٣١) **نزهة الأبرار ومنار الأفكار في خلق الجنة والنار**: للسيد هاشم بن السيد سليمان بن السيد إسماعيل التوبلي الكتكتاني البحراني (المتوفى سنة ١١٠٧ للهجرة).

المطاعن البكرية
والمثالب العمرية
من طريق العثمانية

تصنيف

العلامة المحدّث

السيد هاشم بن سليمان الكتكاني التوبلاني البحراني

(المتوفى سنة ١١٠٧ أو ١١٠٩ للهجرة)

إعداد وتحقيق

السيد محمود الغريفي

[مقدمة المصنف]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله الرزاق ذي القوة المتين، ولا إلـه إلا هو الملك الحق المبين، والشكر له، مرسل المرسلين مبشرين ومنذرين، وناصب الأئمة الأوصياء أعلاماً للدين، القائل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾[1].

والصلاة والسلام علي محمد وآله أشرف الأولين والآخرين، وأهل بيته الذين جعلهم من الرجس مطهرين.

أما بعد:

فيقول فقير الله الغني، عبده (هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبدالجواد الحسيني البحراني):

كثيراً ما سرحت نظري وأطلت فكري في شرح عز الدين عبدالحميد بن أبي الحديد لنهج البلاغة، فرأيته قد اشتمل علىٰ النص من رسول الله صلى الله عليه وآله علىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بـ: الإمامة، والخلافة، والوصاية، والوزارة، والولاية، والنص بغدير خم، وإنه بمنزلة هارون من موسىٰ، والإخاء، والتمسك بالثقلين، والإقتداء بالأئمة من عترة النبي صلى الله عليه وآله، وذكر من فضايل أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، وفضايل فاطمة عليها السلام، وفضل شيعة آل محمد بالنصوص الواردة من النبي صلى الله عليه وآله.

وهٰذا الشرح أيضاً قد اشتمل علىٰ مطاعن كثيرة علىٰ: (أبي بكر) و(عمر) و(عثمان) و(معاوية) و(عمرو بن العاص) و(المغيرة ابن شعبة) و(الأشعث بن

---

(١) الآية ٦٩ من سورة العنكبوت.

قيس) و(طلحة) و(الزبير) و(بشر بن أرطأة) و(عائشة) و(حفصة) وغير هٰؤلاء من أتباعهم وأشياعهم.

فسنح بخيالي، وخطر ببالي، أن أعمل كتابين:

- (أحدهما) مشتمل علىٰ ما أورده في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام من الفضايل، و:
- (الثاني): في مطاعن أبي بكر وعمر وغيرهما ممن ذكرته.

[شخصية ابن أبي الحديد]:

وابن أبي الحديد معتزلي المذهب[١] كما صرح به في شرحه[٢]، معروف بمذهب الإعتزال بين العلماء، فما ذكره مقبول من فضل أمير المؤمنين عليه السلام، وما له من المناصب والمراتب، وما ذكره من المطاعن علىٰ مشايخه وأتباعهم، إذ لا يتهم في ذلك.

[اسم الكتابين]:

وقد فرغت من تأليف كتاب الفضايل وسميته:

(سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد)[٣]

وهٰذا الكتاب سميته:

(المطاعن البكرية والمثالب العمرية من طريق العثمانية)

---

(١) الإعتزال مذهب كلامي في أصول الدين، مؤسسه: واصل بن عطاء، وذلك في مطلع القرن الثاني الهجري، وكان ذٰلك لأنه اعتزل مجلس الحسن البصري في مسألة مرتكب الكبيرة، ويسمى رواده بـ(المعتزلة) بضم الميم وكسر الزاي، وهم فئة من القدرية.

(٢) في عدة موارد منها (ج١، ص٢٨١).

(٣) وقد عنى المثابر في إحياء التراث البحراني (الشيخ محمد عيسى مكباس الديهي) على إخراجه في ثلاث مجلدات.

وابن أبي الحديد له مصنفات كثيرة[1]، منها هٰذا الشرح، وهو عشرون جزءاً، وله أشعار كثيرة، وأجلها وأشهرها: (القصائد السبع العلويات)[2]، وذلك لشرف الممدوح بهاعليه السلام، نظمها في صباه وهو بالمدائن[3]، في شهور سنة إحدىٰ عشرة وستمائة، وله خمس وعشرون سنة.

وقد ذكر مطاعن كثيرة في هٰذا الشرح للخلفاء الثلاثة، ذكرنا طرفاً منها في هٰذا الكتاب.

⊡ [نماذج من نقل ابن أبي الحديد للمطاعن]:

قال في أول الجزء الحادي عشر[4]: (فعل عمر بعد طعن أبي لؤلؤة له من [أمر][5] الشورىٰ، فإن ذٰلك كان سبب كل فتنة وقعت وتقع إلىٰ أن تنقضي الدنيا، وقد قدمنا ذكر ذلك، وشرحنا ما أدىٰ إليه من أمر الشورىٰ من الفساد، بما حصل في نفس كل واحد من الستة من ترشيحه للخلافة).

وقال أيضاً في [الـ]شرح (إن أبا بكر لو لم يبايعه عمر ما بايع أبا بكر أحد)، (فعلم من ذٰلك إن عمر أصل كل فتنة وقعت منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله حتىٰ تنقضي الدنيا).

⊡ [تعصب ابن أبي الحديد للمعتزلة]:

ومن نظر في شرح ابن أبي الحديد رآه شديد التعصب لمذهب الإعتزال وتقليد الرجال، مع ذكره النصوص الوارده في إمامة عليعليه السلام وخلافته بعد وفاة

---

(١) منها: (١) الاعتبار على الذريعة في أصول الشريعة و(٢) انتقاد المستصفى للغزالي، و(٣) الحواشي على كتاب المفصل في النحو، و(٤) ديوان الأشعار، و(٥) زيادات النقضين، و(٦) شرح الفصيح لثعلب في اللغة، و(٧) شرح المحصل للفخر الرازي، و(٨) شرح مشكلات الغرر لأبي الحسن البصري، و(٩) شرح الياقوت لابن نوبخت، و(١٠) العبقري الحسان في التاريخ والأدب، و(١١) الفلك الدائر على المثل السائر (انتقاد على المثل الشائر لضياء الدين بن الأثير)، و(١٢) الكلمات الألف من كلام علي بن أبي طالب عليه السلام، و(١٣) المستنصريات، و(١٤) منظومة في فتح الخبير، و(١٥) نظم فصيح ثعلب، و(١٦) نقض المحصول في علم الأصول، و(١٧) الوشاح الذهبي في العلم الأبي.

(٢) في مدح الإمام علي عليه السلام وهو مطبوع عدة طبعات.

(٣) جاء في مراصد الإطلاع (ج٣، ص١٢٤٣): جمع مدينة، وإنما سميت بذلك لأنها كانت مدنا كل واحدة منها إلى جنب الأخرى، وفي وقتنا هذا: بليدة صغيرة في الجانب الغربي من دجلة.

(٤) ص١١.

(٥) من المصدر.

رسول الله صلى الله عليه وآله، عن رسول الله صلى الله عليه وآله من طريق علماء العامة، والعجب كل العجب من ذلك، فهم من قبيل قوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾[1].

[منهج الكتاب]:

وقد رتبت هٰذا الكتاب علىٰ مطالب:

· **(المطلب الأول): في ما ذكره ابن أبي الحديد في أبي بكر، وفيه ثلاث وعشرون بابا:**

- **الباب الأول:** في نسب أبي بكر.
- **الباب الثاني:** في أن أبا بكر جبان في الحروب، لم يرم قط بسهم، ولا سل سيف، ولا أراق دما، وكان خامل الذكر.
- **الباب الثالث:** في ضعف أبي بكر عن الحرب وفراره منها.
- **الباب الرابع:** في ضعفه في أن يدع أهل بيته إلىٰ الإسلام.
- **الباب الخامس:** في أن القوم كانوا شكاكاً في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحاب نفاق، ولم يحل الإسلام عندهم إلا بعد موته، وهما يستحقان العقاب والعتاب.
- **الباب السادس:** في سبب العداوة بين أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة عليها السلام وبين أبي بكر وعائشة.
- **الباب السابع:** في أن العداوة بين أبي بكر وعمر شديدة، وقول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلته وقىٰ الله شرها، وتماكر بينهما في الخلافة.
- **الباب الثامن:** في قول عمر: (أبو بكر أحسد قريش كلها، وأعق وأظلم)، وما جرا بينهما من الملاحاة والمخاصمة، وقول عثمان: إن أبا بكر وعمر ظلما أنفسهما.
- **الباب التاسع:** في قول أبي بكر وعمر: (كانت بيعة أبي بكر فلتة وقىٰ الله شرها، ومن عاد إلىٰ مثلها، فاقتلوه)، مضافا إلىٰ ما تقدم، وكيفية المماكرة في بيعة أبي بكر، وإخراج علي عليه السلام قهرا لها، وتأخره ستة أشهر، وجماعة بني

(١) الآية ١٧ من سورة فصلت.

هاشم، وإرادة حرق بيت فاطمةعليها السلام، وبيعة الناس لأبي بكر طوعاً وكرهاً، وإنكار سلمان.

ـ **الباب العاشر**: وهو من الباب الأول.

ـ **الباب الحادي عشر**: في ما أرسله أبو بكر إلىٰ عليعليه السلام بعد بيعته، وما في ذٰلك من العداوة لعليعليه السلام.

ـ **الباب الثاني عشر**: في غصب أبي بكر وعمر وعثمان الخلافة من أمير المؤمنين[عليه السلام]، وظلمه وتأخره عنه.

ـ **الباب الثالث عشر**: في غصب أبي بكر فاطمةعليها السلام فدك، وحديث خالد في قتل عليعليه السلام.

ـ **الباب الرابع عشر**: في المطاعن علىٰ أبي بكر [التي] ذكرها ابن أبي الحديد، ونقلها عن عبدالجبار(١) في المغني(٢)، وزاد عليها ابن أبي الحديد.

ـ **الباب الخامس عشر**: في أن رسول اللهصلى الله عليه وآله لعن من تأخر عن جيش أسامة، وفيهم: أبوبكر، وعمر، وأبوعبيدة ابن الجراح، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، في جملة المهاجرين والأنصار.

ـ **الباب السادس عشر**: في أن أبا بكر شار علىٰ عمر الخلافة من بعده وهو غير مستحق لها، وكان فضاً غليظ، فخالف أبو بكر رسول اللهصلى الله عليه وآله حيث ماتصلى الله عليه وآله ولم يستخلف علىٰ اعتقاد الجمهور في صحة خلافة أبي بكر.

ـ **الباب السابع عشر**: في أن أبا بكر أول من أزال أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام عن الإمامة والخلافة، وكذا أهل البيتعليهم السلام منعهم الخمس.

ـ **الباب الثامن عشر**: في مطاعن شتىٰ.

ـ **الباب التاسع عشر**: في خطأ من استدل علىٰ خلافة أبي بكر من القرآن.

ـ **الباب العشرون**: في خطأ من استدل علىٰ إمامة أبي بكر من الخبر.

---

(١) المعروف بالقاضي، وهو عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار بن أحمد بن الخليل بن عبدالله القاضي، الملقب بـ أبي الحسن الهمداني، والمعتزلة تلقبه بـ(قاضي القضاة) ولد سنة ٣٥٩ للهجرة وتوفى سنة ٤١٥ للهجرة، وله مصنفات عديدة.

(٢) كتاب المغني في أبواب التوحيد والعدل، وهو كتاب كبير مطبوع في ستة عشر مجلدا ويعد مرجعا في بابه.

ـ **الباب الحادي والعشرون**: في خطأ من اعتقد في أن صحبة أبي بكر لرسول الله ﷺ في الغار إنها فضيلة لأبي بكر، بل جرا منهم ما هو طعن عليه وليس قصده بمهاجرته مع الرسول بل إتباع هواه، وإن السكينة نزلت عن النبي ﷺ دونه، وإن الفضيلة لأمير المؤمنين علي عليه السلام في مبيتة علىٰ فراش رسول الله ﷺ ليلة خروجه الىٰ الغار والمهاجرة.

ـ **الباب الثاني والعشرون**: في خطأ من فضل أبا بكر علىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[عليه السلام] من العثمانية.

ـ **الباب الثالث والعشرون**: في خطأ من قال إن أبا بكر أنفق علىٰ رسول الله ﷺ وفي سبيل الله ولم ينفق قبل الفتح، وقاتل، بل الفضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام في الإنفاق دونه.

فلنشرع في المقصود متوكلين علىٰ المنعم المعبود.

[المطلب الأول] [المطاعن البكرية]

[الباب الأول]

[في نسب أبي بكر]

⊡ **[أبو بكر.. اسمه ونسبه]:**

قال ابن أبي الحديد[١]: أبوبكر الصديق[٢]، واسمه القديم: عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبدالله.

واختلف[٣] في «**عتيق**»، فقيل: كان اسمه في الجاهلية، وقيل: بل سماه [به][٤] رسول الله ﷺ.

⊡ **[اسم والده ونسبه]:**

[و][٥]اسم أبي قحافة: عثمان، وهو: عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

---

(١) في كتابه شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٥٥).

(٢) في المصدر: ابن أبي قحافة المشار إليه هو أبو بكر.

(٣) في المصدر: واختلفوا.

(٤) من المصدر.

(٥) من المصدر.

⊡ [أم أبي بكر]:

وأمه: ابنة عم أبيه، وهي: أم الخير بنت صخر بن عمرو[١] بن كعب بن سعد[٢].

⊡ [إسلامه]:

أسلم أبو قحافة يوم الفتح[٣]، جاء به [ابنه][٤] أبو بكر إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله، وهو شيخ كبير، رأسه كالثغامة[٥] البيضاء، فأسلم[٦]، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «**غيروا شيبته**».

⊡ [مواقف والده من خلافته]:

وولي ابنه الخلافة وهو حي منقطع في بيته، مكفوف عاجز عن الحركة، فسمع ضوضاء الناس، فقال: ما الخبر؟ فقالوا: ولي ابنك الخلافة. فقال: رضيت بنو عبد مناف بذلك؟ قالوا: نعم. قال: اللهم لا مانع لما أعطيت، [ولا معطي لما منعت][٧].

وقيل لأبي قحافة يوم ولي الأمر ابنه: قد ولي ابنك الخلافة. فقرأ: ﴿ **قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ** ﴾[٨]، ثم قال: ولم ولوه؟ قالوا: لسنه. قال: فأنا أسن منه[٩].

نازع أبوسفيان أبا بكر في أمره، فأغلظ له أبو بكر، فقال له أبو قحافة: يا بني؛ أتقول هٰذا لأبي سفيان شيخ البطحاء! قال: إن الله تعالىٰ رفع

---

(١) أو: عامر (كما في مجمع الزوائد: ج٩، ص٢٥٩).

(٢) وجاء في فتح الباري (ج٧، ص٧) هٰكذا نسبها: أم الخير بنت صخر بن مالك بن عامر بن عمرو أما في الآحاد والمثاني (ج١، ص٦٨) فهكذا: أم الخير بنت صخر بن عامر بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي.

(٣) يوم فتح مكة في العشرين من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة (١٠ يناير ٦٣٠م).

(٤) من المصدر.

(٥) واحد الثغام، وهو نبت له زهر صغير إذا تفتح وانتشر صار شديد البياض (النهاية في غريب الحديث والأثر: ج١، ص٢١٤).

(٦) سبل الهدى والرشاد (ج٥، ص٢٣٣).

(٧) انتهى النقل عن ابن أبي الحديد.

(٨) الآية ٢٦ من سورة آل عمران.

(٩) شرح ابن أبي الحديد (ج١، ص٢٢٢).

بالإسلام بيوتاً، ووضع بيوتاً، فكان مما رفع بيتك [يا أبت][١]، و[٢]وضع بيت أبي سفيان[٣].

▣ [وقفة في نسب الأول]:

قال ابن أبي الحديد[٤]: وأما قول ابن جرير الآملي الطبرستاني[٥] في كتاب المسترشد[٦] إن عثمان والد أبي بكر كان قد تزوج ابنة أخته[٧] فليس بصحيح، ولكنها ابنة عمه، لأنها ابنة صخر[٨]، وعثمان هو ابن عمرو ابن عامر. والعجب لمن اتبعه من فضلاء الإمامية علىٰ هٰذه المقالة من غير تحقيق لها من كتب الأنساب، وكيف يتصور[٩] هٰذه الواقعة في قريش ولم يكن أحد منهم مجوسيا ولا يهوديا ولا كان [من][١٠] مذهبهم حل نكاح بنات الأخ ولا بنات الأخت.

قال شيخنا أبوعثمان: ومتىٰ يعذر[١١] الناس - حفظك الله - علىٰ رجل مسلم من كل ابنة ومبرأ من كل آفة في جميع آبائه وأمهاته وأسلافه وأصهاره حتىٰ تسلم له أخواله وأعمامه وخالاته وعماته وأخواته وبناته وأمهات نسائه وجميع من يناسبه من قبل جداته وأجداده وأصهاره [وأختانه][١٢]، ولو كان [ذلك][١٣] موجوداً لما كان لنسب رسول الله ﷺ فضيلة في النقاء والتهذيب وفي التصفية والتنقيح، قال رسول الله ﷺ: «**ما مسني عرق سفاح قط، وما زلت أنقل من**

---

(١) في المصدر: يقدر.
(٢) في المصدر: ومما وضع.
(٣) شرح ابن أبي الحديد (ج١، ص٢٢٢).
(٤) في شرح نهج البلاغة (ج١١، ص٦٩).
(٥) المعروف بـ(الطبري).
(٦) ص٣٢٦.
(٧) وهي أم الخير على ما ذكر ابن أبي الحديد.
(٨) صخر بن عامر.
(٩) في المصدر: تتصور.
(١٠) من المصدر.
(١١) في المصدر: تتصور.
(١٢) من المصدر.
(١٣) من المصدر.

الأصلاب السليم[١] **من الرحوم**[٢] **والأرحام البريئة من العيوب»**، فلسنا نقضي لأحد بالنقاء من جميع الوجوه إلا لنسب من صدقه القرآن واختاره الله علىٰ جميع الأنام، وإلا فلا بد من شئ يكون في نفس الرجل أو في طرفيه أو في بعض أسلافه أو في بعض أصهاره، ولكنه يكون مغطا بالصلاح، ومحجوبا بالفضائل، ومغموراً بالمناقب.

ولو تأملت أحوال الناس لوجدت أكثرهم عيوباً أشدهم تعييباً[٣].

⊡ [خبر هلاك الأول وتاريخه]:

وقال[٤]: ومات أبو بكر وأبو قحافة حي، فسمع الأصوات فسأل، فقيل: مات ابنك. فقال: رزء جليل.

وتوفىٰ أبو قحافة في أيام عمر [رض][٥] في سنة أربع عشرة من الهجرة[٦]، وعمره سبع وتسعون سنة.

⊡ [تاريخ أبو قحافة]:

وقال شيخنا أبوجعفر الإسكافي: إن أرباب السير ذكروا إن أبىٰ قحافة كان أجيراً لابن جدعان علىٰ مائدته يطرد عنها الذبان[٧].

---

(١) في المصدر: السليمة.

(٢) في المصدر: من الوصوم (والوصوم هي العيوب).

(٣) انتهى كلام أبي الحديد في النقل عنه من شرح نهج البلاغة (ج١١، ص٧١).

(٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٥٦).

(٥) نقله من المصدر ملتزما بأمانة النقل إلا أنه اختصره كي لا يعطي المعنى المراد وإنما المعنى الحقيقي.

(٦) في المصدر: للهجرة.

(٧) شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٧٥) ومثله في العثمانية (ص٣٦).

[الباب الثاني]

[في أن أبا بكر جبان في الحروب] [لم يرم قط بسهم، ولا سل سيف، ولا أراق دما، وكان خامل الذكر]

⊡ [الفرق بين إسلام أبي بكر وعلي عليه السلام وفضائلهما]:

قال ابن أبي الحديد[1]: قال الجاحظ: وقد تعلمون ما كان يلقي أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ببطن مكة من المشركين، وحسن صنع كثير منهم، كصنع حمزة حين ضرب أبا جهل بقوقه[2] ففلق هامته، وأبو جهل يومئذ سيد البطحاء ورأس[3] الكفر، وأمنع أهل مكة، وقد عرفتم إن الزبير سل سيفه، واستقبل به المشركين، لما أرجف أن محمداً صلى الله عليه وآله قد قتل، وأنّ عمر بن الخطاب قال حين أسلم: لا يعبد الله سراً بعد اليوم، وإن سعداً ضرب بعض المشركين بـ(لحىٰ جمل)[4] فأراق دمه[5]، فكل هٰذه الفضائل [لم يكن][6] لعلي بن أبي طالب[عليه السلام] فيها ناقة ولا جمل، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾[7].

فإذا كان الله تعالىٰ قد فضل من أنفق من قبل الفتح، لأنه لا هجرة بعد الفتح، علىٰ من أنفق بعد الفتح فما ظنكم بما[8] أنفق [من][9] قبل الهجرة، ومن لدن مبعث النبي صلى الله عليه وآله إلىٰ الهجرة وإلىٰ بعد الهجرة[10].

---

(١) في المصدر المتقدم. (٢) في المصدر: بقوسه.

(٣) في المصدر: ورئيس. (٤) قال العيني في عمدة القاري (ج٢١، ص٢٤٢): كذا وقع بـ(حلي جمل)، بالتثنية وقد ضمى في الحج بـ(لحى جمل) بالإفراد بفتح اللام وسكون الحاء المهملة، والجمل بفتح الجيم والميم، وهو اسم موضع، وقال ابن وضاح: هي بقعة معروفة، وهي: عقبة الجحفة على سبعة أميال من السقيا، وزعم بعضهم أنها الآلة التي أحتجم بها، أي: احتجم بعظم جمل.

(٥) تاريخ الطبري (ج٢، ص٦٢).

(٦) من المصدر.

(٧) الآية ٢٠ من سورة الحديد.

(٨) في المصدر: بمن.

(٩) من المصدر.

(١٠) هٰذا ما نقله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٧٥) عن كتاب العثمانية (ص٣٧) بتصرف واختصار.

قال ابن أبي الحديد(١): قال شيخنا أبوجعفر محمد بن عبدالله الإسكافي رضي الله عنه في نقض العثمانية(٢): إننا لا ننكر فضل الصحابة وسوابقهم، ولسنا كالإمامية الذين يحملهم الهوىٰ علىٰ جحد الأمور المعلومة، [و](٣)لكننا ننكر تفضيل أحد من الصحابة علىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام، [و](٤)لسنا ننكر غير ذلك، وننكر تعصب الجاحظ للعثمانية، وقصده إلىٰ فضايل هٰذا الرجل ومناقبه بالرد والإبطال، فأما(٥) حمزة فهو عندنا ذو فضل عظيم، ومقام جليل، وهو سيد الشهداء الذين استشهدوا علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأما فضل عمر فغير منكر، وكذلك الزبير وسعد، وليس في ما ذكر ما يقتضىٰ كون علي عليه السلام مفضولا لهم أو لغيرهم، إلا قوله: (وكل هٰذه الفضايل لم تكن(٦) لعلي[عليه السلام] فيها ناقة ولا جمل).

قال(٧): هٰذا من التعصب البارد، والحيف الفاحش، وقد قدمنا [من](٨) آثار علي عليه السلام قبل الهجرة وما له إذ ذاك من [المناقب و](٩)الخصايص، ما هو أفضل وأعظم وأشرف من جميع ما ذكر لهؤلاء.

علىٰ أن أرباب السيرة يقولون: إن الشجة التي شجها سعد، وإن السيف الذي سله الزبير، هو الذي جلب الحصار في الشعب علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم، وهو الذي سير جعفراً وأصحابه إلىٰ الحبشة، وسل السيف في الوقت الذي لم يؤمر المسلمون فيه بسل السيف غير جائز، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾(١٠)، فتبين أن التكليف له أوقات، فمنها: وقت لا يصلح فيه سل السيف، ومنها: وقت يصلح فيه ويجب.

---

(١) في كتابه شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٧٥). (٢) ص٣١٨.
(٣) من المصدر.
(٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: وأما حمزة.
(٦) في المصدر: لم يكن.
(٧) في المصدر: فإن.
(٨) من المصدر.
(٩) من المصدر.
(١٠) الآية ٧٧ من سورة النساء.

فأما قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ﴾[(١)] فقد ذكرنا ما عندنا في[(٢)] دعواهم لأبي بكر إنفاق المال.

وأيضا فإن الله تعالىٰ لم يذكر إنفاق المال مفرداً، وإنما قرن به القتال، ولم يكن أبوبكر رضي الله عنه[(٣)] صاحب قتال وحرب، فلا تشمله الآية، وكان علي عليه السلام صاحب قتال وإنفاق قبل الفتح.

فأما قتاله فمعلوم بالضرورة، وأما إنفاقه فقد كان علىٰ حسب حاله وفقره، وهو الذي أطعم الطعام ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[(٤)]، وأنزلت فيه وفي زوجه وابنيه سورة كاملة من القرآن[(٥)].

وهو الذي ملك أربعة دراهم فأخرج منها درهماً سراً ودرهماً علانية ليلاً، ثم أخرج منها في النهار درهماً سراً ودرهماً علانية، فأنزل فيه قوله تعالىٰ[(٦)]: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[(٧)].

وهو الذي قدم بين يدي نجواه صدقة دون المسلمين كافة[(٨)].. وهو الذي تصدق بخاتمه وهو راكع، فأنزل الله فيه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[(٩)].

قال الجاحظ[(١٠)]: والحجة العظمىٰ للقائلين بتفضيل علي عليه السلام قتله الأقران، وخوضه الحرب، وليس في ذٰلك كبيرة فضيلة، لأن كثرة القتل والمشي بالسيف إلىٰ الأقران لو كان من أشد المحن وأعظم الفضائل، وكان دليلا علىٰ الرياسة والتقدم، توجب[(١١)] أن يكون للزبير[(١٢)]، وأبي دجانة[(١٣)]، ومحمد بن مسلمة[(١٤)]،

---

(١) الآية العاشرة من سورة الحديد. (٢) في المصدر: من. (٣) كما ذكرنا سابقا إنه نقل ذٰلك عن المصدر إلتزاما بالأمانة دون التصريح بالعبارة كلها وإنما استعاظ بالرمز عنها لأنه يعبر عن الأمر الحقيقي.

(٤) كما في الآية من سورة الإنسان. (٥) شرح الأخبار (ج٢، ص٢٢٠). (٦) شواهد التنزيل (ج١، ص١٤٥). (٧) الآية ٢٤٧ من سورة البقرة. (٨) أسباب النزول للواحدي (ص٣٠٨) وتفسير الطبري (ج٢٨، ص١٤) وتفسير القرطبي (ج١٧، ص٣٢٠) والخصائص للنسائي (ص٣٩)، وكنز العمال (ج١، ص٢٦٨) وغيرها. (٩) الآية ٥٥ من سورة المائدة. (١٠) في رسالة العثمانية المنشورة ضمن رسائله (ص٥٤).

(١١) في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٧٧): لوجب.

(١٢) سواء عبدالله بن الزبير أو الزبير بن العوام.

(١٣) سماك بن خرشة بن لوذان الأنصاري الخزرجي، صحابي شجاع بطل، له آثار جميلة في الإسلام، استشهد باليمامة سنة ١١ للهجرة (معجم رجال الحديث: ج٨ ص٣٠٣). (١٤) أحد الصحابة كما في رجال الشيخ (ص٤٦) وقد أصابته جراحة في عينه ويده فمسحه الرسول صلى الله عليه وآله، إلا أنه ممن تخلف عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بل كان من الذين شاركوا في الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام (منهاج البراعة: ج٣، ص٣٧٠).

وابن عفـراء[١]، والبراء بن مالـك[٢]، من الفضـل ما ليس لرسـول اللهﷺ، لأنه لم يقتل بيده إلا رجـلًا واحداً، ولـم يحظر الحرب يـوم بدر، ولا خالـط الصفوف، وإنما كان معتزلاً عنهم في العريش[٣] ومعه أبو بكر، وأنت ترىٰ الرجل الشجاع قد يقتـل الأقران، ويجنـدل[٤] الأبطـال، وفوقـه في[٥] المعسـكر مـن لا يقتل ولا يبـارز، وهو الرئيـس أو ذو الـرأي والمستشـار[٦] في الحـرب، لأن للرؤسـاء من الاكتراث والاعتماد[٧] وشـغل البال والعناية والتفقد ما ليس لغيرهـم، لأن الرئيس هو المخصوص بالمطالبة، وعليه مدار الأمور، وبه يسـتبصر المقاتل، ويستنصر، [و][٨]باسـمه يهزم[٩] العدو، ولو لـم يكـن له إلا [أن][١٠] الجيـش لو ثبت وفر هو لم يغن ثبـوت الجيش كلـه، وكانـت المدبـرة[١١] عليه، ولـو ضيع القـوم جميعا وحفظ هولاء ينصر، وكانت الدولة له، ولهٰذا لا يضـاف النصر والهزيمة إلا إليه، ففضل أبي بكر بمقامه في العريش مع رسـول الله[ﷺ] يوم بدر أعظم من جهاد علي[عليه السلام] ذٰلك اليوم، وقتله أبطال قريش.

قـال ابن أبـي الحديـد: قـال شـيخنا أبوجعفـررضي الله عنه[١٢]: لهـذا[١٣] أعطـىٰ أبو عثمان مقـولاً وحرم معقـولاً، إن كان يقـول هٰذا علـىٰ اعتقاد وجـد، ولم يذهب

---

(١) الصحابي معاذ بن عفراء، ممن شهد مع الرسول كل مشاهده إلى زمن الإمام عليعليه السلام (مستدركات علم رجال الحديث: ج٧، ص٤٣٨).

(٢) أخو أنس بن مالك، وهو من الصحابة، وذكر عنه إنه قتل مائة من المشركين في مغازيه مبارزة (إكليل المنهج: ص٥٣٨).

(٣) شيء يعمل من الخشب وغيره يشبه السقف، تلقى عليه قضبان شجر العنب وغيره (القاموس المحيط: ج٢، ص٢٧٨).

(٤) من شدته يتغلب على الأبطال (تاج العروس: ج١٤، ص١٢٥).

(٥) في شرح نهج البلاغة: من.

(٦) في شرح نهج البلاغة: والمستشير.

(٧) في شرح نهج البلاغة: والاهتمام.

(٨) من المصدر.

(٩) في شرح نهج البلاغة: ينهزم.

(١٠) من المصدر.

(١١) في شرح نهج البلاغة: الدبرة.

(١٢) العثمانية (ص٣٢٧).

(١٣) في شرح نهج البلاغة: لقد.

به مذهب اللعب والهزل، أو علىٰ طريق التفاضح[١] والتشادق[٢] واظهار القوة، والسلاطة[٣]، وذلاقة[٤] اللسان، وحدة الخاطر، والقوة علىٰ جدال الخصوم، ألم يعلم أبو عثمان إن رسول الله ﷺ كان أشجع البشر، وإنه خاض الحروب، وثبت في المواقف التي طاشت فيها الألباب، وبلغت القلوب الحناجر[٥]، فمنها يوم أحد، ووقوفه بعد أن فر المسلمون بأجمعهم، ولم يبق معه إلا أربعة: علي[عليه السلام]، والزبير، وطلحة، وأبو دجانة، فقاتل ورمىٰ بالنبل حتىٰ فنيت نبله، وانكسرت سية[٦] قوسه، وانقطع وتره، فأمر عكاشه بن محصن[٧] أن يوترها، فقال: يا رسول الله؛ لا يبلغ الوتر. فقال له: أوتر ما بلغ. قال عكاشة: فوالذي بعثه بالحق لقد أوترت حتىٰ بلغ، وطويت منه شبراً علىٰ سية القوس.

ثم أخذها فما زال يرميهم حتىٰ نظرت إلي قوسه قد تحطمت.

وبارز أُبي بن خلف[٨]، فقال له أصحابه: إن شئت عطف عليه بعضنا! فأبىٰ وتناول الحربة من الحارث بن الصمة[٩]، ثم انتقض بأصحابه كما ينتفض البعير. قالوا: فتطايرنا عنه تطاير الشعارير[١٠] فطعنه بالحربة، فجعل يخور كما يخور الثور، [ولو][١١] لم يدل علىٰ ثباته حين انهزم أصحابه وتركوه إلا قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾[١٢].

---

(١) في شرح نهج البلاغة: التفاصح. (٢) طفطفة الفم من باطين الخدين (كتاب العين: ج٥، ص٣٤).

(٣) حدة اللسان (مجمع البحرين: ج٤، ص٢٥). (٤) ذلاقة اللسان: فصاحته.

(٥) كما في التعبير القرآني في الآية العاشرة من سورة الأحزاب.

(٦) سية القوس ما عُطف من طرفيها.

(٧) عكاشة بن محصن بن حرثان الأسدي، المكنى بـ(أبي محصن)، له صحبة، واستعمله النبي ﷺ على سرية الغمر، قتل يوم اليمامة.

(٨) عبدالله بن أبي بن خلف القرشي الجمحي، أسلم عام الفتح كما في الاستيعاب (ج٣، ص٨٦٥)، عده أمير المؤمنين عليه السلام من الفراعنة كما في مستدركات علم رجال الحديث (ج١، ص٢٣٢) وفي المستدركات (ج٤، ص٤٦٨) إنه قتل لعينا يوم الجمل وكان من أتباع الخاطئة.

(٩) في المعجم الكبير (ج٣، ص٢٧٠): الحارث بن الصمة الأنصاري البدري، قتل يوم بئر معونة، وفي معجم رجال الحديث (ج٥، ص١٧٢) هو من أصحاب الرسول ﷺ.

(١٠) جمع شعرور، وهو ما يجتمع على دبرة البعير من الذبان.

(١١) من المصدر.

(١٢) الآية ١٥٣ من سورة آل عمران.

فكونه (عليه الصلاة والسلام) في أخراهم وهم يصعدون ولا يلوون هاربين دليل علىٰ إنه ثبت ولم يفر.

وثبت يوم حنين[١] في تسعة من أهله ورهطه[٢] الأدنين، وقد فر عنه المسلمون كلهم، والنفر التسعة محدقون به: العباس آخذ بحكمة بغلته، وعلي[عليه السلام] بين يديه مصلت سيفه، والباقون حول بغلة رسول الله[صلى الله عليه وآله] يمنة ويسرة، وقد انهزم المهاجرون والأنصار، وكلما فروا أقدم هو (صلوات الله عليه)، وصمم مستقدما يلقىٰ السيوف والنبال[٣] بنحره وصدره، ثم أخذ كفا من البطحاء وحصب المشركين، وقال: شاهت[٤] الوجوه!!

والخبر مشهور[٥] عن علي عليه السلام وهو أشجع البشر: «**كنا إذا اشتد البأس، وحمىٰ الوطيس[٦]، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله [ولذنا به]**[٧]».

فكيف يقول الجاحظ: إنه ما خاض الحرب، ولا خالط الصفوف[٨]، وأي فرية أعظم من فرية من نسب رسول الله صلى الله عليه وآله الىٰ الإحجام واعتزال الحرب؟! ثم أي مناسبة من أبي بكر ورسول الله صلى الله عليه وآله في هٰذا المعنىٰ ليقيسه الجاحظ به، وينسبه إليه، ورسول الله صلى الله عليه وآله[٩] صاحب الجيش والدعوة، ورئيس الإسلام والملة، والملحوظ بين أصحابه وأعدائه بالسيادة، وإليه الإيماء والإشارة، وهو الذي أحنق[١٠] قريشاً والعرب، وورىٰ أكبادهم بالبراءة من آلهتهم، وعيب دينهم، وتضليل أسلافهم، ثم وترهم فيما بعد بقتل روسائهم وأكابرهم.

وحق لمثله إذا تنحىٰ عن الحرب واعتزلها أن يتنحىٰ ويعتزل، لأن ذٰلك شأن الملوك والرؤساء، إذ كان الجيش منوطاً بهم وببقائهم، فمتىٰ هلك الملك

---

(١) يوم غزوة حنين في العاشر من شهر شوال في السنة الثامنة للهجرة.

(٢) نفر وجماعة (كتاب العين: ج٤، ص١٩).

(٣) في المصدر: النبل.

(٤) قبحت (كتاب العين: ج٤، ص٦٨).

(٥) في المصدر: المشهور.

(٦) التنور إلا أنه يقال للحرب الوطيس (الصحاح: ج٣، ص٩٨٩).

(٧) من المصدر.

(٨) في المصدر: السيوف.

(٩) في المصدر: فينسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١٠) أحقد أو جعلهم يحقدون (تاج العروس: ج١٣، ص١٠٠).

هلك الجيش، ومتىٰ سلم الملك أمكن أن يبقىٰ عليه ملكه، وإن عطب جيشه بأن يستنجد جيشاً آخر، ولذلك نهىٰ العلماء[١] أن يباشر [الملك][٢] الحرب بنفسه، وخطأوا الإسكندر لما بارز بورا ملك الهند، ونسبوه الىٰ مجانبه الحكمة، ومفارقة الصواب والحزم.

فليقل لنا الجاحظ: أي مدخل لأبي بكر (ره)[٣] في هٰذا المعنىٰ؟ ومن الذي كان يعرفه من أعداء الإسلام[٤] ليقصده بالقتل، وهل هو إلا واحد من عرض المهاجرين حكمه حكم عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وغيرهما، بل كان عثمان أنبه[٥] منه صيتاً، وأشرف منه مركباً، والعيون إليه أطمح، والعدو عليه أحن[٦] وأكلب، ولو قتل أبو بكر في بعض تلك المعارك هل كان يؤثر قتله في الإسلام ضعفاً أو يحدث فيه وهناً، أو يخاف علىٰ الملة لو قتل أبو بكر في [بعض][٧] تلك الحروب أن تندرس وتنعفي[٨] آثارها وتطمس منارها، وليقول الجاحظ: إن أبا بكر كان حكمه حكم رسول الله ﷺ في مجانبة الحرب واعتزالها، نعوذ بالله من الخذلان.

وقد علم العقلاء كلهم ممن له بالسير معرفة، وبالآثار والأخبار ممارسة، حال حروب رسول الله ﷺ كيف كانت، وحاله عليه السلام فيها كيف كان[٩]، ووقوفه حيث وقف، وحربه حيث حارب، وجلوسه في العريش يوم جلس، وأن وقوفه ﷺ وقوف رئاسة وتدبير، ووقوف ظهر وسند، يتعرف أمور أصحابه ويحرس صغيرهم وكبيرهم بوقوفه من ورائهم، وتخلفه عن التقدم في أولٰئك[١٠]، ولأنهم متىٰ علم[١١] أنه في آخرهم[١٢] اطمأنت قلوبهم، ولم يتعلق

---

(١) في العثمانية: الحكماء. (٢) من المصدر.
(٣) نقلا عن المصدر.
(٤) في العثمانية: المسلمين.
(٥) في طبعة للعثمانية: أكثر.
(٦) في العثمانية: أحنق.
(٧) من المصدر.
(٨) في العثمانية: وتعفى.
(٩) في العثمانية: كانت.
(١٠) في العثمانية: في أوائلهم.
(١١) في العثمانية: علموا.
(١٢) في العثمانية: في أخراهم.

بأمره، يقويهم[١] فيشتغلوا بالإهتمام به عن عدوهم، ولا يكون لهم فيئة[٢] يلجئون إليها، وظهر يرجعون إليه، ويعلمون أنه متىٰ كان خلفهم تفقد أمورهم وعلم مواقفهم، وأراه[٣] كل إنسان مكانه في الحماية والكناية[٤] وعند المنازلة في الكر والحملة، فكان وقوفه حيث وقف أصلح لأمرهم، وأحما وأحرس لبيضتهم، ولأنه المطلوب من بينهم، إذ هو مدبر أمورهم ووالي جماعتهم.

ألا ترون إن موقف صاحب اللواء موقف شريف، وإن صلاح الحرب في وقوفه، وإن فضيلته في ترك التقدم في أكثر حالاته، فللرئيس حالات:

فحالة يتخلف ويقف أخرىٰ، ليكون سنداً وقوة، ودرعا وعدة، وليتولىٰ تدبير الحرب، ويعرف مواضع الخلل.

وحال: يتقدم [فيها][٥] في وسط الصف ليقوي الضعيف ويشجع الناكص[٦].

وحالة ثالثة: إذا إصطدم الفيلقان، وتكافح السيفان، اعتمد ما يقتضيه الحال من الوقوف حيث يستصلح، أو من مباشرة الحرب بنفسه، فإنها آخر المنازل، وفيها تظهر شجاعة الشجاع النجد، وفشالة الجبان المموه.

فأين مقام الرئاسة العظمىٰ لرسول الله صلى الله عليه وآله؟ وأين منزلة أبي بكر ليسوي بين المنزلتين، ويناسب بين الحالتين؟! ولو كان أبو بكر شريكاً لرسول الله صلى الله عليه وآله في الرسالة، وممنوحاً من الله تعالىٰ بفضيلة النبوة، وكانت قريش والعرب تطلبه كما تطلب محمداً عليه السلام، وكان يدبر من أمر الإسلام، وتسريب العساكر، وتجهيز السرايا، وقتل الأعداء ما يدبره محمد صلى الله عليه وآله لكان للجاحظ أن يقول ذلك.

فأما خلله[٧] وحاله وهو أضعف المسلمين جناناً، وأقلهم عند العرب ترة[٨]، لم يرم قط بسهم، ولا سل سيفاً، ولا أراق دماً، وهو أحد الأتباع غير

---

(١) في العثمانية بأمره نفوسهم.

(٢) رجعة (تاج العروس: ج١٥، ص٥٥٠).

(٣) في العثمانية: وآوى.

(٤) في العثمانية: والنكاية.

(٥) من المصدر.

(٦) المحجم والمتأخر (كتاب العين: ج٥، ص٣٠٣).

(٧) في العثمانية: فأما وحاله.

(٨) طلبا للثأر (لسان العرب: ج٥، ص٢٧٤) أو التبعة (النهاية: ج٥، ص١٤٩).

مشهور ولا معروف، ولا طالب ولا مطلوب، فكيف يجوز أن يجعل مقامه ومنزلته مقام رسول الله ﷺ ومنزلته.

ولقد خرج ابنه عبدالرحمن مع المشركين يوم أحد فرآه أبو بكر فقام مغيظا[1] عليه فسل من السيف مقدار إصبع يروم البروز إليه، فقال له رسول الله [ﷺ]: «**يا أبا بكر، شم[2] سيفك وأمتعنا بنفسك!**». ولم يقل له: «وأمتعنا بنفسك» إلا لعلمه بأنه ليس أهلا للحرب وملاقاة الرجال، وأنه لو بارز لقتل.

وكيف يقول الجاحظ: لا نصيب[3] له في مباشرة الحروب[4] ولقاء الأقران، وقتل أبطال الشرك، وهل قامت عمد الإسلام إلا على ذلك؟؟ وهل ثبت الدين واستقر إلا بذلك؟! أتراه لم يسمع قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[5]، والمحبة من الله هي إرادة الثواب.

فكل من كان أشد ثبوتاً في هٰذا الصف وأعظم قتالاً، كان أحب إلىٰ الله، ومعنىٰ الأفضل هو الأكثر ثواباً، فعلي عليه السلام إذاً هو أحب المسلمين إلي الله، لأنه أثبتهم قدماً في الصف المرصوص، لم يفر قط بإجماع الأمة، ولابارزه قرن إلا قتله.

وأتراه لم يسمع قول الله تعالىٰ: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[6]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾[7]، ثم قال سبحانه مؤكدا لهٰذا البيع والشراء: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[8]، وقال [الله][9] تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا

---

(١) مغضبا بل أشد من الغضب (لسان العرب: ج٧، ص٤٥٠).
(٢) أي: أرجعه إلى محله وغمده.
(٣) في العثمانية: لا فضيلة.
(٤) في العثمانية: الحرب.
(٥) الآية الرابعة من سورة الصف.
(٦) الآية ٩٥ من سورة النساء.
(٧) الآية ١١١ من سورة التوبة.
(٨) الآية ١١١ من سورة التوبة.
(٩) من المصدر.

مُخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ﴾[1].

فمواقف الناس في الجهاد علىٰ أحوال، وبعضهم في ذٰلك أفضل من بعض، فمن دلف[2] إلىٰ الأقران، واستقبل السيوف والأسنة[3]، كان أثقل علىٰ أكتاف الأعداء، لشدة نكايته فيهم، ممن وقف في المعركة وأعان ولم يقدم، وكذلك من [وقف][4] في المعركة، وأعان ولم يقدم إلا أنه بحيث تناله السهام والنبل، وأعظم عناء، وأفضل ممن وقف حيث لا يناله ذلك.

ولو كان الضعيف والجبان يستحقان الرياسة بقلة بسط الكف وترك الحرب، وإلىٰ[5] ذٰلك يشاكل فعل النبي صلى الله عليه وآله، لكان أوفر الناس حظاً في الرياسة [وأشدهم لها استحقاقاً][6] حسان بن ثابت[7].

وإن بطل فضل علي عليه السلام في الجهاد لأن رسول الله صلى الله عليه وآله[8] كان أقلهم قتالا ـ كما زعم الجاحظ ـ ليبطلن علىٰ هٰذا القياس فضل أبي بكر في الإنفاق، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان أقلهم مالاً.

وأنت إذا تأملت أمر العرب وقريش، ونظرت السير، وقرأت الأخبار، عرفت أنها كانت تطلب محمداً عليه السلام وتقصده قصده، وتروم قتله، فإن أعجزها وفاتها طلبت علي عليه السلام وأرادت قتله، لأنه كان أشبههم بالرسول حالاً، وأقربهم منه قرباً، وأشدهم عنه دفعاً، وأنهم متىٰ قصدوا علياً فقتلوه أضعفوا

(١) الآية ١٢٠ من سورة التوبة.

(٢) قال الجوهري في الصحاح (ج٤، ص١٣٦٠): دلف الشيخ إذا مشى وقارب الخطو، ودلفت الكتيبة في الحرب، أي: تقدمت.

(٣) جمع السنان، وهو الرمح .

(٤) من المصدر.

(٥) في العثمانية: وأن.

(٦) من المصدر.

(٧) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام، أبو عبدالرحمن، صحابي معروف، اشتهر بكونه شاعر النبي صلى الله عليه وآله، وأول من نظم حادثة غدير خم بعد ما استجاز من النبي صلى الله عليه وآله فأجازه، وبعد أن أنشد قصيدته، قال له النبي صلى الله عليه وآله: «**لا تزال يا حسان مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك**»، وكأنه صلى الله عليه وآله أشار إلى ما سيؤول إليه حاله، فقد عاد عليه دعاؤه، حيث أصبح مناوئا لأمير المؤمنين عليه السلام، مات سنة ٥٥ للهجرة (تنقيح المقال: ج١، ص٢٦٤، الطبعة الحجرية).

(٨) في العثمانية: لأن النبي.

أمر محمدﷺ، وكسروا شوكته، إذ كان علىٰ[١] من ينصره في البأس والقوة، والشجاعة والنجدة[٢]، والإقدام والبسالة[٣].

ألا ترىٰ إلىٰ قول عتبه بن الربيعة[٤] يوم بدر وقد خرج هو وأخوه شيبة[٥] وابنه الوليد بن عتبة[٦]، فأخرج إليهم رسول اللهﷺ [نفرا][٧] من الأنصار فاستنسبوهم فانتسبوا لهم، فقالوا: ارجعوا إلىٰ قومكم ثم نادوا: يا محمد؛ اخرج إلينا الأكفاء[٨] من قومنا. فقال النبيﷺ [لأهله][٩] الأدنين: «قوموا يا بني هاشم فانصروا حقكم الذي آتاكم الله علىٰ باطل هؤلاء. قم يا علي، قم يا حمزة، قم يا عبيدة، ألا ترىٰ ما جعلت هند بن عتبه لمن قتله يوم أحد، لأنه أشرك[١٠] هو وحمزه في قتل أبيها يوم بدر؟! ألم تسمع [قول][١١] هند ترثي أهلها:

ما كان لي [عن][١٢] عتبة من صبر
أبي وعمي وشقيق صدري
أخي الذي كان كضو[ء] البدري
بهم كسرة يا علي ظهري

(١) في طبعة من طبعات العثمانية: أعلى.

(٢) الشدة والبأس والشجاعة.

(٣) الشجاعة (مختار الصحاح: ص٣٥) إلا أن أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية (ص٩٩) فرق ما بين البسالة والشجاعة.

(٤) في العثمانية: عتبة بن ربيعة، جاء في الروض الأنف (ج١، ص١٢١) ونسب قريش (ص١٥٣): هو عتبة بن ربيعة بن عبد قيس، المكنى بـ أبو الوليد، من شخصيات قريش وكان يضمر عداء شديدا لرسول اللهﷺ، وقد نشأ في حجر حرب بن أمية لأنه كان يتيما، وقد شهد بدرا، وكان ضخم الجثة عظيم الهامة، طلب يوم بدر بخوذة ليلبسها فلم يجد ما يسع هامته، وقد قتله علي بن أبي طالب ﷺ.

(٥) قال في الإكمال (ص٢٠٨): جاهلي، قتله علي بن أبي طالب ﷺ يوم بدر مشركا.

(٦) قال ابن الصباغ في الفصول المهمة (ج١، ص٣٠٤): خال معاوية بن أبي سفيان، قتله الإمام عليﷺ مبارزة، وكان شجاعا، جريئا، فتاكا، وقاحا، تهابه الأبطال.

(٧) من المصدر.

(٨) في العثمانية: أكفاءنا.

(٩) من المصدر.

(١٠) في العثمانية: اشترك.

(١١) من المصدر.

(١٢) كما في المصدر، وفي غيره: من.

وذلك لأنه قتل أبطالها[1] الوليد بن عتبة، وشرك في قتل أبيها عتبة.

وأما عمها شيبة فإن حمزة تفرد بقتله.

وقال جبير بن مطعم[2] لوحشي[3] مولاه يوم أحد: إن قتلت محمداً فأنت حر، وإن قتلت علي فأنت حر، وإن قتلت حمزة فأنت حر.. فقال: أما محمد فسيمنعه أصحابه وأما علي فرجل حذر، كثير الإلتفات في الحرب، ولكنني[4] سأقتل حمزة، فقعد له، وزرقه[5] بالحربة فقتله.

ولما قلناه من مقاربة حال علي عليه السلام في هٰذا الباب لحال رسول الله صلى الله عليه وآله، ومناسبتها إياها، [و][6]ما وجدناه في السير والأخبار من إشفاق رسول الله صلى الله عليه وآله وحذره عليه، ودعائه له بالحفظ والسلامة يوم الخندق وقد برز علي[عليه السلام] إلىٰ عمرو، ورفع[صلى الله عليه وآله] يديه إلىٰ السماء بمحضر من أصحابه: «**اللهم إنك أخذت مني حمزة يوم أحد، وعبيدة يوم بدر، فاحفظ اليوم علي علي[عليه السلام]، ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾[7]»، ولذلك ظن به عن مبارزة عمرو حين دعا عمرو الناس إلىٰ نفسه مراراً، في كلها يحجمون، ويقدم علي[عليه السلام]، فيسأل الإذن له في البراز، حتىٰ قال** صلى الله عليه وآله: «إنه عمرو»، **فقال**[عليه السلام]: «وأنا علي»، فأدناه[صلى الله عليه وآله] فقبله، وعممه بعمامته، وخرج معه خطوات كالمودع له القلق لحاله، المنتظر لما يكون منه.

ثم لم يزل صلى الله عليه وآله رافعاً يديه إلىٰ السماء، مستقبلا لها بوجهه، والمسلمون صموت حوله كأنما علىٰ رؤوسهم الطير، حتىٰ ثارت الغبرة، وسمعوا التكبير من تحتها، فعلموا أن علياً[عليه السلام] قتل عمرو، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله، وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين.

---

(١) في العثمانية: أخاها. (٢) جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف، المكنى بأبي محمد، عده شيخ الطائفة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله، بعد أن أسلم يوم فتح مكة.

(٣) وحشي بن حرب، قال عنه النمازي الشاهرودي رحمه الله في مستدركات علم رجال الحديث (ج٨، ص٩٨): من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، قتل حمزة سيد الشهداء قبل إسلامه، وشرك في قتل مسيلمة الكذاب يوم اليمامة، عده مولانا الصادق عليه السلام من المرجين لأمر الله كما في تفسير القمي [ج١، ص٣٠٤] ذيل قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦].

(٤) في العثمانية: ولكني.

(٥) رماه (الصحاح: ج٤، ص١٤٩٠).

(٦) من المصدر.

(٧) الآية ٨٩ من سورة الأنبياء.

ولذلك قال حذيفة بن اليمان: لو قسمت فضيلة علي[عليه السلام] بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم[(١)].

وقال ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾[(٢)]، قال: بعلي بن أبي طالب[(٣)].

وقال الجاحظ[(٤)]: علىٰ أن مشي الشجاع بالسيف إلىٰ الأقران ليس علىٰ ما يتوهمه[(٥)] من لا يعلم باطن الأمر، لأن معه في حال مشيه إلىٰ الأقران بالسيف أموراً أخرىٰ لا يبصرها الناس، وإنما يقضون علىٰ ظاهر ما يرون من إقدامه وشجاعته، فربما كان سبب ذٰلك الهوج[(٦)]، وإنما[(٧)] كان الغرارة والحداثة، [وربما كان][(٨)] الإحراج والحمية، وربما كان الحمية والسفج[(٩)] والأحدوثة[(١٠)]، وربما كان طباعا كطباع القاسي والرحيم والسخي والبخيل[(١١)].

[قال][(١٢)] شيخنا أبوجعفر رضي الله عنه[(١٣)]: فيقال للجاحظ: فعلىٰ أيها كان مشي علي بن أبي طالب[عليه السلام] إلىٰ الأقران بالسيف، فأيما قلت من ذٰلك بانت عداوتك لله ولرسوله[صلى الله عليه وآله]، وإن كان مشيه ليس علىٰ وجه مما ذكرت، وإنما كان علىٰ وجه السخرة[(١٤)] والقصد إلىٰ المسابقة إلىٰ ثواب الآخرة، والجهاد في سبيل الله، وإعزاز الدين، كنت بجميع ماقلت معانداً، وعن سبيل الإنصاف خارجاً، وفي امام المسلمين طاعناً.

---

(١) العثمانية (ص٤٣٢ من طبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة).

(٢) الآية ٢٥ من سورة الأحزاب.

(٣) تفسير القمي (ج٢، ص١٨٩).

(٤) في العثمانية (ص٤٧).

(٥) في شرح نهج البلاغة: ما توهمه.

(٦) محركة طول في حمق وطيش وتسرع كما في القاموس المحيط (ج١، ص٢٢١).

(٧) في المصدر: وربما.

(٨) كما في المصدر.

(٩) الكذب (لسان العرب: ج٢، ص٢٩٨)

(١٠) في المصدر: وربما كان لمحبة النفخ والأحدوثة.

(١١) عن العثمانية (ص٤٧).

(١٢) من المصدر.

(١٣) كما في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٨٥).

(١٤) في المصدر: النصرة.

وإن تطرق (في)[١] مثل هٰذا الوهم على علي عليه السلام[٢] ليتطرقن مثله علىٰ أعيان المهاجرين والأنصار وأرباب الجهاد والقتال، الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وآله بأنفسهم ووقوه بمهجتهم[٣]، وفدوه بأبنائهم وآبائهم، فلعل ذٰلك كان لعلة من العلل المذكورة، وفي ذٰلك الطعن في الدين، وفي جماعة المسلمين.

فلو جاز أن يتوهم هٰذا في علي عليه السلام و[في][٤] غيره، لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله حكاية من[٥] الله تعالىٰ وأعمله لأهل بدر: «**اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[٦]، ولا قال لعلي عليه السلام: «**برز الإيمان كله إلىٰ الشرك كله**»[٧]، ولا قال: «**أوجب طلحة**[٨]»[٩].

وقد علمنا ضرورة من دين الرسول صلى الله عليه وآله تعظيمه لعلي عليه السلام تعظيماً دينياً، لأجل جهاده ونصرته، فالطاعن فيه طاعن في رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ زعم أنه قد يمكن أن يكون جهاده لا لوجه الله تعالىٰ، بل لأمر آخر من الأمور التي عددها، وبعثه علىٰ التفوة [بها][١٠] إغواء الشيطان وكيده، والإفراط في عداوة [من أمر][١١] الله تعالىٰ بمحبته، ونهىٰ عن بغضه وعداوته.

أترىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله خفي عليه من أمر علي عليه السلام ما لاح للجاحظ والعثمانية فمدحه وهو غير مستحق للمدح؟!.

قال: وروىٰ الزبير في الموفقيات: إن أبا بكر قال في الجاهلية لقيس بن عاصم المنقري[١٢]: ما حملك علىٰ أن وأدت؟ قال: مخافة أن يخلف عليهن من مثلك[١٣].

---

(١) غير موجودة في المصدر. (٢) في المصدر: على علي عليه السلام.
(٣) في المصدر: بمهجهم. (٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: عن.
(٦) الغارات (ج٢، ص٥٦٩).
(٧) ينابيع المودة (ج١، ص٢٨١).
(٨) أي: عمل عملا يدخله الجنة.
(٩) سنن الترمذي (ج٣، ص١١٩)، وقال الشيخ علي الكوراني في جواهر التاريخ (ج١، ص٣١) إن هٰذا الحديث من مخترعات مصادر الخلافة.
(١٠) من المصدر.
(١١) من المصدر.
(١٢) قال عنه النمازي الشاهرودي في مستدركات علم رجال الحديث (ج٦، ص٢٨٩): إنه من الأربعة الذين كانوا في عسكر المؤمنين يقرؤون ويصلون ويخرج من أفواههم أنوار مضيئة، وكان حكيم عصره وحليم دهره.
(١٣) ومثله في مناقب أهل البيت عليهم السلام للشيرواني (ص٣٠٨) والإصابة (ج٥، ص٣٦٧).

الباب الثالث

في ضعف أبي بكر عن الحرب وفراره منه

ابن أبـي الحديد قـال[١]: قال الجاحـظ[٢] علـىٰ إن أبا بكـر - [و][٣]لم يكن آثاره في الحرب آثار غيره- فقد بـذل الجهد، وفعل ما يسـتطيعه وتبلغه قوته، وإذا بذل المجهود فلا حال أشرف من حاله.

قال[٤]: قال شيخنا أبو جعفر رضي الله عنه:

أما قوله: (إنه بذل الجهد) فقد صدق. (ورحم الله أبا بكر)[٥].

وأما قولـه: (لا حـال أشـرف من حالـه) فخطـأ، لأن حـال من بلغـت قوته أضعاف قوته فأعملها في قتل المشـركين أشـرف من حال مـن نقصت قوته عن بلوغ الغاية، ألا ترىٰ أن حال الرجل أشـرف فـي الجهاد من حـال المرأة، وحال البالغ الأيد[٦] أشرف من حال الصبي الضعيف.

[بطلان مقولة ثبات الأول يوم أحد]:

قال[٧]: قال الجاحظ[٨]: وقد ثبت أبو بكر مع النبـي ﷺ يوم أحد، كما ثبت علي عليه السلام فلا فخر لأحدهما علىٰ صاحبه [في ذلك اليوم][٩].

قال شيخنا أبوجعفر رضي الله عنه: أما ثباته يوم أحد فأكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه، وجمهورهم روىٰ[١٠] إنه لم يبق مع النبي[ﷺ] إلا علي[عليه السلام]، وطلحة، والزبيـر، وأبـو دجانة، وقـد روي عـن ابن عبـاس أنه قـال: ولهم خامـس، وهو:

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٩٤).
(٢) في العثمانية (ص٦٢).
(٣) من المصدر.
(٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٩٥).
(٥) لا أعلم من أين جاءت العبارة.
(٦) القوي (كتاب العين: ج٨ ص٩٧).
(٧) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٩٣).
(٨) في العثمانية (ص٥٩).
(٩) من المصدر.
(١٠) في شرح نهج البلاغة: يروي، وكذلك في العثمانية.

عبدالله بن مسعود، ومنهم [من][١] أثبت سادساً، وهو: المقداد بن عمرو، وروىٰ يحيىٰ بن سلمة بن كهيل، قال: قلت لأبي: كم ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد؟ فقال: إثنان. قلت: من هما؟ قال: علي[عليه السلام] وأبو دجانة[٢].

وهب أن أبا بكر ثبت يوم أحد كما يذهب[٣] الجاحظ: أيجوز له أن يقول ثبت كما ثبت علي[عليه السلام]، فلا فخر لأحدهما علىٰ الآخر، وهو يعلم آثار علي عليه السلام ذٰلك اليوم، وإنه قتل أصحاب الألوية من بني عبد الدار، منهم: طلحة بن أبي طلحة، الذي رأىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه إنه مردف كبشاً، فأوله وقال: كبش الكتيبة نقتله[٤].

فلما قتله علي عليه السلام مبارزة ـ وهو أول قتيل قتل من المشركين ذٰلك اليوم ـ كبر رسول صلى الله عليه وآله، وقال: «**هٰذا كبش الكتيبة**»[٥].

وما كان منه المحاماة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد فر الناس وأسلموه، فتصمد له كتيبة من قريش، فيقول: «**يا علي، أكفني هذه**»، فيحمل عليها، فهزمها[٦] ويقتل عميدها، حتىٰ سمع المسلمون والمشركون صوت من قبل السماء: (لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتىٰ إلا علي)[٧].

وحتىٰ قال النبي صلى الله عليه وآله عن جبرئيل ما قال.

أتكون هٰذه آثاره وأفعاله، ثم يقول الجاحظ[٨]: (لا فخر لأحدهما علىٰ صاحبه) ﴿**رَبَّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾**﴾[٩].

---

(١) من المصدر.
(٢) شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٩٣).
(٣) في المصدر: يدعيه.
(٤) البداية والنهاية (ج٤، ص١٤).
(٥) تاريخ الطبري (ج٢، ص٥٠٩) والفصول المهمة (ص٥٧) وغيرهما.
(٦) في شرح نهج البلاغة: فيهزمها.
(٧) هٰذا الأمر متواتر موثق في العديد من المصادر، منها: تاريخ الطبري (ج٣، ص١٧) والروض الأنف (ج٢، ص١٤٣) وتذكرة الخواص (ص٦) والرياض النضرة (ص١٩٠) وذخائر العقبى (ص٧٤).
(٨) في العثمانية (ص٣٤٠) وفي المتن المستقل (ص٦٢).
(٩) الآية ٨٩ من سورة الأعراف .

قال الجاحظ[١]: (ولأبي بكر ذٰلك اليوم مقام مشهور، خرج ابنه عبدالرحمن فارسا مكفرا[٢] في الحديد، سأل مبارزة[٣]، فيقول[٤]: أنا عبدالرحمن بن عتيق، ومضىٰ[٥] إليه أبو بكر يسعىٰ بسيفه، فقال له النبيﷺ: شم[٦] سيفك وارجع إلىٰ مكانك، ومتعنا بنفسك).

قال شيخنا أبوجعفر رضي الله عنه: ما كان أغناك يا أباعثمان من[٧] ذكر هٰذه المقام المشهور لأبي بكر، فإنه لو تسمعه الإمامية لأضافته إلىٰ ما عندها من المثالب، لأن قول النبيﷺ: (إرجع) دليلا علىٰ إنه لا يحتمل مبارزة أحد، لأنه إذا لم يحتمل مبارزة ابنه، وأنت تعلم حنو الابن [علىٰ][٨] الأب وتبجيله له، وإشفاقه عليه، وكفه عنه، لم يحتمل مبارزة الغريب الأجنبي.

وقوله[ﷺ] [له][٩]: (ومتعنا بنفسك)؛ إيذان له بأنه كان يقتل لو خرج، [و][١٠]رسول اللهﷺ كان أعرف به من الجاحظ، فأين حال هٰذا الرجل من حال الرجل الذي صلىٰ بالحرب، ومشىٰ إلىٰ السيف بالسيف، فقاتل[١١] السادة والقادة والفرسان والرجالة.

وقال[١٢]: قال الواقدي: وطلع يوم أحد عبدالرحمن بن أبي بكر علىٰ فرس مدججا[١٣] لا يرىٰ منه إلا عيناه، فقال: من مبارز[١٤]؟ أنا عبدالرحمن ابن عتيق.. فنهض إليه أبو بكر، فقال: أنا أبارزه. وجرد سيفه، فقال [له][١٥] رسول اللهﷺ: (شم سيفك، وارجع إلىٰ مكانك، ومتعنا بنفسك).

---

(١) في العثمانية (ص٦٢). (٢) أي: مستترا.
(٣) في شرح نهج البلاغة: يسأل المبارزة. (٤) في شرح نهج البلاغة: ويقول.
(٥) في شرح نهج البلاغة: فنهض.
(٦) أي: اغمده (النهاية: ج٢، ص٥٢١).
(٧) في المصدر: عن.
(٨) من المصدر.
(٩) من المصدر.
(١٠) من المصدر.
(١١) في المصدر: فقتل.
(١٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٤، ص٢٥٦).
(١٣) شديد السواد (الصحاح: ج١، ص٣١٢).
(١٤) في المصدر: يبارز.
(١٥) من المصدر.

الباب الرابع

في ضعفه أن يدعوا أهل بيته إلىٰ الإسلام

وابن أبي الحديد قال[١]: قال الجاحظ[٢]: ثم الذي كان من دعائه إلىٰ الإسلام وحسن احتجاجه حتىٰ أسلم علىٰ يديه: طلحة، والزبير، وسعد، وعثمان، وعبدالرحمن، لأنه ساعة أسلم دعا إلىٰ الله و[إلىٰ][٣] رسوله عليه السلام.

قال شيخنا أبوجعفر رضي الله عنه: ما أعجب هٰذا القول، إذ تدعي العثمانية لأبي بكر الرفق في الدعاء وحسن الإحتجاج، وقد أسلم ومعه في منزله ابنه عبدالرحمن، فما قدر أن يدخله في الإسلام طوعا برفقة ولطف احتجاجه، ولا كرها بقطع النفقة عنه وإدخال المكروه عليه، ولا كان لأبي بكر عند ابنه عبدالرحمن من القدر ما يطيعه فيما يأمره به، ويدعوه إليه، كما روىٰ أن أبا طالب فقد النبي صلى الله عليه وآله [يوما][٤]، وكان يخاف عليه من قريش أن يغتالوه، فخرج ومعه [ابنه][٥] جعفر يطلب[٦] النبي صلى الله عليه وآله، فوجده قائما في بعض شعاب مكه يصلي، وعلي عليه السلام [معه][٧] عن يمينه، فلما رآهما أبو طالب قال لجعفر: تقدم فصل جناح ابن عمك.. فقام جعفر عن يسار محمد صلى الله عليه وآله، فلما صاروا ثلاثة تقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وتأخر الأخوان، فبكىٰ أبو طالب ودخله رقة الرحم، وقال[٨]:

إن عليا وجعفرا ثقتي
عند ملم الخطوب والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما
أخي لأمي من بينهم وأبي

(١) شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٦٩).
(٢) في العثمانية (ص٣١).
(٣) من المصدر.
(٤) من المصدر.
(٥) من المصدر.
(٦) في المصدر: يطلبان.
(٧) من المصدر.
(٨) ديوان أبي طالب (ص٤٢).

والله لا أخـــذل الـــنـــبي ولا
يخـــذلـه مـــن بـــني ذو حـــسـب

فذكر الرواة[١]: أن جعفرا أسلم من ذٰلك اليوم، لأن إباه أمره بذلك فأطاع[٢] أمره، وأبو بكر لم يقدر علىٰ ادخال ابنه عبدالرحمن في الإسلام حتىٰ أقام معه بمكة علىٰ كفره ثلاث عشرة سنة، وخرج يوم أحد في عسكر المشركين ينادي: أنا عبدالرحمن بن عتيق، هل من مبارز؟ ثم مكث بعد ذٰلك علىٰ كفره، حتىٰ أسلم عام الفتح، وهو اليوم الذي دخلت فيه قريش في الإسلام طوعا وكرها، [و][٣]لم يجد أحد منها إلىٰ ترك ذٰلك سبيلا[٤].

وأين كان رفق أبي بكر وحسن احتجاجه عند أبيه أبي قحافة وهما في دار واحدة، هلا رفق به ودعاه إلىٰ الإسلام فأسلم، وقد علمتم أنه بقي علىٰ الكفر إلىٰ يوم الفتح، فأحضره ابنه عند النبيﷺ وهو شيخ كبير، رأسه كالثغامة[٥]، فنفر رسول اللهﷺ منه، وقال: (غيروا هذا). فخضبوه[٦]، ثم جاؤا به [مرة أخرىٰ][٧] فأسلم.

وكان أبو قحافة فقيرا مدقعا[٨]، سيئ الحال، وأبو بكر كان عندكم[٩] مثريا فائض المال، فلم يمكنه استمالته إلى الإسلام بالنفقة والإحسان، وقد كانت امرأة أبي بكر أم عبدالله ابنه ـ واسمها: نملة بنت عبدالعزى بن أسعد بن عبد بن ود العامرية ـ لم تسلم، وأقامت على شركها بمكة، وهاجر أبو بكر وهي كافرة، فلما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾[١٠] طلقها[١١] أبو بكر.

---

(١) كما في أسد الغابة (ج١، ص٢٨٧) وأسنى المطالب (ص٦) والإصابة (ج٤، ص١١٦) وتاريخ الطبري (ج٢، ص٦٠) والسيرة الحلبية (ج١، ص٢٨٦) وغيرها.

(٢) في المصدر: وأطاع.

(٣) من المصدر.

(٤) شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٧١).

(٥) ضرب من النبات أبيض.

(٦) أي: غيروا لونه بحمرة كالدم (كتاب العين: ج٤، ص١٧٨).

(٧) من المصدر.

(٨) أي ملصق بالدقعاء، أو سوء احتمال الفقر (الصحاح: ج٣، ص١٢٠٨).

(٩) في المصدر: عندكم.

(١٠) الآية العاشرة من سورة الممتحنة.

(١١) في المصدر: فطلقها.

فمن عجز عن ابنه وأبيه وامرأته فهو عن غيرهم من الغرباء[1] أعجز، ومن لم يقبل منه ابنه وأبوه وامرأته لا برفق واحتجاج، ولاخوفا من قطع النفقة عنهم، وادخال المكروه عليهم فغيرهم أقل قبولا منه، وأكثر خلافا عليه[2].

قال الجاحظ[3]: وقالت أسماء بنت أبي بكر[4]: ما عرفت أبي إلا وهو يدين بالدين، ولقد رجع إلينا يوم أسلم، فدعانا إلى الإسلام، فما رمنا حتى أسلمنا، وأسلم أكثر جلسائه، ولذلك قالوا: من أسلم بدعاء أبي بكر أكثر ممن أسلم بالسيف، ولم يذهبوا في ذلك إلى العدد، بل عنوا الكثرة في القدر، لأنه أسلم على يديه خمسة من أهل الشورى، كلهم يصلح للخلافة، وهم أكفاء علي عليه السلام، ومنازعوه الرياسة والإمامة، فهؤلاء أكثر من جميع الناس[5].

قال شيخنا أبو جعفر رضي الله عنه: أخبرونا من هٰذا الذي أسلم ذٰلك اليوم من أهل بيت أبي بكر إذ كانت امرأته لم تسلم، وابنه عبدالرحمن لم يسلم، وأبوه أبو قحافة لم يسلم، وأخته أم فروة لم تسلم، وعائشة [لم تكن][6] قد ولدت في ذٰلك الوقت، لأنها ولدت بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله بخمس سنين، ومحمد بن أبي بكر [ولد][7] بعد مبعث النبي[8] صلى الله عليه وآله بثلاث وعشرين سنة، لأنه ولد في حجة الوداع، وأسماء بنت أبي بكر الذي[9] قد روىٰ الجاحظ هٰذا الخبر عنها كانت يوم بعث رسول الله[صلى الله عليه وآله] بنت أربع سنين، وفي الرواة[10]: من يقول بنت سنتين،

(١) في المصدر: من الغرماء.

(٢) شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٧٠).

(٣) العثمانية (ص٣١).

(٤) التي هي أسن من عائشة كما في أسد الغابة (ج٥، ص٣٩٢) بعشر سنين، وهي مجهولة في مصطلح أهل الرجال.

(٥) قال المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي في الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله (ج٢، ص٣٣٥) ولكن كل ذٰلك محل شك وريب، وذكر الملاحظات التي تستدعي ذلك.

(٦) من المصدر.

(٧) من المصدر.

(٨) في المصدر: رسول الله.

(٩) في المصدر: التي.

(١٠) في المصدر: الرواية.

فمن ذا الذي أسلم من أهل بيته يوم أسلم، نعوذ بالله من الجهل [والكذب][١] والمكابرة.

وكيف أسلم سعد والزبير وعبدالرحمن بدعاء أبي بكر وليسوا من رهطه[٢]، ولا من أترابه، ولا من جلسائه، ولا كانت بينهم قبل ذلك اليوم صداقة متقدمة، ولا أنس وكيد.

وكيف ترك أبو بكر عتبة بن ربيعة[٣]، وشيبة بن ربيعة، لم يدخلهما في الإسلام برفقه وحسن دعائه، وقد زعمتم أنهما كانا يجلسان إليه لعلمه وطريف حديثه.

وما باله لم يدخل جبير بن مطعم[٤] في الإسلام، وقد ذكرتم أنه أدبه وخرجه، ومنه أخذ جبير العلم بأنساب قريش ومآثرها.

فكيف عجز عن هؤلاء الذين عددناهم، وهم منه بالحال التي وصفنا، ودعا من لم يكن بينه وبينه أنس ولا معرفة إلا معرفة عيان.

وكيف لم يقبل منه عمر بن الخطاب، وقد كان شكله أقرب الناس شبها به في أغلب أخلاقه.

ولئن رجعتم إلى الانصاف لتعلم[٥] أن هؤلاء لم يكن اسلامهم إلا بدعاء الرسول ﷺ لهم، وعلى يديه أسلموا، ولو فكرتم في حسن التأتي[٦] في الدعاء ليصحن لأبي طالب [في ذلك][٧] على تركه[٨] أضعاف ما ذكرتموه لأبي بكر، لأنكم رويتم أن أبا طالب لعلي[عليه السلام]: يا بني؛ إلزمه فإنه لن يدعوك إلا إلى خير[٩].. وقال لجعفر: صل جناح ابن عمك.. فأسلم بقوله[١٠].

---

(١) من المصدر.

(٢) أي: قرابته (لسان العرب: ج٧، ص٣٠٥).

(٣) قال النمازي رحمه الله في المستدركات (ج٥، ص٢٠٥): خبيث مذموم.

(٤) أبومحمد النوفلي، عده الشيخ قدس سره من أصحاب الرسول ﷺ.

(٥) في المصدر: لتعلمن.

(٦) التهيأ (تاج العروس: ج١٩، ص١٣٩).

(٧) من المصدر.

(٨) في المصدر: شركه.

(٩) كما في تاريخ ابن خلدون (ج٢، ق٢، ص٦).

(١٠) السيرة الحلبية (ج١، ص٤٣٣).

ولأجله أصفق[١] بنو عبد مناف على نصرة رسول اللهﷺ بمكة من بني مخزوم[٢]، وبني سهم[٣]، وبني جمح[٤].

ولأجله صبر بنو هاشم على الحصار في الشعب[٥]، وبدعائه وإقباله على محمدﷺ أسلمت امرأته فاطمة بنت أسد.

فهو أحسن رفقا، وأيمن نقيبة[٦] من أبي بكر وغيره، وإنما منعه عن الإسلام أن ثبت أنه لم يسلم إلا تقية، وأبو بكر لم يكن له إلا ابن واحد، وهو: عبدالرحمن، فلم يمكنه أن يدخله في الإسلام، ولا أمكنه إذ لم يقبل منه الإسلام أن يجعله كبعض مشركي قريش في قلة الأذى لرسول اللهﷺ، وفيه أنزل: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٧].

وإنما يعرف حسن رفق الرجل وتأنيه بأن يصلح أولا أمر بيته وأهله، ثم يدعو الأقرب فالأقرب، فإن رسول اللهﷺ لما بعث كان أول من دعا زوجته خديجة، ثم مكفوله وابن عمه علياﷺ، ثم مولاه زيدا، ثم أم أيمن خادمته.

فهل رأيتم أحدا ممن كان يأوي إلى رسول اللهﷺ لم يسارع، وهل إلتاث[٨] عليه أحد من هؤلاء، فهكذا يكون حسن التأتي والرفق في الدعاء، هذا ورسول اللهﷺ مقل، وهو من جملة عيال خديجة حين بعثه الله [تعالى][٩] وأبو بكر عندكم كان موسرا، وكان أبوه مقترا[١٠]، وكذلك ابنه وامرأته أم عبدالله، والموسر[١١] في فطرة العقول أولى أن يتبع من المقتر[١٢].

---

(١) اجتمع (غريب الحديث لابن قتيبة: ج٢، ص١٧٧). (٢) مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. (٣) بطن من بطون قريش ينسبون إلى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. (٤) بطن من بطون قريش ينسبون إلى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

(٥) لمدة ثلاث سنين أو سنتين ونصف أو سنتين كما في الاختلاف في الأخبار (التنبيه والاشراف: ص٢٠٠).

(٦) نفسا ويمن فعل (لسان العرب: ج١، ص٧٦٨).

(٧) الآية ١٧ من سورة الأحقاف.

(٨) اجتمع (لسان العرب: ج٢، ص١٨٨).

(٩) من المصدر.

(١٠) قليل المال.

(١١) الذي له مال كثير (تاج العروس: ج٢، ص٢٩).

(١٢) الفقير (مجمع البحرين: ج٣، ص٤٥٦).

وإنما حسن التأتي والرفق في الدعاء ما فعله[١] مصعب بن عمير لسعد بن معاذ لما دعاه، وما صنع سعد بن معاذ ببني عبدالأشهل لما دعاهم، وما فعل[٢] بريدة بن الخصيب بأسلم لما دعاهم، قالوا: أسلم بدعائه ثمانون بيتا من قومه، وأسلم بنو عبدالأشهل بدعاء سعد في يوم واحد، وأما من لم يسلم ابنه ولا امرأته ولا أبوه، ولا أخته بدعائه، فهيهات أن يوصف ويذكر بالرفق في الدعاء وحسن التأتي والأناة.

الباب الخامس

في أن القوم كانوا شكاكاً في زمن رسول الله ﷺ وأصحاب نفاق فقضية الإسلام عندهم إلا بعد موته ﷺ، وهما يستحقان العقاب والعتاب.

⊡ [مماثلة سياسة الإمام علي عليه السلام لسياسة الرسول ﷺ]:

ابن أبي الحديد[٣]، قال: كان أبو جعفر بن أبي زيد الحسني - نقيب البصرة- رضي الله عنه إذا حدثناه في السيرة والسياسة[٤] يقول: إنه لا فرق عند من قرأ السيرتين: سيرة النبي ﷺ وسياسة أصحابه أيام حياته، وبين سيرة علي[٥] عليه السلام وسياسة أصحابه أيام حياته، فكما أن علياً عليه السلام لم يزل أمره مضطربا معهم بالمخالفة والعصيان والهرب إلىٰ أعدائه، وكثرة الفتن والحروب، فكذلك كان النبي ﷺ لم يزل ممنوا بنفاق المنافقين وأذاهم، وخلاف أصحابه عليه وهرب بعضهم إلىٰ أعدائه، وكثرة الحروب والفتن.

وكان يقول: ألست ترىٰ القرآن العزيز مملوءا بذكر المنافقين والشكوىٰ منهم، والتألم من أذاهم له، كما كان شأن كلام علي عليه السلام مملوء بالشكوىٰ من منافقي أصحابه والتألم من أذاهم له، والتواهم[٦] عليه، وذلك نحو قوله

(١) في المصدر: ما صنعه.
(٢) في المصدر: صنع.
(٣) في شرح نهج البلاغة (ج١٠، ص٢١٤).
(٤) في المصدر: في هذا.
(٥) في المصدر: سيرة أمير المؤمنين عليه السلام.
(٦) في المصدر: والتوائهم.

تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(١).

وقوله: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ السورة(٣) بأجمعها.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾(٤).

وقوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾(٦).

وقوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾(٧).

وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾(٨).

---

(١) الآية الثامنة من سورة المجادلة. (٢) الآية العاشرة من سورة المجادلة.

(٣) سورة المنافقون.

(٤) الآية ١٦ من سورة محمد.

(٥) الآية ٢٠ من سورة محمد.

(٦) الآيتان ٢٩ و٣٠ من سورة محمد.

(٧) الآيتان ١١ و١٢ من سورة الفتح.

(٨) الآية ١٥ من سورة الفتح.

وقولـه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١).

قال: وأصحابه هم الذين نازعوه في الأنفال وطلبوها لأنفسهم، حتىٰ أنزل قوله(٢) تعالىٰ: ﴿قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٣).

وهم الذين التووا(٤) عليه في الحرب يوم بدر، وكرهوا لقاء العدو حتىٰ خيف خذلانهم، وذلك قبل أن تتراءىٰ الفئتان، وأنزل فيهم: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾(٥).

وهم الذين كانوا يتمنون لقاء العير(٦) دون لقاء العدو، حتىٰ أنهم ظفروا برجلين في الطريق، فسألوها عن العير، فقالا: لا علم لنا بها، وإنما رأينا جيش قريش من وراء ذٰلك الكثيب(٧)، فضربوهما ورسول اللهﷺ قائم يصلي، فلما ذاقا مس الضرب، قالا: بل العير أمامكم فاطلبوها.. فلما رفعوا الضرب عنهما، قالا: والله ما رأينا العير ولا رأينا إلا الخيل والسلاح والجيش.. فأعادوا الضرب عليهما مرة ثانية، فقالا وهما يضربان: العير أمامكم فخلوا عنا.. فانصرف رسول اللهﷺ من الصلاة، وقال: إن أصدقاكم(٨) ضربتموهما، وإذا كذباكم خليتم عنهما! دعوهما فما رأيا إلا جيش أهل مكة، وأنزل قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾(٩).

قال المفسرون(١٠): (الطائفتان) العير ذات اللطيمة(١١) الواصلة إلىٰ مكة من الشام صحبة أبي سفيان بن حرب، وإليها كان خروج المسلمين، والأخرىٰ

(١) الآيتان ٤ و٥ من سورة الحجرات. (٢) في المصدر: الله.
(٣) الآية الأولى من سورة الأنفال (٤) مالوا (الصحاح: ج٦، ص٢٤٨٥).
(٥) الآية السادسة من سورة الأنفال.
(٦) الإبل أو الحمير (ترتيب إصلاح المنطق: ص٢٧٣).
(٧) التل من الرمل (القاموس المحيط: ج١، ص٢٨٠).
(٨) في المصدر: إذا صدقاكم.
(٩) الآية السابعة من سورة الأنفال.
(١٠) كالطبري في جامع البيان (ج٩، ص٢٤٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (ج٥، ص١٦٦١) وغيرهما.
(١١) الجمال التي تحمل العطر والبز غير الميرة أو السوق التي يحمل لها هٰذا الشيء (كتاب العين: ج٧، ص٤٣٣).

الجيش ذو الشوكة، وكانﷺ قد وعدهم بإحدىٰ الطائفتين، فكرهوا الحرب، وأحبوا الغنيمة.

قال: وهم الذين فروا عن النبيﷺ: يوم حنين، وأعجبتهم كثرتهم ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[١].

وهم الذين فروا عنه يوم أحد، وأسلموه وأصعدوا في الجبل، فتركوه حتىٰ شج[٢] الأعداء وجهه، وكسروا ثنيته[٣]، وضربوه علىٰ البيضة، حتىٰ دخل حلق المغفر[٤] في جبهته، وألقوه من فرسه إلىٰ الأرض بين القتلىٰ، وهو يستصرخ بهم، ويدعوهم فلا يجيبه أحد منهم إلا من كان جاريا مجرىٰ نفسه، وشديد الاختصاص به، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾[٥]، أي: ينادي فيسمع نداءه آخر الهاربين لا أولهم، لأن أولهم أوغلوا في الفرار، وبعدوا عن أن يستمعوا[٦] صوته، وكان قصارىٰ الأمر أن يبلغ صوته واستصراخه من كان علىٰ ساقه الهاربين منه.

قال: ومنهم الذين عصوا أمره في ذلك اليوم، حيث أقامهم علىٰ الشعب في الجبل، وهو الموضع الذي خاف أن يكر[٧] عليه [منه][٨] خيل العدو من ورائه، وهم أصحاب عبدالله بن جبير، فإنهم خالفوا أمره وعصوه فيما تقدم به إليهم، ورغبوا في الغنيمة، ففارقوا مركزهم: حتىٰ دخل الوهن علىٰ الاسلام بطريقهم، لأن خالد بن الوليد كر[٩] في عصابة من الخيل، فدخل من الشعب الذي كانوا يحرسونه، فما أحس المسلمون بهم إلا وقد غشوهم بالسيوف من خلفهم،

---

(١) الآية ٢٥ من سورة التوبة.

(٢) شق (الصحاح: ج١، ص٣٢٣).

(٣) واحدة الثنايا من السن (لسان العرب: ج١٤، ص١٢٣).

(٤) حلق يجعل على الرأس يتقي به ضرب السلاح في الحرب.

(٥) الآية ١٥٣ من سورة آل عمران.

(٦) في المصدر: يسمعوا.

(٧) في المصدر: تكر.

(٨) من المصدر.

(٩) رجع (الصحاح: ج٢، ص٨٠٥).

فكانت الهزيمة، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾[1].

وقال: ومنهم[2] الذين عصوا أمره في غزاة تبوك، بعد أن أكد عليهم الأوامر، وخذلوه وتركوه ولم يشخصوا معه، فأنزل فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾[3]، وهذه الآية خطاب من المؤمنين لا مع المنافقين، وفيها أوضح دليل علىٰ أن أصحابه وأولياءه المصدقين لدعوته كانوا يعصونه، ويخالفون أمره، وأكد عتابهم وتقريعهم[4] وتوبيخهم بقوله تعالىٰ: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾[5].

ثم عاتب رسول اللهﷺ علىٰ كونه أذن لهم في التخلف، وإنما أذن لهم لعلمه أنهم لا يجيبونه في الخروج، فرأىٰ أن يجعل المنة له عليهم في الإذن لهم، وإلا قعدوا عنه، ولم تحصل له المنة، فقال له: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[6]، أي: هلا أمسكت عن الإذن لهم حتىٰ يتبين لك بقعود من يقعد، وخروج من يخرج، وتعلم صادقهم من كاذبهم! لأنهم كانوا قد وعدوه بالخروج معه كلهم، وكان بعضهم ينوي الغدر، وبعضهم يعزم علىٰ أن يخيس[7] بذلك الوعد، فلو لم يأذن لهم لعلم من يتخلف ومن لا يتخلف، فعلم[8] الصادق منهم والكاذب.

---

(١) الآية ١٥٢ من سورة آل عمران، كما في جامع البيان (ج٤، ص١٦٧) وتفسير السمرقندي (ج١، ص٢٧٥) وتفسير السمعاني (ج١، ص٣٦٦) وغيرها. (٢) في المصدر: وهم.

(٣) الآيتان ٣٨ و٣٩ من سورة التوبة كما في تفسير مقاتل بن سليمان (ج٢، ص٤٧) وجامع البيان (ج١٠، ص١٧٢) ومعاني القرآن (ج٣، ص٢٠٩) وغيرها. (٤) توبيخهم (تاج العروس: ج١١، ص٣٦٦).

(٥) الآية ٤٣ من سورة التوبة.

(٦) الآية ٤٣ من سورة التوبة.

(٧) يغدر.

(٨) في المصدر: فعرف.

ثم بين ﷻ إن الذين يستأذنونه في التخلف خارجين عن[1] الإيمان، فقال له: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[2].

ولا حاجة إلىٰ التطويل بذكر الآيات المفصلة فيما يناسب هٰذا المعنىٰ، فمن تأمل الكتاب العزيز علم حاله (صلوات الله عليه) مع أصحابه كيف كانت، ولم ينقله الله تعالىٰ إلىٰ جواره إلا وهو مع المنافقين له والمظهرين خلاف ما يضمرون من تصديقه في جهاد شديد، حتىٰ لقد كاشفوه مرارا، فقال لهم يوم الحديبية: (احلقوا وانحروا)... مرارا، فلم يحلقوا ولم ينحروا، ولم يتحرك أحد منهم عند قوله، وقال له بعضهم وهو يقسم الغنائم: (اعدل يا محمد فإنك لم تعدل)[3].

وقالت الأنصار له مواجهة يوم حنين: أتأخذ ما أفاء الله علينا بسيوفنا فتدفعه إلىٰ أقاربك من أهل مكة! حتىٰ أفضىٰ الأمر إلىٰ أن قال لهم في مرض موته: «**ائتوني بدواة وكتف**[4] **أكتب لكم ما لا تضلون بعده**»[5]، فعصوه ولم يأتوه بذلك، وليتهم اقتصروا علىٰ عصيانه ولم يقولوا شيئا آخر[6]، وهو يسمع.

وكان أبو جعفر عليه السلام يقول من ذلك[7] ما يطول شرحه، والقليل منه يغني[8] عن الكثير.

وكان يقول: إن الاسلام ما حلا عندهم و[لا][9] ثبت في قلوبهم إلا بعد موته، حين فتحت عليهم الفتوح، وجاءتهم الغنائم والأموال، وكثرت

(١) في المصدر: خارجون من.
(٢) الآيتان ٤٤ و٤٥ من سورة التوبة.
(٣) صحيح البخاري (ج٣، ص١٨٢).
(٤) الكتف: عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان يكتبون فيه لقلة القراطيس.
(٥) حديث مشهور ومتواتر ورد بألفاظ متعددة تشترك كلها في هٰذا المعنى والمراد، ولم يخلو منه أي مصدر، ومن تلك المصادر: تمهيد الأوائل (ص٤٦٦) وكنز العمال (ج١١، ص٥٥٠) والمستدرك للحاكم (ج٣، ص٤٧٧) وغيرها.
(٦) في المصدر: يقولوا له ما يقولوا.
(٧) في المصدر: هذا.
(٨) في المصدر: ينبئ.
(٩) كما في المصدر.

عليهم المكاسب، وذاقوا طعم الحياة، وعرفوا لذة الدنيا، ولبسوا الناعم، وأكلوا الطيب، وتمتعوا بنساء الروم، وملكوا خزائن كسرىٰ، وتبدلوا بذلك القشف[١] والشظف[٢] والعيش الخشن وأكل الضباب[٣] والقنافذ واليرابيع[٤] ولبس الصوف والكرابيس[٥]، وأكل اللوزينجات والفالوذجات[٦] ولبس الحرير والديباج[٧].

فاستدلوا بما فتحه الله عليهم وأتاحه لهم علىٰ صحة الدعوة، وصدق الرسالة، وقد كانﷺ وعدهم بأنه سيفتح عليهم كنوز كسرىٰ وقيصر، فلما وجدوا الأمر قد وقع بموجب ما قاله عظموه وبجلوه، وانقلبت تلك الشكوك وذلك الاستهزاء إيمانا ويقينا وإخلاصا، وطاب لهم العيش، وتمسكوا بالدين، لأنه رأوه طريقا إلىٰ نيل الدنيا، فعظموا ناموسه[٨]، وبالغوا في إجلاله وإجلال الرسول الذي جاء به، ثم انقرض الأسلاف وجاء الأخلاف علىٰ عقيدة ممهدة، وأمر أخذوه تقليدا من أسلافهم الذين ربوا في حجورهم، ثم انقرض ذٰلك القرن، وجاء من بعدهم كذلك وهلم جرا.

قال: ولو لا الفتوح والنصر والظفر الذي منحهم الله تعالىٰ إياه، والدولة التي ساقها إليهم، لانقرض دين الإسلام بعد وفاة رسول اللهﷺ، وكان يذكر في التواريخ كما تذكر الآن نبوة خالد بن سنان العبسي، حيث ظهر ودعا إلىٰ الدين.

وكان الناس يعجبون من ذٰلك ويتذاكرونه كما يعجبون ويتذاكرون أخبار من نبغ من الرؤساء والملوك والدعاة الذين انقرض أمرهم، وبقيت أخبارهم.

وكان يقول: من تأمل حال الرجلين وجدهما متشابهين في جميع أمورهما أو في أكثرها، وذلك لأن حرب رسول اللهﷺ مع المشركين كانت سجالا[٩]،

---

(١) قذر الجلد ورثاثة الهيئة وسوء الحال (القاموس المحيط: ج٣، ص١٨٥).

(٢) يبس العيش (كتاب العين: ج٦، ص٢٤٨) وضيقه وشدته (الصحاح: ج٤، ص١٣٨١).

(٣) حيوان معروف أو دابة برية كما في مجمع البحرين (ج٣، ص٤) تقول عنه العرب إنه قاضي الطير والبهائم (كتاب العين: ج٧، ص١٣).

(٤) جمع مفرده (يربوع) وهو حيوان طويل الرجلين، قصير اليدين جدا، وله ذنب كذنب الجرذ يرفعه صعدا، لونه كلون الغزال (مجمع البحرين: ج٢، ص١٣٦).

(٥) القطن (النهاية لابن الأثير: ج٤، ص١٦١).

(٦) جمع مفرده (فالوذج) وهومعرب (بالوده) حلواء يعمل من النشا والدقيق والسمن والعسل والماء.

(٧) ضرب من الثياب متخذة من الأبريسم (تاج العروس: ج٣، ص٣٥٧).

(٨) سره وباطنه (الصحاح: ج٣، ص٩٨٦).

(٩) الحرب السجال هي التي منها تسجل علىٰ هٰؤلاء ومرة على هٰؤلاء (كتاب العين: ج٦، ص٥٤).

انتصر يوم بدر، وانتصر المشركون عليه يوم أحد، وكان يوم الخندق كفافا[١] خرج هو وهم سواء، لا عليه ولا له، لأنهم قتلوا رئيس الأوس وهو سعد بن معاذ، وقتل منهم فارس قريش وهو عمرو بن عبد ود، وانصرفوا عنه بغير حرب بعد تلك الساعة التي كانت، ثم حارب بعدها قريشا يوم الفتح، فكان الظفر له.

وهكذا كانت حروب علي عليه السلام، انتصر يوم الجمل، وخرج الأمر بينه وبين معاوية علىٰ سواء، قتل من أصحابه رؤساء، ومن أصحاب معاوية رؤساء، وانصرف كل واحد من الفريقين عن صاحبه بعد الحرب علىٰ مكانه، ثم حارب بعد صفين أهل النهروان، فكان الظفر له.

[من المشتركات بين النبي والإمام عليه السلام]:

ومن العجب أن أول حروب رسول الله صلى الله عليه وآله كانت بدرا، وكان هو المنصور فيها، وأول حروب علي عليه السلام الجمل، وكان هو المنصور فيها.

ثم كان من [صحيفة][٢] الصلح والحكومة يوم صفين نظير ما كان من صحيفة الصلح والهدنة يوم الحديبية.

ثم دعا معاوية في آخر أيام علي عليه السلام إلىٰ نفسه وتسمىٰ بالخلافة، كما أن مسيلمة والأسود العنسي دعوا إلىٰ أنفسهما في آخر أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وتسميا بالنبوة، واشتد علىٰ علي عليه السلام ذلك، كما اشتد علىٰ رسول صلى الله عليه وآله أمر الأسود ومسيلمة، وأبطل الله تعالىٰ أمر الأسود ومسيلمة بعد وفاته صلى الله عليه وآله، وكذلك أبطل أمر معاوية وبني أمية بعد وفاة علي عليه السلام.

ولم يحارب رسول الله صلى الله عليه وآله أحد من العرب إلا قريش ما عدا يوم حنين، ولم يحارب عليا عليه السلام من العرب أحد إلا قريش ما عدا يوم النهروان.

ومات علي عليه السلام شهيدا بالسيف[٣]، ومات رسول الله صلى الله عليه وآله شهيدا بالسم[٤].

وهٰذا لم يتزوج علىٰ خديجة أم أولاده حتىٰ ماتت[٥]، وهٰذا لم يتزوج علىٰ فاطمة أم أشراف أولاده حتىٰ ماتت.

---

(١) مستغني عن أي حاجة. (٢) من المصدر.

(٣) أسد الغابة (ج٤، ص١١٣) وأنساب الأشراف (ج٣، ص٢٥٥) وتاريخ دمشق (ج٤٢، ص٥٥٩) والطبقات الكبرى (ج٣، ص٣٦) وغيرها.

(٤) الاعتقادات في دين الإمامية (ص٩٧) والخرائج والجرائح (ج١، ص٢٤١) وغيرهما.

(٥) الكافي (ج٥، ص٣٩١) والعمدة (ص٣٤٩) وغيرهما.

ومات رسول الله ﷺ عن ثلاث وستين سنة[١]، ومات علي عليه السلام عن مثلها[٢].

وكان يقول: انظروا إلىٰ أخلاقهما وخصائصهما، هٰذا شجاع وهٰذا شجاع، وهٰذا فصيح وهٰذا فصيح، وهٰذا سخي جواد وهٰذا سخي جواد.

وهٰذا عالم بالشرائع والأمور الإلهية، وهٰذا عالم بالفقه والشرع والشريعة والأمور الإلهية الدقيقة الغامضة.

وهٰذا زاهد في الدنيا غير نهم ولا مستكثر منها، وهٰذا زاهد في الدنيا تارك لها غير متمتع بلذاتها.

وهٰذا مذهب[٣] نفسه في الصلاة والعبادة وهٰذا مثله.

وهٰذا غير محبب إليه[٤] شيء من الأمور العاجلة إلا النساء وهٰذا مثله.

وهٰذا ابن عبدالمطلب بن هاشم وهٰذا في قعدده[٥]، وأبواهما أخوان لأب وأم[٦] دون غيرهما من بني عبدالمطلب، وربي محمد ﷺ في حجر والد هٰذا وهو أبو طالب، فكان جاريا عنده مجرىٰ أحد أولاده، ثم لما شب محمد ﷺ وكبر استخلص من بني أبو طالب عليا وهو غلام، فرباه في حجره مكافأة لصنيع أبي طالب به، فامتزج الخلقان، وتماثلت السجيتان، وإذا كان القرين مقتديا بالقرين فما ظنك بالتربية والشفيق[٧] الدهر الأطول[٨].

فواجب أن تكون أخلاق محمد ﷺ كأخلاق أبي طالب، وأن تكون أخلاق علي عليه السلام كأخلاق أبي طالب أبيه، ومحمد[عليه السلام][٩] مربيه، وأن يكون الكل شيمة واحدة، وسوسا[١٠] واحدا، وطينة مشتركة، ونفسا غير منقسمة ولا متجزية، وألا يكون بين بعض هٰؤلاء وبعض فرق ولا فضل، ولو لا أن الله

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ج١، ص١٢٠).

(٢) روضة الواعظين (ص١٣٢) والإرشاد (ج١، ص١٠).

(٣) في المصدر: مذيب.

(٤) في المصدر: له.

(٥) القعدد: القريب من الجد الأعلى .

(٦) في المصدر: واحد.

(٧) في المصدر: التثقيف.

(٨) في المصدر: الطويل.

(٩) من المصدر.

(١٠) السوس: الأصل .

تعالىٰ اختص محمدا برسالته، واصطفاه لوحيه، لما يعلمه من مصالح البرية في ذلك، [و][١]من أن اللطف به أكمل، والنفع بمكانه أتم وأعم، وامتاز[٢] [رسول الله][٣]ﷺ بذلك عمن سواه، وبقي ما عدا الرسالة علىٰ أصل[٤] الإتحاد، وإلىٰ هٰذا المعنىٰ أشارﷺ بقوله: «**أخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدي، وتخصمني بسبع**[٥]»[٦]، وقال[ﷺ] له[عليه السلام] أيضا: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلا أنه لا نبي بعدي**»[٧]، فأبان نفسه عنه[٨] بالنبوة، وأثبت له ما عداها من جميع الفضائل والخصائص مشتركا بينهما.

[من أقوال النقيب أبو جعفر في الثلاثة]:

وكان النقيب أبو جعفر رضي الله عنه[٩] غزير العلم، صحيح العقل، منصفا في الجدال، غير متعصب للمذهب ـ وإن كان علويا ـ ، وكان يعترف بفضايل[١٠] الصحابة، ويثني علىٰ الشيخين رضي الله عنهما[١١]، ويقول: إنهما مهدا دين الإسلام، وأرسيا قواعده، ولقد كان شديد الاضطراب في حياة رسول الله ﷺ، وإنهما مهداه بما تيسر للعرب من الفتوح والغنائم في دولتهما.

وكان يقول في عثمان رضي الله عنه[١٢]: إن الدولة في أيامه كانت علىٰ إقبالها وعلو جدها، بل كانت الفتوح في أيامه أكثر، والغنائم أعظم، لولا أنه لم يراع

---

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: فامتاز.

(٣) من المصدر. (٤) في المصدر: أمر.

(٥) وهي كما في بحار الأنوار (ج٣٨، ص١٠): «**[١] أنت أولهم إيمانا بالله، و[٢] أوفاهم بعهده، و[٣] أقومهم بأمر الله، و[٤] أقسمهم بالسوية، و[٥] أعدلهم بالرعية، و[٦] أبصرهم في القضية، و[٧] أعظمهم عند الله يوم القيامة مزية**».

(٦) حلية الأولياء (ج١، ص٦٦) والرياض النضرة (ج٢، ص١٩٨) وكفاية الطالب (ص١٣٩) وكنز العمال (ج٦، ص١٥٣) ومطالب السؤول (ص٣٤) وغيرها.

(٧) هٰذا حديث المنزلة الذي قال الحسكاني في شواهد التنزيل (ج١، ص١٩٥) هٰذا هو الذي كان شيخنا أبو حازم الحافظ يقول: خرجته بخمسة آلاف اسناد.

(٨) في المصدر: منه.

(٩) يحيى بن زيد أو ابن أبي زيد الحسني العلوي نقيب البصرة ومن أشرافها، ولد بها عام ٥٤٨ للهجرة، وتوفى ببغداد سنة ٦١٣ للهجرة.

(١٠) في المصدر: بفضل.

(١١) مقتضى النقل الأمانة، وناقل الكفر ليس بكافر.

(١٢) مثل سابقه وناقل الكفر ليس بكافر.

ناموس الشيخين (رضي الله عنهما)[١]، ولم يستطع أن يسلك مسلكهما، وكان مضعفا في أصل القاعدة، [و][٢]مغلوبا عليه، وكثير الحب لأهله، وأتيح له من مروان وزير سوء أفسد القلوب عليه، وحمل الناس علىٰ خلعه وقتله.

وكان أبو جعفر رضي الله عنه لا يجحد الفاضل فضله، والحديث شجون.

وكان لا يعتقد في الصحابة ما يعتقده أكثر الإمامية فيهم، ويسفه رأي من يذهب فيهم إلىٰ النفاق والتكفير.

وكان يقول: حكمهم حكم مسلم مؤمن، عصىٰ في بعض الأفعال وخالف الأمر، فحكمه إلىٰ الله، إن شاء آخذه، وإن شاء غفر له.

فقلت له مرة: أتقول أنهما من أهل الجنة؟

فقال: أي والله أعتقد ذلك، لأنهما إما أن يعفو الله [تعالىٰ][٣] عنهما ابتداءا، أو بشفاعة الرسول ﷺ، أو بشفاعة علي عليه السلام، أو يؤاخذهما بعقاب أو عتاب ثم ينقلهما إلىٰ الجنة، لا أستريب[٤] في ذٰلك أصلا، ولا أشك في إيمانهما برسول الله ﷺ وصحة عقيدتهما.

فقلت له: فعثمان؟ قال: كذلك عثمان.. [ثم قال: رحم الله عثمان!][٥] وهل كان إلا واحدا منا، وغصنا من شجرة عبدمناف!! ولكن أهله كرهوه[٦] علينا، وأوقعوا العداوة والبغضاء بينه وبيننا.

قلت له: فيلزمك علىٰ ما تراه في أمر هٰؤلاء أن تجوز دخول معاوية الجنة، لأنه لم تكن منه إلا المخالفة وترك امتثال الأمر النبوي!!.

فقال: كلا؛ إن معاوية من أهل النار، لا بمخالفته[٧] عليا[عليه السلام]، ولا بمحاربته إياه، ولكن عقيدته لم تكن صحيحة، ولا إيمانه حقا، وكان من رؤوس المنافقين هو وأبوه، ولم يسلم قلبه قط، وإن أسلم لسانه، وكان يذكر من حديث معاوية ومن فلتات قوله[٨]، وما حفظ منه من كلام يقتضي فساد العقيدة شيئا كثيرا، ليس هٰذا موضعه فأذكره.

---

(١) كما ورد في النقل وناقل الكفر ليس بكافر. (٢) كما في المصدر.

(٣) من المصدر. (٤) لا أدخل وأخرج أو أتردد (الصحاح: ج١، ص١٤٧).

(٥) كما في المصدر.

(٦) في المصدر: كدروه.

(٧) في المصدر: لمخالفته.

(٨) في المصدر: قلبه.

وقال لي مرة: حاش لله أن يثبت معاوية في جريدة الشيخين الفاضلين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[١]، والله ما هما إلا كالذهب الإبريز[٢]، ولا معاوية إلا كالدرهم الزائف، أو قال: كالدرهم القسي[٣].

ثم قال: فما يقول أصحابكم فيهما؟ قلت: أما الذي استقر عليه رأي المعتزلة بعد اختلاف كثير بين قدمائهم في التفضيل وغيره، أن علياً عليه السلام أفضل الجماعة، وانهم تركوا الأفضل لمصلحة رأوها، وإنه لم يكن هناك نص يقطع العذر، وإنما كانت إشارة وإيماء لا يتضمن شيء منها صريح النص، وإن علياً عليه السلام نازع ثم بايع، ثم أصحب[٤].. ولو أقام علىٰ الامتناع لم نقل بصحح البيعة ولا بلزومها، ولو جرد السيف كما جرده في زمان آخر الأمر لقلنا بفسق كل من خالفه علىٰ الاطلاق، كائنا من كان، ولكنه رضي بالبيعة أخيرا، ودخل في طاعة القوم[٥].

وبالجملة فأصحابنا[٦] يقولون: إن الأمر كان له، وكان هو المستحق والمتعين، فإن شاء أخذه لنفسه، وإن شاء ولاه غيره، فلما رأيناه قد وافق علىٰ ولاية غيره اتبعناه ورضينا بما رضي به.

فقال: قد بقي[٧] بين وبينكم[٨] قليل، أنا أذهب إلىٰ النص وأنتم لا تذهبون إليه.

فقلت [له][٩]: إنه لم يثبت عندنا النص[١٠] بطريق يوجب العلم، وما تذكرونه أنتم صريحا وأنتم[١١] تنفردون بنقله، وما عدا ذلك من الأخبار التي نشارككم فيها فلها تأويلات معلومة.

---

(١) منه أمانة في النقل.
(٢) الذهب الخالص الغير مسكوك (مجمع البحرين: ج٤، ص٨).
(٣) الردي.
(٤) في المصدر: وجمح ثم استجاب.
(٥) في المصدر: ودخل في الطاعة.
(٦) في المصدر: أصحابنا.
(٧) في المصدر: فبقي.
(٨) في المصدر: وبينك.
(٩) من المصدر.
(١٠) في المصدر: النص عندنا.
(١١) في المصدر: فأنتم.

فقال لي وهو ضجر: يا فلان؛ لو فتحنا باب التأويلات لجاز أن يتناول قولنا: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، دعني من التأويلات الباردة التي تعلم القلوب والنفوس أنها غير مرادة، وأن المتكلمين تكلفوها وتعسفوها، فإنما أنا وأنت في الدار ولا ثالث لنا فيستحي أحدنا من صاحبه أو[1] يخافه.

فلما بلغنا إلىٰ هٰذا الموضع، دخل قوم ممن كان يغشانا[2]، فتركنا ذٰلك الاسلوب من الحديث وخضنا في غيره.

الباب السادس

في سبب العداوة بين أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة عليها السلام وبين أبي بكر وعائشة

ابن أبي الحديد قال[3]: كنت أقرأ علىٰ الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعاني رضي الله عنه أيام اشتغالي عليه بعلم الكلام، وسألته عما فيه عنده[4]، فأجابني بجواب طويل أنا أذكر محصوله، بعضه بلفظه رضي الله عنه وبعضه بلفظي، فقد شذ عني الآن لفظه كله بعينه.

قال: أول بدء الضغن[5] كان بينها وبين فاطمة عليها السلام، وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله تزوجها عقيب [موت][6] خديجة، فأقامها مقامها، وفاطمة هي ابنة خديجة، ومن المعلوم أن ابنة الرجل إذا ماتت أمها، وتزوج أبوها امرأة غيرها[7]، كان بين الابنة وبين المرأة كدر وشنآن[8] وهٰذا لابد منه، لأن الزوجية تنفس عليها مثل[9] الأب، والبنت تكره ميل أبيها إلىٰ امرأة غريبة كالضرة لأمها، بل هي ضرة علىٰ

(١) في المصدر: و.

(٢) في المصدر: يخشاه.

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص١٩٢).

(٤) في المصدر: عنده فيه.

(٥) الحقد (كتاب العين: ج٤، ص٣٦٦).

(٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: أبوها أخرى.

(٨) بغض (غريب الحديث للحربي: ج٢، ص٨٧٣).

(٩) في المصدر: ميل.

الحقيقة، وإن كانت الأم ميتة، ولأنا لو قدرنا الأم حية لكانت العداوة مضطرمة[١] متعسرة[٢]، فإذا كانت قد ماتت ورثت ابنتها تلك العداوة، وفي المثل: (عداوة الحماة[٣] والكنة[٤])[٥]، وقال الراجز:

إن الحماة أولعت بالكنة
وأولعت كنتها بالضرة[٦]

ثم اتفق أن رسول الله ﷺ مال إليها وحبها[٧] فازداد ما عند فاطمة بحسب زياد ميله، وأكرم رسول الله ﷺ فاطمة إكراما عظيما أكثر مما كان الناس يظنونه وأكثر من إكرام الرجال لبناتهم، حتىٰ خرج بها عن حد حب الآباء للأولاد، فقال بمحضر الخاص والعام مرارا لا مرة واحدة، وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد: «**إنها سيدة نساء العالمين**»[٨]، وإنها عديلة مريم بنت عمران[٩]، وإنها إذا مرت في الموقف نادىٰ مناد من جهة العرش: يا أهل الموقف غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد[١٠].

وهٰذا من الأحاديث الصحيحة وليس من الأخبار المستضعفة، وإن إنكاحه عليا[عليه السلام] إياها ما كان إلا بعد أن أنكحه الله تعالىٰ إياها في السماء بشهادة الملائكة[١١].

---

(١) مشتعلة (تاج العروس: ج١٧، ص٤٢٧).

(٢) في المصدر: متسعرة.

(٣) الحماة أم الزوجة، وكل شيء من قبل الزوج (لسان العرب: ج١٤، ص١٩٧).

(٤) بالفتح: امرأة الابن أو الأخ (الصحاح: ج٦، ص٢١٨٩) .

(٥) وفي المشهور من الأمثال: بين الحماة والكنة عداوة مستحكمة.

(٦) في لسان العرب (ج١٤، ص١٩٧): وأبت الكنة إلا ضنه.

(٧) في المصدر: وأحبها.

(٨) كما في الأمالي للصدوق (ص٩٩) وبشارة المصطفى (ص١٩٨) والفضائل (ص٨) وفضائل الصحابة (ص٥٨) والمستدرك على الصحيحين (ج٣، ص١٥١) وغيرها.

(٩) كتاب الأربعين للقمي (ص٦١٧) والجامع الصغير (ج١، ص١٩٠) وكنز العمال (ج٦، ص٢١٩) ومناقب النساء (ح٣٤٤٠٢) وغيرها.

(١٠) كما في جملة من المصادر منها: الجامع الصغير (ج١، ص١٢٧) ومجمع الزوائد (ج٩، ص٢١٢) والمستدرك (ج٣، ص١٥٣) والمعجم الكبير (ج١، ص١٠٨) ونظم درر السمطين (ص١٨٢) وغيرها.

(١١) كما في كفاية الطالب (ص٢٩٦) ومجمع الزوائد (ج٨ ص٢٠٣) وكنز العمال (ج٦، ص٢١٨) والمستدرك للحاكم (ج٣، ص١٥٨) والمناقب لابن المغازلي (ص١٠١) وغيرها.

وكم قال[ﷺ] ـ [لا][1] مرة ـ: «**يؤذيني ما يؤذيها**»[2]، و: «**يغيضني ما يغضبها**[3]»[4]، و: «**إنها بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ويزينني ما زانها**[5]»، فكان هٰذا وأمثاله يوجب زيادة الضغن عند الزوجة حسب زيادة هٰذا التعظيم والتبجيل، والنفوس البشرية تغيظ علىٰ ما [هو][6] دون هذا، فكيف هذا.

ثم حصل عند بعلها ما هو حاصل عندها ـ أعني علياً عليه السلام ـ فإن النساء كثيرا ما يجعلن الأحقاد في قلوب الرجال، لا سيما وهن محدثات الليل ـ كما قيل في المثل ـ ، وكانت تكثر الشكوىٰ من عائشة، ويغشاها نساء المدينة وجيران بيتها فينقلن إليها كلمات عن عائشة، ثم يذهبن إلىٰ بيت عائشة فينقلن إليها كلمات عن فاطمة، وكما كانت فاطمة تشكو إلىٰ بعلها كانت عائشة تشكو إلىٰ أبيها، لعلمها أن بعلها لا يشكيها علىٰ ابنته، فحصل في نفس أبي بكر من ذٰلك أثر ما، ثم تزايد تفريط[7] رسول اللهﷺ لعلي عليه السلام، وتقريبه واختصاصه، فأحدث في ذٰلك حسدا له وغبطة في نفس أبي بكر عنه، وهو أبوها، وفي نفس طلحة وهو ابن عمها، وهي تجلس إليهما، وتسمع كلامهما، وهما يجلسان إليها ويحادثانها، فأعدىٰ إليها [منهما][8] كما أعدتهما.

قال: ولست أبرئ علياً عليه السلام من مثل ذلك، فإنه كان ينفس علىٰ أبي بكر سكون النبيﷺ إليه وثناءه عليه، ويحب هو أن ينفرد هو بهذه المزايا والخصائص دونه ودون الناس أجمعين، ومن انحرف عن إنسان انحرف عن أهله وأولاده، فتأكدت البغضة بين هذين الفريقين.

ثم كان من أمر القذف ما كان، فلم[9] يكن علي عليه السلام من القاذفين، ولكنه كان من المشيرين علىٰ رسول اللهﷺ بطلاقها، تنزيها لعرضه عن أقوال الشنأة والمنافقين.

---

(١) من المصدر. (٢) صحيح البخاري (ج٢، ص٢٦٠) وصحيح الترمذي (ج٥، ص٦٩٨) وصحيح مسلم (ج٢، ص٣٣٩) والصواعق المحرقة (ص٨٨) ومسند أحمد (ج٤، ص٥) وغيرها. (٣) في المصدر: ويغضبني ما يغضبها. (٤) الجامع الصغير (ج٢، ص١٢٢) وجالية الكدر (ص١٩٥) وصحيح البخاري (ج٥، ص٢٦) وينابيع المودة (ج٢، ص٤٦) وغيرها. (٥) في المصدر: إنها بضعة مني يريبني ما رابها.

(٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: تقريظ.

(٨) من المصدر.

(٩) في المصدر: ولم.

قال [له][1] لما استشاره: إن هي إلا شسع[2] نعلك.. وقال له: سل الخادعة[3] وخوفها وإن أقامت علىٰ الجحود فاضربها.. وبلغ عائشة هٰذا الكلام كله، وسمعت أضعافه مما جرت عادة الناس أن يتداولوه في مثل هٰذه الواقعة، ونقل النساء إليها كلاما كثيرا عن علي وفاطمة[عليهما السلام]، وأنهما قد أظهرا الشماتة جهارا وسرا لوقوع[4] هٰذه الحادثة لها، فتفاقم الأمر وغلظ.

ثم إن رسول الله ﷺ صالحها ورجع إليها، ونزل القرآن ببرائتها، فكان منها ما يكون من الإنسان ينتصر بعد أن قهر، ويستظهر بعد أن غلب، ويبرأ بعد أن أتهم، من بسط اللسان، وفلتات القول، وبلغ ذٰلك كله عليا عليه السلام وفاطمة عليها السلام، واشتدت[5] الحال، وغلظت، وطوىٰ كل من الفريقين قلبه علىٰ الشنآن لصاحبه.

ثم كان بينها وبين علي عليه السلام في حياة رسول الله ﷺ أحوال وأقوال، كلها تقتضي تهييج ما في النفوس، نحو قولها ـ وقد استدناه رسول الله[ﷺ] فجاء حتىٰ قعد بينه وبينها وهما متلاصقان ـ: أما وجدت مقعدا [لكذا][6] ـ لا تكنىٰ عنه ـ إلا فخذي.

ونحو ما روي أنه سايره يوما وأطال مناجاته، فجاءت وهي سائرة خلفهما حتىٰ دخلت بينهما، وقالت: فيم[7] أنتما فقد أطلتما، فيقال إن رسول الله ﷺ غضب ذٰلك اليوم.

وما روي من حديث الجفنة[8] من الثريد التي أمرت الخادمة[9] فوقفت لها فأكفأتها.

ونحو ذٰلك مما يكون بين الأهل وبين المرأة وأحمائها.

---

(١) من المصدر.

(٢) الشسع: أحد سيور النعل، وهو الذي يدخل بين الإصبعين، ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام (النهاية: ج٢، ص٤٧٢).

(٣) في المصدر: الخادم.

(٤) في المصدر: بوقوع.

(٥) في المصدر: فاشتدت.

(٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: فيما.

(٨) القصعة الكبيرة (الصحاح: ج٥، ص٢٠٩٢).

(٩) في المصدر: الخادم.

ثم اتفق أن فاطمة[عليها السلام] ولدت أولادا كثيرة بنين وبنات[1]، ولم تلد هي ولدا، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقيم بني فاطمة[عليها السلام] مقام بنيه، ويسمي الواحد منهما ابني، ويقول: «**دعوا لي ابني ولا تزروا[2] علىٰ ابني**» و«ما فعل ابني»، فما ظنك بالزوجة إذا حرمت الولد من البعل، ثم رأت البعل يتبنىٰ بني ابنته من غيرها، ويحنو عليهم حنو الوالد المشفق، هل تكون محبة لأولٰئك البنين ولأمهم ولأبيهم؟ [أم][3] مبغضة؟ وهل تود دوام ذٰلك واستمراره أم زواله وانقضائه؟

ثم اتفق أن رسول الله صلى الله عليه وآله سد باب أبيها إلىٰ المسجد وفتح باب صهره[4].

ثم بعث أباها ببراءة إلىٰ مكة ثم عزله عنها بصهره[5]، فقدح ذٰلك أيضا في أنفسها[6].

وولد لرسول الله صلى الله عليه وآله إبراهيم من مارية[7]، فأظهر علي عليه السلام بذلك سرورا كثيرا، وكان يتعصب لمارية، ويقوم بأمرها عند رسول الله صلى الله عليه وآله ميلا علىٰ غيرها، وجرت لمارية نكتة[8] مناسبة لنكتة[9] عائشة، فبرأها علي عليه السلام منها، وكشف بطلانها، أو: كشفه الله [تعالىٰ][10] علىٰ يده، وكان ذٰلك كشفا محسا بالبصر، لا يتهيأ للمنافقين أن يقولوا فيه ما قالوه في القرآن المنزل ببراءة عائشة، وكل ذٰلك مما كان يوغر صدر عائشة عليه، ويؤكد ما في نفسها منه.

ثم مات إبراهيم[11] فأبطنت شماتة، وإن أظهرت كآبة، ووجم علي عليه السلام من ذٰلك [وكذلك فاطمة][12]، وكانا يؤثران، ويريدان أن تتميز مارية عليها بالولد،

---

(١) وهم: الحسن والحسين عليهما السلام والمحسن وزينب الكبرى، وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم.

(٢) في المصدر: لا تزرموا، أي: لا تقطعوا (النهاية: ج٢، ص١٢٤). (٣) من المصدر.

(٤) وهو حديث سد الأبواب، الذي هو من المتواترات، قال عنه ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب (ج٢، ص٣٦): رواه نحو ثلاثين رجلا من الصحابة. (٥) ومن جملة المصادر لتلك الحادثة والخبر: جواهر المطالب (ج١، ص٩٥) وصحيح ابن حبان (ج٨ ص٢٢٢) ومسند البزاز (ج٣، ص٣٤) والمعجم الأوسط (ج١، ص٥٠٦) والمغازي(ج٣، ص١٠٧٧) وغيرها. (٦) في المصدر: نفسها. (٧) مارية القبطية (تاريخ أهل البيت عليهم السلام: ص٩١). (٨) في المصدر: نكبة.

(٩) في المصدر: لنكبة.

(١٠) من المصدر.

(١١) وله ستة عشر شهرا، في ذي الحجة سنة ثمان للهجرة (الإستيعاب: ج١، ص٢٣).

(١٢) من المصدر.

فلم يقدر لهما ولا لمارية ذلك، وبقيت الأمور علىٰ ما هي عليه، وفي النفوس ما فيها، حتىٰ مرض رسول الله صلى الله عليه وآله المرض الذي توفي فيه، فكانت[١] فاطمة عليها السلام وعلي عليه السلام يريدان أن يمرضاه في بيتهما، وكذلك كان أزواجه كلهن، فمال إلىٰ بيت عائشة بمقتضىٰ المحبة القلبية التي كانت لها دون نسائه، وكره أن يزاحم فاطمة وبعلها[عليهما السلام] في بيتهما، فلا يكون عنده من الانبساط لوجودهما ما يكون داخلا[٢] بنفسه في بيت من يميل بطبعه، وعلم أن المريض يحتاج إلىٰ فضل مداواة[٣] ونوم ويقظة وانكشاف وخروج حدث، فكانت [في][٤] نفسه إلىٰ بيته أسكن منها إلىٰ بيت صهره وبنته، فإذا[٥] تصور حياءهما منه استحيا هو أيضا منهما، وكل أحد يحب أن يخلو بنفسه، ويحشم[٦] الصهر والبنت، ولم يكن له إلىٰ غيرها من الزوجات مثل ذٰلك الميل إليها، فتمرض [في بيتها][٧] فغبطت علىٰ ذلك.

ولم يمرض رسول الله صلى الله عليه وآله منذ قدم المدينة مثل هٰذا المرض، وإنما كان مرض الشقيقة[٨] يوما أو بعض يوم ثم يبرأ، فتطاول هٰذا المرض، وكان علي عليه السلام لا يشك أن الأمر له، وأنه لا ينازعه فيه أحد من الناس، ولهٰذا قال له عمه وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله: امدد يدك أبايعك فيقول الناس: عم رسول الله صلى الله عليه وآله بايع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يختلف عليك اثنان.. قال[عليه السلام]: «**يا عم؛ فهل[٩] يطمع فيها طامع غيري**»[١٠]! قال: ستعلم.. قال: فإني لا أحب هٰذا الأمر من وراء رتاج[١١] وأحب أن أصحبه[١٢].. فسكت عنه[١٣].

---

(١) في المصدر: وكانت. (٢) في المصدر: إذا خلا.

(٣) في المصدر: مداراة.

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: فإنه إذا.

(٦) في المصدر: فيحتشم.

(٧) من المصدر.

(٨) نوع من صداع يعرض في مقدم الرأس وإلى أحد جانبيه (النهاية: ج٢، ص٤٩٢).

(٩) في المصدر: وهل.

(١٠) في أغلب المصادر إنه عليه السلام قال: «**ومن يطلب هٰذا الأمر غيرنا**».

(١١) الباب العظيم أو الباب المغلق (لسان العرب: ج٢، ص٢٧٩).

(١٢) في المصدر: أصحر به.

(١٣) الإمامة والسياسة (ج١، ص١٢).

فلما ثقل رسول اللهﷺ في مرضه، أنفذ جيش أسامة[١]، وجعل فيه أبا بكر[٢] وغيره[٣] من أعلام المهاجرين والأنصار، فكان عليعليه السلام حينئذ بوصوله إلىٰ الأمر[٤] ـ إن حدث برسول اللهﷺ حدث ـ أوثق ويغلب[٥] علىٰ ظنة أن المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلية، فيأخذه صفوا عفوا وتتم له البيعة، فلا يتهيأ فسخها لو رام ضد منازعته عليها.

فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة بإرسالها إليه، وإعلامه [بـ][٦]أن رسول الله[ﷺ] يموت، ما كان ومن حديث الصلاة بالناس ما عرفت، فنسب عليعليه السلام عائشة إلىٰ أنها أمرت بلالا مولىٰ أبيها أن يأمره فليصل بالناس، لأن رسول الله كما روي قال: (ليصل بهم أحدهم) ولم يعين، وكانت صلاة الصبح، فخرج رسول اللهﷺ وهو في آخر رمق يتهادىٰ[٧] بين علي[عليه السلام] والفضل بن العباس، حتىٰ قام في المحراب كما ورد في الخبر[٨]، ثم دخل فمات ارتفاع الضحىٰ فجعل يوم صلاته حجة في صرف الأمر إليه، وقال: أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول اللهﷺ في الصلاة[٩]!

ولم يحملوا خروج رسول اللهﷺ [إلىٰ الصلاة][١٠] لصرفه عنها، بل لمحافظته علىٰ الصلاة مهما أمكن، فبويع علىٰ هٰذه النكتة التي أتمها[١١] عليعليه السلام علىٰ أنها ابتدأت منها[١٢].

---

(١) الطبقات الكبرى (ج٢، ص١٩٠).

(٢) تاريخ الطبري (ج٣، ص١٨٦) وتاريخ مدينة دمشق (ج٢، ص٣٩١) والطبقات الكبرى (ج٢، ص٤١) والسيرة النبوية لابن هشام (ج٢، ص٦٥٠) وتاريخ اليعقوبي (ج٣، ص٩٣) وغيرهم.

(٣) كعمر وعثمان.

(٤) في المصدر: الأمران.

(٥) في المصدر: تغلب.

(٦) من المصدر.

(٧) يمشي بينهما معتمدا عليهما من ضعفه وتمايله (لسان العرب: ج١٥، ص٣٥٩).

(٨) المسترشد (ص١٣٢).

(٩) السقيفة وفدك (ص٦٥).

(١٠) من المصدر.

(١١) في المصدر: اتهمها.

(١٢) قال المحقق السيد علي الميلاني في خلاصة عبقات الأنوار (ج١، ص٥١): بحث الحافظ ابن الجوزي مسألة صلاة أبي بكر في مرض النبيﷺ في رسالة له اسمها (آفة أصحاب الحديث)، فأثبت فيها خروج النبيﷺ عند ذٰلك إلى المسجد، وإقامته تلك الصلاة بنفسه الشريفة، وقد نشرنا هٰذه الرسالة مع مقدمة أثبتنا فيها كون خروج أبي بكر بأمر من عائشة لا من النبيﷺ.

وكان علي عليه السلام يذكر هٰذا لأصحابه في خلواته كثيرا، ويقول: «**إنه لم يقل صلى الله عليه وآله إنكن كصويحبات**[١] **يوسف**»[٢] إلا إنكارا لهٰذا الحال، وغضبها منها[٣]، لأنها وحفصة تبادرتا إلىٰ تعيين أبويهما[٤].

وإنه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب فلم يجد ذلك، ولا أثر مع قوة الداعي الذي كان يدعو إلىٰ أبي بكر ويمهد له قاعدة الأمر ويقرر[٥] حاله في نفوس الناس ومن اتبعه علىٰ ذٰلك من أعيان المهاجرين والأنصار، ولما تباعد[٦] علىٰ ذٰلك من الحظ الفلكي والأمر السيمائي[٧]، الذي جمع عليه القلوب والأهواء، فكانت هٰذه الحال عند علي عليه السلام أعظم من كل عظيم، وهي الطامة الكبرىٰ والمصيبة العظمىٰ، ولم ينسبها إلا إلىٰ عائشة وحدها، ولا غدق[٨] الأمر الواقع إلا بها، فدعا عليها في خلواته وبين خواصه، وتظلم إلىٰ الله منها، وجرىٰ له في تخلفه عن البيعة ما هو مشهور، حتىٰ بايع.

وكان يبلغ فاطمة[عليها السلام][٩] عنها كل ما يكرهانه منذ مات رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ أن توفيت فاطمة[عليها السلام]، وهما صابران علىٰ مضض[١٠] ورمض[١١]، واستظهرت بولاية أبيها، واستطالت وعظم شأنها، وانخذل علي وفاطمة[عليهما السلام] وقهرا، وأخذت من فاطمة[عليها السلام] فدك[١٢]، وخرجت فاطمة[عليها السلام] تجادل في ذٰلك مرارا فلم تظفر بشيء[١٣]، وفي كل ذٰلك يبلغها[١٤] النساء والداخلات والخارجات عن

---

(١) في المصدر: لصويحبات.

(٢) كنز العمال (ج٥، ص٦٣٤).

(٣) الإيضاح (ص٣٤٦).

(٤) الإفصاح (ص٢٠٧).

(٥) في المصدر: وتقرر.

(٦) في المصدر: ساعد.

(٧) في المصدر: السمائي.

(٨) في المصدر: علق.

(٩) في المصدر: يبلغه وفاطمة.

(١٠) وجع (الصحاح: ج٣، ص١١٠٦).

(١١) الحدة في شيء من حر وغيره (معجم مقاييس اللغة: ج٢، ص٤٤٠) أي: تعب.

(١٢) غصب فدك من الأمور المشهورة غاية الشهرة وعليها المصنفات المستجمعة لمصادر الحادثة.

(١٣) الطبقات الكبرى (ج٢، ق٢، ص٨٦ ط: أوروبا).

(١٤) في المصدر: تبلغها.

عائشة كل كلام يسوؤها، ويبلغن عائشة عنها وعن بعلها مثل ذلك، إلا إنه شتان ما بين الحالين، وبعد ما بين الفريقين، هٰذه غالبة وهٰذه مغلوبة، وهذه آمرة وهذه مأمورة، وظهر الشماتة والتشفي[١]، ولا شيء أعظم مرارة ومشقة من شماتة العدو.

فقلت لهرضي الله عنه: أفتقول أنت إن عائشة عينت أباها للصلاة ورسول الله صلى الله عليه وآله لم يعينه!!

فقال: أما أنا فلا أقول ذلك، ولكن عليا[عليه السلام] كان يقوله، [وتكليفي غير تكليفه][٢] لأنه كان حاضرا أم لم يكن حاضرا، فأنا محجوج بالأخبار التي اتصلت بي وهي تتضمن تعيين النبيصلى الله عليه وآله لأبي بكر في الصلاة، وهو محجوج بما كان قد علمه أو يغلب علىٰ ظنه من الحال التي كانت[٣] حضرها.

قال: ثم ماتت فاطمة[عليها السلام]، فجاء نساء رسول الله صلى الله عليه وآله كلهن إلىٰ بني هاشم في العزاء إلا عائشة، فإنها لم تأت، وأظهرت مرضا، ونقل إلىٰ عليعليه السلام منها كلام يدل علىٰ السرور.

ثم بايع علي[عليه السلام] أباها فسرت بذلك، وأظهرت من الاستبشار بتمام البيعة واستقرار الخلافة، وبطلان منازعة الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثروا.

واستمرت الأمور علىٰ هٰذا مدة خلافة أبيها وخلافة عمر وعثمان، والقلوب تغلي، والأحقاد تذيب الحجارة، وكلما طال الزمان علىٰ عليعليه السلام تضاعفت همومه وغمومه، وباح بما في نفسه، إلىٰ أن قتل عثمان، وقد كانت عائشة فيها أشد الناس عليه تأليبا وتحريضا، فقالت: أبعده الله لما سمعت قتله، وأملت أن تكون الخلافة في طلحة فتعود الأمرة تيمية، كما كانت أولا، فعدل الناس [عنه][٤] إلىٰ علي بن أبي طالبعليه السلام، فلما سمعت ذٰلك صرخت: وا عثماناه؛ قتل عثمان مظلوما[٥].

وثار ما في الأنفس، حتىٰ تولد من ذٰلك يوم الجمل وما بعده.

---

(١) في المصدر: التشفي والشماتة.

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: كان.

(٤) من المصدر.

(٥) الإمامة والسياسة (ج١، ص٦١).

هذه خلاصة كلام الشيخ أبي يعقوب رضي الله عنه، ولم يكن يتشيع، وكان شديدا في الإعتزال إلا أنه في الفضل[١] كان بغداديا.

[وقفة مع كلمة للإمام عليه السلام]:

فأما قوله عليه السلام: «**ولو دعيت لتنال من غيري مثل ما أتت إلي لم تفعل**»:

فإنما يعني بـه عمر، يقول: لـو أن عمر ولـي الخلافة بعد قتـل عثمان علىٰ الوجه الـذي قتل عليه، والوجـه الذي أنا وليـت الخلافة عليه، ونسـب إلىٰ عمر أنـه كان يؤثر قتلـه أو يحرض عليـه، ودعيت عائشـة (يرضـىٰ الله عنهـا)[٢] إلىٰ أن تخـرج عليه فـي عصابة من المسـلمين إلـىٰ بعض بلاد الإسـلام، تثيـر فتنة وتنقض البيعة لم تغفل[٣]، وهٰذا حق لأنها لم تكن تجد علىٰ عمر ما تجده علىٰ علي عليه السلام، ولا الحال الحال.

فأما قوله[عليه السلام]: «**ولها بعد حرمتها الأولىٰ، والحساب علىٰ الله**».

فإنه يعني بذلـك: حرمتها بنكاح رسـول الله صلى الله عليه وآله لها، وحبه إياها، وحسـابها علىٰ الله، لأنه غفور رحيم، لا يتعاظم عفوه زلة، ولا يضيق عن رحمته ذنب.

فإن قلت: هٰذا الـكلام يدل علىٰ توقفـه عليه السلام في أمرها، وأنتـم تقولون: إنها من أهل الجنة، فكيف تجمعون بين مذهبكم وهٰذا الكلام؟

قلت: يجـوز أن يكون قال هٰـذا الكلام قبـل أن يتواتر الخبر عنـده بتوبتها، فإن أصحابنا يقولون: إنهـا تابت بعد قتـل أمير المؤمنيـن عليه السلام وندمت، وقالت: لوددت أن لي من رسول الله صلى الله عليه وآله عشرة بنين، كلهم ماتوا ولـم يكن يوم الجمل.

وأنها كانـت بعد قتلـه تثني عليه وتنشـر مناقبه، مـع أنهـم رووا عنها أيضا أنها عقيب الجمل كانت تبكـي حتىٰ تبل خمارها، وأنها اسـتغفرت الله وندمت، ولكن لم يبلغ أمير المؤمنين عليه السلام حديث توبتها عقيب الجمل بلاغا يقطع العذر [ويثبت الحجة][٤]، والذي شـاع عنها من أمر الندم والتوبة شـياعا مستفيضا إنما كان بعـد قتله عليه السلام إلـىٰ أن ماتت وهي علـىٰ ذلـك، والتائب مغفور لـه، ويجب قبول التوبة عندنا في العدل، وقد أكدوا وقوع التوبة.

(١) في المصدر: التفضيل.
(٢) كما في المخطوطة.
(٣) في المصدر: تفعل.
(٤) من المصدر.

منها: ما روي في الأخبار المشهورة أنها زوجة رسول الله ﷺ في الآخرة كما كانت زوجته في الدنيا، ومثل هٰذا الخبر إذا شاع أوجب علينا أن نتكلف إثبات توبتها [و]لو لم ينقل، فكيف والنقل لها يكاد أن يبلغ حد التواتر!

الباب السابع

في أن العداوة بين أبي بكر وعمر شديدة

وقول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلته وقىٰ الله شرها، وتماكر بينهما في الخلافة

ابن أبي الحديد، قال[١]: روىٰ الهيثم بن عدي بن عبدالله بن عباس[٢] الهمداني، عن سعيد بن جبير، قال: ذكر أبو بكر وعمر عند عبدالله بن عمر، فقال رجل: كانا والله شمسي هٰذه الأمة ونوريها، فقال ابن عمر: وما يدريك؟ قال الرجل: أو ليس قد إئتلفا! قال ابن عمر: بل اختلفا لو كنتم تعلمون! أشهد أني كنت عند أبي يوما وقد أمرني أن أحبس الناس عنه، فاستأذن عليه عبدالرحمن بن أبي بكر.. فقال عمر: دويبة[٣] سوء، ولهو خير من أبيه، فأوحشني ذٰلك منه.. فقلت: يا أبه؛ عبدالرحمن خير من أبيه! فقال: ومن ليس بخير من أبيه لا أم لك! ائذن لعبدالرحمن.

فدخل عليه، فكلمه في الحطيئة الشاعر[٤] أن يرضىٰ عنه، وقد كان عمر حبسه في شعر قاله، فقال عمر: إن في الحطيئة أودا[٥] فدعني أقومه بطول حبسه.

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص٢٨). (٢) في المصدر: عياش.

(٣) الحرباء (معجم مقاييس اللغة: ج٢، ص٤٨) أو الخنفساء التي تكون على النبات (لسان العرب: ج١، ص٦٨٤).

(٤) أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك بن جؤية بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس العبسي، قال عنه أبو الفرج الأصفهاني: كان من فحول الشعراء ومقدميهم وفصائحهم وكان يتصرف في جميع فنون الشعر من مدح وهجاء وفخر ونسب ويجيد في جميع ذٰلك كما نقل عنه ابن حجر في الإصابة (ج٢، ص١٥٠).

(٥) جاء في حاشية النسخة الخطية المصورة: والأود أيضا العوج، أود الشيء - بكسر الواو- يأود أودا، أي: أعوج، وتأود؛ أي: تعوج [كما في شرح نهج البلاغة:ج٦، ص١٠٣] وأقام أوده، أي: عوجه، ومنه يقيم أودكم أي إعوجاجكم، ومثله: [أقم به] أودي، أي: أعوجاجي، واللغة: أصلح بهم شأني واكشف بهم غمي ونظائره [كما في مجمع البحرين: ج١، ص١٣٠].

فألح عليه عبدالرحمن وأبىٰ عمر، فخرج عبدالرحمن فأقبل علىٰ أبي، وقال: أفي غفلة أنت إلىٰ يومك هٰذا عما كان من تقدم أحميق بني تيم[١] علي وظلمه لي! فقلت: لا علم لي بما كان من ذلك.. قال: يا بني؛ فما عسيت أن تعلم؟ فقلت: والله لهو أحب إلىٰ الناس من ضياء أبصارهم.. قال: إن ذٰلك لكذلك علىٰ رغم أبيك وسخطه.. قلت: يا أبت؛ أفلا تجلي عن فعله بموقف في الناس تبين ذٰلك لهم؟ قال: وكيف [لي][٢] بذلك مع ما ذكرت أنه أحب إلىٰ الناس من ضياء أبصارهم، إذا يرضخ رأس أبيك بالجندل[٣].

قال ابن عمر: ثم تجاسر والله فجسر، فما دارت الجمعة حتىٰ قام خطيبا في الناس، فقال: أيها الناس؛ إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقىٰ الله شرها، فمن دعاكم إلىٰ مثلها فاقتلوه.

[الباب الثامن]

[في قول عمر: أبو بكر أحسد قريش كلها، وأعق وأظلم] [وما جرا بينهما من الملاحاة والمخاصمة، وقول عثمان: إن أبا بكر وعمر ظلما أنفسهما]

قال ابن أبي الحديد[٤]: حضرت عند النقيب أبي جعفر يحيىٰ بن محمد العلوي البصري، في سنة إحدىٰ عشرة وستمائة ببغداد، وعنده جماعة، وأحدهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج، فمر ذكر المغيرة بن شعبة، فخاض[٥] القوم، فذمه بعضهم، وأثنىٰ عليه بعضهم، وأمسك عنه آخرون.

(١) في المصدر: تميم.
(٢) من المصدر.
(٣) الحجارة (كتاب العين: ج٦، ص٢٠٦).
(٤) في شرح نهج البلاغة (ج٢٠، ص١٠).
(٥) في المصدر: وخاض.

فقال بعض فقهاء الشافعية(١) ممن كان يشتغل بطرف من علم الكلام علىٰ رأي الأشعري: الواجب الكف والإمساك عن الصحابة، وعما شجر بينهم، فقد قال أبو المعالي الجويني (وذكر كلامه)(٢).. إلىٰ أن قال(٣):

فقال أبو جعفر رضي الله عنه: قد كنت منذ أيام علقت بخطي كلاما وجدته لبعض الزيدية في هٰذا المعنىٰ نقضا وردا علىٰ أبي المعالي الجويني فيما اختاره لنفسه من هٰذا الرأي، وأنا أخرجه إليكم لاستغني بتأمله عن الحديث علىٰ ما قاله هٰذا الفقيه، فإني أجد ما(٤) يمنعني [من الإطالة](٥) في الحديث، لا سيما إذا خرج

---

(١) في المصدر: الشيعة.

(٢) وهٰذا نص ما ذكره: إن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك، وقال: (إياكم وما شجر من صحابتي)، وقال: (دعوا لي أصحابي، فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا لما بلغ مد أحدهم ولا نصيفة)، وقال: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)، وقال: (خيركم القرن الذي أنا فيه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، ثم الذي يليه).. وقد ورد في القرآن الثناء على الصحابة وعلى التابعين، وقال رسول الله ﷺ: (وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)، وقد روي عن الحسن البصري إنه ذكر عنده الجمل وصفين، فقال: تلك دماء طهر الله منها أسيافنا، فلا نلطخ بها ألسنتنا.. ثم إن تلك الأحوال قد غابت عنا، وبعدت أخبارها على حقائقها، فلا يليق بنا ان نخوض فيها، ولو كان واحد من هٰؤلاء قد أخطأ لوجب أن يحفظ رسول الله ﷺ فيه ومن المروءة أن يحفظ رسول الله ﷺ في عائشة زوجته، وفي البير ابن عمته، وفي طلحة الذي وقاه بيده.

ثم ما الذي ألزمنا وأوجب علينا أن نلعن أحدا من المسلمين أو نبرأ منه! وأي ثواب في اللعنة والبراءة! إن الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلف: لم لم تلعن؟ بل قد يقول له: لم لعنت؟ ولو أن إنسانا عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يكن عاصيا ولا آثما، وإذا جعل الإنسان عوض اللعنة استغفر الله كان خيرا له.. ثم كيف يجو للعامة أن تدخل أنفسها في أمور الخاصة، وأولٰئك قوم كانوا أمراء هٰذه الأمة وقادتها، ونحن اليوم في طبقة سافلة جدا عنهم، فكيف يحسن بنا التعرض لذكرهم، أليس يقبح من الرعية أن تخوض في دقائق أمور الملك وأحواله وشؤونه التي تجري بينه وبين أهله وبني عمه ونسائه وسراريه! وقد كان رسول الله ﷺ صهرا لمعاوية، وأخته أم حبيبة تحته، فالأدب أن تحفظ أم حبيبة وهي أم المؤمنين في أخيها.

وكيف يجوز أن يلعن من جعل الله تعالى بينه وبين رسوله مودة، أليس المفسرون كلهم قالوا: هٰذه الآية أنزلت في أبي سفيان وآله، وهي قوله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗ﴾ [الممتحنة: ٧]! فكان ذٰلك مصاهرة رسول الله ﷺ أبا سفيان وتزويجه ابنته.. على أن جميع ما تنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاجرة لم يثبت، وما كان القوم إلا كبني أم واحدة ولم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه قط، ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع.

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج٢٠، ص١٢).

(٤) في المصدر: ألما.

(٥) كما في المصدر.

مخرج الجدل ومقاومة الخصوم، ثم أخرج من بين كتبه كراسا قرأناه في ذٰلك المجلس واستحسنه الحاضرون، وأنا أذكر ها هنا خلاصته.

ثم ساق ما ذكره، إلىٰ أن قال[١]:

فهذا[٢] عمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورىٰ إنهم النفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض، ثم يأمر بضرب أعناقهم إن أخروا فصل حال الإمامة، هٰذا بعد أن ثلبهم، وقال في حقهم ما لو سمعته العامة اليوم من قائل لوضعت ثوبه في عنقه سحبا إلىٰ السلطان، ثم شهدت عليهم بالرفض واستحلت دمه، فإن كان الطعن علىٰ بعض الصحابة رفضا فعمر بن الخطاب أرفض الناس وإمام الروافض كلهم.

ثم ما شاع واشتهر من قول عمر: (كانت بيعة أبي بكر فلتة وقىٰ الله شرها، فمن عاد إلىٰ مثلها فاقتلوه)، وهٰذا طعن في العقد، وقدح في البيعة الأصلية.

ثم ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في خلوته[٣]، وقوله عن عبدالرحمن ابنه: دويبة سوء ولهو خير من أبيه.

وروىٰ الهيثم بن عدي، عن مجالد بن سعيد، قال: غدوت يوما إلىٰ الشعبي وأنا أريد أن أسأله عن شيء بلغني عن ابن مسعود أنه كان يقوله، فأتيته وهو في مسجد حية[٤]، وفي المسجد قوم ينتظرونه، فخرج فتعرفت عليه، وقلت: أصلحك الله كان ابن مسعود، يقول: ما كنت محدثا قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.

قال: نعم؛ كان ابن مسعود يقول ذلك، وكان ابن عباس يقوله أيضا، وكان عند ابن عباس دفائن علم يعطيها أهلها، ويصرفها عن غيرهم.

فبينا نحن كذلك إذ أقبل رجل من الأزد فجلس إلينا، فأخذنا في ذكر أبي بكر وعمر، فضحك الشعبي، وقال: لقد كان في صدر عمر ضب[٥] علىٰ أبي بكر.

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج٢٠، ص٢١).

(٢) في المصدر: وهذا.

(٣) في المصدر: صلاته.

(٤) أي: الحي الذي كان نازلا فيه.

(٥) حقد وعداوة.

فقال الأزدي: والله ما رأينا ولا سمعنا برجل قط كان أسلس قيادا لرجل، ولا أقول فيه بالجميل من عمر في أبي بكر.

فأقبل علىٰ الشعبي، وقال: هٰذا مما سألت عنه، ثم أقبل علىٰ الرجل، وقال: يا أخا الأزد، فكيف تصنع بالفلتة التي وقىٰ الله شرها! أترىٰ عدوا في عدو يريد أن يهدم ما بنىٰ لنفسه في الناس أكثر من قول عمر في أبي بكر.

فقال الرجل: سبحان الله، أنت تقول ذٰلك يا أبا عمرو.

فقال الشعبي: أنا أقوله، قاله عمر بن الخطاب علىٰ رؤوس الأشهاد، فلمه أو دع[١].

فنهض الرجل مغضبا وهو يهمهم في الكلام بشيء لم أفهمه.

قال مجالد: فقلت للشعبي: ما أحسب هٰذا الرجل إلا سينقل عنك هٰذا الكلام إلىٰ الناس ويبثه فيهم! قال: إذن والله لا أحفل به، وشيء لم يحفل به عمر حين قام علىٰ رؤوس [الأشهاد من][٢] المهاجرين والأنصار أحفل به أنا أذيعوه أنتم عني أيضا ما بدا لكم.

[............][٣]

⊡ [حادثة ثانية تشهد علىٰ الخلاف]:

قال[٤]: وروىٰ شريك بن عبدالله النخعي، عن محمد بن عمرو بن مره، عن أبيه، عن عبدالله بن سلمة، عن أبي موسىٰ الأشعري، قال: حججت مع عمر، فلما نزلنا وعظم الناس خرجت من رحلي أريده، فلقيني المغيرة بن شعبة، فرافقني، ثم قال: أين تريد؟ فقلت: أمير المؤمنين، فهل لك؟ قال: نعم.

فانطلقنا نريد رحل عمر، فإنا لفي طريقنا إذ ذكرنا تولي عمر، وقيامه بما هو فيه، وحياطته علىٰ الإسلام، ونهوضه بما قبله من ذلك، ثم خرجنا إلىٰ ذكر أبي بكر، فقلت للمغيرة: يا لك الخير، لقد كان أبو بكر مسددا في عمر، لكأنه ينظر إلىٰ قيامه من بعده، وجده واجتهاده وغنائه في الإسلام.

---

(١) أو: دعه.

(٢) من المصدر.

(٣) هنا سطر ونصف غير واضح لم نتمكن من قراءته.

(٤) في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص٣٠).

فقال المغيرة: لقد كان ذلك، وإن كان قوم كرهوا ولاية عمر ليزووها عنه، وما كان لهم في ذٰلك حظ.

فقلت له: لا أبا لك، ومن القوم الذين كرهوا ذٰلك لعمر؟

فقال المغيرة: لله أنت، كأنك لا تعرف هٰذا الحي من قريش وما خصوا به من الحسد، فوالله لو كان هٰذا الحسد يدرك بحساب لكان لقريش تسعة أعشاره، وللناس كلهم عشر.

فقلت: مه يا مغيرة، فإن قريشا أبانت[1] بفضلها علىٰ الناس.

فلم نزل في مثل ذٰلك حتىٰ انتهينا إلىٰ رحل عمر فلم نجده، فسألنا عنه، فقيل: [قد][2] خرج آنفا.. فمضينا نقفوا أثره، حتىٰ دخلنا المسجد، فإذا عمر يطوف بالبيت، فطفنا معه، فلما فرغ دخل بيني وبين المغيرة، فتوكأ علىٰ المغيرة، وقال: من أين جئتما؟ فقلنا: خرجنا نريدك يا أمير المؤمنين، فأتينا رحلك فقيل لنا: خرج إلىٰ المسجد ، فاتبعناك.

فقال: اتبعكما الخير.. ثم نظر المغيرة إلي وتبسم، فرمقه عمر، فقال: مم تبسمت أيها العبد! فقال: من حديث كنت أنا وأبو موسىٰ فيه آنفا في طريقك إليك.. قال: وما ذاك الحديث؟ فقصصنا عليه الخبر حتىٰ بلغنا ذكر حسد قريش، وذكر من أراد صرف أبي بكر عن استخلاف عمر، فتنفس عمر الصعداء، ثم قال: ثكلتك أمك يا مغيرة! وما تسعة أعشار الحسد! بل وتسعة أعشار العشر، وفي الناس كلهم عشر العشر، بل وقريش شركاؤها[3] أيضا فيه.. وسكت مليا وهو يتهادىٰ بيننا، ثم قال: ألا أخبركما بأحسد قريش كلها؟ قلنا: نعم[4]، بلىٰ يا أمير المؤمنين.. قال: وعليكما ثيابكما. قلنا: نعم.. قال: وكيف بذلك وأنتما ملبسان ثيابكما؟ قلنا: يا أمير المؤمنين، وما بال الثياب؟ قال: خوف الإذاعة [منها][5]. قلنا له: أتخاف الإذاعة من الثياب [أنت][6]، وأنت من ملبس الثياب أخوف، وما الثياب أردت.. قال: هو ذاك.

(١) في المصدر: بانت.
(٢) من المصدر.
(٣) في المصدر: شركاؤهم.
(٤) غير موجودة في المصدر.
(٥) من المصدر.
(٦) من المصدر.

ثم انطلق وانطلقنا معه، حتىٰ انتهينا إلىٰ رحله، فخلىٰ أيدينا من يده، ثم قال: لا تريما، ودخل فقلت للمغيرة: لا أبا لك، لقد عثرنا[١] بكلامنا معه، وما كنا فيه وما أراه[٢] حبسنا إلا ليذاكرنا إياها.. قال: فإنا لكذلك إذ خرج[٣] إذنه إلينا، فقال: ادخلا.. فدخلنا فوجدناه مستلقيا [علىٰ][٤] برذعة[٥] رجل[٦]، فلما [رآنا][٧] تمثل بقول كعب بن زهير[٨] شعرا[٩]:

لا تفش سرك إلا عند ذي ثقة
أولىٰ وأفضل ما استودعت أسرارا
صدرا رحيبا وقلبا واسعا قمنا
ألا تخاف متىٰ أودعت إظهارا[١٠]

فعلمنا أنه يريد أن نضمن له كتمان حديثه، فقلت أنا له: يا أمير المؤمنين؛ ألزمنا وخصنا وصلنا.. قال: بما ذا يا أخا الأشعريين؟ فقلت: بإفشاء سرك وأن تشركنا في همتك، فنعم المستشاران نحن لك.. قال: إنكما كذلك، فاسألا عما بدا لكما.

ثم قام إلىٰ الباب ليغلقه، فإذا الاذن الذي أذن لنا عليه في الحجرة، فقال: امض عنا لا أم لك.. فخرج وأغلق الباب خلفه، ثم أقبل علينا، فجلس معنا، فقال[١١]: سلا تخبرا؟ قلنا: نريد أن تخبرنا[١٢] أمير المؤمنين بأحسد قريش، الذي لم يأمن ثيابنا علىٰ ذكره لنا.

---

(١) في المصدر: أثرنا.
(٢) في المصدر: نراه.
(٣) في المصدر: أخرجنا.
(٤) من المصدر.
(٥) كساء، أو حلس يلقى تحت الرجل (القاموس المحيط: ج٣، ص٤).
(٦) برحل.
(٧) من المصدر.
(٨) كعب بن زهير بن أبي سلمى، من الشعراء المخضرمين، إلا أنه كان من أكثر الشعراء هجوا للنبي ﷺ حتى أسلم ومدح النبي بقصيدة اشتهرت بـ(بانت سعاد) [أسد الغابة: ج٤، ص٢٤٠].
(٩) كلمة شعرا غير موجودة في المصدر.
(١٠) ديوان كعب بن زهير (ص٢٥٧).
(١١) في المصدر: وقال.
(١٢) في المصدر: يخبرنا.

فقال: سألتما عن معضلة وسأخبركما فليكن عندكما في ذمة منيعة وحرز ما بقيت، فإذا مت فشأنكما وما شئتما من إظهار وكتمان.. قلنا: فإن لك عندنا ذلك.

قال أبو موسىٰ، وانا أقول في نفسي: ما يريد إلا الذين كرهوا استخلاف أبي بكر له كطلحة وغيره، فإنهم قالوا لأبي بكر: أتستخلف علينا فظا غليظا، وإذا هو يذهب إلىٰ غير ما في نفسي، فعاد إلىٰ التنفس، ثم قال: من تريانه؟ قلنا: والله ما ندري إلا ظنا! قال: ومن[1] تظنان؟ قلنا: عساك تريد القوم الذين أرادوا أبا بكر علىٰ صرف هٰذا الأمر عنك.. قال: كلا والله بل كان أبو بكر أعق وأظلم، وهو الذي سألتما عنه، كان والله أحسد قريش كلها، ثم أطرق طويلا، فنظر المغيرة إلي ونظرت إليه، وأطرقنا [مليا][2] لاطراقه، وطال السكوت منا ومنه حتىٰ ظننا أنه قد ندم علىٰ ما بدا منه، ثم قال: وا لهفاه علىٰ ضئيل بني تيم بن مرة، لقد تقدمني ظالما، وخرج إلي منها آثما.

فقال المغيرة: أما تقدمه عليك يا أمير المؤمنين ظالما فقد عرفناه، كيف خرج إليك منها آثما؟

قال: ذاك لأنه لم يخرج إلي منها إلا بعد يأس منها، أما والله لو كنت أطعت يزيد بن الخطاب وأصحابه لم يتلمظ[3] من حلاوتها بشيء أبدا، ولكني قدمت وأخرت، وصعدت وصوبت، ونقضت وأبرمت، فلم أجد إلا غضاء[4] علىٰ ما نشب [به][5] منها، والتلهف علىٰ نفسي، وأملت إنابته ورجوعه، فوالله ما فعل حتىٰ تضرمها[6] [بشما][7].

قال المغيرة: فما منعك منها يا أمير المؤمنين، وقد عرضك لها يوم السقيفة بدعائك إليها، ثم أنت الآن تنتقم[8] وتتأسف؟

---

(١) في المصدر: وما.

(٢) من المصدر.

(٣) تلمظ، أي: تتبع بقية الطعام في فمه وأخرج لسانه فمسح به شفتيه (النهاية: ج ٤، ص ٢٧١).

(٤) صلابة.

(٥) من المصدر.

(٦) في المصدر: نغر بها.

(٧) من المصدر.

(٨) في المصدر: تنقم.

فقال: ثكلتك أمك يا مغيرة! إني كنت لأعدك من دهاة العرب، كأنك كنت غائبا عما هناك، إن الرجل ماكرني فماكرته، وألفاني أحذر من قطاة[١]، إنه لما رأىٰ شغف الناس به، وإقبالهم بوجوههم عليه، أيقن أنهم لا يريدون به بدلا، فأحب لما رأني[٢] من حرص الناس عليه، وميلهم إليه، أن يعلم ما عندي، وهل تنازعني نفسي إليها، وأحب أن يبلوني بأطماعي فيها، والتعرض[٣] لي بها وقد علم وعلمت [لو قبلت][٤] ما عرضه علي لم يجب الناس إلىٰ ذلك، فألفاني قائما علىٰ أخمصي[٥]، مستوفزا[٦] حذرا، ولو أجبته إلىٰ قبولها لم يسلم الناس إلىٰ ذلك، واختباها ضغنا علي في قلبه، ولم آمن غايلته ولو بعد حين، مع ما بدا لي من كراهة الناس لي: أما سمعت نداءهم من كل ناحية عند عرضها [عليّ][٧]: لا نريد سواك يا أبا بكر، أنت لها! فرددتها إليه عند ذلك، فلقد رأيته التمع وجهه لذلك سرورا، ولقد عاتبني مرة علىٰ كلام بلغه عني، وذلك لما قدم عليه بالأشعث أسيرا، فمن عليه وأطلقه، وزوجه أخته أم فروة، فقلت للأشعث وهو قاعد بين يديه: يا عدو الله؛ أكفرت بعد إسلامك، وارتددت ناكصا[٨] علىٰ عقبيك! فنظر إلي نظرا علمت أنه يريد أن يكلمني بكلام في نفسه، ثم لقيني بعد ذٰلك في بعض سكك المدينة، فقال لي: أنت صاحب الكلام يا ابن الخطاب؟ قلت[٩]: نعم يا عدو الله، ولك عندي شر من ذلك.. فقال: بئس الجزاء هٰذا لي منك! قلت: وعلام تريد مني حسن الجزاء؟ قال: لأنفتي لك من اتباع هٰذا الرجل، والله ما جرأني علىٰ الخلاف عليه إلا تقدمه عليك، وتخلفك عنها، ولو كنت صاحبها لما رأيت مني خلافا عليك. قلت: لقد كان ذلك، فما تأمر الآن؟ قال: إنه ليس بوقت أمر بل وقت صبر، ومضىٰ ومضيت.

---

(١) ضرب من الحمام له أطواق (مجمع البحرين: ج٢، ص٥٢٨). (٢) في المصدر: رأى.

(٣) في المصدر: والتعريض.

(٤) من المصدر.

(٥) الأخمص: الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء (النهاية: ج٢، ص ٨٠) .

(٦) جالسا منتصبا (متهيئا للقيام) غير مطمئن (بالجلوس) أو: مسارعا مستعجلا.

(٧) من المصدر.

(٨) راجعا مرتدا محجما (لسان العرب: ج٧، ص١٠١).

(٩) في المصدر: فقلت.

ولقىٰ الأشعث الزبرقان بن بدر[١] فذكر له ما جرىٰ بيني وبينه، فنقل ذٰلك إلىٰ أبي بكر، فأرسل إليّ بعتاب مؤلم، فأرسلت إليه: أما والله لتكفن أو لأقولن كلمة بالغة بي وبك في الناس، تحملها الركبان حيث ساروا وإن شئت استدمنا ما نحن فيه عفوا.

فقال: بل نستديمه، وإنها لصائرة إليك بعد أيام، فما ظننت[٢] أنه لا يأتي عليه جمعة حتىٰ يردها علي، فتغافل، والله فما ذكرني بعد ذٰلك حرفا حتىٰ هلك، ولقد مد في أمدها عاضا علىٰ نواجده حتىٰ حضره الموت، فآيس[٣] منها، فكان منه ما رأيتما، فاكتما ما قلت لكما عن الناس كافة وعن بني هاشم خاصة، وليكن منكما بحيث أمرتكما، [قوما][٤] إذا شئتما علىٰ بركة الله.

فقمنا ونحن نعجب من قوله، فوالله ما أفشينا سره حتىٰ هلك.

⊡ [اعتراف عثمان بظلم من سبقه]:

قال عثمان: [صدق ابن أخي][٥]، أنا أخبركم عني وعما وليت، إن صاحبي اللذين كانا قبلي ظلما[٦] أنفسهما ومن كان منهما بسبيل احتسابا[٧].

الباب التاسع

في قول أبي بكر وعمر: (كانت بيعة أبي بكر فلتة وقىٰ الله شرها، ومن عاد إلىٰ مثلها، فاقتلوه)

مضافا إلىٰ ما تقدم، وكيفية المماكرة في بيعة أبي بكر، وإخراج علي عليه السلام قهرا لها، وتأخره ستة أشهر، وجماعة بني هاشم، وأرادت حرق بيت فاطمة عليها السلام، وبيعة الناس لأبي بكر طوعاً وكرهاً، وإنكار سلمان.

---

(١) واسمه الحصين، ويعرف بـ(الزبرقان) بن بدر بن امرئ القيس التميمي السعدي (الإصابة: ج١، ص٥٤٣).

(٢) في المصدر: فظننت.

(٣) في المصدر: وآيس.

(٤) من المصدر.

(٥) من المصدر.

(٦) في تاريخ المدينة (ج٣، ص١٠٩١): طلقا.

(٧) تاريخ الطبري (ج٣، ص٣٨٢) والكامل في التاريخ (ج٣، ص١٥٧).

ابن أبي الحديد قال[(١)]: وروىٰ أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز، قال[(٢)]: حدثني أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثني إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، قال: غضبت[(٣)] رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة، وغضب علي والزبير، فدخلا بيت فاطمة عليها السلام معهما السلاح، فجاء عمر في عصابة، فيهم: أسيد بن خضير[(٤)]، وسلمة بن سلامة بن قريش[(٥)]، وهما من بني عبدالأشهل، فهجما[(٦)] الدار، فصاحت فاطمة[عليها السلام] وناشدتهما الله، فأخذوا سيفيهما فضربوا بهما الحجر حتىٰ كسروهما، ثم[(٧)] أخرجهما عمر يسوقهما حتىٰ بايعا.

ثم قام أبو بكر، فخطب الناس، فاعتذر إليهم، وقال: (إن بيعتي كانت فلتة وقىٰ الله شرها، وخشيت الفتنة، وأيم الله ما حرصت عليها يوما قط، ولا سألتها الله في سر ولا علانية قط، ولقد قلدت أمرا عظيما ما لي به طاقة ولا يدان، ولقد وددت أن أقوي الناس عليه مكاني)[(٨)].

فقبل المهاجرون [عذره][(٩)].

وقال علي[عليه السلام] والزبير: ما غضبنا إلا في المشورة، وإنا لنرىٰ أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعرف له سنه، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة [بالناس][(١٠)] وهو حي[(١١)].

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج٦، ص٤٧).

(٢) في السقيفة وفدك (ص٤٦).

(٣) في المصدر: غضب.

(٤) أو أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن أمرئ القيس بن زيد بن عبدالأشهل، المكنى بـ(أبا يحيى) أو (أبا الحضير)، له مكانته عند الجبت والطاغوت حتى كان أبو بكر لا يقدم أحدا من الأنصار عليه (الإصابة: ج١، ص٦٤) وذلك لأنه كان ابن أخته.

(٥) أو: وقش بن زغبة بن زعواء بن عبدالأشهل الأنصاري، المكنى بـ(أبي عوف)، وكان من المقربين إلى عمر، وولاه اليمامة (الاستيعاب: ج٢، ص٦٤١).

(٦) في المصدر: فاقتحما.

(٧) في المصدر: فـ.

(٨) في المصدر: وجعل يعتذر إليهم.

(٩) من المصدر.

(١٠) من المصدر.

(١١) المستدرك (ج٣، ص٦٦).

وقال: وروىٰ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ[١] عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال لي عبدالرحمن بن عوف، وقد حججنا مع عمر: شهدت اليوم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ بمنىٰ، وقال له رجل: إني سمعت فلانا يقول: لو قد مات عمر لبايعت فلانا، فقال عمر: إني لقائم العشية في الناس أحذرهم هٰؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغتصبوا الناس أمرهم.

قال عبدالرحمن: فقلت يا أمير المؤمنين؛ إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغائهم[٢]، وهم الذين يقربون من مجلسك ويغلبون عليه، وأخاف أن تقول مقالة لا يعونها ولا يحفظونها فيطيروا بك[٣]، ولكن أمهل حتىٰ تقدم المدينة وتخلص بأصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فتقول: [ما قلت متمكنا][٤] فيسمعوا مقالتك.

فقال: والله لأقومن بها أول مقام أقومه بالمدينة.

قال ابن عباس: فلما قدمناها هجرت يوم الجمعة لحديث عبدالرحمن.

فلما جلس [عمر][٥] علىٰ المنبر، حمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال بعد أن ذكر الرجم وحد الزنا: إنه بلغني أن قائلا منكم يقول: لو مات أمير المؤمنين بايعت فلانا، فلا يغرن أمرا أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فلقد كانت كذلك، ولكن الله وقىٰ شرها، وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق كأبي بكر، وإنه كان من خبرنا حين توفىٰ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن عليا[عَلَيْهِ السَّلَامُ] والزبير تخلفا عنا في بيت فاطمة[عَلَيْهَا السَّلَامُ] ومن معهما، وتخلفت عنا الأنصار، واجتمع المهاجرون إلىٰ أبي بكر، فقلت له: انطلق بنا إلىٰ اخواننا من الأنصار، فانطلقنا نحوهم، فلقينا رجلان صالحان من الأنصار قد شهدا بدرا: (أحدهما) عويم بن ساعدة[٦]، و(الثاني) معن بن عدي[٧]، فقالا لنا: ارجعا[٨] فاقضوا أمركم بينكم.

---

(١) تاريخ الطبري (ج٣، ص٢٠٠) وفي طبعة (ج٢، ص٤٤٦).

(٢) السواد الذين تغويهم الدعاية حيث شاءت.

(٣) في المصدر: بها.

(٤) من المصدر.

(٥) من المصدر.

(٦) الأوسي الأنصاري.

(٧) حليف الأنصار.

(٨) في المصدر: ارجعوا.

فأتينا الأنصار، وهم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة، وبين أظهرهم رجل مزمل[١]، فقلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عبادة وجع[٢].

فقام رجل منهم، فحمد الله وأثنىٰ عليه، فقال: أما بعد؛ فنحن الأنصار، وكتيبة الإسلام، وأنتم يا معشر قريش رهط نبينا، فقد دفت[٣] إلينا دافة[٤] من قومكم، فإذا هم يريدون[٥] أن يغصبونا[٦] الأمر.

فلما سكت وكنت قد زورت في نفسي مقالة أقولها بين يدي أبي بكر، فلما ذهبت أتكلم، قال أبو بكر: علىٰ رسلك.. فقام، فحمد الله [وأثنىٰ عليه][٧]، فما ترك شيئا كنت زورت في نفسي إلا جاء به و[٨]بأحسن منه، وقال: يا معشر الأنصار؛ إنكم لا تذكرون فضلا إلا وأنتم له أهل، وإن العرب لا تعرف هٰذا الأمر إلا لقريش، أوسط العرب دارا ونسبا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين.

وأخذ بيدي، ويد أبي عبيدة الجراح، والله ما كرهت من كلامه غيرها، إن كنت لأقدم فتضرب عنقي فيما لا يقربني إلىٰ إثم أحب إلي من أن أؤمر علىٰ قوم فيهم أبو بكر.

فلما قضىٰ أبو بكر كلامه قام رجل من الأنصار، فقال: أنا جذيلها[٩] المحكك[١٠]، وعذيقها[١١] المرجب[١٢]، منا أمير ومنكم أمير.

---

(١) مغطى (النهاية: ج٢، ص٣١٣).

(٢) في تاريخ الطبري: قالوا: سعد بن عبادة. قال: قلت: ما شأنه؟ قالوا: وجع.. وفي تاريخ مدينة دمشق (ج٣٠، ص٢٨٥) قالوا: مريض.

(٣) سارت (ج٤، ص١٣٦٠).

(٤) جيش يدب (الصحاح: ج٤، ص١٣٦٠).

(٥) في المصدر: أنتم تريدون.

(٦) في المصدر: تغصبون.

(٧) من المصدر.

(٨) في المصدر: أو.

(٩) جذيل: تصغير جذل، وهو العود الذي ينصب للإبل الجربى.

(١٠) أراد من هٰذا التعبير: أنا ممن يستشفى برأيه كما تستشفى الإبل الجربى بالإحتكاك بهٰذا العود (هامش التحقيق لكتاب الإحتجاج: ج١، ص٩٢).

(١١) عذيق تصغير عذق: أي النخلة.

(١٢) ما جعل له رجبة، أي: دعامة تبنى من الحجارة حول النخلة الكريمة إذا طالت، وتخوفوا عليها أن تنقعر في الرياح العواصف.

وارتفعت الأصوات واللغط، فلما خفت الاختلاف، قلت لأبي بكر: ابسط يدك لأبايعك[1].. فبسط يده، فبايعته وبايع الناس، ثم نزونا علىٰ سعد بن عبادة، فقال قائلهم: قتلتم سعدا.. قلت[2]: اقتلوه قتله الله، وإنا والله ما وجدنا أمرا هو أقوىٰ من بيعة أبي بكر، خشيت أن فارقت القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة، فإما أن نبايعهم علىٰ ما لا نرضىٰ أو نخالفهم فيكون فساد[3].

هٰذا حديث متفق عليه من أهل السيرة، وقد وردت فيه الروايات بزيادات.

روىٰ المدائني، قال: لما أخذ أبو بكر بيد عمر وأبي عبيدة وقال للناس: قد رضيت لكم [أحد][4] هذين الرجلين.. قال أبو عبيدة لعمر: أمدد يدك نبايعك.. فقال عمر: ما لك في الإسلام فهة[5] غيرها، أتقول هٰذا وأبو بكر حاضر.

ثم قال للناس: أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله صلى الله عليه وآله للصلاة؟ رضيك رسول الله صلى الله عليه وآله لديننا أفلا نرضاك لدنيانا.. ثم مد يده إلىٰ أبي بكر فبايعه[6].

وهذه الرواية هي التي ذكرها قاضي القضاة [رحمه الله تعالىٰ][7] في كتاب المغني.

وقال الواقدي في روايته في حكاية كلام عمر: [والله][8] لأن أقدم فأنحر كما ينحر البعير، أحب إليّ من أن أتقدم علىٰ أبي بكر.

وقال شيخنا أبو القاسم البلخي: قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ: إن الرجل الذي قال: لو قد مات عمر لبايعت فلانا، عمار بن ياسر، قال: لو [قد][9] مات عمر لبايعت عليا عليه السلام، فهٰذا القول هو الذي هاج عمر أن خطب بما خطب به.

---

(١) في تاريخ الطبري: أبايعك.

(٢) في المصدر: فقلت.

(٣) ومثله في تاريخ مدينة دمشق (ج٣٠، ص٢٨٥).

(٤) من المصدر.

(٥) سقطة (النهاية: ج٣، ص٤٨٢).

(٦) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٦٣) وتاريخ الطبري (ج٢، ص٢٣٣) والسيرة النبوية لابن هشام (ج٤، ص٣١٠) والكامل في التاريخ (ج٢، ص٣٢٥).

(٧) من المصدر.

(٨) من المصدر.

(٩) من المصدر.

وقال غيره [من أهل الحديث][١]: إنما كان المعزوم علىٰ بيعته لو مات عمر طلحة بن عبدالله.

وأما[٢] حديث الفلتة، فقد كان سبق من عمر رضي الله عنه[٣] أنه[٤] قال: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقىٰ الله شرها، فمن عاد إلىٰ مثلها فاقتلوه.

وهٰذا الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس وعبدالرحمن بن عوف فيه حديث الفلتة ولكنه منسوق علىٰ ما قاله أولا، ألا تراه يقول: فلا يغرن امرأ أن يقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة [فلقد كانت كذلك، فهٰذا يشعر بانه قد كان قال من قبل: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة][٥].

وقد أكثر الناس في حديث الفلتة، وذكرها شيوخنا المتكلمون.

ثم قال[٦]: واعلم أن هٰذه اللفظة من عمر مناسبة للفظات كثيرة كان رضي الله عنه[٧] يقولها بمقتضىٰ ما جبله الله تعالىٰ عليه من غلظ الطينة وجفاء الطبيعة، ولا حيلة له فيها، لأنه مجبول عليها لا يستطيع تغييرها، ولا ريب عندنا أنه كان يتعاطىٰ أن يتلطف، وأن يخرج ألفاظه مخارج حسنة لطيفة، فينزع به الطبع الجاسي، والغريزة الغليظة إلىٰ أمثال هٰذه اللفظات، ولا يقصد بها سوءا، ولا يريد بها ذما ولا تخطئة، كما قدمناه[٨] من قبل في اللفظة التي قالها في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله، وكاللفظات التي قالها عام الحديبية، وغير ذلك.

أقول: هٰذه اللفظات التي في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله قالها ويوم الحديبية فيها رد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، والعجب كل العجب ممن يصوب ألفاظ عمر في مثل هٰذه المواضع القبلية في الرد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، وهل يجوز لعمر أن يرد علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله وفعله، والراد علىٰ رسول الله [صلى الله عليه وآله] كالراد علىٰ الله تعالىٰ، والراد علىٰ الله تعالىٰ علىٰ حد الشرك بالله.

---

(١) من المصدر.

(٢) في المصدر: فأما.

(٣) كذا في المصدر، وإلتزاما بأمانة النقل نقله المصنف إلا أنه لا يريد منه المعنى الذي أراده المخالف.

(٤) في المصدر: أن.

(٥) في المصدر: .

(٦) في الجزء الثاني (ص٢٧).

(٧) كما في المصدر، وناقل الكفر ليس بكافر.

(٨) في المصدر: قدمنا.

والحق: أن قول أبي بكر وعمر بـ: (أن بيعة أبي بكر فلتة وقىٰ الله شرها ومن عاد إلىٰ مثلها فاقتلوه) يدل علىٰ بطلان البيعة، لأن من فعلها مثل فعله استحق القتل لأنها ذات شر.

ويؤيد ما قلناه ما ذكره إمام الأمة علي بن أبي طالب عليه السلام في كلام له: «**لم تكن بيعتكم لي[١] فلتة**»[٢].

قال ابن أبي الحديد[٣] في شرح كلامه عليه السلام هذا، قال: [(الفلتة): الأمر][٤] يقع بغير تدبر ولا روية، وفي الكلام تعريض ببيعة أبي بكر، وقد تقدم لنا في معنىٰ قول عمر: (كانت بيعة أبي بكر فلتة وقىٰ الله شرها) [كلام][٥].

ولهٰذا نقل ابن أبي الحديد[٦] عن بعضهم في ما هو شايع وقد تقدم، حيث قال ذٰلك القائل: ثم ما شاع واشتهر من قول عمر: (كانت بيعة أبي بكر فلتة، وقىٰ الله شرها، فمن عاد إلىٰ مثلها فاقتلوه) وهٰذا طعن في العقد، وقدح في البيعة الأصلية.

◘ [فتنة الخلاف بعد استشهاد نبي الأنام صلى الله عليه وآله]:

قال ابن أبي الحديد[٧]: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، واشتغل علي عليه السلام بغسله ودفنه، وبويع أبو بكر، خلا الزبير وأبو سفيان وجماعة من المهاجرين والأنصار بعباس وعلي عليه السلام لإجالة[٨] الرأي، وتكلموا بكلام يقتضي الاستنهاض والتهييج، فقال العباس رضي الله عنه: قد سمعنا قولكم فلا لقلة نستعين بكم، ولا لظنة نترك آراءكم، فأمهلونا نراجع الفكر، فإن يكن لنا من الإثم مخرج يصر بنا وبهم الحق صرير[٩] الجدجد[١٠]، ونبسط إلىٰ المجد أكفا لا نقبضها أو نبلغ المدىٰ،

(١) في طبعة محمد عبده من نهج البلاغة (ج٢، ص١٩): إياي.
(٢) نهج السعادة (ج١، ص١٩٧).
(٣) في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص٣١).
(٤) من المصدر.
(٥) من المصدر.
(٦) في شرح نهج البلاغة (ج٢٠، ص٢١).
(٧) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص٢١٨).
(٨) أدار (الصحاح: ج٤، ص١٦٦٣).
(٩) صوت (كتاب العين: ج٧، ص٨٢).
(١٠) ما يصير بالليل في الصيف، فيه شبه من الجراد (غريب الحديث لابن قتيبة: ج٢، ص٣٠١).

وإن تكن الأخرىٰ فلا لقلة فـي العدد ولا لوهن في الأيد، والله لو لا أن الإسـلام قيد الفتك، لتدكدكت جنادل[١] صخر يسمع اصطكاكها[٢] من المحل العلىٰ[٣].

فحـل علـي عليه السلام حبوتـه[٤]، وقـال: «**الصبر حلم[٥]، والتقوىٰ دين، والحجة[٦] محمد، والطريق الصراط، أيها الناس[٧].. شقوا أمواج[٨] الفتن بسفن[٩] النجاة، وعرجوا عن طريق[١٠] المنافرة، وضعوا[١١] تيجان المفاخرة، أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح، [هذا][١٢] ماء آجن[١٣]، ولقمة يغص بها آكلها، ومجتنىٰ الثمرة لغير وقت إيناعها[١٤] كالزارع بغير[١٥] أرضه، فإن أقل يقولوا حرص علىٰ الملك[١٦]، وإن أسكت يقولوا: جزع[١٧] من الموت، هيهات بعد اللتيا والتي، والله لابن أبي طالب[١٨] آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، بل[١٩] اندمجت علىٰ مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية[٢٠] في الطريق[٢١] البعيد[٢٢]**»[٢٣].

---

(١) الحجر الصلب العظيم. (٢) اضطرابها. (٣) في نهج السعادة (ج١، ص٤١): محل الأبيل.

(٤) يقال: احتبى الرجل، إذا جمع ظهره وساقيه بعمامته، وقد يحتبي بيديه، والاسم الحبوة (الصحاح: ج٦، ص٢٣٠٧).

(٥) في نزهة الناظر (ص٥٦): الحلم زين.

(٦) في بحار الأنوار: والمحجة.

(٧) في نزهة الناظر: أيها الناس.. رحمكم الله.

(٨) في نزهة الناظر: متلاطمات أمواج.

(٩) في نزهة الناظر: بحيازيم سفن.

(١٠) في نزهة الناظر: سبيل.

(١١) في نزهة الناظر: وحطوا.

(١٢) من المصدر.

(١٣) متغير اللون والطعم.

(١٤) في نزهة الناظر: في غير وقتها.

(١٥) في نزهة الناظر: في غير.

(١٦) في نزهة الناظر: والله لو أقول لتداخلت أضلاع كتداخل أسنان دوارة الراحي.

(١٧) في نزهة الناظر: جزع ابن أبي طالب.

(١٨) في نزهة الناظر: والله لعلي.

(١٩) في نزهة الناظر: لكني.

(٢٠) الأرشية: الحبال.

(٢١) في نزهة الناظر: في الطوى (أي: البئر).

(٢٢) في نزهة الناظر: البعيدة (أي: العميقة).

(٢٣) نهج البلاغة (ص٦، الخطبة الخامسة) وفي طبعة عبده (ج١، ص٢١٨).

ثم نهض فدخل إلىٰ منزله وافترق القوم.

وقال البراء بن عازب[١]: لم أزل لبني هاشم محبا، فلما قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله خفت أن تتمالأ[٢] قريش علىٰ إخراج هٰذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الواله[٣] العجول، مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله، فكنت أتردد إلىٰ بني هاشم وهم عند رسول الله[٤] صلّى الله عليه وآله في الحجرة، وأتفقد وجوه قريش، فإني كذلك إذا فقدت أبا بكر وعمر، وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة.. وإذا قائل يقول: قد بويع أبو بكر.

فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون[٥] بالأزر الصنعانية، لا يمرون بأحد إلا خبطوه، وقدموه فمدوا يده فمسحوها علىٰ يد أبي بكر يبايعه، شاء ذٰلك أو أبىٰ.

فأنكرت عقلي، وخرجت أشتد حتىٰ انتهيت إلىٰ بني هاشم، والباب مغلق، فضربت عليهم الباب ضربا عنيفا، وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة، فقال العباس: تربت أيديكم[٦] إلىٰ آخر الدهر، أما إني قد أمرتكم فعصيتموني.

فمكثت أكابد ما في نفسي، فرأيت[٧] في الليل: المقداد، وسلمان، وأبا ذر، وعبادة بن الصامت، وأبا الهيثم بن التيهان، وحذيفة، وعمارا، وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شورىٰ بين المهاجرين.

وبلغ ذٰلك أبا بكر وعمر، فأرسلا إلىٰ أبي عبيدة، وإلىٰ المغيرة بن شعبة، فسألاهما عن الرأي، فقال المغيرة: الرأي أن تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده في هٰذا الأمر نصيبا، ليقطعوا بذلك ناحية علي بن أبي طالب[عليه السلام].

---

(١) قال الأردبيلي في جامع الرواة (ج١، ص١١٦): مشكور بعد أن أصابته دعوة أمير المؤمنين عليه السلام في كتمان حديث غدير خم فعمي، فكان يسأل عن منزله، ويقول: كيف يرشد من أصابته الدعوة.

(٢) تتساعد وتجتمع وتتعاون (النهاية: ج٤، ص٣٥٣).

(٣) في المصدر: الوالهة.

(٤) في المصدر: النبي.

(٥) قال الجوهري في الصحاح (ج٣، ص٨٧٢): احتجز الرجل بإزار، أي: شده على وسطه.

(٦) أي: افتقرتم (غريب الحديث لابن سلام: ج٢، ص٩٣).

(٧) في المصدر: ورأيت.

فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة، حتىٰ دخلوا علىٰ العباس ـ وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله ﷺ ـ ، فحمد أبو بكر الله وأثنىٰ عليه، وقال: إن الله ابتعث لكم محمدا ﷺ نبيا، وللمؤمنين وليا، فمن الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم، حتىٰ اختار له ما عنده، فخلىٰ علىٰ الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم متفقين غير مختلفين، فاختاروني عليهم واليا، [و][1]لأمورهم راعيا، فتوليت ذلك، وما أخاف بعون الله وتسديده وهنا ولا حيرة ولا جبنا، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وما أنفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين، يتخذكم لجأ فتكونون حصنه المنيع، وخطبه البديع، فإما دخلتم فيما دخل فيه الناس، أو صرفتموهم عما مالوا إليه، فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هٰذا الأمر نصيبا، ولمن بعدك من عقبك، إذ كنت عم رسول الله ﷺ، وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ﷺ، ومكان أهلك، ثم عدلوا بهٰذا الأمر عنكم وعلىٰ رسلكم بني هاشم، فإن رسول الله ﷺ منا ومنكم.

فاعترض كلامه عمر، وخرج إلىٰ مذهبه في الخشونة والوعيد، وإتيان الأمر من أصعب جهاته، فقال: إي والله؛ وأخرىٰ إنا لم نأتكم حاجة إليكم، ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم ولعامتهم، ثم سكت.

فتكلم العباس، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: إن الله بعث محمدا نبيا كما وصفت، ووليا للمؤمنين، فمن الله به علىٰ أمته حتىٰ اختار له ما عنده، فخلىٰ الناس علىٰ[2] أمرهم ليختاروا لأنفسهم، مصيبين للحق، مائلين عن زيغ الهوىٰ، فإن كنت برسول الله ﷺ طلبت فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم، ما تقدمنا في أمركم فرطا، ولا حللنا وسطا، ولا نزحنا شحطا، فإن كان هٰذا الأمر يجب لك بالمؤمنين فما وجب، إذ كنا كارهين، وما أبعد قولك إنهم طعنوا عليك من قولك إنهم مالوا إليك، وأما ما بذلت لنا فإن يكن حقك أعطيتناه فأمسكه عليك، وإن يكن حق المؤمنين فليس لك أن تحكم فيه، وإن

---

(١) من المصدر.

(٢) في المصدر: عن.

يكن حقنا لم نرض منك[١] ببعضه دون بعض، وما أقول هٰذا أروم صرفك عما دخلت فيه، ولكن للحجة نصيبها من البيان.

وأما قولك: (إن رسول الله ﷺ منا ومنكم) فإن رسول الله ﷺ من شجرة نحن أغصانها، وأنتم جيرانها.

وأما قولك يا عمر: (إنك تخاف الناس علينا)، فهٰذا الذي قدمتموه أول ذلك، وبالله المستعان.

[موقف أبو سفيان من بيعة أبي بكر]:

قال[٢]: لما اجتمع المهاجرون علىٰ بيعة أبي بكر، أقبل أبو سفيان وهو يقول: أما والله إني لأرىٰ عجاجة[٣] لا يطفئها إلا الدم، يا لعبد مناف، فيم أبو بكر من أمركم، أين المستضعفان، أين الأذلان ـ يعني عليا والعباس ـ ما بال هٰذا الأمر في أقل حي من قريش.

ثم قال لعلي[عليه السلام]: ابسط يد أبايعك، فوالله إن شئت لأملأنها علىٰ أبي فضيل ـ يعني: أبا بكر ـ خيلا ورجلا.. فامتنع عليه علي عليه السلام، فلما يئس منه قام عنه وهو ينشد شعر المتلمس[٤]:

ولا يقيم علىٰ ضيم يراد به
إلا الأذلان عير[٥] الحي والوتد
هٰذا علىٰ الخسف[٦] مربوط[٧] برمته[٨]
وذا يشج فلا يأوي[٩] له أحد[١٠]

---

(١) في المصدر: لك.

(٢) شرح نهج البلاغة (ج١، ص٢٢١).

(٣) شدة غبار، وما تثيره الريح من تراب.

(٤) جرير (أو: عدي) بن عبدالمسيح الضبعي، المعروف بـ(المتلمس)، شاعر جاهلي من أهل البحرين، وهو خال طرفة بن العبد وصاحب الصحيفة المشهورة التي يضرب بها المثل.

(٥) العير: الحمار.

(٦) النقص.

(٧) في تاريخ الطبري (ج٢، ص٤٤٩): معكوس.

(٨) بقطعة من خيله.

(٩) في تاريخ الطبري: فلا يبكي. وفي المصدر: فلا يرثي.

(١٠) الوشاح (ج٣، ص٧٣) وجامع الشواهد (ج٣، ص٢٠١) وخزانة الأدب (ج٦، ص٣٢٤).

[من خطبة للإمام علي عليه السلام في أمر الخلافة]:

قال[١]: قال عليه السلام من خطبة[٢]: «فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، وأغضيت علىٰ القذىٰ، وشربت علىٰ الشجىٰ، وصبرت علىٰ أخذ الكظم، وعلىٰ أمر من طعم العلقم».

[شرح المعتزلي لكلام الأمير عليه السلام]:

قال في الشرح: «الكظم» ـ بفتح الظاء ـ: مخرج النفس[٣]، والجمع: أكظام[٤].

و«ظننت» ـ بالكسر ـ: بخلت[٥].

و«أغضيت» علىٰ كذا: غضضت طرفي[٦].

و«الشجىٰ»: ما يعترض في الحلق[٧].

[قصة السقيفة]:

قال[٨]: اختلفت الروايات في قصة السقيفة.

[رواية الشيعة وبعض المحدثين من العامة]:

فالذي تقوله الشيعة ـ وقد قال قوم من المحدثين بعضه ورووا كثيرا منه ـ: إن علياً عليه السلام امتنع من البيعة[٩] حتىٰ أخرج كرها.

وإن الزبير بن العوام امتنع من البيعة، وقال: لا أبايع إلا علياً عليه السلام[١٠].

وكذلك أبو سفيان بن حرب، وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبدشمس، والعباس بن عبدالمطلب، وبنوه، وأبو سفيان بن الحارث بن

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص٢٠).
(٢) ورقمها في نهج البلاغة (طبعة محمد عبده: ج١، ص٦٧): ٢٦.
(٣) كتاب العين (ج٥، ص٣٤٥).
(٤) الصحاح (ج٥، ص٢٠٢٣) وفي لسان العرب (ج١٢، ص٥٢٠): والجمع: كظام.
(٥) الصحاح (ج٦، ص٢١٥٦).
(٦) الصحاح (ج٣، ص١٠٩٥).
(٧) الصحاح (ج٦، ص٢٣٨٩).
(٨) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص٢٠).
(٩) الخرائج والجرائح (ج٢، ص٧٥٧) ومناقب آل أبي طالب (ج١، ص٣٨١).
(١٠) الاحتجاج (ج٢، ص١٥٢).

عبدالمطلب، وجميع بني هاشم، وقالوا: إن الزبير شهر سيفه، فلما جاء عمر ومعه جماعة من الأنصار وغيرهم، قال في جملة ما قال: خذوا سيف هٰذا فاضربوا به الحجر[(١)].

ويقال: إنه أخذ السيف من يد الزبير فضرب به حجرا فكسره، وساقهم كلهم بين يديه إلىٰ أبي بكر، فحملهم علىٰ بيعته، ولم يتخلف إلا علي[عليه السلام] وحده، فإنه اعتصم في بيت فاطمة عليها السلام، فتحاموا اخراجه منه قسرا، وقامت فاطمة[عليها السلام] إلىٰ باب البيت فأسمعت من جاء يطلبه، فتفرقوا وعلموا أنه بمفرده لا يضر شيئا فتركوه.

وقيل: إنهم أخرجوه فيمن أخرج وحمل إلىٰ أبي بكر فبايعه.

وقال[(٢)]: وقد روىٰ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري كثيرا من هذا[(٣)].

فأما حديث التحريق[(٤)] وما جرىٰ مجراه من الأمور القطعية[(٥)]، وقول من قال: إنهم أخذوا عليا عليه السلام يقاد بعمامته والناس [من][(٦)] حوله، فأمر بعيد، والشيعة تنفرد به، علىٰ أن جماعة من أهل الحديث قد رووا نحوه.

وقال[(٧)]: وقال أبو جعفر: إن الأنصار لما فاتها ما طلبت من الخلافة، قالت: أو قال بعضها: لا نبايع إلا عليا[عليه السلام]، وذكر نحو هٰذا علي بن عبدالكريم المعروف بـ(ابن الأثير) الموصلي في تاريخه[(٨)].

فأما قوله عليه السلام: «**لم يكن لي معين إلا أهل بيتي فظننت بهم عن الموت**»، فقول ما زال علي عليه السلام يقوله، ولقد قاله عقيب وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «**لو وجدت أربعين ذوي عزم**»، ذكر ذٰلك نصر بن مزاحم في كتاب صفين[(٩)]، وذكره كثير من أرباب السيرة.

---

(١) الكامل في التاريخ (ج٢، ص٣٢٥).
(٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص٢١).
(٣) راجع تاريخ الطبري (ج٣، من ص١٩٩).
(٤) أو: إحراق بيت الزهراء عليها السلام.
(٥) في المصدر: الفضيعة.
(٦) من المصدر.
(٧) ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج٢، ص٢٢).
(٨) الكامل في التاريخ (ج٢، من ص٢٢٠).
(٩) ص١٨٢.

۞ [رواية المخالفين]:

وأما الذي يقوله جمهور المحدثين وأعيانهم، فإنه عليه السلام امتنع من البيعة ستة أشهر، ولزم بيته فلم يبايع حتىٰ ماتت فاطمة عليها السلام، فلما ماتت بايع طوعا[١].

وفي صحيحي مسلم[٢] والبخاري[٣]: كانت وجوه الناس إليه وفاطمة[عليها السلام] [باقية بعد]، فلما ماتت فاطمة عليها السلام انصرفت وجوه الناس عنه، وخرج من بيته فبايع أبا بكر، وكانت مدة بقائها بعد أبيها عليه السلام ستة أشهر[٤].

▫ [إخراج سعد بن عبادة للخلافة]:

وقال[٥]: روىٰ أبو جعفر أيضا في التاريخ[٦]: أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وأخرجوا سعد بن عبادة، ليولوه الخلافة، وكان مريضا، فخطبهم ودعاهم إلىٰ اعطائه الرياسة والخلافة، فأجابوه، ثم ترادوا في الكلام، فقالوا: فإن أبىٰ المهاجرون، وقالوا: نحن أولياؤه وعترته، فقال قوم من الأنصار: نقول منا أمير ومنكم أمير.. فقال سعد: فهٰذا أول الوهن.

وسمع عمر الخبر، فأتىٰ منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو بكر فيه[٧]، فأرسل إليه أن أخرج إليّ، فأرسل: إني مشغول، فأرسل إليه عمر أن أخرج، فقد حدث أمر لا بد أن تحضره، فخرج فأعلمه الخبر، فمضيا مسرعين نحوهم ومعهما أبو عبيدة، فتكلم أبو بكر، فذكر قرب المهاجرين من رسول الله صلى الله عليه وآله وأنهم أولياؤه وعترته، ثم قال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا يغتاب[٨] عليكم بمشورة، ولا نقضي دونكم الأمور.

فقام الحباب بن المنذر بن الجموح، فقال: يا معشر[٩] الأنصار؛ [املكوا][١٠] عليكم أمركم، فإن الناس في ظلكم، ولن يجترئ مجترئ علىٰ خلافكم، ولا

---

(١) تاريخ اليعقوبي (ج٢، ص١١٦). (٢) كتاب الجهاد والسيرة (ج٣، ص١٣٨).
(٣) كتاب المغازي (ج٣، ص٥٥).
(٤) ومثله في تاريخ الطبري (ج٢، ص٢٣٤).
(٥) ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج٢، ص٣٧).
(٦) تاريخ الطبري (ج٣، ص٢٠٧).
(٧) في المصدر: وفيه أبو بكر.
(٨) في المصدر: نفتات.
(٩) في المصدر: معاشر.
(١٠) من المصدر.

يصدر أحد إلا عن رأيكم، أنتم أهل العزة والمنعة، وأولـوا العدد والكثرة، وذوو البـأس والنجـدة، وإنمـا ينظر النـاس ما تصنعـون، فـلا تختلفوا فتفسـد عليكم أموركم فإن أبىٰ هٰؤلاء إلا ما سمعتم فمنا أمير ومنكم أمير.

فقال عمر: هيهـات! لا يجتمع سـيفان في غمـد، والله لا ترضـىٰ العرب أن تؤمركـم ونبيها من غيركـم، ولا تمتنـع العرب أن تولـي أمرها من كانـت النبوة منهم، من ينازعنا سلطان محمد، ونحن أولياؤه وعشيرته.

فقـال الحباب بن المنـذر: يا معشـر الأنصار؛ املكـوا أيديكم، ولا تسـمعوا مقالة هٰذا وأصحابه فيذهبـوا بنصيبكم من هٰذا الأمر، فإن أبـوا عليكم فاجلوهم من هٰذه البلاد، فأنتم أحق بهٰذا الأمر منهم، فإنه بأسيافكم دان الناس بهٰذا الدين، أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب، أنا أبو شبل في عريسة[1] الأسد[2]، والله إن شئتم لنعدينها جذعة[3].

فقال عمر: إذن يقتلك الله.. قال: بل إياك يقتل.

فقال أبو عبيدة: يا معشـر الأنصـار؛ إنكم أول من نصر فـلا تكونوا أول من بدل وغير.

فقام بشير بن سـعد، والد النعمان بن بشير، فقال: يا معشـر الأنصار؛ ألا إن محمدا من قرييش، وقومه أولىٰ به، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هٰذا الأمر.

فقال أبو بكر: هٰذا عمر وأبو عبيدة بايعوا أيهما شئتم.

فقـالا: والله لا نتولـى هٰـذا الأمر عليـك وأنـت أفضـل المهاجريـن وخليفة رسول الله ﷺ في الصلاة، وهي أفضل الدين، ابسط يدك.

فلما بسط يده ليبايعاه، سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير؛ عققت عقاق أنفست علىٰ ابن عمك الامارة.

فقـال أسـيد بن حضيـر ـ رئيـس الأوس ـ لأصحابـه: والله لئن لـم تبايعوا ليكونن للخزرج عليكم الفضيلة أبدا.

---

(١) مأوى (معجم مقاييس اللغة: ج٤، ص٢٦٣).

(٢) حومة من حومات صفين.

(٣) إما مراده: انثى الجذع وهو من الإبل ما دخل في السنة الخامسة، أو الدهر، فكلاهما يقال له جذعة (الصحاح: ج٣، ص١١٩٤).

فقاموا فبايعوا أبا بكر، فانكسر على سعد بن عبادة والخزرج ما اجمعوا[١] عليه، وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب، ثم حمل سعد بن عبادة إلى داره، فبقي أياما، وأرسل أبو بكر إليه[٢] ليبايع، فقال: لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي[٣]، وأخضب سنان رمحي، وأضرب بسيفي ما أطاعني، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن تبعني، ولو اجتمع معكم الإنس والجن[٤] ما بايعتكم حتى أعرض على ربي.

فقال عمر: لا تدعه حتى يبايع.

فقال بشير بن سعيد: إنه قد لج، وليس بمبايع لكم حتى يقتل، وليس بمقتول لكم حتى يقتل معه أهله وطائفته من عشيرته، ولا يضركم تركه، إنما هو رجل واحد.

فتركوه، وجاءت أسلم فبايعت، فقوى بهم جانب أبي بكر، وبايعه الناس.

وفي كتب غريب الحديث[٥] في تتمة كلام عمر: فأيما رجل بايع رجلا بغير مشورة من الناس فلا يؤمر واحد منهما تغرة أن يقتلا.

قالوا: غرر تغريرا وتغرة، كما قالوا: حلل تحليلا وتحلة، وعلل تعليلا وتعلة[٦]، وانتصب (تغرة) ها هنا لأنه مفعول له.

ومعنى الكلام: أنه إذا بايع واحد لآخر بغتة عن غير شورى فلا يؤمر واحد منهما، لأنهما قد غررا بأنفسهما تغرة وعرضاهما لأن تقتلا.

⊡ [الخلاف بين الصنمين]:

قال[٧]: وروى جميع أصحاب السيرة أن رسول الله ﷺ لما توفى كان أبو بكر في منزله بالسنح[٨]، فقام عمر بن الخطاب فقال: والله ما مات رسول الله ﷺ

(١) في المصدر: اجتمعوا.

(٢) في المصدر: إليه أبوبكر.

(٣) السهام التي في جعبتي، والكنانة هي الجعبة التي توضع فيها السهام (النهاية: ج١، ص٢٧٤).

(٤) في المصدر: الجن والإنس.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (ج٣، ص١٥٦).

(٦) الصحاح (ج٤، ص١٦٧٥).

(٧) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص٤٠).

(٨) أحد محال المدينة المنورة بالعوالي منهت.

ولا يموت حتىٰ يظهر دينه علىٰ الدين كله، وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف[١] بموته، لا أسمع رجلا يقول: مات رسول اللهﷺ إلا ضربته بسيفي.

فجاء أبو بكر وكشف عن وجه رسول اللهﷺ، وقال: بأبي وأمي، طبت حيا وميتا، والله لا يذيقك الله الموتتين أبدا.

ثم خرج والناس حول عمر، وهو يقول لهم: إنه لم يمت، ويحلف، فقال له: أيها الحالف علىٰ رسلك.. ثم قال: من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٢]، وقال: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾[٣].

قال عمر: فوالله ما ملك نفسي حيث سمعتها أن سقطت إلىٰ الأرض، علمت أن رسول اللهﷺ قد مات.

وقد تكلمت الشيعة في هٰذا الموضع، وقالوا: إنه [بلغ][٤] من قلة علمه أنه لم يعلم أن الموت يجوز علىٰ رسولهﷺ، وأنه أسوة الأنبياء في ذلك، وقال: لما تلا أبو بكر الآيات: أيقنت الآن بوفاة رسول اللهﷺ[٥]، كأني لم أسمع هٰذه الآية، فلو كان يحفظ القرآن أو يتفكر فيه، ما قال ذلك، ومن هٰذه حاله لا يجوز أن يكون إماما.

وأجاب قاضي القضاة في المغني عن هٰذا فقال: إن عمر لم يمنع من جواز موتهعليه السلام، ولا يفسر[٦] كونه ممكنا، ولكنه تأول في ذٰلك قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[٧]، وقال: كيف يموت ولم يظهر (صلوات الله عليه) علىٰ الدين كله؟ فقال أبو بكر: إذا ظهر دينه فقد ظهر هو، وسيظهر دينه بعد وفاته.. فحمل عمر قوله:

(١) خاض في الخبر بغية الفتنة (كتاب العين: ج٦، ص١٠٩).
(٢) الآية ٣٠ من سورة الزمر.
(٣) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران.
(٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: بوفاتي.
(٦) في المصدر: نفى.
(٧) الآية ٣٣ من سورة التوبة.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ وقوله [تعالىٰ][1]: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ﴾ علىٰ تأخر الموت، لا علىٰ نفيه بالكلية.

قال: ولا يجب فيمن ذهل عن بعض أحكام القرآن ألا يحفظ القرآن، لأن الأمر لو كان كذلك لوجب ألا يحفظ القرآن إلا من عرف جميع أحكامه، علىٰ أن حفظ جميع القرآن غير واجب، ولا يقدح الإخلال به في الفضل.

واعترض المرتضىٰ [رحمه الله تعالىٰ][2] في كتاب الشافي[3] هٰذا الكلام، فقال: لا[4] يخلو خلاف عمر في وفاة رسول الله عليه السلام من أن يكون علىٰ سبيل الإنكار لموته علىٰ كل حال، والإعتقاد بأن الموت لا يجوز عليه علىٰ كل وجه، أو يكون منكرا لموته في تلك الحال، من حيث لم يظهر [دينه][5] علىٰ الدين كله.

فإن كان [الوجه][6] الأول؛ فهو مما لا يجوز خلاف عاقل فيه[7]، والعلم بجواز الموت علىٰ جميع[8] البشر [لا يشك فيه عاقل، والعلم من دينه عليه السلام بأنه سيموت كما مات من قبله][9] ضروري، وليس يحتاج في حصول هٰذا العلم إلىٰ تلاوة الآيات التي تلاها أبو بكر.

وإن كان [خلافه علىٰ الوجه][10] الثاني، فأول ما فيه: أن هٰذا الاختلاف[11] لا يليق بما احتج به أبو بكر عليه من قوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[12]، لأن عمر لم ينكر علىٰ هٰذا الوجه جواز الموت عليه وصحته، وإنما خالف في وقته[13]، فكان يجب أن يقول لأبي بكر: وأي حجة في هٰذه الآيات عليّ فإني لم

---

(١) من المصدر.
(٢) من المصدر.
(٣) الجزء الرابع (ص١٧٦).
(٤) في المصدر: ليس.
(٥) من المصدر.
(٦) من المصدر.
(٧) في المصدر: خلاف العقلاء في مثله.
(٨) في المصدر: سائر.
(٩) كما في المصدر.
(١٠) من المصدر.
(١١) في المصدر: الخلاف.
(١٢) الآية ٣٠ من سورة الزمر.
(١٣) في المصدر: تقدمه.

أمنع جواز موته، وإنما منعت وقوع موته الآن، وجوزته في المستقبل، والآيات إنما تدل علىٰ جواز الموت فقط لا علىٰ تخصيصه بحال معينة.

وبعد؛ كيف دخلت هٰذه الشبهة البعيدة علىٰ عمر من بين سائر الخلق!! ومن أين زعم أنه سيعود فيقطع أيدي رجال وأرجلهم!! وكيف لم يحصل له من اليقين لما رأىٰ من الواعية وكآبة الخلق، وإغلاق الباب، وصراخ النساء، ما يدفع ذٰلك الوهم والشبهة البعيدة فلم يحتج إلىٰ موقف.

وبعد؛ فيجب ـ إن كانت هٰذه شبهته ـ أن يقول في [حال](١) مرض النبيﷺ وقد رأىٰ جزع أهله وخوفهم عليه الموت(٢)، وقول أسامة صاحب الجيش: لم أكن لأرحل وأنت هكذا، وأسأل عنك الركب: يا هٰؤلاء لا تخافوا ولا تحزنوا(٣)، ولا تخف أنت يا أسامة فإن رسول اللهﷺ لا يموت الآن لأنه لم يظهر علىٰ الدين كله.

وبعد؛ فليس هٰذا من أحكام الكتاب التي يعذر من لا يعرفها علىٰ ما ظن المعتزلة(٤).

قال(٥): قلت: ونحن نقول: إن عمر كان أجل قدرا من أن يعتقد ما ظهر عنه في هٰذه الواقعة، ولكنه لما علم أن رسول اللهﷺ قد مات خاف من وقوع فتنة في الإمامة، وتقلب أقوام عليها، أما من الأنصار أو غيرهم، وخاف أيضا من حدوث ردة، ورجوع عن الإسلام، فإنه كان ضعيفا بعد لم يتمكن، وخاف من غارت(٦) لم تشن، ودماء تراق، فإن أكثر العرب كان موتورا(٧) في حياة رسول اللهﷺ لقتل من قتل أصحابه منهم، وفي مثل تلك(٨) الحال تنتهز الفرصة، وتهتبل(٩) الغرة(١٠)، فاقتضت المصلحة عنده تسكين الناس بأن أظهر ما

---

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: الوفاة.

(٣) في المصدر: تجزعوا.

(٤) في المصدر: المعتذر له.

(٥) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص٤٢).

(٦) في المصدر: ترات.

(٧) من الوتر له ظلامة في دم (كتاب العين: ج٨، ص١٣٢).

(٨) في المصدر: ذلك.

(٩) تكثل (كتاب العين: ج٤، ص٥٣).

(١٠) قال ابن قتيبة في غريب الحديث (ج١، ص٤٢): التي يودى بها الجنين، وهي أفضل ما يمكلك الرجل.

أظهر من كون رسـول اللهﷺ لم يمت، وأوقع تلك[١] الشبهة في قلوبهم، فكسر بها شرة كثير منهم، وظنو بها[٢] حقا، فثناهم بذلك عن حادث يحدثونه، تخيلا منهم أن رسـول اللهﷺ ما مات، وإنما غاب كما غاب موسىٰ عـن قومه، وهكذا كان عمـر يقول لهم: إنـه قد غاب عنكـم كما غاب موسىٰ عن قومـه، وليعودن فليقطعن أيدي قوم أرجفوا بموته.

ومثل هٰـذا الكلام يقع فـي الوهـم، فيصد عن كثير مـن العـزم، ألا ترىٰ أن الملك إذا مات في مدينة وقع فيها في أكثر الأمر نهب وفساد وتحريق، وكل من في نفسه حقد علىٰ آخر بلغ منه غرضه، إما بقتل أو جرح أو نهب مال، إلىٰ أن تتمهد قاعدة الملك الذي يلي بعده، فإذا كان في المدينة وزير حازم الرأي، كتم موت الملك، وسـجن قوما ممن أرجـف [نداء][٣] بموتـه، وأقام فيهم السياسـة، وأشاع أن الملك حي، وان أمره وكتبه نافذة، ولا يزال يلزم ذٰلك الناس[٤] إلىٰ أن يمهد قواعد[٥] الملـك الوالي بعده، فكذلك[٦] عمر أظهر ما أظهر حراسـة للدين والدولة، إلـىٰ أن جاء أبو بكر وكان غائبا بالسـنح، وهو منزل بعيـد عن المدينة، فلما اجتمع بأبي بكر قوىٰ به جأشـه[٧]، واشـتد به أزره[٨]، وعلـم[٩] طاعة الناس له وميلهم إليه، فسـكت حينئذ عن تلك الدعوىٰ التـي كان ادعاها، لأنه قد أمن بحضور أبي بكر من خطب يحدث، أو فسـاد يتجدد، وكان أبـو بكر محببا إلىٰ الناس، لا سيما المهاجرين.

ويجـوز عند الشـيعة وعنـد أصحابنا أيضـا أن يقول الإنسـان كلامـا ظاهره الكذب علىٰ جهـة المعاريـض[١٠]، فلا وصمـة علـىٰ عمـر إذا [كان][١١] حلف أن

(١) في المصدر: ذلك. (٢) في المصدر: وظنوها.
(٣) من المصدر. (٤) في المصدر: الناموس.
(٥) في المصدر: قاعدة. (٦) في المصدر: وكذلك. (٧) روعه إذا اضطرب عند الفزع (الصحاح: ج٣، ص٩٩٧). (٨) ظهره (كتاب العين: ج٧، ص٣٨٢) وقوته (الصحاح: ج٢، ص٥٧٨).
(٩) في المصدر: وعظم.
(١٠) قال الشربيني في مغني المحتاج (ج٤، ص٣٢١) قال عمر: في المعاريض ما يغني المسلم عن الكذب (انتهى)، والمعاريض في الكلام هي التورية عن الشيء بالشيء (معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ص٣٩٥) وقال الجزائري في التحفة السنية (ص٧٩): (المعاريض) هي جمع معراض كمفتاح، الكلمات الموري فيها بالقصد إلى معنى غير ما يتبادر إلى الفهم من ظاهر اللفظ من غير ضرورة دينية أو الدنيوية، والمراد بها المصلحة الراجحة شرعا أو عقلا وإن لم تبلغ حد الإضطرار.
(١١) من المصدر.

رسول الله ﷺ لم يمت، ولا وصمة عليه في قوله بعد حضور أبي بكر وتلاوة ما تلا: (كأني لم أسمعها)، أو: (قد تيقنت الآن وفاته عليه السلام)، لأنه أراد بهٰذا القول الأخير تشييد القول الأول، وكان هو الصواب، وكان من سيء الرأي وقبيحه أن يقول: إنما قلته تسكينا لكم، ولم أقله عن اعتقاد، فالذي بدأ به حسن وصواب، والذي ختم به أحسن وأصوب.

قال: وروىٰ أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري، في كتاب السقيفة[1]، عن عمر بن شبة، عن محمد بن منصور، عن جعفر بن سفيان[2]، عن مالك بن دينار، قال: كان رسول الله[3] ﷺ قد بعث أبا سفيان ساعيا [فرجع][4] من سعايته، وقد مات رسول الله ﷺ فلقيه قوم فسألهم، فقالوا: مات رسول الله ﷺ.. فقال: من ولي بعده؟ قيل: أبو بكر.. قال: أبو فضيل!! قالوا: نعم.. قال: فما فعل المستضعفان علي والعباس، أما والذي نفسي بيده لأرفعن لهما من أعضادهما[5].

قال: قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز[6]، وذكر الراوي وهو جعفر بن سليمان: أن أبا سفيان قال شيئا آخر لم تحفظه الرواة، فلما قدم المدينة قال: إني لأرىٰ عجاجة لا يطفئها إلا الدم.. قال: فكلم عمر أبا بكر، فقال: إن أبا سفيان قد قدم، وإنا لا نأمن شره، فدع له ما في يده.. فتركه ورضي[7].

وروىٰ أحمد بن عبدالعزيز[8]: أن أبا سفيان قال لما بويع عثمان: كان هٰذا الأمر في تيم، وإني لتيم هٰذا الأمر! ثم صار إلىٰ عدي فأبعد وأبعد، ثم رجعت إلىٰ مباركها[9]، واستقر الأمر قراره، فلتقفوها تلقف الكرة.

وروىٰ أحمد بن عبدالعزيز[10]، قال: وحدثني المغيرة بن محمد المهلبي، قال: ذاكرت إسماعيل بن إسحاق القاضي بهٰذا الحديث، وأن أبا سفيان قال

---

(١) السقيفة وفدك (ص٣٩). (٢) في المصدر: سليمان.
(٣) في المصدر: النبي.
(٤) من المصدر.
(٥) من العضد، وهو: ما بين المرفق إلى الكتف، الذي يتقوى به الإنسان، والمراد هنا الأنصار والمساعدون.
(٦) في كتابه السقيفة وفدك (ص٣٩).
(٧) في المصدر: فرضي.
(٨) في كتابه السقيفة وفدك (ص٣٩).
(٩) في المصدر: منازلها.
(١٠) في كتابه السقيفة وفدك (ص٤٠).

لعثمان: بأبي أنت، أنفق ولا تكن كأبي جعفر[١]، وتداولوها يا بني أمية تداول الولدان الكرة، فوالله ما من جنة ولا نار.. وكان الزبير حاضرا، فقال عثمان لأبي سفيان: أعزب.. فقال: يا بني؛ أها هنا أحد.. قال ابن الزبير: نعم والله لا كتمتها[٢] عليك.. قال: فقال إسماعيل: هٰذا باطل.. قلت: وكيف ذلك؟ قال: ما أنكر هٰذا من أبي سفيان، ولكن أنكر أن يكون سمعه عثمان ولم يضرب عنقه.

وروىٰ أحمد بن عبدالعزيز[٣]، قال: جاء أبو سفيان إلىٰ عليعليه السلام، فقال: غلبكم[٤] علىٰ هٰذا الأمر أذل بيت في قريش، أما والله لئن شئت لأملأنها [الضرورة إلىٰ ملازمة المجلس إلىٰ أن تقوض الناس واحدا فواحدا، فلما لم يبق إلا غلمانه وحجابه، دعا بالطعام، فلما أكلنا وغسل يديه وانصرف عنه أكثر][٥] علىٰ أبي فضيل خيلا ورجلا.

فقال عليعليه السلام: طالما غششت الإسلام وأهله فما ضررتهم شيئا! لا حاجة لنا إلىٰ خيلك ورجلك، لو لا أنا رأينا أبا بكر لها أهلا ما تركناه.

وروىٰ أحمد بن عبدالعزيز[٦]، قال: لما بويع لأبي بكر كان الزبير والمقداد يختلفان في جماعة من الناس إلىٰ علي[عليه السلام]، وهو في بيت فاطمة[عليها السلام]، فيتشاورون ويتراجعون أمرهم[٧]، فخرج عمر حتىٰ دخل علىٰ فاطمةعليها السلام، وقال: يا بنت رسول الله؛ ما من[٨] أحد من الخلق أحب إلينا [من أبيك، وما من أحد أحب][٩] إلينا منك بعد أبيك، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هٰؤلاء النفر عندك أن آمر بتحريق البيت عليهم.

فلما خرج عمر جاءوها، فقالت: **«تعلمون أن عمر جاءني، وحلف لي بالله إن عدتم ليحرقن عليكم البيت، وأيم الله ليمضيين لما حلف له، فانصرفوا عنا راشدين»**.

---

(١) في المصدر: حجر.
(٢) في المصدر: لأكتمها.
(٣) في كتابه السقيفة وفدك (ص٤٠).
(٤) في المصدر: وليتم.
(٥) من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.
(٦) في كتابه السقيفة وفدك (ص٤٠).
(٧) في المصدر: أمورهم.
(٨) في المصدر: تأمني.
(٩) من المصدر.

فلم يرجعوا إلىٰ بيتها[عليها السلام] وذهبوا فبايعوا لأبي بكر.

وقال: وروىٰ أحمد[١]: وروىٰ المبرد في الكامل[٢] صدر [هذا][٣] الخبر عن عبدالرحمن بن عوف، قال: دخلت علىٰ أبي بكر أعوده في مرضه الذي مات فيه، فسلمت، وسألته: كيف به؟ فاستوىٰ جالسا، فقلت: [لقد][٤] أصبحت بحمد الله بارئا.. فقال: أما أني علىٰ ما ترىٰ لوجع، وجعلتم لي معشر المهاجرين شغلا مع[٥] وجعي، وجعلت لكم عهدا مني من بعدي، واخترت لكم خيركم في نفسي، فكلكم ورم لذلك أنفه رجاء أن يكون الأمر له، ورأيتم الدنيا قد أقبلت، والله لتتخذن ستور الحرير، ونضائد الديباج[٦]، وتألمون[٧] ضجائع الصوف الأذري[٨]، كأن أحدكم علىٰ حسك السعدان[٩]، والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير[١٠] له من أن يسبح في غمرة الدنيا، وإنكم غدا لأول ضال بالناس تخورون[١١] بهم عن الطريق يمينا وشمالا، يا هادي[١٢] الطريق جرب[١٣] إنما هو البحر أو الفجر[١٤].

فقال له عبدالرحمن: لا تكثرن[١٥] علىٰ ما بك فيهيضك[١٦]، والله ما أردت إلا خيرا، وإن صاحبك لذي خبره[١٧]، وما الناس إلا رجلان: رجل رأىٰ ما رأيت، فلا خلاف عليك منه، ورجل رأىٰ غير ذلك، وإنما يشير عليك برأيه.

---

(١) في كتابه السقيفة وفدك (ص٤١). (٢) طبعة شرح المرصفي (ج١، ٥٤) وفي الأصل (ج١، ص١٣٠).

(٣) من المصدر. (٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: على.

(٦) الوسادة وما ينضد من المتاع من الديباج.

(٧) في المصدر: وقائلون.

(٨) في المصدر: الأذربي، وهو منسوب إلى أذربيجان.

(٩) السعدان: نبت كثير الحسك، أي: الشوك.

(١٠) في المصدر: لخير.

(١١) في المصدر: يجورون.

(١٢) في المصدر: يا هاوي.

(١٣) في المصدر: جرت.

(١٤) قال المبرد في الكامل: يعني من قوله هذا: إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك، وإن خبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المكروه.

(١٥) في المصدر: لا تكثر.

(١٦) يؤذيك.

(١٧) في المصدر: لذو خير.

فسكن وسكت هنيئة، فقال عبدالرحمن: ما أرىٰ بك بأسا والحمد لله، فلا بأس[1] علىٰ الدنيا، فوالله إن علمناك إلا صالحا مصلحا.

فقال: أما أني لا آسي إلا علىٰ ثلاث فعلتهن، وودت أني لم أفعلهن، وثلاث لم أفعلهن وددت أني فعلتهن، وثلاث وددت أني سألت رسول اللهﷺ عنهن.

فأما الثلاث التي فعلتها وددت أني لم أكن فعلتها: وددت أني لم أكن كشفت عن بيت فاطمة[عليها السلام] وتركته ولو أغلق علىٰ حرب، وودت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: عمر أو أبي عبيدة، فكان أميرا وكنت وزيرا، وودت أني إذ أتيت بالفجاءة[2] لم أكن أحرقته، وكنت قتلته بالحديد أو أطلقته[3].

وأما الثلاث التي تركتها وددت أني فعلتها: فوددت أني يوم أتيت بالأشعث[4] كنت ضربت عنقه، فإنه تخيل[5] إليّ أنه لا يرىٰ شرا إلا أعان عليه، وودت أني حيث وجهت خالدا إلىٰ أهل الردة[6] أقمت بذي القصة[7]، فإن ظفر المسلمون وإلا كنت ردءا لهم، ووددت حيث وجهت خالدا إلىٰ الشام كنت وجهت عمر إلىٰ العراق، فأكون قد بسطت كلتا يدي اليمين والشمال في سبيل الله.

وأما الثلاث اللواتي وددت أني كنت سألت رسول اللهﷺ عنهن: فوددت أني سألته فيمن هٰذا الأمر فكنا لا ننازعه أهله، [وودت أني كنت سألته هل للأنصار في هٰذا الأمر نصيب][8]، وودت أني سألته عن ميراث العمة وابنة الأخت، فإن في نفسي منها حاجة[9].

(١) في المصدر: تأس. (٢) يعني به: إياس بن عبدالله بن عبد ياليل السلمي (تاريخ الطبري: ج٣، ص٢٣٤).

(٣) وفي تاريخ اليعقوبي (ج٢، ص١٣٧): إما أن أكون قتلته سريحا أو أطلقته نجيحا.

(٤) الأشعث بن قيس الكندي، الذي كان زنديقا. (٥) في المصدر: يخيل.

(٦) في اصطلاحه مالك بن نويرة وقومه الذين أنكروا خلافته وامتنعوا من اعطاء الصدقات إلى عامله.

(٧) في المصادر: كنت قدمت إلى قربه أو قرية، إلا أن في المصدر: (ذي قصة) وهو موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا، وهو طريق الربذة (معجم البلدان: ج٤، ص٣٦٦)

(٨) من المصدر.

(٩) هذا الخبر أورده جمهور علماء العامة، ومن بين مصادره: الإمامة والسياسة (ج١، ص١٨) والأموال (ص١٣١) وتاريخ الطبري (ج٤، ص٥٢) والعقد الفريد (ج٢، ص٢٥٤) ومروج الذهب (ج١، ص٤١٤) وغيرها.

وفي[١] كتاب معاوية المشهور إلىٰ علي عليه السلام: وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلا علىٰ حمار، ويداك في يدي ابنيك حسن وحسين[٢] يوم بويع أبو بكر الصديق، فلم تدع أحدا من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلىٰ نفسك، ومشيت عليهم[٣] بامرأتك، وأدليت إليهم بابنيك، واستنصرتهم علىٰ صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة، ولعمري لو كنت محقا لأجابوك، ولكنك ادعيت باطلا، وقلت ما لا يعرف، ورمت ما لا تدرك[٤]، ومهما تنسىٰ[٥] فلا أنسىٰ قولك لأبي سفيان، لما حركك وهيجك: «**لو وجدت أربعين ذوي عزم [منهم]**[٦] **لناهضت القوم، فما يوم المسلمين منك بواحد، ولا بغيك علىٰ الخلفاء بطريف ولا مستبدع**»[٧].

وسنذكر تمام هٰذا الكتاب وأوله عند انتهائنا إلىٰ كتب علي عليه السلام.

وروىٰ أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري[٨]، عن أبي المنذر هشام بن محمد السائب، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: كان بين العباس وعلي[عليه السلام] مباعدة، فلقي ابن عباس عليا[عليه السلام]، فقال: إن كان لك في النظر إلىٰ عمك حاجه فإته، وما أراك تلقاه بعدها.

فوجم[عليه السلام] لها، فقال[٩]: «**تقدمني واستأذن لي**».. قال: فتقدمته واستأذنت له، فأذن فدخل، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه، وأقبل علي عليه السلام علىٰ يده ورجله يقبلهما، ويقول: «**يا عم؛ ارض عني رضي الله عنك**».. قال: قد رضيت عنك.

ثم قال: يا ابن أخي؛ قد أشرت عليك بأشياء ثلاثة فلم تقبل، ورأيت في عاقبتها ما كرهت، وها أنا ذا أشير عليك برأي رابع، فإن قبلته وإلا نالك ما نالك مما كان قبله.

---

(١) في المصدر: ومن.

(٢) في المصدر: الحسن والحسين.

(٣) في المصدر: إليهم.

(٤) في المصدر: يدرك.

(٥) في المصدر: نسيت.

(٦) من المصدر.

(٧) كتاب صفين (ص١٨٢).

(٨) في كتابه السقيفة وفدك (ص٤٤).

(٩) في المصدر: وقال.

قال: وما ذاك يا عم؟ قال: أشرت عليك في مرض رسول الله ﷺ أن تسأله، فإن كان الأمر فينا أعطاناه، وإن كان في غيرنا أوصىٰ بنا.. فقلت: أخشىٰ إن منعناه لا يعطيناه أحد بعده، فمضت تلك، فلما قبض رسول الله ﷺ أتانا أبو سفيان بن حرب تلك الساعة فدعوناك إلىٰ أن نبايعك، وقلت لك: ابسط يدك أبايعك ويبايعك هٰذا الشيخ، فإنا إن بايعناك لم يختلف عليك أحد من بني عبدمناف، وإذا بايعك بنو عبدمناف لم يختلف عليك أحد من قريش، وإذا بايعتك قريش لم يختلف عليك أحد من العرب.. فقلت: لنا بجهاز رسول الله ﷺ شغل، وهٰذا الأمر فليس يخشىٰ[1] عليه، فلم نلبث أن سمعنا التكبير من سقيفة بني ساعدة، فقلت: يا عم؛ ما هذا؟ قلت: ما دعوناك إليه فأبيت.. قلت: سبحان الله، أو يكون هذا؟ قلت: نعم. قلت: أفلا يرد؟ قلت لك: وهل يرد[2] مثل هٰذا قط، ثم أشرت عليك حين طعن عمر، فقلت: لا تدخل نفسك في الشورىٰ، فإنك إن اعتزلتهم قدموك، وإن ساويتهم تقدموك، فدخلت بينهم[3]، فكان ما رأيت.

ثم أنا الآن أشير عليك برأي رابع، فإن قبلته وإلا نالك ما نالك مما كان من قبله، إني أرىٰ أن هٰذا الرجل ـ يعني: عثمان ـ قد أخذ في أمور، والله لكأني بالعرب قد سارت إليه حتىٰ ينحر في بيته كما ينحر الجمل، والله إن كان ذٰلك وأنت بالمدينة ليرمينك[4] الناس به، وإذا[5] كان ذٰلك لم تنل من الأمر شيئا إلا من بعد شر لا خير معه.

قال عبدالله بن عباس: فلما كان يوم الجمل عرضت له وقد قتل طلحة، وقد أكثر أهل الكوفة في سبه وغمضه[6]، فقال علي عليه السلام: أما والله لئن قالوا ذٰلك لقد كان كما قال أخو جعفي[7] شعرا:

---

(١) في المصدر: نخشى.

(٢) في المصدر: رد.

(٣) في المصدر: معهم.

(٤) في المصدر: ألزمك.

(٥) في المصدر: وإن.

(٦) تجاهله (كتاب العين: ج ٤، ص ٣٧٠).

(٧) سلمة بن يزيد بن مشجعة بن المجمع بن مالك بن كعب بن سعد بن عوف بن حريم جعفي الجعفي (الإصابة: ج ٣، ص ١٣١).

فـتىً كان يـدنـيـه الـغـنىٰ مـن صـديـقـه
إذا مـا هـو اسـتـغـنىٰ ويـبـعـده الـفـقـر[١]

ثم قال: والله لكأن عمي كان ينظر من وراء ستر رقيق، والله ما نلت من هٰذا الأمر شيئا إلا بعد شر لا خير معه.

وروىٰ أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز[٢]، عن حباب بن يزيد، عن جرير عن[٣] المغيرة، أن سلمان والزبير والأنصار كان هواهم أن يبايعوا عليا عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله، فلما بويع أبو بكر، قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: أصبتم الخبرة وأخطأتم المعدن.. وفي نسخة: أصبتم الجزة[٤].

قال أبو بكر[٥]: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا علي بن أبي هاشم، قال: حدثنا عمرو بن ثابت، [عن حبيب بن أبي ثابت، قال][٦]: قال سلمان يومئذ: أصبتم ذا السن منكم، وأخطأتم أهل بيت نبيكم، لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم اثنان، ولأكلتموها رغدا.

قال أبو بكر[٧]: وأخبرنا عمر بن شبة، قال: حدثني محمد بن يحيىٰ، قال: حدثنا غسان بن عبدالحميد، قال: لما أكثر [الناس][٨] في تخلف علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر، واشتد أبو بكر وعمر عليه في ذلك، خرجت له [أم][٩] مسطح بن أثاثة[١٠]، فوقفت عند القبر، وقالت شعرا:

كانـت أمـورا وأنـبـاء وهـنـبـثـة[١١]
لـو كان[١٢] شـاهـدهـا لم تـكـثر الخـطـب

(١) الكامل للمبرد (ج١، ص٢٧٩). (٢) في كتابه السقيفة وفدك (ص٤٥).
(٣) في المصدر: بن. (٤) تعبير كنائي، والجزة بالكسر هي ما يجز من صوف الشاة في كل سنة، وهو الذي لم يستعمل بعد ما جز (النهاية: ج١، ص٢٦٨).
(٥) في كتاب السقيفة وفدك (ص٤٦) .
(٦) من المصدر.
(٧) في كتابه السقيفة وفدك (ص٤٦).
(٨) من المصدر.
(٩) من المصدر.
(١٠) مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبدمناف، وهي: سلمى بنت أبي رهم بن المطلب بن عبدمناف بن قصي، وأمها: ربطة بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة (الاستيعاب: ج٣، ص٤٧٠).
(١١) أمور شديدة مختلفة.
(١٢) في المصدر: لو كنت.

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها
واختل أهلك[1] فاشهدهم ولا تغب

قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز[2]: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، عن ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، قال: غضبت[3] رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة، وغضب علي[عليه السلام] والزبير، فدخلا بيت فاطمة[عليها السلام]، معهما السلاح، فجاء عمر في عصابة، فيهم[4]: أسيد بن خضير، وسلمة بن سلامة بن قس[5]، وهما من بني عبدالأشهل، فصاحت فاطمةعليها السلام وناشدتهما[6] الله، فأخذوا سيفي علي والزبير، فضربوا بهما الجدار حتىٰ كسروهما، ثم أخرجهما عمر يسوقهما حتىٰ بايعا، ثم قام أبو بكر فخطب الناس واعتذر إليهم، وقال: إن بيعتي كانت فلتة وقىٰ الله شرها، وخشيت الفتنة، وأيم الله ما حرصت عليها يوما قط، ولقد قلدت أمرا عظيما ما لي به طاقة ولا يد[7]، ولوددت أن أقوىٰ الناس عليه مكاني.

وجعل يعتذر إليهم، فقبل المهاجرون عذره.

وقال علي[عليه السلام] والزبير: ما غضبنا إلا في المشورة، وإنا لنرىٰ أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف له سنة، ولقد أمره رسول اللهصلى الله عليه وآله بالصلاة بالناس وهو حي.

قال أبو بكر[8]: وقد روي بإسناد آخره ذكره: أن ثابت بن قيس بن شماس كان مع الجماعة الذين حضروا مع عمر في بيت فاطمةعليها السلام، وثابت هٰذا أخو بني الحرث[9] ابن الخزرج.

وروي أيضا: أن محمد بن مسلمة كان معهم، وإن محمدا هو الذي كسر سيف الزبير[10].

---

(١) في المصدر: قومك.
(٢) في كتابه السقيفة وفدك (ص٤٦).
(٣) في المصدر: غضب.
(٤) في المصدر: منهم.
(٥) في المصدر: وقش.
(٦) في المصدر: وناشدتهم.
(٧) في المصدر: يدان.
(٨) في كتابه السقيفة وفدك (ص٤٧).
(٩) في المصدر: الحارث.
(١٠) تاريخ الإسلام للذهبي (ج٣، ص١٢).

قال أبو بكر[١]: وحدثني يعقوب بن شيبة، عن أحمد بن أيوب، عن إبراهيم بن سعد، عن ابن إسحاق، عن الزهري، (عن عبدالله بن كعب بن مالك)[٢]، عن عبدالله بن عباس، قال: خرج عليعليه السلام علىٰ الناس من عند رسول اللهصلى الله عليه وآله في مرضه، فقال له الناس: كيف أصبح رسول اللهصلى الله عليه وآله يا أبا الحسن؟ قال[عليه السلام]: «**أصبح بحمد الله بارئا**».

قال: فأخذ العباس بيد عليعليه السلام، ثم قال: يا علي؛ أنت عبد العصا[٣] بعد ثلاث، احلف لقد رأيت الموت في وجهه ـ وإني لأعرف الموت في وجوه بني عبدالمطلب ـ فانطلق إلىٰ رسول اللهصلى الله عليه وآله فاذكر له هٰذا الأمر، إن كان فينا أعلمنا، وإن كان في غيرنا أوصىٰ بنا.

فقال[عليه السلام]: «**لا أفعل، والله إن منعناه اليوم لا يؤتيناه الناس بعده**».

قال: فتوفىٰ رسول الله[صلى الله عليه وآله] ذٰلك اليوم.

وقال أبو بكر[٤]: حدثني المغيرة بن محمد المهلبي من حفظه، وعمر بن شبة من كتابه، بإسناد رفعه إلىٰ أبي سعيد الخدري، قال: سمعت البراء بن عازب يقول: لم أزل لبني هاشم محبا، فلما قبض رسول اللهصلى الله عليه وآله تخوفت أن تتمالأ قريش علىٰ إخراج هٰذا الأمر عن بني هاشم، فأخذني ما يأخذ الواله العجول.

ثم ذكر ما ذكرناه نحن في أول هٰذا الكتاب في شرح قولهعليه السلام: «**أما والله لقد تقمصها فلان**»، وزاد في هٰذه الرواية: فمكثت أكابد ما في نفسي، فلما كان بليل، خرجت إلىٰ المسجد، فلما صرت فيه تذكرت أني كنت أسمع همهمة رسول اللهصلى الله عليه وآله بالقرآن، فامتنعت من بكائي[٥]، فخرجت نحو[٦] الفضاء فضاء بني بياضة[٧] وأجد نفرا يتناجون، فلما دنوت منهم سكتوا، فلما رأيتهم سكتوا

(١) في السقيفة وفدك (ص٤٨).

(٢) غير موجودة في المصدر.

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري (ج٨ ص١٠٩): هٰذا الكلام أو التعبير كناية عمن يصير تابعا لغيره، والمعنى: أنهصلى الله عليه وآله يموت بعد ثلاث وتصير أنت مأمورا عليك.

(٤) في كتابه السقيفة وفدك (ص٤٨).

(٥) في المصدر: مكاني.

(٦) في المصدر: إلى.

(٧) وهم قبيلة من الأنصار.

انصرفت عنهم، فعرفوني وما عرفتهم[١]، فدعوني إليهم، فأتيتهم، فأجد المقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وأبا ذر، وحذيفة، وأبا الهيثم بن التيهان، وإذا حذيفة يقول لهم: والله ليكونن ما أخبرتكم به، والله ما كذبت ولا كذبت، وإذا القوم يريدون أن يعيدوا الأمر شورىٰ بين المهاجرين والأنصار.

ثم قال: ائتوا أبي بن كعب، فقد علم كما[٢] ما علمت.

قال: فانطلقنا إلىٰ أبي بن كعب، فضربنا عليه بابه، حتىٰ صار خلف الباب، فقال: من أنتم؟ فكلمه المقداد، فقال: ما حاجتكم؟ فقال: افتح عليك بابك، فإن الأمر أعظم من أن يجري من وراء حجاب.. قال: ما أنا بفاتح بابي، وقد عرفت ما جئتم له، كأنكم أردتم النظر في هٰذا العقد، فقلنا: نعم. فقال: أفيكم حذيفة؟ فقلنا: نعم.. قال: فالقول ما قال، وبالله ما أفتح عني بابي حتىٰ تجري عليّ ما هي جارية، ولما يكون بعدها شر منها، وإلىٰ الله المشتكىٰ.

قال: فبلغ[٣] الخبر أبا بكر وعمر، فأرسلا إلىٰ أبي عبيدة والمغيرة بن شعبة، فسألاهما عن الرأي، فقال المغيرة: أن تلقوا العباس فتجعلوا له في هٰذا الأمر نصيبا، [فـ][٤]يكون له ولعقبه، فتقطعوا به من ناحية علي، ويكون لكم حجة عند الناس علىٰ علي[عليه السلام]، إذا مال معكم العباس.

[فانطلقوا حتىٰ دخلوا علىٰ العباس][٥] في الليلة الثانية من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم ذكر خطبة أبي بكر، وكلام عمر، وما أجابهما العباس به.

قال: [ورویٰ][٦] أبو بكر[٧]، قال: أخبرنا أحمد بن إسحاق بن صالح، قال: حدثنا عبدالله بن عمر، عن حماد بن زيد، عن يحيىٰ بن سعيد، عن القاسم بن محمد، قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وآله اجتمعت الأنصار إلىٰ سعد بن عبادة، فأتاهم

---

(١) في المصدر: أعرفهم.
(٢) في المصدر: كل.
(٣) في المصدر: وبلغ.
(٤) من المصدر.
(٥) من المصدر.
(٦) من المصدر.
(٧) في كتابه السقيفة وفدك (ص٥١).

أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، فقال الحباب بن المنذر: منا أمير ومنكم أمير، إنا والله ما ننفس هٰذا الأمر عليكم أيها الرهط، ولكنا نخاف أن يليه بعدكم من قتلنا أبناءهم وآباءهم وإخوانهم.

فقال عمر بن الخطاب: إذا [كان][1] ذٰلك قمت إن استطعت.

فتكلم أبو بكر فقال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، والأمر بيننا نصفان كشق الأنملة[2].

فبويع، وكان أول من بايعه: بشير بن سعد، والد النعمان بن أبي بشير.

فلما اجتمع الناس علىٰ أبي بكر قسم قسما بين نساء المهاجرين والأنصار، فبعث إلىٰ امرأة من بني عدي بن النجار قسمها مع زيد بن ثابت، فقالت: ما هذا؟ قال: قسم قسمه أبو بكر للنساء.. قالت: أتراشونني عن ديني، والله لا أقبل منه شيئا.. فردته عليه.

قال[3]: قلت: قرأت هٰذا الخبر علىٰ أبي جعفر يحيىٰ بن محمد العلوي الحسيني المعروف بابن [أبي][4] زيد نقيب البصرة (رحمه الله [تعالىٰ][5]) في سنة عشر وستمائة، من كتاب السقيفة لأحمد بن عبدالعزيز الجوهري، فقال: لو[6] صدقت فراسة الحباب، فإن الذي خافه وقع يوم الحرة، وأخذ من الأنصار ثأر المشركين يوم بدر.

ثم قال لي (رحمه الله [تعالىٰ][7]): ومن هٰذا أيضا خاف[8] رسول الله صلى الله عليه وآله عن[9] ذريته وأهله، فكأنه[10] كان عليه السلام قد وتر الناس، وعلم أنه إن مات وترك ابنته وولدها سوقة ورعية تحت أيدي الولاة، كانوا بعرض خطر عظيم، فما زال يقرر

(١) من المصدر.
(٢) في المصدر: الابلمة.
(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص٥٣).
(٤) من المصدر.
(٥) من المصدر.
(٦) في المصدر: لقد.
(٧) من المصدر.
(٨) في المصدر: خاف أيضا.
(٩) في المصدر: على.
(١٠) في المصدر: فإنه.

لابن عمه قاعدة الأمر بعده، حفظا لدمه ودماء أهل بيته، فإنهم إذا كانوا ولاة الأمر كانت دماؤهم أقرب إلىٰ الصيانة والعصمة مما إذا كانوا سوقة تحت يد وال من غيرهم، فلم يساعده القضاء والقدر، وكان من الأمر ما كان، ثم أفضىٰ أمر ذريته فيما بعد إلىٰ ما [قد][1] علمت.

وقال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز[2]: حدثني يعقوب بن شيبة بإسناد رفعه إلىٰ طلحة بن مصرف، قال: قلت لهذيل بن شرحبيل: إن الناس يقولون: إن رسول اللهﷺ أوصىٰ إلىٰ عليعليه السلام.. فقال: أبو بكر يتأمر علىٰ وصي رسول اللهﷺ!! ود أبو بكر إنه وجد من رسول اللهﷺ عهدا فخزم[3] [أنفه][4].

قال: قلت: [هذا][5] الحديث قد خرجه الشيخان: محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القشيري في صحيحهما[6]، عن طلحة بن مصرف، قال: سألت عبدالله بن أبي أوفىٰ: أوصىٰ[7] رسول اللهﷺ؟ قال: لا.. قلت: فكيف[8] كتب علىٰ المسلمين الوصية؟ أو: كيف[9] أمر بالوصية ولم يوص؟! قال: أوصىٰ بكتاب الله.

قال طلحة: ثم قال ابن أبي أوفىٰ: ما كان أبو بكر يتأمر علىٰ وصي رسول اللهﷺ، ود أبوبكر أنه وجد من رسول اللهﷺ عهدا فخزم أنفه بخزامة.

وروىٰ الشيخان في الصحيحين[10]: عن عائشة، أنه ذكر عندها أن رسول اللهﷺ أوصىٰ، قالت: ومتىٰ أوصىٰ؟ ومن يقول ذلك؟ قيل: إنهم يقولون.. قالت: من يقوله؟ لقد دعا بطشت[11] ليبول وأنه بين سحري ونحري[12]، فانخنث[13] في صدري فمات وما شعرت.

---

(١) من المصدر. (٢) في كتابه السقيفة وفدك (ص٥٢).

(٣) أذل وتسخر (النهاية: ج٢، ص٢٩). (٤) كما في المصدر.

(٥) من المصدر. (٦) صحيح البخاري (ج٤، ص٣) وصحيح مسلم (ج٣، ص١٢٥٦).

(٧) في صحيح مسلم: هل أوصى.

(٨) في صحيح مسلم: فلم.

(٩) في صحيح مسلم: فلم.

(١٠) صحيح البخاري (ج٣، ص١٨٦)، وصحيح مسلم (ج٥، ص٧٥).

(١١) في المصدر: بطست.

(١٢) السحر: الرئة، والنحر: موضع القلادة من الصدر، وهذه العبارة (سحري ونحري) وردت في صحيح البخاري (ج٥، ص١٤٢) وصحيح مسلم (ج٧، ص١٣٧).

(١٣) مال وسقط.

وفي الصحيحين[١] أيضا، خرجاه معا عن ابن عباس أنه كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس!! ثم بكىٰ حتىٰ بل دمعه الحصىٰ، فقلنا: يا ابن عباس؛ وما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله صلّى الله عليه وآله وجعه، فقال[صلّى الله عليه وآله]: «**إئتوني بكتاب أكتب لكم لا تضلوا بعدي أبدا**».. فتنازعوا، فقال: إنه لا ينبغي عندي تنازع.. فقال قائل: ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه.. فذهبوا يعيدون عليه، فقال[صلّى الله عليه وآله]: «**دعوني فالذي[٢] أنا فيه خير من الذي أنتم فيه**»، **ثم أمر بثلاثة أشياء، فقال:** «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم»، وسئل ابن عباس عن الثالثة، فقال: إما ألا يكون تكلم بها، وإما أن يكون قالها فنسيت.

وفي الصحيحين[٣] أيضا خرجاه معا عن ابن عباس (رحمه الله [تعالىٰ][٤]) قال: لما احتضر رسول الله صلّى الله عليه وآله وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب، فقال[٥] النبي صلّى الله عليه وآله: «**[هلم][٦] أكتب لكم كتابا لا تضلون[٧] بعده**».. فقال عمر: إن رسول الله صلّى الله عليه وآله قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله.

فاختلف القوم واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا إليه يكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده.. ومنهم من يقول: [القول][٨] ما قاله عمر.. فلما أكثروا اللغو والإختلاف عنده عليه السلام، قال[صلّى الله عليه وآله] لهم: «**قوموا**».. فقاموا، فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وبين أن يكتب لكم ذلك الكتاب.

قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري[٩]: وحدثني أحمد بن إسحاق بن صالح، قال: حدثني عبدالله بن عمر بن معاذ، عن ابن عون، قال: حدثني رجل من بني زريق: أن عمر كان يومئذ ـ قال: يعني يوم بويع أبو بكر ـ محتجزا يهرول بين يدي أبي بكر ويقول: [ألا][١٠] إن الناس قد بايعوا أبا بكر.

---

(١) صحيح البخاري (ج٤، ص٣١) وصحيح مسلم (ج٥، ص٧٥).
(٢) في المصدر: والذي.
(٣) صحيح البخاري (ج١، ص١٢٠) وصحيح مسلم (ج٥، ص٧٦).
(٤) كما في المصدر.
(٥) في المصدر: قال.
(٦) من المصدر.
(٧) في البخاري: لا تضلوا.
(٨) من المصدر.
(٩) في كتابه السقيفة وفدك (ص٥٢).
(١٠) من المصدر.

قال: فجاء أبو بكر حتىٰ جلس علىٰ منبر رسول اللهﷺ، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: (أما بعد؛ فإني وليتكم ولست بخيركم، ولكنه تنزل[١] القرآن وسنت السنن، وعلمنا فتعلمنا أن أكيس الكيس التقي، وأحمق الحمق الفجور، وإن أقواكم عندي الضعيف حتىٰ آخذ له الحق[٢]، وأضعفكم عندي القوم حتىٰ آخذ منه الحق.. أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمتدع، إذا أحسنت فأعينوني وإذا زغت فقوموني).

قال أبو بكر[٣]: وحدثني أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا أحمد بن معاوية، قال: حدثني النضر بن شهيل[٤]، قال: حدثنا محمد بن عمرو، عن سلمة بن عبدالرحمن، قال: لما جلس أبو بكر علىٰ المنبر كان عليعليه السلام والزبير وناس من بني هاشم في بيت فاطمةعليها السلام، فجاء عمر إليهم، فقال: والذي نفسي بيده لتخرجن إلىٰ البيعة أو لأحرقن البيت عليكم.

فخرج الزبير مصلتا سيفه، فاعتنقه رجل من الأنصار وزياد بن لبيد، فدق به، فبدر السيف، فصاح أبو بكر وهو علىٰ المنبر: اضرب به الحجر.

قال أبو عمرو بن حماس: فلقد رأيت الحجر فيه تلك الضربة.. ويقال: هٰذه ضربة سيف الزبير.

ثم قال أبو بكر: دعوهم فسيأتي الله بهم.. قال: فخرجوا إليه بعد ذٰلك فبايعوه.

قال أبو بكر[٥]: وقد رؤي[٦] في رواية أخرىٰ أن سعد بن أبي وقاص كان معهم في بيت فاطمةعليها السلام والمقداد بن الأسود أيضا، وانهم اجتمعوا علىٰ أن يبايعوا علياعليه السلام، فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت، فخرج إليه الزبير بالسيف، وخرجت فاطمةعليها السلام تبكي وتصيح، فنهنهت[٧] من الناس، وقالوا: ليس عندنا معصية ولا خلاف في خير اجتمع عليه الناس وإنما اجتمعنا لنؤلف القرآن في مصحف واحد.. ثم بايعوا أبا بكر فاستمر الأمر واطمأن الناس.

---

(١) في المصدر: نزل. (٢) في المصدر: بالحق.

(٣) في كتاب السقيفة وفدك (ص٥٢).

(٤) في المصدر: شميل.

(٥) في كتاب السقيفة وفدك (ص٥٣).

(٦) في المصدر: روي.

(٧) كففت وزجرت، أو صيح به ليكف (مجمع البحرين: ج٣، ص١٨١٤).

قال أبو بكر[١]: وحدثنا أبو زيد عن[٢] عمر بن شبة، قال: أخبرنا أبو بكر الباهلي، قال: حدثنا إسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبي، قال: سأل أبو بكر، فقال: أين الزبير؟ فقيل: عند علي عليه السلام وقد تقلد سيفه.. فقال: قم[٣] يا عمر، قم يا خالد بن الوليد، انطلقا حتىٰ تأتياني بهما.

فانطلقا، فدخل عمر وقام خالد علىٰ باب البيت من خارج، فقال عمر للزبير: ما هٰذا السيف؟ فقال: نبايع عليا[عليه السلام].. فاخترطه [عمر][٤]، فضرب به حجرا فكسره، ثم أخذ بيد الزبير فأقامه ثم دفعه، وقال: يا خالد دونكه فأمسكه.. ثم قال لعلي عليه السلام: قم فبايع لأبي بكر.. فتلكأ واحتبس فأخذه بيده، وقال: قم.. فأبىٰ أن يقوم، فحمله ودفعه كما دفعه الزبير، فأخرجه.

ورأت فاطمة[عليها السلام] ما صنع عمر بهما، فقامت علىٰ باب الحجرة، وقالت: **«يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم علىٰ أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله! والله لا أكلم عمر حتىٰ ألقىٰ الله»**.

قال: فمشىٰ إليها أبو بكر بعد ذٰلك فشفع[٥] للعمر، وطلب إليها فرضيت عنه.

قال أبو بكر[٦]: وحدثنا أبو زيد، قال: حدثنا محمد بن حاتم، قال: حدثنا الخزامي[٧]، قال: حدثنا الحسين[٨] بن زيد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: مر عمر بعلي عليه السلام وعنده ابن عباس بفناء داره، فسلم، فسألاه: أين تريد؟ فقال: ما لي بينبع[٩].. قال علي[عليه السلام]: **«أفلا نصل جناحك ونقوم معك»**؟ فقال: بلىٰ.. فقال لابن عباس: قم معه.. قال: فشبك أصبعه في أصابعي،

(١) في كتابه السقيفة وفدك (ص٥٣).
(٢) غير موجودة في المصدر.
(٣) في المصدر: فقم.
(٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: وشفع.
(٦) في كتابه السقيفة وفدك (ص٥٤).
(٧) في المصدر: الحرامي.
(٨) في المصدر: الحسن.
(٩) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (ج٥، ص٤٥٠): بالفتح ثم السكون والباء الموحدة المضمومة، هي عين مهملة، عن يمين رضوى لمن كان منحدرا من المدينة إلى البحر.

ومضىٰ حتىٰ إذا خلفنا البقيع، قال: يا ابن عباس؛ [أما والله][١] إن كان صاحبك هٰذا لأولىٰ[٢] الناس بالأمر بعد وفاة رسول الله[ﷺ] إلا أنا خفناه علىٰ اثنتين.

قال ابن عباس: فجاء بمنطق لم أجد بدا معه من مسألته عنه.. فقلت: يا أمير المؤمنين؛ ما هما؟ قال: خشيناه علىٰ حداثة سنه وحبه بني عبدالمطلب.

قال أبو بكر[٣]: وحدثني أبو زيد، قال: حدثنا هارون بن عمر، بإسناد رفعه إلىٰ ابن عباس (رحمه الله [تعالىٰ][٤]) قال: تفرق الناس ليلة الجابية[٥] عن عمر، فسار كل واحد مع إلفه[٦]، ثم صادفت عمر تلك الليلة في مسيرنا فحادثته، فشكىٰ إلي تخلف علي عليه السلام عنه، وقلت[٧]: ألم يعتذر إليك؟ قال: بلىٰ.. فقلت: هو ما اعتذر به.. قال: يا ابن عباس؛ إن أول من رتبكم عن هٰذا الأمر أبو بكر، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة.. قلت: لم ذاك يا أمير المؤمنين؟ ألم ننلهم خيرا؟ قال: بلىٰ.. ولكنهم لو فعلوا لكنتم عليهم جحفا جحفا[٨].

قال أبو بكر[٩]: وأخبرنا أبو زيد، قال: حدثنا عبدالعزيز بن الخطاب، قال: حدثنا علي بن هاشم[١٠]، مرفوعا إلىٰ عاصم بن عمرو بن قتادة، قال: لقي علي عليه السلام عمر، فقال له علي[عليه السلام]: «**أنشدك الله، هل استخلفك رسول الله**ﷺ»؟ قال: لا.. قال[عليه السلام]: «**فكيف تصنع أنت وصاحبك**»؟ قال: أما صاحبي فقد مضىٰ لسبيله، وأما أنا فسأخلعها من عنقي إلىٰ عنقك، فقال[عليه السلام]: «**جذع[١١] الله أنف من ينقذك منها، لكني[١٢] جعلني الله علما، فإذا قمت فمن خالفني ضل**».

قال أبو بكر[١٣]: وأخبرنا أبو زيد، عن هارون بن عمر، عن محمد بن سعيد عن[١٤] الفضل، عن أبيه، عن الحارث بن كعب، عن عبدالله بن أبي أوفىٰ

---

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: أولى.

(٣) في كتابه السقيفة وفدك (ص٥٤). (٤) من المصدر.

(٥) هي قرية من أعمال دمشق خطب فيها عمر. (٦) صاحبه (كتاب العين: ج٨، ص٣٣٦).

(٧) في المصدر: فقلت.

(٨) أي: فخرا فخرا وشرفا شرفا (النهاية: ج١، ص١٤٥).

(٩) في كتابه السقيفة وفدك (ص٥٥).

(١٠) في المصدر: هشام.

(١١) قطع.

(١٢) في المصدر: لا ولكن.

(١٣) في كتابه السقيفة وفدك (ص٥٥).

(١٤) في المصدر: بن.

الخزاعـي، قـال: كان خالد بـن سـعيد بن العاص من عمـال رسـول الله ﷺ على اليمن، فلما قبض رسـول الله ﷺ جاء المدينة، وقد بايع النـاس أبا بكر، فاحتبس عن أبـي بكر فلـم يبايعه أيامـا، وقد بايع النـاس، وأتىٰ بني هاشـم، فقـال: أنتم الظهر والبطن والشـعار دون الدثـار[1]، والعصا دون اللحا[2]، فـإذا رضيتم رضينا، وإذا أسخطتم سخطنا، حدثوني إن كنتم قد بايعتم هٰذا الرجل.

قالوا: نعـم.. قـال: عليّ برد ورضـىٰ مـن جماعتكم.. قالـوا: نعم.. قـال: فأنا أرضىٰ إذا رضيتم وأبايع إذا بايعتم.. أما والله يا بني هاشـم، إنكم الطوال الشجر، الطيب الثمر.

ثم إنه بايع أبا بكر، وبلغت أبـا بكر مقالته فلم يحفل بهـا[3]، واضطغنها[4] عليه عمـر، فلمـا ولاه أبـو بكر الجنـد الذي اسـتنفر إلىٰ الشـام، قال لـه عمر: أتولي خالـدا هٰذا الجند وقـد حبس عليكـم[5] بيعته، وقـال لبني هاشـم ما قال، وقد جاء بورق من اليمن وعبيد وحبشـان ودروع ورماح! مـا أرىٰ أن توليه، وما آمن خلافه.

فانصرف عنه أبو بكـر، وولىٰ أبا عبيدة بـن الجراح، ويزيد بن أبي سـفيان، وشرحبيل بن حسنة.

◻ [الكلام في النص الجلي علىٰ أمير المؤمنين علي عليه السلام]:

واعلم أن الآثار والأخبـار في هٰذا البـاب كثيرة جدا، ومـن تأملها وأنصف، علم أنه لم يكن هنـاك نص صريح ومقطوع به، لا تختلجه الشـكوك ولا تتطرق إليـه الإحتمالات، كمـا تزعم الإماميـة، فإنهم يقولـون إن الرسـول ﷺ نص علىٰ أميـر المؤمنيـن عليه السلام نصـا صريحـا جليـا ليـس بنـص يـوم الغديـر[6]، ولا خبر المنزلة[7]، ولا ما شـابههما من الأخبار الواردة من طرق العامـة وغيرها، بل نص

---

(1) الشعار: ما ولي شعر جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب، والدثار: الثوب الذي فوق الشعار، وهو وصف يوصف للقرب والمودة (كتاب العين: ج١، ص٢٥١). (2) اللحا: قشر العصا أو الشجر.

(3) في المصدر: به. (4) الإضغان هو أن تأخذ الشيء تحت حظنك (كتاب العين: ج٤، ص٣٦٦) أي ضمرها له. (5) في المصدر: عليك. (6) «من كنت مولاه فعلي مولاه» الذي روته جل المصادر.

(7) «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**» المتواتر بين الفريقين، وقال الأمير الناصر في ينابيع النصيحة (ص١٩٥): هو مجمع على صحته وغير مختلف في ثبوته وقال القاضي النعمان في شرح الأخبار (ج١، ص٩٧): إنه خبر مشهور، قد جاء من طرق شتى وثبت.

عليه بالخلافة وبإمرة المؤمنين، وأمر المسلمين أن يسلموا عليه بذلك، فسلموا عليه بها، وصرح لهم في كثير من المقامات بأنه خليفته(١) عليهم من بعده، وأمرهم بالسمع والطاعة له.

ولا ريب أن المنصف إذا سمع ما جرىٰ [لهم](٢) بعد وفاة رسول الله ﷺ يعلم قطعا أنه لم يكن هٰذا النص، ولكنه قد سبق إلىٰ النفوس والعقول أنه قد كان هناك تعريض، وتلويح، وكناية، وقول غير فصيح(٣)، وحكم غير مشوب(٤)، ولعله ﷺ كان يصده عن التصريح بذلك أمر يعلمه، ومصلحة يراعيها، أو وقوف، مع إذن الله تعالىٰ في ذلك.

فأما امتناع علي عليه السلام من البيعة حتىٰ أخرج علىٰ الوجه الذي أخرج عليه، فقد ذكره المحدثون ورواه أهل السير(٥)، وقد ذكرنا ما قاله الجوهري في هٰذا الباب، وهو من رجال الحديث ومن الثقات المأمونين، وقد ذكر [غيره](٦) من هٰذا النحو ما لا يحصىٰ كثرة.

⊡ [ادعاء المعتزلي انفراد الشيعة في مرويات الظلامات]:

فأما الأمور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة من:

- إرسال قنفذ إلىٰ بيت فاطمة عليها السلام، و:
- إنه ضربها بالسوط فصار في عضدها كالدملج(٧) وبقي أثره إلىٰ أن ماتت، و:
- إن عمر أضغطها بين الباب والجدار، فصاحت: يا أبتاه يا رسول الله؛ وألقت جنينا ميتا، و:
- جعل في عنق علي عليه السلام حبل يقاد به وهو يعتل، وفاطمة [عليها السلام] خلفه تصرخ وتنادىٰ بالويل والثبور، وابناه حسن وحسين [عليهما السلام] معهما يبكيان، و:

---

(١) في المصدر: خليفة.

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: صريح.

(٤) في المصدر: مبتوت.

(٥) الإمامة والسياسة (ج١، ص٤).

(٦) من المصدر.

(٧) المعضد (القاموس المحيط: ج١، ص١٨٩).

· إن عليا[عليه السلام] لما أحضر سلموه البيعة فامتنع، فتهدد بالقتل، فقال[عليه السلام]: «**إذن تقاتلون عبدالله وأخا رسول الله!**».. فقالوا: أما عبدالله فنعم، وأما أخو رسول الله فلا.. و:

· أنه طعن فيهم في أوجههم بالنفاق، وسطر صحيفة الغدر التي اجتمعوا عليها، و:

· أنهم[1] أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة.

فكله لا أصل له عند أصحابنا، ولا يثبته أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث، ولا يعرفونه، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله.

[رد المصنف على كلام المعتزلي]:

أقول: الأمر في ما قالته الشيعة مشهور، وإرادة عمر حرق بيت فاطمة[عليها السلام] من تواتر الأخبار مذكور.

الباب العاشر

وهو من الباب الأول

قال[2]: ومن كلام له عليه السلام في معنى الأنصار: قالوا: لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة النبي[3] صلى الله عليه وآله قال عليه السلام: «**ما قالت الأنصار؟**».. قالوا: قالت: منا أمير ومنكم أمير.. فقال عليه السلام: «**فهلا احتججتم عليهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى[4] بأن يحسن إلى محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم؟**».. **قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال** عليه السلام: «لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية لهم[5]».. **ثم قال** عليه السلام: «فماذا قالت قريش؟».. **قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول** صلى الله عليه وآله، **فقال** عليه السلام: «احتجوا بالشجرة، وأضاعوا الثمرة»[6].

---

(١) في المصدر: وبأنهم.
(٢) ابن أبي الحديد المعتزلي في كتابه شرح نهج البلاغة (ج٦، ص٤).
(٣) في المصدر: رسول الله صلى الله عليه وآله.
(٤) في المصدر: وصى.
(٥) في المصدر: بهم.
(٦) نهج البلاغة (طبعة محمد عبده: ج١، ص١١٦).

قال[١] في الشرح[٢]: قد ذكرنا فيما تقدم بعد الخبر طرفا من أخبار السقيفة، فأما هٰذا الخبر الوارد في الوصية بالأنصار فهو خبر صحيح، أخرجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخاري[٣]، ومسلم بن الحجاج القشيري في مسنديهما[٤]، عن أنس بن مالك، قال: مر أبو بكر والعباس (رضي الله تعالىٰ عنهما) بمجلس من مجالس الأنصار في مرض رسول اللهﷺ وهم يبكون، فقالا: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلس[٥] رسول اللهﷺ.

فدخلا علىٰ النبيﷺ وأخبراه بذلك، فخرجﷺ وقد عصب علىٰ رأسه حاشية برد[٦]، فصعد المنبر ـ ولم يصعد بعد ذٰلك اليوم ـ فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**أوصيكم بالأنصار، فإنهم كرشي وعيبتي**[٧]**، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم**»[٨].

وأما كيفية الاحتجاج علىٰ الأنصار فقد ذكرها عليعليه السلام، وهي أنه لو كان (صلوات الله وسلامه عليه) ممن يجعل الإمامة فيهم، لأوصىٰ إليهم ولم يوص بهم.

وإلىٰ هٰذا المعنىٰ نظر عمرو بن سعد[٩] بن العاص، وهو المسمىٰ بـ(الأشدق)، فإن أباه لما مات خلفه غلاما، فدخل إلىٰ معاوية فقال له: إلىٰ من أوصىٰ بك أبوك؟ فقال: إن أبي أوصىٰ إلي ولم يوص بي.. فاستحسن معاوية منه ذلك، فقال: إن هٰذا الغلام لأشدق، فسمي الأشدق.

فأما قول أمير المؤمنين[عليه السلام]: «**احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة**»، فكلام قد يكون[١٠] منهعليه السلام أمثاله، نحو قوله: «**وإذا احتج عليهم المهاجرون بالقرب من**

---

(١) ابن أبي الحديد.

(٢) شرح هٰذا الكلام في كتابه شرح نهج البلاغة (ج٦، ص٤).

(٣) في صحيحه (ج٤، ص٢٢٦).

(٤) صحيح مسلم (١٩٤٩).

(٥) في المصدر: محاسن.

(٦) في المصدر: برد.

(٧) خاصتي وموضع سري (لسان العرب: ج١، ص٦٣٤) وفي النهاية لابن الأثير (ج٤، ص١٦٣): أراد أنهم بطانته وموضع سره وأمانته والذين يعتمد عليهم في أموره.

(٨) المجازات النبوية (ص٧١).

(٩) في المصدر: سعيد.

(١٠) في المصدر: تكرر.

رسول الله صلى الله عليه وآله كانت الحجة لنا على المهاجرين بذلك قائمة، فإن فلجت[1] حجتهم كانت لنا دونهم، وإلا فالأنصار على دعوتهم».

ونحو هذا المعنى قول العباس لأبي بكر: وأما قولك: نحن شجرة رسول الله صلى الله عليه وآله فإنكم جيرانها ونحن أغصانها.

وروى أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري، في كتاب السقيفة[2]، قال: أخبرني أحمد بن إسحاق، قال: حدثنا أحمد بن سيار، قال: حدثنا سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري، أن النبي صلى الله عليه وآله لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قبض، فقال سعد بن عبادة لابنه قيس ـ أو لبعض بنيه ـ: إني لا أستطيع أن أسمع الناس كلامي لمرضي، ولكن تلق مني قولي فأسمعهم.

فكان سعد يتكلم، ويستمع ابنه ويرفع به صوته ليسمع قومه، فكان من قوله بعد حمد الله والثناء عليه، أن قال: إن لكم سابقة في[3] الدين، وفضيلة في الإسلام، ليست لقبيلة من العرب، إن رسول الله صلى الله عليه وآله لبث في قومه بضع عشرة سنة، يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأوثان، فما آمن به من قومه إلا قليل، والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله، ولا يغيروا[4] دينه، ولا يدفعوا ضيما[5] عراه[6]، حتى إذا أراد الله بكم [خيرا][7] الفضيلة، وساق إليكم الكرامة، وخصكم بدينه، ورزقكم الإيمان به وبرسوله، والإعزاز لدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشد الناس على من تخلف عنه منكم وأثقله على عدوه من غيركم، حتى استقاموا لأمر الله طوعا وكرها، وأعطى البعيد المقادة صاغرا[8] داخرا[9]، حتى أنجز الله تعالى لنبيكم الوعد، ودانت بأسيافكم[10] العرب [ثم][11] توفاه الله وهو عنكم راض، وبكم قرير عين، فشدوا يديكم بهذا الأمر، فإنكم أحق الناس وأولاهم به.

---

(١) غلبت (النهاية: ج٣، ص٤٦٨). (٢) السقيفة وفدك (ص٥١).
(٣) في المصدر: إلى. (٤) في المصدر: يعزوا.
(٥) ظلما (الصحاح: ج٥، ص١٩٧٣). (٦) في المصدر: عنه عداه.
(٧) من المصدر.
(٨) ذليل (مجمع البحرين: ج٢، ص٦١٢).
(٩) في المصدر: داحظا.
(١٠) في المصدر: لأسيافكم.
(١١) من المصدر.

فأجابوا جميعا: إن وفقت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدوا ما أمرت، نوليك هٰذا الأمر، فأنت لنا مقنع، ولصالح المؤمنين رضا.

ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش، فقالوا: نحن المهاجرون وأصحاب رسول اللهﷺ الأولون، ونحن عشيرته وأولياؤه، فعلام تنازعوننا هٰذا الأمر من بعده؟ فقالت طائفة منهم: إذا نقول: منا أمير ومنكم أمير، لن نرضىٰ بدون هٰذا منهم أبدا، لنا في الإيواء والنصرة ما لهم في الهجرة، ولنا في كتاب الله ما لهم، فليسوا يعدون شيئا إلا ونعد مثله، وليس من رأينا الإستئثار عليهم فمنا أمير ومنهم أمير.

فقال سعد بن عبادة: هٰذا أول الوهن.

وأتىٰ الخبر عمر، فأتىٰ منزل رسول اللهﷺ، فوجد أبا بكر في الدار وعلياعليه السلام في جهاز رسول اللهﷺ، وكان الذي أتاه بالخبر معن بن عدي، فأخذ بيد عمر، وقال: قم.. فقال عمر: إني عنك مشغول.. فقال: إنه لابد من قيام.. فقام معه فقال له: إن هٰذا الحي من الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، معهم سعد بن عبادة يدورون حوله، ويقولون: أنت المرتجىٰ، ونجلك المرجىٰ، وثم أناس من أشرافهم، وقد خشيت الفتنة، فانظر يا عمر ماذا ترىٰ؟ واذكر لإخوتك من المهاجرين، واختاروا لأنفسكم، فإني أنظر إلىٰ باب فتنة قد فتح الساعة إلا أن يغفله الله.

ففزع عمر أشد الفزع، حتىٰ أتىٰ إلىٰ أبي بكر وأخذ(١) بيده، وقال(٢): قم.. فقال أبو بكر: أين نبرح حتىٰ نواري رسول اللهﷺ [إني عنك مشغول](٣).. فقال عمر: لابد من قيام، وسنرجع إن شاء الله.

فقام أبو بكر مع عمر فحدثه الحديث، ففزع أبو بكر أشد الفزع، وخرجا مسرعين إلىٰ سقيفة بني ساعدة، وفيها رجال من أشراف الأنصار، ومعهم سعد بن عبادة وهو مريض بين أظهرهم، فأراد عمر أن يتكلم ويمهد لأبي بكر، وقال: خشيت أن يقصر أبو بكر عن بعض الكلام، فلما نبس(٤) عمر الكلام

---

(١) في المصدر: فأخذ.

(٢) في المصدر: فقال.

(٣) من المصدر.

(٤) تكلم (كتاب العين: ج٧، ص٢٧٢).

كفه أبو بكر، وقال: علىٰ رسلك، فاستكفىٰ[١] الكلام ثم تكلم بعد كلامي بما بدا لك.

فتشهد أبو بكر، وقال[٢]: إن الله جل ثناؤه بعث محمدا بالهدىٰ ودين الحق، فدعا إلىٰ الإسلام، فأخذ الله بنواصينا وقلوبنا[٣] إلىٰ ما دعانا إليه، فكنا[٤] معاشر [المسلمين][٥] المهاجرين أول الناس إسلاما، والناس [لنا][٦] في ذٰلك تبع، ونحن عشيرة رسول الله ﷺ، وأوسط العرب أنسابا، ليس من قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة، وأنتم أنصار الدين[٧]، و[أنتم][٨] نصرتم [رسول الله ﷺ][٩]، وأنتم[١٠] وزراء رسول الله ﷺ، واخواننا في كتاب الله، وشركاؤنا في الدين، وفيما كنا فيه من خير وشر، فأنتم أحب الناس إلينا، وأكرمهم علينا، وأحق الناس بالرضا [بقضاء الله][١١]، والتسليم لما ساق الله إلىٰ إخوانكم من المهاجرين، وأحق الناس أن لا[١٢] تحسدوهم، فأنتم المؤثرون علىٰ أنفسهم حين الخصاصة[١٣]، وأحق الناس أن لا[١٤] يكونوا انتفاض[١٥] هٰذا الدين واختلاطه علىٰ أيديكم، وأنا أدعوكم إلىٰ أبي عبيدة وعمر، فكلاهما قد رضيت لهٰذا الأمر، وكلاهما أراه له أهلا.

فقال عمر وأبو عبيدة: ما ينبغي لأحد من الناس أن يكون[١٦] فوقك، أنت صاحب الغار، وثاني اثنين، وأمرك رسول الله بالصلاة، فأنت أحق الناس بهٰذا الأمر.

---

(١) في المصدر: فتلق. (٢) في المصدر: ثم قال.
(٣) في المصدر: بقلوبنا ونواصينا. (٤) في المصدر: وكنا.
(٥) من المصدر. (٦) من المصدر.
(٧) في المصدر: الله.
(٨) من المصدر.
(٩) من المصدر.
(١٠) في المصدر: ثم أنتم.
(١١) من المصدر.
(١٢) في المصدر: ألا.
(١٣) سوء الحال بسبب شدة الفقر والحاجة والجوع والضعف (النهاية في غريب الحديث: ج٢، ص٣٧).
(١٤) في المصدر: ألا.
(١٥) في المصدر: انتقاض.
(١٦) في المصدر: يكونوا.

فقال الأنصار: والله ما نحسدكم علىٰ خير ساقه الله إليكم، ولا أحد أحب إلينا ولا أرضىٰ عندنا منكم، ولكن نشفق فيما بعد [هذا][1] اليوم، ونحذر أن يغلب علىٰ هٰذا الأمر من ليس منا ولا منكم، فلو جعلتم اليوم رجلا منكم بايعناه ورضينا، علىٰ أنه إذا هلك اخترنا واحدا من الأنصار، فإذا هلك كان آخر من المهاجرين أبدا ما بقيت هٰذه الأمة، كان ذٰلك أجدر أن يعدل في أمة محمدﷺ، فيشفق الأنصاري أن يرفع[2] فينقض[3] عليه القرشي، ويشفق القرشي أن يرفع فينقض[4] عليه الأنصاري.

فقام أبو بكر، فقال: إن رسول الله[ﷺ] لما بعث عظم علىٰ العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخالفوه وشاقوه، وخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والإيمان به، والمواساة له، والصبر معه علىٰ الشدة[5] أذىٰ قومه، فلم[6] يستوحشوه لكثرة عدوهم، فهم أول من عبد الله في الأرض، وهم أول من آمن برسوله[7]، وهم أولياؤه وعترته، وأحق الناس بالأمر بعده، لا ينازعهم فيه إلا ظالم، وليس أحد من[8] المهاجرين يعد فضلا وقدما في الإسلام منكم[9]، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا يغتاب[10] دونكم بمشورة، ولا تقضي دونكم الأمور.

فقام الحباب بن المنذر بن الجموح، فقال: يا معشر الأنصار؛ املكوا عليكم أيديكم، إنما الناس في فيئكم وظلكم، ولن يجترئ مجترئ علىٰ خلافكم، ولا يصدر الناس إلا عن أمركم، أنتم أهل الإيواء والنصرة، وإليكم كانت الهجرة، وأنتم أصحاب الدار والإيمان، والله ما عبد الله علانية إلا عندكم وفي بلادكم، ولا جمعت الصلاة إلا في مساجدكم، ولا عرف الإيمان إلا من أسيافكم، فاملكوا عليكم أمركم، فإن أبىٰ هٰؤلاء فمنا أمير ومنهم أمير.

---

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: يزيغ.
(٣) في المصدر: فيقبض. (٤) في المصدر: يزيغ فيقبض.
(٥) في المصدر: شدة.
(٦) في المصدر: ولم.
(٧) في المصدر: برسول الله.
(٨) في المصدر: بعد.
(٩) في المصدر: مثلكم.
(١٠) في المصدر: نمتاز.

فقال عمر بن الخطاب: هيهات، لا يجتمع سيفان في غمد واحد، إن العرب لا ترضىٰ أن تؤمركم ونبيها من غيركم، وليس تمتنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، وأولوا الأمر منهم، لنا بذلك الحجة الظاهرة علىٰ من خالفنا، والسلطان المبين علىٰ من نازعنا، من ذا يخاصمنا في سلطان محمد وميراثه، ونحن أولياؤه وعترته[1]، إلا مدل بباطل أو متجانف[2] لإثم أو متورط في هلكة.

فقام الحباب بن المنذر، فقال[3]: يا معشر الأنصار؛ لا تسمعوا مقالة هٰذا وأصحابه، فيذهبوا بنصيبكم من الأمر، فإن أبوا عليكم ما أعطيتموهم فاجلوهم عن بلادكم، وتولوا هٰذا الأمر عليهم، فأنتم والله أحق[4] [الناس][5] بهٰذا الأمر، إنه دان لهٰذا الأمر بأسيافكم من لم يكن يدين له، أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب، إن شئتم لنغدينها[6] جذعة، والله لا يرد أحد علىٰ ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف.

قال: فلما رأىٰ بشير بن سعد الخزرجي ما اجتمعت عليه الأنصار من تأمير سعد بن عبادة ـ وكان حاسدا له، وكان من سادة الخزرج ـ ، قام فقال: أيها الأنصار؛ إنا وإن كنا ذوي فضيلة وسابقة، فإنا لم نرد بجهادنا وإسلامنا إلا رضا ربنا وطاعة نبينا، ولا ينبغي لنا أن نستطيل بذلك علىٰ الناس، ولا نبتغي به عرضا[7] من الدنيا، إن محمداﷺ رجل من قريش وقومه أحق بميراث أمره، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هٰذا الأمر، فاتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم.

فقام أبو بكر، فقال[8]: هٰذا عمر وأبو عبيدة، بايعوا أيهما شئتم.. فقالا: والله لا نتولىٰ هٰذا الأمر عليك، وأنت أفضل المجاهدين[9]، وثاني اثنين، وخليفة رسول الله[ﷺ] علىٰ الصلاة، والصلاة أفضل الدين، ابسط يديك[10] نبايعك.

---

(١) في المصدر: وعشيرته. (٢) مائل (مجمع البحرين: ج١، ص٤١٢).
(٣) في المصدر: وقال.
(٤) في المصدر: أولى.
(٥) من المصدر.
(٦) في المصدر: لنعيدها.
(٧) في المصدر: عوضا.
(٨) في المصدر: وقال.
(٩) في المصدر: المهاجرين.
(١٠) في المصدرر: يدك.

فلما بسط يده، وذهبا يبايعانه، سبقهما إليه بشير بن سعد، فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير؛ عقك عقاق[١]، والله ما اضطرك إلىٰ هٰذا الأمر إلا الحسد لابن عمك.

ولما رأت الأوس أن رئيسا من رؤساء الخزرج قد بايع، قام أسيد بن حضير - وهو رئيس الأوس- فبايع حسدا لسعد أيضا ومنافسة له أن يلي الأمر، فبايعت الأوس كلها لما بايع أسيد.

وحمل سعد بن عبادة وهو مريض، فأدخل إلىٰ منزله، فامتنع من البيعة في ذٰلك اليوم وفيما بعده، وأراد عمر أن يكرهه عليها، فأشير عليه أن لا يفعل (الخزرج)[٢]، وأنه لا يبايع حتىٰ يقتل أهله، ولا يقتل أهله حتىٰ يقتل الخزرج، وإن حوربت الخزرج كانت الأوس معها.

وفسد الأمر فتركوه، فكان لا يصلي بصلاتهم، ولا يجمع بجماعتهم، ولا يقضي بقضائهم، ولو وجد أعوانا لضاربهم، فلم يزل كذلك حتىٰ مات أبو بكر، ثم لقي عمر في خلافته، وهو علىٰ فرس، وعمر علىٰ بعير، فقال له عمر: هيهات يا سعد! فقال سعد: هيهات يا عمر! فقال عمر: أنت صاحب من أنت صاحبه.. قال: نعم؛ أنا ذاك.

ثم قال لعمر: والله ما جاورني أحد هو أبغض إلىٰ جوار إلي منك.. قال عمر: فإنه من كره جوار رجل لينقل[٣] عنه.. فقال سعد: إني لأرجو أن أخليها لك عاجلا إلىٰ جوار من هو أحب إلي جوارا منك ومن أصحابك.

فلم يلبث سعد بعد ذٰلك إلا قليلا حتىٰ خرج إلىٰ الشام فمات بحوران[٤] ولم يبايع لأحد لا لأبي بكر ولا لعمر ولا لغيرهما.

قال: وكثر الناس علىٰ أبي بكر، فبايعه معظم المسلمين في ذٰلك اليوم، واجتمعت بنو هاشم إلىٰ بيت علي بن أبي طالب[عليه السلام]، ومعهم الزبيير، وكان

---

(١) قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: كأنه دعاء عليه بأن يعقه العاق، وهو الولد الذي يعصي أباه ويترك الشفقة عليه والإحسان إليه.

(٢) غير موجودة في المصدر.

(٣) في المصدر: انتقل.

(٤) (حوران): كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومارع (معجم البلدان: ج٢، ص٣١٧).

يعد نفسه رجلا من بني هاشم، ثم كان علي عليه السلام يقول: «**ما زال الزبير منا أهل البيت حتىٰ نشأ بنوه فصرفوه عنا**»[١].

واجتمعت بنو أمية إلىٰ عثمان [بن عفان][٢].

واجتمعت بنو زهرة إلىٰ سعد وعبدالرحمن.

فأقبل عمر إليهم وأبو عبيدة، فقال: ما لي أراكم خلفا نكش[٣]؟ قوموا فبايعوا أبا بكر، [فقد بايع له الناس، وبايعه الأنصار.. فقام عثمان ومن معه، وقام سعد وعبدالرحمن ومن معهما، فبايعوا أبا بكر][٤].

وذهب عمر ومعه عصابة إلىٰ بيت فاطمة عليها السلام، منهم: أسيد بن حضير وسلمة بن أسلم، فقال لهم: انطلقوا فبايعوا فأبوا عليه، وخرج إليهم الزبير بسيفه، فقال عمر: عليكم الكلب[٥]، فوثب عليه سلمة بن أسلم، فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار، ثم انطلقوا به وبعلي [عليه السلام] ومعها بنو هاشم، وعلي عليه السلام يقول: «**أنا عبدالله وأخو رسوله**[٦] [صلى الله عليه وآله]»، **حتىٰ انتهوا به إلىٰ أبي بكر، فقيل له: بايع.. فقال:** «أنا أحق بهٰذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولىٰ بالبيعة لي، أخذتم هٰذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليه بالقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله، فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الأمارة، وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به علىٰ الأنصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم، واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون»[٧].

فقال عمر: إنك لست متروكا حتىٰ تبايع.

فقال [له][٨] علي عليه السلام: «**احلب يا عمر حلبا لك شطره**[٩]**، اشدد له اليوم أمره، ليرد عليك غدا**[١٠]**، [ألا]**[١١] **والله لا أقبل قولك ولا أبايعه**[١٢]».

---

(١) أسد الغابة (ج٣، ص٢٤٣) وتاريخ مدينة دمشق (ج١٨، ص٤٠٤) وغيرهما. (٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: ملتاثين. (٤) من المصدر. (٥) هٰذا القول من عمر في سب الزبير منقول في العديد من المصادر، منها: الإمامة والسياسة (ج١، ص١١) وتاريخ الطبري (ج٣، ص١٩٩) والرياض النضرة (ج١، ص١٦٧) وغيرها. (٦) في المصدر: رسول الله. (٧) الإحتجاج (ج١، ص٩٥).

(٨) من المصدر.

(٩) ومعناه: افعل فعلا يكون لك منه نصيب، فأنت تبايعه اليوم ليبايعك غدا.

(١٠) وصار هٰذا القول منه عليه السلام مضربا للأمثال (مجمع الأمثال للميداني: ج١، ص١٩٥).

(١١) من المصدر.

(١٢) في المصدر: أبايعك.

فقال لـه أبو بكر: فـإن لـم تبايعني لم أكرهـك.. فقال لـه أبو عبيـدة: يا أبا الحسـن؛ إنـك حديـث السـن، وهـؤلاء مشـيخة قريـش قومـك، ليس لـك مثل تجربتهم ومعرفتهـم بالأمـور، ولا أرىٰ أبا بكر إلا أقـوىٰ علىٰ هٰـذا الأمر منك، وأشـد احتمالا له، واضطلاعا به، فسـلم له هٰـذا الأمر وارض بـه، فإنك إن تعش ويطل عمـرك فأنـت لهٰـذا الأمـر خليـق[1] وبـه حقيـق، فـي فضلـك، وقرابتك، وسابقتك، وجهادك.

فقال [علي عليه السلام][2]: «**يا معشر المهاجرين؛ الله الله، لا تخرجوا سلطان محمد من بيته وداره[3] إلىٰ بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين، لنحن أهل البيت أحق بهٰذا الأمر منكم، أما كان منا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بالسنة، المطلع[4] بأمر الرعية، والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوىٰ فتزدادوا من الحق بعدا**».

فقال بشر[5] بن سعيد: لو كان هٰذا الكلام سـمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتهم لأبي بكر، ما اختلف عليه اثنان، ولكنهم قد بايعوا.

وانصـرف علـي[عليه السلام] إلـىٰ منزلـه، ولـم يبايـع، ولـزم بيتـه حتـىٰ ماتـت فاطمة[عليها السلام] فلما ماتت خرج فبايع.

[تعقيب ابن أبي الحديد علىٰ الحديث]:

قال[6]: قلـت: هٰذا الحديث يدل علـىٰ بطلان ما يدعىٰ مـن النص علىٰ أمير المؤمنيـن عليه السلام وغيـره، لأنه لـو كان هنـاك نص صريـح لاحتج ولم يجـر للنص ذكر، وإنمـا كان الاحتجاج منه ومن أبي بكـر ومن الأنصار بالسـوابق والفضائل والقرب، فلو كان هناك نص علـىٰ أمير المؤمنين عليه السلام أو علـىٰ أبي بكر، لاحتج به أبو بكـر [أيضـا][7] علـىٰ الأنصـار، ولاحتج بـه أميـر المؤمنيـن[عليه السلام] علىٰ أبي بكر.

---

(١) جدير (كتاب العين: ج٤، ص١٥١). (٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: عن داره وبيته.

(٤) في المصدر: المضطلع.

(٥) في المصدر: بشير.

(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٦، ص١٢).

(٧) من المصدر.

فإن هٰذا الخبر وغيره من الأخبار المستفيضة تدل[١] علىٰ أنه[عليه السلام] قد كان كاشفهم، وهتك القناع بينه وبينهم، ألا تراه كيف ينسبهم[٢] إلىٰ التعدي عليه وظلمه، وتمنع من طاعتهم، ويسمعهم[٣] من الكلام أشده وأغلظه، فلو كان هناك نص لذكره أو ذكره بعض من كان من شيعته وحزبه، لأنه لا عطر بعد عروس[٤].

وهٰذا أيضا يدل علىٰ أن الخبر المروي في أبي بكر - في صحيحي البخاري[٥] ومسلم[٦] - غير صحيح، وهو ما روي من قوله عليه السلام لعائشة في مرضه: ادعي لي أباك وأخاك، حتىٰ أكتب لأبي بكر كتابا، فإني أخاف أن يقول قائل أو يتمنىٰ متمن ويأبىٰ الله والمؤمنون إلا أبا بكر.. وهٰذا هو نص مذهب المعتزلة.

وقال أحمد بن عبدالعزيز الجوهري[٧] [أيضا][٨]: وحدثنا أحمد، قال[٩]: حدثنا ابن عفير، وقال: حدثنا أبو عون[١٠] عبدالله بن عبدالرحمن، عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام[١١]، أن عليا[عليه السلام] حمل فاطمة[عليها السلام] علىٰ حمار، وسار بها ليلا إلىٰ بيوت الأنصار، يسألهم النصرة وتسألهم فاطمة[عليها السلام] الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله؛ قد مضت بيعتنا لهٰذا الرجل، لو كان ابن

---

(١) في المصدر: يدل.

(٢) في المصدر: نسبهم.

(٣) في المصدر: وأسمعهم.

(٤) وهو مثل مشهور، يعني: أنه لا مخبأ لعطر بعد عروس، وأصله: أن رجلا أهديت إليه امرأة، فوجدها تفلة، فقال لها: أين الطيب؟ فقالت: خبأته.. فقال ذلك.. وقيل: (عروس) اسم رجل مات، فحملت امرأته أواني العطر فكسرتها على قبره، وصبت العطر، فوبخها بعض معارفه، فقالت: لا عطر بعد عروس.. وعلى الأول يضرب في ذم إذخار الشيء وقت الحاجة إليه، وعلى الثاني في الاستغناء عن إدخار الشيء لعدم من يدخر له (بحار الأنوار: ج٣٣، ص٥٧٣).

(٥) الجزء العاشر (ص١٠١).

(٦) الجزء السابع (ص١١٠).

(٧) في كتابه السقيفة وفدك (ص٦٣).

(٨) من المصدر.

(٩) في المصدر: وقال.

(١٠) في المصدر: عوف.

(١١) في المصدر: رضي الله عنهما.

عمك يسبق[١] إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فقال عليعليه السلام: «**أكنت أترك رسول الله ميتا في بيته لا أجهزه وأخرج إلىٰ الناس أنازعهم في سلطانه**»، وقالت فاطمةعليها السلام: «**ما صنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له، وصنعوا هم ما الله حسيبهم عليه**»[٢].

وقال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز[٣]: وحدثنا أحمد، قال: حدثني سعيد بن كثير، قال: حدثني ابن لهيعة أن رسول اللهصلى الله عليه وآله [لما][٤] توفي[٥] وأبو ذر غائب، فقدم[٦] وقد ولیٰ أبو بكر، فقال: أصبتم قناعه، وتركتم قوامه[٧]، لو جعلتم هٰذا الأمر في أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم اثنان.

⊡ [أبيات للإمام عليعليه السلام في الحال بعد النبيصلى الله عليه وآله]:

قال أبو بكر[٨]: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا أبو قبيصة محمد بن حرب، قال: لما توفیٰ النبيصلى الله عليه وآله، وجرىٰ في السقيفة ما جرىٰ، تمثل عليعليه السلام:

وأصبح أقوام يقولون ما اشتهوا
ويطغون لما غال زيدا غوائله

⊡ [جملة من الأشعار في فتنة السقيفة]:

وحدثني أبو جعفر يحيىٰ بن محمد بن (أبي)[٩] زيد العلوي (نقيب البصرة)رضي الله عنه، قال: لما قدم أبو القاسم علي بن الحسين المعري[١٠] من مصر إلىٰ بغداد، وذكر قصيدة تتضمن هٰذه الأبيات:

---

(١) في المصدر: سبق.
(٢) وكذلك في الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ج١، ص١٩).
(٣) في كتابه السقيفة وفدك (ص٦٤).
(٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: مات.
(٦) في المصدر: وقدم.
(٧) في المصدر: قرابه.
(٨) في كتابه السقيفة وفدك (ص٦٤).
(٩) غير موجودة في المصدر.
(١٠) في المصدر: المغربي.

عطفت عليه كاتها[1] فتحصنت
منا جموع هوازن[2] بفرار
وفدته من أبناء قيلة عصبة
شروى[3] البقير[4] وجنة البقار
أفنحن أولى بالخلافة بعده
أم عبد تيم حاملوا الأوزار
ما الأمر إلا أمرنا وبسعدنا
زفت عروس الملك غير نوار[5]
لكننا حسد النفوس وشحها
وتذكر الأذحال[6] والأوتار[7]
أفضى إلى هرج ومرج فانبرت
عشواء خابطة بغير نهار
وتداولتها أربع لولا أبو
حسن لقلت لؤمت من أصهار[8]
من عاجز ضرع[9]، ومن ذي غلظة
جاف ومن ذي لوثة[10] خوار[11]
ثم ارتدى المحروم فضل ردائها
فغلت من جراحه[12] إحنة[13] ونفار

(١) شجعاننا والذين يحملون الأسلحة. (٢) قبيلة ضخمة.
(٣) شروى الشيء مثله (الصحاح: ج٦، ص٢٣٩٢).
(٤) في المصدر: النقير.
(٥) النوار: العفيفة النافرة عن الشر والقبيح (كتاب العين: ج٨ ص٢٧٦).
(٦) الأحقاد والعداوات (القاموس المحيط: ج٣، ص٣٧٩).
(٧) الظلامات في الدم (كتاب العين: ج٨ ص١٣٢).
(٨) في المصدر: أستار.
(٩) ضعيف.
(١٠) حمق (لسان العرب: ج٢، ص١٨٥).
(١١) عيب (كتاب العين: ج٤، ص٣٠٢).
(١٢) في المصدر: مراجل.
(١٣) حقد (النهاية: ج١، ص٢٧).

فتأكلت تلك الجذى[١]، وتلمظت[٢] تلك الظبا[٣]، ورقّ أجيج النار
تا الله لو ألقوا إليه زمامها لمشىٰ بهم سجحا[٤] بغير عثار
ولو أنها حلت بساحة مجده بادي بدا سكنت بدار قرار
هو كالنبي فضيلة، لٰكن ذا من حظه كأس وهٰذا عار
والفضل ليس بنافع أربابه إلا بمسعدة من الأقدار
ثم امتطاها عبد شمس فاغتدت هزؤا وبدل ربحها بخسار
وتنقلت في عصبة أموية ليسوا بأطهار ولا أبرار
ما بين مأفون[٥] إلىٰ مترندق ومداهن ومضاعف وحمار

قال[٦]: عنىٰ بـ(المستضعف): عثمان، وبـ(المداهن): معاوية، وبـ(المأفون): يزيد بن معاوية، فزاد هٰذا الشاعر فيهم اثنين، وهما: (المتزندق): وهو الوليد بن يزيد بن عبدالملك، و(الحمار)، وهو: مروان بن محمد بن مروان.

وروىٰ الزبير بن بكار في الموفقيات، قال: لما بايع بشر[٧] بن سعد أبا بكر، وازدحم الناس علىٰ أبي بكر فبايعوه، مر أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه علي بن أبي طالب عليه السلام، [فوقف][٨] وأنشد شعرا:

(١) جمع جذاة اسم نبت، أو هو الشجر (تاج العروس: ج١٩، ص٢٧٨). (٢) التلمظ هو التتبع (الصحاح: ج٣، ص١١٧٩). (٣) الرماح وحد السيوف.
(٤) مشيا سهلا ولينا (كتاب العين: ج٣، ص٧٠).
(٥) ناقص العقل وضعيف الرأي (الصحاح: ج٥، ص٢٠٧١).
(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٦، ص١٧).
(٧) في المصدر: بشير.
(٨) من المصدر.

بني هاشم لا تطمع[١] الناس فيكم
ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيكم وإليكم
وليس لها إلا أبو حسن علي
أبا حسن فاشدد بها كف حازم
فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي
وأي امرئ يرمي قصيا وراها[٢]
منيع[٣] الحمى والناس من غالب قصي[٤]

فقال علي[عليه السلام] لأبي سفيان: «**إنك تريد أمرا لسنا بأصحابه**[٥]**، وقد عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله عهدا فأنا عليه**»، فتركه أبو سفيان وعدل إلى العباس بن عبدالمطلب في منزله، فقال: يا أبا الفضل؛ أنت أحق بميراث ابن أخيك، أمدد يدك لأبايعك، فلا يختلف عليك الناس بعد بيعتي إياك.. فضحك العباس، وقال: يا أبا سفيان؛ يدفعها علي[عليه السلام] ويطلبها العباس.. فرجع أبو سفيان خائبا.

قال الزبير: وذكر محمد بن إسحاق: أن الأوس تزعم أن أول من بايع أبا بكر بشير بن سعد، وتزعم الخزرج أن أول من بايعه[٦] أسيد بن حضير.

قلت: بشير بن سعد خزرجي، وأسيد بن حضير أوسي، وإنما تدافع الفريقان الروايتين تفاديا من[٧] حال سعد بن عبادة وكراهية كل حي منهما أن يكون نقض أمره جاء من جهة أصحابه، فالخزرج الذين هم أهله وقرابته، لا يعترفون[٨] أن بشير بن سعد هو أول من بايع أبا بكر وأبطل أمر سعد بن عبادة، ويحيلون بذلك على أسيد بن حضير، لأنه من الأوس، والأوس أعداء الخزرج.

---

(١) في المصدر: تطمعوا.
(٢) في المصدر: ورأيها.
(٣) أو: عزيز.
(٤) تاريخ اليعقوبي (ج٢، ص١٢٦).
(٥) في المصدر: من أصحابه.
(٦) في المصدر: بايع.
(٧) في المصدر: عن.
(٨) في المصدر: يقرون.

[وأما الأوس][١] فتكره أيضا أن ينسب أسيد إلىٰ أنه أول من نقض أمر سعد بن عبادة، كي لا يرموه بالحسد للخزرج، لأن سعد بن عبادة خزرجي، فيحيلون بانتقاض أمره علىٰ قبيلته ـ وهم الخزرج ـ ويقولون: إن أول من بايع أبا بكر وهدم[٢] دعوة سعد بن عبادة بشير بن سعد، وكان بشير أعور.

والذي ثبت عندي أن أول من بايعه عمر، ثم بشير بن سعد، ثم أسيد بن حضير، ثم أبو عبيدة بن الجراح، ثم سالم مولىٰ أبي حذيفة.

قال الزبير: وقد كان مالا أبا بكر [وعمر][٣] علىٰ نقض أمر سعد وإفساد حاله رجلان من الأنصار ممن شهدا بدرا، وهما: عويم بن ساعدة، ومعن بن عدي.

قلت: كان هذان الرجلان ذوي ود وجب[٤] لرسول الله ﷺ[٥]، واتفق مع ذٰلك بغض وشحناء كانت بينهما وبين سعد بن عبادة، [و][٦] لها سبب مذكور في كتاب القبائل لأبي عبيدة معمر بن المثنىٰ، فليطلب من هناك.

وعويم بن ساعدة هو القائل لما نصبت[٧] الأنصار سعدا: يا معشر الخزرج؛ إن كان هٰذا الأمر فيكم دون قريش فعرفونا ذلك، وبرهنوا حتىٰ نبايعكم عليه، وإن كان لهم دونكم فسلموه[٨] إليهم، فوالله ما هلك رسول الله ﷺ حتىٰ عرفنا أن أبا بكر خليفة حين أمره أن يصلي بالناس فشتمه الأنصار واخرجوه، فانطلق مسرعا حتىٰ التحق بأبي بكر، فشحذ عزمه علىٰ طلب الخلافة.

ذكر هٰذا بعينه الزبير بن بكار في الموفقيات.

وذكر المدائني والواقدي: أن معن بن عدي اتفق هو وعويم بن ساعدة علىٰ تحريض أبي بكر وعمر علىٰ طلب الأمر وصرفه عن الأنصار، قالا: وكان معن بن عدي يشخصهما إشخاصا، ويسوقهما سوقا عنيفا إلىٰ السقيفة، مبادرة إلىٰ الأمر قبل فواته.

---

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: ونقض.
(٣) من المصدر.
(٤) في المصدر: وحب.
(٥) في المصدر: لأبي بكر في حياة رسول الله ﷺ.
(٦) من المصدر.
(٧) في المصدر: نصب.
(٨) في المصدر: فسلموا.

قال الزبير[١] [بن بكار][٢]: فلما بويع [أبو بكر][٣] أقبلت الجماعة التي بايعته تزفه زفا إلىٰ مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما كان في آخر النهار افترقوا إلىٰ منازلهم، فاجتمع قوم من الأنصار، وقوم من المهاجرين، فتعاتبوا فيما بينهم، فقال عبدالرحمن بن عوف: يا معشر الأنصار؛ إنكم وإن كنتم أولي فضل ونصر وسابقة، ولكن ليس فيكم مثل أبي بكر ولا عمر ولا علي ولا أبي عبيدة.

فقال زيد بن أرقم: إنا لا ننكر فضل من ذكرت يا عبدالرحمن، وإن منا لسيد الأنصار: سعد بن عبادة، ومن أمر الله [رسوله][٤] أن يقرئه السلام، ومن[٥] يأخذ عنه القرآن: أبي بن كعب، ومن يجيء يوم القيامة إمام العلماء: معاذ بن جبل، ومن أمضىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته بشهادة رجلين: خزيمة بن ثابت، وإنا لنعلم أن ممن سميت من قريش من لو طلب هٰذا الأمر لم ينازعه فيه أحد: علي بن أبي طالب[عليه السلام].

قال الزبير[٦]: فلما كان من الغد، قام أبو بكر فخطب الناس، وقال: أيها الناس؛ إني وليت أمركم ولست بخيركم، فإذا أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، إن لي شيطانا يعتريني، فإياكم وإياي إذا غضبت، لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي حتىٰ أرد إليه حقه، والقوي ضعيف حتىٰ آخذ الحق منه، إنه لا يدع قوم الجهاد إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع في قوم الفاحشة إلا عمهم البلاء، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلىٰ صلاتكم يرحمكم الله.

قال ابن أبي عبرة القرشي:

شكرا لمن هو بالثناء حقيق[٧]
ذهب اللجاج وبويع الصديق

---

(١) في الموفقيات (ص٥٧٨).
(٢) من المصدر.
(٣) من المصدر.
(٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: وأن.
(٦) في الموفقيات (ص٥٧٨) وفي طبعة (ص٨٠).
(٧) في الاستيعاب (ج٣، ص٩٧٦): خليق.

من بعد ما زلت[1] بسعد نعله[2]
ورجا رجاء دونه العيوق[3]
حفت به الأنصار عاصب رأسه
فأتاهم الصديق والفاروق
وأبو عبيدة والذين إليهم
نفس المؤمل للقاء[4] تتوق
كنا نقول لها علي والرضا
عمر وأولاهم بذاك عتيق
فدعت قريش باسمه فأجابها
أن المنوه باسمه الموثوق
قل للألى طلبوا الخلافة زلة
لم يخط مثل خطاهم مخلوق
إن الخلافة في[5] قريش ما لكم
فيها ورب محمد معروق[6]

قال[7] الزبير بن بكار[8]، قال: روىٰ محمد بن إسحاق: إن أبا بكر لما بويع افتخرت بني مره[9]، قال: وكان عامة المهاجرين و[جل][10] الأنصار لا يشكون أن علياعليه السلام هو صاحب الأمر بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله وسلم، فقال الفضل بن العباس: يا معشر قريش؛ وخصوصا [يا][11] بني تيم، إنما[12] أخذتم الخلافة بالنبوة، ونحن

(١) في الاستيعاب: ركضت وفي تاريخ مدينة دمشق (ج٣٠، ص٢٩٩): دحضت.
(٢) في الاستيعاب: بغله.
(٣) كوكب أحمر مضيء، بحيال الثريا في ناحية الشمال.
(٤) في الاستيعاب: للبقاء.
(٥) في تاريخ مدينة دمشق: من.
(٦) في تاريخ مدينة دمشق: تعريق.
(٧) في المصدر: وروى.
(٨) الموفقيات (ص٥٨٠/٣٨٠).
(٩) في المصدر: تيم بن مرة.
(١٠) من المصدر.
(١١) كما في المصدر.
(١٢) في المصدر: إنكم إن.

أهلها دونكم، ولو طلبنا هٰذا الأمر الذي نحن أهله لكان[1] كراهية[2] الناس لنا أعظم من كراهيتهم لغيرنا، حسدا منهم لنا، وحقدا علينا، وإنا لنعلم أن عند صاحبها[3] عهدا هو ينتهي إليه.

وقال بعض ولد أبي لهب بن عبدالمطلب بن هاشم[4] شعرا:

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف
عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أو ليس أول من صلى لقبلتهم[5]
وأعلم الناس بالقرآن[6] والسنن
وأقرب الناس عهدا بالنبي ومن
جبريل عون له في الغسل والكفن
من[7] فيه ما فيهم لا يمترون به[8]
وليس في القوم[9] ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردهم[10] عنه فنعلمه[11]
ها إن ذا غبن[12] من أعظم الغبن[13]

قال الزبير[14]: فبعث إليه علي عليه السلام فنهاه وأمره ألا يعود.. وقال: سلامة الدين أحب إلينا من غيرها[15].

(١) في المصدر: لكانت. (٢) في المصدر: كراهة.
(٣) في المصدر: صاحبنا. (٤) في الصراط المستقيم (ج١، ص٢٣٧) إن القائل: ربيعة بن الحارث وفي الإستيعاب (ج٣، ص٢٧) إن القائل: الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب.
(٥) في المصدر: لقبلتكم.
(٦) أو: الآثار.
(٧) في المصدر: ما.
(٨) في المصدر: من فيه ما في جميع الناس كلهم.
(٩) أو: الناس.
(١٠) أو: ردكم.
(١١) أو: فنعرفه.
(١٢) في المصدر: غبننا.
(١٣) في فرائد السمطين (ج٢، ص٨٢): ها إن بيعتكم من أول الفتن.
(١٤) في الموفقيات (ص١٣١).
(١٥) في المصدر: غيره.

قال الزبير: وكان خالد بن الوليد من شيعة أبي بكر[١]، ومن المنحرفين عن عليعليه السلام، فقام خطيبا فقال: أيها الناس؛ إنا رمينا في بدء هٰذا الدين بأمر ثقل علينا والله محمله، وصعب علينا مرتقاه، وكنا كأنا فيه علىٰ أوتار، ثم والله ما لبثنا أن خف علينا ثقله، وذل لنا صعبه، وعجبنا ممن شك فيه بعد عجبنا ممن آمن به، حتىٰ أمرنا بما كنا ننهىٰ عنه، ونهينا عما كنا نأمر به، ولا والله ما سبقنا إليه بالعقول ولكنه بالتوفيق[٢]، ألا وإن الوحي لم ينقطع حتىٰ أحكم، ولم يذهب النبيصلى الله عليه وآله فنستبدل بعده نبيا، ولا بعد الوحي وحيا، ونحن اليوم أكثر منا أمس، ونحن أمس خير منا اليوم، من دخل في هٰذا الدين كان ثوابه علىٰ حسب عمله، ومن تركه رددناه إليه، وإنا والله ما صاحب الأمر - يعني أبا بكر - بالمسؤول عنه، ولا المتخلف فيه، ولا الخفي الشخص، ولا المغموز القناة.

ثم سكت فتعجب[٣] الناس من كلامه.

ومدحه جون[٤] بن أبي وهب المخزومي، وهو الذي سماه رسول اللهصلى الله عليه وآله سهلا، وهو جد سعيد بن المسيب الفقيه، فقال[٥] شعرا:

وقامت رجال من قريش كثيرة
فلم يك [منهم][٦] في القوم[٧] القيام كخالد[٨]
ترقىٰ فلم يزلق به صدر بغله[٩]
وكف فلم يعرض لتلك الأوابد[١٠]
فجاء بها غراء كالبدر ضوءها[١١]
فسميتها في الحسن أم القلائد

---

(١) في المصدر: شيعة لأبي بكر.
(٢) في المصدر: التوفيق.
(٣) في المصدر: فعجب.
(٤) في المصدر: حزن.
(٥) في المصدر: وقال.
(٦) من المصدر.
(٧) في المصدر: الرجال.
(٨) في الوافي بالوفيات (ج١١، ص٢٦٩): فلم يك في القوم القيام كخالد.
(٩) في المصدر: نعله.
(١٠) في الوافي بالوفيات: الولائد.
(١١) في الوافي بالوفيات (ج١١، ص٢٦٩): كالبدر سهلة.

أخالد لم[1] تعدم لؤي بن غالب
قيامك فيها عند قذف[2] الجلامد[3]
كساك الوليد بن المغيرة مجده
وعلمك الأشياخ ضرب المحامد[4]
تقارع في الإسلام عن صلب دينه
وفي الشرك عن أحساب جد ووالد

إلىٰ آخر أبيات ذكرها[5].

قال الزبير[6]: وحدثنا محمد بن موسىٰ الأنصاري المعروف بـ(ابن بحيرة[7])، قال: حدثني إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهري، قال: لما بويع أبو بكر واستقر أمره، ندم قوم كثير من الأنصار علىٰ بيعته، ولام بعضهم بعضا، وذكروا علي بن أبي طالب عليه السلام، وهتفوا باسمه، وإنه في بيته[8] لم يخرج إليهم، وجزع لذلك المهاجرون، وكثر في ذٰلك الكلام، وكان أشد قريش علىٰ الأنصار نفر منهم[9]، وهم: سهيل بن عمرو، أحد بني عامر بن لؤي، والحارث بن هشام، وعكرمة بن أبي جهل المخزوميان، وهؤلاء أشراف قريش الذين حاربوا النبي صلى الله عليه وآله ثم دخلوا في الإسلام، وكلهم موتور قد وتره الأنصار.

أما سهيل بن عمرو فأسره مالك بن الدخشم يوم بدر.

وأما الحارث بن هشام فضربه عروة بن عمرو، فجرحه يوم بدر، وهو فار عن أخيه.

وأما عكرمة بن أبي جهل فقد[10] أباه ابنا عفراء، وسلبه درعه يوم بدر زياد بن لبيد، وفي أنفسهم ذلك.

---

(١) في المصدر: لا. (٢) في الوافي بالوفيات: حذف.
(٣) الصخور (لسان العرب: ج٣، ص١٢٩). (٤) في المصدر: القماحد.
(٥) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٦، ص٢٣).
(٦) في الموفقيات (ص٥٨٣).
(٧) في المصدر: مخرمة.
(٨) في المصدر: داره.
(٩) في المصدر: فيهم.
(١٠) في المصدر: فقتل.

فلما اعتزلت الأنصار تجمع هؤلاء، فقام سهيل بن عمرو، فقال: يا معشر قريش؛ إن هٰؤلاء القوم قد سماهم الله الأنصار، وأثنىٰ عليهم في القرآن، فلهم بذلك حظ عظيم، ولسان[١] غالب، وقد دعوا إلىٰ أنفسهم، وإلىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام، وعلي[عليه السلام] في بيته لو شاء لردهم، فادعوهم إلىٰ صاحبكم وإلىٰ تجديد البيعة[٢]، فإن أجابوكم وإلا قاتلوهم، فوالله إني لأرجو أن تنتصروا[٣] عليهم كما نصرتم بهم.

ثم قام الحارث بن هشام، فقال: إن يكن الأنصار تبوأت الدار والايمان من قبل، ونقلوا رسول الله صلى الله عليه وآله

إلىٰ دورهم من دورنا، فآووا ونصروا، ثم ما برحوا[٤] حتىٰ قاسمونا الأموال، وكفونا العمل، فإنهم قد لهجوا بأمر إن ثبتوا عليه، فإنهم قد خرجوا مما وسموا به، وليس بيننا وبينهم معاتبة إلا السيف، وإن نزعوا عنه فقد فعلوا الأولىٰ بهم والمظنون معهم.

ثم قام عكرمة بن أبي جهل، فقال: والله لو لا قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الأئمة من قريش**» ما أنكرنا أمرة الأنصار، ولكانوا لها أهلا، ولكنه قول لا شك فيه ولا خيار، وقد عجلت الأنصار علينا، والله ما قضينا[٥] عليهم الأمر، ولا أخرجناهم من الشورىٰ، وإن الذي هم فيه من فلتات الأمور، ونزعات الشيطان، وما لا يبلغه المنىٰ، ولا يحمله الأمل، أعذروا إلىٰ القوم، فإن أبوا فقاتلوهم، فوالله لو لم يبق من قريش كلها إلا رجل واحد لصير الله هٰذا الأمر فيه.

قال: وحضر أبو سفيان بن حرب، فقال: يا معشر قريش؛ إنه ليس للأنصار أن يتفضلوا علىٰ الناس حتىٰ يقروا بفضلنا عليهم، فإن يفعلوا[٦] فحسبنا حيث انتهىٰ بنا[٧]، وأيم الله لئن بطروا[٨] المعيشة، وكفروا النعمة، لنضربنهم علىٰ

---

(١) في المصدر: شأن.

(٢) في المصدر: بيعته.

(٣) في المصدر: أرجو الله أن ينصركم.

(٤) في المصدر: رضوا.

(٥) في المصدر: قبضنا.

(٦) في المصدر: تفضلوا.

(٧) في المصدر: بهم.

(٨) كفروا بها (الفروق اللغوية: ص١٠٢).

الإسلام كما ضربوا عليه، فأما علي بن أبي طالب[عليه السلام] فأهل والله أن تسوده قريش[1] وتطيعه الأنصار.

فلما بلغ الأنصار قول هٰؤلاء الرهط قام خطيبهم ثابت بن قيس بن شماس، فقال: يا معشر الأنصار؛ إنما كان يكثر[2] عليكم هٰذا القول لو قاله أهل الدين من قريش، فأما إذا كان من أهل الدنيا لا سيما من أقوام كلهم موتور[3]، فلا يكبرن عليكم، إنما الرأي والقول مع الأخيار المهاجرين، فإن تكلمت رجال قريش الذين هم أهل الآخرة مثل كلام هؤلاء، فعند ذٰلك قولوا ما أحببتم وإلا فأمسكوا.

وقال حسان بن ثابت يذكر ذلك.. وذكرا أبيات له[4].

قال الزبير[5]: لما اجتمع جمهور الناس لأبي بكر، أكرمت قريش معن بن عدي وعويم بن ساعدة، وكان لهما فضل قديم في الإسلام، فاجتمعت الأنصار لهما في مجلس ودعوهما، فلما أحضرا أقبلت الأنصار عليهما فعيروهما بانطلاقهما إلىٰ المهاجرين، و[أكبروا][6] فعلهما في ذلك.

فتكلم معن، فقال: يا معشر الأنصار؛ إن الذي أراد الله بكم خير مما أردتم بأنفسكم، وقد كان منكم أمر عظيم البلاء، وصغرته العافية[7]، فلو كان لكم علىٰ قريش ما لقريش عليكم ثم أردتموهم لما أرادوكم به، لم آمن عليهم منكم مثل من آمن عليكم منهم، فإن تعرفوا الخطأ فقد خرجتم منه وإلا فأنتم فيه.

قال[8]: قلت: قوله: (وقد كان منكم أمر عظيم البلاء، وصغرته العافية[9]) يعني: عافية[10] الكف والإمساك، يقول: قد كان منكم أمر عظيم وهو دعوىٰ

(١) في المصدر: أن يسود على قريش. (٢) في المصدر: يكبر.

(٣) قتل له قتيل (مجمع البحرين: ج٤، ص٤٦٣).

(٤) ومستهلها كما في شرح نهج البلاغة (ج٦، ص٢٥):

تنادي سهيل وابن حرب وحارث
وعكرمة الشاني لنا ابن أبي جهل.

(٥) في الموفقيات (ص٥٨٧).

(٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: العاقبة.

(٨) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٦، ص٢٦).

(٩) في المصدر: العاقبة.

(١٠) في المصدر: عاقبة.

الخلافة لأنفسكم، وإنما جعلت[1] البلاء معظما له، لأنه لو لم يتعقبه الإمساك، لأحدث فتنة عظيمة، وإنما صغره سكونهم ورجوعهم إلىٰ بيعة المهاجرين.

وقوله: (لو كان[2] لكم علىٰ قريش..) إلىٰ آخر الكلام، فمعناه: لو كان لكم الفضل علىٰ قريش كفضل قريش عليكم، وادعت قريش الخلافة لها، ثم أردتم منهم الرجوع عن دعواهم وجرت بينكم وبينهم من المنازعة مثل هٰذه المنازعة التي جرت الآن بينكم لم آمن عليهم منكم أن تقتلوهم، وتقدموا علىٰ سفك دمائهم، ولم يحصل لي من سكون النفس إلىٰ حلمكم عنهم وصبركم عليهم، مثل ما أنا آمن عليكم منهم، فإنهم صبروا وحلموا، ولم يقدموا علىٰ استباحة حربكم والدخول في دمائكم.

قال الزبير: ثم تكلم عويم بن ساعدة، فقال: يا معشر الأنصار؛ إن من نعم الله عليكم أنه تعالىٰ لم يرد بكم ما أردتم بأنفسكم، فاحمدوا الله علىٰ حسن البلاء، وطول العافية، وصرف هٰذه البلية عنكم، وقد نظرت في أول فتنتكم وآخرها، فوجدتها جاءت من الأماني والحسد، فاحذروا[3] النقم، فوالله وددت أن الله صير هٰذا الأمر إليكم بحقه فكنا نعيش فيه.

فوثب عليهما الأنصار، فأغلظوا لهما وفحشوا عليهما، وانبرىٰ لهم فروة بن عمرو، فقال: أنسيتا قولكما لقريش: (إنا قد خلفنا وراءنا قوما قد حلت دماؤهم بفتنتهم)، هٰذا والله ما لا يغفر ولا ينسىٰ، وذكره أبيات في ذلك[4].

وقال فروة بن عمرو ـ وكان ممن تخلف عن بيعة أبي بكر، وكان ممن جاهد مع رسول الله ﷺ، وقاد فرسين في سبيل الله، وكان يتصدق من نخله بألف وسق[5] في كل عام، وكان سيدا، [وهو][6] من أصحاب علي عليه السلام، وممن شهد معه يوم الجمل.

---

(١) في المصدر: جعل.

(٢) في المصدر: وكان.

(٣) في المصدر: واحذروا.

(٤) مطلعها كما في شرح نهج البلاغة (ج٦، ص٢٧):

وقالت لي الأنصار إنك لم تصب ... فقلت: أما لي في الكلام نصيب.

(٥) الوسق: حمل يبلغ ستين صاعا (كتاب العين: ج٥، ص١٩١).

(٦) من المصدر.

قال: يذكر[١] معنا وعويما، وعاتبهما على قولهما: (خلفنا وراءنا قوما قد حلت دماؤهم بفتنتهم) شعرا:

ألا قل لمعن إذا جئته
وذاك الذي شيخه ساعده

بأن المقال التي[٢] قلتها[٣]
خفيت[٤] علينا سوى واحده

مقالكم إن من خلفنا
مراض قلوبهم فاسده

حلال الدماء على فتنة
فيا بئسما ربت الوالدة

فلم تأخذوا[٥] قدر أيمانها[٦]
ولم تستفيدوا[٧] بها فائدة

فقد[٨] كذب الله ما قلتما
وقد يكذب الرائد الواعدة[٩]

قال الزبير: ثم إن الأنصار أصلحوا بين هذين الرجلين وبين أصحابهما، ثم اجتمعت جماعة من قريش يوما وفيهم ناس من الأنصار وأخلاط من المهاجرين، وذلك بعد انصراف الأنصار عن رأيها وسكون الفتنة، فاتفق ذلك عند قدوم عمرو بن العاص من سفر كان فيه، فجاء إليهم وأفاضوا[١٠] في ذكر يوم السقيفة وسعد ودعواه الأمر.

(١) في المصدر: فذكر.
(٢) في المصدر: الذي.
(٣) في المصدر: قلتما.
(٤) في المصدر: خفيف.
(٥) في شرح نهج البلاغة: تأخذا.
(٦) في المصدر: أثمانها.
(٧) في المصدر: تستفيدا.
(٨) في المصدر: لقد.
(٩) السحابة التي تتوعد بالمطر.
(١٠) في المصدر: فأفاضوا.

فقال عمرو بن العاص: والله لقد دفع الله عنا من الأنصار عظيمة، ولما دفع الله عنهم منا أعظم، وكادوا والله أن يحلوا حبل الإسلام كما قاتلوا عليه، ويخرجوا منه من أدخلوا فيه، والله إن[١] كانوا سمعوا قول رسول الله ﷺ: «**الأئمة من قريش**»، ثم ادعوها، لقد هلكوا وأهلكوا، وإن كانوا لم يسمعوها فما هم كالمهاجرين، ولا سعد كأبي بكر، ولا المدينة كمكة، ولقد قاتلونا أمس فغلبونا على البدء، ولو قاتلناهم اليوم لطلبانهم[٢] على العاقبة.

فلم يجبه أحد، وانصرف إلى منزله وقد طعن[٣]، فقال شعرا:

ألا قل لأوس إذا جئتها
وقل إذا ما جئت للخزرج
تمنيتم الملك في يثرب
فأنزلت القدر لم ينضح[٤]
وأخدجتم[٥] الأمر قبل التمام
فأعجب[٦] بذا المعجل المذجح[٧]
يريدون[٨] نتج الحيال العشار
ولم يلفجوه[٩] فلم ينتج
عجبت لسعد وأصحابه
ولو لم يهيجوه ولم يهتج
رجا الخزرجي رجاء السحاب[١٠]
وقد يخلف المرء ما يرتجي

(١) في المصدر: لئن.
(٢) في المصدر: لغلبناهم.
(٣) في المصدر: ظفر.
(٤) في المصدر: تنضج.
(٥) أنقصتم (غريب الحديث لابن سلام: ج١، ص٦٦).
(٦) في المصدر: وأعجب.
(٧) في المصدر: المخدج.
(٨) في المصدر: تريدون.
(٩) في المصدر: تلقحوه.
(١٠) في المصدر: السراب.

فكان كمنح علىٰ كفه
بكف يقطعها أهوج[1]

فلما بلغ الأنصار مقالته وشعره، بعثوا إليه لسانهم وشاعرهم النعمان بن العجلان[2] ـ وكان رجلا أحمرا، قصيرا تزدريه العيون، وكان سيدا فخما ـ فأتىٰ عمرا وهو في جماعة من قريش، فقال: يا عمر؛ والله ما كرهتم من حربنا إلا ما كرهنا من حربكم، وما كان الله ليخرجكم من الإسلام بمن أدخلكم فيه، إن كان النبي صلى الله عليه وآله قد قال: «**الأئمة من قريش**»، فقد قال: «**لو سلك الناس شعبا، وسلك الأنصار شعبا، لسلكت شعب الأنصار**»، والله ما أخرجناكم من الأمر إذ قلنا: منا أمير ومنكم أمير، وأما من ذكرت، فأبو بكر لعمري خير من سعد، لكن سعدا في الأنصار أطوع من أبي بكر في قريش، فأما المهاجرون والأنصار فلا فرق بينهم أبدا، ولكنك يا ابن العاص وترت بني عبد مناف بمسيرك إلىٰ الحبشة لقتل جعفر وأصحابه، ووترت بني مخزوم بإهلاكك عمارة ابن الوليد.

[ثم انصرف][3] فقال شعرا:

فقل لقريش نحن أصحاب مكة
ويوم حنين والفوارس في بدر
وأصحاب أحد والنضير وخيبر
ونحن رجعنا من قريظة بالذكر
ويوم بأرض الشام أدخل جعفر
وزيد وعبدالله في علق[4] يجري
وفي كل يوم ينكر الكلب أهله
نطاعن فيه بالمثقفة[5] السمر
ونضرب في نقع العجاجة أرؤسا
ببيض كأمثال البروق إذا تسري

(١) أحمق (كتاب العين: ج٤، ص٦٥).
(٢) الزرقي الأنصاري (الاستيعاب: ج٤، ص١٥٠١).
(٣) من المصدر.
(٤) العلق: الدم الجامد قبل أن ييبس (كتاب العين: ج١، ص١٦١).
(٥) الرماح المقومة (سبل الهدى والرشاد: ج٤، ص١٦٤).

نصرنا وآوينا النبي ولم نخف
صروف الليالي والعظيم من الأمر
وقلنا لقوم هاجروا قيل: مرحبا
وأهلا وسهلا قد أمنتم من الفقر
نقاسمكم أموالنا وبيوتنا
كقسمة أنحار[1] الجزور على الشطر
ونكفيكم الأمر الذي تكرهونه
وكنا أناسا نذهب العسر باليسر
وقلتم: حرام نصب سعد ونصبكم
عتيق بن عثمان حلال أبا بكر
وأهل أبو بكر لها خير قائم
وإن عليا كان أخلق بالأمر
وكان هوانا في علي وإنه
لأهل لها يا عمرو من حيث لا تدري
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى
وينهى عن الفحشاء والبغي والنكر
وصي النبي المصطفى وابن عمه
وقاتل فرسان الضلالة والكفر
وهذا بحمد الله يهدي من العمى
ويفتح آذانا ثقلن من الوقر[2]
نجي رسول الله في الغار وحده
وصاحبه الصديق في سالف الدهر
فلو لا بقاء[3] الله لم يذهبوا[4] بها
ولكن هذا الخير أجمع في الصبر[5]

(١) في المصدر: أيسار. (٢) الوقر: ثقل الأذن عن السمع (كتاب العين: ج٥، ص٢٠٦).
(٣) في المصدر: اتقاء.
(٤) في المصدر: تذهبوا.
(٥) في المصدر: أجمع للصبر.

ولم نرض إلا بالـــرضــــا ولـــربمــا
ضربـــنــا بأيـــديـــنــا إلىٰ أســفــل الــقــدر

فلما انتهىٰ شعر النعمان وكلامه إلىٰ قريش، غضب كثير منهم، فألفىٰ[١] ذٰلك قدوم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله استعمله عليها، وكان له ولأخيه أثر قديم عظيم في الإسلام، وهما من أول من أسلم من قريش، ولهما عبادة وفضل، فغضب للأنصار، وشتم عمرو بن العاص، وقال: يا معشر قريش؛ إن عمرا دخل في الإسلام حيث[٢] لم يجد بدا من الدخول فيه، فلما لم يستطع أن يكيده بيده كاده بلسانه وإن من كيده الإسلام تفريقه وقطعه بين المهاجرين والأنصار، والله ما حاربناهم للدين ولا الدنيا، لقد بذلوا دماؤهم لله تعالىٰ فينا، وما بذلنا دماءنا لله فيهم، وقاسمونا ديارهم وأموالهم، وما فعلنا مثل ذٰلك بهم، وآثرونا علىٰ الفقر، فحرمناهم[٣] علىٰ الغنىٰ، ولقد أوصىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بهم، وعزاهم عن جفوة السلطان، فأعوذ بالله أن أكون وإياكم الخلف المضيع، والسلطان الجاني.

قلت: هٰذا خالد بن سعيد بن العاص هو الذي امتنع من بيعة أبي بكر، وقال: لا أبايع إلا عليا عليه السلام، وقد ذكرنا خبره فيما تقدم.

وأما قوله في الأنصار: (وعزاهم عن جفوة السلطان)، فإشارة إلىٰ قول النبي صلى الله عليه وآله: «**ستلقون بعدي إثرة[٤] فاصبروا حتىٰ تقدموا[٥] علىٰ الحوض**»[٦].

وهٰذا الخبر هو الذي يكفر كثير من أصحابنا معاوية بالاستهزاء به، وذلك أن النعمان بن بشير الأنصاري جاء في جماعة من الأنصار إلىٰ معاوية، فشكوا إليه فقرهم، وقالوا: لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله والذي قوله لنا[٧]: «**ستلقون بعدي إثرة**»، فقد[٨] لقيناها.. قال معاوية: فماذا قال لكم؟ قالوا: قال لنا: «**فاصبروا حتىٰ**

(١) في المصدر: وألفى. (٢) في المصدر: حين.
(٣) في المصدر: وحرمناهم.
(٤) قال ابن الأثير في النهاية (ج١، ص٢٢): (الأثرة) - بفتح الهمزة والثاء- الاسم من آثر يؤثر إيثارا إذا أعطى، أراد أن يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء.
(٥) في المصدر: تلقوني.
(٦) مسند أحمد (ج٣، ص٥٧).
(٧) في المصدر: في قوله.
(٨) في المصدر: وقد.

تردوا علي[١] الحوض»، قال: فافعلوا ما أمركم به عساكم تلاقونه غدا عند الحوض كما أخبركم، وحرمهم ولم يعطهم شيئا.

قال الزبير: وقال خالد بن سعيد بن العاص في ذلك شعرا:

تفوه عمرو بالذي لا يريده[٢]
وصرح للأنصار عن شناة[٣] البغض
فإن تكن الأنصار زلت فإننا
نقيل ولا نجزيهم القرض بالقرض
فلا تقطعن يا عمرو ما كنت[٤] بيننا
ولا تحملن يا عمرو بعضا على بعض
أتنسى لهم يا عمرو ما كان منهم
ليالي جئناهم من النفل والفرض
وقسمنا[٥] الأموال كاللحم بالمدى
وقسمنا[٦] الأوطان كل به يقضي
ليالي كل الناس بالكفر جهرة
ثقال علينا مجمعون على البغض
فساووا وآووا فانتهينا[٧] إلى المنى
وقد قرارنا[٨] من الأمن والخفض

قال الزبير[٩]: ثم إن رجالا من سفهاء قريش ومثيري الفتن منهم اجتمعوا إلى عمرو بن العاص، وقالوا[١٠] له: إنك لسان قريش ورجلها في الجاهلية وفي الإسلام، فلا تدع الأنصار وما قالت.. وأكثروا عليه من ذلك، فراح إلى المسجد،

---

(١) أو: على. (٢) في المصدر: نريده.
(٣) أبغض (لسان العرب: ج١، ص١٠١).
(٤) في المصدر: كان.
(٥) في المصدر: وقسمتنا.
(٦) في المصدر: وقسمتنا.
(٧) في المصدر: وانتهينا.
(٨) في المصدر: وقر قراراننان.
(٩) في كتابه الموفقيات (ص٥٨٣).
(١٠) في المصدر: فقالوا.

وفيه ناس من قريش وغيرهم، فتكلم وقال: إن الأنصار ترىٰ لنفسها ما ليس لها، وأيم الله لوددت أن الله خلىٰ عنا وعنهم، وقضىٰ فيهم وفينا بما أحب، ولنحن الذين أفسدنا علىٰ أنفسنا، أخرجناهم[1] عن كل مكروه، وقدمناهم إلىٰ كل محبوب، حتىٰ أمنوا المخوف، فلما جاز لهم ذٰلك صغروا حقنا، ولم يراعوا ما أعظمنا من حقوقهم.

ثم التفت فرأىٰ الفضل بن العباس بن عبدالمطلب، فندم[2] علىٰ قوله، للخئولة التي بين [ولد][3] عبدالمطلب وبين الأنصار، ولأن الأنصار كانت تعظم عليا[عليه السلام]، وتهتف باسمه حينئذ، فقال الفضل: يا عمرو؛ إنه ليس لنا أن نكتم ما سمعنا منك، وليس لنا أن نجيبك، وأبو الحسن شاهد بالمدينة إلا أن يأمرنا فنفعل.

ثم رجع الفضل إلىٰ علي عليه السلام فحدثه، فغضب وشتم عمرا، وقال: آذىٰ الله ورسوله، ثم قام فأتىٰ المسجد، فاجتمع إليه كثير من قريش وتكلم مغضبا، فقال: يا معشر قريش؛ إن حب الأنصار إيمان، وبغضهم نفاق، وقد قضوا ما عليهم، وبقي ما عليكم، واذكروا أن الله رغب لنبيكم عن مكة، فنقله إلىٰ المدينة، وكره له قريشا، فنقله إلىٰ الأنصار، ثم قدمنا عليهم دارهم، فقاسمونا الأموال، وكفونا العمل، فصرنا منهم بين بذل الغنىٰ وإيثار الفقر[4]، ثم حاربنا الناس فوقونا بأنفسهم، وقد أنزل الله تعالىٰ فيهم آية من القرآن، جمع لهم فيها بين خمس نعم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[5]، ألا وإن عمرو بن العاص قد قام مقاما آذىٰ فيه الميت والحي، ساء به الواتر[6] وسر به الموتور، فاستحق من المستمع الجواب، ومن الغائب المقت، و[إنه][7] من أحب الله ورسوله أحب الأنصار، فليكفف عنا عمرو نفسه.

(١) في المصدر: أحرزناهم. (٢) في المصدر: وندم.
(٣) من المصدر.
(٤) في المصدر: الفقير.
(٥) الآية التاسعة من سورة الحشر.
(٦) الجاني.
(٧) من المصدر.

قال الزبير: فمشت قريش عند ذلك إلىٰ عمرو بن العاص، فقالوا: أيها الرجل؛ أما إذا غضب عليا[1] فاكفف.

وقال خزيمة بن ثابت الأنصاري يخاطب قريشا شعرا:

يا آل قريش أصلحوا ذات بيننا
وبينكم فقد طال حبل التماحك[2]
فلا خير فيكم بعدنا فارفقوا بنا
ولا خير فينا بعد فهر بن مالك[3]
كلانا علىٰ الأعداء كف طويلة
إذا كان [يوم][4] فيه جب الحوارك[5]
فلا تذكروا ما كان منا ومنكم
ففي ذكر ما قد كان مشي التساوك[6]

قال الزبير: وقال علي عليه السلام للفضل: «**يا فضل؛ انصر الأنصار بلسانك ويدك فإنهم منك وإنك منهم**»، فقال الفضل:

قلت يا عمرو مقالا فاحشا
إن تعد يا عمرو الله نسك[7]
إنما الأنصار سيف قاطع
من تصبه ظبة[8] السيف هلك
وسيوف قاطع مضربها
وسهام الله في اليوم[9] الحلك[10]

(١) في المصدر: غضب علي عليه السلام.
(٢) اللجاج والنزاع والتخاصم.
(٣) جد قريش كلها.
(٤) من المصدر.
(٥) العظام التي على الظهر، أو أعلى الكاهل أو الكتف من الفرس.
(٦) المشي الضعيف.
(٧) في المصدر: فلك.
(٨) طرف وحد (لسان العرب: ج١، ص٥٦٨).
(٩) في المصدر: يوم.
(١٠) الأسود، أو المشتد سوادا (كتاب العين: ج٣، ص٦٣).

نصروا الدين وآووا أهله
منزل رحب ورزق مشترك
وإذا الحرب تلظت[١] نارها
بركوا فيها إذا الموت برك[٢]

ودخل الفضل علىٰ علي عليه السلام فأسمعه شعره، ففرح به، ونادىٰ[٣]: وريت[٤] بك زنادي[٥] يا فضل، أنت شاعر قريش وفتاها، فأظهر شعرك وابعث به إلىٰ الأنصار، فلما بلغ [ذلك][٦] الأنصار، قالت: لا أحد يحدث عنا[٧] إلا حسان الحسام.

فبعثوا إلىٰ حسان بن ثابت فعرضوا عليه شعر الفضل، فقال: كيف أصنع بجوابه، إن لم أتحر قوافيه فضحني، فرويدا حتىٰ يكن أقفوا أثره في المقول[٨].. فقال له خزيمة بن ثابت: أذكر عليا[عليه السلام] وآله يكفك عن كل شيء.. فقال شعرا:

جزىٰ الله خيرا والجزاء بألفه[٩]
أبا حسن عنا ومن كأبي حسن
سبقت قريشا بالذي أنت أهله
فصدرك مشروح وقلبك ممتحن
تمنت رجال من قريش أعزة
مكانك هيهات الهزال من السمن
وأنت من الإسلام في كل موطن
بمنزلة الدلو البطين[١٠] من الرسن[١١]

---

(١) توهج واتقد (لسان العرب: ج١٥، ص٢٤٨). (٢) ثبت (معجم مقاييس اللغة: ج١، ص٢٢٧).
(٣) في المصدر: وقال. (٤) سترت واظهرت (غريب الحديث للحربي: ج٢، ص٧٦٠).
(٥) موصل طرف الذراع في الكف (ج٢، ص٤٨١).
(٦) من المصدر.
(٧) في المصدر: يجيب.
(٨) في المصدر: القوافي.
(٩) في المصدر: جزا الله عنا والجزاء بكفه.
(١٠) العظيم (النهاية: ج١، ص١٣٧).
(١١) الحبل المعروف.

غضبت لنا إذ قام عمرو بخطبة
أمات بها التقوىٰ وأحيا بها الإحن[1]
فكنت المرجىٰ من لؤي بن غالب
لما كان منهم والذي بعد[2] لم يكن
حفظت رسول الله فينا وعهده
إليك ومن أولىٰ به منك من ومن
ألست أخاه في الهدىٰ ووصيه
وأعلم منهم بالكتاب وبالسنن
فحقك ما دامت بنجد وشيجة
عظيم علينا ثم بعد علىٰ اليمن

قال الزبير[3]: وبعث[4] الأنصار بهٰذا الشعر إلىٰ علي [بن أبي طالب][5] عليه السلام، فخرج إلىٰ المسجد، وقال لمن به من قريش وغيرهم: «**يا معشر قريش، إن الله جعل الأنصار أنصارا، فأثنىٰ عليهم في الكتاب، فلا خير فيكم بعدهم، وإنه لا يزال سفيه من سفهاء قريش وتره الإسلام، ومعه الحق[6]، وأطفا شرفه، [و][7]فضل غيره عليه، يقوم مقاما فاحشا فيذكر الأنصار، فاتقوا الله وارعوا حقهم، فوالله لو زالوا لزلت معهم، لأن رسول الله** صلى الله عليه وآله **قال لهم: «أزول معكم حيثما زلتم»**، فقال المسلمون جميعا: رحمك الله يا أبا الحسن، قلت قولا صادقا».

قال الزبير[8]: وترك عمرو بن العاص المدينة، وخرج عنها حتىٰ رضي عنه علي[عليه السلام] والمهاجرون.

قال الزبير: ثم إن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ـ وكان يبغض الأنصار لأنهم أسروا أباه يوم بدر، وضربوا عنقه صبرا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ـ قام

(١) الأحقاد والضغائن (مجمع البحرين: ج١، ص٤٣).
(٢) في المصدر: كان.
(٣) في كتابه الموفقيات (ص٥٩٩).
(٤) في المصدر: وبعثت.
(٥) كما في المصدر.
(٦) في المصدر: ودفعه عن الحق.
(٧) من المصدر.
(٨) في كتابه الموفقيات (ص٥٩٨).

فشتم[١] الأنصار، وذكرهم بالهجر، فقال: إن الأنصار لترىٰ لها من الحق علينا ما لا نراه، والله لئن كانوا آووا لقد عزوا بنا، ولئن كانوا آسوا لقد منوا علينا، والله ما نستطيع مودتهم، لأنه لا قال قائل منهم يذكر ذلنا بمكة، وعزنا بالمدينة، ولا ينفكون يعيرون موتانا، ويغيظون أحياءنا، فإن أجبناهم قالوا: غضبت قريش علىٰ غاربها، ولكن قد هون الله علىٰ ذلك منهم حرصهم بالريق[٢] أمس، واعتذارهم عن الذنب اليوم.

ثم قال شعرا:

تباذخت الأنصار في الناس باسمها
ونسبتها في الأزد عمرو بن عامر

وقالوا: لنا حق عظيم ومنة
علىٰ كل باد من معد وحاضر

فإن يك للأنصار فضل فلم تنل
بحرمتها[٣] الأنصار فضل المهاجر

وإن تكن الأنصار آوت وقاسمت
معايشها من جاءها قسمة جازر

فقد أفسدت ما كان منها بمنها
وما ذاك فعل الأكرمين الأكابر

إذا قال حسان وكعب قصيدة
بشتم قريش غنيت في المعاشر

وسار بها الركبان في كل وجهة
وأعمل فيها كل خف وحافر

فهذا لنا من كل صاحب خطبة
يقوم بها منكم ومن كل شاعر

وأهل بأن يهجو بكل قصيدة
وأهل بأن يرموا بنبل فواقر

(١) في المصدر: يشتم.
(٢) في المصدر: على الدين.
(٣) في المصدر: بحرمته.

قال: ففشا شعره في الناس، فغضبت الأنصار، وغضب لها من قريش قوم، منهم: ضرار بن الخطاب الفهري، وزيد بن الخطاب، ويزيد بن أبي سفيان، فبعثوا إلىٰ الوليد فجاء.

وتكلم[١] زيد بن الخطاب، فقال: يا ابن عقبة بن أبي معيط؛ أما والله لو كنت من الفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾[٢]، لأجبت[٣] الأنصار، ولكنك من الجفاة[٤] في الإسلام، البطاء عنه، الذين دخلوا فيه بعد أن ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾[٥]، ألا تعلم[٦] إنا أتيناهم ونحن فقراء، فأغنونا، ثم أصبنا الغنىٰ فكفوا عنا، ولم يرزءونا شيئا، فأما ذكرهم ذلة قريش بمكة وعزها بالمدينة فكذلك كنا، وكذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾[٧] فنصرنا الله تعالىٰ بهم، وآوانا إلىٰ مدينتهم.. وأما غضبك لقريش فإنا لا ننصر كافرا، ولا نواد ملحدا ولا فاسقا، ولقد قلت وقالوا فقطعك الخطيب، وألجمك الشاعر.. وأما ذكرك الذي كان بالأمس، فدع المهاجرين والأنصار فإنك لست من ألسنتهم في الرضا، ولا نحن من أيديهم في الغضب.

وتكلم يزيد بن أبي سفيان، فقال: يا ابن عقبة؛ الأنصار أحق بالغضب لقتلىٰ أحد، فاكفف لسانك، فإن من قتله الحق لا يغضب له.

وتكلم ضرار بن الخطاب، فقال: أما والله لو لا أن رسول الله ﷺ قال: «**الأئمة من قريش**» لقلنا: الأئمة من الأنصار، ولكن جاء أمر غلب الرأي، فاقمع شرتك[٨] أيها الرجل، ولا تكن امرأ سوء، فإن رسول الله ﷺ[٩] لم يفرق بين الأنصار والمهاجرين في الدنيا، وكذلك الله لا يفرق بينهم في الآخرة.

---

(١) في المصدر: فتكلم.

(٢) كما في التعبير القرآني (الآية ٢٩ من سورة الفتح).

(٣) في المصدر: لأحببت.

(٤) الذين لم يلزموا بالشيء ولم يلتزموه (تاج العروس: ج١٩، ص٢٨٦).

(٥) كما في التعبير القرآني (الآية ٤٨ من سورة التوبة).

(٦) في المصدر: إنا نعلم.

(٧) الآية ٢٦ من سورة الأنفال.

(٨) نهمك (الصحاح: ج٣، ص١١٧٩).

(٩) في المصدر: فإن الله.

وأقبل حسان بن ثابت مغضبا من كلام الوليد بن عقبة وشعره، فدخل المسجد وفيه قوم من قريش، فقال: يا معشر قريش؛ إن أعظم ذنبنا إليكم قتلنا كفاركم، وحمايتنا عن رسول الله ﷺ، وإن كنتم تنقمون منا هنة[1] كانت بالأمس فقد كفىٰ الله شرها، فما لنا وما لكم، والله ما يمنعنا من قتالكم الجبن، ولا من جوابكم العي[2]، وإنا لحي فعال ومقال، ولكنا قلنا: إنها حرب، أولها عار وآخرها ذل، فأغضينا[3] عليها جفوفنا[4]، وسحبنا لها ذيولنا، حتىٰ نرىٰ وتروا، فإن قلتم قلنا، وإن سكتم سكنا.

فلم يجبه أحد من قريش، ثم سكت كل من الفريقين عن صاحبه، ورضىٰ القوم أجمعون، وقطعوا الخلاف والعصبية.

انتهىٰ ما ذكره الزبير بن بكار في الموفقيات، ونعود الآن إلىٰ ذكر ما أورده أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب السقيفة[5].

قال أبو بكر[6]: حدثني أبو يوسف يعقوب بن شيبة، عن يحيىٰ[7] بن آدم، عن رجاله، عن سالم بن عبيد، قال: لما توفىٰ نبي[8] الله[ﷺ]، وقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، أخذ عمر بيد أبي بكر، وقال: سيفان في غمد واحد، إذا لا يصطحبان[9].. ثم قال: من له هٰذه الثلاثة[10]؟ ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ من هما؟ ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ﴾ من صاحبه؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ مع من؟ ثم بسط يده إلىٰ أبي بكر فبايعه، فبايعه الناس أحسن بيعة وأجملها.

قال أبو بكر[11]: وحدثنا أحمد بن عبدالجبار العطاردي، عن أبي بكر بن عياش، عن دزين[12] بن عبدالله، قال: إن الله تعالىٰ نظر في قلوب العباد، فوجد

---

(١) في المصدر: منة. (٢) التحير في الكلام والجهل (مجمع البحرين: ج١، ٣١١).
(٣) أدنينا الجفون (كتاب العين: ج٤، ص٤٣١). (٤) في المصدر: عيوننا.
(٥) ص٦٤. (٦) السقيفة وفدك (ص٦٤).
(٧) في المصدر: بحر.
(٨) في المصدر: رسول.
(٩) في المصدر: يصلحان.
(١٠) في المصدر: الثلاث.
(١١) في السقيفة وفدك (ص٦٤).
(١٢) في المصدر: زيد.

قلب محمد [عليه الصلاة والسلام][(١)] خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه[(٢)] برسالته، ثم نظر في قلوب الأمم بعد قلبه، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء[(٣)] نبيه، يقاتلون عن دينه، فما رأىٰ المؤمنون[(٤)] حسنا فهو عند الله حسن، وما رأىٰ المسلمون سيئا فهو عند الله سيء.

قال أبو بكر بن عياش: وقد رأىٰ المسلمون أن يولوا أبا بكر بعد النبيﷺ، فكانت ولايته حسنة.

قال أبو بكر[(٥)]: وحدثنا أبو يعقوب بن شيبة، قال: لما قبض رسول اللهﷺ وقالت الأنصار: (منا أمير ومنكم أمير)، قال عمر: أيها الناس؛ أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول اللهﷺ في الصلاة، رضيك الله لديننا أفلا نرضاك لدنيانا.

فقال أبو بكر[(٦)]: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثني زيد بن يحيىٰ الأنماطي، قال: حدثنا صخر بن جويرية، عن عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه، قال: أخذ أبو بكر بيد عمر، ويد رجل من المهاجرين ـ يرونه أبا عبيدة ـ حتىٰ انطلقوا إلىٰ الأنصار، وقد اجتمعوا عند سعد في سقيفة بني ساعدة، فقال عمر: قلت لأبي بكر دعني أتكلم، وخشيت جد أبي بكر ـ وكان ذا جد ـ فقال أبو بكر: لا بل أنا أتكلم، فما هو والله إلا أن انتهينا إليهم، فما كان في نفسي شيء أريد أن أقوله إلا أتىٰ أبو بكر عليه، فقال لهم: يا معشر الأنصار؛ إنه والله ما ينكر حقكم مسلم، إنا والله ما أصبنا خيرا قط إلا أشركتمونا فيه، لقد آويتم[(٧)] ونصرتم، وآزرتم وواسيتم، ولكن قد علمتم أن العرب لا تقر ولا تطيع إلا لأمرئ من قريش، هم رهط النبيﷺ، [و][(٨)]أوسط العرب وشيجة رحم، وأوسط الناس دارا، وأعرب الناس ألسنا، وأصبح الناس أوجها، وقد عرفتم بلاء ابن الخطاب في الإسلام وقدمه، هلم فلنبايعه.. قال عمر: بل إياك نبايع.

---

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: وابتعثه.

(٣) في المصدر: وراء.

(٤) في المصدر: المسلمون.

(٥) في السقيفة وفدك (ص٦٥).

(٦) في السقيفة وفدك (ص٦٥).

(٧) في المصدر: أديتم.

(٨) من المصدر.

قال عمر: فكنت أول الناس مد يده إلىٰ أبي بكر فبايعه، إلا رجلا من الأنصار أدخل يده بين يدي ويد أبي بكر فبايعه قبل وطئ[١] الناس فراش سعد، فقيل: قتلتم سعدا.. فقال عمر: قتل الله سعدا.. فوثب رجل من الأنصار، فقال: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب.. فأخذ فوطئ[٢] في بطنه، ودسوا في فيه التراب.

قال أبو بكر[٣]: وحدثنا[٤] يعقوب، عن محمد بن جعفر، عن محمد بن إسماعيل، عن مختار التمار[٥]، عن عيسىٰ بن زيد، قال: لما بويع أبو بكر جاء أبو سفيان إلىٰ علي عليه السلام، فقال: أغلبكم علىٰ هٰذا الأمر أذل بيت من قريش وأقلها، أما والله لئن شئت لأملأنها علىٰ أبي فصيل خيلا ورجلا، ولأسدنها عليه من أقطارها.. فقال علي عليه السلام: «يا أبا سفيان؛ طالما كدت [إلىٰ][٦] الاسلام وأهله، فما ضرهم شيئا، أمسك عليك فإنا رأينا أبا بكر لها أهلا.

قال أبو بكر[٧]: وحدثنا يعقوب، عن رجاله، قال: لما بويع أبو بكر[٨] تخلف علي عليه السلام فلم يبايع، فقيل لأبي بكر: إنه كره إمارتك.. فبعث إليه [وقال][٩]: أكرهت إمارتي؟ قال: لا، ولكن القرآن خشيت أن يزاد فيه (أو قال: كان يزاد فيه)، فحلفت ألا أرتدي رداء حتىٰ أجمعه، اللهم إلا إلىٰ صلاة الجمعة.

فقال أبو بكر: لقد أحسنت.. قال: فكتبه عليه السلام[١٠] كما أنزل، بناسخه ومنسوخه.

قال أبو بكر[١١]: وحدثنا يعقوب، عن أبي النضر[١٢]، عن محمد بن راشد، عن مكحول، أن رسول الله صلى الله عليه وآله استعمل خالد بن سعيد بن العاص علىٰ عمل،

(١) في المصدر: قبلي ووطئ. (٢) في المصدر: ووطئ.
(٣) في السقيفة وفدك (ص٦٦).
(٤) في المصدر: وحدثني.
(٥) في المصدر: اليمان.
(٦) من المصدر.
(٧) في السقيفة وفدك (ص٦٦).
(٨) في المصدر: أبا.
(٩) من المصدر.
(١٠) في المصدر: عليه الصلاة والسلام.
(١١) في السقيفة وفدك (ص٦٦).
(١٢) في المصدر: النصر.

فقدم بعد ما قبض رسول الله ﷺ وقد بايع الناس أبا بكر، فدعاه إلىٰ البيعة، فأبىٰ، فقال عمر: دعني وإياه.. فمنعه أبو بكر حتىٰ مضت عليه سنة، ثم مر به أبو بكر وهو جالس علىٰ بابه، فناداه خالد: يا أبا بكر؛ هل لك في البيعة؟ قال: نعم.. قال: فادن.. فدنا منه، فبايعه خالد وهو قاعد علىٰ بابه.

قال أبو بكر[١]: وحدثنا أبو يوسف يعقوب بن شيبة، عن خالد بن مخلد، عن يحيىٰ بن عمر، قال: حدثني أبو جعفر الباقر عليه السلام، قال: جاء أعرابي إلىٰ أبي بكر علىٰ عهد رسول الله ﷺ، وقال له: أوصني.. فقال له: لا تأمر علىٰ اثنين.. ثم أن الأعرابي شخص إلىٰ الربذة[٢]، فبلغه بعد ذٰلك وفاة رسول الله ﷺ، فسأل عن أمر الناس: من وليه؟ فقيل: أبو بكر.. فقدم الأعرابي إلىٰ المدينة، فقال لأبي بكر: أليس[٣] أمرتني ألا أتأمر علىٰ اثنين.. قال: بلىٰ.. قال: فما بالك؟ فقال أبو بكر: لم أجد لها أحدا [غيري][٤] أحق مني.

قال: ثم رفع[٥] أبو جعفر الباقر عليه السلام يديه وخفضهما، فقال: صدق صدق.

قال أبو بكر[٦]: وقد روي هٰذا الخبر برواية أتم من هٰذه الرواية: [حدثنا يعقوب بن شيبة، قال][٧]: حدثنا يحيىٰ بن حماد، قال: حدثنا أبو عوانة، عن سليمان الأعمش[٨]، عن سلمان[٩] بن ميسرة، عن طارق بن شهاب، عن رافع بن أبي رافع الطائي، قال: بعث رسول الله ﷺ جيشا، وأمر[١٠] عليهم عمرو بن العاص، وفيهم أبو بكر وعمر، وأمرهم أن يستنفروا من مروا عليه[١١]، فمروا علينا فاستنفرونا، فنفرنا معهم في غزوة[١٢] ذات السلاسل[١٣]، وهي [التي][١٤]

(١) في السقيفة وفدك (ص٦٧). (٢) قرية من قرى المدينة على مسافة ثلاثة أميال منها، وهي من منازل الحاج في طريق مكة (معجم البلدان: ج٣، ص٢٤).
(٣) في المصدر: ألست. (٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: دفع. (٦) السقيفة وفدك (ص٦٧).
(٧) من المصدر.
(٨) في المصدر: الأعشى.
(٩) في المصدر: سليمان.
(١٠) في المصدر: فأمر.
(١١) في المصدر: به.
(١٢) في المصدر: غزاة.
(١٣) أو: غزوة وادي الرمل، وهي من حوادث السنة السادسة.
(١٤) من المصدر.

تفخر بها أهل الشام، فيقول[١]: استعمل رسول الله ﷺ عمرو بن العاص علىٰ جيش فيه أبو بكر وعمر.

قال: فقلت: والله لأختارن في هٰذه الغزاة لنفسي رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يستهدىٰ به[٢]، فإني لست أستطيع إتيان المدينة، فاخترت أبا بكر ولم آل، وكان له كساء فدكي يخله عليه إذا ركب، ويلبسه إذا نزل، وهو الذي عيرته به هوازن بعد النبي ﷺ، وقالوا: لا نبايع ذا الخلال[٣].

قال: فلما قضينا غزاتنا، قلت له: يا أبا بكر؛ إني قد صحبتك و[إن][٤] لي عليك حقا، فعلمني شيئا أنتفع به.

فقال: قد كنت أريد ذٰلك لو لم تقل لي: تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتحج البيت، وتصوم شهر رمضان، ولا تتأمر علىٰ رجلين.

فقلت: أما العبادات فقد عرفتها، أرأيت نهيك لي عن الأمارة، وهل يصيب الناس الخير والشر إلا بالإمارة.

فقال: إنك استجهدتني[٥] فجهدت لك، وإن الناس دخلوا في الإسلام طوعا وكرها فأجارهم الله من الظلم، فهم جيران الله وعواد الله [وفي ذمة الله][٦]، فمن يظلم منكم إنما يحقر ربه، والله إن أحدكم ليأخذ شويهة[٧] جاره أو بعيره، فيظل عمله بأسا بجاره، والله من وراء جاره.

قال: فلم نلبث[٨] إلا قليلا حتىٰ أتانا[٩] وفاة رسول الله ﷺ، فسألت من استخلف بعده؟ قيل: أبو بكر.. قلت: أصاحبي الذي كان ينهاني عن الإمارة، فشددت علىٰ راحلتي، فأتيت المدينة، فجعلت أطلب خلوته، حتىٰ قدرت

---

(١) في المصدر: فيقولون.
(٢) في المصدر: أستهديه.
(٣) ذا الخلال هو: أبو بكر.
(٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: مستجهد في.
(٦) من المصدر.
(٧) مصغر شاة (كتاب العين: ج٤، ص٦٩).
(٨) في المصدر: يلبث.
(٩) في المصدر: أتتنا.

عليها، فقلت: أتعرفني؟ أنا فلان بن فلان، أتذكر[١] وصية أوصيتني بها؟ فقال: [نعم][٢]؛ إن رسول الله ﷺ قبض، والناس حديث عهدهم[٣] بالجاهلية فخشيت أن يفتتنوا، وإن أصحابي حملونيها، فما زال يعتذر إلي حتىٰ عذرته، وصار من أمري بعد أن صرت عريفا.

قال أبو بكر[٤]: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة، عن رجاله، عن الشعبي، قال: قام الحسن بن علي عليه السلام إلىٰ أبي بكر وهو يخطب علىٰ المنبر، فقال[عليه السلام] له: «**انزل عن منبر أبي**»؟ فقال أبو بكر: صدقت، والله إنه لمنبر أبيك لا منبر أبي.. فبعث علي عليه السلام إلىٰ أبي بكر إنه غلام حدث، وإنا لم نأمره.. فقال أبو بكر: صدقت إنا لم نتهمك.

قال أبو بكر[٥]: وروىٰ أبو زيد، عن حباب بن يزيد، عن حريز[٦]، عن المغيرة، عن[٧] سلمان والزبير وبعض الأنصار كان هواهم أن يبايعوا عليا عليه السلام بعد النبي ﷺ، فلما بويع أبو بكر، قال سلمان رضي الله عنه للصحابة: أصبتم الخير، ولكن أخطأتم المعدن.

قال[٨]: وفي رواية أخرىٰ: أصبتم ذا السن منكم، ولكنكم أخطأتم أهل بيت نبيكم، أما لو جعلتموها فيهم ما اختلف منكم اثنان ولأكلتموها رغدا.

قلت: هٰذا الخبر هو الذي يرويه[٩] المتكلمون في باب الإمامة عن سلمان رضي الله عنه أنه قال: (كرديد ونكرديد) تفسره الشيعة، فتقول: أراد أسلمتم وما أسلمتم، ويفسره أصحابنا فيقولون معناه: أصبتم وأخطأتم[١٠].

ثم قال أبو بكر[١١]: وأخبرنا أبو زيد [عمر بن شبة][١٢]، قال: حدثنا محمد بن يحيىٰ، قال: حدثنا غسان بن عبدالحميد، قال: لما أكثر في تخلف علي عليه السلام

(١) في المصدر: أتعرف. (٢) من المصدر.
(٣) في المصدر: حديثوا عهد. (٤) السقيفة وفدك (ص٦٨).
(٥) السقيفة وفدك (ص٦٩). (٦) في المصدر: جرير.
(٧) في المصدر: أن.
(٨) الجوهري في السقيفة وفدك (ص٦٩).
(٩) في المصدر: رواه.
(١٠) في المصدر: أخطأتم وأصبتم.
(١١) السقيفة وفدك (ص٤٦ وص٦٩).
(١٢) من المصدر.

عن البيعة، واشتد أبو بكر وعمر في ذلك، خرجت أم مسطح بن أثاثة، فوقفت عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونادته: يا رسول الله، شعرا:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة[1] لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إنا فقدناك فقد الأرض وابلها[2] فاختل قومك فاشهدهم ولا تغب

قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز[3]: وسمعت أبا زيد عمر بن شبة يحدث رجلا بحديث لم أحفظ إسناده، قال: مر المغيرة بن شعبة بأبي بكر وعمر، وهما جالسان علىٰ باب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين قبض، فقال: ما يقعدكما؟ قالا: ننتظر هٰذا الرجل يخرج فنبايعه ـ يعنيان عليا عليه السلام ـ فقال: أتريدون أن تنظروا حبل الحيلة من أهل هٰذا البيت! وسعوها في قريش تتسع.. قال: فقاما إلىٰ سقيفة بني ساعدة، أو كلاما هٰذا معناه.

قال أبو بكر[4]: وأخبرنا أبو جعفر محمد بن عبدالملك الواسطي، عن يزيد بن هارون، عن سفيان بن حسين، عن الزهري، عن أنس بن مالك، قال: لما مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرضه الذي مات فيه، أتاه بلال يؤذنه بالصلاة، فقال بعد مرتين: «**يا بلال، قد أبلغت فمن شاء فليصل بالناس، ومن شاء فليدع**».

قال: ورفعت الستور[5] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فنظرنا إليه كأنه ورقة بيضاء وعليه خميصة[6] له، فرجع إليه بلال، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، قال: فما رأيناه بعد ذلك عليه السلام.

[و][7]قال أبو بكر[8]: وحدثني [أبو الحسن][9] علي بن سليمان النوفلي، قال: سمعت أبي يقول: ذكر سعد بن عبادة يوما عليا عليه السلام [بعد][10] يوم السقيفة،

---

(١) في المصدر: وهينمة. (٢) الوابل: المطر الغليظ القطر (كتاب العين: ج٨ ص٣٣٨).
(٣) السقيفة وفدك (ص٦٩). (٤) السقيفة وفدك (ص٧٠).
(٥) جمع الستر المعلق على الأبواب.
(٦) الخميصة: ثوب خز أو صوف مربع معلم (مجمع البحرين: ج١، ص٧٠٣).
(٧) من المصدر.
(٨) في السقيفة وفدك (ص٧٠).
(٩) من المصدر.
(١٠) من المصدر.

فذكر أمرا من أمره نسيه أبو الحسن، يوجب[١] ولايته سمعه من النبيﷺ، فقال له ابنه قيس بن سعد: أنت سمعت رسول اللهﷺ يقول هٰذا الكلام في علي بن أبي طالبعليه السلام، ثم تطلب الخلافة، وتقول[٢] أصحابك: منا أمير ومنكم أمير، لا كلمتك والله من رأسي بعد هٰذا كلمة أبدا.

قال أبو بكر[٣]: وحدثني أبو الحسن علي بن سليمان النوفلي، قال: حدثني أبي، قال: حدثني شريك بن عبدالله، عن إسماعيل بن (أبي)[٤] خالد، عن زيد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن جدهعليهما السلام، قال: قال عليعليه السلام: «**كنت أبايع[٥] الأنصار لرسول الله[ﷺ] علىٰ السمع والطاعة له في المحبوب والمكروه، فلما عز الإسلام وكثر أهله، قال: يا علي، زد فيها: علىٰ أن تمنعوا رسول الله وأهل بيته مما تمنعون منه أنفسكم وذراريكم**».. قال: فحملها علىٰ ظهور القوم، فوفىٰ بها من وفىٰ، وهلك من هلك.

قال: قلت: هٰذا يطابق ما رواه أبو الفرج الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيين[٦]، أن جعفر بن محمدعليه السلام وقف مستترا في خفية، يشاهد المحامل التي حمل عليها عبدالله بن الحسن وأهله في القيود والحديد من المدينة إلىٰ العراق، فلما مروا به بكىٰ، وقال: ما وفت الأنصار ولا أبناء الأنصار لرسول اللهﷺ، بايعهم علىٰ أن يمنعوا محمدا وأبناءه وأهله وذريته مما يمنعون منه أنفسهم وأبناءهم وأهلهم وذراريهم فلم يفوا.. اللهم اشدد وطأتك علىٰ الأنصار.

[و][٧]قال أبو بكر[٨]: وحدثنا أبو سعيد عبدالرحمن بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن الحكم، قال: حدثنا عبدالله بن وهب، عن الليث[٩] بن سعد، قال:

---

(١) في المصدر: ليوجب.
(٢) في المصدر: ويقول.
(٣) في السقيفة وفدك (ص ٧١).
(٤) غير موجودة في المصدر.
(٥) في المصدر: مع.
(٦) ص ١٤٩.
(٧) من المصدر.
(٨) في السقيفة وفدك (ص ٧١).
(٩) في المصدر: ليث.

تخلف علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر، فأخرج ملبباً[1] يمضي به وقصاً[2]، وهو يقول: «**معاشر المسلمين؛ علىٰ ما يضرب**[3] **عنق رجل من المسلمين لم يتخلف لخلاف، وإنما تخلف لحاجة**»، فما مر بمجلس من المجالس إلا يقال له: انطلق فبايع.

قال أبو بكر[4]: وحدثنا علي بن حرب[5] الطائي، قال: حدثنا ابن فضل، عن الأجلح، عن حبيب بن تغلبة[6] بن يزيد، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: «**أما ورب السماء والأرض ثلاثا، إنه لعهد النبي الأمي إلىٰ: (لتغدرن بك الأمة من بعدي)**».

قال أبو بكر[7]: وحدثنا أبو زيد عمر بن شبة، بإسناد رفعه إلىٰ ابن عباس، قال: إني لأماشي عمر في سكة من [سكك][8] المدينة، [يده في يدي][9]، فقال: يا ابن عباس؛ ما أظن صاحبك إلا مظلوما، فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلت: يا أمير المؤمنين؛ فأد[10] إليه ظلامته، فانتزع يده من يدي، ثم مر يهمهم[11] ساعة ثم وقف، فلحقته فقال لي: يا ابن عباس؛ ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه، فقلت في نفسي: هٰذه شر من الأولىٰ.. فقلت: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر.

[مبايعة أبي بكر برواية الشيخين]:

فأما ما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين[12] من كيفية المبالغة[13] لأبي بكر فهو بهٰذا اللفظ الذي أورده عليك، والإسناد إلىٰ عائشة أن فاطمة عليها السلام

---

(١) جامعا ثيابه عند صدره ونحره.

(٢) في المصدر: ركضا.

(٣) في المصدر: علام تضرب.

(٤) في السقيفة وفدك (ص٧١).

(٥) في المصدر: جرير.

(٦) في المصدر: ثعلبة.

(٧) في السقيفة وفدك (ص٧٢).

(٨) من المصدر.

(٩) كما في المصدر.

(١٠) في المصدر: فاردد.

(١١) يردد صوتا في صدره (الصحاح: ج٥، ص٢٠٦٢).

(١٢) صحيح البخاري (ج٤، ص٧١) وصحيح مسلم (ج٣، ص١٣٧٩).

(١٣) في المصدر: المبايعة.

والعباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من النبيﷺ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك، وسهمه من خيبر، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول اللهﷺ يقول: (إنا معشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة، إنما يأكل آل محمد في[1] هٰذا المال)، وإني والله لا أدع أمر رأيت رسول اللهﷺ يصنعه إلا صنعته.

فهجرته فاطمةعليها السلام ولم تكلمه في ذٰلك حتىٰ ماتت، فدفنها عليعليه السلام ليلا، ولم يؤذن بها أبا بكر، وكان لعليعليه السلام وجه من الناس في حياة فاطمةعليها السلام، فلما توفيت فاطمةعليها السلام انصرفت وجوه الناس عن عليعليه السلام، فمكثت فاطمةعليها السلام ستة أشهر ثم توفيت.

فقال رجل للزهري ـ وهو الراوي لهٰذا الخبر عن عائشة ـ: فلم يبايعه عليعليه السلام ستة أشهر!! قال: لا ولا أحد من بني هاشم حتىٰ بايعه عليعليه السلام، فلما رأىٰ ذٰلك ضرع[2] إلىٰ مصالحة[3] أبي بكر، فأرسل إلىٰ أبي بكر أن ائتنا، ولا يأت معك أحد، وكره أن يأتيه عمر لما عرف من شدته، فقال عمر: لا تأتهم وحدك.. فقال أبو بكر: والله لآتينهم وحدي، وما عسىٰ أن يصنعوا بي؟

فانطلق أبو بكر حتىٰ دخل علىٰ عليعليه السلام، وقد جمع بني هاشم عنده، فقام علي[عليه السلام]، فحمد الله وأثنىٰ عليه بما هو أهله، ثم قال: «**أما بعد.. فإنه لم يمنعنا أن نبايعك يا أبا بكر إنكار لفضلك، ولا منافسة لخير ساقه الله إليك، ولكنا كنا نرىٰ أن لنا في هٰذا الأمر حقا، فاستبددتم به علينا**»، ثم ذكر قرابته من رسول اللهﷺ وحقه، فلم يزل عليعليه السلام يذكر ذٰلك حتىٰ بكىٰ أبو بكر.

فلما صمت عليعليه السلام تشهد أبو بكر، فحمد الله وأثنىٰ عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد.. فوالله لقرابة رسول اللهﷺ أحب إلي أن أصلها من قرابتي، وإني والله ما آلوتكم من هٰذه الأحوال[4] التي كانت بيني وبينكم إلا الخير، ولكني سمعت رسول اللهﷺ يقول: (لا نورث ما تركناه صدقة، وإنما يأكل آل محمد في هٰذا المال)، وإني والله لأذكر[5] أمرا صنعه رسول اللهﷺ إلا صنعته إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) في المصدر: من. (٢) خضع (كتاب العين: ج١، ص٢٧٠).
(٣) في المصدر: مبايعة.
(٤) في المصدر: الأموال.
(٥) في المصدر: لا أترك.

قال علي عليه السلام: «**فموعدك العشية للبيعة**».. فلما صلىٰ أبو بكر الظهر أقبل علىٰ الناس ثم عذر عليا عليه السلام ببعض ما اعتذر به، ثم قام علي عليه السلام فعظم من حق أبي بكر، وذكر فضيلته[1] وسابقته، ثم مضىٰ إلىٰ أبي بكر فبايعه، وأقبل[2] الناس إلىٰ علي عليه السلام فقالوا: أصبت وأحسنت.. وكان علي عليه السلام قريبا إلىٰ الناس حين قارب الأمر بالمعروف.

قال[3] أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز[4]، قال: حدثني أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثني إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا بن وهب، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، قال: غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة، وغضب علي عليه السلام والزبير، فدخلا بيت فاطمة عليها السلام، ومعهما

السلاح، فجاء عمر في عصابة، منهم[5]: أسيد بن خضير[6]، وسلمة بن سلامة وبشر[7]، وهما من بني عبدالأشهل[8]، فهجم[9] الدار، فصاحت فاطمة عليها السلام وناشدتهما الله، فأخذوا سيفيهما، فضربوا بهما الحجر حتىٰ كسروهما، ثم أخرجهما[10] عمر يسوقهما حتىٰ بايعا.

ثم قام أبو بكر، فخطب الناس، واعتذر[11] إليهم، وقال: (إن بيعتي كانت فلتة وقىٰ الله شرها، وخشيت الفتنة، وأيم الله ما حرصت عليها يوما قط، ولا سألتها الله في سر ولا علانية قط، ولقد قلدت أمرا عظيما ما لي به طاقة ولا يدان، ولقد وددت أن أقوىٰ الناس عليه مكاني).

فقال[12] المهاجرون، وقال علي[عليه السلام] والزبير: ما غضبنا إلا في المشورة وإنا لنرىٰ أبا بكر أحق الناس بها، وإنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعرف له سنة، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة [بالناس][13] وهو حي.

---

(١) في المصدر: فضله. (٢) في المصدر: فأقبل.
(٣) في المصدر: وروى. (٤) في السقيفة وفدك (ص٧٢).
(٥) في المصدر: فيهم. (٦) في المصدر: حضير.
(٧) في المصدر: بن قريش. (٨) في المصدر: الأشمل.
(٩) في المصدر: فاقتحما.
(١٠) في المصدر: فأخرجهما.
(١١) في المصدر: فاعتذر.
(١٢) في المصدر: فقبل.
(١٣) من المصدر.

قال أبو بكر[١]: وذكر إن[٢] شهاب بن ثابت: أن قيس بن شماس[٣] ـ أخا بني الحارث من الخزرج ـ كان مع الجماعة الذين دخلوا بيت فاطمةعليها السلام.

قال[٤]: وروىٰ سعد بن إبراهيم أن عبدالرحمن بن عوف كان مع عمر ذٰلك اليوم، وأن محمد بن مسلمة كان معهم، وأنه هو الذي كسر سيف الزبير.

قال أبو بكر[٥]: وحدثني أبو زيد عمر بن شبة، عن رجاله، قال: جاء عمر إلىٰ بيت فاطمةعليها السلام في رجال من الأنصار، ونفر قليل من المهاجرين، فقال: والذي نفسي بيده لتخرجن إلىٰ البيعة أو لأحرقن البيت عليكم.

فخرج إليه الزبير مصلتا سيفه[٦]، فاعتنقه زياد بن لبيد الأنصاري ورجل آخر، فندر[٧] السيف من يده، فضرب به عمر الحجر فكسره، ثم أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقا عنيفا، حتىٰ بايعوا أبا بكر.

قال أبو زيد: وروىٰ النضر بن سهيل[٨]، قال: حمل سيف الزبير لما ندر من يده إلىٰ أبي بكر، وهو علىٰ المنبر يخطب، فقال: اضربوا به الحجر.. قال أبو عمرو بن حماس: ولقد رأيت الحجر وفيه تلك الضربة، والناس يقولون: هٰذا أثر ضربة سيف الزبير.

قال أبو بكر[٩]: وأخبرني أبو بكر الباهلي، عن إسماعيل بن مجالد، عن الشعبي، قال: قال أبو بكر: يا عمر؛ أين خالد بن الوليد؟ قال: ها هو ذا[١٠].. فقال: انطلقا إليهما ـ يعني عليا[عليه السلام] والزبير ـ فأتياني بهما.

فانطلقا، فدخل عمر ووقف خالد علىٰ الباب من خارج، فقال عمر للزبير: ما هٰذا السيف؟ قال: أعددته لأبايع عليا.. قال: وكان في البيت ناس كثير،

---

(١) في السقيفة وفدك (ص٧٢).
(٢) في المصدر: ابن.
(٣) في المصدر: شماص (بالصاد).
(٤) الجوهري في السقيفة وفدك (ص٧٢).
(٥) في السقيفة وفدك (ص٧٢).
(٦) في المصدر: بالسيف.
(٧) سقط.
(٨) في المصدر: شميل.
(٩) في السقيفة وفدك (ص٧٣).
(١٠) في المصدر: هو هذا.

منهم: المقداد بن الأسود، وجمهور الهاشميين، فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة في البيت فكسره، ثم أخذ بيد الزبير، فأقامه ثم دفعه فأخرجه، وقال: يا خالد؛ دونك هذا.. فأمسكه خالد ـ وكان خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس، أرسلهم أبو بكر ردءا[1] لهما، ثم دخل عمر، فقال لعلي عليه السلام: قم فبايع.. فتلكأ واحتبس، فأخذه بيده، وقال: قم؛ فأبىٰ أن يقوم.. فحمله ودفعه كما دفع الزبير، حتىٰ[2] أمسكهما خالد، وساقهما عمر ومن معه سوقا عنيفا، واجتمع الناس ينظرون، وامتلأت شوارع المدينة بالرجال، ورأت فاطمة عليها السلام ما صنع عمر، فصرخت وولوت، واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهن، فخرجت إلىٰ باب حجرتها، ونادت: «**يا أبا بكر؛ ما أسرع ما أغرتم علىٰ أهل بيت نبيكم رسول الله صلى الله عليه وآله! والله لا أكلم عمر حتىٰ ألقىٰ الله**».

قال: فلما بايع علي[عليه السلام] والزبير، وهدأت تلك الفورة، مشىٰ إليها أبو بكر بعد ذٰلك فشفع لعمر، وطلب إليها فرضيت عنه.

قال [أبو بكر][3]: وحدثني المؤمل بن جعفر، [قال: حدثني محمد بن ميمون][4]، قال: حدثني داوود بن المبارك، قال: أتينا عبدالله بن موسىٰ بن عبدالله بن حسن بن الحسن[5] بن علي بن أبي طالب عليه السلام ونحن راجعون من الحج في جماعة، فسألناه عن مسائل، وكنت أحد من سأله، فسألته عن أبي بكر وعمر، فقال: أجيبك بما أجاب به جدي عبدالله بن الحسن، فإنه سئل عنهما، فقال: كانت أمنا صديقة ابنة نبي مرسل، وماتت وهي غضبىٰ علىٰ قوم، فنحن غضاب لغضبها.

قال[6]: قلت: قد أخذ هٰذا المعنىٰ بعض شعراء الطالبيين من أهل الحجاز، أنشدنيه النقيب جلال الدين عبدالحميد بن محمد بن عبدالحميد العلوي، قال: أنشدني هٰذا الشاعر لنفسه ـ وذهب عني أنا اسمه ـ قال:

---

(١) في المصدر: رداءا.
(٢) في المصدر: ثم.
(٣) من المصدر.
(٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: حسين.
(٦) ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٦، ص٤٩).

يا أبا حفص الهوينىٰ وما كنت
مليا بذاك لو لا الحمام
أتموت البتول غضبىٰ ونرضىٰ
ما كذا يصنع البنون الكرام

يخاطب عمرو يقول له: مهلا ورويدا يا عمر، أي: أرفق واتئد ولا تعنف بنا، (وما كنت مليا)، أي: ما كنت أهلا لأن تخاطب بهٰذا وتستعطف، ولا كنت قادرا علىٰ ولوج دار فاطمةعليها السلام علىٰ ذٰلك الوجه الذي ولجتها[١] عليه، لو لا أن أباها الذي كان بيتها يحترم ويصان لأجله مات، فطمع فيها من لم يكن يطمع.

ثم قال: (أتموت) أمنا وهي (غضبىٰ ونرضىٰ) عنه نحن، إذا لسنا بكرام، فإن الولد الكريم يرضىٰ لرضا أبيه وأمه ويغضب لغضبهما.

قال[٢]: والصحيح [عندي][٣] أنها ماتتعليها السلام وهي واجدة[٤] علىٰ أبي بكر وعمر، وأنها أوصت ألا يصليا عليها، وذلك عند أصحابنا من الأمور المغفورة لهما.

وكان الأولىٰ بهما إكرامها واحترام منزلها لولا أنهما[٥] خافا الفرقة، وأشفقنا من الفتنة، ففعلا ما هو الأصلح بحسب ظنهما، وكانا من الدين وقوة اليقين بمكان مكين، لا شك في ذلك، والأمور الماضية يتعذر الوقوف علىٰ عللها وأسبابها، ولا يعلم حقائقها إلا من قد شاهدها ولابسها، بل لعل الحاضرين المشاهدين لها يعلمون باطن الأمور[٦]، فلا يجوز العدول عن حسن الاعتقاد فيهما بما جرىٰ، والله ولي المغفرة والعفو، فإن هٰذا لو ثبت أنه أخطأ لم يكن كبيرة، بل كان من باب الصغائر التي لا تقتضي التبري، ولا يوجب[٧] زوال التولي.

---

(١) في المصدر: ولجته.

(٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٦، ص٥٠).

(٣) من المصدر.

(٤) غاضبة (كتاب العين: ج٦، ص١٦٩).

(٥) في المصدر: لكنهما.

(٦) في المصدر: الأمر.

(٧) في المصدر: توجب.

قال أبو بكر[١]: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شيبة[٢]، قال: حدثنا محمد بن حاتم، عن رجاله، عن ابن عباس، قال: مر عمر رضي الله عنه[٣] بعلي عليه السلام، وأنا معه بفناء داره فسلم عليه، فقال له علي[عليه السلام]: «**أين تريد**»؟ قال: ينبع[٤].. قال: «**أفلا نصل جناحك[٥] وتقوم[٦] معك**«؟ قال: **بلىٰ.. فقال لي علي** عليه السلام: »قم معه».. فقمت فمشيت إلىٰ جانبه، فشبك أصابعه في أصابعي، ومشينا قليلا، حتىٰ إذا خلفنا البقيع، قال لي: يا ابن عباس[٧]؛ أما والله إن صاحبك هٰذا لأولىٰ الناس بالأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا [أنا][٨] خفناه علىٰ اثنين.

قال ابن عباس[٩]: فجاء بكلام لم أجد بدا من مسألته عنه.. فقلت: ما هما يا أمير المؤمنين؟ قال: خفناه علىٰ حداثة سنه، وحبه بني عبدالمطلب.

قال أبو بكر[١٠]: وحدثنا الحسن بن الربيع، عن عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن علي بن عبدالله بن العباس، عن أبيه، قال: لما حضرت رسول الله صلى الله عليه وآله الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ائتوني بدواة وصحيفة، أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده**[١١]»، فقال عمر كلمة معناها: أن الوجع قد غلب علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم قال: (عندنا القرآن حسبنا كتاب الله)، فاختلف من في البيت واختصموا، فمن قائل يقول: القول ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله.. ومن قائل يقول: القول ما قال عمر.

---

(١) في السقيفة وفدك (ص٧٥).

(٢) في المصدر: شبة.

(٣) تكرر الحديث عن هٰذا الرمز وأن المصنف التزم بذكره من باب الأمانة في النقل، وإلا فإنه لا يريد به المعنى الذي أراده المصدر الذي نقله عنه.

(٤) في المصدر: البقيع.

(٥) في المصدر: صاحبك.

(٦) في المصدر: ويقوم.

(٧) في المصدر: يا ابن العباس.

(٨) من المصدر.

(٩) في المصدر: العباس.

(١٠) في السقيفة وفدك (ص٧٥).

(١١) في المصدر: لا تضلون بعدي.

قال[١]: فلما أكثروا القول واللفظ[٢] واللغو والاختلاف، غضب رسول الله ﷺ، فقال: «**قوموا إنه لا ينبغي لنبي أن يختلف عنده هكذا**»، فقاموا، فمات رسول الله ﷺ في ذلك اليوم، فكان ابن عباس يقول: [إن][٣] الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ يعني الإختلاف واللفظ[٤].

قلت[٥]: هذا الحديث قد خرجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القشيري في صحيحهما[٦]، واتفق المحدثون كافة على روايته.

قال أبو بكر[٧]: وحدثنا أبو زيد، عن رجاله، عن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: (إن تولوها أبا بكر تجدوه ضعيفا في بدنه، قويا في أمر الله[٨]، وإن تولوها عمر تجدوه قويا في بدنه، قويا في أمر الله، وإن تولوها عليا ـ وما أراكم فاعلين ـ تجدوه هاديا مهديا، يحملكم على المحجة البيضاء، والصراط المستقيم).

قال أبو بكر[٩]: وحدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح، عن أحمد بن سيار، عن عبدالله[١٠] بن كثير الأنصاري، عن رجاله، عن عبدالله بن عبدالرحمن، أن رسول الله ﷺ في مرض موته أمر أسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جملة[١١] المهاجرين والأنصار، منهم: أبوبكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وأمره أن يعبر على «**مؤتة**» حيث قتل أبوه زيد، وأن يغزوا وادي فلسطين، فتثاقل أسامة وتثاقل الجيش، فجعل رسول الله ﷺ في مرضه يثقل ويخف، ويؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث،

(١) الجوهري في السقيفة وفدك (ص٧٦).
(٢) في المصدر: اللغط.
(٣) من المصدر.
(٤) في المصدر: اللغط.
(٥) أي ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج٦، ص٥١).
(٦) صحيح البخاري (ج٥، ص١٣٨) وصحيح مسلم (ج٥، ص٧٦).
(٧) في السقيفة وفدك (ص٧٦).
(٨) في المصدر: أمره.
(٩) في السقيفة وفدك (ص٧٦).
(١٠) في المصدر: سعيد.
(١١) في المصدر: جلة.

حتىٰ قال له أسـامة: بأبي أنت وأمي أتأذن لي أن أمكث أياما حتىٰ يشـفيك الله؟ فقال[صلى الله عليه وآله]: «**أخرج وسر علىٰ بركة الله**».

فقال: يا رسـول الله؛ إن خرجـت وأنت علىٰ هٰـذا الحال خرجـت وفي قلبي قرحة منك.. فقال صلى الله عليه وآله: «**سر علىٰ النصر والعافية**».

فقال: يا رسـول الله؛ إني أكـره أن أسـأل عنك الركبـان.. فقـال صلى الله عليه وآله: «**انفذ ما أمرتك به**».

ثم أغمـي علـىٰ رسـول الله صلى الله عليه وآله، وقـام أسـامة وتجهز للخـروج، فلمـا أفاق رسـول الله صلى الله عليه وآله سـأل عن أسـامة والبعث، فأخبـر أنهـم يتجهـزون، فجعل[صلى الله عليه وآله] يقـول: «**نفذوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه**»، ويكـرر ذلـك، فخرج أسـامة واللـواء علـىٰ رأسـه، والصحابـة بيـن يديـه، حتـىٰ إذا كان بالجـرف نـزل ومعه أبـو بكـر رضي الله عنه[1] وعمـر وأكثـر المهاجريـن، ومـن الأنصـار: أسـيد بن خضير، وبشير بن سعد، وغيرهم من الوجوه، فجاءه رسـول أم أيمن يقول له: أدخل فإن رسول الله صلى الله عليه وآله يموت.. فقام من فوره، فدخل المدينة، واللواء علىٰ رأسه، فجاء به حتىٰ ركزه في باب رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد مات صلى الله عليه وآله في تلك الساعة.

قال: فما كان أبو بكر وعمر يخاطبان أسامة إلىٰ أن ماتا إلا بالأمير.

قال أبـو بكـر[2]: وحدثنـي أبـو زيد، قـال: حدثنـي محمد بـن عبـاد، قال: حدثنـي أخـي سـعد[3] بن عبـاد، عـن الليث بـن سـعد، عـن رجالـه، عـن أبي بكـر الصديـق رضي الله عنه[4] أنـه قـال: (ليتنـي لـم أكشـف بيـت فاطمـة ولو أغلـق[5] علي الحرب)[6].

⊡ [تعليق المصنف علىٰ كلام ابن أبي الحديد]:

أقول: الأحاديـث المذكورة في هذيـن البابين التي يذكر فيهـا بيعة أبي بكر إذا تأملهـا الواقـف عليها، ونظـر بعين الإنصـاف، علـم علما جزمـا أن ليس لله

(١) كما في المصدر، وإلا فإن المؤلف لا يريد ما أراده صاحب الأصل من معنى.

(٢) في السقيفة وفدك (ص٧٥).

(٣) في المصدر: سعيد.

(٤) نقله إلتزاما بأمانة النقل وإن خالف المعتقد.

(٥) في المصدر: أعلن.

(٦) ومثله في العقد الفريد (ج٤، ص٢٥٠).

سبحانه ولا لرسولهﷺ فيها أمر، وإنما هي تمويه من أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح، وممالاة[١] بينهم، ومماكرة، وأمور ملصقة، ومخادعة، واشتعال القوة الغضبية، والتهاب نار العصبية، وإظهار الأحقاد والإحن[٢] والحسد والعداوة الباطنية لأمير المؤمنين عليعليه السلام، وإن كلام ابن أبي الحديد يدور جوابه في ذلك، وانكاره النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام من رسول اللهﷺ بالإمامة والخلافة يكذبه ما رواه في الشرح في مواضع كثيرة يعلمها من نظر في شرحه.

وأما جوابه عن أبي بكر وعمر، وإن ما فعلاه في أمر الزهراءعليها السلام فهو مما يضحك الثكلا، لأن من آذاها فقد آذى رسول اللهﷺ، ومن آذى رسول اللهﷺ لعنه الله في الدنيا والآخرة، وأعد له عذابا مهينا.. فكيف يجعله ابن أبي الحديد من الصغائر المكفرة، بل هو من أكبر الكبائر، وما ذكره ابن أبي الحديد افتراء مبين، والحديث المتواتر قولهﷺ: «**فاطمةعليها السلام بضعة مني من آذاها فقد آذاني**»[٣].

الباب الحادي عشر

في حال أبو بكر وعليعليه السلام بعد بيعته، وما في ذلك من العداوة لعليعليه السلام

ابن أبي الحديد، قال[٤]: روى القاضي أبو حامد أحمد بن بشر[٥] المروروذي العامري، فيما حكاه عنه أبو حيان التوحيدي، قال أبو حيان: تسحرنا[٦] عند القاضي أبي حامد ليلة ببغداد، في دار ابن حيان[٧]، في شارع الماذبان[٨]،

(١) معاونة ومساعدة. (٢) الضغائن (مجمع البحرين: ج١، ص٤٣).

(٣) ومن جملة مصادره: حلية الأولياء (ج٢، ص٤٠) وسنن ابن داوود (ج١، ص٤٦٠) وسنن ابن ماجه (ج١، ص٦٤٤) وسنن الترمذي (ج٥، ص٣٥٩) والسنن الكبرى للبيهقي (ج٧، ص٣٠٧) والسنن الكبرى للنسائي (ج٥، ص٩٧) وصحيح ابن حبان (ج١٥، ص٤٠٦) وصحيح البخاري (ج٥، ص٣٦) وصحيح مسلم (ج٤، ص١٩٠٣) ومسند أحمد (ج٤، ص٣٢٨) وغيرها.

(٤) في شرح نهج البلاغة (ج١٠، ص٢٧١).

(٥) في المصدر: بشير.

(٦) في المصدر: سمرنا.

(٧) في المصدر: بدار ابن جيشان.

(٨) في المصدر: الماذيان.

فتصرف الحديث بنا كل متصرف، وكان معنا والله مزيلا مخلطا، عزيز[١] الرواية، لطيف الدراية، له في كل جو شغل[٢]، وفي كل نار مقتبس، فجرىٰ حديث السقيفة، وتنازع القوم الخلافة، فركب كل منا فنا[٣]، وقال قولا، وعرض بشيء، ونزع إلىٰ مذهب.

فقال أبو حامد: هل فيكم من يحفظ رسالة أبي بكر إلىٰ علي[عليه السلام]، وجواب علي[عليه السلام] له، ومبايعته إياه عقيب تلك المراسلة[٤]؟ فقالت الجماعة: لا والله.. فقال: هي والله من درر الحقائق المصونة، ومخبآت الصناديق في الخزائن المحوطة، ومنذ حفظتها ما رويتها إلا للمهلبي في وزارته، فكتبها عني في خلوة بيده، وقال: لا أعرف في الأرض رسالة أعقل منها ولا أبين، وإنها لتدل علىٰ علم وحكم، وفصاحة وفقاهة، في دين ودهاء، وبعد غور، وشدة غوص.

فقال له واحد من القوم: أيها القاضي؛ فلو أتممت المنة علينا بروايتها سمعناها [ورويناها عنك][٥]، فنحن أوعىٰ لها من المهلبي، وأوجب ذماما[٦] عليك.

فقال: هٰذه الرسالة رواها عيسىٰ بن دأب، عن صالح بن كيسان، عن هشام بن عروة، عن أبيه عروة بن الزبير، عن أبي عبيدة بن الجراح.

قال أبو عبيدة: لما استقامت الخلافة لأبي بكر بين المهاجرين والأنصار، ولحظ بعين الوقار والهيبة بعد هنة[٧]، كاد الشيطان بها يسر، فدفع الله شرها، ورخص عرها[٨]، فترك[٩] كيدها، وتيسر حرها[١٠]، وقصم ظهر النفاق والفسق[١١] بين أهلها، بلغ أبا بكر عن علي عليه السلام تلكؤ وشماس[١٢]، وتهمهم ونفاس، فكره

(١) أو: غزير. (٢) في المصدر: متنفس.
(٣) ضربا من الرأي (معجم مقاييس اللغة: ج٤، ص٤٣٥).
(٤) في المصدر: الرسالة.
(٥) من المصدر.
(٦) عهدا (معجم مقاييس اللغة: ج٢، ص٣٤٦).
(٧) قليل من الزمان (النهاية: ج٥، ص٢٧٩).
(٨) في المصدر: وأدحض عسرها.
(٩) في المصدر: فركد.
(١٠) في المصدر: خيرها.
(١١) في المصدر: الفساق.
(١٢) عناد (لسان العرب: ج٦، ص١١٤).

أن يتمادىٰ الحال وتبدو له العورة، وتنفرج ذات البين، ويصير ذٰلك دريئة لجاهل مغرور، أو عاقل ذي دهاء، أو صاحب سلامة ضعيف القلب، خوار[١] العنان، دعاني في خلوة فحضرته، وعنده عمر وحده، وكان عمر قبسا له، وظهيرا معه، يستضيء بناره، ويستملي من لسانه.

فقال لي: يا أبا عبيدة؛ ما أيمن ناصيتك، وأبين الخير بين عارضيك، لقد كنت من رسول الله ﷺ بالمكان المحوط، والمحل المغبوط[٢]، ولقد قال فيك في يوم مشهود: (أبو عبيدة أمين هٰذه الأمة)[٣]، وطال ما أعز الله الإسلام بك، وأصلح ثلمة علىٰ يديك، ولم تزل لله[٤] ناصرا، وللمؤمنين روحا، ولأهلك ركنا، ولاخوانك رداء[٥]، قد أردتك لأمر له ما بعده، خطره مخوف، وصلاحه معروف، ولئن لم يندمل[٦] جرحه بيسارك[٧] ورفقك، ولم تجب حيته برقيتك، فقد[٨] وقع اليأس، وأعضل البأس، واحتيج بعدك إلىٰ ما هو أضر[٩] من ذٰلك وأعلق، وأعسر منه وأغلق، والله نسأل[١٠] تمامه بك، ونظامه علىٰ يدك، فتأت له يا أبا عبيدة، وتلطف به[١١]، وانصح لله ولرسوله، ولهٰذه العصابة، غير آل جهدا، ولا قال جهدا[١٢]، والله كالئك وناصرك، وهاديك ومبصرك.. امض إلىٰ علي، واخفض جناحك له، واغضض من صوتك عنده، واعلم أنه سلالة أبي طالب، ومكانه ممن فقدناه بالأمس مكانه، قل له: البحر مغرقة، والبر مفرقة، والجو أكلف، والليل أغلف، والسماء جلواء[١٣]، والأرض صلعاء، والصعود متعذر، والهبوط

---

(١) عيب في كل شيء (كتاب العين: ج٤، ص٣٠٢).
(٢) المكان الأحسن أو حسن الحال (مختار الصحاح: ص٢٤٤).
(٣) مسند أحمد (ج٣، ص١٢٥).
(٤) في المصدر: للدين.
(٥) في المصدر: مردا.
(٦) يلتأم أو يبرى.
(٧) في المصدر: بمسبارك.
(٨) في المصدر: لقد.
(٩) في المصدر: أمر.
(١٠) في المصدر: أسأله.
(١١) في المصدر: فيه.
(١٢) في المصدر: حمدا.
(١٣) تشبيها لها بالجبهة الخالية من الشعر (غريب الحديث للحربي: ج١، ص١٢٢).

متيسر[١]، والحق عطوف رؤوف، والباطل قشوف[٢] وعصوف، والعجب مقدمه[٣] الشر، والضغن رائد البوار، والتعريض سجار[٤] الفتنة، والقحة[٥] مفتاح العداوة، والشيطان متكئ علىٰ شماله، باسط ليمينه، نافج[٦] حضنيه لأهله، ينتظر الشتات والفرقة، ويدب بين الأمة بالشحناء والعداوة، عنادا لله ولرسوله ولدينه، يوسوس بالفجور، ويدلي بالغرور، ويمني أهل الشرور، ويوحي إلىٰ أهله[٧] الباطل[٨]، دأبا له منذ كان علىٰ عهد أبينا آدم، وعادة منه منذ أهانه الله في سالف الدهر، لا ينجي منه إلا بعض الناجذ[٩] علىٰ الحق، وغض الطرف عن العاجل[١٠]، ووطئ هامة عدو الله والدين بالأشد فالأشد، والأحد فالأحد[١١]، وإسلام النفس لله فيما جاز[١٢] رضاه، وجنب سخطه.. ولا بد من قول ينفع إذ قد أضر السكوت وخيف غبه[١٣]، ولقد أرشدك من أفاء ضالتك، وصافاك من أحيا مودته لك بغيابك[١٤]، وأراد الخير بك من آثر البقيا معك.. ما هٰذا الذي تسول لك نفسك، ويدوي به قلبك، ويلتوي عليه رأيك، ويتخاوص[١٥] دونه طرفك، ويستشري[١٦] به ضغنك، وتزاد[١٧] معه نفسك، ويكثر[١٨] لأجله صعداؤك،

---

(١) في المصدر: متعسر. (٢) في المصدر: نسوف.
(٣) في المصدر: مقدحة.
(٤) في المصدر: شجار.
(٥) الوقاحة (مجمع البحرين: ج٢، ص٤٢٤).
(٦) رافع، وقال في لسان العرب (ج٢، ص٣٨١): كنى به عن التعاظم والتكبر والخيلاء.
(٧) في المصدر: أوليائه.
(٨) في المصدر: بالباطل.
(٩) السن بين الناب والأضراس (معجم مقاييس اللغة: ج٥، ص٣٩٢) أو آخر الأضراس (الفايق في غريب الحديث: ج٣، ص١٩٠) أو أفضلها.
(١٠) في المصدر: الباطل.
(١١) في المصدر: الأجد فالأجد.
(١٢) في المصدر: حاز.
(١٣) المبالغة فيها (الصحاح: ج١، ص١٩٠).
(١٤) في المصدر: بعتابك.
(١٥) يضيق ويصغر (تاج العروس: ج٩، ص٢٧٧).
(١٦) يلج ويتوغل.
(١٧) في المصدر: ويراد.
(١٨) في المصدر: وتكثر.

ولا يفيض به لسانك، أعجمة بعد إفصاح، ألبسا بعد إيضاح، أدينا غير دين الله، أخلقا غير خلق القرآن، أهديا غير هدي محمد[ﷺ]، أمثلي تمشي[١] له الضراء وتدب[٢] له الخمراء[٣]، أمثلك[٤] يعض عليه القضا[٥]، ويكشف في عينه الغمراء[٦]، ما هٰذه القعقعة[٧] بالسنان[٨]، والوعوعة[٩] باللسان، إنك لجد عارف باستجابتنا لله ولرسوله، وخروجنا من أوطاننا وأولادنا وأحبتنا، [و][١٠]هجرة إلىٰ الله ونصرة لدينه، في زمان أنت منه في كن الصبا وخدر الغرارة غافل، تشبب وتربب، ولا تعي ما يشاد ويراد، ولا تحصل ما يساق ويقاد، سوىٰ ما أنت جار عليه من أخلاق الصبيان أمثالك، وشجايا[١١] الفتيان أشكالك، حتىٰ بلغت إلىٰ غايتك[١٢] هٰذه التي إليها أجريت، وعندها حط رجلك[١٣]، غير مجهول القدر، ولا مجحود الفضل، ونحن في أثناء ذٰلك نعاني أحوالا تزيل الرواسي، ونقاسي أهوالا تشيب النواصي، خائضين غمارها، راكبين تيارها، نتجرع صلبها، ونشرج[١٤] عيابها، ونحكم أساسها، ونبرم أمراسها، والعيون تحدج[١٥] بالحسد، والأنوف تعطس بالكبر، والصدور تستقر بالقيض[١٦]، والأعناق تتطاول بالفخر، والأسنة تشحذ بالمكر، والأرض تميد بالخوف، لا ننتظر عند المساء صباحا، ولا عند الصباح مساء، ولا ندفع في بحر[١٧] أمر إلا بعد أن يحسر الموت دونه،

(١) في المصدر: يمشي. (٢) في المصدر: ويدب.
(٣) في المصدر: الخمر.
(٤) في المصدر: أم مثلك.
(٥) في المصدر: يغص عليه الفضاء.
(٦) في المصدر: القمر.
(٧) حكاية أصوات السلاح والترسة والجلود اليابسة والحجارة (ج٨ ص٢٨٦).
(٨) في المصدر: الشنان.
(٩) صوت الذئب والكلاب وبنات آوى (لسان العرب: ج٨ ص٤٠١).
(١٠) كما في المصدر.
(١١) في المصدر: وسجايا.
(١٢) في المصدر: غاليتك.
(١٣) في المصدر: رحلك.
(١٤) نصيب (كتاب العين: ج٦، ص٣٤).
(١٥) تحدق وتشد (غريب الحديث لابن سلام: ج٣، ص٢٩٤).
(١٦) في المصدر: تستعر بالغيض.
(١٧) في المصدر: نحر.

ولا يبلغ[١] إلىٰ شيء إلا بعد تجرع العذاب قبله، ولا يقوم منادا إلا بعد اليأس من الحياة عنده، فأدين في كل ذٰلك رسول الله صلى الله عليه وآله بالأب والأم، والخال والعم، والمال والنسب، والسبد[٢] واللبد[٣]، والفلة[٤] والبلة، بطيب أنفس وقرة أعين، ووجب[٥] أعطان، وثبات عزائم، وصحة عقول، وطلاقة أوجه، وذلاقة[٦] ألسن.. هٰذا إلىٰ خفيات[٧] أسرار، ومكنونات أخبار كنت عنها غافلا، ولو لا سنك لم تك عن شيء منها ناكلا، كيف وفؤادك مشوم، وعمودك[٨] معجوم[٩]، وغيبك مخبور[١٠]، والخير منك كثير، فالآن قد بلغ[١١] الله بك، وأرخص[١٢] الخير لك، وجعل مرادك بين يديك، فاسمع ما أقول لك، واقبل ما يعود قبوله عليك، ودع التحبس والتعبس لمن لا يطلع[١٣] لك إذا خطأ، ولا يترعن[١٤] عنك إذا غطا، فالأمر غض، وفي النفوس غض[١٥]، وأنت أديم هٰذه الأمة فلا تحلم لي لجاجا، وسيفها العضب[١٦] فلا تنب اعوجاجا، وماؤها العذب فلا تحل أجاجا، والله لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن هٰذا الأمر لمن هو؟ فقال: هو لمن يرغب عنه، لا لمن يجاحش[١٧] عليه، ولمن يتضاءل له لا لمن يشمخ إليه، وهو لمن يقال له: هو لك، لا لمن يقول: هو لي.

---

(١) في المصدر: نبلغ.

(٢) الشعر (كتاب العين: ج٧، ص٢٣٢).

(٣) الصوف (مختار الصحاح: ص١٥٣).

(٤) في المصدر: الهلة.

(٥) في المصدر: ورحب.

(٦) الذلاقة: الحدة في النطق.

(٧) في المصدر: خبيئات.

(٨) في المصدر: وعودك.

(٩) مبتلى (الصحاح: ج٥، ص١٩٨١).

(١٠) المخبور: ما غزر وكثر واستمر من الأمر.

(١١) في المصدر: أبلغ.

(١٢) في المصدر: أرهص.

(١٣) في المصدر: يضلع.

(١٤) في المصدر: يتزحزح.

(١٥) في المصدر: مض.

(١٦) القاطع (ج١، ص٢٨٣).

(١٧) يدفع الناس عنه ليختص به لنفسه.

ولقد شاورني رسول الله ﷺ في الصهر فذكر فتيانا من قريش، فقلت: أين أنت عن[1] علي[عليه السلام]؟ فقال: إني لأكره لفاطمة ميعة[2] شبابه، وحدة سنه. فقلت: متىٰ كنفته يدك، ورعتك عينه، حفت بهما البركة، وأسبغت عليهما النعمة، مع كلام كثير خطيب رغبته[3] فيك، وما كنت عرفت منك [في ذلك][4] حوجاء ولا لوجاء[5]، ولكني قلت ما قلت، وأنا أرىٰ مكان غيرك، [وأجد][6] رائحة سواك، وكنت لك إذ ذاك خيرا منك الآن لي، ولئن كان عرض بك رسول الله ﷺ في هٰذا الأمر، فلقد[7] كنىٰ عن غيرك، وإن كان قال فيك فما سكت عن سواك، وإن اختلج في نفسك شيء فهلم فالحكم مرضي، والصواب مسموع، والحق مطاع.

ولقد نقل رسول الله[ﷺ] إلىٰ ما عند الله وهو عن هٰذه العصابة راض، وعليها حدب[8]، يسره ما سرها، ويكيده ما أكادها[9]، ويرضيه ما أرضاها، ويسخطه ما أسخطها، ألم تعلم أنه ﷺ لم يدع أحدا من أصحابه وخلطائه، وأقاربه وسجرائه[10] إلا أبانه بفضيلة، وخصه بمزية، وأفرده بمحال[11]، لو أصفقت الأمة عليه لأجلها لكان عنده إيالتها وكفالتها.

أتظن [أنه][12] عليه السلام ترك الأمة سدىٰ بددا، عدا مباهل[13] عباهل[14] طلاحي[15] مفتونة بالباطل، ملوية عن الحق، لا ذائد ولا رائد، ولا ضابط ولا خابط ولا

---

(١) في المصدر: من. (٢) أوله.

(٣) في المصدر: خطبت به رغبة. (٤) من المصدر.

(٥) لا شك ولا مرية.

(٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: فقد.

(٨) متعطف (الصحاح: ج١، ص١٠٨).

(٩) في المصدر: كادها.

(١٠) أصدقاءه الأصفياء (الصحاح: ج٢، ص٦٧٧).

(١١) في المصدر: بحالة.

(١٢) من المصدر.

(١٣) متروكين (لسان العرب: ج١١، ص٧١).

(١٤) مهملين (الصحاح: ج٥، ص١٧٥٧).

(١٥) كالإبل التي تشكو بطونا من أكل الطلح (معجم مقاييس اللغة: ج٣، ص٤١٨)، وأراد به ها هنا القوم الذين لا راعي لهم يصدهم عما يضرهم.

رابط، ولا سافي ولا واقي، ولا حادي ولا هادي، كلا والله ما اشتاق إلىٰ ربه، ولا سما له[1] المصير إلىٰ رضوانه، إلا بعد أن أقام الصوىٰ[2]، وأوضح الهدىٰ، وأمن المهالك، وحمىٰ المطارح والمبارك، وإلا بعد أن شدخ[3] يافوخ[4] الشرك بإذن الله، وشرم[5] وجه النفاق لوجه الله، وجدع[6] أنف الفتنة في دين الله، وتفل في عين الشيطان بعون الله، وصدع بملء فيه ويده بأمر الله.

وبعد.. فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك ومعك في بقعة جامعة، ودار واحدة، فإن[7] استقادوا لك، وأشاروا بك، فأنا واضع يدي في يدك، وصائر إلىٰ رأيهم فيك، وإن تكن الأخرىٰ، فادخل في صالح ما دخل فيه المسلمون، وكن العون علىٰ مصالحهم، والفاتح لمغالقهم، والمرشد لضالهم، والرادع لغاويهم، وقد[8] أمر الله بالتعاون علىٰ البر، وأهاب إلىٰ التناصر علىٰ الحق، ودعنا نقض هٰذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل، ونلقىٰ الله بقلوب سليمة من الضغن.

وإنما الناس عامة[9] فارفق بهم، وأحن عليهم، [ولن لهم][10]، ولا تسول لك نفسك فرقتهم، واختلاف كلمتهم، واترك ناجم الشر حصيدا، وطائر الحقد واقن[11]، وباب الفتنة مغلقا، لا قال ولا قيل، ولا لوم ولا تعنيف، ولا عتاب ولا تثريب[12]، والله علىٰ ما أقول وكيل، ومما[13] نحن عليه المصير[14].

---

(١) في المصدر: سأله.

(٢) أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي المجهولة فيستدل بتلك الأعلام على طرقها (غريب الحديث لابن سلام: ج٤، ص١٨٣).

(٣) كسر (الصحاح: ج١، ص٤٢٤).

(٤) هو الموضع الذي يتحرك من وسط رأس الطفل (النهاية: ج٥، ص٢٩١) وهنا أراد به الرأس.

(٥) قطع (كتاب العين: ج٦، ص٢٦٠).

(٦) قطع (الصحاح: ج٣، ص١١٩٣).

(٧) في المصدر: وإن.

(٨) في المصدر: فقد.

(٩) في المصدر: ثمامة.

(١٠) من المصدر.

(١١) في المصدر: واقعا.

(١٢) لوم (معجم مقاييس اللغة: ج١، ص٣٧٥).

(١٣) في المصدر: وبما.

(١٤) في المصدر: بصير.

قال أبو عبيدة: فلما تهيأت للنهوض، قال لي [عمر]: كن على الباب هنيئة فلي معك ذرو[١] من الكلام، فوقفت و[ما أدري][٢] ما كان بعدي، إلا أنه لحقني بوجه يندىٰ تهللا، وقال لي: قل لعلي عليه السلام: الرقاد ملحمة[٣]، واللجاج ملحمة، والهوىٰ مقحمة، وما منا أحد إلا له مقام معلوم، وحق مشاع أو مقسوم، وبناء ظاهر أو مكتوم، وإن أكيس الكيسىٰ من منح الرشاد[٤] تألفا، وقارب البعيد تلطفا، ووزن كل أمير بميزانه، ولم يجعل خبره كعيانه، ولا قاس فترة بشبره، دينا كان أو دنيا، وضلالا كان أو هدىٰ، ولا خير في علم معتمل[٥] في جهل، ولا في معرفة مشوبة بنكرة[٦]، ولسنا كجلدة رقع[٧] الأديم[٨] بين العجان[٩] وبين الذنب، وكل صال فبناره يصلىٰ، وكل سيل فإلىٰ قراره يجرىٰ، وما كان يكون[١٠] هٰذه العصابة إلىٰ هٰذه الغاية لعي وحصر، ولا كلامها اليوم لفرق أو حذر، فقد جدع الله بمحمد صلى الله عليه وآله أنف كل متكبر، وقصم به ظهر كل جبار، وسل لسان كل كذوب، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[١١].. ما هٰذه الحيروانة[١٢] التي في فراش رأسك؟ وما هٰذا الشجا المعترض في مدارج أنفاسك، وما هٰذه الوحرة[١٣] التي أكلت سقرا[١٤] سيفك، والقذاة[١٥] التي أعشت ناظرك؟ وما هٰذا الدحس[١٦] والركس[١٧] اللذان يدلان علىٰ ضيق الباع، وخور الطباع، وما هٰذا الذي

(١) قليل منه. (٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: المحلمة.

(٤) في المصدر: الشارد.

(٥) في نهاية الإرب: مستعمل.

(٦) في شرح نهج البلاغة: بنكر.

(٧) في المصدر: رفع.

(٨) في المصدر: البعير.

(٩) الدبر، وقيل: ما بين القبل والدبر (النهاية: ج٣، ص١٨٨).

(١٠) في المصدر: سكوت.

(١١) كما في قوله تعالى في الآية ٣٢ من سورة يونس.

(١٢) في المصدر: الخنزوانة.

(١٣) العداوة (غريب الحديث لابن سلام: ج٣، ص٤٧).

(١٤) في المصدر: شرا.

(١٥) ما يقع في العين وما ترمى به (تاج العروس: ج٢٠، ص٦٩).

(١٦) الإفساد.

(١٧) في المصدر: والدس.

لبست بسببه جلدة[١] النمر، واشتملت عليه بالشحناء والنكر، لشدة ما استسعيت لها، وسريت سرىٰ ابن أنقد[٢] إليها، إن العوان[٣] لا تعلم الخمرة[٤]، ما أحوج الفرعاء[٥] إلىٰ قالبه[٦]، وما أفقر الضلعاء إلىٰ حالبه[٧]، ولقد قبض رسول الله ﷺ والأمر معبد مخيس، ليس لأحد فيه ملمس، لم يسير فيك قولا، ولم يستنزل لك قرآنا، ولم يجزم في شأنك حكما، لسنا في كسروية كسرىٰ، ولا في قيصرية قيصر، [تأمل لإخوان فارس وأبناء الأصفر، قد جعلهم الله جزرا لسيوفنا، ودريئة لرماحنا، ومرمىٰ لطعاننا][٨]، بل نحن في نور نبوة، وضياء رسالة، وعزة ملة[٩]، وأثر رحمة، وعنوان نعمة، وفضل[١٠] عصمة، بين أمة مهدية بالحق والصدق، مأمونة علىٰ الفتق والرتق، لها من الله تعالىٰ [قلب][١١] أبىٰ، وساعد قوي، ويد ناصرة، وعين ناظرة.

أتظن ظنا أن أبا بكر وثب علىٰ هٰذا الأمر مفتانا علىٰ الأمة، خادعا لها، ومتسلطا عليها، أترىٰ اصلاح[١٢] أحلامها، وأزاغ أبصارها، وحل عقودها، وأحال عقولها، واستل من صدورها حميتها، وتكف[١٣] رشاءها، وسبا[١٤] ماءها، وأضلها عن هداها، وساقها إلىٰ رداها، وجعل نهارها ليلا، ووزنها كيلا، ويقضتها رقادا، وصلاحها فسادا، إن كان هكذا، إنه لسحر[١٥] لمبين، وإن كيده لمتين، كلا والله، بأي خيل ورجل، وبأي سنان ووصل[١٦]، وبأي قوة ومنة، وبأي

---

(١) في شرح نهج البلاغة: جلد. (٢) القنفذ. (٣) المرأة التي أسنت ولم تهرم.
(٤) وهو مثل مشهور يراد منه: إن المرأة البالغة ليست بمنزلة الصغيرة التي لا تحسن أن تختمر.
(٥) من كثرت أو كثرت شعره أو شعرها (الكنز اللغوي: ص ١٧١).
(٦) في شرح نهج البلاغة: فالية.
(٧) في شرح نهج البلاغة: حالية.
(٨) من المصدر.
(٩) في المصدر: وثمرة حكمة.
(١٠) في المصدر: وظل.
(١١) من المصدر.
(١٢) في المصدر: أتراه امتلخ.
(١٣) في المصدر: انتكث.
(١٤) في المصدر: انتضب.
(١٥) في المصدر: إن سحره.
(١٦) في المصدر: نصل.

مـال وعدة، وبـأي أيد وشـدة، وبأي عشـيرة وأسـرة، وبأي قـدرة ومكنـة، وبأي تدرع وبسـطة، لقد أصبح بما وسـمته منيـع الرقبة، رفيـع الرتبـة[١]، لا والله لٰكن سـلا عنها فولهت نحـوه، وتطامن لهـا فالتفت بـه، ومال عنهـا، ومالـت[٢] إليه، واستمر[٣] دونها فاشـتملت عليه حبوة حباه الله بها، وغاية بلغة الله إليها، [ونعمة سـربلة جمالها][٤]، ويد الله أوجب عليه شـكرها، وأمة نظر الله به لهـا[٥]، وطالما حلقـت فوقه في أيـام النبـيﷺ وهو لا يلتفـت لفتهـا، ولا يرتصـد وقتها، والله أعلم بخلقـه، وأرأف بعباده، يختار مـا كان لهـم الخيرة، وإنـك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة، ومعدن الرسالة، وكهف الحكمة، ولا يجحد حقك فيما أتاك ربك من العلـم، ومنحك من الفقه في الدين، هٰذا إلـىٰ مزايا خصصت بها، وفضائل اشـتملت عليهـا، ولكن لك من يزاحمـك بمنكب أضخم مـن منكبك، وقرب[٦] أمس من قرباك، وسن أعلىٰ من سنك، وشيبة أروع من شيبتك، وسيادة معروفة في الإسـلام والجاهلية، ومواقف ليس لك فيها جمل ولا ناقة، ولا تذكر فيها في مقدمة ولا ساقة، ولا تضرب فيها بذراع ولا اصبع، ولا تعد منها بنازل[٧] ولا هبع[٨].

إن أبا بكر كان حبة قلب رسـول الله[ﷺ] وعلاقة همه، وعيبة سره، ومثوىٰ عزبه[٩]، وراحة باله، ومرمق طرفه، شهرته مغنية عن الدلالة عليه.

ولعمري إنك لأقرب منه إلىٰ رسـول اللهﷺ قرابة، ولكنه أقـرب منك قربة، والقرابـة لحـم ودم، والقرابـة روح ونفـس، وهٰذا فـرق يعرفه المؤمنـون، ولذلك صاروا إليه أجمعون.

ومهمما شـككت فلا تشـك فـي أن يـد الله مـع الجماعـة، ورضوانـه لأهل الطاعة، فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع غـدا، وألفظ من فيك ما هو متعلق

---

(١) في المصدر: العتبة. (٢) في المصدر: فنالت.

(٣) في المصدر: واشمأز.

(٤) من المصدر.

(٥) في صبح الأعشىٰ: إليها.

(٦) في المصدر: وقربى.

(٧) في المصدر: بازل.

(٨) البعير التي تنتج في الصيف.

(٩) في المصدر: حزنه.

بلهاتك، وأنفث سخيمة صدرك، فإن يكن في الأمد طول، وفي الأجل فسحة، فستأكله مريئا أو غير مرئ، وستشربه هنيئا أو غير هنيء، حين لا راد لقولك إلا من كان آيسا منك، ولا تابع لك إلا من هو طامع[١] فيك، حين يمض أهابك، ويفترك[٢] أديمك، ويزري علىٰ هديك، هناك تقرع السن من الندم، وتشرب الماء ممزوجا [بدم][٣]، حين تأسىٰ علىٰ ما مضىٰ من عمرك، [وانقضىٰ][٤] وانقرض من دارج قومك، وتود أن لو سقيت بالكأس التي سقيتها غيرك، ورددت إلىٰ الحال التي كنت تكرهها في أمسك، ولله فينا وفيك أمر هو بالغه، وعاقبة هو المرجو لسرائها وضرائها، وهو الولي الحميد الغفور الودود.

قال أبو عبيدة: فمشيت إليه[٥] مشبطا متبطئا، كأنما أخطو علىٰ أم رأسي فرقا من الفتنة، وإشفاقا علىٰ الأمة، وحذرا من الفرقة، حتىٰ وصلت إليه في خلاء، فأبثثته بثي كله، وبرئت إليه منه، ورققت[٦] له، فلما سمعها ووعاها، سرت في أوصاله حمياها، قال: «**حلت معلوطة**[٧]**، وولت مخروطة**[٨]».. ثم قال:

إحدىٰ لياليك فهيسي[٩] هيسي
لا تنعمي الليلة بالتعريس[١٠]

يا أبا عبيدة؛ أهٰذا كله في أنفس القوم يستبطنونه، ويضطغنون عليه»؟، فقلت: لا جواب عندي، إنما جئتك[١١] قاضيا حق الدين، وراتقا فتق الإسلام، وسادا ثلمة الأمة، يعلم الله ذٰلك من جلجلان[١٢] قلبي، وقرارة نفسي.

---

(١) في المصدر: كان طامعا.
(٢) في المصدر: ويفري.
(٣) من المصدر.
(٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: إلى علي عليه السلام.
(٦) في المصدر: ودفعته.
(٧) الأعلواط: ركوب الرأس.
(٨) سريعة.
(٩) فسيري.
(١٠) التعريس: نزول القوم في سفر من آخر الليل يقعون وقعة ثم يرتحلون (معجم مقاييس اللغة: ج٤، ص٢٦٣).
(١١) في المصدر: جئت.
(١٢) حبة.

فقال: ما كان قعودي في كسر هٰذا البيت قاصدا لخلاف، ولا إنكارا لمعروف، ولا زراية علىٰ مسلم، بل لما وقذني به رسول الله ﷺ من فراقه، وأودعني من الحزن لفقده، فإني لم أشهد بعده مشهدا إلبا جدد [علي][1] حزنا، وذكرني شجنا، وإن الشوق إلىٰ اللحاق به كاف عن الطمع في غيره، وقد عكفت علىٰ عهد الله أنظر فيه، وأجمع ما تفرق منه، رجاء ثواب معد لمن أخلص لله عمله، وسلم لعلمه ومشيئته أمره، علىٰ إني أعلم إن التظاهر علىٰ واقع، ولي عن الحق الذي سيق إلي دافع، وإني قد أفعم الوادي لي، وحشد النادي علي، فلا مرحبا بما أساء أحدا من المسلمين، وفي النفس كلام لو لا سابق قول، وسالف عهد، لتشفيت[2] غيظي بخنصري وبنصري، وخضت لحيته[3] بأخمصي ومفرقي، ولكني ملجم[4] إلىٰ أن ألقىٰ الله تعالىٰ، وعنده أحتسب ما نزل بي وأنا غاد إن شاء الله تعالىٰ إلىٰ جماعتكم، ومتايع[5] لصاحبكم، وصابر علىٰ ما ساءني وسركم، ليقضي الله أمرا كان مفعولا، وكان الله علىٰ كل شيء شهيدا.

قال أبو عبيدة: فعدت إلىٰ بكر وعمر، فقصصت القول علىٰ غرة، ولم أترك شيئا من حلوه ومره، وذكرت[6] غدوه إلىٰ المسجد، فلما كان صباح يومئذ وافىٰ علي عليه السلام فخرق الجماعة إلىٰ أبي بكر وبايعه، وقال: خيرا، ووصف جميلا، وجلس دوينا[7]، واستأذن للقيام ونهض، فتبعه عمر إكراما له، وإجلالا لموضعه، واستنباطا لما في نفسه.

وقام أبو بكر إليه فأخذ بيده، وقال: إن عصابة أنت منها يا أبا الحسن لمعصومة، وإن أمة أنت فيها لمرحومة، ولقد أصبحت عزيزا علينا، كريما لدينا، نخاف الله إذا سخطت، ونرجوه إذا رضيت، ولو لا إني شهدت[8] لما أجبت

(١) من المصدر.
(٢) في شرح نهج البلاغة: لشفيت.
(٣) في المصدر: لجته.
(٤) في شرح نهج البلاغة: ملحم.
(٥) في المصدر: ومبايع.
(٦) في صبح الأعشى: وبكرت.
(٧) في المصدر: زميلا.
(٨) في المصدر: شاهدت.

إلىٰ مـا دعيت إليه، ولكنـي خفت الفرقة، واستئثار الأنصار بالأمـر علىٰ قريش، وأعجلـت علـىٰ حضـورك ومشـاورتك، ولو كنـت حاضـرا لبايعتك ولـم أعدل بك، ولقد حط الله عـن ظهرك ما أثقـل كاهلي به، وما أسـعد من ينظـر الله إليه [بالكفاية][١]، وإنـا إليك لمحتاجون، وبفضلك عالمـون، وإلىٰ رأيك وهديك في جميع الأحوال راغبون، وعلىٰ حمايتك وحفيظتك[٢] معولون.

ثم انصرف وتركه مع عمر.

فالتفت علي عليه السلام إلىٰ عمر، فقال: «**يا أبا حفص، والله ما قعدت عن[٣] صاحبك جزعا علىٰ ما صار إليه، ولا أتيته خائفا منه، ولا أقول ما أقول تعلة[٤]، وإني لأعرف مسمىٰ طرفي ومخطىٰ قدمي، ومنزع قوسي، [وموقع سهمي][٥]، ولكني تخلفت إعذارا إلىٰ الله، وإلىٰ من يعلم الأمر الذي جعله لي رسول الله صلى الله عليه وآله، وأتيت فبايعت، حفظا لدين الله[٦]، وخوفا من انتشار أمر الله[٧]**».

فقال له عمر: يا أبا الحسـن؛ كفكـف من غرتك[٨]، ونهنه من شـرتك، ودع الحصا[٩] بلحائها، والدلو برشـائها، فإنا من خلفها وورائهـا، إن قدحنا أروينا[١٠]، وإن متحنا أروينـا، وإن قرحنا أدمينـا، وقد سـمعنا[١١] أمثالك التي ألقيـت[١٢] بها صادرة عن صدر دو، وقلب جو، زعمت أنك قعدت في كسر بيتك لما وقذك به فراق، أفراق رسـول الله صلى الله عليه وآله، وقذك وحدك ولم يقذ سواك، إن مصابه لأعز وأعظم من ذلـك، وإن من حـق مصابه ألا تصدع شـمل الجماعـة بكلمة لا عصـام لها، فإنك لترىٰ الأعراب حول المدينة لـو تداعت علينا في مصبـح[١٣] يوم لم نلتقي

---

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: حفيظك.
(٣) في المصدر: على.
(٤) في المصدر: بعلة.
(٥) من المصدر.
(٦) في المصدر: حفظا للدين.
(٧) في المصدر: الأمر.
(٨) في المصدر: غربك.
(٩) في المصدر: العصا.
(١٠) في المصدر: أورينا.
(١١) في المصدر: سمعت.
(١٢) في المصدر: ألغزت.
(١٣) في المصدر: صبح.

في ممساه، وزعمت أن المسوق[١] إلىٰ اللحاق به كاف عن الطمع في غيره، فمن المسوق[٢] إليه نصره دينه، وموازرة المسلمين عليه، ومعاونتهم فيه.

وزعمت أنك مكب علىٰ عهد الله تجمع ما تفرق منه، فمن العلوق[٣] علىٰ عهده النصيحة لعباده، والرأفة علىٰ خلقه، وأن تبذل من نفسك ما يصلحون به ويجتمعون عليه، وزعمت أن التظاهر عليك واقع، أي تظاهر وقع عليك، وأي حق استؤثر به دونك، لقد علمت ما قالت الأنصار أمس سرا وجهرا، وما تقلبت عليه ظهرا وبطنا، فهل ذكرتك أو أشارت بك، أو طلبت رضاها من عندك، وهؤلاء المهاجرون من الذي قال منهم إنك صاحب هٰذا الأمر، أو أومأ إليك، أو همهم بك في نفسه[٤]، أتظن أن الناس ضلوا من أجلك، و[٥]عادوا كفارا زهدا فيك، أو باعوا الله تعالىٰ بهواهم بغضا لك، ولقد جاءني قوم من الأنصار، فقالوا: إن عليا ينتظر الإمامة، ويزعم أنه أولىٰ بها من أبي بكر، فأنكرت عليهم، ورددت القول في نحورهم، حتىٰ قالوا: إنه ينتظر الوحي ويتوكف[٦] مناجاة الملك، فقلت: ذاك أمر طواه الله بعد محمدعليه السلام.

ومن أعجب [شأنك][٧] قولك: (لولا سابق قول لشفيت غيضي بخنصري وبنصري)، وهل ترك الدين لأحد أن يشفي غيضه بيده أو لسانه! تلك جاهلية استأصل الله شأفتها، واقتلع جرثومها، ونور ليلها، وغور سيلها، وأبدل منها الروح والريحان، والهدىٰ والبرهان.

وزعمت أنك ملجم، فلعمري إن من اتقىٰ، وآثر رضاه، وطلب ما عنده، أمسك لسانه، وأطبق فاه، وغلب عقله ودينه علىٰ هواه.

وأما قولك: (إني لأعرف مترع[٨] قوسي)، فإذا عرفت منزع قوسك عرف غيرك مضرب سيفه، ومطعن رمحه.

وأما ما تزعمه من الأمر الذي جعله رسول اللهﷺ لك فتخلفت اعذارا إلىٰ الله، وإلىٰ العارفة من المسلمين، فلو عرفه المسلمون لجنحوا إليه، وأصفقوا

---

(١) في المصدر: الشوق. (٢) في المصدر: الشوق.
(٣) في المصدر: العكوف. (٤) في المصدر: نفسك.
(٥) في المصدر: أو.
(٦) ينتظر.
(٧) من المصدر.
(٨) في المصدر: منزع.

عليه، وما كان الله ليجمعهم علىٰ العمىٰ، ولا ليضربهم بالضلال بعد الهدىٰ، ولو كان لرسول الله صلى الله عليه وآله فيك رأي، وعليك عزم، ثم بعثه الله فرأىٰ اجتماع أمته علىٰ أبي بكر، لما سفه آراءهم، ولا ضلل أحلامهم، ولا آثرك عليهم، ولا أرضاك بسخطهم، ولأمرك باتباعهم، والدخول معهم فيما ارتضوه لدينهم.

فقال علي عليه السلام: «**مهلا أبا حفص أرشدك الله، خفض عليك، ما بذلت [ما بذلت]**[1] **وأنا أريد عنه حولا، وإن أخسر الناس صفقة عند الله من استبطن النفاق، واحتضن الشقاق، وفي الله خلف عن كل فائت، وعوض من كل واهب**[2]**، وسلوة عن كل حادث، وعليه التوكل في جميع الحوادث، ارجع أبا حفص إلىٰ مجلسك ناقع القلب، مبرود الغليل، فصيح اللسان، رحيب**[3] **الصدر، متهلل الوجه، فليس وراء ما سمعته مني إلا ما يشد الأزر، ويحبط الوزر، ويضع الأصر، ويجمع الألفة، ويرفع الكلفة إن شاء الله**».

فانصرف عمر إلىٰ مجلسه.

قال أبو عبيدة: فلم أسمع ولم أر كلاما ولا مجلسا كان أصعب من ذٰلك الكلام والمجلس[4].

الباب الثاني عشر

في غصب أبي بكر وعمر وعثمان الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام وتظلمه عليه السلام وتألمه

ابن أبي الحديد، قال[5]: ومن خطبه عليه السلام بعد ما بويع له بالمدينة، وذكر الخطبة في نهج البلاغة[6]، ثم قال ابن [أبي] الحديد[7]: وقد ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ رضي الله عنه في كتاب البيان والتبيين[8] علىٰ وجهها، رواها عن أبي

---

(١) كما في المصدر. (٢) في المصدر: ذاهب.

(٣) في المصدر: رحب.

(٤) ومن مصادر هٰذه المحاورة والرسائل: صبح الأعشى (ج١، ص٢٣٧- ٢٤٧) ومحاضرة الأبرار (ج٢، ص١٠٢- ١١٥) ونهاية الإرب (ج٧، ص٢١٣- ص٢٢٩) وغيرهم.

(٥) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص٢٧٢).

(٦) وهي الخطبة السادسة عشر من طبعة محمد عبده لنهج البلاغة (ج١، ص٤٦)، وأولها: «**ذمتي بما أقول رهينة**».

(٧) في ص٢٧٥.

(٨) الجزء الثاني (ص٥٠- ٥٢).

عبيدة معمر بن المثنىٰ، قال: أول خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة في خلافته: حمد الله وأثنىٰ عليه، وصلىٰ علىٰ النبي صلى الله عليه وآله.

وساق ابن أبي الحديد الخطبة، إلىٰ أن قال: «**من أبدىٰ صفحته للحق هلك، قد كانت [لكم]**[١] **أمور [ملتم فيها علي ميلة]**[٢] **لم تكونوا عندي فيها محمودين [ولا مصيبين]**[٣]، **أما إني لو أشاء لقلت: عفا الله عما سلف، سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب، همته بطنه، ويحه لو قص جناحاه، وقطع رأسه لكان خير له...**».

ثم ساق الخطبة التي ذكرها الجاحظ[٤].

قال في الشرح[٥]:

«**هلك من ادعىٰ، وردي من اقتحم**»، يريد هلك من ادعىٰ وكذب، لابد من تقدير هذا[٦] الكلام، لأن الدعوىٰ تعم الصدق والكذب، وكأنه يقول: هلك من ادعىٰ الإمامة، وردي من اقتحمها وولجها من غير استحقاق، لأن كلامه عليه السلام في هٰذه الخطبة كله كنايات عن الإمامة لا عن غيرها.

وقوله[عليه السلام]: «**اليمين والشمال مظلة**»: مثل[٧]، لأن السالك الطريق المنهج اللاحب[٨] ناج، والعادل عنها يمينا وشمالا معرض للخطر.

وقوله عليه السلام: «**كالغراب**»، يعني الحرص والجشع، والغراب يقع علىٰ الجيفة ويقع علىٰ الثمرة، و[يقع][٩] علىٰ الحبة، وفي الأمثال: (أجشع من غراب)، و(أحرص من غراب).

وقوله[عليه السلام]: «**ويحه لو قص**»، يريد لو كان قتل أو مات قبل أن يلتبس بالخلافة لكان خيرا له من أن يعيش ويدخل فيها، ثم قال لهم: فكروا فيما قد قلت، فإن كان منكرا فأنكروه، وإن كان حقا فأعينوا عليه.

---

(١) من المصدر.

(٢) من المصدر.

(٣) من المصدر.

(٤) شرح نهج البلاغة (ج١، ص٢٧٥).

(٥) الجزء الأول (ص٢٧٧).

(٦) في المصدر: ذلك.

(٧) في المصدر: مثال.

(٨) الواسع المنقاد الذي لا ينقطع (النهاية: ج٤، ص٢٣٥).

(٩) كما في المصدر.

وأما قوله[عليه السلام]: «قد كانت أمور لم يكونوا عندي فيها محمودين»، فمراده عليه السلام أمر عثمان وتقديمه في الخلافة عليه، ومن الناس من يحمل ذٰلك علىٰ خلافة الشيخين أيضا، وعندي يبعد أن يكون أراده، لأن المدة كانت قد طالت، ولم يبق من يعاتبه ليقول: [قد][1] كانت أمور لم تكونوا عندي فيها محمودين، فإن هٰذا الكلام يشعر بمعاتبة قوم علىٰ أمر كان أنكره منهم، وأما بيعة عثمان ثم ما جرىٰ بينه وبين عثمان من منازعات طويلة وغضب تارة، وصلح أخرىٰ، ومراسلات خشنة ولطيفة، وكون الناس بالمدينة كانوا حزبين وفئتين: (إحداهما) معه عليه السلام، و(الأخرىٰ) مع عثمان، فإن صرف الكلام إلىٰ ما قلناه بهٰذا الاعتبار أليق.

ولسنا نمنع من أن يكون في كلامه عليه السلام الكثير من التوجد[2] والتألم لصرف الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله عنه، وإنما كلامنا الآن في هٰذه اللفظات التي في هٰذه الخطبة، علىٰ أن قوله عليه السلام: «سبق الرجلان» والاقتصار علىٰ ذٰلك فيه كفاية في انحرافه عنهما.

وأما قوله[عليه السلام]: «حق وباطل» إلىٰ آخر الفصل، فمعناه كل أمر فهو إما حق وإما باطل، ولكل واحد من هذين أهل، وما زال أهل الباطل أكثر من أهل الحق، ولئن كان الحق قليلا فربما كثر، ولعله ينتصر أهله.

ثم قال[عليه السلام] علىٰ سبيل التضجر بنفسه: «وقلما أدبر شيء فأقبل»، استبعد عليه السلام أن تعود دولة قوم بعد زوالها عنهم، وإلىٰ هٰذا المعنىٰ نظر[3] الشاعر[4] في قوله شعرا:

وقالوا: يعود الماء في النهر بعد ما
ذوي نبت جنبيه وجف المشارع[5]
فقلت: إلىٰ أن يرجع النهر جاريا[6]
ويعشب جنباه تموت[7] الضفادع[8]

(١) من المصدر. (٢) الحزن (كتاب العين: ج٦، ص١٦٩).
(٣) في المصدر: ذهب. (٤) في يتيمة الدهر (ج٣، ص٤٨٣) هو لأحمد بن بندار.
(٥) في يتيمة الدهر: عفت منه آثار وجفت مشارعه.
(٦) في يتيمة الدهر: عائدا.
(٧) في المصدر: يموت.
(٨) في يتيمة الدهر: ويعشب شطاه تموت ضفادعه.

ثم قال[عليه السلام]: «**ولئن رجعت عليكم أموركم**»، أي: إن ساعدني الوقت، وتمكنت من أن أحكم فيكم بحكم الله تعالىٰ ورسوله[صلى الله عليه وآله]، وعادت إليكم أيام شبيهة بأيام رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيرة مماثلة لسيرته في أصحابه إنكم لسعداء.

ثم قال[عليه السلام]: «**وإني لأخشىٰ أن تكونوا في فترة**»، الـ(فترة) هي الأزمنة التي بين الأنبياء إذا انقطعت الرسل فيها، كالفترة التي بين عيسىٰ عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله، لأنه لم يكن بينهما نبي، بخلاف المدة التي كانت بين موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام، لأنه بعث فيها أنبياء كثيرون، فيقول عليه السلام: إني لأخشىٰ ألا أتمكن من الحكم بكتاب الله تعالىٰ فيكم، فتكونوا كالأمم الذين في أزمنة الفترة لا يرجعون إلىٰ نبي يشافههم بالشرائع والأحكام، وكأنه عليه السلام قد كان يعلم أن الأمر سيضرب عليه.

ثم قال[عليه السلام]: «**وما علينا إلا الاجتهاد**»، يقول: أنا أعمل ما يجب عليّ من الإجتهاد في القيام بالشريعة وعزل ولاة السوء وأمراء الفساد علىٰ المسلمين، فإن تم ما أريده فذاك، وإلا كنت قد أعذرت.

قال ابن أبي الحديد(1): قال شيخنا أبو عثمان رضي الله عنه، وقال أبو عبيدة: وزاد فيها - يعني الخطبة - في رواية جعفر بن محمد عليه السلام، عن آبائه[عليهم السلام]: «**ألا إن أبرار عترتي، وأطايب أرومتي، أحلم الناس صغارا، وأعلم الناس كبارا، ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا، فاتبعوا(2) آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا، [و](3)معنا راية الحق، من تبعها لحق، ومن تأخر عنها غرق، ألا وبنا تدرك(4) ترة كل مؤمن، وبنا تخلع ربقة الذل عن أعناقكم، وبنا فتح [الله] لا بكم، ومنا يختم لا بكم**».

وقال(5): وأما التتمة المروية عن جعفر بن محمد عليه السلام فواضحة الألفاظ، وقوله[عليه السلام] في آخرها: «**وبنا تختم لا بكم**» إشارة إلىٰ المهدي الذي يظهر في آخر الزمان، وأكثر المحدثين علىٰ أنه من ولد فاطمة عليها السلام(6)، وأصحابنا المعتزلة لا

---

(1) شرح نهج البلاغة (ج١، ص٢٧٦). (2) في المصدر: فإن تتبعوا.

(3) من المصدر. (4) في المصدر: يدرك.

(5) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص٢٨١).

(6) تذكرة الحفاظ (ج٢، ص٤٦٣) وتهذيب الكمال (ج٩، ص٤٣٧) وسنن ابن ماجه (ج٢، ص١٣٦٨) وسنن أبي داوود (ج٤، ص٤٢٨٥) والعلل المتناهية (ج٢، ص٨٦٠) وكتاب الفتن (ص٢٣١)وكشف الخفاء (ج٢، ص٢٨٨) وكنز العمال (ج١٤، ص٢٦٤) والمستدرك للحاكم (ج٤، ص٥٥٧) وميزان الاعتدال (ج٢، ص٢٤٩) وغيرهم.

ينكرونه، وقد صرحوا بذكره في كتبهم، واعترف به شيوخهم، إلا أنه عندنا لم يخلق [بعد][١]، وسيخلق.

وإلىٰ هٰذا المذهب يذهب أصحاب الحديث [أيضا][٢].

وروىٰ قاضي القضاة، عن كافي الكفاة أبي القاسم إسماعيل بن عباد، بإسناد متصل بعلي عليه السلام أنه ذكر المهدي عليه السلام، وقال: إنه من ولد الحسين عليه السلام، وذكر حليته[٣]، فقال: رجل أجلىٰ الجبين[٤]، أقنىٰ الأنف[٥]، ضخم البطن، أزيل الفخذين[٦]، أبلج[٧] الثنايا، بفخذه اليمنىٰ شامة[٨].

وذكر هٰذا الحديث بعينه عبدالله بن قتيبة في كتاب غريب الحديث[٩].

وقال[١٠]: وروىٰ أبو الحسن علي بن محمد المدائني، عن عبدالله بن جنادة، قال: قدمت من الحجاز أريد العراق، في أول إمارة علي عليه السلام، فمررت بمكة، فاعتمرت، ثم قدمت المدينة، فدخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ نودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وخرج علي عليه السلام متقلدا سيفه، فشخصت الأبصار نحوه، فحمد الله وصلىٰ علىٰ رسوله[صلى الله عليه وآله]، ثم قال: «**أما بعد.. فإنه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله، قلنا: نحن أهله وورثته وعترته، وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطان[١١] أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذ انبرىٰ[١٢] لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا، فصارت الأمرة لغيرنا، وصرنا سوقة[١٣]، يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الذليل، فبكت الأعين منا لذلك، وخشنت**

(١) من المصدر.

(٢) من المصدر.

(٣) صفته.

(٤) أي: الخفيف شعر ما بين النزعتين من الصدغين، والذي انحسر الشعر عن جبهته (النهاية: ج١، ص٢٩٠).

(٥) القنا في الأنف: طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه (النهاية: ج٤، ص١١٦).

(٦) كناية عن أنهما عريضتين.

(٧) أو: أفلج (أي: منفرجتين) [النهاية: ج٢، ص٣٢٥].

(٨) وورد الخبر أيضا في: عرف الوردي (ج٢، ص٥٨) وفرائد السمطين (ج٢، ص٣٣٠) وفيض القدير (ج٦، ص٢٢٧) وغيرها.

(٩) الجزء الأول (ص٣٥٩).

(١٠) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص٣٠٦).

(١١) أو: سلطانه.

(١٢) اعترض (الصحاح: ج٦، ص٢٢٨٠) وفي بحار الأنوار (ج٢٩، ص٦٣٤): انتزى.

(١٣) الرعية (القاموس المحيط: ج٣، ص٢٤٨).

الصدور، وجزعت النفوس، وأيم الله لو لا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويبور الدين، لكنا علىٰ غير ما كنا لهم عليه، فولي الأمر ولاة لم يألوا الناس خيرا، ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي، فبايعتموني علىٰ شن[١] مني لأمركم، وفراسة تصدقني ما في قلوب كثير منكم، فبايعني[٢] هذان الرجلان في أول من بايع، تعلمون ذلك، وقد نكثا [و][٣]غدرا، ونهضا إلىٰ البصرة بعائشة ليفرقا جماعتكم، ويلقيا بأسكم بينكم، اللهم فخذهما بما عملا أخذة رابية[٤]، ولا تنعش[٥] لهما صرعة، ولا تقل لهما عثرة، ولا تمهلهما فواقا[٦]، فإنهما يطلبان حقا تركاه، ودما سفكاه، اللهم إني أقتضيك وعدك، فإنك قلت وقولك الحق: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾[٧]، اللهم فأنجز لي موعدك، ولا تكلني إلىٰ نفسي، إنك علىٰ كل شيء قدير»[٨]، ثم نزل.

والروايات في تظلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ممن تقدم في الخلافة كثيرة جدا، ذكرها ابن أبي الحديد في الشرح، ذكرناها في أبواب كتاب سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد مما ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، من أراده وقف عليه من هناك[٩].

الباب الثالث عشر

في غصب أبي بكر فاطمة عليها السلام فدك، وحديث خالد في قتل علي عليه السلام

ابن أبي الحديد، قال[١٠]: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «بلىٰ كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحت عليه[١١] نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم

(١) شين.
(٢) وبايعني.
(٣) من المصدر.
(٤) أخذة تزيد على الأخذات.
(٥) ترفع.
(٦) ما بين الحلبتين من الوقت.
(٧) الآية ٦٠ من سورة الحج.
(٨) مصباح البلاغة (ج٢، ص٢٨٧).
(٩) الجزء الثاني (من ص٣٥٩ إلى نهاية الجزء) والجزء الثالث (من ص٥ إلى ص٤٠).
(١٠) في شرح نهج البلاغة (ج١٦، ص٢٠٨).
(١١) أو: عليها.

الحكم الله، وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفس مظانها في غد جدث، ينقطع[١] في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها، وأوسعت يدا حافرها، لأضغطها الحجر والمدر، وسد فرجها التراب المتراكم، وإنما هي نفسي أروضها بالتقوىٰ لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت علىٰ جوانب المزلق»[٢].

قال في الشرح[٣]:

«**الجدث**»: القبر[٤]، و«**أضغطها الحجر**»: جعلها ضاغطة، أي: زاحمة، والهمزة للتعدية، ويروىٰ: «**لضغطها**[٥]».

وقوله[عليه السلام]: «**مظانها في غد جدث**»؛ (المظان): جمع مظنة، وهو موضع الشيء ومألفه الذي يكون فيه، قال[٦]:

فإن يك عامر قد قال جهلا
فإن مظنة الجهل الشباب[٧]

يقول: لا مال لي، ولا اقتنيت فيما مضىٰ مالا، وإنما كانت في أيدينا فدك «**فشحت عليها نفوس قوم**»، أي بخلت، «**وسخت عنها نفوس قوم آخرين**»، أي: سامحت وأغضت، وليس يعني ها هنا بالسخاء إلا هٰذا السخاء الحقيقي، لأنه عليه السلام وأهله لم يسمحوا بفدك إلا غصبا وقهرا[٨]، وقد قال هٰذه الألفاظ في موضع آخر فيما تقدم، وهو يعني الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله[٩].

ثم قال[عليه السلام]: «**ونعم الحكم الله**».

(الحكم): الحاكم، وهٰذا الكلام كلام شاك متظلم، ثم ذكر مآل الانسان، وأنه لا ينبغي أن يكترث بالقينات[١٠] والأموال، فإنه يصير عن قريب إلىٰ دار البلاء ومنازل الموتىٰ.

---

(١) تتقطع. (٢) نهج البلاغة (طبعة عبده: ج٣، ص٧١).
(٣) الجزء ١٦ (ص٢٠٨). (٤) الصحاح (ج١، ص٢٧٧).
(٥) وضغطها.
(٦) النابغة الذبياني.
(٧) ديوان النابغة الذبياني (ص١٤).
(٨) في المصدر: قسرا.
(٩) شرح نهج البلاغة (ج١٦، ص٢٠٨).
(١٠) القينات بالقاف وتقديم المثنات التحتانية على النون بدل: المغنيات، والقينة: الأمة المغنية (لسان العرب: ج١٣، ص٣٥١).

ثم ذكر أن الحفرة ضيقة، وأنه لو وسعها الحافر لألجأها الحجر المتداعي والمدر[١] المتهافت، إلىٰ أن تضغط الميت وتزحمه.

وهٰذا كلام محمول علىٰ ظاهره لأنه خطاب للعامة، وإلا فأي فرق بين سعة الحفرة وضيقها علىٰ الميت!! اللهم إلا أن يقول قائل: إن الميت يحس في قبره، فإذا قيل ذٰلك فالجاعل له حساسا بعد عدم الحس هو الذي يوسع الحفرة، وإن كان الحفار[٢] قد جعلها ضيقة، فإذا هٰذا الكلام جيد لخطاب العرب خاصة، ومن يحمل الأمور علىٰ ظواهرها.

ثم قال[عليه السلام]: «**وإنما هي نفسي أروضها بالتقوىٰ**».

يقول: تقللي واقتصاري من المطعم والملبس علىٰ الخشن والجشب[٣] رياضة لنفسي، لأن ذٰلك إنما أعمله خوفا من الله أن أنغمس في الدنيا، فالرياضة بذلك هي رياضة في الحقيقة بالتقوىٰ، لا بنفس التقلل والتقشف، لتأتي نفسي آمنة يوم الفزع الأكبر، وتثبت في مداحض الزلق[٤].

⊡ [ذكر ما ورد من السير والأخبار في أمر فدك][٥]:

وينبغي أن[٦] نتكلم في شرح هٰذه الكلمات بثلاثة فصول:

- **(الفصل الأول)**: فيما ورد في الحديث والسير من أمر فدك.. و][٧]:
- [**(الفصل الثاني)**: في هل النبي صلى الله عليه وآله يورث أم لا؟ و][٨]:
- [**(الفصل الثالث)**: في أن فدك هل صح كونها نحلة من رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة أم لا؟][٩].

⊙ الفصل الأول

فيما ورد من الأخبار والسير المنقولة من أفواه أهل الحديث وكتبهم لا من كتب الشيعة ورجالهم، فإنا[١٠] مشترطون علىٰ أنفسنا ألا نحفل بذلك، وجميع ما ورد[١١] في هٰذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبدالعزيز

(١) قطع الطين الذي لا يخالطه رمل (مجمع البحرين: ج٣، ص٤٧٩). (٢) الحافر. (٣) الطعام الغليظ أو ما يكون منه بغير أدم (لسان العرب: ج١، ص٢٦٥). (٤) شرح نهج البلاغة (ج١٦، ص٢٠٩).
(٥) هٰذا العنوان من ابن أبي الحديد كما في شرح نهج البلاغة (ج١٦، ص٢٠٩). (٦) واعلم إنا.
(٧) من المصدر. (٨) من المصدر. (٩) من المصدر.
(١٠) في المصدر: لأنا.
(١١) في المصدر: نورده.

الجوهري في السقيفة وفدك، وما وقع من الإختلاف والإضطراب عقيب[١] وفاة رسول الله[٢] ﷺ.

[توثيق الجوهري صاحب السقيفة وفدك]:

وأبي[٣] بكر الجوهري هٰذا عالم محدث، كثير الأدب، ثقة ورع، أثنىٰ عليه المحدثون[٤]، ورووا عنه مصنفاته وغير مصنفاته.

[الخبر الأول]:

قال أبو بكر[٥]: حدثني أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا حيان بن بشر، قال: حدثنا يحيىٰ بن آدم، قال: أخبرنا ابن أبي زائدة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، قال: بقيت بقية من أهل خيبر تحصنوا، فسألوا رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ويسيرهم، ففعل ذلك، فسمع ذٰلك أهل فدك، فنزلوا علىٰ مثل ذلك، فكانت[٦] للنبي ﷺ خاصة، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب[٧].

[الخبر الثاني]:

قال أبو بكر[٨]: وروىٰ محمد بن إسحاق أيضا: أن رسول الله ﷺ لما فرغ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك، فبعثوا إلىٰ رسول الله ﷺ يصالحونه[٩] علىٰ النصف من فدك، فقدمت عليه رسلهم بخيبر، أو بالطريق، أو بعد ما أقام بالمدينة، فقبل ذٰلك منهم، فكانت[١٠] فدك لرسول الله ﷺ خالصة لأنه لم يوجف[١١] عليها بخيل ولا ركاب.

---

(١) في المصدر: عقب. (٢) في المصدر: النبي ﷺ.

(٣) في المصدر: وأبو. (٤) ومما قالوه: كان شيخا طوالا يحفظ حديثا عن رسول الله ﷺ، ثقة، وكان يحفظ الأخبار والملح، وقال عنه الشيخ حاتم الشريف في المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس (ج٣، ص١٢٠): كنت قد قيدت له قديما توثيقا له، وقال العسكري في التصحيف والتحريف (ص٤٥٧): كان ضابطا صحيح العلم.

(٥) في السقيفة وفدك (ص٩٩).

(٦) في المصدر: وكانت.

(٧) السقيفة وفدك (ص٩٩) وشرح نهج البلاغة (ج١٦، ص٢١٠) ومثله في سنن أبي داوود (ج٢، ص٣٧).

(٨) السقيفة وفدك (ص٩٩).

(٩) في المصدر: فصالحوه.

(١٠) في المصدر: وكانت.

(١١) يسرع السير.

قال: وقد روىٰ أنه صالحهم عليها كلها، الله أعلم أي الأمرين كان[١].

[الخبر الثالث]:

قـال[٢]: وكان مالك بن أنـس يحدث عـن عبدالله بن أبي بكر بـن عمرو بن حزم أنه صالحهم علىٰ النصف، فلم يـزل الأمر كذلك حتىٰ أخرجهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣] وأجلاهـم بعد أن عوضهم عـن النصف الـذي كان لهم عوضا من إبل وغيرها[٤].

[الخبر الرابع]:

وقـال[٥]: غيـر مالك بـن أنـس: لمـا أجلاهـم عمـر، بعـث إليهم مـن يقوم الأمـوال، بعـث: أبـا الهيثم بـن التيهـان، وفروة بـن عمـرو، وحباب بـن صخر، وزيد بن ثابـت، فقومـوا أرض فـدك ونخلهـا، فأخذها عمـر، ودفع إليهـم قيمة النصف الذي كان لهم، وكان مبلغ ذٰلك خمسين ألف درهـم، أعطاهم إياها من مال كان له بالعراق[٦]، وأجلاهم إلىٰ الشام[٧].

[الخبر الخامس]:

قال أبو بكر[٨]: فحدثني محمد بن زكريا، قال: حدثني جعفر بن محمد بن عمارة الكندي، قال: حدثني أبي، عن الحسين بن صالح بـن حي، قال: حدثني رجلان من بني هاشم، عن زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال: وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه.

قال أبو بكـر: وحدثني عثمان بـن عمران الجعيفـي[٩]، عـن نائل بن نجيح عن[١٠] عمر[١١] بن شمر، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام.

---

(١) هٰذا العنوان من ابن أبي الحديد كما في شرح نهج البلاغة (ج١٦، ص٢١٠).
(٢) الجوهري في السقيفة وفدك (ص٩٩). (٣) غير موجودة في المصدر.
(٤) هٰذا العنوان من ابن أبي الحديد كما في شرح نهج البلاغة (ج١٦، ص٢١٠).
(٥) الجوهري في السقيفة وفدك (ص١٠٠). (٦) في المصدر: أتاه من العراق.
(٧) هٰذا العنوان من ابن أبي الحديد كما في شرح نهج البلاغة (ج١٦، ص٢١١).
(٨) في السقيفة وفدك (ص١٠٠).
(٩) في المصدر: العجيفي.
(١٠) في المصدر: بن.
(١١) في المصدر: عمير.

قال أبو بكر: وحدثني أحمد بن محمد بن يزيد، عن عبدالله بن محمد بن سليمان، عن أبيه، عن عبدالله بن الحسن بن الحسن.

قالوا جميعا:

لما بلغ فاطمةعليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك، لاثت[1] خمارها[2]، وأقبلت في لمة[3] من حفدتها[4] ونساء قومها، تطأ في ذيولها[5]، ما تخرم[6] مشيتها مشية رسول اللهصلى الله عليه وآله، حتى دخلت على أبي بكر، وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار، فضرب بينها وبينهم ريطة[7] بيضاء.

وقال بعضهم: قبطية[8].. وقالوا: (قبطية) بالضم والكسر[9].

ثم أنت أنة أجهش[10] لها القوم بالبكاء.. ثم أمهلت طويلا حتى سكتوا[11] من فورتهم، ثم قالت[عليها السلام]:

⊡ [بعض فقرات خطبة الزهراءعليها السلام الفدكية]:

«ابتداء نحمد[12] من هو أولى بالحمد والطول والمجد، والحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما[13] ألهم».

[و]ذكروا خطبة طويلة جدا[14]، قالت في آخرها:

«فاتقوا الله حق تقاته، وأطيعوه فيما أمركم به، ف﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[15]، واحمدوا الله الذي بعظمته[16] ونوره يبتغي من في السماوات والأرض إليه

---

(١) ربطت أو شدت أو لفت. (٢) مقنعتها.

(٣) الجماعة (النهاية: ج٤، ص٢٧٣). (٤) أعوانها وخدمها (الصحاح: ج٢، ص٤٦٦).

(٥) أثوابها الطويلة التي تستر القدمين. (٦) ما تنقص.

(٧) قال ابن منظور في لسان العرب (ج٧، ص٣٠٧): (الريطة) كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد.

(٨) القبطية: ثياب بيض رقاق من كتان تتخذ بمصر.

(٩) في المصدر: بالكسر والضم.

(١٠) الجهش: أن يفزع الإنسان إلى غيره وهو مع ذلك يريد البكاء كالصبي يفزع إلى أمه وقد تهيأ للبكاء (تاج العروس: ج٤، ص٢٩١).

(١١) في المصدر: سكنوا.

(١٢) في المصدر: أبتدى بحمد.

(١٣) في المصدر: بما ألهم.

(١٤) في المصدر: جيدة.

(١٥) الآية ٢٨ من سورة فاطر.

(١٦) في المصدر: لعظمته.

الوسيلة، ونحن وسيلته في خلقه، ونحن خاصته، ومحل قدسه، ونحن حجته في غيبه، ونحن ورثة أنبيائه».

ثم قالت[عليها السلام]:

«أنا فاطمة بنت[1] محمد، أقول عودا على بدء، وما أقول ذلك سرفا ولا شططا[2]، فاسمعوا بأسماع واعية، وقلوب راعية».

ثم قالت[عليها السلام]:

«﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، فإن تعدوه[4] تجدوه أبي دون آبائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم».

ثم ذكرت كلاما طويلا سنذكره فيما بعد في الفصل الثاني، تقول في آخره:

«ثم أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[5].. إيها معاشر المسلمين، أبتز إرث [أبي][6]، أبى الله أن ترث يا ابن أبي قحافة أباك ولا أرث أبي، ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾[7]! فدونكها مخطومة[8] مرحولة[9] تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند القيامة[10] ﴿يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾[11]، و﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[12] ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾[13]»!!

ثم قال: ثم التفت إلى قبر أبيها فتمثلت بقول هند بن أثاثة[14]:

---

(١) في المصدر: ابنة. (٢) أي: بعدا عن الحق ومجاوزة الحد في كل شي.

(٣) الآيتان ١٢٨ و١٢٩ من سورة التوبة.

(٤) في المصدر: فإن تعزوه؛ أي: تنسبوه.

(٥) الآية ٥٠ من سورة المائدة.

(٦) كما في المصدر.

(٧) الآية ٢٧ من سورة مريم.

(٨) من الخطام بالكسر وهو كل ما يدخل في أنف البعير ليقاد به.

(٩) من الرحل بالفتح وهو للناقة كالسرج للفرس.

(١٠) في المصدر: الساعة.

(١١) كما في التعبير القرآني في الآية ٢٧ من سورة الجاثية.

(١٢) الآية ٦٧ من سورة الأنعام.

(١٣) الآية ٤٠ من سورة الزمر.

(١٤) هند بن أثاثة بن عباد بن عبدالمطلب، شاعرة من شواعر العرب، أسلمت بمكة وبايعت النبي صلى الله عليه وآله

قد كان بعدك أنباء وهنبثة[١]
لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
أبدت رجال لنا فحوى[٢] صدورهم
لما قضيت وحالت دونك الكتب
تجهمتنا[٣] رجال واستخف بنا
إذا غبت عنا فنحن اليوم نغتصب[٤]

قال: فلم[٥] ير الناس أكثر باك ولا باكية منهم يومئذ.

ثم عدلت إلى مسجد الأنصار، فقالت: «يا معشر البقية، وأعضاد[٦] الملة، وحضنة الإسلام، ما هٰذه الغرة[٧] عن نصرتي، والونية[٨] عن معونتي، والغمرة[٩] في حقي، والسنة[١٠] عن ظلامتي!! أما قال[١١] رسول الله ﷺ: (المرء يحفظ في ولده)[١٢]! سرعان ما أخذتم[١٣]، وعجلان ما أتيتم[١٤]، الآن مات رسول الله ﷺ أمتم دينه! ها إن موته لعمري خطب جليل استوسع وهنه[١٥]، واستبهم[١٦] فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الأرض له[١٧]، وخشعت الجبال، وأكدت الآمال[١٨]، [و]أضيع بعده الحريم[١٩]،

---

(١) في المصدر: وهينمة (الصوت الخفي).
(٢) في المصدر: نجوى.
(٣) أي: لقونا بالغلظة والوجه الكريه.
(٤) شطر البيت الثاني في الأمالي للشيخ المفيد رحمه الله (ص٤١) هكذا: بعد النبي وكل الخير مغتصب.
(٥) في المصدر: ولم.
(٦) أي: أعوان.
(٧) في المصدر: الفترة (أي: السكون).
(٨) الخفة مع القدرة (تاج العروس: ج٢٠، ص٢٧٦).
(٩) في المصدر: الغمزة أو: الغميزة وهي الضعفة.
(١٠) الغفلة، إذ السنة أول النوم.
(١١) في المصدر: كان.
(١٢) الصواعق المحرقة (ص١٧٣).
(١٣) في المصدر: أحدثتم.
(١٤) في الإحتجاج (ج١، ص١٣٩): «**وعجلان ذا إهالة**»، وهو: مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته.
(١٥) خرقه.
(١٦) استغلق (الصحاح: ج٥، ص١٨٧٥).
(١٧) في الدر النظيم (ص٤٧٦): «**وأظلمت الأرض لغيبته**». (١٨) أي بخلت وشحت.
(١٩) ما يحميه ويقاتل عنه.

وهتكت الحرمة(١)، وأذيلت(٢) المصونة، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته، وأنبأكم بها قبل وفاته، فقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾(٣).. إيها بني فتلة(٤)! أهتضم(٥) تراث أبي وأنتم بمرأى ومسمع، تبلغكم(٦) الدعوة، ويشملكم الصوت، وفيكم العدة والعدد، ولكم الدار والجنن(٧)، وأنتم نخبة الله [التي](٨) انتخب(٩)، وخيرته التي اختار! باديتم العرب(١٠)، وبادهتم(١١) الأمور، وكافحتم البهم(١٢)، حتى دارت بكم(١٣) رحى(١٤) الإسلام، ودر حلبه، وخبت(١٥) نيران الحرب، وسكنت فورة(١٦) الشرك، وهدأت دعوة الهرج(١٧)، واستوسق(١٨) نظام الدين، أفتأخرتم بعد الإقدام، ونكصتم(١٩) بعد الشدة(٢٠)، وجبنتم بعد الشجاعة، عن قوم(٢١) ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ

(١) ما لا يحل انتهاكه.
(٢) أهينت (أساس البلاغة: ص١٤٨).
(٣) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران.
(٤) في المصدر: قيلة (أي: قيلة بنت كاهل بن عذرة أم الأوس والخزرج، وهم الأنصار).
(٥) في شرح الأخبار (ج٣، ص٣٨): أأهضم.
(٦) في بعض المصادر: تشملكم.
(٧) كل ما يستر.
(٨) من المصدر.
(٩) في دلائل الإمامة (ص١٢١): التي انتخب لنا أهل البيت.
(١٠) في بعض المصادر: فنابذتم فينا العرب.
(١١) دخلتم عليها أول مرة.
(١٢) جمع بهمة، وهو الشجاع.
(١٣) في بعض المصادر: بنا وفي بعضها: لنا بكم (كما في مناقب آل أبي طالب: ج٢، ص٥٠).
(١٤) الرحى في اللغة الطاحونة وهنا يراد بها العماد والمحور.
(١٥) خفيت (لسان العرب: ج٢، ص٢٧) أو سكنت أو انطفأت.
(١٦) في بعض المصادر: ثغرة.
(١٧) الفتنة.
(١٨) في المصدر: استوثق.
(١٩) رجعتم.
(٢٠) في بعض المصادر: بعد ثبوت الاقدام.
(٢١) في بعض المصادر: اتباعا لقوم.

لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[١].. ألا وقد أرىٰ أن قد أخلدتم إلىٰ الخفض[٢]، وركنتم إلىٰ الدعة[٣]، فجحدتم الذي وعيتم[٤]، وسغتم الذي سوغتم[٥]، ﴿وَإِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾[٦]، ألا وقد قلت لكم ما قلت علىٰ معرفة مني بالخذلة[٧] التي خامرتكم[٨]، وخور[٩] القناة[١٠]، وضعف اليقين، فدونكموها فاحتووها مدبرة[١١] الظهر، ناقبة[١٢] الخف، باقية العار، موسومة الشنار[١٣]، موصولة بـ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ[١٤]* التي تطلع علىٰ الأفئدة﴾[١٥]، فبعين الله ما تعملون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾[١٦]».

⊡ [التعليق علىٰ كلام ابن أبي الحديد]:

ثم ساق ابن أبي الحديد الكلام بالرويات[١٧] في الفصول الثلاثة[١٨] بما لا مزيد عليها، بما فيها من دلايل غضبهاعليها [عليهما][١٩] وتظلمها.

وقد ذكرت هٰذه الفصول الثلاثة مع زيادة في شرحه ملتقطة منه، من أرادها وقف عليها من الباب السابع والخمسين من كتاب سلاسل الحديد في تقييد

---

(١) كما في الآية ١٢ من سورة التوبة.

(٢) سعة العيش.

(٣) الراحة والسكون.

(٤) في بعض المصادر: ومججتم الذي استوعيتم.

(٥) أي سهلتم الأمر المستصعب.

(٦) الآية الثامنة من سورة إبراهيم.

(٧) ترك النصرة.

(٨) خالطتكم.

(٩) ضعف.

(١٠) الرمح.

(١١) مجروحة (لسان العرب: ج٤، ص٢٧٣).

(١٢) رقيقة.

(١٣) في المصدر: مرسومة الشعار وفي بعض المصادر: بشنار الأبد.

(١٤) المؤججة على الدوام.

(١٥) الآيتان ٦ و٧ من سورة الهمزة.

(١٦) الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء.

(١٧) في المصدر: المرويات.

(١٨) في المصدر: الكتاب المذكور (شرح نهج البلاغة: ج١٦، ص٢١٤).

(١٩) من المصدر.

أهل التقليد[1] مما ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، إذ هٰذا الكتاب مبني علىٰ ذاك الكتاب.

وكفىٰ بهٰذا الحديث الذي نقله ابن الحديد عن الثقة عندهم أبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري فانظر هٰذا الحديث الذي ذكرنا، تجده مغنيا عن كل الحديث في هٰذا المعنىٰ، فلاحظه وتأمله.

[الكلام حول صبر الإمام عليه السلام]:

وقال ابن أبي الحديد[2]: سألت النقيب أبا جعفر يحيىٰ بن أبي زيد رضي الله عنه، فقلت له: إني لأعجب من علي عليه السلام كيف يبقىٰ[3] تلك المدة الطويلة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيف ما اغتيل وفتك في جوف منزله، مع تلظي[4] الأكباد عليه.

فقال: لولا أنه أرغم أنفه بالتراب، ووضع خده في حضيض[5] الأرض لقتل، ولكنه أخمل نفسه، واشتغل بالعبادة والصلاة والنظر في القرآن، وخرج عن ذٰلك الزي الأول، وذلك الشعار، ونسي السيف، وصار كالفاتك يتوب ويصير سائحا في الأرض، أو راهبا في الجبال، ولما أطاع القوم الذين ولوا الأمر، وصار أذل لهم من الحذاء، تركوه وسكتوا عنه، ولم تكن العرب لتقدم عليه إلا بمواطاة من متولي الأمر، وباطن [في][6] السر منه، فلما لم يكن لولاه الأمر باعث وداع إلىٰ قتله وقع الإمساك عنه، ولولا ذٰلك لقتل، ثم الأجل[7] بعد معقل حصين.

فقلت له: أحق ما يقال في حديث خالد؟

فقال: إن قوما من العلوية يذكرون ذلك.

[ثم قال][8]: وقد روي أن رجلا جاء إلىٰ زفر بن الهذيل ـ صاحب أبي حنيفة ـ فسأله عما يقول أبو حنيفة في جواز الخروج من الصلاة بأمر غير التسليم، نحو الكلام والفعل الكثير أو الحدث، فقال: إنه جائز.. قد قال أبو بكر في تشهده ما قال.. فقال الرجل: وما الذي قاله أبو بكر؟ قال: لا عليك..

---

(١) في المطبوع (ج٣، من ص١٤٠). (٢) شرح نهج البلاغة (ج١٣، ٣٠١).

(٣) في المصدر: بقي. (٤) توهجها واتقادها (لسان العرب: ج١٥، ص٢٤٨).

(٥) قرار الأرض وأسفلها (النهاية: ج١، ص٤٠٠).

(٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: أجل.

(٨) من المصدر.

فأعاد عليه السؤال ثانية وثالثة.. فقال: أخرجوه، قد كنت أحدث أنه من أصحاب أبي الخطاب.

قلت له: فما الذي تقوله أنت؟

قال: أنا أستبعد ذٰلك وإن روته الإمامية.

ثم قال: [أما][1] خالد فلا أستبعد منه الإقدام عليه لشجاعته[2] في نفسه، ولبغضه إياه، ولكني أستبعده من أبي بكر، فإنه كان ذا ورع، ولم يكن ليجمع بين أخذ الخلافة ومنع فدك، وإغضاب فاطمة[عليها السلام]، وقتل علي عليه السلام، حاش لله من ذلك.

فقلت له: أكان خالد يقدر علىٰ قتله.

قال: نعم؛ ولم لا يقدر علىٰ ذلك، والسيف في عنقه، وعلي[عليه السلام] أعزل غافل عما يراد به، قد قتله ابن ملجم غيلة، وخالد أشجع من ابن ملجم.

فسألته عما ترويه الإمامية في ذلك، كيف ألفاظه؟

فضحك، وقال: (كم عالم بالشيء وهو يسائل)، ثم قال: دعنا من هذا، ما الذي تحفظ في هٰذا المعنىٰ؟

قلت: قول أبي الطيب[3]:

نحن أدرىٰ وقد سألنا بنجد ... أطويل طريقنا أم يطول

وكثير من السؤال اشتياق ... وكثير من رده تعليل[4]

فاستحسن ذلك، وقال: لمن عجز البيت الذي استشهدت به؟

قلت: لمحمد بن هانئ المغربي[5]، وأوله:

---

(١) من المصدر.

(٢) في المصدر: بشجاعته.

(٣) الشاعر المشهور بـ(المتنبي): أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكندي، ولد سنة ٣٠٣ للهجرة، ونشأ بالكوفة، وأقام بالبادية، وتعاني الأدب، ونظر في أيام الناس، ونظم الشعر حتى بلغ الغاية كما يقول ابن حجر في لسان الميزان (ج١، ص١٥٩).

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي (ج٣، ص١٥١).

(٥) قال عنه الحر العاملي رحمه الله في أمل الآمل (ج٢، ص٣١١): الشيخ أبو القاسم محمد بن هاني المغربي الأندلسي؛ فاضل، شاعر، أديب، صحيح الإعتقاد، توفى في سنة ٣٦٢ للهجرة، وله شعر كثير في مدح أمير المؤمنين عليه السلام،

في كل يـــوم اســـتزيـــد تجـــاربا
كم عـــالم بالـــشيء وهـــو يـــسائـــل[١]

فبارك علي مرارا، ثم قال: نترك الآن هٰذا ونتمم ما كنا فيه، وكنت أقرأ عليه في ذٰلك الوقت (جمهرة النسب) لابن الكلبي، فعدنا إلىٰ القراءة، وعدلنا عن الخوض عما كان اعترض الحديث فيه[٢].

الباب السابع عشر

في المطاعن علىٰ أبي بكر

والتي منها:

في أن أبا بكر أول من أزال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن الإمامة والخلافة، وكذا أهل البيت عليهم السلام منعهم الخمس.

قال ابن أبي الحديد[٣]: ومن كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ أهل مصر مع مالك الأشتر[٤][رضي الله عنه] لما ولاه إمارتها:

«أما بعد.. فإن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله نذيرا للعالمين، ومهيمنا علىٰ المرسلين، فلما مضىٰ صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقىٰ في روعي، ولا يخطر ببالي أن العرب تزع هٰذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنهم منحوه عني من بعده، فما راعني إلا انثيال[٥] الناس علىٰ فلان[٦] يبايعونه، فأمسكت بيدي[٧] حتىٰ رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلىٰ محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم

وله ديوان شعر حسن، وكان معاصرا للمتنبي، وقد عده ابن شهر آشوب من شعراء أهل البيت عليهم السلام.

(١) ديوان محمد بن هانئ المغربي (ص١١٤).

(٢) شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٣٠٢).

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٥١).

(٤) مالك الأشتر بن الحارث النخعي، من أبطال أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، استشهد سنة ٣٧ للهجرة، وقال العلامة الحلي قدس سره في خلاصة الأقوال (ص٢٧٦): جليل القدر، عظيم المنزلة، كان اختصاصه بعلي عليه السلام أظهر من أن يخفى، وتأسف أمير المؤمنين عليه السلام بموته، وقال: **«لقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله»**.

(٥) انصباب.

(٦) في الأصل جاء ذكر الاسم (أبو بكر) وليس (فلان).

(٧) أي توقفت عن المشاركة في الأمر.

أنصر الإسلام وأهله أن أرىٰ فيه ثلما[١] أو هدما، تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم، التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتىٰ زاح[٢] الباطل وزهق[٣]، واطمأن الدين وتنهنه[٤]».

قال ابن أبي الحديد في الشرح[٥]:

· (المهيمن): الشاهد، قال [الله][٦] تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا ﴾[٧]، أي: تشهد بإيمان من آمن وكفر من كفر.

وقيل: تشهد بصحة[٨] نبوة الأنبياء قبلك.. وقوله[عليه السلام]: «علىٰ المرسلين»: يؤكد صحة هٰذا التفسير الثاني، وأصل اللفظه[٩] من آمن غيره من الخوف، لأن الشاهد يؤمن غيره من الخوف بشهادته، ثم تصرفوا فيها فأبدلوا إحدىٰ همزتي (مؤتمن[١٠]) ياء، فصار (مؤيمن) ثم قلبوا الهمزة هاء كأرقت وهرقت فصار «مهيمن». و:

· (الروع): الخلد، [وفي الحديث][١١]: «إن[١٢] روح القدس نفث في روعي»[١٣]، قال: ما يخطر لي ببالي[١٤] أن العرب تعدل بالأمر بعد وفاة محمد صلى الله عليه وآله عن بني هاشم، ثم من بني هاشم عني، لأنه كان المتعين[١٥] بحكم الحال الحاضرة.

---

(١) خرقا أو انتهاكا.

(٢) ذهب وزال.

(٣) مات.

(٤) انتعاشه.

(٥) شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٥٢).

(٦) من المصدر.

(٧) الآية ٤٥ من سورة الأحزاب، والآية الثامنة من سورة الفتح.

(٨) في المصدر: بصحوة.

(٩) في المصدر: اللفظ.

(١٠) في المصدر: مؤامن.

(١١) من المصدر.

(١٢) في المصدر: أي.

(١٣) الكافي (ج٥، ص٨٣) وفتح الباري (ج١، ص١٨) وغيرهما.

(١٤) في المصدر: ببال.

(١٥) في المصدر: المتيقن.

وهٰذا الكلام [يدل][١] علىٰ بطلان دعوىٰ الإمامية النص الجلي.

• [تعقيب]:

أقول: هٰذا يدل علىٰ صحة دعوىٰ الإمامية [وخصوصا][٢] بالنص الجلي، لأن أمير المؤمنين عليه السلام هو المتعين بالحكم الحال الحاضرة من النص عليه بالإمامة والخلافة عند العرب بالنص عليه عليه السلام بذلك[٣] من رسول الله[٤] صلى الله عليه وآله.

ولهٰذا قال عليه السلام: «**فلما مضىٰ صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الأمر [من][٥] بعده، فوالله ما كان يلقىٰ في روعي، ولا يخطر ببالي أن العرب تزع هٰذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته عليهم السلام، ولا أنهم منحوه عني من بعده[صلى الله عليه وآله]**».

نرجع إلىٰ كلام ابن أبي الحديد.. قال:

• قال عليه السلام: «**فما راعني إلا انثيال الناس**»، تقول للشيء سحاك[٦] بغتة: ما راعني إلا كذا، و(الروع) ـ بالفتح ـ: الفزع، كأنه يقول: ما أفزعني شيء بعد ذٰلك السكون الذي كان عندي، وتلك الثقة التي اطمأننت إليها إلا وقوع ما وقع من إنثيال الناس، أي: انصبابهم من كل وجه كما ينثال التراب علىٰ أبي بكر، وهكذا لفظ الكتاب الذي كتبه للأشتر، وإنما الناس يكتبونه الآن (إلىٰ فلان) تذمما من ذكر الاسم كما يكتبون في أول الشقشقية: «**أما والله لقد تقمصها فلان**»[٧]، واللفظ: «**أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة**»[٨].

[قوله عليه السلام][٩]: «**فأمسكت يدي**» أي: امتنعت عن بيعته، «**حتىٰ رأيت راجعة الناس**[١٠]»، يعني: أهل الردة كمسيلمة[١١]، وسجاح[١٢]، وطليحة بن خويلد[١٣]، ومانعي الزكاة، وإن كان مانعو الزكاة قد اختلف في أنهم أهل ردة أم لا.

---

(١) من المصدر. (٢) من المصدر. (٣) في المصدر: بتلك. (٤) في المصدر: الرسول.

(٥) من المصدر. (٦) في المصدر: يفجئك.

(٧) نهج البلاغة (طبعة محمد عبده: ج١، ص٣٠).

(٨) الإرشاد (ج١، ص٢٨٧) والأمالي لشيخ الطائفة (ص٣٧٢) وعلل الشرائع (ج١، ص١٥٠) وغيرها.

(٩) من المصدر.

(١٠) في المصدر: للناس.

(١١) مسيلمة بن حبيب المعروف بـ(مسيلمة الكذاب) الذي ارتد وادعى النبوة بعد النبي صلى الله عليه وآله.

(١٢) ابنت الحارث التميمية، ادعت النبوة في الردة وتبعها قوم ثم صالحت مسيلمة وتوجته، ثم بعد قتله عادت إلى الإسلام فأسلمت، وعاشت إلى خلافة معاوية (الإصابة: ج٨ ص١٩٨).

(١٣) ويعبر عنه أيضا بـ(طليحة الكذاب) وهو أسدي، قدم هو وقبيلته سنة تسع من الهجرة المدينة فأسلموا، ولما رجعوا ارتد طليحة وادعى النبوة، فوجه النبي صلى الله عليه وآله إليه ضرار بن الأزور فضربه ضرار بالسيف يريد قتله، فنبا

• و(محق الدين) ابطاله.

• و(زهق): خرج وزال.

• و(تنهنه): سكن، وأصله الكف، تقول: نهنهت السبع فتنهنه، أي: كف عن حركته وإقدامه، فكأن الدين كان متحركا مضطربا فسكن وكف عن ذلك الإضطراب.

[بداية الخيانة والإنقلاب]:

قال: وروىٰ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ الكبير[١]: أن رسول الله ﷺ لما مات اجتمعت أسد وغطفان وطيىٔ علىٰ طليحة بن خويلد، إلا ما كان من خواص أقوام من القبائل[٢] الثلاث، فاجتمعت أسد بسميراء، وغطفان بجنوب طيبة، وطيىٔ في حدود أرضهم، واجتمعت ثعلبة بن أسد ومن يليهم من قيس بالأبرق من الربذة، وتأشب[٣] إليهم [ناس][٤] من بني كنانة، ولم تحملهم البلاد، فافترقوا فرقتين: أقامت إحداهما بالأبرق[٥]، وسارت الأخرىٰ إلىٰ ذي القصة[٦]، وبعثوا وفودا إلىٰ أبي بكر يسألونه أن يقارهم علىٰ إقامة الصلاة ومنع الزكاة، فعزم الله لأبي بكر علىٰ الحق، فقال: لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه.

ورجع الوفود إلىٰ قومهم فأخبروهم بقلة من أهل المدينة، فأطمعوهم فيها، وعلم أبو بكر والمسلمون بذلك، وقال لهم أبو بكر: أيها المسلمون؛ إن الأرض كافرة وقد رأىٰ وفدهم منكم قلة رأيكم، وإنكم لا تدرون أليلا تؤتون أم نهارا، وأدناهم منكم علىٰ بريد، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، ونبذنا إليهم، فاستعدوا وأعدوا[٧].

السيف، فشاع بين الناس إن السلاح لا يؤثر فيه، ولما مات النبي ﷺ كثر أتباعه وادعى أن جبرئيل يأتيه، وتلا على الناس أسجاعا أمرهم فيها بترك السجود في الصلاة وهاجم المدينة .

(١) الجزء الثالث (ص٢٤٤) طبعة المعارف.

(٢) في المصدر: في الطوائف.

(٣) انظم.

(٤) من المصدر.

(٥) منزل من المنازل (معجم البلدان: ج١، ص٦٩).

(٦) موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا، وهو طريق الربذة (معجم البلدان: ج٤، ص٣٦٦).

(٧) في المصدر: فأعدوا واستعدوا.

فخرج علي عليه السلام بنفسه، وكان على نقب من أنقاب المدينة، وخرج الزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود وغيرهم، فكانوا على الأنقاب الثلاثة، فلم يلبثوا إلا ثلاثا[١] حتى طرق القوم المدينة غاره مع الليل، وخلفوا بعضهم بذي حسي ليكونوا ردءا لهم، فوافوا الأنقاب وعليها المسلمون، فأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر، فأرسل إليهم أن ألزموا مكانكم ففعلوا.

وخرج أبو بكر في جمع من أهل المدينة على النواضح[٢]، فانتشر العدو بين أيديهم، واتبعهم المسلمون على النواضح حتى بلغوا ذا حسي[٣]، فخرج إليهم[٤] الكمين بأحناء[٥] [قد][٦] نفخوها، وجعلوا فيها الحبال، ثم دهدهوها[٧] بأرجلهم في وجوه الإبل، فتدهده[٨] كل نحي منها في طوله[٩]، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها، ولا تنفر الإبل من شيء نفارها من الأنحاء فعاجت بهم لا يملكونها حتى دخلت بهم المدينة، ولم يصرع منهم أحد، ولم يصب.

فبات المسلمون تلك الليلة يتهيئون، ثم خرجوا على بغتة، فما طلع الفجر إلا وهم والقوم على صعيد واحد، فلم يسمعوا للمسلمين حسا ولا همسا إلا[١٠] وضعوا فيهم السيف، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم، فما ذر قرن الشمس إلا وقد ولوا الأدبار وغلبوهم على عامة ظهرهم، ورجعوا إلى المدينة ظافرين[١١].

ثم قال ابن أبي الحديد[١٢]:

قلت: هذا هو الحديث الذي أشار عليه السلام إلى أنه نهض فيه أيام أبي بكر، وكأنه جواب عن قول قائل: إنه عمل لأبي بكر، وجاهد بين يدي أبي بكر،

---

(١) في المصدر: قليلا. (٢) الإبل التي يستقى عليها (النهاية: ج٥، ص٦٩).

(٣) واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان (تاج العروس: ج١٩، ص٣٢٠)، وهو بلد من بلاد بني مرة (خزانة الأدب: ج٢، ص٣٩٩).

(٤) في المصدر: عليهم.

(٥) أو: أنحاء وهو الزق.

(٦) من المصدر.

(٧) دفعوها.

(٨) فدفع.

(٩) حبله الذي يشد بها.

(١٠) في المصدر: حتى.

(١١) شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٥٤).

(١٢) المصدر المتقدم.

فبين عليه السلام عذره في ذلك، وقال: إنه لم يكن كما ظنه القائل، ولكنه من باب دفع الضرر عن النفس وعن الدين، فإنه واجب، سواء كان للناس إمام أو لم يكن.

الباب الثامن عشر

في مطاعن شتىٰ

[طعون الشيعة علىٰ خلافة أبي بكر]:

قال ابن أبي الحديد[١]: وينبغي حيث جرىٰ ذكر أبي بكر في كلام أمير المؤمنين عليه السلام أن نذكر ما أورده قاضي القضاة في (المغني) من المطاعن التي طعن بها فيه، وجواب قاضي القضاة عنها، واعتراض المرتضىٰ [قدس سره] في الشافي علىٰ قاضي القضاة، ونذكر ما عندنا في ذلك، ثم نذكر مطاعن أخرىٰ لم يذكرها قاضي القضاة.

[الطعن الأول]:

قال[٢]: قال قاضي القضاة بعد أن ذكر ما طعن به فيه في أمر فدك، وقد سبق القول فيه[٣]: ومما طعن به عليهم قولهم: كيف يصلح للإمامة من يخبر عن نفسه أن له شيطانا يعتريه، ومن يحذر الناس نفسه، ومن يقول: (أقيلوني) بعد دخوله في الإمامة، مع أنه لا يحل للإمام أن يقول: أقيلوني البيعة.

أجاب قاضي القضاة، فقال[٤]:

إن شيخنا أبا علي قال: لو كان ذٰلك نقصا فيه لكان قول الله في آدم وحواء: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[٥]، وقوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[٦]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[٧]، يوجب

---

(١) في شرحه على نهج البلاغة (ج١٧، ص١٥٤).
(٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٥٥).
(٣) في الباب المتقدم.
(٤) في كتاب المغني (ج٢٠، ق١، ص٣٣٨).
(٥) الآية ٢٠ من سورة الأعراف.
(٦) الآية ٣٦ من سورة البقرة.
(٧) الآية ٥٢ من سورة الحج.

النقص في الأنبياء، وإذا لم يجب ذٰلك فكذلك ما وصف به أبو بكر نفسه، وإنما أراد أنه عند الغضب يشفق من المعصية ويحذر منها، ويخاف أن يكون الشيطان يعتريه في تلك الحال فيوسوس إليه، وذلك منه علىٰ طريق الزجر لنفسه عن المعاصي، وقد روىٰ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه ترك مخاصمة الناس في حقوقهم إشفاقا من المعصية، وكان يولي ذٰلك عقيلا، فلما أسن عقيل كان يوليها عبدالله بن جعفر.

فأما ما روي في إقالة البيعة فهو خبر ضعيف، وإن صح فالمراد به التنبيه علىٰ أنه لا يبالي لأمر يرجع إليه أن يقيله الناس البيعة، وإنما يضرون بذلك أنفسهم، وكأنه نبه بذلك علىٰ أنه غير مكره لهم، وأنه قد خلاهم وما يريدون إلا أن يعرض ما يوجب خلافه.

وقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام أقال عبدالله بن عمر البيعة حين استقاله، والمراد بذلك: أنه تركه وما يختار[١].

قال ابن أبي الحديد[٢]: اعترض المرتضىٰ رضي الله عنه فقال[٣]:

أما قول أبي بكر رضي الله عنه[٤]: (وليتكم ولست بخيركم، فإن استقمت فاتبعوني، وإن اعوججت فقوموني، فإن لي شيطانا يعتريني عند غضبي، فإذا رأيتموني مغضبا فاجتنبوني، لا أؤثر في اشعاركم وأبكاركم[٥])، فإنه[٦] يدل علىٰ أنه لا يصلح للإمامة من وجهين:

ـ (أحدهما): أن هٰذا صفة من ليس بمعصوم، ولا يأمن الغلط علىٰ نفسه، [و][٧]من يحتاج إلىٰ تقويم رعيته له إذا وقع [في][٨] المعصية[٩]، وقد بينا أن الإمام لابد أن يكون معصوما موفقا مسددا، و:

---

(١) المغني (ج٢٠، ق١، ص٣٣٩).

(٢) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٥٦).

(٣) في كتاب الشافي (ج٤، ص١٠).

(٤) كما ذكرنا سابقا إن هٰذا الرمز لا يدل عند المصنف على ما أراده صاحب المصدر المخالف في المعتقد.

(٥) في المصدر: ولا أبشاركم.

(٦) في المصدر: لأنه.

(٧) من المصدر.

(٨) من المصدر.

(٩) في المصدر: واقع المعصية.

ـ (الوجه الآخر): أن هٰذه صفة من لا يملك نفسه، ولا يضبط غضبه، ومن هو في نهاية الطيش والحدة والخرق والعجلة، ولا خلاف أن الإمام يجب أن يكون منزه عن هٰذه الأوصاف، غير حاصل عليها.

وليس يشبه قول أبي بكر ما تلاه من الآيات كلها، لأن أبا بكر خبر عن نفسه بطاعة الشيطان عند الغضب، وأن عادته بذلك جارية، وليس هٰذا بمنزلة من يوسوس إليه الشيطان ولا يطيعه، ويزين له القبيح فلا يأتيه، وليس وسوسة[1] الشيطان بعيب علىٰ الموسوس له إذا لم يستلزمه ذٰلك عن الصواب، بل هو زيادة في التكليف، ووجه يتضاعف معه الثواب.

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[2] قيل: معناه في تلاوته، وقيل: في فكرته علىٰ سبيل الخاطر، وأي الأمرين كان فلا عار في ذٰلك علىٰ النبي صلى الله عليه وآله ولا نقص، وإنما العار والنقص علىٰ من يطيع الشيطان، ويتبع ما يدعو إليه.

وليس لأحد أن يقول: هٰذا إن سلم لكم في جميع الآيات لم يسلم في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[3]، لأنه قد خبر عن تأثير عواقبه بوسوسته[4] [غوايته][5] بما كان منهما من الفعل.. وذلك أن المعنىٰ الصحيح في هٰذه الآية: إن آدم وحواء كانا مندوبين إلىٰ اجتناب الشجرة، وترك التناول منها، ولم يكن ذٰلك عليهما واجبا لازما، لأن الأنبياء لا يخلون بالواجب، فوسوس لهما الشيطان حتىٰ تناولا من الشجرة، فتركا مندوبا إليه، وحرما بذلك أنفسهما الثواب وسماه (إزلالا)، لأنه حط لهما عن درجة الثواب وفعل الأفضل.

وقوله تعالىٰ في موضع آخر: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[6] لا ينافي هٰذا المعنىٰ، لأن المعصية قد يسمىٰ بها من أخل بالواجب والندب معا.

وقوله: ﴿فَغَوَىٰ﴾، أي: خاب من حيث لم يستحق الثواب علىٰ ما ندب إليه، علىٰ أن صاحب الكتاب يقول: إن هٰذه المعصية من آدم كانت صغيرة لا يستحق بها عقابا ولا ذما، فعلىٰ مذهبه أيضا تكون المفارقة بينه وبين أبي بكر

(١) في المصدر: وسوسته.
(٢) الآية ٥٢ من سورة الحج.
(٣) الآية ٣٦ من سورة البقرة.
(٤) في المصدر: غوايته ووسوته.
(٥) من المصدر.
(٦) الآية ١٢١ من سورة طه.

ظاهرة، لأنا أبا بكر خبر عن نفسه أن الشيطان يعتريه حتىٰ يؤثر في الأشعار والأبشار، ويأتي ما يستحق به التقويم، فأين هٰذا من ذنب صغير لا ذم ولا عقاب عليه، وهو يجري من وجه من الوجوه مجرىٰ المباح، لأنه لا يؤثر في أحوال فاعله، وحط رتبته، وليس يجوز أن يكون ذٰلك منه علىٰ سبيل الخشية والإشفاق علىٰ ما ظن، لأن مفهوم خطابه يقتضي خلاف ذلك.. ألا ترىٰ أنه قال: (إن لي شيطانا يعتريني)، وهٰذا قول من قد عرف عادته، ولو كان علىٰ سبيل الاشفاق والخوف لخرج عن هٰذا المخرج، ولكان يقول: فإني آمن من كذا وإني لمشفق منه.

فأما ترك أمير المؤمنين[عليه السلام][1] مخاصمة الناس في حقوقه، فكأنه إنما كان تنزها وتكرما، وأي شبه[2] بين ذٰلك وبين من صرح وشهد علىٰ نفسه بما لا يليق بالأئمة.

وأما خبر استقاله البيعة، وتضعيف صاحب الكتاب له، فهو أبد يضعف ما لا يوافقه من غير حجة يعتمدها في تضعيفه.

وقوله: (إنه ما استقال علىٰ التحقيق، وإنما نبه علىٰ أنه لا يبالي بخروج الأمر عنه، وأنه غير مكره لهم [عليه][3]) فبعيد من الصواب، لأن ظاهر قوله: (أقيلوني) أمر بالإقالة، وأقل أحواله أن يكون عرضا لها وبذلا، وكلا الأمرين قبيح.

ولو أراد ما ظنه لكان له في غير هٰذا القول مندوحة[4]، ولكان يقول: إني ما أكرهتكم ولا حملتكم علىٰ مبايعتي، وما كنت أبالي ألا يكون هٰذا الأمر [في][5] ولا إلي، وإن مفارقته لتسرني[6] لو لا ما ألزمنيه الدخول فيه من التمسك به، متىٰ عدلنا عن ظواهر الكلام بلا دليل، جر ذٰلك علينا ما لا قبل لنا به.

فأما[7] أمير المؤمنين عليه السلام فإنه لم يقل ابن عمر البيعة بعد دخولها فيها، وإنما استعفاه من أن يلزمه البيعة ابتداء فأعفاه قلة فكر فيه، وعلما بأن

---

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: نسبة.

(٣) من المصدر.

(٤) فيه سعة.

(٥) من المصدر.

(٦) في المصدر: تسرني.

(٧) في المصدر: وأما.

إمامته[عليه السلام][١] لا تثبت بمبايعة من يبايعه عليها، فأين هٰذا من استقاله بيعة قد تقدمت واستقرت[٢].

[تعليق ابن أبي الحديد]:

قال ابن أبي الحديد[٣] عقيب ذلك:

قلت: أما قول أبي بكر: (وليتكم ولست بخيركم) فقد صدق عند كثير من أصحابنا، لأن خيرهم علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن لا يقول بذلك يقول بما قاله الحسن البصري: (والله إنه ليعلم أنه خيرهم، ولكن المؤمن يهضم نفسه)، ولم يطعن المرتضىٰ فيه بهذه اللفظة ليطيل[٤] القول فيها.

قال: فأما[٥] قول المرتضىٰ رضي الله [عنه][٦] أنه قال: (فإن لي شيطانا يعتريني عند غضبي) فالمشهور في الرواية: (فإن لي شيطانا يعتريني).. وقال المفسرون: أراد بالـ(شيطان) الغضب، وسماه شيطانا علىٰ طريق الاستعارة.. وكذا ذكره شيخنا أبو الحسين رضي الله عنه في الغرر.

وقال معاوية لإنسان غضب في حضرته فتكلم بما لا يتكلم بمثله في حضرة الخلفاء: (أربع[٧] علىٰ ظلعك أيها الناس[٨] فإنما الغضب شيطان، وإنا لم نقل إلا خيرا).

[خطبتا أبي بكر يوم غصب الخلافة]:

قال: وقد ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب التاريخ الكبير[٩] خطبتي أبي بكر عقيب بيعته بالسقيفة، ونحن نذكرهما نقلا من كتابه:

---

(١) من المصدر.

(٢) شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٥٧، ١٥٨).

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٥٨).

(٤) في المصدر: لنطيل.

(٥) في المصدر: وأما.

(٦) من المصدر.

(٧) أي: توقف.

(٨) في المصدر: الإنسان.

(٩) الجزء الثالث (ص٢٢٣- ٢٢٥).

أما:

◎ (الخطبة الأولى):

فهي:

أما بعد أيها الناس فإني وليتكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، [لأن][(1)] الصدق أمانة، والكذب خيانة، الضعيف منكم قوي عندي حتىٰ أريح عليه حقه، والقوي منكم ضعيف عندي حتىٰ آخذ الحق منه، لا يدعي قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم البلاء.. أطيعوني ما أطعت الله ورسولهﷺ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلىٰ صلاتكم رحمكم الله.

وأما:

◎ (الخطبة الثانية):

فهي:

أيها الناس؛ إنما أنا مثلكم، وإني لا أدري لعلكم ستكفونني ما كان رسول اللهﷺ يطيقونه[(2)]، إن الله اصطفىٰ محمداﷺ علىٰ العالمين، وعصمه من الآفات، وإنما أنا مبتدع ولست بمستدع[(3)]، فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني، وإن رسول اللهﷺ قبض وليس أحد من هٰذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها، ألا وأن لي شيطانا يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني، لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم.. ألا وإنكم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه، فإن استطعتم ألا يمضي هٰذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا، ولم يستطيعوا[(4)] ذٰلك إلا بالله.. فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلىٰ انقطاع الأعمال، فإن قوما نسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم.. الجد الجد.. الوحا الوحا[(5)].. فإن وراءكم

---

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: يطيقه.

(٣) في المصدر: متبع ولست بمتبوع.

(٤) في المصدر: ولن تستطيعوا.

(٥) البدار والسرعة (لسان العرب: ج٥، ص٣٨٢).

طالبا حثيثا أجل، مره سريع، احذروا الموت، واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما يغبط به الأموات.

إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما يراد به وجهه فأريدوا وجه الله بأعمالكم، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فلطاعة أتيتموها، وحظ ظفرتم به، وفرائض[1] أديتموها، وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرىٰ باقية لحين فقركم وحاجتكم، فاعتبروا عباد الله بمن مات منكم، وتفكروا فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس وأين هم اليوم، أين الجبارون؟ أين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر، فصاروا[2] رميما، قد تركت عليهم القالات الخبيثات، وإنما ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾[3].

[و][4]أين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد بعدوا بسيء ذكرهم، وصاروا كلا شيء إلا أن الله قد أبقىٰ عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وبقينا خلفاء[5] من بعدهم فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن اغتررنا كنا مثلهم.

أين الوضاء الحسنة وجوههم؟ المعجبون بشبابهم!! صاروا ترابا، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط، وجعلوا فيها الأعاجيب[6]، وتركوها لمن خلفهم! فتلك مساكنهم خاوية، وهمم في ظلمة[7] القبور، ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[8].. أين من [تعرفون من آبائكم وإخوانكم! قد][9] انتهت بهم آجالهم فوردوا علىٰ ما قدموا عليه، وأقاموا للشقوة وللسعادة.

ألا إن الله لا شريك له، ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرا، ولا يصرف عنه به شرا إلا بطاعته واتباع أمره، واعلموا أنكم عباد مدينون، وأن

---

(١) في المصدر: وضرائب. (٢) في المصدر: وصاروا.
(٣) الآية ٢٦ من سورة النور.
(٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: خلفا.
(٦) في المصدر: العجائب.
(٧) في المصدر: ظلم.
(٨) الآية ٩٨ من سورة مريم.
(٩) من المصدر.

ما عنده لا يدرك إلا بتقواه وعبادته، ألا وإنه لا خير بخير بعد النار، ولا شر بشر بعد الجنة.

قال ابن أبي الحديد[١]:

(الطعن الثاني):

قال قاضي القضاة[٢] بعد أن ذكر قول عمر: (كانت بيعة أبي بكر فلتة): وقد تقدم منا القول في ذٰلك في أول هٰذا الكتاب: ومما طعنوا به علىٰ أبي بكر أنه قال عند موته: (ليتني كنت سألت رسول اللهﷺ عن ثلاثة) يذكر[٣] في أحدها: (ليتني كنت سألته: هل للأنصار في هٰذا الأمر حق؟).

قالوا: وذلك يدل علىٰ شكه في صحة بيعته.

وربما قالوا: قد روي أنه قال في مرضه: (ليتني كنت تركت بيت فاطمة[عليها السلام] لم أكشفه، وليتني في ظلة بني ساعدة كنت ضربت علىٰ [يد][٤] أحد من رجلين[٥] فكان هو الأمير وكنت الوزير).

قالوا: وذلك يدل علىٰ [ما روىٰ من إقدامه علىٰ بيت فاطمةعليها السلام عند إجتماع عليعليه السلام والزبير وغيرهما فيه.. ويدل علىٰ][٦] أنه كان يرىٰ الفضل لغيره لا لنفسه.

قال قاضي القضاة[٧]: والجواب أن قوله: (ليتني) لا يدل علىٰ الشك فيما بيناه[٨]، وقول إبراهيمعليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[٩] أقوىٰ من ذٰلك في الشبهة.

(١) شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٦٤). (٢) في المغنى (ج٢٠، ق١، ص٣٤١).
(٣) في المصدر: فذكر. (٤) من المصدر. (٥) في المصدر: أحد الرجلين.
(٦) من المصدر.
(٧) في المغني (ج٢٠، ق١، ص٣٤١).
(٨) في المصدر: تمناه.
(٩) الآية ٦٢ من سورة البقرة.

ثم حمل تمنيه علىٰ أنه أراد سماع شيء مفصل، أو أراد: ليتني سمعته[١] عند الموت، لقرب العهد، لأن ما قرب عهده لا ينسىٰ ويكون أردع للأنصار عما[٢] حاولوه.

ثم قال: علىٰ أنه ليس في ظاهره أنه تمنىٰ أن يسأل هل لهم حق في الإمامة أم لا؟ لأن الإمامة قد يتعلق بها حقوقها سواها.

ثم دفع الرواية المتعلقة ببيت فاطمة عليها السلام، وقال: فأما تمنيه أن يبايع غيره، فلو ثبت لم يكن ذما، لأن من اشتد[٣] التكليف عليه فهو يتمنىٰ خلافه.

[اعتراض السيد المرتضىٰ قدس سره]:

قال ابن أبي الحديد[٤]: اعترض المرتضىٰ رضي الله عنه علىٰ هٰذا الكلام فقال[٥]: ليس يجوز أن يقول أبو بكر: (ليتني كنت سألت عن كذا) إلا مع الشك والشبهة، لأن مع العلم واليقين لا يجوز مثل هٰذا القول، هٰكذا يقتضي الظاهر.

فأما قول إبراهيم عليه السلام فإنما ساغ أن يعدل عن ظاهره لأن الشك لا يجوز علىٰ الأنبياء[عليهم السلام][٦]، ويجوز علىٰ غيرهم، علىٰ أنه عليه السلام قد نفىٰ عن نفسه الشك بقوله: ﴿بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[٧]، وقد قيل: إن نمرود قال له: إذا كنت تزعم أن لك ربا يحيىٰ الأموات[٨] فاسأله[٩] أن يحيي لنا ميتا إن كان علىٰ ذٰلك قادرا، فإن لم تفعل ذٰلك قتلتك.. فأراد بقوله: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[١٠] أي: لآمن

---

(١) في المصدر: سألته.
(٢) في المصدر: على ما.
(٣) في الشافي: شهد.
(٤) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٦٥).
(٥) في كتابه الشافي (ج٤، ص١٣٨).
(٦) من المصدر.
(٧) الآية ٢٦٠ من سورة البقرة.
(٨) في المصدر: الموتى.
(٩) في المصدر: فسله.
(١٠) الآية ٢٦٠ من سورة البقرة.

توعد عدوك لـي بالقتل، وقد يجـوز أن يكون طلـب ذٰلك لقومه وقد سـألوه أن يرغب إلىٰ الله تعالىٰ فيه، فقـال: ﴿لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ إلىٰ إجابتك لـي، وإلىٰ إزاحة علة قومي، ولـم يـرد: ﴿لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي﴾ إلىٰ أنك تقـدر علىٰ أن تحيـي الموتىٰ، لأن قلبـه قـد كان بذلـك مطمئنا، وأي شـيء يريـد أبو بكر مـن التفضيـل أكثر من قوله: إن هٰـذا الأمر لا يصلح إلا لهٰـذا الحي من قريـش[1].. وأي فرق بين ما يقال عند الموت وبين مـا يقال قبلـه إذا كان محفوظا معلوما، لـم ترفع كلمة[2] ولم ينصب[3].

وبعد؛ فظاهر الكلام لا يقتضي هٰذا التخصيص، ونحن مع الإطلاق والظاهر.

وأي حق يجـوز أن يكون للأنصـار في الإمامـة غير أن يتولاهـا رجل منهم حتىٰ يجوز أن يكون الحق الذي تمنىٰ أن يسـأل عنه غير الإمامة!! وهل هٰذا إلا تعسف وتكلف!!

وأي شـبهة تبقىٰ بعد قول أبـي بكر: (ليتني كنت سـألته: هـل للأنصار في هٰذا الأمر حق[4] فكنـا لا ننازعه أهله)؟ ومعلوم أن التنازع لـم يقع بينهم إلا في الإمامة نفسها، لا في حق آخر من حقوقها.

فأما قوله: (إنا قد بينا أنه لم يكـن منه في بيت فاطمة مـا يوجب أن يتمنىٰ أن[5] لم يفعله) فقد بينا فساد ما ظنه فيما تقدم.

فأما قوله: (إن من اشـتد التكليف عليـه قد يتمنىٰ خلافـه) فليس بصحيح، لأن ولايـة أبي بكـر إذا كانت هـي التـي اقتضاها الديـن، والنظر للمسـلمين في تلك الحال وما عداها كان مفسـدة ومؤديا إلىٰ الفتنـة، فالتمني لخلافها لا يكون إلا نسخا[6].

---

(١) في المغني: الحي من قريش والأئمة من قريش.

(٢) في المصدر: يرفع حكمه.

(٣) في المصدر: تنسخ.

(٤) في المصدر: شيء.

(٥) في المصدر: أنه.

(٦) في المصدر: إلا قبيحا.

⊡ [الهجوم علىٰ بيت الزهراء عليها السلام حقيقة ثابتة]:

قال ابن أبي الحديد[(١)] بعد ذلك: [و][(٢)]أما حديث الهجوم علىٰ بيت فاطمة عليها السلام فقد تقدم القول[(٣)] فيه، والظاهر عندي صحة ما يرويه المرتضىٰ والشيعة، ولكن لا كل ما يزعمونه، بل كان بعض ذلك، وحق لأبي بكر أن يندم ويتأسف علىٰ ذلك.

أقول: قال السيد المرتضىٰ في كتاب الشافي[(٤)]: روىٰ إبراهيم بن سعيد الثقفي، قال: حدثنا أحمد بن عمرو البجلي، قال: حدثنا أحمد بن حبيب العامري، عن حمران بن أعين، عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، قال: «**والله ما بايع علي عليه السلام حتىٰ رأىٰ الدخان [قد][(٥)] دخل عليه بيته**».

ونقل ابن أبي الحديد في الشرح[(٦)] عن الشيعة أنه أرسل قنفذ إلىٰ بيت فاطمة عليها السلام، وإنه ضربها بالسوط فصار في عضدها كالدملج، وبقي أثره إلىٰ أن ماتت، وأن عمر أضغطها ما بين الباب والجدار، فصاحت: يا أبتاه يا رسول الله! وألقت جنينا ميتا، وجعل في عنق علي عليه السلام حبل يقاد به وهو يعتل، وفاطمة[عليها السلام] خلفه تصرخ وتنادىٰ بالويل والثبور، وابناه حسن وحسين[عليهما السلام] معهما يبكيان، وأن عليا[عليه السلام] لما أحضر سلموه البيعة فامتنع، وتهدد[(٧)] بالقتل، فقال[عليه السلام]: «**إذن تقتلون عبدالله وأخا رسول الله**».. فقالوا: أما عبدالله فنعم وأما أخو رسوله[(٨)] فلا.

وأنه طعن فيهم في أوجههم بالنفاق، وسطر صحيفة الغدر التي اجتمعوا عليها، وبأنهم أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله لیلة العقبة.

---

(١) شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٦٨).

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: الكلام.

(٤) الجزء الثالث (ص٢٤١).

(٥) من المصدر.

(٦) الجزء الثاني (ص٦٠).

(٧) في المصدر: فتهدد.

(٨) في المصدر: أخو رسول الله.

إلىٰ هنا رواية[١] ابن أبي الحديد عن الشيعة والسيد المرتضىٰ في الشافي، وذكروا روايات كثيرة تتضمن تهديد أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل عند امتناعه من البيعة، وابن أبي الحديد هنا قال[٢]: والظاهر عندي صحة ما يرويه المرتضىٰ والشيعة عن قريب.

[تعليق المصنف علىٰ توقف المعتزلي في الحقيقة]:

فليت شعري ما الذي ينكره من ذلك، ويصحح بعضه، مع أن فعل ذٰلك مجمع ومتفرق يوجب الكفر من فاعله والتخليد في النار، فكيف يصح إمامة من هٰذا فعله، وكيف يجوز اتباعه، ما هٰذا إلا خسران مبين.

قال ابن أبي الحديد[٣]:

(الطعن الثالث):

قالوا: إنه ولىٰ عمر الخلافة، ولم يوله رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا من أعماله البتة إلا ما ولاه يوم خيبر، فرجع منهزما وولاه الصدقة، فلما شكاه العباس عزله.

قال[٤]: أجاب قاضي القضاة[٥]: بأن تركه عليه السلام أن يوليه لا يدل علىٰ أنه لا يصلح لذلك، وتوليه إياه لا يدل علىٰ صلاحيته للإمامة، فإنه[٦] صلى الله عليه وآله قد ولىٰ خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، ولم يدل ذٰلك علىٰ صلاحيتهما للإمامة، ولذلك[٧] تركه أن يولي لا يدل علىٰ أنه غير صالح [للإمامة][٨]، بل المعتبر بالصفات التي تصلح للإمامة، فإذا كملت صلح لذلك، ولىٰ من قبل أو لم يول.

(١) في المصدر: روى.
(٢) شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٦٨).
(٣) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٦٨).
(٤) ابن أبي الحديد.
(٥) في المغني (ج٢٠، ق١، ص٣٤٢).
(٦) في المصدر: لأنه.
(٧) في المصدر: كذلك.
(٨) من المصدر.

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله ترك أن يولي أمير المؤمنين عليه السلام أمورا[١] كثيرة، ولم يجب إلا من يصلح لها[٢]، وثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يول الحسين عليه السلام ابنه، ولم يمنع ذٰلك من أن يصلح للإمامة.

وحكىٰ عن أبي علي: [علىٰ][٣] أن ذٰلك إنما كان يصح أن يتعلق به لو ظفروا بتقصير من عمر فيما تولاه، فأما أحواله معروفة في قيامه بالأمر حين يعجز غيره، فكيف يصح ما قالوه! وبعد فهلا دل ما روىٰ من قوله: (وإن تولوا عمر تجدوه قويا في أمر الله، قويا في بدنه) علىٰ جواز ذلك! وإن ترك النبي صلى الله عليه وآله توليته[٤]، لأن هٰذا القول أقوىٰ من الفعل.

قال ابن أبي الحديد[٥]: اعترض المرتضىٰ رضي الله عنه فقال[٦]:

قد علمنا بالعادة أن من ترشح[٧] لكبار الأمور لابد من أن يدرج إليها بصغارها، لأن من يريد بعض الملوك تأهيله للأمر من بعده لابد من أن ينبه عليه بكل قول وفعل يدل علىٰ ترشيحه لهٰذه المنزلة، ويستكفيه من أمور ولاياته[٨] ما يعلم عنده أو يغلب علىٰ ظنه[٩] صلاحه لما يريده له، وأن [من][١٠] يرىٰ الملك مع حضوره، وامتداد الزمان وتطاوله لا يستكفيه شيئا من الولايات، ومتىٰ ولاه عزله وإنما يولي غيره ويستكفي سواه، لابد أن يغلب في الظن أنه ليس بأهل للولاية، وإن جوزنا أنه لم يوله لأسباب كثيرة سوىٰ أنه لا يصلح للولاية، إلا أن مع هٰذا التجويز لا بد أن يغلب علىٰ الظن بما ذكرناه.

فأما خالد وعمرو فإنا لم يصلحا للإمامة لفقد شروط الإمامة فيهما، وإن كانا يصلحان لما ولياه من الإمارة، فترك الولاية مع امتداد الزمان، وتطاول الأيام،

---

(١) في المصدر: ولايات.

(٢) وفي المغني: بل معتبر بالصفات التي لها تصلح للإمامة.

(٣) كما في الشافي.

(٤) في المصدر: أن يوليه.

(٥) شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٦٩).

(٦) في كتابه الشافي (ج٤، ص١٤١).

(٧) في المصدر: يرشح.

(٨) في المصدر: أموره وولاياته.

(٩) في المصدر: في الظن.

(١٠) من المصدر.

وجميع الشـروط التي ذكرناها تقتضي غلبة الظن لفقد الصلاح والولاية لشيء لا تدل علىٰ الصلاح لغيره إذا كانت الشرائط في القيام بذلك الغير معلوما فقدها.

وقد نجد الملـك يولي بعض أموره مـن لا يصلح للملك بعـده لظهور فقد الشـرائط فيه، ولا يجـوز أن يكون بحضرتـه من يرشـحه للملك بعـده، ثم[1] لا يوليـه علىٰ تطـاول الزمان شـيئا مـن الولايات، فبـان الفـرق بين الولايـة وتركها فيما ذكرناه.

فأما أميـر المؤمنيـن عليه السلام وإن يتول جميـع أمور النبـي صلى الله عليه وآله في حياتـه، فقد تولىٰ أكثرهـا وأعظمها، وخلفه[عليه السلام][2] فـي المدينة، وكان الأميـر علىٰ الجيش المبعوث إلىٰ خيبـر، وجرىٰ الفتح علىٰ يديه بعد انهزام مـن انهزم منها[3]، وكان المؤدىٰ عنه سورة براءة بعد عزل من عزل عنها وارتجاعها منه.

إلىٰ غير ذٰلـك من عظيم الولايـات والمقامات بمـا يطول شـرحه[4]، ولو لم يكن إلا أنه لم يول عليه واليا قط لكفىٰ.

فأمـا اعتراضه بـأن أميـر المؤمنين عليه السلام لـم يـول الحسـين[عليه السلام] فبعيد عن الصواب، لأن أيام أمير المؤمنين عليه السلام لم تطل فيتمكن فيهـا من مراداته، وكان[5] علىٰ قصرها منقسـمة بيـن قتال الأعـداء، لأنه عليه السلام لمـا بويع لم يلبـث أن خرج عليه أهل البصرة فاحتاج إلىٰ قتالهـم، ثم انكفأ من قتالهـم إلىٰ قتال أهل الشـام، وتعقب ذٰلك قتل أهل النهروان، فلم يسـتقر[6] به الدار ولا امتـد به الزمان، وهٰذا بخلاف أيام النبي صلى الله عليه وآله التي تطاولت وامتدت، علىٰ أنه قد نص عليه بالإمامة بعد أخيه الحسن[عليه السلام]، وإنما تطلب[7] الولايات لغلبة الظن بالصلاح للإمامة.

فإذا[8] كان هناك وجه يقتضي العلم بالصلاح لها كان أولىٰ من طريق الظن.

علىٰ أنه لا خلاف بين المسـلمين أن الحسـين عليه السلام كان يصلح للإمامة وإن لم يوله أبوه الولايات، وفي مثل هذا[9] خلاف من حال عمر، فافترق الأمران.

---

(١) في المصدر: و. (٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: عنها. (٤) في المصدر: يذكره الشرح.

(٥) في المصدر: وكانت.

(٦) في المصدر: ولم تستقر.

(٧) في المصدر: يطلب.

(٨) في المصدر: فإن.

(٩) في المصدر: ذلك.

فأما قوله: ([في][1] إنه لم يعثر على عمر بتقصير في الولاية، فمن سلم بذلك!! أو ليس يعلم أن مخالفته يعد تقصيرا كثيرا، ولو لم يكن إلا ما اتفق عليه من خطئه في الأحكام ورجوعه من قول إلى غيره، واستفتائه الناس في الصغير والكبير).. وقوله: (كل الناس أفقه من عمر) لكان فيه كفاية.

وليس كل النهوض بالإمامة يرجع إلى حسن التدبير والسياسة الدنياوية ورم الأعمال والاستظهار في حياته[2] الأموال، وتمصير الأمصار، ووضع الأعتبار[3]، بل حظ الإمامة من العلم بالأحكام والفتيا بالحلال والحرام، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه أقوى، فمن قصر في هذا لم ينفعه أن يكون كاملا في ذلك.

فأما قوله: (فهلا دل[4] ما روي من قوله عليه السلام: فإن وليتم عمر وجدتموه قويا في أمر الله، قويا في بدنه)، فهذا لو ثبت لدل، وقد تقدم الكلام[5] عليه[6] [وأمثاله فيما سلف من هذا الكلام][7]، وأقوى ما يبطله عدول أبي بكر عن ذكره، والإحتجاج به، لما أراد النص على عمر فعوتب على ذلك، وقيل له: ما تقول لربك إذ وليت علينا فظا غليظا! فلو كان صحيحا لكان يحتج به ويقول: وليت عليكم من شهد النبي صلى الله عليه وآله بأنه أقوى في أمر الله، قوي في بدنه.

وقد قيل في الطعن[8] على [صحة][9] هذا الخبر: إن ظاهره يقتضي تفضيل عمر على أبي بكر، والإجماع بخلاف ذلك، لأن القوة في الجسم فضل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[10].

وبعد هذا كيف يعارض ما اعتمدناه من عدوله عليه السلام عن ولايته ـ وهو أمر معلوم ـ بهذا الخبر المردود المدفوع!!

---

(١) من الشافي.

(٢) في المصدر: جباية.

(٣) في المصدر: الأعشار.

(٤) في المصدر: فالأدل.

(٥) في المصدر: القول.

(٦) في المصدر: على هذا الخبر.

(٧) من المصدر.

(٨) في المصدر: فيما يطعن.

(٩) من المصدر.

(١٠) الآية ٢٤٧ من سورة البقرة.

قال ابن أبي الحديد[١]:

(الطعن الرابع):

قالوا: إن أبا بكر كان في جيش أسامة، وإن رسول الله ﷺ كرر حين موته الأمر بتنفيذ جيش أسامة، فتأخره يقتضي مخالفة الرسول ﷺ.

فإن قلتم: إنه لم يكن في الجيش؟ قيل لكم: لا شك أن عمر بن الخطاب كان في الجيش، وأنه حبسه ومنعه من النفوذ مع القوم، وهٰذا كالأول في أنه معصية.

وربما قالوا: إنه ﷺ جعل هٰؤلاء القوم في جيش أسامة ليبعدوا بعد وفاته ﷺ عن المدينة، فلا يقع منهم توثب علىٰ الإمامة، ولذلك لم يجعل أمير المؤمنين عليه السلام في ذٰلك الجيش، وجعل فيه أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم، وذلك من أوكد الدلالة علىٰ أنه لم يرد أن يختاروا للإمامة.

قال: أجاب قاضي القضاة[٢]: بأن أنكر أولا أن يكون أبو بكر في جيش أسامة، وأحال علىٰ كتب المغازي، ثم سلم ذٰلك وقال: إن الأمر لا يقتضي الفور، فلا يلزم من تأخر أبي بكر عن النفوذ أن يكون عاصيا.

ثم قال: إن خطابه ﷺ بتنفيذ الجيش يجب أن يكون متوجها إلىٰ القائم بالأمر بعده، لأنه من خطاب الأئمة، وهٰذا يقتضي ألا يدخل المخاطب بالتنفيذ في الجملة.

ثم قال: وهٰذا يدل علىٰ أنه لم يكن هناك إمام منصوص عليه، لأنه لو كان لأقبل بالخطاب عليه، وخصه بالأمر بالتنفيذ دون الجميع.

ثم ذكر أن أمره[٣] ﷺ بالتنفيذ لا بد أن يكون مشروطا بالمصلحة، وبأن لا يعرض من[٤] هو أهم منه، لأنه لا يجوز أن يأمرهم بالنفوذ، وإن أعقب ضررا في الدين، ثم قوىٰ ذٰلك بأنه لم ينكر علىٰ اسامة تأخره، وقوله[ﷺ]: «**لم أكن لأسأل عنك الركب**».

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٧٤).
(٢) المغني (ج٢٠، ق١، ص٣٤٦).
(٣) في المصدر: إن أمر رسول الله ﷺ.
(٤) في المصدر: ما.

ثم قال: (لو كان الإمام منصوصا عليه لجاز أن يسترد جيش أسامة أو بعضه لنصرته، وكذلك إذا كان بالإختيار).

ثم حكىٰ عن الشيخ أبي علي استدلاله علىٰ أن أبا بكر لم يكن في جيش أسامة بأنه ولاه الصلاة في مرضه، مع تكريره[1] أمر الجيش بالنفوذ والخروج.

ثم ذكر: (إن الرسولﷺ إنما يأمر بما يتعلق بمصالح الدنيا من الحروب ونحوها[2] عن اجتهاده، وليس بواجب أن يكون ذٰلك عن وحي كما يجب[3] في الأحكام الشرعية، وأن اجتهاده في الحياة أولىٰ من اجتهاد غيره).

ثم ذكر: (إن العلة في احباس[4] عمر عن [النفوذ مع][5] الجيش حاجة أبي بكر إليه، وقيامه بما لا يقوم به غيره، وأن ذٰلك أحوط للدين من نفوذه).

ثم ذكر: (إن أمير المؤمنينعليه السلام حارب معاوية بأمر الله تعالىٰ وأمر رسوله، ومع هٰذا فقد ترك محاربته في بعض الأوقات، ولم يجب بذلك ألا يكون متمثلا للأمر).

وذكر توليتهعليه السلام أبا موسىٰ[6]، وتولية الرسولﷺ خالد بن الوليد[7] مع ما ظهر[8] منهما وأن ذٰلك يقتضي الشرط.

ثم ذكر: (إن من يصلح للإمامة ممن ضمه جيش أسامة يجب تأخيره[9] ليختار للإمامة أحدهم، فإن ذٰلك أهم من نفوذهم، فإذا جاز لهٰذه العلة التأخير قبل العقد جاز التأخير بعده للمعاضدة وغيرها).

وطعن في قول من جعل إن إخراجهم في الجيش علىٰ جهة ألا يعادلهم[10] عن المدينة بأن قال: (إن بعدهم عن المدينة لا يمنع من أن يختاروا للإمامة، ولأنهعليه السلام لم يكن قاطعا علىٰ موته لا محالة.. لأنه لم يرد: نفذوا جيش أسامة في حياتي).

---

(١) في المصدر: تكرره. (٢) في المصدر: وغيرها.
(٣) في المصدر: وجب. (٤) في المصدر: احتباس.
(٥) من الشافي.
(٦) توليته في التحكيم.
(٧) توليته على السرية إلى الغميصاء.
(٨) في المصدر: جرى.
(٩) في المصدر: تأخره.
(١٠) في المصدر: الإبعاد لهم.

ثم ذكر: أن ولاية أسامة عليهما لا تقتضي فضله وأنهما دونه.

وذكر: ولاية عمرو بن العاص عليهما، وإن لم يكونا دونه في الفضل، وأن أحدا لم يفضل أسامة عليهما.

ثم ذكر: أن السبب في كون عمر من جملة جيش أسامة: أن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي قال عند ولاية أسامة: تولي علينا شاب حدث ونحن مشيخة قريش! فقال [عمر](1): يا رسول الله؛ مرني حتىٰ أضرب عنقه، فقد طعن في تأميرك إياه(2).. ثم قال عمر: أنا أخرج في جيش أسامة تواضعا وتعظيما لأمره عليه السلام.

قال(3): اعترض المرتضىٰ رضي الله عنه هٰذه الأجوبة، فقال(4):

أما كون أبي بكر في جملة جيش أسامة فظاهر، فقد ذكره أصحاب السير والتواريخ(5)، وقد روىٰ البلاذري في تاريخه(6)، وهو معروف بالثقة والضبط وبريء من مماثلة(7) الشيعة ومقاربتها، أن أبا بكر وعمر معا كانا في جيش أسامة، والانكار لما يجري هٰذا المجرىٰ لا يغني شيئا، وقد كان يجب علىٰ من أحال بذلك علىٰ كتب المغازي في الجملة أن يومئ إلىٰ الكتاب المتضمن لذلك بعينه ليرجع إليه.

فأما خطابه عليه السلام بالتنفيذ للجيش فالمقصود به الفور دون التراخي، إما من حيث مقتضىٰ الأمر علىٰ مذهب من يرىٰ(8) ذٰلك لغة، وأما(9) شرعا من حيث وجدنا جميع الأمة من لدن الصحابة إلىٰ هٰذا الوقت يحملون أوامره [ونواهيه](10) عليه السلام علىٰ الفور، ويطلبون في تراخيها الأدلة.

---

(1) من المصدر. (2) في الشافي: في إمارته. (3) ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة (ج١٧، ص١٧٧). (4) في كتابه الشافي (ج٤، ص١٤٧). (5) تاريخ ابن عساكر (ج٢، ص٣٩١) وتاريخ اليعقوبي (ج٢، ص٩٣) والطبقات الكبرى (ج٢، ص١٩٠) والفتح الرباني (ج٢١، ص٢٢٢) والكامل في التاريخ (ج٢، ص٣١٧) وغيرها. (6) أنساب الأشراف (ج١، ص٤٧٤).

(7) في المصدر: ممالاة.

(8) في المصدر: رأى.

(9) في المصدر: أو.

(10) من المصدر.

ثم لو لم يثبت كل ذٰلك لكان قول أسامة: (لم أكن لأسأل عنك الركب)، أوضح دليل علىٰ أنه عقل من الأمر الفور، لأنه سؤال الركب عنه عليه السلام بعد وفاته لا معنىٰ له [بعد الوفاة][1].

وأما قول صاحب الكتاب: (إنه لم ينكر علىٰ أسامة تأخره) فليس بشيء، وأي إنكار أبلغ من تكراره الأمر، وترداده القول في حال يشغل عن المهم، ويقطع عن الفكر إلا فيها! وقد يتكرر[2] الأمر علىٰ المأمور تارة بتكرار الأمر، وأخرىٰ بغيره.

وإذا سلمنا أن أمره عليه السلام كان متوجها إلىٰ القائم بعده بالأمر لتنفيذ الجيش بعد الوفاة لم يلزم ما ذكره من خروج المخاطب بالتنفيذ[3] عن الجملة، وكيف[4] يصح ذٰلك وهو من جملة الجيش، [والأمر متضمن تنفيذ الجيش! فلا بد من نفوذ كل من كان في جملته، لأن تأخر بعضهم يسلب النافذين اسم الجيش علىٰ الإطلاق][5].

[أو ليس من مذهب صاحب الكتاب أن الأمر بالشيء أمر بما لا يتم إلا معه، وقد اعتمد علىٰ هٰذا في مواضع كثيرة، فإن كان خروج الجيش ونفوذه لا يتم إلا بخروج أبي بكر، فالأمر بخروج الجيش أمر لأبي بكر بالنفوذ والخروج، وكذلك لو أقبل عليه علىٰ سبيل التخصيص، وقال: (نفذوا جيش أسامة)، وكان هو من جملة الجيش][6]، فلا بد من أن يكون ذٰلك أمرا له بالخروج.

واستدلاله[7] علىٰ أنه لم يكن هناك إمام منصوص [عليه][8] فعموم[9] الأمر بالتنفيذ، ليس بصحيح، لأنا قد بينا أن الخطاب إنما توجه إلىٰ الحاضرين، ولم يتوجه إلىٰ الإمام بعده، علىٰ أن هٰذا لازم له، [لأن الإمام][10] بعده لا يكون إلا

(١) كما في المصدر. (٢) في المصدر: ينكر.
(٣) في المصدر: بالإنفاذ.
(٤) في المصدر: فكيف.
(٥) من المصدر.
(٦) من المصدر.
(٧) في المصدر: واستدلالا له.
(٨) من المصدر.
(٩) في المصدر: بعموم.
(١٠) من المصدر.

واحدا، فلو عم[١] الخطاب ولم يفرد به الواحد، فيقول: لينفذ به القائم من بعدي بالأمر جيش أسامة، فإن الحال لا يختلف في كون الإمام بعده عليه السلام واحدا بين أن يكون منصوصا عليه أو مختارا.

وأما ما إدعائه أن الشرط في أمره عليه السلام لهم بالنفوذ فباطل، لأن إطلاق الأمر يمنع من إثبات الشرط، وإنما يثبت من الشروط ما يقتضي الدليل إثباتها[٢] من التمكن والقدرة، لأن ذٰلك شرط ثابت في كل أمر ورد من حكيم، والمصلحة بخلاف ذلك، لأن الحكيم لا يأمر بشرط المصلحة، بل إطلاق الأمر منه يقتضي ثبوت المصلحة وانتفاء المفسدة وليس كذلك التمكن، وما يجري مجراه، ولهٰذا لا يشترط أحد في أوامر الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وآله بالشرائع المصلحة وانتفاء المفسدة.

وشرطوا في ذٰلك التمكن ورفع التعذر.

ولو كان الإمام منصوصا عليه بعينه واسمه لما جاز أن يسترد جيش أسامة، بخلاف ما ظنه، ولا أن يعزل من ولاه عليه السلام ولا يولي من عزله للعلة التي ذكرناها.

فأما استدلال أبي علي علىٰ أن أبا بكر لم يكن في الجيش بحديث الصلاة، فأول ما فيه: أنه اعتراف بأن الأمر بتنفيذ الجيش كان في الحياة دون بعد الوفاة، وهٰذا ناقض لما بنىٰ صاحب الكتاب عليه أمره عليه السلام.

ثم إنا قد بينا أنه عليه السلام[٣] لم يوله الصلاة وذكرنا ما في ذلك.

ثم ما المانع من أن يوليه تلك الصلاة إن كان ولاه إياها ثم يأمره بالنفوذ من بعد مع الجيش فإن الأمر بالصلاة في تلك الحال لا يقتضي أمره بها علىٰ التأبيد[٤].

وأما إدعاؤه: أن النبي صلى الله عليه وآله يأمر بالحروب وما يتصل بها عن اجتهاد دون الوحي، فمعاذ الله أن يكون [ذلك][٥] صحيحا، لأن حروبه عليه السلام لم تكن مما

(١) في المصدر: فلم عمم.
(٢) في المصدر: إثباته.
(٣) في المصدر: صلى الله عليه وآله.
(٤) في المصدر: التأييد.
(٥) من المصدر.

يختص بمصالح أمور الدنيا، بل للدين فيها أقوىٰ تعلق، لما يعود علىٰ الإسلام وأهله بفتوحه من العز والقوة وعلو الكلمة، وليس يجري ذٰلك مجرىٰ أكله وشربه ونومه، لأن ذٰلك لا تعلق له بالدين، فيجوز أن يكون عن رأيه، ولو جاز أن تكون مغازيه وبعوثه مع التعلق القوي لها بالدين عن اجتهاد لجاز ذٰلك في الأحكام.

ثم لو كان ذٰلك عن اجتهاد لما ساغت مخالفته فيه بعد وفاته، كما لا يسوغ[1] في حياته.

وكل[2] علة تمنع من أحد الأمرين هي مانعة من الأخرىٰ[3].

فأما الاعتذار [له][4] عن حبس عمر عن الجيش بما ذكره فباطل، لأنا قد بينا[5] إن ما يأمر به عليه السلام لا يسوغ مخالفته مع الإمكان، ولا مراعاة لما عساه يعرض فيه من رأي غيره، وأي حاجة إلىٰ عمر بعد تمام العقل[6]، واستمراره[7] ورضا الأمة به علىٰ مذهب[8] المخالف وإجتماعها[9] عليه، ولم يكن هناك فتنة ولا تنازع ولا اختلاف يحتاج فيه إلىٰ مشاورته وتدبيره! وكل هٰذا تعلل بالباطل[10].

فأما محاربة أمير المؤمنين عليه السلام معاوية؛ فإنما كان مأمورا بها مع التمكن ووجود الأنصار، وقد فعل عليه السلام من ذٰلك ما أوجب عليه لما تمكن منه، فأما مع التعذر وفقد الأنصار فما كان مأمورا [بها][11]، وليس كذلك القول في جيش أسامة، لأن [تأخر][12] من تأخر عنه كان مع القدرة والتمكن.

---

(١) في المصدر: تسوغ.
(٢) في المصدر: فكل.
(٣) في المصدر: الآخر.
(٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: قلنا.
(٦) في المصدر: العقد.
(٧) في المصدر: استقراره.
(٨) في المصدر: طريق.
(٩) في المصدر: وإجماعها.
(١٠) في المصدر: تعلل باطل.
(١١) من المصدر.
(١٢) من المصدر.

فأما تولية أبي موسىٰ الأشعري؛ فلا ندري كيف يشبه ما نحن فيه، لأنه إنما ولاه بأن يرجع إلىٰ كتاب الله [تعالىٰ][1] فيحكم فيه وفي خصمه بما يقتضيه، وأبو موسىٰ فعل [خلاف][2] ما جعل إليه، فلم يكن ممتثلا لأمر من ولاه.

وكذلك خالد ابن الوليد إنما خالف ما أمره به الرسولﷺ فتبرأ من فعله، وكل هٰذا لا يشبه أمرهعليه السلام بتنفيذ جيش أسامة أمرا مطلقا، وتأكيده ذٰلك وتكراره له.

فأما جيش أسامة فإنه لم يضم ما[3] يصلح للإمامة، فيجوز تأخرهم ليختار أحدهم علىٰ ما ظنه صاحب الكتاب.

علىٰ أن ذٰلك لو صح أيضا لم يكن عذرا في التأخر، لأن من خرج في الجيش يمكن أن يختار وإن كان بعيدا، ولا يمنع بعده من صحة الإختيار، وقد صرح صاحب الكتاب بذلك.

ثم لو صح هٰذا العذر لكان عذرا في التأخر قبل العقد، فأما بعد إبرامه فلا عذر فيه، والمعاضدة التي ادعاها قد بينا ما فيها.

فأما قول[4] صاحب الكتاب رادا علىٰ من جعل إخراج القوم في الجيش ليتم أمر النص: (أن [من][5] أبعدهم لا يمنع من يختاروا للإمامة)، فيدل علىٰ أنه لم يتبين معنىٰ هٰذا الطعن علىٰ حقيقته، لأن الطاعن به لا يقول إنه أبعدهم لئلا يختاروا للإمامة، وإنما يقول: إنه أبعدهم حتىٰ ينتصب بعده في الأرض من نص عليه، ولا يكون هناك من ينازعه ويخالفه.

وأما قوله: (إنهعليه السلام[6] لم يكن قاطعا علىٰ موته) فذلك لا يضر تسليمه، أليس كان مشفقا وخائفا! وعلىٰ الخائف أن يتحرز مما[7] يخاف منه.

فأما قوله: فإنه (لم يرد نفذوا الجيش في حياتي) فقد بينا ما فيه.

فأما ولاية أسامة علىٰ ما[8] ولي عليه فلابد من اقتضائها لفضله علىٰ الجماعة فيما كان واليا فيه، وقد دللنا فيما تقدم من الكتاب علىٰ أن ولاية

---

(١) من المصدر. (٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: من. (٤) في المصدر: ادعاء.

(٥) من المصدر.

(٦) في المصدر: ﷺ.

(٧) في المصدر: ممن.

(٨) في المصدر: من.

المفضول علىٰ الفاضل فيما كان أفضل منه فيه قبيحة، وكذلك[1] القول في ولاية عمرو بن العاص عليهما [فيما تقدم][2]، والقول في الأمرين واحد.

وقوله: (إن أحدا لم يدع فضل أسامة علىٰ أبي بكر [وعمر][3])، فليس الأمر علىٰ ما ظنه، لأن من ذهب إلىٰ فساد إمامة المفضول لابد من أن يفضل أسامة عليهما فيما كان واليا فيه.

فأما[4] ما ادعاه من ذكره من السبب في دخول عمر في الجيش فما نعرفه، ولا وقفنا عليه إلا من كتابه، ثم لو صح لم يغن شيئا، لأن عمر لو كان أفضل من أسامة لمنعه الرسول ﷺ من الدخول في إمارته والمسير تحت لوائه، والتواضع لا يقتضي فعل القبيح.

قال ابن أبي الحديد[5]:

◘ (الطعن الخامس):

قالوا: إنه ﷺ لم يول أبا بكر الأعمال وولىٰ غيره، ولما ولاه الحج بالناس، وقراءة سورة براءة علىٰ الناس، عزله عن ذٰلك [كله][6]، وجعل الأمر إلىٰ أمير المؤمنين ﷺ، وقال[ﷺ]: «لا يؤدي عني إلا أنا ورجل مني»، حتىٰ يرجع أبو بكر إلىٰ النبي ﷺ.

قال: أجاب قاضي القضاة، فقال[7]: لو سلمنا أنه لم يوله، لما دل ذٰلك علىٰ نقص، ولا علىٰ أنه لم يصلح للإمارة والإمامة.

بل لو قيل: إنه لم يوله لحاجته إليه بحضرته، وإن ذٰلك رفعة له لكان أقرب، لا سيما، وقد روي عنه ما يدل علىٰ أنهما وزيراه، وأنه كان[ﷺ] محتاجا

(١) في المصدر: فكذلك. (٢) من المصدر.
(٣) من المصدر.
(٤) في المصدر: وأما.
(٥) شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٩٥).
(٦) من المصدر.
(٧) في كتابه المغني (ج٢٠، ق١، ص٣٥٠).

إليهما، وإلىٰ رأيهما، فلذلك لم يولهما، ولو كان للعمل علىٰ تركه فضل لكان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهما أفضل من أكابر الصحابة، لأنه عليه السلام[1] ولاهما وقدمهما، وقد قدمنا أن توليته هي بحسب الصلاح، وقد يولىٰ المفضول علىٰ الفاضل تارة والفاضل أخرىٰ، وربما ولىٰ الواحد لاستغنائه [عنه][2] بحضرته، وربما ولاه لاتصال بينه وبين من تولىٰ عليه، إلىٰ غير ذلك.

ثم ادعىٰ أنه ولاية أبي بكر علىٰ الموسم والحج قد ثبتت بلا خلاف بين أهل الأخبار، ولم يصح أنه عزله، ولا يدل رجوع أبي بكر إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله مستفهما عن القصة علىٰ العزل، ثم جعل إنكار من أنكر حج أبي بكر في تلك السنة بالناس كإنكار عباد وطبقته أخذ أمير المؤمنين عليه السلام سورة براءة من أبي بكر.

وحكي عن أبي علي[3] أن المعنىٰ كان في أخذ السورة من أبي بكر: إن من عادة العرب أن سيدا من سادات قبائلهم إذا عقد عقدا لقومهم، فإن ذٰلك العقد لا ينحل إلا أن يحله هو أو بعض سادات قومه، فلما كان هٰذا عادتهم، وأراد النبي صلى الله عليه وآله أن ينبذ إليهم عهدهم[4]، وينقض ما كان بينه وبينهم علم أنه لا ينحل ذٰلك إلا به أو بسيد من سادات رهطه، فعدل عن أبي بكر إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام المقرب[5] في النسب.

ثم أدعىٰ أنه عليه السلام ولىٰ أبا بكر في مرضه الصلاة[6] [بالناس][7]، وذلك أشرف الولايات، وقال في ذلك: (يأبىٰ الله ورسوله والمسلمون[8] إلا أبا بكر).

ثم اعترض نفسه بصلاته عليه السلام خلف عبدالرحمن بن عوف، وأجاب: بأنه صلى الله عليه وآله[9] إنما صلىٰ خلفه لا أنه ولاه الصلاة وقدمه فيها.. وقال: وإنما قدم

---

(١) في المصدر: صلى الله عليه وآله.

(٢) من المصدر.

(٣) في المغنى (ج٢٠، ق١، ص٣٥٠).

(٤) في المصدر: عقدهم.

(٥) أو: للقرب (كما في الشافي: ج٤، ص١٥٣).

(٦) أو: أن يصلي.

(٧) من المصدر.

(٨) في المصدر: والمؤمنون.

(٩) في المصدر: عليه السلام.

عبدالرحمن عند غيبة النبي صلى الله عليه وآله فصلىٰ بغير أمره، وقد ضاق الوقت، فجاء الرسول[1][صلى الله عليه وآله] فصلىٰ خلفه.

قال[2]: اعترض المرتضىٰ، فقال[3]:

قد بينا أن تركه عليه السلام الولاية لبعض أصحابه مع حضوره وإمكان ولايته والعدول عنه إلىٰ غيره، مع تطاول الزمان وامتداده، لابد من أن تقتضي[4] غلبة الظن بأنه لا يصلح للولاية، فأما ادعاؤه[5] أنه لم يوله لافتقاره إليه بحضرته وحاجته إلىٰ تدبيره ورأيه، فقد بينا أنه عليه السلام[6] ما كان يفتقر إلىٰ رأي أحد لكماله ورجحانه علىٰ كل أحد[7]، وإنما كان يشاور أصحابه علىٰ سبيل التعليم لهم والتأديب، أو لغير ذٰلك مما قد ذكر.

وبعد؛ فكيف استمرت هٰذه الحاجة، واتصلت منه إليهما، حتىٰ لم يستغن في زمان من الأزمان عن حضورهما فيوليهما!! وهل هٰذا إلا قدح في رأي رسول الله صلى الله عليه وآله ونسبه[8] إلىٰ أنه كان ممن يحتاج إلىٰ أن يلقن، ويوقف علىٰ كل شيء، وقد نزهه الله تعالىٰ عن ذلك!! فأما ادعاؤه أن الرواية قد وردت بأنهما وزيراه، فقد[9] كان يجب أن يصحح ذٰلك قبل أن يعتمده ويحتج به، فإنا ندفعه عنه أشد دفع.

فأما ولاية عمرو بن العاص وخالد بن الوليد فقد تكلمنا عليها من قبل، وبينا أن ولايتهما تدل علىٰ صلاحهما لما ولياه، ولا تدل[10] علىٰ صلاحهما للإمامة، لأن شرائط الإمامة لم تتكامل فيهما، وبينا أيضا أن ولاية المفضول علىٰ الفاضل لا يجوز[11] [بخلاف ما ظنه صاحب الكتاب][12].

(١) في المصدر: النبي. (٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٩٦).
(٣) في كتابه الشافي في الإمامة (ج٤، ص١٥٤).
(٤) في المصدر: يقتضي.
(٥) في المصدر: من يدعي.
(٦) في المصدر: صلى الله عليه وآله.
(٧) في المصدر: واحد.
(٨) في المصدر: نسبته.
(٩) في المصدر: وقد.
(١٠) في المصدر: يدل.
(١١) في المصدر: لا تجوز.
(١٢) من المصدر.

فأما تعظيمه وإكباره[١] قول من يذهب إلىٰ أن أبا بكر عزل عن أداء السورة[٢] والموسم جميعا[٣]، [وجمعهما لأمير المؤمنين عليه السلام][٤] وجمعه بين ذٰلك في البعد وبين إنكار عباد أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام ارتجع سورة براءة من أبي بكر، فأول ما فيه: أنا لا ننكر أن يكون أكثر الأخبار واردة بأن أبا بكر حج بالناس في تلك السنة، إلا أنه قد روىٰ قوم من أصحابنا خلاف ذلك، وأن أمير المؤمنين عليه السلام كان أمير الموسم في تلك السنة، وأن عزل[٥] الرجل كان عن الأمرين معا، واستكبار[٦] ذلك.. وفيه خلاف لا معنىٰ له.

فأما ما حكاه عن عباد؛ فإنا لا نعرفه، وما نظن[٧] أحدا يذهب إلىٰ مثله، وليس قوله[٨] بإزاء [ذلك جحد][٩] مذهب أصحابنا الذي حكاه[١٠]، وليس عباد ـ لو صحت الرواية عنه ـ بإزاء من ذكرناه، فهو مليء بالجهالات ودفع الضرورات[١١].

وبعد؛ فلو علمنا[١٢] أن ولاية الموسم لم تفسخ لكان الكلام باقيا، لأنه إذا كان ما ولي مع تطاول الزمان إلا هٰذه الولاية ثم سلب شطرها، والأفخم الأعظم منها، فليس ذٰلك إلا تنبيها علىٰ ما ذكرناه.

فأما ما حكاه عن أبي علي من: أن عادة العرب ألا[١٣] يحل ما عقده الرئيس منهم إلا هو أو المتقدم من رهطه، فمعاذ الله أن يجري النبي صلى الله عليه وآله سنته وأحكامه علىٰ عادات الجاهلية، وقد بين عليه السلام [سببه][١٤] لما رجع إليه أبو بكر يسأله[١٥] عن أخذ السورة منه الحال، فقال: إنه (أوحي إليّ أنه ألا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني)، ولم يذكر ما ادعاه أبو علي [علىٰ][١٦] أن هٰذه العادة قد كان يعرفها

(١) في الشافي: واستكباره. (٢) في الشافي: سورة براءة.
(٣) في الشافي: معا. (٤) من المصدر.
(٥) في الشافي: عزله. (٦) في الشافي: فاستكبار.
(٧) في الشافي: ولا أظن. (٨) في المصدر: يمكنه.
(٩) من المصدر. (١٠) في المصدر: حكيناه.
(١١) في المصدر: الضروريات.
(١٢) في المصدر: سلمنا.
(١٣) في الشافي: أن لا.
(١٤) كما في الشافي.
(١٥) في الشافي: فسأله.
(١٦) كما في الشافي.

النبيﷺ قبل بعثه أبو بكر بسورة براءة فما بالهعليه السلام لم يعتمدها في الابتداء ويبعث من يجوز أن يحل عقده من قومه.

فأما ادعاؤه ولاية أبي بكر الصلاة فقد ذكرنا فيما تقدم أنه[عليه السلام] لم يوله إياها[1].

فأما فصله بين صلاته خلف عبدالرحمن وبين صلاة أبي بكر بالناس، فليس بشيء، لأنا إذا كنا قد دللنا علىٰ أن رسول الله[2]ﷺ ما قدم أبا بكر إلىٰ الصلاة، فقد استوىٰ الأمران.

وبعد؛ فأي فرق بين أن يصلي خلفه وبين أن يوليه ويقدمه، ونحن نعلم أن صلاته خلفه إقرار لولايته ورضاء بها، فقد عاد الأمر إلى أن عبدالرحمن كان[3] [قد][4] صلىٰ بأمره وإذنه! علىٰ أن قصة عبدالرحمن أوكد، لأنه قد اعترف بأن الرسول[ﷺ] صلىٰ خلفه، ولم يصل خلف أبي بكر، وإن ذهب كثير من الناس إلىٰ أنه قدمه وأمر[ه][5] بالصلاة قبل خروجه إلىٰ المسجد وتحامله.

ثم سأل المرتضىٰ[رضي الله عنه] نفسه، فقال[6]: إن قيل: ليس يخلو النبيﷺ من أن يكون سلم في الإبتداء سورة براءة إلىٰ أبي بكر بأمر الله تعالىٰ أو باجتهاده ورأيه، فإن كان بأمر الله [تعالىٰ][7] فكيف يجوز أن يرتجع منه السورة قبل [وقت][8] الأداء، وعندكم أنه لا يجوز نسخ الشيء قبل تقضي وقت فعله، وإن كان باجتهادهعليه السلام فعندكم أنه لا يجوز أن يجتهد فيما يجري هٰذا المجرىٰ!!

وأجاب فقال[9]: [قلنا][10] إنهﷺ ما سلم السورة إلىٰ أبي بكر إلا بإذنه تعالىٰ، إلا أنه لم يأمره بأدائها، ولا كلفه قراءتها علىٰ أهل الموسم لأن أحدا

(١) في الشافي: ما ولاه ذلك، ولا أمره به، واستقصينا ذٰلك استقصاء يغني عن إعادته.

(٢) في المصدر: الرسول.

(٣) في المصدر: كأنه.

(٤) من المصدر.

(٥) كما في الشافي.

(٦) الشافي في الإمامة (ج٤، ص١٥٦).

(٧) من المصدر.

(٨) من المصدر.

(٩) الشافي في الإمامة (ج٤، ص١٥٦).

(١٠) كما في المصدر.

لم يمكنه أن ينقل عنهﷺ في ذلك لفظ الأمر والتكليف، فكأنهعليه السلام سلم إليه سورة براءة لتقرأ على أهل الموسم، ولم يصرح بذكر[1] القارئ المبلغ لها [في الحال][2]، ولو نقل عنه تصريح لجاز أن يكون مشروطا بشرط لم يظهر[3].

فإن قيل: فأي فائدة في دفع السورة إلى أبي بكر وهو لا يريد أن يؤديها ثم ارتجاعها منه؟ وهلا دفعت في الابتداء إلى أمير المؤمنينعليه السلام؟

قيل: الفائدة في ذلك [ظهور][4] فضل أمير المؤمنين[عليه السلام] ومرتبته، وأن الرجل الذي نزعت السورة عنه لا يصلح لما يصلح [له][5]، وهذا غرض قوي في وقوع الأمر على ما وقع عليه.

قال ابن أبي الحديد[6]:

⊡ (الطعن السادس):

إن أبا بكر لم يكن يعرف الفقه وأحكام الشريعة، فقد قال في الكلالة[7]: (أقول فيها برأيي، فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ مني)[8].

ولم[9] يعرف ميراث الجد[10].

ومن حاله هذا لا يصلح للإمامة.

(١) في المصدر: باسم. (٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: يظهره. (٤) من المصدر.

(٥) من المصدر. (٦) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢٠١).

(٧) أولاد الأم والأب، وهم الإخوة من الطرفين أو من أحدهما، سميت كلالة من الكل وهو الثقل، لكونها ثقلا على الرجل، لقيامه بمصالحهم مع عدم التولد الذي يوجب مزيد الإقبال والخفة على النفس، أو من الإكليل وهو ما يزين بالجوهر شبه العصابة، لإحاطتهم بالرجل كإحاطته بالرأس (مسالك الأفهام: ج١٣، ص١٤١) وفي معجم ألفاظ الفقه الجعفري (ص٣٥٠): صفة للميت والوارث، فتقع في الأول (الميت) على من ليس له عند موته والد ولا ولد، وقيل من ليس له ولد وإن كان له أب أو جد، وفي الثاني: (الوارث) تقع على من ليس بوالد ولا ولد.

(٨) هذا ما نقلته مصادرهم كـ تفسير ابن كثير (ج١، ص٢٦٠) وتفسير الخازن (ج١، ص٣٦٧) وتفسير الطبري (ج٤، ص١٩١) وسنن الدارمي (ج٢، ص٣٦٥) والسنن الكبرى للبيهقي (ج٦، ص٢٢٣) وغيرها.

(٩) في المصدر: ولا.

(١٠) كما في سنن أبي داوود (ج٢، ص١٧) وسنن ابن ماجة (ج٣، ص١٦٣) وسنن الدارمي (ج٢، ص٣٥٩) صحيح الترمذي (ج٤، ص٤٢٠) ومصابيح السنة (ج٢، ص٢٢) وغيرها.

قال[١]: أجاب قاضي القضاة[٢]: بأن الإمام لا يجب أن يعلم جميع الأحكام، وأن القدر الذي يحتاج إليه هو [القدر][٣] الذي يحتاج إليه الحاكم، وان القول بالرأي هو الواجب فيما لا نص فيه، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام [بالرأي][٤] في مسائل كثيرة.

قال[٥]: اعترض المرتضىٰ [رضي الله عنه]، فقال[٦]: قد دللنا[٧] علىٰ أن الإمام لابد أن يكون عالما بجميع الشرعيات، وفرقنا بينه وبين الحاكم، ودللنا علىٰ فساد الرأي والإجتهاد.

وأما أمير المؤمنين عليه السلام فلم يقل قط بالرأي، وما يرویٰ[٨] من خبر بيع أمهات الأولاد[٩] غير صحيح، ولو صح لجاز أن يكون أراد بالرأي الرجوع إلىٰ النصوص والأدلة، ولا شبهة عندنا أن قوله كان واحدا في الحالين، وإن ظهر في أحدهما خلاف مذهبه للتقية.

قال ابن أبي الحديد[١٠]:

(الطعن السابع):

قصة خالد بن الوليد وقتله مالك بن نويرة، ومضاجعة امرأته من ليلته، وإن أبا بكر ترك إقامة الحد عليه، وزعم أنه سيف من سيوف الله سله علىٰ أعدائه، مع أن الله تعالىٰ قد أوجب القود وحد الزنا عموما، وأن عمر نبهه وقال له: اقتله، فإنه قتل مسلما.

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢٠٢).
(٢) في المغني (ج٢، ق١، ص٣٥٢). (٣) من المصدر.
(٤) من المصدر.
(٥) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢٠٢).
(٦) الشافي (ج٤، ص١٠).
(٧) في الشافي (ج٢، ص٨).
(٨) كما في شرح فتح القدير (ج٤، ص٣٢٦) وغيره.
(٩) إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أجاز بيع أم الولد بعد وفاة أولاها.
(١٠) شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢٠٢).

قال[١]: أجاب قاضي القضاة، فقال[٢]: إن شيخنا أبا علي قال: إن الردة ظهرت من مالك بن نويرة، لأنه جاء في الأخبار أنه رد صدقات قومه عليهم لما بلغه من موت رسول الله ﷺ كما فعله سائر أهل الردة فاستحق القتل.

فإن قال قائل: فقد كان يصلي! قيل له: [وكذلك][٣] سائر أهل الردة كانوا يصلون، وإنما كفروا بالامتناع من الزكاة، واعتقادهم إسقاط وجوبها دون غيره.

فإن قيل: فلم أنكر عمر؟ قيل: كان الأمر إلىٰ أبي بكر، فلا وجه لإنكار عمر، وقد يجوز أن يعلم أبو بكر من الحال ما يخفىٰ عن[٤] عمر.

فإن قيل: فما معنىٰ ما روي عن أبي بكر من أن خالدا تأول فأخطأ؟ قيل: أراد عجلته [عليه][٥] بالقتل، وقد كان الواجب عنده علىٰ خالد أن يتوقف للشبهة.

واستدل أبو علي علىٰ ردته: بأن أخاه متمم بن نويرة لما أنشد عمر مرثية أخاه، وقال له: وددت أني أقول الشعر فأرثي أخي زيدا بمثل ما رثيت به أخاك! فقال متمم: لو قتل أخي علىٰ مثل ما قتل عليه أخوك ما رثيته.. فقال عمر: يا إعرابي إني أجد تعزيتك[٦]، فدل هٰذا علىٰ أن مالكا لم يقتل علىٰ الإسلام كما قتل زيد.

وأجاب علىٰ تزويج خالد بامرأته بأنه إذا قتل علىٰ الردة في دار الكفر جاز تزويج امرأته عند كثير من أهل العلم، وإن كان لا يجوز أن يطأها إلا بعد الاستبراء.

وحكىٰ عن أبي علي أيضا [أنه][٧] إنما قتله لأنه ذكر رسول الله ﷺ فقال: صاحبك، وأوهم بذلك أنه ليس بصاحب له، وكان عنده أن ذٰلك ردة، وعلم عند المشاهدة المقصد، وهو أمير القوم، فجاز أن يقتله وإن كان الأولىٰ أن لا يستعجل، وأن يكشف الأمر في ردته حتىٰ يتضح، فلهٰذا لم يقتله أبو بكر [به][٨].

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢٠٣).
(٢) في المغني (ج٢٠، ق١، ص٣٥٥).
(٣) من المصدر.
(٤) في المصدر: على.
(٥) من المصدر.
(٦) في المصدر: ما عزاني أحد بمثل تعزيتك.
(٧) من المصدر.
(٨) من المصدر.

فأما وطؤه لامرأته فلم يثبت، فلا يصح أن يجعل طعنا فيه.

قال[١]: اعترض المرتضىٰ رضي الله عنه فقال: أما منع خالد في قتل مالك بن نويرة واستباحة امرأته وأمواله لنسبته إياه إلىٰ ردة لم تظهر منه، بل كان الظاهر خلافها من[٢] الإسلام، فعظيم.

ويجري مجراه في العظم [تغافل من][٣] تغافل عن أمره ولم يقم فيه حكم الله تعالىٰ، وأقره علىٰ الخطأ الذي شهد [هو][٤] به علىٰ نفسه، ويجري مجراهما من أمكنه أن يعلم الحال فأهملها ولم يتصفح ما روىٰ من الأخبار في هٰذا الباب وتعصب لأسلافه ومذهبه.

وكيف يجوز عند خصومنا علىٰ مالك وأصحابه جحد الزكاة مع المقام علىٰ الصلاة، وهما جميعا في قرن[٥]، لأن العلم الضروري بأنهما من دينه عليه السلام وشريعته علىٰ حد واحد، وهل نسبة مالك إلىٰ الردة مع ما ذكرناه إلا قدح في الأصول، ونقض لما تضمنته من أن الزكاة معلومة ضرورة من دينه[عليه السلام].

وأعجب من كل عجيب قوله: وكذلك سائر أهل الردة، يعني أنهم كانوا يصلون ويجحدون الزكاة، لأنا قد بينا أن ذٰلك مستحيل غير ممكن، وكيف يصح ذلك، وقد روىٰ جميع أهل النقل أن أبا بكر لما وصىٰ الجيش الذين أنفذهم بأن يؤذنوا ويقيموا، فإن أذن القوم كأذانهم وإقامتهم كفوا عنهم، وإن لم يفعلوا أغاروا عليهم[٦]، فجعل إمارة الإسلام والبراءة من الردة الأذان والإقامة!

وكيف يطلق في سائر أهل الردة ما يطلقه[٧] من أنهم كانوا يصلون، وقد علمنا أن أصحاب مسيلمة وطليحة وغيرهما ممن [كان][٨] ادعىٰ النبوة وخلع الشريعة ما كانوا يرون الصلاة ولا شيئا مما جاءت به شريعتنا.

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢٠٤).
(٢) في المصدر: في.
(٣) من المصدر.
(٤) من المصدر.
(٥) الحبل الذي يقرن به الدابتان (القاموس المحيط: ج ٤، ص٢٥٨).
(٦) تاريخ الطبري (ج٣، ص٢٤٢).
(٧) في المصدر: أطلقه.
(٨) من المصدر.

وقصة مالك معروفة عند من تأمل كتب السير والنقل[١]، لأنه كان على صدقات قومه بني يربوع واليا من قبل رسول الله ﷺ، ولما[٢] بلغته وفاة رسول الله ﷺ [أمسك عن أخذ الصدقة من قومه، وقال لهم: تربصوا بها حتى يقوم قائم بعد النبي ﷺ][٣]، وننظر ما يكون من أمره وقد صرح بذلك في شعره حيث يقول:

وقال[٤] رجال: سدد اليوم مالك ... وقالت[٥] رجال: إنه[٦] لم يسدد

فقلت: دعوني لا أبا لأبيكم ... فلم أخط رأيا في المقام[٧] ولا الندى[٨]

وقلت: خذوا أموالكم غير خائف ... ولا ناظر فيما يجيء به غدي

فدونكموها إنما هي مالكم ... مصورة[٩] أخلاقها لم تجدد

سأجعل نفسي دون ما تحذرونه[١٠] ... وأرهنكم يوما بما قلته يدي

فإن قام بالأمر المجدد قائم ... أطعنا وقلنا: الدين دين محمد

---

(١) وهي حادثة متواترة في كتب التاريخ والرجال، وهذه بعضها: الإصابة (ج٢، ص٩٩) وتاريخ ابن الأثير (ج٣، ص١٤٩) وتاريخ ابن جرير (ج٢، ص٥٠٢) وتاريخ ابن عساكر (ج٥، ص١٠٥) وتاريخ أبي الفداء (ج١، ص١٥٨) وغيرها.

(٢) في الشافي: عندي.

(٣) من المصدر.

(٤) أو: قالت.

(٥) في المصدر: وقال.

(٦) في المصدر: مالك.

(٧) أو: المقال.

(٨) أو: اليد.

(٩) أو: مصررة، أو: مصدرة (أي: مقللة، كما في لسان العرب: ج٣، ص٢٤٩).

(١٠) أو: تجدونه.

فصرح كما ترىٰ أنه استبقىٰ الصدقة في أيدي قومه رفقا بهم وتقربا إليهم، إلىٰ أن يقوم بالأمر من يدفع ذٰلك إليه.

وقد روىٰ جماعة من أهل السير، وذكره الطبري في تاريخه[١]: أن مالكا نهىٰ قومه عن الإجتماع علىٰ منع الصدقات وفرقهم، وقال: يا بني يربوع؛ إنا كنا قد عصينا أمراءنا إذ دعونا إلىٰ هٰذا الدين وبطأنا الناس عنه، فلم نفلح ولم ننجح، وإني قد نظرت في هٰذا الأمر فوجدت الأمر يتأتىٰ لهؤلاء القوم[٢] بغير سياسة، فإذا[٣] الأمر لا يسوسه الناس فإياكم ومعاداة قوم يصنع لهم.. فتفترقوا علىٰ ذٰلك إلىٰ أموالهم.

ورجع مالك إلىٰ منزله، فلما قدم خالد البطاح بث السرايا وأمرهم بداعية الإسلام، وأن يأتوه بكل من لم يجب، وأمرهم إن امتنع أن يقاتلوه[٤]، فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر من بني يربوع، واختلف[٥] السرية في أمرهم، وفي السرية: أبو قتادة الحارث بن ربعي[٦]، فكان[٧] ممن[٨] شهد أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا، فلما اختلفوا فيهم أمر بهم خالد فحبسوا، وكانت ليلة باردة لا يقوم لها شيء، فأمر خالد [بن الوليد][٩] مناديا ينادي: ادفئوا أسراءكم.. فظنوا أنهم أمروا بقتلهم، لأن هٰذه اللفظة تستعمل في لغة كنانة للقتل، فقتل ضرار بن [حارث][١٠] الأزور مالكا، وتزوج خالد زوجته أم تميم المنهال[١١].

وفي خبر آخر[١٢]: أن السرية التي بعث بها[١٣] خالد لما غشيت القوم تحت الليل راعوهم[١٤]، فأخذ القوم السلاح! قال: فقلنا: نحن[١٥] المسلمون..

---

(١) الجزء الثالث (ص١٧٦). (٢) في الشافي: يتأتي لهم.

(٣) في المصدر: وإذا. (٤) في الشافي: فقتلوه.

(٥) أو: اختلفت. (٦) فارس رسول الله ﷺ.

(٧) في الشافي: وكان.

(٨) في الشافي: فيمن.

(٩) من الشافي.

(١٠) كما في الشافي.

(١١) التي كانت من أشهر نساء العرب بالجمال.

(١٢) تاريخ الطبري (ج٣، ص٢٨٠).

(١٣) في الشافي: فيها.

(١٤) أي: أفزعوهم.

(١٥) في المصدر: إنا.

فقالـوا: ونحن المسـلمون.. قلنا: فما بال السـلاح معكم! قلنا: فضعوا السـلاح.. فلما وضعوا السـلاح ربطوا أسـارىٰ، فأتوا بهم خالدا، فحدث أبو قتادة خالد بن الوليد أن القوم نادوا بالإسـلام، وإن لهم أمانا، فلم يلتفت خالد إلىٰ قوله[١] وأمر بقتلهم، وقسـم سـبيهم، فحلف[٢] أبو قتادة ألا يسـير تحت لواء خالد في جيش أبدا، وركب فرسه شاذا[٣] إلىٰ أبي بكر فأخبره الخبر[٤]، وقال له: [إني][٥] نهيت خالدا عن قتله، فلم يقبل قولي، وأخذ بشـهادة الأعراب الذيـن غرضهم الغنائم، وإن عمر لما سـمع ذٰلك تكلم فيه عند أبي بكـر، وأكثر وقـال: إن القصاص قد وجب عليه.

ولما[٦] أقبل خالد بن الوليد قافلا دخل المسـجد، وعليه قبـاء له عليه صدأ الحديد، معتجـرا[٧] بعمامة لـه، قد غر[٨] في عمامته أسـهما، فلمـا [أن][٩] دخل المسـجد قام إليه عمر فنزع الأسـهم عن رأسـه فحطمها، ثم قال لـه: يا عدو[١٠] نفسه، أعدوت علىٰ امرئ مسلم فقتلته، ثم نزوت علىٰ امرأته! والله لنرجمنك[١١] بأحجاري[١٢]. وخالد لا يكلمه أبـدا، ولا يظن إلا أن رأي أبي بكـر مثل رأيه[١٣]، حتىٰ دخل إلـىٰ[١٤] أبي بكـر واعتذر إليـه بعـذره[١٥]، وتجاوز عنه، فخـرج خالد وعمر جالس في المسجد، فقال: هلم إلي يا ابن أم شملة[١٦]! فعرف عمر أن أبا بكر قد رضي عنه فلم يكلمه، ودخل بيته.

---

(١) في المصدر: قولهم. (٢) في المصدر: وحلف.
(٣) أي: مفردا. (٤) في الشافي: وخبره بالقصة.
(٥) من الشافي.
(٦) في الشافي: فلما.
(٧) لافا.
(٨) أو: غرز.
(٩) كما في الشافي.
(١٠) في الشافي: يا عدي.
(١١) في المصدر: لأرجمنك.
(١٢) في المصدر: بأحجارك.
(١٣) في الشافي: مثل رأي عمر فيه.
(١٤) في الشافي: على.
(١٥) في الشافي: فعذره.
(١٦) وهي كنية تقال للدنيا وللخمرة.

وقد روي أيضا: أن عمر لما ولي جمع من عشيرة مالك بن نويرة من وجد منهم، واسترجع ما وجد عند المسلمين من أموالهم وأولادهم ونسائهم، فرد ذٰلك عليهم جميعا مع نصيبه كان منهم.

وقيل: إنه ارتجع بعض نسائهم من نواحي دمشق، وبعضهن حوامل، فردهن إلىٰ[1] أزواجهن.

فالأمر ظاهر في خطأ خالد، وخطأ من تجاوز عنه.

وقول صاحب الكتاب: (إنه يجوز أن يخفىٰ عن عمر ما يظهر لأبي بكر ليس بشيء، لأن الأمر في قصة تجاوز خالد لم يكن مشتبها، بل كان مشاهدا معلوما لكل من حضره، وما تأول به في القتل لا يعذر لأجله، وما رأينا أن أبا بكر حكم فيه بحكم المتأول ولا غيره، ولا تلافىٰ خطأه وزلله، وكونه سيفا من سيوف الله علىٰ ما ادعاه لا يسقط عنه الأحكام، ويبرئه من الآثام.

وأما[2] قول متمم: (لو قتل أخي علىٰ ما قتل عليه أخوك لما رثيته)، [فإنه][3] لا يدل علىٰ أنه كان مرتدا، وكيف[4] يظن عاقل أن متمما يعترف[5] بردة أخيه وهو يطالب أبا بكر بدمه، والاقتصاص من قاتليه، ورد سبيله، وأنما[6] أراد في الجملة التقرب إلىٰ عمر بتقريظ أخيه!

ثم لو كان ظاهر هٰذا القول كباطنه[7] لكان إنما يقصد[8] تفضيل قتلة زيد علىٰ قتلة مالك، والحال في ذٰلك أظهر، لأن زيد قتل في بعث[9] المسلمين ذابا عن وجوههم، ومالك قتل علىٰ شبهة، وبين الأمرين فرق.

وأما[10] قوله في النبي ﷺ صاحبك، فقد قال أهل العلم: إنه أراد القرشية، لأن خالدا قرشي، وبعد فليس في ظاهر إضافته إليه دلالة علىٰ نفيه له عن

---

(١) في المصدر: على. (٢) في الشافي: فأما.
(٣) من الشافي.
(٤) في المصدر: فكيف.
(٥) في الشافي: اعترف.
(٦) في المصدر: وأنه.
(٧) في الشافي: كما ظنه.
(٨) في الشافي: يفيد.
(٩) في الشافي: بعض.
(١٠) في الشافي: فأما.

نفسه، ولو كان علم من مقصده الاستخفاف والإهانة علىٰ ما ادعاه صاحب الكتاب لوجب أن يعتذر خالد بذلك عند أبي بكر وعمر، ويعتذر به أبو بكر لما طالبه عمر بقتله، فإن عمر ما كان يمنع[١] من قتل قادح في نبوة النبيﷺ، وإن كان الأمر علىٰ ذلك، فأي معنىٰ لقول أبي بكر: تأول فأخطأ! وإنما تأول فأصاب إن كان الأمر علىٰ ما ذكر.

قال ابن أبي الحديد[٢]:

(الطعن الثامن):

قولهم: إن مما يؤثر في حاله وحال عمر دفنهما مع رسول اللهﷺ في بيته، وقد منع الله تعالىٰ الكل من ذلك في حياته ـ فكيف بعد الممات ـ بقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾[٣].

أجاب قاضي القضاة[٤]: [بـ][٥]أن الموضع كان ملكا لعائشة، وهي (في)[٦] حجرتها التي كانت معروفة بها.. والحجر كلها كانت أملاكا لأزواج النبيﷺ، وقد نطق القرآن بذلك في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[٧]، وذكر أن عمر استأذن عائشة في أن يدفن في ذلك الموضع، وحتىٰ قال: إن لم تأذن لي فادفنوني في البقيع.

وعلىٰ هٰذا الوجه يحمل ما روىٰ عن الحسن بن علي رضي الله عنه أنه لما مات أوصىٰ أن يدفن إلىٰ جنب رسول اللهﷺ، فإن[٨] لم يترك ففي البقيع، فلما كان من مروان وسعيد بن العاص ما كان دفن بالبقيع[٩]، وإنما أوصىٰ بذلك بإذن

(١) في الشافي: يمتنع. (٢) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢١٤).
(٣) الآية ٥٣ من سورة الأحزاب.
(٤) في كتابه المغني (ج٢٠، ق١، ص٣٥٥).
(٥) من المصدر.
(٦) غير موجودة في المصدر.
(٧) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.
(٨) في المصدر: وإن.
(٩) تذكرة الخواص (ص١٨٣).

عائشة[١]، ويجوز أن يكون علم من عائشة أنها جعلت الموضع في حكم الوقف، فاستباحوا ذٰلك لهٰذا الوجه.

قال: وفي دفنه عليه السلام في ذٰلك الموضع ما يدل علىٰ فضل أبي بكر، لأنه عليه السلام لما مات اختلفوا في موضع دفنه، وأكثر القول، حتىٰ روىٰ أبو بكر عنه عليه السلام[٢] أنه قال ما يدل علىٰ: أن الأنبياء إذا ماتوا دفنوا حيث ماتوا، فزال الخلاف في ذلك.

قال[٣]: اعترض المرتضىٰ[رضي الله عنه] فقال[٤]: لا[٥] يخلو موضع قبر النبي صلى الله عليه وآله من أن يكون باقيا علىٰ ملكه عليه السلام، أو يكون انتقل في حياته إلىٰ عائشة علىٰ ما ادعاه.

فإن كان الأول: لم يخل أن يكون ميراثا بعده أو صدقة، فإن كان ميراثا فما كان يحل لأبي بكر ولا لعمر من بعده أن يأمرا بدفنهما فيه إلا بعد إرضاء الورثة الذين هم علىٰ مذهبنا فاطم[٦][عليها السلام] وجماعة من الأزواج[٧]، وعلىٰ مذهبهم هٰؤلاء والعباس، ولم نجد واحدا منهما خاطب أحدا من هٰؤلاء الورثة علىٰ ابتياع هٰذا المكان، ولا استنزله عنه بثمن ولا غيره.

وإن كان صدقة: فقد كان يجب أن يرضىٰ عنه جماعة المسلمين وابتياعه[٨] منهم، هٰذا إن جاز الابتياع لما يجري هٰذا المجرىٰ، وإن كان انتقل في حياته فقد كان يجب أن يظهر سبب انتقاله والحجة فيه، فإن فاطمة[عليها السلام] لم يقنع منها في انتقال فدك إلىٰ ملكها بقوله[٩]، ولا بشهادة من شهد لها[١٠].

---

(١) جواهر المطالب (ج٢، ص٢١٢).
(٢) في المصدر: صلى الله عليه وآله.
(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢١٥).
(٤) في الشافي في الإمامة (ج٤، ص١٦٩).
(٥) في الشافي: ليس.
(٦) في الشافي: فاطمة عليها السلام.
(٧) في الشافي: وجماعة الأزواج.
(٨) في المصدر: ويبتاعه.
(٩) في المصدر: بقولها.
(١٠) في المصدر: له.

فأما تعلقه بإضافة البيوت إليهن في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[١]، فمن ضعيف الشبهة، لأنا قد بينا فيما مضىٰ من هٰذا الكتاب أن هٰذه الإضافة لا تقتضي الملك، وإنما تقضي السكنىٰ، والعادة في استعمال هٰذه اللفظة فيما ذكرناه ظاهرة، قال الله تعالىٰ: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ[٢]﴾[٣]، ولم يرد [الله][٤] تعالىٰ إلا حيث يسكن وينزلن دون حيث يملكن وما أشبهه[٥].

وأظرف[٦] من كل شيء تقدم قوله: (إن الحسن عليه السلام استأذن عائشة في أن يدفن في البيت حتىٰ منعه مروان وسعيد بن العاص)، لأن هٰذه مكابرة منه ظاهرة، فإن المانع للحسن عليه السلام من ذٰلك لم يكن إلا عائشة[٧]، ولعل من ذكره من مروان وسعيد وغيرهما أعانها، واتبع في ذٰلك أمرهما، وروي أنها خرجت في ذٰلك اليوم علىٰ بغل، حتىٰ قال ابن عباس: (يوما علىٰ بغل ويوما علىٰ جمل)[٨]! فكيف تأذن عائشة في ذلك، وهي مالكة الموضع علىٰ قولهم، ويمنع منه مروان وغيره ممن لا ملك له في الموضع ولا شركة ولا يد! وهٰذا من قبيح ما يرتكب.

وأي فضل لأبي بكر في روايته عن النبي صلى الله عليه وآله حديث الدفن! وعملهم بقوله - إن صح - فمن مذهب صاحب الكتاب وأصحابه العمل بخبر الواحد العدل في أحكام الدين العظيمة، فكيف لا يعمل بقول أبي بكر في الدفن وهم يعملون بقول من هو دونه فيما هو أعظم من ذلك.

قال ابن أبي الحديد عقيب ذلك[٩]:

قلت: أما أبو بكر فإنه لا يلحقه بدفنه مع الرسول صلى الله عليه وآله ذم، لأنه ما دفن نفسه، وإنما دفنه الناس وهو ميت، فإن كان ذٰلك خطأ فالأثم والذم لاحقان بمن

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب. (٢) من المصدر.

(٣) الآية الأولى من سورة الطلاق. (٤) من المصدر.

(٥) في الشافي: يملكن بلا شبهة.

(٦) في الشافي: وأطرف.

(٧) كما ادعاه ابن أبي الحديد في شرحه للنهج (ج١٦، ص٥٠) وعليه جملة من المصادر في طليعتها: مقاتل الطالبيين (ص٧٤).

(٨) الخرائج والجرائح (ج١، ص٢٤٣).

(٩) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢١٦).

فعل به ذلك، ولم يثبت عنه بأنه أوصىٰ أن يدفن مع رسول الله ﷺ وإنما قد يمكن أن يتوجه هٰذا الطعن إلىٰ عمر، لأنه سأل عائشة أن يدفن في الحجرة مع رسول الله ﷺ وأبي بكر.

والقول عندي مشتبه في أمر حجر الأزواج: هل كانت علىٰ ملك رسول الله ﷺ إلىٰ أن توفىٰ، أم ملكها نساؤه، والذي تنطق به التواريخ أنه لما خرج من قباء ودخل المدينة وسكن منزل أبي أيوب اختط المسجد واختط الحجرات لنسائه[1] وبناته، وهٰذا يدل علىٰ أنه هو كان المالك للمواضع، فأما[2] خروجها عن ملكه إلىٰ الأزواج والبنات فمما لم أقف عليه.

قال[3]: فأما احتجاج قاضي القضاة بقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، فاعتراض المرتضىٰ عليه قوي، لأن هٰذه الإضافة إنما تقتضي التخصيص فقط لا التمليك، كما قال: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾[4].

قال ابن أبي الحديد[5]:

⊡ (الطعن التاسع):

قولهم: (إنه نص علىٰ عمر بالخلافة)، فخالف رسول الله ﷺ علىٰ زعمه، لأنه كان يزعم هو ومن قال بقوله أن رسول الله ﷺ لم ينص[6].

⊡ (الطعن العاشر):

قولهم: إنه سمىٰ نفسه بخليفة رسول الله ﷺ، [لاستخلافه إياه بعد موته][7]، مع اعترافه أنه لم يستخلفه[8].

---

(١) في المصدر: حجر نسائه. (٢) في المصدر: وأما.

(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢١٨).

(٤) الآية الأولى من سورة الطلاق. (٥) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢١٩).

(٦) في المصدر: لم يستخلف.

(٧) من المصدر.

(٨) شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢٢١).

ثم قال ابن أبي الحديد[1] مجيبا عن ذلك: وثبت أن قوما من أفاضل الصحابة اختاره[2] للخلافة، فقد ثبت أنه خليفة رسول الله ﷺ.

أقول: لقائل أن يسأل ابن أبي الحديد: أين الإجماع المدعىٰ علىٰ استخلاف أبي بكر بعد رسول الله ﷺ، وكلامه هنا صريح بأن استخلافه عن قوم من أفاضل الصحابة، وأبلغ من ذٰلك إن ابن أبي الحديد صرح في الشرح أن عمر بن الخطاب لو لم يبايع أبا بكر ما بويع أبو بكر، فعلىٰ كلامه هٰذا إن أصل بيعة أبي بكر من عمر.

وكيف يكون الإجماع علىٰ بيعة أبي بكر، وقد قال ابن أبي الحديد في الشرح[3]: مات رسول الله ﷺ والمسلمون علىٰ أكثر من خمسين ألفا، ومعه في تبوك عشرون ألفا.

ومعلوم إن الذي حضروا سقيفة بني ساعدة يوم بويع فيه أبو بكر لم يكونوا بهٰذا العدد، والأكثر لم يكونوا يحضرون من المسلمين في هٰذا اليوم[4].

وكيف صار الإجماع علىٰ بيعة أبي بكر، فالمعلوم بطلان الإجماع علىٰ بيعته كما هو ظاهر بين، فلا نص ولا إجماع علىٰ بيعته، فتكون خلافة أبي بكر باطلة، وهو المطلوب.

قال ابن أبي الحديد[5]:

⊡ (الطعن الحادي عشر):

إنه حرق الفجاءة السلمىٰ[6] بالنار، وقد نهىٰ النبي ﷺ أن يحرق أحد بالنار[7].

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢٢١).

(٢) في المصدر: اختاروه.

(٣) شرح نهج البلاغة (ج١٦، ص٢٤٨).

(٤) في المصدر: الإجماع.

(٥) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢٢٢).

(٦) هو: إياس بن عبدالله بن عبد يا ليل السلمي، قصته معروفة: إذ أخذ من أبي بكر سلاحا ليحارب المرتدين، إلا أنه استفحل في القتل والسلب، فجلبه أبو بكر وأمر بإيقاد نار في البقيع، فقذفه فيها (الاستيعاب: ج٣، ص٧٧٦) و(تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص١٣٤) وغيرهما.

(٧) المحلى (ج١٠، ص٣٧٦) ومعرفة السنن والآثار (ج٦، ص٣١٧) وغيرهما.

وقال[1]:

(الطعن الثاني عشر):

إنه تكلم في الصلاة قبل التسليم، فقال: لا يفعلن خالد ما أمرته.

قالوا: ولذلك جاز عند أبي حنيفة أن يخرج الإنسان من الصلاة بالكلام وغيره من مفسدات الصلاة من دون تسليم، وبهٰذا احتج أبو حنيفة.

أقول: قد تقدم عن قريب في قصة خالد في الباب الثالث عشر من هٰذا الكتاب.

قال ابن أبي الحديد[2]:

(الطعن الثالث عشر):

قولهم: إنه كتب إلىٰ خالد بن الوليد وهو علىٰ الشام يأمره أن يقتل سعد بن عبادة، فكمن له هو وآخر معه ليلا، فلما مر بهما رمياه فقتلاه، وهتف صاحب خالد في ظلام الليل بعد أن ألقيا سعدا في بئر هناك فيها ماء بيتي شعر:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة
ورميناه بسهمين لم تخطِ فؤاده

يوهم أن ذٰلك شعر الجن، وأن الجن قتلت سعدا، فلما أصبح الناس وفقدوا سعدا، وقد سمع قوم منهم ذٰلك الهاتف طلبوه[3] فوجدوه بعد ثلاثة أيام في

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢٢٢).

(٢) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢٢٣).

(٣) في المصدر: فطلبوه.

تلك البئر وقد اخضر، فقالوا: هٰذا مسيس الجن، وقال: قال شيطان الطاق[(١)] لسائل سأله: ما منع عليا أن يخاصم أبا بكر في الخلافة؟ فقال: يا ابن أخي، خاف أن تقتله الجن.

قال ابن أبي الحديد[(٢)]:

⊡ (الطعن الرابع عشر):

قولهم: إنه لما استخلف قطع لنفسه علىٰ بيت المال أجره كل يوم ثلاثة دراهم[(٣)].

قالوا: وذلك لا يجوز، لأن مصارف أموال بيت المسلمين لم يذكر فيها أجرة للإمام.

قال ابن أبي الحديد[(٤)]:

⊡ (الطعن الخامس عشر):

قولهم: إنه لما استخلف صرح مناديه في المدينة: من كان عنده شيء من كلام الله فليأتينا به، فإنا عازمون علىٰ جمع القرآن، ولا يأتنا بشيء [منه][(٥)] إلا ومعه شاهد عدل.

قالوا: وهٰذا خطأ؛ لأن القرآن قد بان بفصاحته عن فصاحة البشر، فأي حاجة إلىٰ شاهدي عدل.

---

(١) شيطان الطاق هو محمد بن النعمان، أبو جعفر الأحول، وهو مؤمن الطاق من الشيعة الإمامية من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام وتلقبه العامة شيطان الطاق (منه).

(٢) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢٢٣).

(٣) صفة الصفوة (ج١، ص٢٥٧) ووفيات الأعيان (ج٣، ص٦٥).

(٤) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢٢٤).

(٥) من المصدر.

الباب الخامس عشر

في أن رسول الله ﷺ لعن من تأخر عن جيش أسامة

وفيهم: أبوبكر، وعمر، وأبوعبيدة ابن الجراح، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، في جملة المهاجرين والأنصار.

ابن أبي الحديد قال(١): قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري(٢) ـ وقد أثنىٰ ابن أبي الحديد علىٰ هٰذا الرجل عند أهل الحديث بقبول الحديث، وثقته به، وهو صاحب كتاب السقيفة ـ قال: حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح، عن أحمد بن سيار، عن عبدالله(٣) بن كثير الأنصاري، عن رجاله، عن عبدالله بن عبدالرحمن: أن رسول الله ﷺ أمر في مرض موته أسامة بن زيد بن حارثة علىٰ جيش فيه جملة المهاجرين والأنصار، منهم: أبوبكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وأمره أن يغير علىٰ «**مؤتة**» حيث قتل أبوه زيد، وأن يغزو وادي فلسطين، فتثاقل أسامة وتثاقل الجيش [بتثاقله](٤)، وجعل رسول الله ﷺ في مرضه يثقل ويخف، ويؤكد القول علىٰ تنفيذ ذٰلك البعث، حتىٰ قال له أسامة: بأبي أنت وأمي أتأذن لي أن أمكث أياما حتىٰ يشفيك الله؟ فقال: «**أخرج وسر علىٰ بركة الله**».

فقال: يا رسول الله؛ إن [أنا](٥) خرجت وأنت علىٰ هٰذا الحال خرجت وفي قلبي قرحة منك.. فقال ﷺ: «**سر علىٰ النصر والعافية**».

فقال: يا رسول الله؛ إني أكره أن أسأل عنك الركبان.. فقال ﷺ: «**انفذ لما أمرتك به**».

ثم أغمي علىٰ رسول الله ﷺ، وقام أسامة فتجهز للخروج، فلما أفاق رسول الله ﷺ سأل عن أسامة والبعث، فأخبر أنهم يتجهزون، فجعل [ﷺ]

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج٦، ص٥٢).

(٢) في كتابه السقيفة وفدك (ص٧٦).

(٣) في السقيفة وفدك: سعيد.

(٤) من المصدر.

(٥) كما في المصدر.

يقول: «**أنفذوا بعث أسامة، لعن الله من تخلف عنه**»، ويكرر[١] ذلك، فخرج أسامة واللواء علىٰ رأسه، والصحابة بين يديه، حتىٰ إذا كان بـ(الجرف) نزل ومعه أبو بكر وعمر وأكثر المهاجرين، ومن الأنصار: أسيد بن خضير، وبشير بن سعد، وغيرهما من الوجوه، فجاء[ه][٢] رسول أم أيمن يقول له: أدخل فإن رسول الله[ﷺ] يموت.. فقام من فوره، فدخل المدينة، واللواء علىٰ رأسه[٣]، فجاء به حتىٰ ركزه في باب[٤] رسول اللهﷺ، وقد مات[ﷺ] في تلك الساعة.

قال: فما كان أبو بكر وعمر يخاطبان أسامة إلىٰ أن ماتا إلا بالأمير.

⊡ [قصة جيش أسامة]:

وقال ابن أبي الحديد أيضا [في الشرح][٥]: لما مرض رسول اللهﷺ مرض الموت دعا أسامة بن زيد بن حارثة، فقال[ﷺ]: «**سر إلىٰ مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك علىٰ هٰذا الجيش، فإن أظفرك الله بالعدو، فأقلل اللبث، وبث العيون، وقدم الطلائع**»، فلم يبق أحق من وجوه المهاجرين والأنصار إلا كان في ذٰلك الجيش، منهم: أبو بكر وعمر، فتكلم قوم وقالوا[٦]: يستعمل هٰذا الغلام علىٰ جملة المهاجرين والأنصار، فغضب رسول اللهﷺ لما سمع ذلك، وخرج غاضبا[٧] رأسه، فصعد المنبر، وعليه قطيفة[٨]، فقال:

«**أيها الناس؛ ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة! لئن طعنتم في تأميري أسامة، فقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله إن كان لخليقا بالإمارة، وابنه من بعده لخليق بها، وإنهما لمن أحب الناس إلي، فاستوصوا به خيرا، فإنه من خياركم**».

ثم نزل ودخل بيته، وجاء المسلمون يودعون رسول اللهﷺ، ويمضون إلىٰ عسكر أسامة بـ(الجرف)[٩].

---

(١) في السقيفة وفدك: وكرر ذلك.

(٢) كما في السقيفة وفدك.

(٣) في السقيفة وفدك: واللواء معه.

(٤) في السقيفة وفدك: ركزه بباب.

(٥) شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٥٩).

(٦) في المصدر: فقالوا.

(٧) في المصدر: عاصبا.

(٨) كساء له أهداب.

(٩) موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.

وثقل[١] رسـول اللهﷺ واشـتد مـا يجـده، فأرسـل بعض نسـائه إلىٰ أسـامة وبعض مـن كان معـه يعلمونهـم ذلك، فدخل أسـامة فـي معسـكره، والنبيﷺ مغمور، وهو اليوم الذي لدوه[٢] فيه، فتطأطأ أسـامة عليه فقبله، ورسـول اللهﷺ قد أسـكت، فهو لا يتكلم، فجعل يرفع يديه إلىٰ السماء ثم يضعهما علىٰ أسامة كالداعي له، ثم أشـار إليـه بالرجوع إلىٰ عسـكره، والتوجه لما بعثـه فيه، فرجع أسامة إلىٰ عسكره، ثم أرسل نساء رسـول اللهﷺ إلىٰ أسامة يأمرونه[٣] بالدخول، ويقلن: إن رسول اللهﷺ قد أصبح بارئا.

فدخل أسـامة من عسـكره[٤] يوم الاثنين، الثاني عشر من شـهر ربيع الأول، فوجد رسول اللهﷺ مفيقا، فأمره بالخروج وتعجيل النفوذ، وقال: اغد علىٰ بركة الله.. وجعل يقول: «**أنفذوا بعث أسامة**»، ويكرر ذلك.

فودع رسول اللهﷺ، وخرج ومعه أبو بكر وعمر (وأبو عبيدة)[٥]، فلما ركب جاءه رسول أم أيمن، فقال: إن رسـول اللهﷺ يموت.. فأقبل ومعه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة، فانتهوا إلىٰ رسـول اللهﷺ حين زالت الشـمس من هٰـذا اليوم، وهو يوم الاثنين، وقد مات واللواء مع يزيد[٦] بن الحصيب، فدخل باللواء فركزه عند باب رسـول اللهﷺ وهو مغلق، وعليعليه السلام وبعض بني هاشـم مشـتغلون بإعداد جهازه وغسـله، فقال العبـاس لعلـي[عليه السلام] وهما في الـدار: امدد يـدك أبايعك، فيقول الناس: عم رسـول الله بايع ابن عم رسـول الله فـلا يختلف عليـك اثنان.. فقال[عليه السلام] له: «**أو يطمع فيها يا عم طامع غيري**».. قال: ستعلم.

فلما يلبثا أن جاءتهما الأخبـار بأن الأنصار أقعدت سـعدا لتابعيه، وأن عمر جاء بأبي بكر فبايعه وسبق الأنصار بالبيعة، فندم عليعليه السلام علىٰ تفريطه في أمر البيعة وتقاعده عنها، وأنشده العباس قول دريد:

أمـرتهـم أمـري بمـنـعـرج الـلـوىٰ
فـلـم يـسـتـبـيـنـوا الـنـصـح إلا ضحىٰ الـغـد[٧]

---

(١) أي: اشتد به المرض. (٢) سقوه الدواء (النهاية: ج٣، ص٥٥).
(٣) في المصدر: يأمرنه.
(٤) في المصدر: معسكره.
(٥) غير موجود في المصدر.
(٦) في المصدر: بريدة.
(٧) ديوان الحماسة بشرح المرزوقي (ج٢، ص٨١٤).

وقال(١): [و](٢)تزعم الشيعة أن رسول اللهﷺ كان يعلم موته، وأنه سير أبا بكر وعمر في بعث أسامة لتخلو دار الهجرة منهما، فيصفو الأمر لعليعليه السلام، ويبايعه من تخلف من المسلمين بالمدينة علىٰ سكون وطمأنينة، فإذا جاءهما الخبر بموت رسول اللهﷺ وبيعة الناس لعليعليه السلام بعده، كانا عن المنازعة والخلاف أبعد، لأن العرب كانت تلتزم بإتمام تلك البيعة، ويحتاج في نقضها إلىٰ حروب شديدة، فلم يتم له ما قدر، وتثاقل أسامة بالجيش أياما، مع شدة حث رسول اللهﷺ علىٰ نفوذه وخروجه بالجيش، حتىٰ ماتﷺ وهما بالمدينة، فسبقا علىٰ البيعة(٣)، وجرىٰ ما جرىٰ.

وهٰذا عندي غير منقدح، لأنه إن كانﷺ يعلم موته فهو أيضا يعلم أن أبا بكر سيلي الخلافة، وما يعلمه لا يحترس منه، وإنما يتم هٰذا ويصح إذا فرضنا أنهعليه السلام كان يظن موته ولا يعلمه حقيقة، ويظن أن أبا بكر وعمر يتمالآن علىٰ ابن عمه، ويخاف وقوع ذٰلك منهما ولا يعلمه حقيقة، فيجوز إن كانت الحال هٰكذا أن ينقدح هٰذا التوهم، ويتطرق هٰذا الظن، كالواحد منا له ولدان: يخاف من أحدهما أن يتغلب بعد موته علىٰ جميع ماله، ولا يوصل أخاه إلىٰ شيء من حقه، فإنه قد يخطر له عند مرضه الذي يتخوف أن يموت فيه أن يأمر الولد المخوف جانبه بالسفر إلىٰ بلد [بعيد](٤) في تجارة يسلمها إليه، يجعل ذٰلك طريقا إلىٰ دفع تغلبه علىٰ الولد الآخر.

الباب السادس عشر

إن أبا بكر رشىٰ عمر الخلافة من بعده وهو غير مستحق لها، وكان فظا غليظا

قال ابن أبي الحديد(٥): قال أمير المؤمنينعليه السلام في خطبته الشقشقية:

«حتىٰ إذا مضىٰ الأول لسبيله، فأدلىٰ بها إلىٰ ابن الخطاب بعده:

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٦١). (٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: فسبقا عليا إلى البيعة.

(٤) من المصدر.

(٥) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٦٢).

شتان ما يومي على كورها[1]
ويوم حيان أخي جابر[2]

فيا عجبا! بينا هو يستقيلها في حياته[3] إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدة ما تشطرا ضرعيها فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والإعتذار منها، فراكبها[4] كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلون واعتراض، فصبرت علىٰ طول المدة، وشدة المحنة».

قال في الشرح[5]:

«**مضىٰ لسبيله**»: مات، و(السبيل): الطريق، وتقديره: [مضىٰ][6] علىٰ سبيله، وتجيء اللام بمعنىٰ: علىٰ، كقوله[7]: (فخر صريعا لليدين وللفم)[8].

قال: وقوله[عليه السلام]: «**فأدلىٰ بها**» من قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾[9] أي: تدفعوها إليهم رشوة، وأصله من: أدليت الحبل[10] في البئر، أرسلته[11].

قال: فإن قلت: فإن أبا بكر إنما دفعها إلىٰ عمر حين مات، ولا معنىٰ للرشوة عند الموت!

قال: قلت: لما كان عليه السلام يرىٰ أن العدول بها عنه إلىٰ غيره إخراج لها إلىٰ غير جهة الاستحقاق، شبه ذٰلك بإدلاء الإنسان بماله إلىٰ الحاكم، فإنه إخراج المال إلىٰ غير وجهه، فكان ذٰلك من باب الاستعارة.

---

(١) رحلها (لسان العرب: ج٥، ص١٥٤).
(٢) وهو بيت للأعشى كما في ديوانه (ص٩٦).
(٣) يشير عليه السلام إلى قول أبي بكر: (أقيلوني فلست بخيركم).
(٤) في المصدر: فصاحبها.
(٥) شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٦٢).
(٦) من المصدر.
(٧) قول: جابر بن حنى التغلبي.
(٨) وصدر البيت: تناوله بالرمح ثم اتنى له.
(٩) الآية ١٨٨ من سورة البقرة.
(١٠) في المصدر: الدلو.
(١١) في المصدر: أرسلتها.

⊡ [عهد الأول إلىٰ الثاني]:

وقال[١]: لما احتضر أبو بكر قال للكاتب اكتب: هٰذا ما عهد عبدالله بن عثمان، آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة، في الساعة التي يبر فيها الفاجر، ويسلم فيها الكافر.

ثم أغمي عليه فكتب الكاتب: عمر بن الخطاب.

ثم أفاق أبو بكر، فقال: اقرأ ما كتبت.. فقرأ وذكر اسم عمر.. فقال: أنىٰ لك هذا!! قال: ما كنت لتعدوه.. فقال: أصبت.. ثم قال: أتم كتابك.. قال: ما أكتب؟ قال اكتب: وذلك حيث أجال رأيه وأعمل فكره، فرأىٰ أن هٰذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله، ولا يحتمله إلا أفضل العرب مقدرة، وأملكهم لنفسه، وأشدهم في حال الشدة، وأسلسهم في حال اللين، وأعلمهم برأي ذوي الرأي، لا يتشاغل بما لا يعينيه، ولا يحزن لما لم ينزل به، ولا يستحي من التعلم، ولا يتحير عند البديهة، قوي علىٰ الأمور، لا يجوز بشيء منها حده عدوانا ولا تقصيرا، ويرصد لما هو آت عباده[٢] من الحذر.

فلما فرغ من الكتاب، دخل عليه قوم من الصحابة، منهم طلحة، فقال له: ما أنت قائل لربك غدا وقد وليت علينا فظا غليظا، تفرق منه النفوس، وتنفض عنه القلوب.

فقال أبو بكر: أسندوني ـ وكان مستلقيا ـ فأسندوه، فقال لطلحة: أبا الله تخوفني!! إذا قال لي ذٰلك غدا قلت له: وليت عليهم خير أهلك.

ويقال: أصدق الناس فراسة ثلاثة:

[١] العزيز في قوله لامرأته عن يوسف عليه السلام: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾[٣].. و:

[٢] ابنة شعيب؛ حيث قالت لأبيها في موسىٰ [عليه السلام]: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[٤]، و:

[٣] أبو بكر في عمر.

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٦٣).

(٢) في المصدر: عتاده.

(٣) الآية ٢١ من سورة يوسف.

(٤) الآية ٢٦ من سورة القصص.

وروىٰ كثير من الناس أن أبا بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[١] لما نزل به الموت دعا عبدالرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر؟ فقال: إنه أفضل من رأيك فيه إلا أن فيه غلظة.

فقال أبو بكر: ذٰلك لأنه يراني رقيقا، ولو قد أفضىٰ بالأمر إليه لترك كثيرا مما هو عليه، وقد رمقته إذا أنا غضبت علىٰ رجل أراني الرضا عنه، وإذا ألنت عنه[٢] أراني الشدة عليه، ثم دعا عثمان بن عفان، فقال: أخبرني عن عمر.. فقال: سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله، فقال لهما: لا تذكرا مما قلت لكما شيئا، ولو تركت عمر لما عدوتك يا عثمان، والخيرة لك ألا تلي من أمورهم شيئا، ولوددت أني كنت من أموركم خلوا، وكنت فيمن مضىٰ من سلفكم.

ودخل طلحة بن عبيدالله علىٰ أبي بكر، فقال: إنه بلغني أنك يا خليفة رسول الله استخلفت علىٰ الناس عمر، وقد رأيت ما يلقىٰ الناس منه وأنت معه، فكيف به إذا خلا بهم، وأنت غدا لاق ربك، [فـ][٣]يسألك عن رعيتك!

فقال أبو بكر: أجلسوني، ثم قال: أبالله تخوفني إذا لقيت ربي فسألني، قلت: استخلفت عليهم خير أهلك.

فقال طلحة: أعمر خير الناس يا خليفة رسول الله! فاشتد غضبه، وقال: أي والله هو خيرهم وأنت شرهم، أما والله لو وليتك لجعلت أنفك في قفاك، ولرفعت نفسك فوق قدرها، حتىٰ يكون الله هو الذي يضعها! أتيتني وقد دلكت عينك، تريد أن تفتني عن ديني، وتزيلني عن رأيي، قم لا أقام الله رجليك! أما والله لئن عشت فواق[٤] ناقة، وبلغني أنك غمصته فيها، أو ذكرته بسوء، لألحقنك بمحمضات[٥] قنة[٦]، حيث كنتم تسقون ولا تروون، وترزعون ولا تشبعون، وأنتم بذلك الحجون[٧] راضون.

---

(١) التزم المؤلف بأمانة النقل عن المصدر دون إرادة المعنى الذي أراده المخالف.

(٢) في المصدر: له. (٣) من المصدر.

(٤) الفواق - بالفتح والضم -: ما بين الحلبتين من الوقت، قال المازندراني في شرح أصول الكافي (ج٤، ص٢٩١): لأن الناقة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل ثم تحلب، وهٰذا تمثيل بقرب ما بين موته ووصول إلى مرتبة السعادة.

(٥) المواضع التي ترعى فيها الإبل (الصحاح: ج٣، ص١٠٧٣).

(٦) أعلى الجبل (الصحاح: ج٦، ص٢١٨٤).

(٧) الجبل المشرف (النهاية: ج١، ص٣٤٨).

فقام طلحة فخرج.

وقال أيضا[١]: أحضر أبو بكر عثمان ـ وهو يجود بنفسه ـ فأمره أن يكتب عهدا، وقال: اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هٰذا ما عهده[٢] عبدالله بن عثمان[٣] إلىٰ المسلمين.. أما بعد.

ثم أغمي عليه، فكتب[٤] عثمان: قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب.. وأفاق أبو بكر، فقال: اقرأ.. فقرأه، فكبر أبو بكر، وسر، وقال: أراك خفت أن يختلف الناس [إن مت][٥] في عشيتي[٦]! قال: نعم.. [قال][٧]: جزاك الله خيرا عن الإسلام وأهله، ثم أتم العهد، وأمر أن يقرأ علىٰ الناس، فقرئ [عليهم][٨]، ثم أوصىٰ عمر، فقال له: إن لله حقا بالليل لا يقبله في النهار، وحقا في النهار لا يقبله بالليل، وأنه لا يقبل نافلة ما لم تؤد الفريضة، وإنما ثقلت موازين من اتبع الحق مع ثقله عليه، وإنما خفت موازين من اتبع الباطل لخفته عليه، إنما أنزلت آية الرخاء مع آية الشدة، لئلا يرغب المؤمن رغبة يتمنىٰ فيها علىٰ الله ما ليس له، ولئلا يرهب رهبة يلقىٰ فيها بيده، فإن حفظت وصيتي، فلا يكن غائب أحب إليك من الموت، ولست بمعجزه.

وقال[٩]: دعا أبو بكر عمر يوم موته بعد عهده إليه، فقال: إني لأرجو أن أموت في يومي هذا، فلا تمسين حتىٰ تندب الناس مع المثنىٰ بن حارثة، وإن تأخرت إلىٰ الليل فلا تصحبن حتىٰ تندب الناس معه، ولا تشغلنكم مصيبة عن دينكم، وقد رأيتني متوفي رسول الله ﷺ كيف صنعت.

وتوفىٰ أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادىٰ الآخرة من سنة ثلاث عشرة.

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٦٥). (٢) أو: عهد به.

(٣) في تاريخ الطبري (ج٤، ص٥٢): أبو بكر بن أبي قحافة.

(٤) في المصدر: وكتب.

(٥) من المصدر.

(٦) في المصدر: غشيتي.

(٧) من المصدر.

(٨) كما في المصدر.

(٩) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٦٦).

الباب السابع عشر

في أن أبا بكر أول من أزال أمير المؤمنين عليه السلام عن الإمامة والخلافة، وكذا أهل البيت عليهم السلام النعيم الخمس.

ابن أبي الحديد قال[١]: كتب معاوية بن أبي سفيان إلىٰ محمد بن أبي بكر في رد مكاتبته إلىٰ معاوية في مدح علي عليه السلام، وذكر نصوص رسول الله صلى الله عليه وآله بالوراثة والوصية وغير ذلك، وذم معاوية في رد جوابه:

من معاوية بن أبي سفيان إلىٰ الزارئ[٢] علىٰ أبيه محمد بن أبي بكر.

سلام الله علىٰ أهل طاعة الله، أما بعد: فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه، وما أصفىٰ به نبيه، مع كلام ألفته ووضعته[٣] لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، وذكرت حق ابن أبي طالب وقدم سابقته[٤]، وقرابته من نبي[٥] الله صلى الله عليه وآله، ونصرته [له][٦]، ومواساته إياه في كل هول وخوف، واحتجاجك علي، وتفضيلك بفخرك غيرك لا بفضلك، فاحمد [ربك][٧] ما[٨] صرف ذٰلك الفضل عنك وجعله لغيرك، وقد[٩] كنا وأبوك معنا في حياة[١٠] نبينا صلى الله عليه وآله، نرىٰ حق ابن أبي طالب[١١][عليه السلام] لازم لنا، و[سبقه][١٢] مبرزا علينا، فلما اختار الله لنبيه ما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجته، قبضه الله إليه، فكان[١٣] أبوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه علىٰ ذلك، واتفقا

(١) شرح نهج البلاغة (ج٣، ص١٨٩).
(٢) المعيب.
(٣) في المصدر: ورصفته.
(٤) في المصدر: وقديم سوابقه.
(٥) في المصدر: رسول.
(٦) من المصدر.
(٧) كما في مصدر، وفي آخر: ربا، وفي ثالث: الله.
(٨) في مصدر: الذي.
(٩) في المصدر: فقد.
(١٠) في المصدر: زمن.
(١١) في المصدر: علي.
(١٢) من المصدر.
(١٣) في المصدر: وكان.

واتسقا، ثم دعواه إلىٰ[١] أنفسهما، فأبطأ عنهما[٢]، وتلكأ عليهما، فهما به الهموم، وأرادا به العظيم، فبايعهما[٣] وسلم لهما[٤]، لا يشاركانه[٥] في أمرهما، ولا يطلعانه علىٰ سرهما، حتىٰ قبضا وانقضىٰ أمرهما[٦]، قضىٰ، ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان، يهتدي بهديهما[٧]، ويسير بسيرتهما، فعبته أنت وصاحبك[٨]، حتىٰ طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي، حتىٰ جنحتما له، وظهرتما عليه، وكشفتما عداوتكما وغلكما، حتىٰ بلغتما منه مناكما، فخذ حذرك يا ابن أبي بكر، فترىٰ[٩] وبال أمرك، وقس قبرك، شبرك يقصر إن تساوىٰ أو توارىٰ من بزن[١٠] الجبال، ولا يلين علىٰ قسر قناته، ولا يدرك [ذو][١١] مدىٰ أناته[١٢]، مهد له أبوك مهاده، وبنىٰ ملكه، وشاده، وإن[١٣] يكن ما نحن فيه صوابا فأبوك أوله، وإن يكن جورا فأبوك أسه[١٤]، ونحن شركاؤه، وبهديه[١٥] أخذنا[١٦]، وبفعله اقتدينا، [ولو لا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا عليا، ولسلمنا له، ولكنا][١٧] رأينا أباك فعل ما فعل[١٨] فاحتذينا مثاله[١٩]، واقتدينا بفعاله، فعب أباك بما بدا لك أو دع.

---

(١) في المصدر: على. (٢) في المصدر: عليهما.

(٣) في المصدر: فبايع.

(٤) في المصدر: لأمرهما.

(٥) في المصدر: لا يشركانه.

(٦) في المصدر: حتى قضى الله من أمرهما ما قضى.

(٧) في المصدر: يهدي بهداهما.

(٨) في المصدر: وأصحابك.

(٩) في المصدر: فسترى.

(١٠) في المصدر: يزن.

(١١) من المصدر.

(١٢) في المصدر: ولا يدرك ذو مدى أناته.

(١٣) في المصدر: فإن.

(١٤) في المصدر: سنه.

(١٥) في المصدر: فبهذيه.

(١٦) في المصدر: وبهداه اقتدينا.

(١٧) من المصدر.

(١٨) في المصدر: فعل ذلك.

(١٩) في المصدر: فأخذنا بمثاله.

والسلام علىٰ من أناب ورجع عن غوايته وتاب[١].

قال[٢]: ذكر أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني[٣]، قال: أخبرني أحمد بن عبدالعزيز الجوهري[٤]، قال: حدثني عمر بن شبة، عن هارون بن عمرو، عن أيوب بن سويد، عن يحيىٰ بن زيد[٥]، عن عمر بن عبدالله الليثي، قال: قال عمر بن الخطاب ليلة في مسيره إلىٰ الجابية: أين عبدالله بن عباس؟ فأتي به، فشكا إليه تخلف علي بن أبي طالب[عليه السلام] [عنه][٦].. قال ابن عباس: فقلت له: أو لم يعتذر إليك؟ قال: بلىٰ.. قلت: فهو ما اعتذر به.. قال: ثم أنشأ يحدثني، فقال: إن أول من رتبكم[٧] عن هٰذا الأمر أبو بكر، إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة.

وروىٰ الواقدي في كتاب الشورىٰ، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: شهدت عتاب عثمان لعلي عليه السلام يوما، فقال له في بعض ما قاله: أنشدك[٨] الله أن تفتح للفرقة بابا! فلعهدي بك وأنت تطيع عتيقا وابن الخطاب كطاعتك[٩] لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولست بدون واحد منهما، وأنا أمس بك رحما، وأقرب إليك صهرا، فإن كنت تزعم أن هٰذا الأمر جعله رسول الله صلى الله عليه وآله لك، فقد رأيناك حين توفىٰ نازعت ثم أقررت، فإن كانا لم يركبا من الأمر جددا[١٠] فكيف أذعنت لهما بالبيعة، وبخعت[١١] بالطاعة، وإن كانا أحسنا فيما وليا، ولم أقصر عنهما في ديني وحسبي وقرابتي، فكن لي كما كنت لهما.

فقال علي عليه السلام: «**أما الفرقة فمعاذ الله أن أفتح لها بابا، وأسهل إليها سبيلا، ولكني أنهاك عما ينهاك الله ورسوله عنه، وأهديك إلىٰ رشدك، وأما عتيق وابن الخطاب فإن**

---

(١) في المصدر: وناب.

(٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢٠، ص١٥٥).

(٣) الأغاني (ج١٠، ص٢٨٨).

(٤) في السقيفة وفدك (ص١٣١).

(٥) في المصدر: زياد.

(٦) من المصدر.

(٧) في السقيفة وفدك: راثكم.

(٨) في المصدر: نشدتك.

(٩) في شرح نهج البلاغة: طاعتك.

(١٠) قال ابن منظور في لسان العرب (ج٣، ص١٠٨): ركب فلان جدة من الأمر إذا رأى فيه رأيا.

(١١) أذعنت وأقررت.

كانا أخذا ما جعله رسول الله ﷺ لي، فأنت أعلم بذلك والمسلمون، ومالي ولهذا الأمر وقد تركته منذ حين! فأما أن لا[١] يكون حقي بل المسلمون فيه شرع فقد أصاب السهم الثغرة، وأما أن يكون حقي دونهم فقد تركته لهم، طبت به نفسا، أو نفضت منه[٢] يدي استصلاحا، وأما التسوية بينك وبينهما، فلست كأحدهما، إنهما وليا هٰذا الأمر، فظلفا[٣] أنفسهما وأهلهما عنه، وعمت فيه وقومك عوم السابح في اللجة، فارجع إلىٰ الله أبا عمرو، وانظر هل بقي من عمرك إلا كظمء الحمار[٤]، فحتىٰ متىٰ وإلىٰ متىٰ! لا[٥] تنهىٰ سفهاء بني أمية عن أعراض المسلمين وأبشارهم[٦] وأموالهم، والله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه مشتركا بينك وبينه».

قال ابن عباس: فقال عثمان: لك العتبىٰ، وافعل واعزل من عمالي كل من تكره[٧] ويكرهه المسلمون.

ثم افترقا، فصده مروان بن الحكم عن ذلك، وقال: يجترئ عليك الناس، فلا تعزل أحدا منهم!!

قال[٨]: وروي[٩] أن أبا بكر منع بني هاشم الخمس، وقال: إنما لكم أن نعطي فقيركم، ونزوج أيمكم، ونخدم من لا خادم له منكم، فأما[١٠] الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطي شيئا ولا يتيم مؤسر.

---

(١) في المصدر: ألا.

(٢) في المصدر: عنه.

(٣) كفا.

(٤) وهو مثل يراد به: إنه لم يبق من العمر إلا اليسير.

(٥) في شرح نهج البلاغة: ألا.

(٦) ظواهر جلدهم.

(٧) في المصدر: تكرهه.

(٨) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢١٩).

(٩) كما في الكشاف للزمخشري (ج٢، ص١٥٩).

(١٠) في المصدر: وأما.

الباب الثامن عشر

في مطاعن شتىٰ

ابن أبي الحديد قال[١]: جاء في الأخبار الصحيحة أيضا[٢]: أن جماعة من أصحاب الصفة[٣] مر بهم أبو سفيان بن حرب بعد إسلامه، فعضوا أيديهم عليه، وقالوا: وا أسفاه؛ كيف لم تأخذ السيوف مأخذها من عنق عدو الله! وكان معه أبو بكر، فقال لهم: أتقولون هٰذا لسيد البطحاء! فرفع قوله إلىٰ رسول الله ﷺ فأنكره، وقال لأبي بكر: انظر لا يكون[٤] أغضبتهم، فتكون قد أعصيت[٥] ربك.

فجاء أبو بكر إليهم وترضاهم وسألهم أن يستغفروا له، فقالوا: غفر الله لك.

وفي الحديث قال أبو بكر (رضي الله عن المؤمنين) في مرضه الذي مات فيه: وددت أني لم أكشف بيت فاطمة[عليها السلام] ولو كان أغلق علي حرب، فندم والندم لا يكون إلا عن ذنب[٦].

ولا ينبغي للعاقل أن يفكر في تأخر علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه[٧] ستة أشهر إلىٰ أن ماتت فاطمة[عليها السلام]، فإن كان مصيبا فأبو بكر علىٰ الخطأ في انتصابه في الخلافة، وإن كان أبو بكر مصيبا فعلي[عليه السلام] علىٰ الخطأ في تأخره عن البيعة وحضور المسجد.

ثم قال أبو بكر رضي الله عنه[٨] في مرض موته أيضا للصحابة: فلما استخلفت عليكم خيركم في نفسي - يعني عمر- فكلكم ورم [لذلك][٩] أنفه يريد

---

(١) شرح نهج البلاغة (ج٧، ص٢٩٦).

(٢) شرح الأخبار (ج٢، ص٥٣٤).

(٣) أصحاب الصفة: هم نحو من أربع مائة رجل من مهاجري قريش، لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر، وكانوا في صفة المسجد يتعلمون القرآن بالليل، ويلتقطون النوى بالنهار.

(٤) في المصدر: لا تكون.

(٥) في المصدر: أغضبت.

(٦) شرح نهج البلاغة (ج٢٠، ص٢٤).

(٧) غير موجود في المصدر.

(٨) غير موجود في المصدر.

(٩) من المصدر.

أن يكـون الأمر له، لمـا رأيتم الدنيا قـد جاءت، أمـا والله لتتخذن سـتائر الديباج ونضائد الحرير(١).

أليس هٰـذا طعنا في الصحابة، وتصريحا بأنه قد نسـبهم إلىٰ الحسـد لعمر، لما نص عليه بالعهد.

ولقد قـال له طلحـة لما ذكر عمـر للأمر: مـاذا تقـول لربك إذا سـألك عن عباده، وقد وليت عليهـم فظا غليظا! فقال أبو بكر: أجلسـوني أجلسـوني، بالله تخوفني! إذا سألني قلت: وليت عليهم خير أهلك(٢).

ثم شتمه بكلام كثير منقول.

فهل قول طلحة إلا طعنا في عمر، وهل قول أبي بكر إلا طعنا في طلحة.

وأنكر قوم مـن الأنصـار رواية أبي بكـر: (الأئمة مـن قريش)، ونسـبوه إلىٰ افتعال هٰذه الكلمة(٣).

وكان أبو بكـر يقضي بالقضـاء فينقضـه عليه أصاغـر الصحابة، كـ: بلال، وصهيب، ونحوهما.. وقد روي ذٰلك في عدة قضايا.

وهٰـذا علـي وفاطمـة[عليهما السلام] والعباس مـا زالوا علـىٰ كلمـة واحـدة يكذبون الرواية: (نحن معاشر الأنبياء لا نورث) ويقولون أنها مختلقة.

قالـوا: وكيـف كان النبيﷺ يعـرف هٰـذا الحكم غيرنـا ويكتمه عنـا ونحن الورثة، ونحن أولىٰ الناس بان نؤدي(٤) هٰذا الحكم إليه.

ثم ما شـاع واشـتهر(٥) مـن قـول عمـر رضي الله عنه(٦): (كانت بيعـة أبي بكـر فلتة وقىٰ الله شـرها، فمن عاد إلىٰ مثلهـا فاقتلوه)، وهٰـذا طعن في العقـد، وقدح في البيعة الأصلية.

ثم ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في الخلوته(٧).

(١) الإيضاح (ص٥١٨) والكامل للمبرد (ج١، ص٧) وغيرهما.

(٢) الكامل في التاريخ (ج٢، ص٥٢٥).

(٣) شرح نهج البلاغة (ج٢٠، ص٢٦).

(٤) في المصدر: يؤدى.

(٥) كما في جملة كبيرة من المصادر، منها: صحيح البخاري (ج٨، ص٢٦) والبداية والنهاية (ج١٢، ص٣٣٨) والمعيار والموازنة (ص٣٨) وغيرها.

(٦) غير موجود في المصدر.

(٧) أو: خلواته، أو: صلاته.

وقوله عن عبدالرحمن ابنه: دويبة سن، وهو(١) خير من أبيه(٢).

وكيف أدخلت العامة أنفسها في أمر عائشة، وبرئت ممن نظر إليها، ومن القائل لها: يا حميراء.. أو: إنما هي حميراء، [ولعنته بكشف سترها](٣)، ومنعتنا نحن [عن](٤) الحديث في أمر فاطمة[عليها السلام] وما جرىٰ لها بعد وفاة أبيها.

فإن قلتم: إن بيت فاطمة[عليها السلام] إنما دخل، وسترها إنما كشف، [حفظا](٥) لنظام الإسلام، وكي لا ينتشر الأمر ويخرج قوم من المسلمين أعناقهم من ربقة الطاعة ولزوم الجماعة.

قيل لكم: وكذلك ستر عائشة إنما كشف، وهودجها إنما هتك، لأنها نشرت حبل الطاعة، وشقت عصا المسلمين، وأراقت دماء المسلمين من قبل وصول علي بن أبي طالب[عليه السلام] إلىٰ البصرة، وجرىٰ لها مع عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة، ومن كان معها من المسلمين الصالحين، من القتل وسفك الدماء ما تنطق به كتب التواريخ والسير، فإذا جاز دخول بيت فاطمة[عليها السلام] لأمر [لم](٦) يقع بعد(٧) جاز كشف ستر عائشة علىٰ ما قد وقع وتحقق.

فكيف صار هتك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار، والبراءة من فاعله، ومن أوكد عرىٰ الإيمان، [وصار كشف بيت فاطمة والدخول عليها منزلها، وجمع حطب ببابها، وتهددها بالتحريق، من أوكد عرىٰ الدين](٨)، وأثبت دعائم الإسلام، ومما أعز الله به المسلمين، وأطفأ به نار الفتنة، والحرمتان واحدة، والستران واحد.

وما نحب أن نقول لكم: إن حرمة فاطمة[عليها السلام] أعظم، ومكانها أرفع، وصيانتها لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله أولىٰ، فإنها بضعة منه، وجزء من دمه ولحمه،

---

(١) في المصدر: ولهو.

(٢) قال العلامة المجلسي رحمه الله في بيانه للحديث (بحار الأنوار: ج٣، ص٤٥٩): ودويبة سوء - بفتح السين - بالإضافة، وفيه دلالة على غباوة عبدالرحمن للتصغير، وعلى حمقه، لكون اللفظة تصغير الدابة، وعلى خبث طينته للإضافة إلى السوء.

(٣) من المصدر. (٤) من المصدر.

(٥) من المصدر.

(٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: فقد.

(٨) من المصدر.

وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها وبين الزوج، وإنما هي وصلة مستعارة، وعقد يجري مجرىٰ إجارة المنفعة، وكما يملك رق الأمة بالبيع والشراء.. ولهٰذا قال الفرضيون: أسباب[1] التوارث ثلاثة: سبب، ونسب، وولاء.

فالنسب القرابة.. والسبب النكاح.. والولاء: ولاء العتق.

فجعلوا النكاح خارجا عن النسب، ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين.

وكيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة[عليها السلام]، وقد أجمع المسلمون كلهم من يحبها ومن لا يحبها منهم إنها سيدة نساء العالمين[2].

قال: وكيف يلزمنا اليوم حفظ رسول اللهﷺ في زوجته، وحفظ أم حبيبة في أخيها، ولم تلزم الصحابة أنفسها حفظ رسول اللهﷺ [في أهل بيته، ولا ألزمت الصحابة أنفسها حفظ رسول اللهﷺ][3] في صهره وابن عمه عثمان بن عفان، فقد[4] قتلوهم واحتوهم[5]، ولقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة، منهم عائشة[6]، كانت تقول: اقتلوا نعثلا، لعن الله نعثلا[7].

▣ [العناد في غصب حق الآل عليهم السلام]:

قال[8]: جاء عيينة بن حصن[9] والأقرع بن حابس[10] إلىٰ أبي بكر، فقالا: يا خليفة رسول الله؛ إن عندنا أرضا سبخة ليس فيها كلا ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نحرثها أو نزرعها!! ولعل الله أن ينفع بها بعد اليوم!

---

(١) في مصدر: أرباب.

(٢) هٰذا الحديث مروي بعدة طرق وأسانيد عن عدة من الأئمة عليهم السلام والصحابة كما في صحيح البخاري (ج١، ص٥٣٢) والمناقب لابن المغازلي (ص٣٥١) والمستدرك للحاكم (ج٣، ص١٥٣) وكنز العمال (ج١٢، ص١١١) وأسد الغابة (ج٥، ص٥٢٢) وغيرها. (٣) من المصدر.

(٤) في المصدر: وقد. (٥) في المصدر: ولعنوهم. (٦) ومنهم عبدالله بن مسعود.. ولقد لعن معاوية علي بن أبي طالب وابنيه حسنا وحسينا[عليهم السلام] وهم أحياء يرزقون بالعراق، وهو يلعنهم بالشام على المنابر، ويقنت عليهم في الصلوات.. وقد لعن أبو بكر وعمر سعد بن عبادة وهو حي، وبرئا منه، وأخرجاه من المدينة إلى الشام.. ولعن عمر خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة.. وما زال اللعن فاشيا في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضي اللعن والبراءة.

(٧) تاريخ الطبري (ج٤، ص٤٥٩) والعقد الفريد (ج٥، ص٤٠) والكامل في التاريخ (ج٣، ص٢٠٦) وغيرها.

(٨) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٥٨). (٩) من شجعان العرب وزعمائهم.

(١٠) وهو من أشراف تميم المنادين من وراء الحجرات.

فقال أبو بكر لمن حوله من الناس المسلمين: ما ترون؟ قالوا: لا بأس.. فكتب لهما بها كتابا وأشهد فيه شهودا.. وعمر ما كان حاضرا، فانطلقا إليه ليشهد في الكتاب، فوجداه قائما يهنأ[١] بعيرا، فقال[٢]: إن خليفة رسول الله ﷺ كتب لنا هٰذا الكتاب وجئناك لتشهد علىٰ ما فيه، أفتقرؤه أم نقرؤه عليك؟ قال: أعلىٰ الحال التي تريان! فإن شئتما فاقرأه وإن شئتما فانتظرا حتىٰ أفرغ.. قالا: بل نقرؤه عليك.

فلما سمع ما فيه، أخذه منهما، ثم تفل فيه، فمحاه، فتذامرا وقالا له مقالة سيئة.. وقال[٣]: إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل، وإن الله تعالىٰ قد أعز الإسلام، فاذهبا فاجهدا جهدكما، لا رعىٰ الله عليكما إن رعيتما.

فجاءا[٤] إلىٰ أبي بكر وهما يتذمران، فقالا: والله ما ندري أنت أمير أم عمر؟ فقال: بل هو لو كان شاء.

فجاء[٥] عمر - وهو مغضب- حتىٰ وقف علىٰ أبي بكر، فقال: أخبرني عن هٰذه الأرض التي اقطعها[٦] هذين [الرجلين] أهي لك خاصة أم بين المسلمين عامة؟ فقال: بين المسلمين عامة.. قال: فما حملك علىٰ أن تخص بها هذين دون جماعة المسلمين.. قال: استشرت الذين حولي فأشاروا بذلك.. فقال: أفكل المسلمين أوسعتهم مشورة ورضا.. فقال أبو بكر: فلقد كنت قلت لك: إنك أقوىٰ علىٰ هٰذا الأمر مني لكنك غلبتني.

قال: وفي بعض الصحاح[٧] أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر - وقد غاب الرجل[٨] عن يمينه[٩]-: «**قم إلىٰ هٰذا فاقتله**».. فقام ثم عاد، وقال: وجدته يصلي.. فقال[ﷺ] لعمر مثل ذلك، فعاد، وقال: وجدته يصلي.. فقال لعلي عليه السلام مثل

(١) يطليه بالقطران علاجا له من الحرب.
(٢) في المصدر: فقالا.
(٣) في المصدر: فقال.
(٤) في المصدر: فذهبا.
(٥) في المصدر: وجاء.
(٦) في المصدر: أقطعتها.
(٧) مسند أحمد (ج٣، ص١٥).
(٨) يعني: ذا الخويصرة (حرقوص بن زهير رأس الخوارج).
(٩) في المصدر: عينه.

ذلك، فعاد، فقال[عَلَيْتَلِا]: «لم أجده».. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لو قتل هٰذا لكان أول فتنة وآخرها، أما إنه سيخرج من ضئضئ**[١] **هٰذا قوم**» (الحديث)[٢].

قال: وروىٰ أحمد، وروىٰ المبرد في الكامل[٣] عن عبدالرحمن بن عوف، قال: دخلت علىٰ أبي بكر أعوده في مرضه الذي مات فيه، فسلمت، وسألته: [كيف][٤] به؟ فاستوىٰ جالسا، فقلت: [لقد][٥] أصبحت بحمد الله بارئا.. فقال: أما إني علىٰ ما ترىٰ لوجع، وجعلتم لي معشر المهاجرين شغلا مع وجعي، وجعلت لكم عهدا مني من بعدي، واخترت لكم خيركم في نفسي، فكلكم ورم لذلك أنفه رجاء أن يكون الأمر له، ورأيتم الدنيا قد أقبلت، والله لتتخذن ستور الحرير ونضائد[٦] الديباج، وتألمون ضجائع الصوف الأذربي[٧]، كأن أحدكم علىٰ حسك السعدان[٨]، والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنه في غير حد لخير له من أن يسبح في غمرة الدنيا، وإنكم غدا لأول ضال بالناس تخورون[٩] عن الطريق يمينا وشمالا، يا هادي الطريق، دربك[١٠] إنما هو البحر أو الفجر[١١].

فقال له عبدالرحمن: لا تكثر علي ما بك فيهيضك[١٢]، والله ما أردت إلا الخير[١٣]، وإن صاحبك لذو خير، وما الناس إلا رجلان: رجل رأىٰ ما رأيت، فلا خلاف عليك منه، ورجل رأىٰ غير ذلك، وإنما يشير عليك برأيه، فسكن وسكت هنيئة.

---

(١) أصل (الصحاح: ج١، ص٦٠).
(٢) جامع العلوم والحكم (ج١، ص١٣١).
(٣) الجزء الأول (ص٥٤).
(٤) من المصدر.
(٥) كما في المصدر.
(٦) وسائد.
(٧) المنسوب إلى أذربيجان.
(٨) نبت تأكله الإبل فتسمن عليه.
(٩) في المصدر: يجورون.
(١٠) في بحار الأنوار: جرت.
(١١) قال في الكامل: ومعناه إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك، وإن خبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المكروه.
(١٢) يؤذيك.
(١٣) في المصدر: خيرا.

فقال عبدالرحمن: ما أرىٰ بك بأسا والحمد لله، فلا تأس علىٰ الدنيا، فوالله إن علمناك إلا صالحا مصلحا.. فقال: أما أني لا آسي إلا علىٰ ثلاث فعلتهن، وددت أني لم أفعلهن، وثلاث لم أفعلهن وددت أني فعلتهن، وثلاث وددت أني سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهن.

فأما الثلاث التي فعلتها وددت أني لم أكن فعلتها: وددت أني لم [أكن][1] كشفت عن بيت فاطمة[عليها السلام] وتركته ولو أغلق علىٰ حرب، ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قذفت الأمر في عنق أحد الرجلين: عمر أو أبي عبيدة، فكان [أميرا][2] وكنت وزيرا، ووددت أني إذ أتيت بالفجاءة[3] لم أكن أحرقته، وكنت قتلته بالحديد أو أطلقته[4].

وأما الثلاث التي تركتها وددت أني فعلتها: فوددت أني يوم أتيت بالأشعث[5] كنت ضربت عنقه، فإنه تخيل[6] إليّ أنه لا يرىٰ شرا إلا أعان عليه، ووددت أني حيث وجهت [خالدا إلىٰ أهل الردة[7] أقمت بذي القصة[8]، فإن ظفر المسلمون وإلا كنت ردءا لهم، ووددت حيث وجهت][9] خالدا إلىٰ الشام كنت وجهت عمر إلىٰ العراق، فأكون قد بسطت كلتا يدي اليمين والشمال في سبيل الله.

وأما الثلاث اللواتي وددت أني كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهن: فوددت أني سألته فيمن هٰذا الأمر فكنا لا ننازعه أهله، [ووددت أني كنت سألته هل للأنصار في هٰذا الأمر نصيب][10]، ووددت أني سألته عن ميراث العمة وابنة الأخت، فإن في نفسي منها حاجة[11].

---

(١) من المصدر. (٢) من المصدر.

(٣) يعني به: إياس بن عبدالله بن عبد ياليل السلمي (تاريخ الطبري: ج٣، ص٢٣٤).

(٤) وفي تاريخ اليعقوبي (ج٢، ص١٣٧): إما أن أكون قتلته سريحا أو أطلقته نجيحا.

(٥) الأشعث بن قيس الكندي، الذي كان زنديقا. (٦) في المصدر: يخيل.

(٧) في اصطلاحه مالك بن نويرة وقومه الذين أنكروا خلافته وامتنعوا من اعطاء الصدقات إلى عامله.

(٨) في المصادر: كنت قدمت إلى قربه أو قرية، إلا أن في المصدر: (ذي قصة) وهو موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا، وهو طريق الربذة (معجم البلدان: ج٤، ص٣٦٦)

(٩) من المصدر.

(١٠) من المصدر.

(١١) هٰذا الخبر أورده جمهور علماء العامة، ومن بين مصادره: الإمامة والسياسة (ج١، ص١٨) والأموال (ص١٣١) وتاريخ الطبري (ج٤، ص٥٢) والعقد الفريد (ج٢، ص٢٥٤) ومروج الذهب (ج١، ص٤١٤) وغيرها.

وقال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري صاحب كتاب السقيفة[(١)]، قال: وحدثني أبو زيد، قال: حدثني محمد بن عباد، قال: حدثني أخي سعيد بن عباد، عن الليث بن سعد، عن رجاله، عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)] قال: ليتني لم أكشف بيت فاطمة[عليها السلام]، ولو أغلق[(٣)] علي الحرب.

وقال: قال أبو بكر[(٤)]: وحدثني المؤمل بن جعفر، قال: حدثني محمد بن ميمون، قال: حدثني داوود بن المبارك، قال: أتينا عبدالله بن موسىٰ بن عبدالله بن حسن بن حسن[(٥)] بن علي بن أبي طالب عليه السلام ونحن راجعون من الحج في جماعة، فسألناه عن مسائل، وكنت أحد من سأله، فسألته عن أبي بكر وعمر، فقال: أجيبك بما أجاب به جدي عبدالله بن الحسن، فإنه سئل عنهما، فقال: كانت أمنا صديقة ابنة نبي مرسل، وماتت وهي غضبىٰ علىٰ قوم، فنحن غضاب لغضبها.

قال ابن أبي الحديد عقيب ذلك[(٦)]: قلت: قد أخذ هٰذا المعنىٰ بعض شعراء الطالبيين من أهل الحجاز، أنشدنيه النقيب جلال الدين عبدالحميد بن محمد بن عبدالحميد العلوي، قال: أنشدني قال[(٧)]: الشاعر لنفسه - وذهب عني أنا اسمه - قال:

يا أبا حفص هوينا[(٨)] وما كنت
مليا بذاك لولا الحمام
أتموت البتول غضبىٰ ونرضىٰ
ما كذا تصنع البنون الكرام

يخاطب عمرو ويقول له: مهلا ورويدا يا عمر، [أي][(٩)]: أرفق واتئد ولا تعنف بنا، (وما كنت مليا)، [أي: ما كنت أهلا][(١٠)] لأن تخاطب بهٰذا

---

(١) السقيفة وفدك (ص٧٥). (٢) غير موجود في المصدر.
(٣) في المصدر: أعلن. (٤) في السقيفة وفدك (ص٧٤).
(٥) في المصدر: حسين.
(٦) في شرح نهج البلاغة (ج٦، ص٤٩).
(٧) في المصدر: هذا.
(٨) في المصدر: الهوينى.
(٩) من المصدر.
(١٠) كما في المصدر.

وتستعطف، ولا كنت قادرا علىٰ ولوج دار فاطمة عليها السلام علىٰ ذٰلك الوجه الذي ولجتها[١] عليه، لو لا أن أباها الذي كان بيتها يحترم ويصان لأجله مات، فطمع فيها من لم يكن يطمع.

ثم قال: (أتموت) أمنا وهي (غضبىٰ ونرضىٰ) نحن، إذا لسنا بكرام، فإن الولد الكريم يرضىٰ لرضا أبيه وأمه ويغضب لغضبهما.

ثم قال ابن أبي الحديد عقيب ذلك[٢]: والصحيح عندي أنها ماتت عليها السلام وهي واجدة[٣] علىٰ أبي بكر وعمر، وأنها أوصت أن لا يصليا عليها، وذلك عند أصحابنا من الأمور المغفورة لهما.

وكان الأولىٰ بهما إكرامها واحترام منزلها[٤] لولا أنهما خافا الفرقة، وأشفقا من الفتنة، وفعلا ما هو الأصلح بحسب ظنهما، وكانا من الدين وقوة اليقين بمكان مكين، لا شك في ذلك، والأمور الماضية يتعذر الوقوف علىٰ عللها وأسبابها، ولا يعلم حقائقها إلا من قد شاهدها ولابسها، بل لعل الحاضرين المشاهدين لها لا يعلمون باطن الأمور[٥]، فلا يجوز العدول عن حسن الاعتقاد فيهما بما جرىٰ، والله ولي المغفرة والعفو، فإن هٰذا لو ثبت أنه أخطأ لم يكن كبيرة، بل كان من باب الصغائر التي لا تقتضي التبري، ولا يوجب[٦] زوال التولي.

⊡ [تعليق المصنف علىٰ تبرير المعتزلي]:

أقول: هٰذا الكلام من ابن أبي الحديد يغضب الحليم، ويضحك الثكلىٰ، كيف يكون إحراق بيت فاطمة عليها السلام وفيه أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين[عليهما السلام] وغيرهم، وغضبها الذي رواه ابن أبي الحديد، وضربها عليها السلام، حتىٰ سقطت ابنها المحسن، والأمور الشنار التي وقعت من أبي بكر وعمر في حقهم، ويقول ابن أبي الحديد: إن فعل هٰذا من الصغائر المغفورة لهما؟!!

---

(١) في المصدر: ولجته.

(٢) في شرح نهج البلاغة (ج٦، ص٥٠).

(٣) غاضبة (كتاب العين: ج٦، ص١٦٩).

(٤) أو: منزلتها.

(٥) في المصدر: الأمر.

(٦) في المصدر: توجب.

فلو صح ما قاله كانت الذنوب كلها صغائر، لأن إيذاء فاطمة عليها السلام إيذاء رسول الله صلى الله عليه وآله، وإيذاء رسول الله إيذاء الجبار جل جلاله، ومن آذىٰ الله فهو مشرك، وكان إيذاؤها عليها السلام بمنزلة الشرك، كيف الشرك يغفر؟!! وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾[(١)].

قال ابن أبي الحديد في الشرح[(٢)]: قال: روىٰ محمد بن زكريا الغلابي، عن شيوخه، عن أبي المقدام، عن عمر بن عبدالعزيز، قال: حدثني عمر بن حزم، [عن أبيه][(٣)]، عن جده: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**فاطمة بضعة مني يسخطني ما يسخطها، ويرضيني ما أرضاها**».

وقال ابن أبي الحديد أيضا[(٤)]: رواه عن شيخه أبي يعقوب يوسف بن إسماعيل اللمعاني في أيام اشتغاله عليه[(٥)]، قال: قال: أكرم رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة إكراما عظيما أكثر مما كان الناس يظنونه، وأكثر من إكرام الرجال لنسائهم[(٦)]، حتىٰ خرج بها عن حد حب الآباء لأبنائهم[(٧)]، فقال بمحضر الخاص والعام مرارا لا مرة واحدة، وفي مقامات مختلفة لا في مقام واحد: أنها سيدة نساء العالمين، وأنها عديلة مريم بنت عمران، وأنها إذا مرت في الموقف نادىٰ مناد من جهة العرش: يا أهل الموقف غضوا أبصاركم لتعبر فاطمة بنت محمد.

وهٰذا من الأحاديث الصحيحة وليس من الأخبار المستضعفة، وإن إنكاحه عليا[عليه السلام] إياها ما كان إلا بعد أن أنكحه الله تعالىٰ إياها في السماء، بشهادة الملائكة.

وكم قال مرة[(٨)]: «**يؤذيني ما يؤذيها**»[(٩)]، و«**يغيضني ما يغيضها**»، و«**إنها بضعة مني يريبني ما رابها**»[(١٠)].

---

(١) الآية ٤٨ من سورة النساء وكذلك الآية ١١٦ من نفس السورة. (٢) شرح نهج البلاغة (ج١٦، ص٢٧٨). (٣) من المصدر. (٤) في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص١٩٢).

(٥) بعلم الكلام.

(٦) في المصدر: لبناتهم.

(٧) في المصدر: للأولاد.

(٨) في المصدر: لا مرة.

(٩) صحيح البخاري (ج٢، ص٢٦٠) وصحيح مسلم (ج٢، ص٣٣٩) ومسند أحمد (ج٤، ص٥) ومستدرك الحاكم (ج٣، ص١٥٩) والصواعق المحرقة (ص٨٨) وغيرها.

(١٠) كنز الحقائق (ص١٠٣) وكنز العمال (ج١٢، ص١٠٨) وصحيح البخاري (ج٤، ص٢١٠) وغيرها.

قال ابن أبي الحديد عن مشائخه: وإن الأخبار في ذٰلك من الأخبار الصحيحة لا المستضعفة، وكيف يكون هٰذا الذنب من الصغائر لغفوره وهو من أكبر الكبائر، قال جلّ جلاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[1].

فما ذكرناه هو الحق المبين.

⊡ [بقية الكلام في غصب حق الآل عليهم السلام]:

قال[2]: وروىٰ الزبير بن بكار في الموفقيات[3]، قال: [فـ][4]لما كان من الغد من بيعة أبي بكر، قام أبو بكر فخطب الناس، وقال: أيها الناس؛ إني وليتكم[5] ولست بخيركم فإن[6] أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، إن لي شيطانا يعتريني، فإياكم وإياي إذا غضبت، لا أؤثر في أشعاركم وابشاركم، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي، حتىٰ أرد إليه حقه، والقوي ضعيف حتىٰ آخذ الحق منه.. إنه لا يدع قوم الجهاد إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع في قوم الفاحشة إلا عمهم البلاء، أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم.. فقوموا إلىٰ صلاتكم يرحمك الله.

الباب التاسع عشر

في خطأ من استدل علىٰ خلافة أبي بكر من القرآن

قال ابن أبي الحديد[7]: اعلم إن أصحابنا قد استدلوا علىٰ صحة إمامة أبي بكر بقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ

(١) الآيتان ٥٧ و٥٨ من سورة الأحزاب.

(٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٦، ص٢٠).

(٣) ص٥٧٩.

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: وليت أمركم.

(٦) في المصدر: فإذا.

(٧) في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص١٨٤).

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾[١].

قال قاضي القضاة في المغني[٢]: وهٰذا خبر من الله تعالىٰ، ولا بد أن يكون كائنا علىٰ ما أخبر به، والذين قاتلوا المرتدين هم أبو بكر وأصحابه، فوجب أن يكونوا هم الذين عناهم الله سبحانه بقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾، وذلك يوجب أن يكونوا علىٰ صواب.

قال[٣]: واعترض المرتضىٰ رضي الله عنه علىٰ هٰذا الاحتجاج في الشافي[٤]، فقال: من أين قلت إن الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه؟ فإن قال: لأنهم الذين قاتلوا المرتدين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ولا أحد قاتلهم سواهم.. قيل له: ومن الذي سلم لك ذلك، أو ليس أمير المؤمنين عليه السلام قد قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بعد رسول الله[٥][صلى الله عليه وآله]، وهؤلاء عندنا مرتدين عن الدين، ويشهد بصحة [هذا][٦] التأويل زائدا علىٰ احتمال القول له ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله يوم البصرة: «**والله ما قوتل أهل الآية حتىٰ اليوم**»[٧]، [وتلاها][٨]، وقد روىٰ عن عمار وحذيفة وغيرهما[٩] مثل ذلك.

فإن قال قائل: دليلي علىٰ أنها في أبي بكر وأصحابه قول أهل التفسير.. قيل له: أو كل أهل التفسير قال ذلك؟! فإن قال: (نعم) كابر، لأنه قد روي عن جماعة التأويل الذي ذكرناه، وهو لو لم يكن إلا ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام ووجوه أصحابه الذين ذكرناهم لكفىٰ.

وإن قال: حجتي قول بعض المفسرين.. قلنا: وأي حجة في قول البعض، ولم صار البعض الذي قال ما ذكرت أولىٰ بالحق من البعض الذي قال ما ذكرنا[١٠].

---

(١) الآية ٥٤ من سورة المائدة. (٢) الجزء ٢٠ (ق١، ص٣٢١).

(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص١٨٥). (٤) الجزء الرابع (ص٤٣).

(٥) في المصدر: الرسول.

(٦) من المصدر.

(٧) كنز العمال (ج٢، ص٤٢٥).

(٨) من المصدر.

(٩) كابن عباس والإمامين الباقر والصادق عليهما السلام.

(١٠) في المصدر: ما ذكرناه.

ثم يقال له: قد وجدنا الله تعالىٰ قد نعت المذكورين في الآية بنعوت يجب أن نراها[1]، لنعلم أفي صاحبنا هي أم في صاحبك، وصفهم بأنه تعالىٰ يحبهم ويحبونه، وهٰذا وصف مجمع عليه في صاحبنا، مختلف فيه في صاحبك، وقد جعله الرسول عليه السلام في خيبر حين فر من فر من القوم عن العدو صاحب هٰذه الأوصاف، فقال[صلى الله عليه وآله]: «**لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرارا غير فرار**»، فدفعها إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام[2].

ثم قوله تعالىٰ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3] يقتضي ما ذكرنا، لأنه من المعلوم بلا خلاف حال أمير المؤمنين عليه السلام في: التخاشع والتواضع، وذم نفسه، وقمع غضبه، وإنه ما رئي قط طائشا ولا متطيرا في حال من الأحوال، ومعلوم حال صاحبيكم في هٰذا الباب، أما أحدهما فإنه اعترف طوعا بأن له شيطانا يعتريه عند غضبه، وأما الآخر فكان معروفا بالجد والعجلة، مشهورا بألفاظه[4] والغلظة، وأما (العزة علىٰ الكافرين)، فإنما تكون بقتالهم وجهادهم والإنتقام منهم، وهذه حال لم يسبق إليها أمير المؤمنين عليه السلام [سابق، ولا لحقه فيها لاحق][5].

[ثم قال تعالىٰ: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾[6]، وهٰذا وصف أمير المؤمنين][7] المستحق له بالإجماع، وهو منتف عن أبي بكر وصاحبه إجماعا، لأنه لا قتيل لهما في الإسلام، ولا جهاد بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله، وإذا كانت الأوصاف المراعاة في الآية حاصلة لأمير المؤمنين عليه السلام، وغير حاصلة لمن ادعيتم، لأنها فيهم علىٰ ضربين؛ ضرب معلوم انتفاؤه كالجهاد، وضرب مختلف فيه كالأوصاف التي هي غير الجهاد، وعلىٰ من أثبتها لهم الدلالة علىٰ حصولها، ولا بد أن يرجع في ذٰلك إلىٰ غير ظاهر الآية، لم يبق في يده من الآية دليل.

---

(١) في المصدر: نراعيها. (٢) صحيح البخاري (ج٤، ص٢٠) ومجمع الزوائد (ج٦، ص١٥٠) وكتاب السنة (ص٥٩٤) والسنن الكبرى للنسائي (ج٥، ص١١١) ومسند أبي يعلى (ج١، ص٢٩١) وغيرها.

(٣) الآية ٥٤ من سورة المائدة.

(٤) في المصدر: بالفظاظة.

(٥) من المصدر.

(٦) الآية ٥٤ من سورة المائدة.

(٧) كما في المصدر.

هذه جملة ما ذكره المرتضىٰ رضي الله عنه.

ولقد كان يمكنه التخلص من الاحتجاج بالآية علىٰ وجه ألطف وأحسن وأصح مما ذكره، فيقول: المراد بها من ارتد علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله في واقعة الأسود العنسي باليمن، فإن كثيرا من المسلمين ضلوا به وارتدوا عن الإسلام، وادعوا له النبوة، واعتقدوا صدقه.

و(القوم الذين يحبهم الله ويحبونه) القوم الذين كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأغراهم بقتله، والفتك به، وهم فيروز الديلمي وأصحابه، والقصة مشهورة.

وقد كان له أيضا أن يقول له: [لم][1] قلت: إن الذين قاتلهم أبو بكر وأصحابه من المسلمين [كانوا مرتدين]، فإن المرتد من ينكر دين الإسلام بعد أن كان قد تدين به، والذين منعوا الزكاة لم ينكروا أصل دين الاسلام، وإنما تأولوا فأخطأوا، لأنهم تأولوا قول الله تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[2]، فقالوا: إنما ندفع زكاة أموالنا إلىٰ من صلاته سكن لنا، ولم يبق بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله من هو بهذه الصفة، فسقط عنا وجوب الزكاة، ليس هٰذا من الردة في شيء، وإنما سماهم الصحابة أهل الردة علىٰ سبيل المجاز، اعظاما لما قالوه وتأولوه.

فإن قيل: إنما الاعتماد علىٰ قتال أبي بكر وأصحابه لمسيلمة وطليحة اللذين ادعيا النبوة، وارتد بطريقهما كثير من العرب، لا علىٰ قتال مانعي الزكاة.

قيل: إن مسيلمة وطليحة جاهدا[3] رسول الله صلى الله عليه وآله قبل موته بالكتب والرسل، وأنفذ لقتلهما جماعة من المسلمين، وأمرهم أن يفتكوا بهما غيلة إن أمكنهم ذلك، واستنفر عليهما قبائل من العرب، وكل ذٰلك مفصلا مذكور في كتب السيرة والتواريخ، فلم لا يجوز أن يكون أولٰئك النفر الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وآله للفتك بهما، هم المعنيون بقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ إلىٰ آخر الآية[4]، ولم يقل في الآية: (يجاهدون فيقتلون)، وإنما ذكر الجهاد فقط[5]، وقد كان الجهاد من أولٰئك النفر حاصلا وإن لم يبلغوا الغرض، كما كان الجهاد حاصلا عند حصار الطائف وإن لم يبلغ فيه الغرض.

---

(١) من المصدر. (٢) الآية ١٠٣ من سورة التوبة.

(٣) في المصدر: جاهدهما. (٤) اية ٥٤ من سورة المائدة.

(٥) حيث قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

وقد كان له أيضا أن يقول أيضا: سياق الآية لا يدل علىٰ ما ظنه المستدل بها من أنه من يرتدد عن الدين، فإن الله يأتي بقوم يحبهم ويحبونه يحاربونه لأجل ردته، وإنما الذي يدل عليه سياق الآية إنه من يرتد منكم عن دينه بترك الجهاد مع رسول الله ﷺ ـ وسماه ارتدادا علىٰ سبيل المجاز ـ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، يجاهدون في سبيل الله معه عوضا عنكم، وكذلك كان كل من خذل النبي ﷺ وقعد عن النهوض معه في حروبه، أغناه الله تعالىٰ بطائفة أخرىٰ من المسلمين جاهدوا بين يديه.

فأما[1] قول المرتضىٰ رضي الله عنه: (أنها نزلت في الناكثين والقاسطين والمارقين الذين حاربهم أمير المؤمنين عليه السلام) فبعيد، لأنهم لا يطلق عليهم لفظ (الردة) عندنا، ولا عند المرتضىٰ وأصحابه، أما اللفظ فبالاتفاق وإن سموهم كفارا.

و[أما][2] المعنىٰ: فلأن في مذهبهم إن من ارتد ـ وكان قد ولد علىٰ فطرة الإسلام ـ بانت امرأته منه، وقسم ماله بين ورثته، وكان علىٰ زوجته عدة المتوفىٰ عنها زوجها، ومعلوم أن أكثر محاربي أمير المؤمنين عليه السلام كانوا قد ولدوا في الإسلام، ولم يحكم فيهم بهذه الأحكام.

وقول المرتضىٰ [رضي الله عنه]: (إن الصفات غير متحققة في صاحبنا دون صاحبكم)، فلعمري أن حظ أمير المؤمنين عليه السلام منها هو الحظ الأوفىٰ، ولكن الآية ما خصت الرئيس بالصفات المذكورة، وإنما أطلقها علىٰ المجاهدين، هم الذين يباشرون الحرب، فهب إن أبا بكر وعمر ما كانا بهذه الصفات، لم لا يجوز أن يكون مدحا لمن جاهد بين أيديهما من المسلمين، وجاهد[3] الحرب، وهم شجعان المهاجرين والأنصار الذين فتحوا الفتوح، ونشروا الدعوة، وملكوا الأقاليم.

وقد استدل أيضا قاضي القضاة عن صحة إمامة أبي بكر، وأسند هٰذا الاستدلال إلىٰ شيخنا أبي علي، بقوله تعالىٰ: ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[4]،

---

(١) في المصدر: وأما.

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: وباشر.

(٤) الآية ١١ من سورة الفتح.

وقال تعالىٰ: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾[1]، وقال تعالىٰ: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾[2]، يعني: قوله تعالىٰ: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ﴾[3]، ثم قال سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[4].

فبين أن الذي يدعو هٰؤلاء الـ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ إلىٰ قتال قوم ﴿أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ غير النبيﷺ، و[لأنه][5] قد بين تعالىٰ أنهم لا يخرجون معه ولا يقاتلون معه عدوا بآية متقدمة، ولم يدعهم بعد النبيﷺ إلىٰ قتال الكفار إلا أبو بكر وعمر وعثمان، لأن أهل التأويل لم يقولوا في هٰذه الآية غير وجهين من التأويل، فقال بعضهم عنىٰ بقوله: [﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾[6] بني حنيفة[7].. وقال بعضهم: عنىٰ فارس والروم[8].

[وأبو بكر هو الذي دعا إلىٰ قتال بني حنيفة وقتال آل فارس والروم][9]، ودعاهم بعده إلىٰ قتال فارس والروم عمر، [فـ][10]إذا كان الله تعالىٰ قد بين أنهم بطاعتهم لهما يؤتهم أجرا حسنا، وإن تولوا عن طاعتهما يعذبهم عذابا أليما، صح أنهما علىٰ حق، وأن طاعتهما طاعة لله تعالىٰ، وهٰذا يوجب صحة إمامتهما.

فإن قيل: إنما أراد الله تعالىٰ بذلك أهل الجمل وصفين.

---

(١) الآية ٨٣ من سورة التوبة.
(٢) الآية ١٥ من سورة الفتح.
(٣) الآية ٨٣ من سورة التوبة.
(٤) الآية ١٦ من سورة الفتح.
(٥) من المصدر.
(٦) الآية ١٦ من سورة الفتح.
(٧) الكشاف (ج٣، ص٥٤٥) وتفسير مقاتل بن سليمان (ج٣، ص٢٥) وغيرهما.
(٨) جامع البيان (ج٢٦، ص١٠٧).
(٩) من المصدر.
(١٠) من المصدر.

قيل: هٰذا فاسد من وجهين:

° **(أحدهما)**: قوله تعالىٰ: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ﴾[1]، والذين حاربوا أمير المؤمنين[عَلَيْهِ السَّلَامُ] كانوا علىٰ الإسلام، ولم يقاتلوا علىٰ الكفر، و:

° **(الوجه الثاني)**: إنا لا نعرف من الذين عناهم الله تعالىٰ بهٰذا من بقي إلىٰ أيام أمير المؤمنينعَلَيْهِ السَّلَامُ كما علمنا أنهم كانوا باقين في أيام أبي بكر.

اعترض المرتضىٰرَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2] علىٰ هٰذا الكلام من وجهين:

· **(أحدهما)**:

أنه نازع في اقتضاء الآية داعيا يدعو هٰؤلاء المخلفين غير النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وذلك لأن قوله تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا ﴿١١﴾ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾[3]، إنما أراد سبحانه: الذين تخلفوا عن الحديبية، بشهادة جميع أهل النقل وإطباق المفسرين[4].

ثم قال تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[5]، وإنما التمس هٰؤلاء المخلفون أن يخرجوا إلىٰ غنيمة خيبر، فمنعهم الله [تعالىٰ][6] من ذلك، وأمر نبيهعَلَيْهِ السَّلَامُ أن يقول لهم: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ إلىٰ هٰذه الغزاة، لأن الله تعالىٰ كان حكم من قبل بأن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية، وإنه لاحظ فيها لمن لم يشهدها، وهٰذا هو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُ﴾.

---

(١) الآية ١٦ من سورة الفتح. (٢) في كتابه الشافي (ج٤، ص٣٦).

(٣) الآيتان ١١ و١٢ من سورة الفتح.

(٤) جوامع الجامع (ج٣، ص٣٨٣) وتفسير السمرقندي (ج٣، ص٢٩٩) وتفسير الثعلبي (ج٩، ص٤٥) وتفسير الواحدي (ج٢، ص١٠٠٨) وتفسير البغوي (ج٤، ص١٩١) وغيرها.

(٥) الآية ١٥ من سورة الفتح.

(٦) من المصدر.

ثم قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾[(١)]، وإنما أراد أن الرسول عليه السلام سيدعوهم[(٢)] فيما بعد إلىٰ قتال قوم أولي بأس شديد، وقد دعاهم النبي صلى الله عليه وآله بعد ذٰلك إلىٰ غزوات كثيرة، ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، كمؤتة وحنين وتبوك وغيرهما، فمن أين يجب أن يكون الداعي لهؤلاء غير النبي صلى الله عليه وآله، مع ما ذكرناه من الحروب التي كانت بعد خيبر.

وقوله إن معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ إنما اراد به ما بينه في قوله: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا﴾[(٣)]، غلط فاحش من طريق التاريخ، لأن هٰذه الآية في سورة التوبة، وإنما نزلت بتبوك سنة تسع، وآية الفتح نزلت في سنة ست، فكيف يكون قبلها؟!

وليس يجب أن يقال في القرآن بالإرادة، وبما يحتمل من الوجوه في كل موضع دون الرجوع إلىٰ تاريخ نزول الآي، والأسباب التي وردت عليها، وتعلقت بها.

ومما يبين لك أن هٰؤلاء المخلفين غير أولٰئك لو لم نرجع في ذٰلك إلىٰ نقل وتاريخ، في قوله تعالىٰ في هؤلاء: ﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[(٤)]، فلم يقطع منهم علىٰ طاعة ولا معصية، بل ذكر الوعد والوعيد علىٰ ما يفعلونه من طاعة أو معصية.

وحكم المذكورين في آية سورة التوبة بخلاف هذه، لأنه تعالىٰ بعد قوله: ﴿رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾[(٥)]، واختلاف أحكامهم وصفاتهم يدل علىٰ اختلافهم، وإن المذكورين في آية سورة الفتح غير المذكورين في آية سورة التوبة.

---

(١) الآية ١٦ من سورة الفتح.

(٢) في المصدر: سيدعوكم.

(٣) الآية ٨٣ من سورة التوبة.

(٤) الآية ١٦ من سورة الفتح.

(٥) الايات ٨٣- ٨٥ من سورة التوبة.

فأما[١] قوله تعالىٰ: لأن أهل التأويل لم يقولوا في هٰذه الآية غير وجهين من التأويل [فـ][٢]ذكرهما باطل، لأن أهل التأويل قد ذكروا شيئا آخر لم نذكره[٣]، لأن المسيب روىٰ عن أبي روق، عن الضحاك، في قوله تعالىٰ: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ الآية[٤]، قال: هم ثقيف[٥].

وروىٰ هيثم[٦]، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: هم هوازن يوم صفين[٧].

وروىٰ الواقدي، عن معمر بن قتادة، قال: هم هوازن وثقيف[٨].

فكيف ذكر من أقوال المفسرين [ما يوافقه مع اختلاف الرواية عنهم علىٰ أنا لا نرجع في كل ما يحتمله تأويل القرآن إلىٰ أقوال المفسرين][٩]، فإنهم ربما تركوا ما يحتمله القول وجها صحيحا، وكم استخرج جماعة من أهل العدل في متشابه القرآن من الوجوه الصحيحة التي ظاهر التنزيل بها أشبه، ولها أشد احتمالا، مما لم يسبق إليه المفسرون، ولا دخل في جملة تفسيرهم وتأويلهم.

و:

• **(الوجه الثاني):**

علم[١٠] فيه أن الداعي لهؤلاء المخلفين غير النبي صلى الله عليه وآله، وقال: لا يمتنع أن يعني بهٰذا الداعي أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه قاتل بعده الناكثين والقاسطين والمارقين، وبشره النبي صلى الله عليه وآله بأنه يقاتلهم، وقد كانوا أولي بأس شديد بلا شبهة.

قال: فأما تعلق صاحب الكتاب بقوله: ﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾، فإن الذين حاربهم أمير المؤمنين عليه السلام كانوا مسلمين، فأول ما فيه إنهم غير مسلمين عنده وعند

---

(١) في المصدر: وأما.

(٢) كما في المصدر.

(٣) في المصدر: يذكره.

(٤) الآية ١٦ من سورة الفتح.

(٥) التبيان (ج٩، ص٣٢٦).

(٦) في شرح نهج البلاغة: هشيم.

(٧) جامع البيان (ج٣٦، ص١٠٧).

(٨) فتح القدير (ج٥، ص٥٠).

(٩) من المصدر.

(١٠) في المصدر: سلم.

أصحابه، لأن الكبائر تخرج من الإسلام عندهم كما تخرج عن الإيمان إذا كان الإيمان هو الإسلام علىٰ مذهبهم، ثم إن مذهبنا في محاربي أمير المؤمنين[عليه السلام] معروف، لأنهم عندنا كانوا كفارا بمحاربته لوجوه:

ـ **[الأول]**(١) **منها:**

إن من حاربه كان مستحلا لقتاله، مظهرا إنه في ارتكابه علىٰ الحق، ونحن نعلم أن من أظهر استحلال شرب جرعة خمر فهو كافر بالإجماع، واستحلال دماء المؤمنين فضلا عن أفاضلهم وأكابرهم أعظم من شرب الخمر واستحلاله، فيجب أن يكونوا من هٰذا الوجه كفارا.

ـ **و[الثاني]**(٢) **منها:**

أنه عليه السلام قال لهم بلا خلاف بين أهل النقل: «**حربك يا علي حربي، وسلمك سلمي**»(٣)، ونحن نعلم أنه لم يرد إلا التشبيه بينهما في الأحكام، ومن أحكام محاربي النبي صلى الله عليه وآله الكفر بلا خلاف.

ـ **و[الثالث]**(٤) **منها:**

إن النبي صلى الله عليه وآله قال له بلا خلاف [أيضا](٥): «**اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله**»(٦)، وقد ثبت عندنا أن العداوة من الله لا تكون إلا للكفار الذين يعادونه دون فساق أهل الملة.

ـ **و[الرابع]**(٧):

أما قوله: إنا لا نعلم ببقاء هٰؤلاء المخالفين إلىٰ أيام أمير المؤمنين عليه السلام فليس بشيء، لأنه إذا لم يكن ذٰلك معلوما أو(٨) مقطوعا عليه، فهو مجوز وغير معلوم خلافه، والجواب(٩) كاف لنا في هٰذا الموضع.

---

(١) من المصدر. (٢) من المصدر.

(٣) كما في الترمذي (ج٢، ص٣٢٠) المناقب للخوارزمي (ص٧٦) وميزان الاعتدال (ج١، ص٣٥) وينابيع المودة (ص٨٣) وغيرها.

(٤) من المصدر.

(٥) من المصدر.

(٦) حديث الغدير المتواتر.

(٧) كما في المصدر.

(٨) في شرح نهج البلاغة: و.

(٩) في المصدر: والجواز.

ولو قيل له: من أين علمت بقاء المخالفين المذكورين في الآية علىٰ سبيل القطع إلىٰ أيام أبي بكر، لكان يفزع إلىٰ أن يقول حكم الآية يقتضي بقاءهم حتىٰ يتم كونهم مدعوين إلىٰ قتال أولي البأس الشديد علىٰ وجه تلزمه[1] فيه الطاعة، وهٰذا بعينه يمكن أن يقال له، ويعتمد في بقائهم إلىٰ أيام أمير المؤمنين عليه السلام علىٰ ما يوجبه حكم الآية.

فإن قيل: كيف يكون أهل الجمل وصفين كفارا ولم يسر أمير المؤمنين عليه السلام فيهم بسيرة الكفار، لأنه ما سباهم، ولا غنم أموالهم، ولا تبع موليهم.

قلنا: أحكام الكفر تختلف، وإن شملهم اسم (الكفر)، لأن في الكفار: من يقتل ولا يستبقي، وفيهم: من يؤخذ منه الجزية ولا يحل قتله إلا بسبب طارئ غير الكفر، ومنهم: من لا يجوز نكاحه علىٰ مذهب أكثر المسلمين، فعلىٰ هٰذا يجوز أن يكون أكثر هٰؤلاء القوم كفارا، وإن لم يسر فيهم بجميع سيرة أهل الكفر، لأنا قد بينا اختلاف أحكام الكفر، ويرجع في أن حكمهم مخالف لأحكام الكفار إلىٰ فعله عليه السلام وسيرته فيهم.

علىٰ أنا لا نجد في الفساق من حكمه أن يقتل مقبلا، ولا يقتل موليا، ولا يجهز علىٰ جريحه، إلىٰ غير ذٰلك من الأحكام التي سيرها في أهل البصرة وصفين.

فإذا قيل في جواب ذلك: أحكام الفسق مختلفة، وفعل أمير المؤمنين عليه السلام هو الحجة في أن حكم أهل البصرة وصفين ما فعله.

قلنا: مثل ذٰلك حرفا بحرف، ويمكن مع تسليم أن الداعي لهؤلاء المخالفين أبو بكر، أن يقال: ليس في الآية دلالة علىٰ مدح الداعي ولا علىٰ إمامته، لأنه قد يجوز أن يدعو إلىٰ الحق والصواب من ليس عليهما، فيلزم ذٰلك الفعل من حيث كان واجبا في نفسه، لا لدعاء الداعي إليه، وأبو بكر إنما دعا إلىٰ دفع أهل الردة في[2] الإسلام، وهٰذا يجب علىٰ المسلمين بلا دعاء داع، والطاعة فيه طاعة لله تعالىٰ، فمن أين له أن الداعي كان علىٰ حق وصواب وليس في كون ما دعا إليه طاع ما يدل علىٰ ذلك.

---

(١) في المصدر: يلزمهم.

(٢) في شرح نهج البلاغة: عن، وفي الشافي: إلى.

ويمكن أيضا أن يكون قوله تعالىٰ: ﴿سَتُدْعَوْنَ﴾ إنما أراد به دعاء الله تعالىٰ لهم بإيجاب القتال عليهم، لأنه إذا دلهم علىٰ وجوب قتال المرتدين، ودفعهم عن بيضة الإسلام، فقد دعاهم إلىٰ القتال، ووجب أن يكون عليهم الطاعة، ووجب لهم الثواب إن أطاعوا، وهٰذا أيضا تحتمله الآية.

فهذه جملة ما ذكره المرتضىٰ رضي الله عنه في هٰذا الموضع، وأكثره جيد لا اعتراض عليه، وقد كان يمكنه أن يقول: لو سلمنا بكل هٰذا لكان ليس في قوله: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِيَ أَبَدًا﴾ الآية ما يدل علىٰ أن النبي ﷺ لا يكون هو الداعي لهم إلىٰ القوم أولي البأس الشديد، لأنه ليس فيها إلا محض الأخبار عنهم بأنهم لا يخرجون معه ولا يقاتلون العدو معه، وليس في هٰذا ما ينفي كونه داعيا لهم، كما أنه عليه السلام قال: «**أبو لهب لا يؤمن بي**»، لم يكن هٰذا القول نافيا لكونه يدعوه إلىٰ الإسلام.

وقوله: ﴿فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾[1] ليس بأمر علىٰ الحقيقة، وإنما هو تهديد كقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾[2].

ولا بد للمرتضىٰ ولقاضي القضاة جميعا أن يحملا صيغة (افعل) ها هنا علىٰ هٰذا المحمل، لأنه ليس لأحدهما بمسوغ أن يحمل الأمر علىٰ حقيقته، لأن الشارع لا يأمر بالقعود وترك الجهاد مع القدرة عليه، وكونه قد تعين وجوبه.

فإن قلت: قد[3] قدرنا هٰذه الآية؛ وهي: قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[4] أنزلت بعد غزوة تبوك، وبعد نزول سورة براءة، التي تتضمن قوله تعالىٰ: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِيَ أَبَدًا﴾[5]، وقدرنا أن قوله تعالىٰ: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِيَ أَبَدًا﴾ ليس إخبارا محضا كما تأولته أنت وحملت الآية عليه، بل معناه: لا أخرجكم معي ولا أشهدكم حرب العدو، هل كان يتم الاستدلال؟

قلت: لا، لأن للإمامية أن تقول: يجوز أن يكون الداعي إلىٰ حرب القوم أولي البأس الشديد، مع تسليم هٰذه المقدمات كلها هو رسول الله ﷺ،

---

(١) الآية ٨٣ من سورة التوبة.

(٢) الآية ٤٠ من سورة فصلت.

(٣) في المصدر: لو.

(٤) الآية ١٦ من سورة الفتح.

(٥) الآية ٨٣ من سورة التوبة.

لأنه دعاهم إلىٰ حرب الروم في سرية أسامة بن زيد في صفر من سنة إحدىٰ عشرة، لما سيره إلىٰ البلقاء[١]، وقال له: سر إلىٰ الروم إلىٰ مقتل أبيك فأوطئهم الخيول، وحشد معه أكثر المسلمين، فهٰذا الجيش قد دعىٰ فيه المخلفون من الأعراب الذين قعدوا عن الجهاد في غزاة تبوك إلىٰ قوم أولي بأس شديد، ولم يخرجوا مع رسول الله[ﷺ]، ولا حاربوا معه عدوا.

فإن قلت: إذا خرجوا مع أسامة، فكأنما خرجوا مع رسول اللهﷺ، وإذا حاربوا مع أسامة العدو فكأنما حاربوا مع رسول اللهﷺ، وقد كان سبق أنهم لا يخرجون مع رسول اللهﷺ ولا يحاربون معه عدوا.

قلت: وإذا خرجوا مع خالد بن الوليد وغيره في أيام أبي بكر، ومع أبي عبيدة وسعد [في][٢] أيام عمر، فكأنما خرجوا مع رسول الله[ﷺ]، وحاربوا العدو معه أيضا.

فإن اعتذرت بأنه وإن شابه الخروج معهعليه السلام والحرب معه إلا أنه علىٰ الحقيقة ليس معه وإنما هو مع امراء[٣] من قبل خلفائه.

قيل لك: وكذلك خروجهم مع أسامة، ومحاربة العدو معه، وإن شابه الخروج مع النبيﷺ ومحاربة العدو معه إلا أنه علىٰ الحقيقة ليس معه، وإنما هو مع بعض أمرائه.

ويمكن أن يعترض الاستدلال بالآية، فيقال: لا يجوز حملها علىٰ بني حنيفة، لأنهم كانوا مسلمين، وإنما منعوا الزكاة مع قولهم: (لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله[ﷺ])، ومنع الزكاة لا يخرج به الإنسان عن الإسلام عند المرجئة[٤]، والإمامية مرجئة[٥]، ولا يجوز حملها علىٰ فارس والروم، لأنه تعالىٰ أخبر أنه لا واسطة بين قتالهم وإسلامهم، كما تقول: إما كذا وإما كذا، فيقتضي ذٰلك

(١) كورة من أعمال دمشق، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة.

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: امرئ.

(٤) المرجئة - بالهمزة- والمرجية - بالياء مخففة-: من الإرجاء، أرجأت الأمر أي أخرته، وهم فرقة من فرق الإسلام يزعمون إن أهل القبلة كلهم مؤمنون، ويعتقدون أن الله تعالى أرجأ تعذيبهم عن المعاصي، أي أخره عنهم (الصحاح: ج١، ص٥٢) والمقالات والفرق (ص٥).

(٥) قال الكراجكي في كنز الفوائد (ص٥٠): وهٰذا ظن المعتزلة فيهم (انتهى) إلا أن مرويات الشيعة عن أئمتهم عليهم السلام أنهم لا سهم لهم في الإسلام (اليقين: ص٢٩١).

نفي الواسطة، وقتال فارس والروم بينه وبين اسلامهم واسطة، وهو دفع الجزية، وإنما تنتفي هٰذه الواسطة في قتال العرب، لأن مشركي العرب لا تؤخذ منهم الجزية، فالآية إذن دالة علىٰ أن المخلفين ستدعون إلىٰ قوم أولي بأس شديد الحكم فيهم إما قتالهم وإما إسلامهم، وهؤلاء هم مشركوا العرب، ولم يحارب مشركي العرب إلا رسول الله ﷺ، فالداعي لهم إذا يكون[1] رسول الله ﷺ، وبطل الاستدلال بالآية.

الباب العشرون

في خطأ من استدل علىٰ إمامة أبي بكر من الخبر

وقال ابن أبي الحديد[2]: الحجة التي قررها الجاحظ، وخلاصتها: أن أبا بكر أسلم وهو ابن أربعين سنة، وعلي [عليه السلام] أسلم ولم يبلغ الحلم، فكان إسلام أبي بكر أفضل.

قال ابن أبي الحديد[3]: اعترض شيخنا أبو جعفر الاسكافي علىٰ الجاحظ في كتابه المعروف بـ(نقض العثمانية)[4]، قال: [فأما] حجة[5] الجاحظ لإمامة[6] أبي بكر بكونه أول الناس إسلاما، فلو كان هٰذا احتجاجا صحيحا لاحتج به أبو بكر يوم السقيفة، وما رأيناه صنع ذٰلك لأنه أخذ بيد عمر وبيد أبي عبيدة بن الجراح، وقال للناس: (قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا منهما من شئتم)[7]، ولو كان هٰذا احتجاجا صحيحا لما قال عمر: (كانت بيعة أبي بكر فلتة وقىٰ الله شرها)[8]، ولو كان احتجاجا صحيحا لادعىٰ واحد من الناس لأبي بكر الإمام في عصره أو بعد عصره، بكونه سبق إلىٰ الإسلام، وما عرفنا أحدا

(١) في المصدر: هو.
(٢) في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢١٥).
(٣) في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٢٤).
(٤) العثمانية (جمع وتحقيق: عبدالسلام هارون: ص٢٨٦).
(٥) في المصدر: ما احتج به.
(٦) في المصدر: بإمامة.
(٧) تاريخ الطبري (ج٢، ص٢٣٣).
(٨) صحيح البخاري (ج٤، ص١٨٠).

ادعىٰ له ذلك، علىٰ أن جمهور المحدثين لم يذكروا أن أبا بكر أسلم إلا بعد عدة من الرجال، منهم: علي بن أبي طالب[عليه السلام]، وجعفر أخوه، وزيد بن حارثة، وأبو ذر الغفاري، وعمرو بن عنبسة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص، وخباب بن الأرت.

وإذا تأملنا الروايات الصحيحة، والأسانيد القوية الوثيقة، وجدناها كلها ناطقة بأن علي عليه السلام أول من أسلم.

فأما الرواية عن ابن عباس أن أبا بكر أولهم اسلاما[1]، فقد روي عن ابن عباس خلاف ذٰلك بأكثر مما رووا وأشهر، فمن ذلك:

ما رواه يحيىٰ بن حماد، عن أبي عوانة وسعيد بن عيسىٰ، عن أبي داوود الطيالسي، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس، أنه قال: أول من صلىٰ من الرجال علي عليه السلام[2].

وروىٰ الحسن البصري، قال: حدثنا عيسىٰ بن راشد، عن أبي بصير، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: فرض الله تعالىٰ الاستغفار لعلي عليه السلام في القرآن علىٰ كل مسلم، بقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[3]، فكل من أسلم بعد علي[عليه السلام] فهو يستغفر لعلي عليه السلام[4].

وروىٰ سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: السباق ثلاثة: سبق يوشع بن نون إلىٰ موسىٰ، وسبق صاحب (يس) إلىٰ عيسىٰ، وسبق علي بن أبي طالب[عليه السلام] إلىٰ محمد (عليه وعليهم السلام)[5].

فهٰذا قول ابن عباس في سبق علي عليه السلام إلىٰ الإسلام، وهو أثبت من حديث الشعبي وأشهر، علىٰ أنه قد روي عن الشعبي خلاف ذٰلك من حديث أبي بكر الهذلي، وداوود بن أبي هند عن الشعبي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: **«هٰذا أول من آمن بي وصدقني وصلىٰ معي»**[6].

---

(١) فهي من إخراج الحافظ الرجالي ابن مندة؛ أبو عبدالله محمد بن إسحاق الأصبهاني (المتوفى سنة ٣٥٥ للهجرة) وهي ضعيفة سندا كما عن غير واحد من الحفاظ (الإصابة: ج١، ص١٧٧) و(الخصايص الكبرى: ج١، ص٨٦) و(السيرة النبوية للحلبي: ج١، ص١٣٠) و(لسان الميزان: ج٤، ص٤٥) و(المواهب للقسطلاني: ج١، ص٥٠) و(ميزان الاعتدال: ج٢، ص٢٤٣).

(٢) الفصول المختارة (ص٢٦٦).

(٣) الآية العاشرة من سورة الحشر.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة (ج٢، ص٦٨١).

(٥) الآحاد والمثاني (ج١، ص١٥٠) وتخريج الآحاديث والآثار (ج٣، ص١٦٢) وغيرهما.

(٦) أنساب الأشراف (ج٢، ص١١٨) والمعجم الكبير (ج٦، ص٢٦٩).

قال ابن أبي الحديد[١]: قال شيخنا أبو جعفر الأسكافي بعد ذلك: فأما الأخبار الواردة بسبقه إلىٰ الإسلام المذكورة في الكتب الصحاح والأسانيد الموثوق بها، فمنها:

· [الخبر الأول]:

ما روىٰ شريك بن عبدالله، عن سليمان بن المغيرة، عن زيد بن وهب، عن عبدالله بن مسعود، أنه قال: أول شيء علمته من أمر رسول اللهﷺ أني قدمت مكة مع[٢] عمومة لي، وناس من قومي، وكان من أنفسنا شراء عطر، فأرشدنا[٣] إلىٰ[٤] العباس بن عبدالله[٥]، فانتهينا إليه، وهو جالس إلىٰ زمزم، فبينا نحن عنده جلوسا، إذا أقبل رجل من باب الصفا، وعليه ثوبان أبيضان، وله وفرة إلىٰ انصاف أذنيه جعدة[٦]، أشم[٧]، أقنىٰ[٨]، [أذنف][٩]، أدعج[١٠] العينيين، كث اللحية، براق الثنايا، أبيض تعلوه حمرة، كأنه القمر ليلة البدر، وعلىٰ يمينه غلام مراهق أو محتلم، حسن الوجه، تقفوهم امرأة، قد سترت محاسنها، حتىٰ قصدوا نحو الحجر، فاستلمه واستلمه الغلام، ثم استلمته المرأة، ثم طاف بالبيت سبعا، والغلام والمرأة يطوفان معه، ثم استقبل الحجر، فقام ورفع يديه وكبر، وقام الغلام إلىٰ جانبه، وقامت المرأة خلفهما، فرفعت يديها، وكبرت، فأطال القنوت، ثم ركع وركع الغلام والمرأة، ثم رفع رأسه فأطال، ورفع الغلام والمرأة معه، ثم سجد وسجد الغلام والمرأة معه، يصنعون[١١] مثل ما يصنع، فلما رأينا شيئا ننكره، لا نعرفه بمكة، أقبلنا علىٰ العباس، فقلنا: يا أبا الفضل؛ إن هٰذا الدين ما كنا نعرفه فيكم.. قال: أجل والله.. قلنا: فمن هذا؟ قال: هٰذا

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٢٥).

(٢) أو: في.

(٣) في مصدر: فأرشدونا.

(٤) في مصدر: على.

(٥) في المصدر: عبدالمطلب.

(٦) أي: ليس بسبط (النهاية: ج١، ص٢٧٥).

(٧) الشمم: ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها (النهاية: ج٢، ص٥٠٢).

(٨) القنا في الأنف: طوله ورقة أرنبته مع حدب في وسطه (النهاية: ج٤، ص١١٦).

(٩) كما في مصدر: و(الأذنف) القصير (النهاية: ج٢، ص١٦٥).

(١٠) أسود (النهاية: ج٢، ص١١٩).

(١١) في المصدر: يصنعان.

ابن أخي، [هـذا][1] محمد بـن عبـدالله[صلى الله عليه وآله]، وهٰذا الغـلام ابن أخي أيضـا، هٰذا علي بن أبـي طالب[عليه السلام]، وهـذه المـرأة زوج محمد[صلى الله عليه وآله]، هٰـذه خديجة بنت خويلد، والله ما علىٰ وجه الأرض أحد يدين بهٰذا الدين إلا [هؤلاء] الثلاثة[2].

· [الخبر الثاني]:

ومـن حديـث موسـىٰ بن داوود، عـن خالد بـن نافع، عـن عفيف بـن قيس الكندي، وقـد رواه عن عفيـف أيضا: مالك بن إسـماعيل النهدي، والحسـن بن عنبسـة الوراق، وإبراهيم بـن محمد بن ميمونـة، قالوا: جميعا: حدثنا سـعيد بن جشـم، عن أسـد بن عبدالله البجلي، عـن يحيىٰ بـن عفيف بن قيس، عـن أبيه، قـال: كنت فـي الجاهليـة عطـارا، فقدمت إلـىٰ مكـة، فنزلـت علـىٰ العباس بن عبدالمطلـب، فبينا أنا جالـس عنده، أنظر إلـىٰ الكعبة وقد تحلقت الشـمس في السـماء، أقبل شـاب كأن في وجهه القمر، حتىٰ رمـىٰ ببصره إلىٰ السـماء، فنظر إلىٰ الشـمس سـاعة، ثم أقبل حتىٰ دنا مـن الكعبة، فصف قدميـه يصلي، فخرج علىٰ أثره فتىٰ كأن وجهه صفيحة يمانية[3]، فقام عن يمينه، فجاءت امرأة متلفقة في ثيابهـا، فقامت خلفهمـا، فأهوىٰ الشـاب راكعـا، [فركعا معـه][4]، ثم أهوىٰ في الأرض ساجدا، فسـجدا [معه][5]، فقلت للعباس: يا أبا الفضل؛ أمر عظيم!! فقـال: أمـر والله عظيم، أتدري مـن هٰذا الشـاب؟ قلـت: لا. قال: هٰـذا ابن أخي، هٰذا محمد بـن عبدالله بن عبدالمطلـب.. أتدري من هٰـذا الفتىٰ؟ قلـت: لا. قال: هٰذا ابن أخي علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب، أتـدري من المرأة؟ قلت: لا.. قال: هٰذه ابنة خويلد بن أسـد بن عبدالعزىٰ، هٰذه خديجة زوج محمد هذا، وأن محمدا هٰذا يذكـر أن إلهه إلٰه السـماء والأرض، وأمره بهٰذا الديـن فهو عليه كما ترىٰ، ويزعم أنه نبـي، وقد صدقه علىٰ قولـه علىٰ ابن عمه هٰـذا الفتىٰ، وزوجته خديجة هٰـذه المرأة، والله ما أعلم علـىٰ وجه الأرض كلها أحدا علـىٰ هٰذا الدين غير هٰؤلاء الثلاثة.

---

(١) من المصدر.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام (ص٤٩) والمناقب للخوارزمي (ص٥٦) ومجمع الزوائد (ج٩، ص٢٢٢).

(٣) سيف يماني رقيق الحد.

(٤) من المصدر.

(٥) من المصدر.

قال عفيف: فقلت له: فما تقولون أنتم؟ قال: ننتظر الشيخ ما يصنع.. يعني أبا طالب أخاه.

· [الخبر الثالث]:

وروىٰ عبيدالله بن موسىٰ، والفضل بن دكين، والحسن بن عطية، قالوا: حدثنا خالد بن طمهان، عن نافع بن أبي نافع، عن معقل بن يسار، قال: كنت أوصي النبيﷺ، فقال لي: هل لك أن نعود فاطمة[عليها السلام]؟ قلت: نعم يا رسول الله.. فقام يمشي متوكئا عليّ، وقال: أما سيحمل ثقلها غيرك، ويكون أجرها لك.. قال: فوالله كأنه لم يكن عليٰ من ثقل النبيﷺ شيء.

فدخلنا علىٰ فاطمةعليها السلام، فقال لهاﷺ: «**كيف تجدينك**».. قالت: «**لقد طال أسفي، واشتد حزني، وقال لي النساء زوجك أبوك فقيرا لا مال له**».. فقال لها: «**أما ترضين إني زوجتك أقدم أمتي سلما، وأكثرهم علما، وأفضلهم حلما**».. قالت[عليها السلام]: «**بلىٰ رضيت يا رسول الله**».

وقد روىٰ هٰذا الخبر يحيىٰ بن عبدالحميد، وعبدالسلام بن صالح، عن قيس بن الربيع، عن أبي أيوب الأنصاري، بألفاظه، أو: نحوه[1].

· [الخبر الرابع]:

[قال ابن أبي الحديد][2]: وروىٰ عبدالسلام بن صالح، عن إسحاق الأزرق، عن جعفر بن محمد، عن آبائه، أن رسول اللهﷺ لما زوج فاطمة[عليها السلام]، دخل النساء عليها، فقلن: يا بنت رسول الله؛ خطبك فلان وفلان، فردهم عنك، وزوجك فقيرا لا مال له.. فلما دخل عليها أبوهاﷺ رأىٰ ذٰلك في وجهها، فسألها فذكرت له ذلك، فقال[ﷺ]: «**يا فاطمة؛ إن الله أمرني فأنكحتك أقدمهم سلما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما، وما زوجتك إلا بأمر من السماء، أما علمت أنه أخي في الدنيا والآخرة**».

· [الخبر الخامس]:

وروىٰ عثمان بن سعيد، عن الحكم بن ظهير، عن السدي، أن أبا بكر وعمر خطبا فاطمةعليها السلام، فردهما رسول اللهﷺ، وقال: «**لم أؤمر بذلك**».. فخطبها عليعليه السلام، فزوجه[ﷺ] إياها، وقال لها: «**زوجتك أقدم الأمة إسلاما...**»، وذكر تمام الحديث.

---

(١) مسند أحمد (ج٥، ص٢٦). (٢) شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٢٧).

قال: وقد روىٰ هٰذا الخبر جماعة من الصحابة، منهم: أسماء بنت عميس، وأم أيمن، وأم عباس، وجابر بن عبدالله.

• [الخبر السادس]:

قال[1]: وقد روىٰ محمد بن عبدالله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده (عن)[2] أبي رافع، قال: أتيت أبا ذر بالربذة أودعه، فلما أردت الانصراف، قال لي ولأناس معي: ستكون فتنة فاتقوا الله، وعليكم بالشيخ علي بن أبي طالب[عليه السلام] فاتبعوه، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له: «**أنت أول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وأنت الصديق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين، وأنت أخي ووزيري، وخير من اترك بعدي، تقضي ديني وتنجز موعدي**»[3].

• [الخبر السابع]:

قال[4]: وقد روىٰ ابن أبي شيبة، عن عبدالله بن نمير، عن العلاء بن صالح، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبدالله الأسدىٰ، قال: سمعت علي بن أبي طالب[عليه السلام]، يقول: «**أنا عبدالله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها غيري إلا كذاب، ولقد صليت قبل الناس سبع سنين**»[5].

• [الخبر الثامن]:

وروت معاذة بنت عبدالله العدوية، قال: سمعت علياً عليه السلام يخطب علىٰ منبر البصرة، ويقول: «**أنا الصديق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم**»[6].

---

(١) كما في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٢٨).

(٢) غير موجودة في المصدر.

(٣) كذلك الخبر في: الأمالي للشجري (ج١، ص١٤٤) وبشارة المصطفى (ص١٠٣) وتاريخ دمشق (ج٤٢، ص٤٢) وذخائر العقبى (ص١٠٨) والمناقب للكوفي (ج١، ص٢٨٤) وغيرها.

(٤) شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٢٨).

(٥) كذلك في أسد الغابة (ج٤، ص١٧) وتذكرة الخواص (ص١١٦) وخصائص النسائي (ص٤٦) وسنن ابن ماجه (ج١، ص٤٤) والفضائل لابن حنبل (ص٧٨) وغيرها.

(٦) أنساب الأشراف (ج٢، ص١٤٦) وذخائر العقبى (ص٥٨) والرياض النضرة (ج٢، ص١٥٥) والمعارف (ص٧٣) ومناقب آل أبي طالب (ج٢، ص٤) وغيرها.

· [الخبر التاسع]:

وروت[1] حبة بن جوين العرني: أنه سمع علياعليه السلام يقول: «**أنا أول رجل أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله**».

رواه أبوداوود الطيالسي، عن شعبة، عن سفيان الثوري، عن سلمة بن كهيل، عن حبة بن جوين.

· [الخبر العاشر]:

وروىٰ عثمان بن سعيد الخراز، عن علي بن حرار، عن علي بن عامر، عن أبي الحجاف، عن حكيم ـ مولىٰ زاذان ـ ، قال: سمعت علياعليه السلام يقول: «**صليت قبل الناس سبع سنين، وكنا نسجد ولا نركع، وأول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر، فقلت: يا رسول الله، ما هٰذا قد أمرت به**».

· [الخبر الحادي عشر]:

وروىٰ إسماعيل بن عمرو، عن قيس بن الربيع، عن عبدالله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبدالله، قال: صلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاثنين، وصلىٰ علي[عليه السلام] يوم الثلاثاء بعده[2].

· [الخبر الثاني عشر]:

وفي الرواية الأخرىٰ، عن أنس بن مالك، استنبئ النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين، وأسلم علي[عليه السلام] يوم الثلاثاء بعده.

· [الخبر الثالث عشر]:

وروىٰ أبو رافع: أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلىٰ أول صلاة صلاها غداة الاثنين، وصلت خديجة آخر نهار يومها ذلك، وصلىٰ علي عليه السلام يوم الثلاثاء عند[3] ذٰلك اليوم[4].

· [الخبر الرابع عشر]:

قال[5]: وقد روىٰ بروايات مختلفة كثيرة متعددة، عن زيد بن أرقم، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبدالله، وأنس بن مالك: أن علياعليه السلام أول من أسلم، وذكر الروايات والرجال بأسمائهم.

---

(١) في المصدر: وروى.

(٢) المستدرك (ج٣، ص١١٢) وتحفة الأحوذي (ج١٠، ص١٦٠) وغيرهما.

(٣) في المصدر: غدا.

(٤) العثمانية (ص٢٩١).

(٥) في العثمانية (ص٢٩١).

• [الخبر الخامس عشر]:

وروىٰ سلمة بن كهيل، عن رجاله الذين ذكرهم أبو جعفر في الكتاب، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**أولكم ورودا**[(١)] **علىٰ الحوض أولكم اسلاما علي بن أبي طالب**»[(٢)].

• [الخبر السادس عشر]:

وروىٰ أنس[(٣)] بن محمد بن أيمن، عن أبي حازم - مولىٰ ابن عباس - ، عن ابن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول: كفوا عن علي بن أبي طالب[عليه السلام] فإني سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله [يقول][(٤)] فيه خصالا، لو أن خصلة منها في جميع آل الخطاب كان أحب لي مما طلعت عليه الشمس، كنت ذات يوم وأبو بكر وعثمان وعبدالرحمن ابن عوف وأبو عبيدة مع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله نطلبه، فانتهينا إلىٰ باب أم سلمة، فوجدنا عليا متكئا علىٰ نجاف[(٥)] الباب، فقلنا: أردنا رسول الله صلى الله عليه وآله.. فقال: هو في البيت رويدكم.. فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله، فسرنا حوله، فاتكأ علىٰ علي عليه السلام وضرب [بيده][(٦)] علىٰ منكبه، فقال: «**أبشر يا [علي]**[(٧)] **بن أبي طالب إنك مخاصم، وإنك تخصم الناس بسبع لا يجاريك أحد في واحدة منهن: أنت أول الناس إسلاما، وأعلمهم بأيام الله**».. وذكر الحديث.

قال: وقد روىٰ أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله مثل هٰذا الحديث[(٨)].

• [الخبر السابع عشر]:

قال: وقد روىٰ أبو أيوب الأنصاري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**لقد صلت الملائكة علي وعلىٰ علي عليه السلام سبع سنين، وذلك أنه لم يصل معي رجل فيها غيره**»[(٩)].

---

(١) في بعض المصادر: واردا.

(٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (ج١، ص٢٨٠) والمستدرك للحاكم (ج٣، ص١٣٦) وتاريخ البغدادي (ج٢، ص٨١) وغيرها.

(٣) في المصدر: ياسين.

(٤) من المصدر.

(٥) النجاف ما بني ناتئا فوق الباب.

(٦) من المصدر.

(٧) من المصدر.

(٨) شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٢٥٨).

(٩) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (ج١، ص٢٨٣).

⊡ [تعليق أبو جعفر علىٰ بعض مرويات الجاحظ]:

[قال أبو جعفر: فأما ما رواه الجاحظ من قولهﷺ: «**إنما تبعني حر وعبد**»، فإنه لم يسم في هٰذا الحديث أبا بكر وبلالا، وكيف وأبو بكر لم يشتر بلالا إلا بعد ظهور الإسلام بمكة، فلما أظهر بلال إسلامه عذبه أمية بن خلف، ولم يكن ذٰلك حال إخفاء رسول اللهﷺ الدعوة، ولا في ابتداء أمر الإسلام، وقد قيل إنهعليه السلام إنما عنىٰ بالـ(حر): علي بن أبي طالب[عليه السلام]، وبالـ(عبد): زيد بن حارثة][1].

⊡ [تذييل وتتمة المصنف]:

علىٰ هٰذا نقتصر من الروايات في أن علياعليه السلام أول من أسلم كما رواه ابن أبي الحديد، مما رواه عن شيخه أبي جعفر الإسكافي، ومن أراد الوقوف علىٰ تمام ما ذكره ابن أبي الحديد من أبي جعفر هٰذا فعليه بكتاب (سلاسل الحديد)[2] الذي نقلناه من هٰذا الشرح المشار إليه في خطبة هٰذا الكتاب.

فقل ذكر[3] ابن أبي الحديد عن أبي جعفر هٰذا زيادة علىٰ ما ذكرناه هنا من روايته:

وروىٰ ابن أبي الحديد، عن أبي جعفر، ولكل في الكتاب المذكور مما لا مزيد عليه من الروايات في هٰذا المعنىٰ، والحمد لله.

الباب الحادي والعشرون

مبيت الإمام عليعليه السلام علىٰ فراش رسول الله[ﷺ] ليلة خروجه إلىٰ الغار والمهاجرة

قال ابن أبي الحديد[4]: قال الجاحظ[5]: فإن احتج محتج لعليعليه السلام بالمبيت علىٰ الفراش، فبين الغار والفراش فرق واضح، لأن الغار وصحبة أبي

(١) شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٣١).

(٢) الجزء الأول (ص٣٩١- ٤٣٠).

(٣) في المصدر: نقل.

(٤) شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٦١).

(٥) في العثمانية (ص٤٤).

بكر للنبي صلى الله عليه وآله قد نطق به القرآن، فصار كالصلاة والزكاة وغيرهما مما نطق به الكتاب، وأمر علي عليه السلام ونومه على الفراش، وإن كان ثابتا صحيحا، إلا أنه لم يذكر في القرآن، وإنما جاء مجيء الروايات والسير، وهٰذا لا يوازن هٰذا ولا يكايله.

قال ابن أبي الحديد[1]: قال شيخنا أبو جعفر رضي الله عنه: هٰذا فرق غير مؤثر، لأنه قد ثبت بالتواتر حديث الفراش، فلا فرق بينه وبين ما ذكر في نص الكتاب، ولا يجحده إلا مجنون أو غير مخالط لأهل الملة، أرأيت كون الصلوات خمسا، وكون زكاة الذهب ربع العشر، وكون خروج الريح ناقضا للطهارة، وأمثال ذٰلك مما هو معلوم بالتواتر حكمه هل هو مخالف لما نص في الكتاب عليه من الأحكام، هٰذا مما لا يقوله رشيد ولا عاقل.

علىٰ أن الله تعالىٰ لم يذكر اسم أبي بكر في الكتاب، وإنما قال: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ﴾[2]، وإنما علمنا أنه أبو بكر بالخبر وما ورد في السيرة، وقد قال أهل التفسير[3] إن قوله تعالىٰ: ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[4] كناية عن علي عليه السلام لأنه مكر بهم، وأول الآية: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أزالت في ليلة الهجرة، ومكرهم كان توزيع السيوف علىٰ بطون قريش، ومكر الله تعالىٰ هو مقام علي عليه السلام علىٰ الفراش، فلا فرق بين الموضعين في إنهما مذكوران كناية لا تصريحا.

وقد روىٰ المفسرون كلهم[5] إن قول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[6] نزلت في علي عليه السلام ليلة المبيت علىٰ الفراش، فهذه مثل قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ﴾ لا فرق بينهما.

قال الجاحظ[7]: وفرق آخر هو أنه لو كان مبيت علي عليه السلام علىٰ الفراش، جاء مجيء كون أبي بكر في الغار، لم يكن في ذٰلك كبير طاعة، لأن الناقلين

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٦٢). (٢) الآية ٤٠ من سورة التوبة.

(٣) التبيان (ج٥، ص١٠٩).

(٤) الآية ٣٠ من سورة الأنفال.

(٥) كما في تفسير الثعلبي (ج٢، ص١٢٥) وشواهد التنزيل (ج١، ص١٣١) وغيرهما.

(٦) الآية ٢٠٧ من سورة البقرة.

(٧) العثمانية (ص٤٥).

نقلوا أنهﷺ قال له: «**نم فلن يخلص إليك شيء تكرهه**»، ولم ينقل ناقل أنه قال لأبي بكر في صحبته إياه، وكونه معه في الغار مثل ذلك، ولا قال له: انفق واعتق فإنك لن تفتقر، ولن يصل إليك مكروه.

قال[1]: قال شيخنا أبو جعفر رضي الله عنه هٰذا هو الكذب الصراح، والتحريف، والإدخال في الرواية ما ليس منها، والمعروف والمنقول أنهﷺ قال: «**اذهب فاضطجع في مضجعي، وتغشّ بردائي[2] الحضرمي، فإن القوم سيفقدونني، ويتعاودون[3] مضجعي، فلعلهم إذا رأوك يسكنهم ذٰلك حتىٰ يصبحوا، فإذا أصبحت فاغد في أداء أمانتي**».

ولم ينقل ما ذكره الجاحظ، وإنما ولده أبو بكر الأصم، واحدة عند الجاحظ[4]، ولا أصل له، ولو كان هٰذا صحيحا لم يصل إليه مكروه منهم، وقد وقع الاتفاق علىٰ أنه ضرب ورمي بالحجارة قبل أن يعلموا ما هو حتىٰ تصوروا أنهم[5] قالوا له: رأينا تضورك، فإنا تركنا[6] نرمي محمدا ولا يتضور، ولأن لفظة المكروه وإن كان قالها إنما يراد بها القتل، فهب أنه أمن القتل، كيف يأمن من الضرب والهوان، ومن أين[7] يقطع[8] بعض أعضائه، وإن[9] سلمت نفسه أليس الله تعالىٰ قال لنبيه: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[10] ومع ذٰلك فقد كسرت رباعيته، وشج وجهه، وأدميت ساقه، وذلك لأنها عصمة من القتل خاصة، وكذلك المكروه الذي أومن عليعليه السلام منه ـ إن كان صح ذٰلك في الحديث ـ إنما هو مكروه القتل.

ثم يقال له وأبو بكر لا فضيلة له أيضا في كونه في الغار، فإن[11] النبيﷺ قال له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[12]، ومن يكون الله معه فهو آمن لا محالة

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٦٣). (٢) في المصدر: ببردي.
(٣) في المصدر: ولا يشهدون. (٤) في المصدر: وأخذه الجاحظ.
(٥) في المصدر: حتى تضور وأنهم. (٦) في المصدر: كنا.
(٧) في المصدر: أن.
(٨) في المصدر: ينقطع.
(٩) في المصدر: وبأن.
(١٠) الآية ٦٧ من سورة المائدة.
(١١) في المصدر: لأن.
(١٢) الآية ٤٠ من سورة التوبة.

من كل سوء، فكيف قلت: ولم ينقل ناقل أنه قال لأبي بكر في الغار، فكل ما يجيب به عن هٰذا فهو جوابنا عما أورده، فنقول له: هٰذا ينقلب عليك في النبي صلى الله عليه وآله، لأن الله تعالىٰ وعده بظهور دينه، وعاقبة أمره، فيجب علىٰ قولك أن لا[1] يكون مثابا عند الله تعالىٰ علىٰ ما يحتمله من المكروه، ولا ما يصيبه من الأذىٰ، إذ كان قد أيقن بالسلامة والفتح في عدته.

قال الجاحظ: ومن جحد كون أبي بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كفر، لأنه جحد نص الكتاب، ثم انظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[2] من الفضيلة لأبي بكر.

قال[3]: قال شيخنا [أبو جعفر][4] رضي الله عنه: إن أبا عثمان يجر علىٰ نفسه ما لا طاقة له به من مطاعن الشيعة، ولقد كان في غنية [عن التعلق][5] بما لا تعلق به، لأن الشيعة تزعم إن هٰذه الآية، بأن يكون عيبا وطعنا علىٰ أبي بكر أولىٰ من أن تكون نفسه[6] ومنقبة له، لأنه لما قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[7] دل علىٰ أنه قد حزن وقنط وأشفق علىٰ نفسه، وليس هٰذا من صفات المؤمنين الصابرين، ولا يجوز أن يكون حزنه طاعة، لأن الله تعالىٰ لا ينهىٰ عن الطاعة، فلو لم يكن ذنبا لم ينهه عنه.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ أي: إن الله عالم بحالنا وما نظمره من اليقين والشك، كما يقول الرجل لصاحبه: لا تضمرن سوء، ولا تنوين قبيحا، فإن الله تعالىٰ يعلم ما نسره وما نعلنه، وهٰذا مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾[8] أي: هو عالم بهم.

وأما السكينة فكيف يقول راجعة إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله [وبعدها قوله][9]: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾[10]، أترىٰ المؤيد بالجنود كان أبا بكر أم رسول الله صلى الله عليه وآله؟!!

---

(١) في المصدر: ألا.
(٢) الآية ٤٠ من سورة التوبة.
(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٦٤).
(٤) من المصدر.
(٥) من المصدر.
(٦) في المصدر: فضيلة.
(٧) الآية ٤٠ من سورة التوبة.
(٨) الآية السابعة من سورة المجادلة.
(٩) من المصدر.
(١٠) الآية ٤٠ من سورة التوبة.

وقولـه: (إنه مستغن عنها) ليـس بصحيـح، ولا يسـتغني أحد عـن ألطاف الله وتوفيقـه وتأييـده، وتثبيـت قلبه، وقـد قال الله فـي قصـة حنين: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾[1].

وأما الصحبة فلا تـدل إلا علـىٰ المرافقـة والإصطحاب لا غيـر، وقد يكون حيـث لا إيمـان، كمـا قـال الله تعالـىٰ: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾[2] ونحـن وإن كنا نعتقـد إخلاص أبي بكـر وإيمانه الصحيح السـليم، وفضيلتـه التامـة، إلا أنـا لا نحتـج له بمثـل مـا يحتج بـه الجاحظ مـن الحجج الواهية، ولا نتعلق بما يجر علينا دواهي الشيعة ومطاعنها.

قال الجاحـظ[3]: وإن كان المبيـت [علىٰ الفـراش][4] فضيلـة، فأين هي من فضائل أبي بكـر أيام مكة، من عتـق المعذبين وانفاق المال للمسـتجيبين[5]، مع فرق ما بين الطاعتين، لأن طاعة الشـاب العزيز[6] والحدث الصغير الذي في عز صاحبه عزه، ليسـت كطاعـة الحليم الكبيـر الـذي لا يرجع تسـويد صاحبه إلىٰ رهطه وعشيرته.

قال شـيخنا أبـو جعفـر رضي الله عنه: أمـا كثـرة المسـتجيبين، فالفضل فيهـا راجع إلىٰ المجيـب لا إلىٰ المجـاب، علىٰ أنا قد علمنا أن من اسـتجاب لموسـىٰ عليه السلام أكثر ممن اسـتجاب لنوح عليه السلام، وثواب نوح أكثر، لصبره علىٰ الأعداء، ومقاسـاة أخلافهم وعنتهم.

وأما إنفاق المال، فأين محنة الغني من محنة الفقير، وأين يعتدل إسلام من أسـلم وهو غني، إن جاع أكل، وإن أعيا ركب، وإن عرىٰ لبس، قد وثق بيسـاره واسـتغنىٰ بماله، واسـتعان علىٰ نوائـب الدنيا بثروتـه، ممن لا يجد قـوت يومه، وإن وجد لـم يسـتأثر به، فـكان الفقر علىٰ شـعاره، وفـي ذٰلك قيل الفقر شـعار المؤمن، وقال الله تعالىٰ لموسـىٰ: (يا موسـىٰ إذا رأيت الفقر مقبلا، فقل: مرحبا بشعار الصالحين)[7].

---

(١) الآيتان ٢٥ و٢٦ من سورة التوبة. (٢) الآية ٣٤ من سورة الكهف.

(٣) في العثمانية (ص٢٨). (٤) في المصدر. (٥) في المصدر: وكثرة المستجبين.

(٦) في المصدر: الغرير.

(٧) الكافي (ج٢، ص٢٦٣).

وفي الحديث: «**إن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام**»[1].

وكان النبي ﷺ يقول: «**اللهم احشرني في زمرة الفقراء**»[2]، ولذلك أرسل الله محمدﷺ فقيرا، وكان بالفقر سعيدا، فقاسىٰ محنة الفقر ومكابدة الجوع، حتىٰ شد الحجر علىٰ بطنه، وحسبك بالفقر فضيلة في دين الله لمن صبر عليه، فإنك لا تجد صاحب الدنيا يتمناه، لأنه مناف لحال الدنيا وأهلها، وإنما هو شعار أهل الآخرة.

وأما طاعة علي عليه السلام، وكون الجاحظ زعم أنها كانت لأن في عز محمد عزه وعز رهطه، بخلاف طاعة أبي بكر، فهٰذا يفتح عليه أن يكون جهاد حمزة كذلك، وجهاد عبيدة بن الحارث، وهجرة جعفر إلىٰ الحبشة، بل لعل محاماة المهاجرين من قريش علىٰ رسول الله ﷺ كانت لأن في دولته دولتهم، وفي نصرته استجداد ملك لهم، وهٰذا يجر [إلىٰ][3] الإلحاد، ويفتح باب الزندقة، ويفضي إلىٰ الطعن في الإسلام والنبوة.

قال الجاحظ[4]: وعلىٰ أنا لو نزلنا إلىٰ ما يريدونه، جعلنا الفراش كالغار، وخلصت فضائل أبي بكر في غير ذٰلك عن معارض.

قال شيخنا أبو جعفر رضي الله عنه: قد بينا فضيلة المبيت علىٰ الفراش علىٰ فضيلة الصحبة في الغار، بما هو واضح لمن أنصف، ونزيد علىٰ ذٰلك ها هنا تأكيدا بما لم نذكره فيما تقدم، فنقول:

إن فضيلة المبيت علىٰ الفراش علىٰ الصحبة في الغار لوجهين:

ـ **(أحدهما)**: أن عليا عليه السلام قد كان أنس بالنبي ﷺ، وحصل له بمصاحبته قديما أنس عظيم، وألف شديد، فلما فارقه عدم ذٰلك الأنس، وحصل به أبو بكر، فكان ما يجده علي عليه السلام من الوحشة وألم الفرقة موجبا زيادة ثوابه، لأن الثواب علىٰ قدر المشقة.. و:

ـ **(ثانيهما)**: أن أبا بكر كان يؤثر الخروج من مكة، وقد كان خرج من قبل فردا، فازداد كراهية للمقام، فلما خرج مع رسول الله ﷺ وافق ذٰلك هوىٰ قلبه،

---

(١) المعيار والموازنة (ص٨٧).

(٢) العثمانية (ص٣٢٤).

(٣) من المصدر.

(٤) في العثمانية (ص٢٩).

ومحبوب نفسه، فلم يكن له من الفضيلة ما يوازي فضيلة من احتمل المشقة العظيمة، وعرض نفسه لوقع السيوف، ورأسه لرضخ الحجارة، لأنه علىٰ قدر سهولة العبادة يكون نقصان الثواب.

قال(١): قال شيخنا أبو جعفر الاسكافي في علي عليه السلام: هو صاحب الفراش الذي فدىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه، ووقاه بمهجته، واحتمل وقوع السيوف، ورضخ الحجارة دونه، وهل ينتهي الواصف وإن أطنب، والمادح وإن أسهب، إلىٰ الإبانة عن مقدار هٰذه الفضيلة، والإيضاح بمزية هٰذه الخصوصية(٢).

الباب الثاني والعشرون

في خطأ من فضل أبا بكر علىٰ أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب[عليه السلام] من العثمانية

قال ابن أبي الحديد(٣): قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لما أتاه الملأ من قريش، فقالوا له: يا محمد؛ إنك قد ادعيت عظيما لم يدعك(٤) آباؤك، ولا أحد من أهل بيتك، ونحن نسألك أمرا إن أنت أجبتنا إليه وأريتناه، علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب.. فقال صلى الله عليه وآله: وما تسألون؟ قالوا: تدعو لنا هٰذه الشجرة، حتىٰ تنقلع بعروقها، وتقف بين يديك.. فقال صلى الله عليه وآله: إن الله علىٰ كل شيء قدير، فإن فعل الله لكم ذلك، أتؤمنون وتشهدون بالحق.. قالوا: نعم.

قال: فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلىٰ خير، وإن فيكم من يطرح في القليب(٥)، ومن يحزب الأحزاب.

ثم قال صلى الله عليه وآله: **«يا أيتها الشجرة، إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أني رسول الله صلى الله عليه وآله فانقلعي بعروقك، حتىٰ تقفي بين يدي بإذن الله، فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها»**، وجاءت ولها دوي شديد، وقصف كقصف أجنحة الطير،

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٥٤). (٢) في المصدر: الخصيصة.

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢١٢).

(٤) في نهج البلاغة: يدعه.

(٥) بئر تحفر فينقلب ترابها قبل أن تطوى (مجمع البحرين: ج٢، ص١٤٩).

حتىٰ وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفوفة، وألقت بغصنها الأعلىٰ علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وببعض أغصانها علىٰ منكبي، وكنت عن يمينه صلى الله عليه وآله فلما نظر القوم إلىٰ ذٰلك قالوا: علوا واستكبارا فمرها فليأتك نصفها، ويبقىٰ نصفها، فأمرها بذلك فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال واشده دويا، فكادت تلتفت برسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: كفرا وعتوا فمر هٰذا النصف فليرجع إلىٰ نصفه كما كان، فأمره عليه السلام فرجع، فقلت أنا: لا إلٰه إلا الله، إني أول من مؤمن بك يا رسول الله، وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالىٰ تصديقا بنبوتك، وإجلالا لكلمتك.

فقال القوم كلهم: بل ساحر كذاب، عجيب السحر، خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هٰذا يعنوني وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيماء الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار، عمار الليل، ومنار النهار، متمسكون بحبل القرآن، يحيون سنن الله وسنن رسوله، ولا يستكبرون ولا يعلون، ولا يغلون ولا يفسدون، قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل.

قال ابن أبي الحديد في الشرح(١):

وينبغي أن نذكر في هٰذا الموضع ملخص ما ذكره الشيخ أبو عثمان الجاحظ في كتابه المعروف بكتاب العثمانية في تفضيل إسلام أبي بكر علىٰ إسلام علي عليه السلام، لأن هٰذا الموضع يقتضيه، لقوله عليه السلام حكاية عن قريش لما صدق رسول الله صلى الله عليه وآله: وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هٰذا لأنهم استصغروا سنه، فاستحقروا أمر محمد [رسول الله](٢) صلى الله عليه وآله حيث لم يصدقه في دعواه إلا غلام صغير السن، وشبهة العثمانية التي قررها الجاحظ من هٰذه الشبهة نشأت، ومن هٰذه الكلمة تفرعت، لأن خلاصتها أن أبا بكر أسلم وهو ابن أربعين سنة، وعلي[عليه السلام] أسلم ولم يبلغ الحلم، فكان إسلام أبي بكر أفضل.

ثم نذكر ما اعترض به شيخنا أبو جعفر الإسكافي علىٰ الجاحظ في كتابه المعروف بـ(نقض العثمانية)، ويتشعب الكلام بينهما حتىٰ يخرج عن [البحث في الإسلاميين إلىٰ](٣) البحث في أفضلية الرجلين وخصائصهما، فإن ذٰلك لا يخلو عن فائدة جليلة، ونكتة لطيفة، لا يليق أن يخلو كتابنا هٰذا عنها،

---

(١) الجزء ١٣ (ص٢١٥). (٢) من المصدر.

(٣) من المصدر.

ولأن كلامهما بالرسائل والخطابة أشبه، وفي الكتابة أقصد وأدخل، وكتابنا هٰذا موضوع لذكر ذٰلك أمثاله.

قال شيخنا أبو جعفر الإسكافي رضي الله عنه[(١)]: لولا ما غلب علىٰ الناس من الجهل وحب التقليد، لم نحتج إلىٰ نقض ما احتجت به العثمانية، فقد علم الناس كافة، أن الدولة والسلطان لأرباب مقالتهم، وعرف كل أحد علو أقدار شيوخهم وعلمائهم وأمرائهم، وظهور كلمتهم، وقهر سلطانهم، وارتفاع التقية عنهم، والكرامة والجائزة لمن روىٰ الأخبار والأحاديث في فضل أبي بكر، وما كان من تأكيد بني أمية لذلك، وما ولده المحدثون من الأحاديث طلبا لما في أيديهم، فكانوا لا يألون جهدا في طول ما ملكوا أن يخملوا ذكر علي عليه السلام وولده، ويطفئوا نورهم، ويكتموا فضائلهم ومناقبهم وسوابقهم، ويحملوا علىٰ شتمهم وسبهم ولعنهم علىٰ المنابر.

فلم يزل السيف يقطر من دمائهم، مع قلة عددهم وكثرة عدوهم، فكانوا بين قتيل وأسير، وشريد وهارب، ومستخف ذليل، وخائف مرتقب، حتىٰ أن الفقيه والمحدث والقاضي والمتكلم، ليتقدم إليه ويتوعد بغاية الإيعاد وأشد العقوبة، ألا[(٢)] يذكروا شيئا من فضائلهم، ولا يرخصوا لأحد أن يطيف بهم، وحتىٰ بلغ من تقية المحدث إنه إذا ذكر حديثا عن علي عليه السلام كنىٰ عن ذكره، فقال: قال رجل من قريش، وفعل رجل من قريش، ولا يذكر عليا عليه السلام ولا يتفوه باسمه.

ثم رأينا جميع المتخلفين قد حاولوا نقض فضائله، ووجهوا الحيل والتأويلات نحوها، من خارجي مارق، وناصب حنق[(٣)]، وثابت[(٤)] مستبهم، وناشئ معاند، ومنافق مكذب، وعثماني حسود، يعترض فيها ويطعن، ومعتزلي قد نقض في الكلام، وأبصر علم الاختلاف، وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأويل، قد التمس الحيل في إبطال مناقبه، وتأول مشهور فضائله، فمرة يتأولها بما لا يحتمل، ومرة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض، ولا يزداد مع ذٰلك إلا قوة ورفعة، ووضوحا واستنارة.

---

(١) كما في العثمانية (طبعة عبدالسلام: ص٢٨٢). (٢) في العثمانية: أن لا.
(٣) شديد النصب والاغتياظ (كتاب العين: ج٣، ص٥١).
(٤) في العثمانية: ونابت.

وقد علمت أن معاوية ويزيد ومن كان بعدهما من بني مروان أيام ملكهم ـ وذلك نحو ثمانين سنة ـ لم يدعوا جهدا في حمل الناس علىٰ شتمه ولعنه واخفاء فضائله، وستر مناقبه وسوابقه.

[و]روىٰ خالد بن عبدالله الواسطي، عن حصين بن عبدالرحمن، عن هلال بن سيف، عن عبدالله بن ظالم، قال: لما بويع لمعاوية أقام المغيرة بن شعبة خطباء يلعنون عليا عليه السلام، فقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: ألا ترون إلىٰ هٰذا الرجل الظالم يأمر بلعن رجل من أهل الجنة[1].

روىٰ سليمان بن داوود، عن شعبة، عن الحر بن الصباح، قال: سمعت عبدالرحمن بن الأخنس، يقول شهدت المغيرة بن شعبة خطب فذكر عليا عليه السلام فنال منه.

وروىٰ أبو كريب، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا صدقة بن المثنىٰ النخعي، عن رياح بن الحارث، قال: بينما المغيرة بن شعبة بالمسجد الأكبر، وعنده ناس إذ جاءه رجل يقال له (قيس بن علقمة)، فاستقبل المغيرة، فسب عليا عليه السلام.

وروىٰ محمد بن سعيد الأصفهاني، عن شريك، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن علي بن الحسين، عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام، قال: قال لي مروان: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم.. قلت: فما بالكم تسبونه علىٰ المنابر؟!.. قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك[2].

وروىٰ مالك بن إسماعيل أبو غسان النهدي، عن ابن أبي سيف، قال: خطب مروان والحسن عليه السلام، جالس، فقال: فنال عليا عليه السلام[3]، فقال الحسن[عليه السلام]: **«ويلك يا مروان، أهٰذا الذي تشتم شر الناس»**.. قال: لا، ولكنه خير للناس[4].

وروىٰ أبو غسان أيضا، قال: قال عمر بن عبدالعزيز: كان أبي يخطب فلا يزال مستمرا في خطبته، حتىٰ إذا صار إلىٰ ذكر علي عليه السلام وسبه تقطع لسانه،

---

(١) كتاب السنة (ص٦٠٥) والسنن الكبرى (ج٥، ص٥٩) وغيرهما.

(٢) تاريخ مدينة دمشق (ج٤٢، ص٤٣٨) وتاريخ الإسلام للذهبي (ج٣، ص٤٦٠).

(٣) في المصدر: من علي عليه السلام.

(٤) في المصدر: خير الناس.

واصفر وجهه، وتغيرت حاله، فقلت له في ذلك، فقال: أو قد فطنت لذلك، إن هٰؤلاء لو يعلمون من علي[عليه السلام] ما يعلمه أبوك ما تبعنا منهم رجل.

وروىٰ أبو غسان[١] قال: حدثنا أبو اليقظان، قال: قام رجل من ولد عثمان إلىٰ هشام بن عبدالملك يوم عرفة، فقال: إن هٰذا يوم كانت الخلفاء تستحب فيه لعن أبي تراب[٢].

وروىٰ عمر بن الفناد[٣]، عن محمد بن فضيل، عن أشعث بن سوار، قال: سب عدي بن أرطأة علياًعليه السلام علىٰ المنبر، فبكىٰ الحسن البصري، وقال: لقد سب هٰذا اليوم[٤] رجل إنه لأخو رسول اللهصلى الله عليه وآله في الدنيا والآخرة[٥].

وروىٰ عدي بن ثابت، عن إسماعيل بن إبراهيم، قال: كنت أنا وإبراهيم بن زيد[٦] جالسين في الجمعة مما يلي أبواب كندة، فخرج المغيرة فخطب، فحمد الله، ثم ذكر ما شاء أن يذكر، ثم وقع في عليعليه السلام، فضرب إبراهيم علىٰ فخذي أو ركبتي، ثم قال: أقبل علي، فحدثني إنا لسنا في جمعة، ألا تسمع ما يقول هذا؟.

وروىٰ عبدالله بن عثمان الثقفي، قال: حدثنا ابن أبي سيف، قال: قال ابن لعامر بن عبدالله بن الزبير لولده: لا تذكر يا بني علياً[عليه السلام] إلا بالخير، فإن بني أمية لعنوه علىٰ منابرهم ثمانين سنة، فلم يزده الله بذلك إلا رفعة، وإن الدين لم يبن شيئا قط فهدمته لدنيا، وإن الدنيا لم تبن شيئا قط إلا رجعت علىٰ ما بنت فهدمته.

وروىٰ عثمان بن سعيد، قال: حدثنا المطلب بن زياد، عن أبي بكر بن عبدالله الأصبهاني، قال: [كان][٧] دعي لبني أمية يقال له خالد بن عبدالله، لا يزال يشتم علياًعليه السلام، فلما كان يوم جمعة، وهو يخطب الناس، قال والله [إن][٨]

---

(١) في المصدر: أبو عثمان.

(٢) رسائل الجاحظ (ص٩٢) وأنساب البلاذري (ج٥، ص١١٦).

(٣) في العثمانية: القناد.

(٤) في مصدر: هٰؤلاء القوم.

(٥) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (ج١، ص٣٢٦).

(٦) في المصدر: يزيد.

(٧) من المصدر.

(٨) من المصدر.

كان رسول الله استعمله[١]، وإنه ليعلم ما هو ولكنه [كان][٢] ختنه[٣]، وقد نعس سعيد بن المسيب ففتح عينيه، ثم قال: ويحكم!! ما قال هٰذا الخبيث؟ رأيت القبر انصدع ورسول الله ﷺ يقول: «**كذبت يا عدو الله**».

وعن عمر الفناد[٤]، قال: حدثنا أسباط بن نصر الهمداني، عن السدي، قال: بينما أنا بالمدينة عند أحجار الزيت[٥]، إذ أقبل راكب علىٰ بعير، فوقف فسب علياً عليه السلام، فحف به الناس ينظرون إليه، فبينما هو كذلك إذ أقبل سعد بن أبي وقاص، فقال: اللهم إن كان سب عبداً لك صالحاً، فأر المسلمين خزيه، فما لبث أن نفر به بعيره فسقط، فاندقت عنقه.

وروىٰ عثمان بن أبي شيبة، عن عبدالله بن موسىٰ، عن فطر بن خليفة، عن [أبي][٦] عبدالله الجدلي، قال: دخلت علىٰ أم سلمة (رحمها الله) فقالت لي[٧]: أيسب رسول الله ﷺ فيكم وأنتم أحياء.. قلت: وأنىٰ يكون هذا؟ قالت: أليس يسبه[٨] علي عليه السلام ومن يحبه[٩].

وروىٰ العباس بن بكار الضبي، قال: حدثني أبو بكر الهذلي، عن الزهري، قال: قال ابن عباس لمعاوية: ألا تكف عن شتم هٰذا الرجل؟ قال: ما كنت لأفعل حتىٰ يربو عليه الصغير ويعرفه[١٠] الكبير.. فلما ولي عمر بن عبدالعزيز كف عن شتمه، فقال الناس: ترك السنة.

قال: وقد روىٰ عن ابن مسعود ـ إما موقوفا عليه أو مرفوعاـ: كيف أنتم إذا شملتكم فتنة يربو عليها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجري عليها الناس فيتخذونها سنة، فإذا غير منها شيء قيل: غيرت السنة.

---

(١) في المصدر: ليستعمله.
(٢) من المصدر.
(٣) زوج ابنته (النهاية: ج٢، ص١٠).
(٤) في العثمانية: القناد.
(٥) موضع بالمدينة، وهو موضع صلاة الاستسقاء (معجم البلدان: ج١، ص١٠٩).
(٦) كما في المصدر.
(٧) في العثمانية: له.
(٨) في المصدر: يسب.
(٩) تاريخ مدينة دمشق (ج٤٢، ص٢٦٦) والبداية والنهاية (ج٧، ص٣٩١) وتاريخ الإسلام (ص٦٣٤) وغيرها.
(١٠) في المصدر: ويهرم فيه.

قال أبو جعفر، وقد تعلمون أن بعض الملوك ربما أحدثوا قولا، و[1]دينا لهوىٰ، فيحملون الناس علىٰ ذلك، حتىٰ لا يعرفون غيره، كنحو ما أخذ الناس الحجاج بن يوسف بقراءة عثمان، وترك قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب، وتوعد علىٰ ذلك بدون ما صنع هو وجبابرة بني أمية وطغاة مروان بولد علي عليه السلام وشيعته، وإنما كان سلطانه نحو عشرين سنة، فما مات الحجاج حتىٰ اجتمع أهل العراق علىٰ قراءة عثمان، ونشأ أبناؤهم ولا يعرفون غيرها لإمساك الآباء عنها، وكف المعلمين[2] علىٰ تعليمها، حتىٰ لو قرأت عليهم قراءة عبدالله وأبي ما عرفوها، ولظنوا بتأليفها الاستكراه والاستهجان، لألف العادة وطول الجهالة، لأنه إذا استولت علىٰ الرعية الغلبة، وطالت عليهم أيام التسلط، وشاعت فيهم المخافة، وشملتهم التقية، اتفقوا علىٰ التخاذل والتساكت، فلا تزال الأيام تأخذ من بصائرهم، وتنقص [من ضمائرهم، وتنقض][3] من مرائرهم، حتىٰ تصير البدعة التي أحدثوها غامرة للسنة التي كانوا يعرفونها.

ولقد كان الحجاج ومن ولاه كـ: (عبدالملك) و(الوليد)، ومن كان قبلهما وبعدهما من فراعنة بني أمية علىٰ إخفاء محاسن علي عليه السلام، وفضائله، وفضائل ولده وشيعته، وإسقاط أقدارهم، أحرص منهم علىٰ إسقاط قراءة عبدالله وأبي، لأن تلك القراءة[4] لا تكون سببا لزوال ملكهم، وفساد أمرهم، وانكشاف حالهم، وفي اشتهار فضل علي عليه السلام وولده وإظهار محاسنهم بوارهم، وتسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم، فحرصوا واجتهدوا في إخفاء فضائله، وحملوا الناس علىٰ كتمانها وسترها، وأبىٰ الله أن يزيد أمره وأمر ولده إلا استنارة وإشراقا، وحبهم إلا شغفا وشدة، وذكرهم إلا انتشارا وكثرة، وحجتهم إلا وضوحا وقوة، وفضلهم إلا ظهورا، وشأنهم إلا علوا، وأقدارهم إلا اعظاما، حتىٰ أصبحوا بإهانتهم إياهم أعزاء، وبإماتتهم ذكرهم أحياء، وما أرادوا به وبهم من الشر تحول خيرا، فانتهىٰ إلينا من ذكر فضائله وخصائصه ومزاياه وسوابقه، ما لم يتقدمه السابقون، ولا ساواه فيه القاصدون، ولا يلحقه الطالبون، ولو لا أنها كانت كالقبلة المنصوبة في الشهرة، وكالسنن المحفوظة في الكثرة، لم يصل إلينا منها في دهرنا حرف واحد، إذا كان الأمر كما وصفناه.

---

(١) في المصدر: أو. (٢) في العثمانية: المعلم.

(٣) من المصدر. (٤) في المصدر: القراءات.

الباب الثالث والعشرين

في خطأ من قال إن أبا بكر أنفق على رسول الله صلى الله عليه وآله وفي سبيل الله ولم ينفق قبل الفتح، وقاتل، بل الفضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام في الإنفاق دونه

قال الجاحظ(١): أعتق أبو بكر [بعد ذلك](٢) جماعة من المعذبين في الله، وهم ست رقاب، منهم: بلال، وعامرة بن فهيرة، ووبرة(٣) النهدية، وابنتها، ومر بجارية يعذبها عمر بن الخطاب فابتاعها منه، وأعتقها، وأعتق أبا عيسىٰ، فأنزل الله فيه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾(٤) إلىٰ آخر السورة(٥).

قال شيخنا أبو جعفر رضي الله عنه: أما بلال وعامر بن فهيرة، فإنما أعتقهما رسول الله صلى الله عليه وآله، روىٰ ذلك الواقدي وابن إسحاق وغيرهما، وأما الرقاب الأربع(٦)، فإن سامحناكم في دعواكم لم يبلغ ثمنهم في تلك الحال لشدة بغض مواليهم لهم إلا مائة درهم أو نحوها، فأي فخر في هذا.

وأما الآية؛ فإن ابن عباس قال في تفسيرها: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾(٧) أي: لأن يعود(٨).

وقال غيره: نزلت في مصعب بن عمير(٩).

قال الجاحظ: وقد علمتم ما صنع أبو بكر في ماله، وكان ماله أربعين ألف درهم، فأنفقه في نوائب الإسلام وحقوقه، ولم يكن خفيف الظهر، قليل العيال والنسل، قد جمع(١٠) اليسارين، بل كان ذا بنين وبنات وزوجة وخدم وحشم،

---

(١) في العثمانية (ص٣٣). (٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: وزنيرة.

(٤) الآيات ٥- ٧.

(٥) سورة الليل.

(٦) في المصدر: وأما باقي مواليهم الأربعة.

(٧) الآيات ٥- ٧ من سورة الليل.

(٨) تفسير الرازي (ج٣١، ص٢٠٠) وتفسير البحر المحيط (ج٦، ص٢٢٦).

(٩) تفسير السمعاني (ج٦، ص١٥٣).

(١٠) في المصدر: فيكون فاقد جميع.

ويعول والديه وما ولدا، ولم يكن النبيﷺ قبل ذلك عنده مشهورا، فيخاف العار في ترك مواساته، فكان انفاقه على الوجه الذي لا نجد فيه غاية الفضل مثله، ولقد قال النبيﷺ: (ما نفعني مال كما نفعني مال أبي بكر).

قال: قال شيخنا أبو جعفر رضي الله عنه: أخبرونا على أي نوائب الإسلام أنفق هذا المال؟! وفي أي وجه وضعه؟! فإنه ليس بجائز أن يخفى ذلك ويدرس حتى يفوت حفظه، وينسى ذكره، وأنتم فلم تقفوا على شيء أكثر من عتقه بزعمكم ست رقاب لعلها لا يبلغ ثمنها في ذلك العصر مائة درهم، وكيف يدعى له الإنفاق الجليل، وقد باع من رسول اللهﷺ بعيرين عند خروجه إلى يثرب، وأخذ منه الثمن في مثل تلك الحال، وروى ذلك جميع المحدثين[(١)].. وقد رويتم أيضا: إنه كان حيث كان بالمدينة غنيا موسرا.. ورويتم عن عائشة إنها قالت: هاجر أبو بكر وعنده عشرة آلاف درهم.. وقلتم إن الله تعالى أنزل فيه: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ﴾[(٢)]، قلتم: هي في أبي بكر ومسطح بن أثاثة[(٣)]، فأين الفقر الذي زعمتم أنه أنفق حتى تخلل بالعباءة.

ورويتم: إن الله تعالى في سمائه ملائكة قد تخللوا بالعباءة، وإن النبيﷺ رآهم ليلة الإسراء، فسأل جبرائيل عنهم، فقال: هؤلاء ملائكة تأسوا بأبي بكر بن أبي قحافة صديقك في الأرض، فإنه سينفق عليك ماله، حتى يخلل عباءه في عنقه.

وأنتم أيضا رويتم إن الله تعالى ما أنزل آية النجوى، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[(٤)]، الآية لم يعمل بها إلا علي بن أبي طالب[عليه السلام] وحده، مع إقراركم بفقره وقلة ذات يده، وأبو بكر في الحال التي ذكرناها من السعة أمسك عن مناجاته، فعاتب الله المؤمنين في ذلك، فقال: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾[(٥)]، فجعله سبحانه ذنبا يتوب عليهم منه، وهو إمساكهم عن

---

(١) صحيح البخاري (باب هجرة النبيﷺ إلى المدينة) والكامل في التاريخ (ج٢، ص٤٩) وتاريخ الطبري (ج٢، ص١٠٢).

(٢) الآية ٢٢ من سورة النور.

(٣) تفسير الثوري (ص٢٢٢) وأحكام القرآن للشافعي (ج٢، ص١٠٨) وغيرهما.

(٤) الآية ١٢ من سورة المجادلة.

(٥) الآية ١٣ من سورة المجادلة.

تقديم الصدقة، فكيف سخت نفسه بإنفاق أربعين ألفا وأمسك عن مناجاة الرسول[ﷺ]، وإنما كان يحتاج فيها إلىٰ إخراج درهمين.

وأما ما ذكره من كثرة عياله ونفقته عليهم، فليس في ذٰلك دليل علىٰ تفضيله، لأن نفقته علىٰ عياله واجب[١]، مع أن أرباب السيرة ذكروا أنه لم يكن ينفق علىٰ أبيه شيئا، وأنه كان أجيرا لابن جدعان علىٰ مائدته يطرد عنها الذباب[٢].

قال الجاحظ[٣]: وقد تعلمون ما كان يلقي أصحاب النبيﷺ ببطن مكة من المشركين، وحسن صنيع كثير منهم، كصنيع حمزة حين ضرب أبا جهل بقوسه ففلق هامته، وأبو جهل يومئذ سيد البطحاء ورئيس الكفر، وأمنع أهل مكة، وقد عرفتم أن الزبير سل سيفه، واستقبل به المشركين، لما أرجف أن محمداﷺ قد قتل، وأن عمر بن الخطاب قال حين أسلم: لا يعبد الله سرا بعد اليوم[٤]، وإن سعدا ضرب بعض المشركين بلحىٰ جمل[٥]، فأراق دمه.

فكل هٰذه الفضائل لم يكن لعلي بن أبي طالب[عليه السلام] فيها ناقة ولا جمل، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾[٦]، فإذا كان الله تعالىٰ قد فضل من أنفق قبل الفتح، لأنه لا هجرة بعد الفتح، علىٰ من أنفق بعد الفتح، فما ظنكم بمن أنفق من قبل الهجرة، ومن لدن مبعث النبيﷺ إلىٰ الهجرة وإلىٰ بعد الهجرة.

قال[٧]: قال شيخنا أبو جعفر رضي الله عنه: إننا لا ننكر فضل الصحابة وسوابقهم، ولسنا كالإمامية الذين يحملهم الهوىٰ علىٰ جحد الأمور المعلومة، ولكننا ننكر تفضيل أحد من الصحابة علىٰ علي بن أبي طالبعليه السلام، ولسنا ننكر غير ذلك، وننكر تعصب الجاحظ للعثمانية، وقصده إلىٰ فضائل هٰذا الرجل ومناقبه بالرد والإبطال، وأما حمزة فهو عندنا ذو فضل عظيم، ومقام جليل، وهو سيد الشهداء الذين استشهدوا علىٰ عهد رسول اللهﷺ.

---

(١) في المصدر: واجبة. (٢) في المصدر: الذبان.

(٣) في العثمانية (ص٣٧).

(٤) تمهيد الأوائل (ص٥٠٣).

(٥) اسم موضع بين المدينة ومكة وهي إلى المدينة أقرب.

(٦) الآية ٢٠ من سورة الحديد.

(٧) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص٢٧٥).

وأما فضل عمر فغير منكر، وكذلك الزبير وسعد، وليس فيما ذكر ما يقضي كون علي عليه السلام مفضولا لهم أو لغيرهم، إلا قوله: (وكل هٰذه الفضائل لم يكن لعلي عليه السلام فيها ناقة ولا جمل)، فإن هٰذا من التعصب البارد، والحيف الفاحش.

وقد قدمنا من آثار علي عليه السلام قبل الهجرة وما له إذ ذاك من المناقب والخصائص ما هو أفضل وأعظم وأشرف من جميع ما ذكر لهؤلاء، علىٰ أن أرباب السيرة يقولون إن الشجة التي شجها سعد، وإن السيف الذي سله الزبير، هو الذي جلب الحصار في الشعب علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وبني هاشم، وهو الذي سير جعفرا وأصحابه إلىٰ الحبشة، وسل السيف في الوقت الذي لم يؤمر المسلمون فيه بسل السيف غير جائز، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ﴾[١].

فتبين أن التكليف له أوقات، فمنها وقت لا يصلح فيه سل السيف، **ومنها:** وقت يصلح فيه ويجب.

فأما قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ﴾[٢] فقد ذكرنا ما عندنا من دعواهم لأبي بكر انفاق المال.

وأيضا فإن الله تعالىٰ لم يذكر انفاق المال [مفردا][٣]، وإنما قرن به القتال، ولم يكن أبو بكر صاحب قتال ولا حرب، فلا تشمله الآية، وكان علي عليه السلام صاحب قتال وإنفاق قبل الفتح، أما قتاله فمعلوم بالضرورة، وأما إنفاقه فقد كان علىٰ حسب حاله وفقره، وهو الذي أطعم الطعام ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[٤]، وأنزلت فيه وفي زوجته وابنيه سورة كاملة[٥] من القرآن، وهو الذي ملك أربعة دراهم فأخرج منها درهما سرا ودرهما علانية ليلا، ثم أخرج منها في النهار درهما سرا ودرهما علانية[٦]، فأنزل فيه قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[٧].

---

(١) الآية ٧٧ من سورة النساء. (٢) الآية ١٠ من سورة الحديد.

(٣) من المصدر.

(٤) كما في الآية الثامنة من سورة الإنسان.

(٥) أو سور كما في فصل الخطاب (ص١٥٦).

(٦) محاضرات الأدباء (ج٢، ص٥٨٦) والتذكرة الحمدونية (ج١، ص٧٠) ومجمع الزوائد (ج٩، ص٣٣٤) ونظم درر السمطين (ص٩٠) وأسباب النزول (ص٥٨) وغيرها.

(٧) الآية ٢٤٧ من سورة البقرة.

وهو[عليه السلام] الذي قدم بين يديه نجواه صدقة دون المسلمين كافة(١).

وهو[عليه السلام] الذي تصدق بخاتمه وهو راكع(٢)، فأنزل الله فيه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(٣).

قال إبراهيم بن سعيد بن هلال الثقفي: قال: حدثني أبو غسان، قال: أخبرني علي بن أبي سيف، قال: كان قيس بن سعد مع أبي بكر وعمر في سفر في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان ينفق عليهما وعلىٰ غيرهما ويفضل.. فقال له أبو بكر: إن هٰذا لا يقوم به مال أبيك، فأمسك يدك، فلما قدموا من سفرهم، قال سعد بن عبادة لأبي بكر: أردت أن تبخل ابني، إنا لقوم لا نستطيع البخل.

قال: وكان قيس يقول في دعائه: اللهم إرزقني حمدا ومجدا [وشكرا](٤) فإنه لا حمد إلا بفعال، ولا مجد إلا بمال، اللهم وسع علي فإن القليل لا يسعني ولا أسعه(٥).

---

(١) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام (ص١٢) والدر المنثور (ج٦، ص١٨٥).

(٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (ج١، ص١٥٠) وأحكام القرآن للجصاص (ج٢، ص٥٥٧) وغيرهما.

(٣) الآية ٥٥ من سورة المائدة.

(٤) من المصدر.

(٥) الغارات (ج١، ص٢٢٢).

المطلب الثاني المثالب العمرية

[فهرس أبواب الكتاب]:

[ويحتوي هٰذا القسم علىٰ الأبواب التالية]:

- **(الباب الأول)**: في نسب عمر بن الخطاب.
- **(الباب الثاني)**: في إسلامه وكيفية إسلامه وما فيه من النعت والذم.
- **(الباب الثالث)**: في رد عمر علىٰ رسول الله ﷺ.
- **(الباب الرابع)**: في سبب عدول عمر عن أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ بيعة أبي بكر مع ما كان معه من النصوص من رسول الله ﷺ علىٰ علي عليه السلام، وهو من الباب الأول.
- **(الباب الخامس)**: في رد عمر علىٰ رسول الله [ﷺ] في طلب الدواة في مرض الموت، وقول عمر: رسول الله ﷺ يهجر.
- **(الباب السادس)**: في إرادة عمر حرق بيت فاطمة عليها السلام ومن فيه.
- **(الباب السابع)**: في اعتراف عمر بأن أمير المؤمنين علياً عليه السلام مظلوم وغصبه الخلافة منه.
- **(الباب الثامن)**: في المطاعن علىٰ عمر التي أوردها قاضي القضاة عبدالجبار في المغني، وما اعترض عليه السيد المرتضىٰ في الشافي، وهي عشرة مطاعن.
- **(الباب التاسع)**: في مطاعن ما ورد من مناقبه.
- **(الباب العاشر)**: في خرقه كتاب فاطمة [عليها السلام] الذي كتبه أبو بكر إليها برد فدك ومحيه إياه.

· (الباب الحادي عشر): في جهل عمر ورجوعه إلىٰ أمير المؤمنين[عليه السلام] في الأحكام الشرعية.

· (الباب الثاني عشر): في رجوع عمر إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام والصحابة وهو من الباب الأول.

· (الباب الثالث عشر): في رجوع عمر إلىٰ النساء والصبيان واعترافه بالجهل بالمسائل وإيذاه بغاة العلم.

· (الباب الرابع عشر): في تحريم عمر المتعتين متعة الحج ومتعة النساء اللتين كانتا علىٰ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

· (الباب الخامس عشر): في بدع عمر من التراويح، ورده المقام إلىٰ محله في الجاهلية خلافا لرسول الله صلى الله عليه وآله، وهدمه مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، والزيادة فيه بدخول بيت العباس، وغير ذٰلك من بدعه.

· (الباب السادس عشر): إن عمر يعمل بخلاف سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام يعمل بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله.

· (الباب السابع عشر): في أن عمر لم يقسم بالسوية بخلاف سيرة النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام يقسم بالسوية كفعل النبي صلى الله عليه وآله.

· (الباب الثامن عشر): في نقض عمر حكمه ورجوعه في فتاة.

· (الباب التاسع عشر): في شكه في أمور رسول الله صلى الله عليه وآله.

· (الباب العشرون): في أن عمر كان فظا غليظ القلب.

· (الباب الحادي والعشرون): في أن عمر كان يشاطر العمال أموالهم.

· (الباب الثاني والعشرون): في عمله الشورىٰ وما فيها من الفساد وخالف الله تعالىٰ ورسوله[صلى الله عليه وآله] في ذلك.

· (الباب الثالث والعشرون): في مفردات.

· (الباب الرابع والعشرون): في تاريخ مقتله وما جرىٰ في ذٰلك وما قاله عمر عند الموت.

الباب الأول

في نسب عمر

قال ابن أبي الحديد[(١)]: ابن الخطاب، هو: أبو حفص عمر الفاروق، وأبوه الخطاب بن نفيل بن عبدالعزىٰ ابن رباح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب.

وأم عمر: حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم.

قال[(٢)]: قال شيخنا أبو عثمان في كتاب مفاخرات قريش: لا خير في ذكر العيوب إلا من ضرورة، ولا تجد[(٣)] كتاب مثالب قط إلا لدعي أو شعوبي، ولست واجدة لصحيح النسب ولا لقليل الحسد، وربما كانت حكاية الفحش أفحش من الفحش، ونقل الكذب أقبح من الكذب، وقال النبي ﷺ: «**اعف عن ذي قبر**»، وقال: «**لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات**»، وقيل في المثل: (يكفيك من شر سماعه)[(٤)]، وقالوا: (أسمعك من أبلغك)، وقالوا: «**من طلب عيبا وجده**»[(٥)].. وقال النابغة:

ولست بمستبق أخا لا تلمه
علىٰ شعث أي الرجال المهذب[(٦)]

قال أبو عثمان[(٧)]: وبلغ عمر بن الخطاب أن أناسا من رواة الأشعار وحملة الآثار يعصبون[(٨)] الناس ويثلبونهم في أسلافهم، فقام علىٰ المنبر، وقال: إياكم وذكر العيوب والبحث عن الأصول، فلو قلت: لا يخرج اليوم من هٰذه الأبواب إلا من [لا][(٩)] وصمة فيه لم يخرج منكم أحد، فقام رجل من قريش ـ نكره أن

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٦٣).

(٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١١، ص٦٨).

(٣) في المصدر: نجد.

(٤) مجمع الأمثال (ج١، ص١٩٤).

(٥) في غرر الحكم (الحديث ٧٣٧٣) نسبه إلى الإمام علي عليه السلام.

(٦) ديوان النابغة (ص١٤).

(٧) كما نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١١، ص٦٩).

(٨) في المصدر: يعيبون.

(٩) من المصدر.

نذكره ـ ، فقال: إذا كنت أنا وأنت يا أمير المؤمنين نخرج.. فقال: كذبت بل كان يقال لك: يا قين بن قين، اقعد.

قال: قلت: الرجل الذي قام هو من المهاجرين خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، كان عمر يبغضه، لبغضه أباه خالدا، ولأن المهاجر كان علوي الرأي جدا، وكان أخوه عبدالرحمن بخلافه شهد المهاجر صفين [مع علي عليه السلام، وشهدها عبدالرحمن مع معاوية، وكان المهاجر][1] مع علي عليه السلام في يوم الجمل، وفقئت[2] ذلك اليوم عينه، ولأن الكلام الذي بلغ عمر بلغه عن المهاجر، وكان الوليد بن المغيرة مع جلالته في قريش ـ وكونه يسمىٰ ريحانة قريش، ويسمىٰ العدل ويسمىٰ الوحيد ـ حدادا يصنع الدروع وغيرها بيد ذكر ذلك عنه عبدالله بن قتيبة في كتاب المعارف[3].

قال: وروىٰ أبو الحسن المدائني هٰذا الخبر في أمهات الخلفاء[4]، وقال: إنه روي عند جعفر بن محمد[عليه السلام] بالمدينة، فقال: لا تلمه يا ابن أخي، إنه أشفق أن يخرج[5] بقضية[6] نفيل بن عبدالعزىٰ وصهاك أمه الزبير بن عبدالمطلب.

ثم [قال][7]: رحم الله عمر فإنه لم يعد السنة، وتلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[8].

ثم ذكر ابن أبي الحديد كلاما عن أبي عثمان الجاحظ وغيره، تقدم في أول باب من المطلب الأول، في نسب أبي بكر يؤخذ من هناك.

وقال[9]: قدم عمرو بن العاص علىٰ عمر ـ وكان واليا لمصر ـ فقال له: في كم سرت؟ قال: في عشرين.. قال عمر: لقد سرت [سير][10] عاشق.. فقال عمرو: إني والله ما تأبطتني الإماء ولا حملتني في غبرات المآلي[11].. فقال عمر: والله ما

---

(١) من المصدر. (٢) قلعت (القاموس المحيط: ج١، ص٢٣).

(٣) ص٢٥٠. (٤) وهو كتاب للسائب الكلبي على ما في الفهرست لابن النديم (ص١٤١).

(٥) في المصدر: يحدج.

(٦) أو: قصة.

(٧) من المصدر.

(٨) الآية ١٩ من سورة النور.

(٩) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٣٩).

(١٠) من المصدر.

(١١) قال ابن الأثير في النهاية (ج٣، ص٣٣٨): أراد أنه لم تتول الإماء تربيته.

هٰذا بجواب الكلام الذي سألتك عنه، وإن الدجاجة لتفحص في الرماد فتضع لغير الفحل، وإنما تنسب البيضة إلىٰ طرقها.. فقام عمرو مربد[1] الوجه.

قلت: (المآلي): خرق سود يحملها النوائح ويسرن بها بأيديهن عند اللطم، وأراد خرق الحيض ها هنا[2]، وشبهها بتلك.

وأنكر عمر فخره بالأمهات، وقال: إن الفخر للأب الذي إليه النسب.

وسألت النقيب أبا جعفر عن هٰذا الحديث في عمرو، فقال: إن عمرو فخر علىٰ عمر لأن أم الخطاب زنجية، وتعرف بـ(باطحلي)، تسمىٰ (صهاك)، فقلت له: وأم عمرو النابغة أمة من سبايا العرب.. فقال: أمة عربية من عنزة سبيت في بعض الغارات، فليس يلحقها من النقص عندهم ما يلحق الإماء الزنجيات.

فقلت له: أكان عمرو يقدم علىٰ عمر بمثل ما قلت؟ قال: قد يكون بلغه عنه قول قدح في نفسه فلم يحتمله له، ونفث[3] بما في صدره منه، وإن لم يكن جوابا مطابقا للسؤال.

وقد كان عمر مع خشونته يحتمل نحو هذا، فقد جبهه[4] الزبير مرة، وجعل يحكي كلامه يمططه[5]، وجبهه سعد بن أبي وقاص أيضا، فأغضي[6] عنه، ومر يوما في السوق علىٰ ناقة له فوثب غلام من بني ضبة فإذا هو خلفه، فالتفت إليه، فقال: فمن أنت؟ قال: صبي[7].. قال: جسور والله.. فقال الغلام: علىٰ العدو.. قال عمر: وعلىٰ الصديق أيضا، [ما][8] حاجتك؟.. فقضىٰ حاجته، ثم قال: دع الآن لنا ظهر راحلتنا.

وقال[9]: وروىٰ نافع ـ مولىٰ آل الزبير ـ ، قال: سمعت أبا هريرة يقول: رحم الله ابن حنتمة، لقد رأيته عام الرمادة[10]، وإنه ليحمل علىٰ ظهره جرابين[11]،

---

(١) متغير (النهاية: ج٢، ص١٨٣). (٢) كما في النهاية (ج٤، ص٢٩٠).

(٣) شبيه بالنفخ كما في غريب الحديث لابن سلام (ج١، ص٢٩٨).

(٤) استقبله (الصحاح: ج٦، ص٢٢٣٠). (٥) يمده (الصحاح: ج٣، ص١١٦٠).

(٦) سكت (كتاب العين: ج٤، ص٤٣١). (٧) في المصدر: ضبي.

(٨) من المصدر.

(٩) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٩٥).

(١٠) الرمادة: الهلاك، وهو عام حصل فيه جدب وقحط (النهاية: ج٢، ص٢٦٢) وهلك فيه الناس، والأموال، وقل الغذاء، وذلك في أيام غصب عمر للخلافة.

(١١) مثنى الجراب، وهو الوعاء من الجلد.

وعكة[١] زيت في يده، وإنه ليعتقب[٢] هو وأسلم، فلما رآني، قال: [من أين يقال][٣]: من أين يا أبا هريرة؟ قلت: قريبا.. [قال][٤]: فأخذت أعقبه، فحملناه حتىٰ انتهينا إلىٰ ضرار[٥] فإذا صرم[٦] من نحو عشرين بيتا من محارب.. فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهد.. وأخرجوا لنا جلد الميتة مشويا كانوا يأكلونه، ورمة العظام مسحوقة كانوا يستفونها[٧]، فرأيت عمر طرح رداءه، ثم برز[٨]، فما زال يطبخ لهم حتىٰ شبعوا، وأرسل[٩] أسلم إلىٰ المدينة فجاء بأبعرة فحملهم عليها، ثم أنزلهم الجبانة[١٠]، ثم كساهم، وكان يختلف إليهم وإلىٰ غيرهم حتىٰ كفىٰ[١١] الله ذلك[١٢].

قال[١٣]: قال عمرو بن العاص ـ وقد كان واليا لعمر علىٰ مصر، وقد شاطره عمر ماله الذي أصابه ـ قال عمرو بن العاص: لعن الله يوما كنت فيه واليا لابن الخطاب، والله لقد رأيته ورأيت أباه، وإن علىٰ كل واحد منهما عباءة قطوانية[١٤] مؤتزرا، بها ما تبلغ مأبض[١٥] ركبتيه، وعلىٰ عنق كل واحد منهما حزمة [من][١٦] حطب.

---

(١) وعاء مستدير من الجلد.
(٢) في مصدر: يعتقب.
(٣) من المصدر.
(٤) كما في مصدر.
(٥) أو: صرار (بالقرب من المدينة).
(٦) جماعة.
(٧) في مصدر: يسقونها.
(٨) في مصدر: ثم اتزر.
(٩) في مصدر: وأرسلوا.
(١٠) في مصدر: الجبابة.
(١١) في مصدر: رفع.
(١٢) تاريخ مدينة دمشق (ج٤٤، ص٣٤٨).
(١٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٤٤).
(١٤) بيضاء قصيرة الخمل (النهاية: ج٤، ص٨٥).
(١٥) باطن (القاموس المحيط: ج٢، ص٣٢٣).
(١٦) من المصدر.

الباب الثاني

في إسلامه وكيفية إسلامه

⊡ [تأخر عمر في دخول الإسلام]:

قال ابن أبي الحديد[١]: أسلم عمر بعد جماعة من الناس[٢].

⊡ [سبب إسلام عمر]:

وكان سبب إسلامه أن أخته وبعلها أسلما سرا من عمر، فدخل إليها خباب بن الأرت[٣]، يعلمها الدين خفية، فوشىٰ بهم[٤] واشي إلىٰ عمر، فجاء دار أخته، فتوارىٰ خباب منه داخل الدار[٥]، فقال عمر: ما هٰذه الهيمنة عندكم؟ قالت أخته: ما عدا حديثا تحدثناه بيننا.. قال: أراكما قد صبوتما[٦].. قال ختنه: أرأيت إن كان هو الحق[٧].. فوثب عليه عمر فوطئه وطئا شديدا، فجاءت أخته فدفعته عنه، فنفحها[٨] بيده، فدمي وجهها[٩]، ثم ندم ورق، وجلس واجما، فخرج إليه خباب فقال: أبشر يا عمر؛ فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ [لك][١٠] الليلة، فإنه لم يزل يدعو منذ الليلة: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو: بعمرو بن هشام.

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٧٧).

(٢) وقال أيضا ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٨٢): إنه أسلم فكان تمام أربعين إنسانا في أظهر الروايات، وذلك في السنة السادسة من النبوة، وسنه إذ ذاك ستة وعشرون سنة.

(٣) من أصحاب رسول الله ﷺ، وفيه روايات مادحة، منها ما عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إنه قال: «رحم الله خبابا، لقد أسلم راغبا، وهاجر طائعا، وعاش مجاهدا» [المفيد من معجم رجال الحديث: ص٢٠٨].

(٤) في المصدر: بها.

(٥) في المصدر: البيت.

(٦) خرجتما.

(٧) في مصدر آخر: أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك.

(٨) ضربها.

(٩) تلون وجهها بالدم.

(١٠) من المصدر.

قال: فانطلق عمر متقلدا سيفه، حتىٰ أتىٰ إلىٰ الدار التي فيها رسول الله ﷺ يومئذ، وهي الدار التي في أصل الصفا، وعلىٰ الباب حمزة وطلحة وناس من المسلمين، فوجل القوم من عمر إلا حمزة، فإنه قال: قد جاءنا عمر، فإن يرد الله به خيرا يهده، وإن يرد غير ذٰلك كان قتله علينا هينا.. والنبي ﷺ داخل الدار يوحىٰ إليه، فسمع كلامهم، فخرج حتىٰ أتىٰ عمر، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه، وقال: ما أنت بمنته يا عمر حتىٰ ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة، اللهم هٰذا عمر، [اللهم][1] أعز الإسلام بعمر.. فقال عمر: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله[2].

الباب الثالث

في رد عمر علىٰ رسول الله ﷺ

▣ [الحادثة الأولىٰ – في شك عمر بالرسول ﷺ في صلح الحديبية]:

قال ابن أبي الحديد[3]: قال كلام عمر في صلح الحديبية لما قال النبي ﷺ ألم تقل لنا ستدخلونها في ألفاظ كثيرة نكره حكايتها حتىٰ شكاه النبي ﷺ إلىٰ أبي بكر، [و][4] حتىٰ قال له أبو بكر: إلزم بغرزه[5]، فوالله إنه لرسول الله ﷺ.

وعمر هو الذي أغلظ علىٰ جبلة بن الأيهم، حتىٰ اضطره إلىٰ مفارقة دار الهجرة، بل مفارقة دار الإسلام كلها، وعاد مرتدا داخلا في دين النصرانية، لأجل لطمة لطمها[6].. وقال جبلة بعد ارتداده متندما علىٰ ما فعل شعرا:

(١) من المصدر. (٢) الطبقات الكبرى (ج٣، ص٢٦٨).

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٨٣).

(٤) من المصدر.

(٥) بركابه.

(٦) وقصة (جبلة) و(اللطمة) كما في العقد الفريد (ج١، ص١٨٧): أن جبلة بن الأيهم بن أبي شمر الغساني وفد على عمر بن الخطاب في ٥٠٠ من فرسان عك وجفينة، وعليهم الوشي المنسوج بالذهب والفضة، وعلى رأس جبلة تاجه، وفيه قرط جدته مارية، فأسلموا جميعا، وفرح المسلمون بهم وبمن وراءهم من أتباعهم فرحا شديدا، وحضر جبلة بأصحابه الموسم من عامهم ذاك مع الخليفة، فبينما يطوف جبلة بالبيت إذ وطئ إزاره رجل من فزارة فحله، فلطمه جبلة، فاستعدى الفرازي عمر، فأمر عمر جبلة أن يقيده من نفسه أو يرضيه، وضيق عليه في ذٰلك حتى بلغ اليأس، فلما جنه الليل خرج بأصحابه فأتوا القسطنطينية فتنصروا جميعا مرغمين.

تنصرت الأشراف من أجل لطمة
وما كان فيها لو صبرت لها ضرر[١]
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني
رجعت إلى القول الذي قاله عمر

⊡ [الحادثة الثانية]:

وقال[٢]: لما توفى عبدالله بن أبي رأس المنافقين في حياة رسول الله ﷺ جاء أهله وابنه وأهله، فسألوا رسول الله ﷺ أن يصلي عليه، فقام بين يدي الصف يريد ذلك، فجاء عمر فجذبه من خلفه، وقال: ألم ينهك الله أن تصلي على المنافقين؟!.. فقال ﷺ: إني خيرت فاخترت فقيل لي: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾[٣]، ولو أني أعلم أني إذا زدت على السبعين غفر له لزدت، ثم صلى رسول الله [ﷺ] عليه ومشى معه، وقام على قبره.

فعجب الناس من جرأة عمر على رسول الله ﷺ، فلم يلبث الناس إلا أن نزل قوله [تعالى][٤]: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾[٥]، فلم يصل عليه السلام بعدها على أحد من المنافقين[٦].

⊡ [الحادثة الثالثة]:

وقال[٧]: وروى أبو هريرة، قال: كنا قعودا حول رسول الله ﷺ في نفر، فقام [ﷺ] بين أظهرنا، فأبطأ علينا، وخشينا أن يفتضع[٨] دوننا، فقمنا[٩]، وكنت

---

(١) في جملة من المصادر يوجد بيت بعد هذا البيت وقبل الذي يليه، وهو:
تكنفني فيها اللجاج ونخوة وبعت بها العين الصحيحة بالعور.
(٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٥٥). (٣) الآية ٨٠ من سورة التوبة.
(٤) من المصدر.
(٥) الآية ٨٤ من سورة التوبة.
(٦) صحيح البخاري بحاشية السندي (ج١، ص١٦٣) وصحيح مسلم (ج٤، ص٢١٤١) وتاريخ المدينة المنورة لابن شبة (ج٣، ص٨٦٥) وأسباب النزول للواحدي (ص١٤١) وسنن ابن ماجه (ج١، ص٤٨٧) وغيرها.
(٧) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٥٥). (٨) في المصدر: أن يقطع.
(٩) في المصدر: وفزعنا وقمنا.

أول من فزع، فخرجت أبتغيه[ﷺ]، حتىٰ أتيت حائطا للأنصار، لقوم من بني النجار، فلم أجد له بابا إلا ربيعا، فدخلت[1] في جوف الحائط ـ والربيع الجدول ـ فدخلت منه بعد أن احتقرته، فإذا رسول اللهﷺ، فقال: أبو هريرة.. قلت: نعم.. قال: ما شأنك؟ قلت: كنت بين أظهرنا فقمت فأبطأت عنا، فخشينا أن تقتطع دوننا ففزعنا ـ وكنت أول من فزع ـ فأتيت هٰذا الحائط فاحتقرته كما يحتقر الثعلب، والناس[2] من ورائي، فقال: يا أبا هريرة؛ اذهب بنعلي هاتين فمن لقيته[3] وراء هٰذا الحائط يشهد أن لا إلٰه إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة.

فخرجت، فكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هذان[4] النعلان؟ قلت: نعلا رسول اللهﷺ بعثني بهما، وقال: من لقيته يشهد أن لا إلٰه إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة.. فضرب عمر في صدري فخررت لإستي، وقال: ارجع إلىٰ رسول اللهﷺ.. فأجهشت بالبكاء راجعا، فقال رسول الله: ما بالك؟ قلت: لقيت عمر فأخبرته بالذي بعثني به فضرب صدري ضربة خررت لإستي، وقال: ارجع إلىٰ رسول اللهﷺ.

فخرج رسول اللهﷺ فإذا عمر، فقال: ما حملك يا عمر علىٰ ما فعلت؟ فقال عمر: أنت بعثت أبا هريرة بكذا.. قال: نعم.. قال: فلا تفعل فإني أخشىٰ أن يتكل الناس عليها فيتركوا العمل خلهم[5] يعملون.. فقال رسول اللهﷺ: خلهم يعملون[6].

[الحادثة الرابعة]:

قال[7]: وروىٰ أبو سعيد الخدري، قال: أصابت الناس مجاعة في [غزاة][8] تبوك، فقالوا: يا رسول الله؛ لو أذنت لنا فذبحنا نواضحنا[9] وأكلنا [شحمها][10]

(١) في المصدر: فإذا ربيع يدخل. (٢) في المصدر: وهؤلاء الناس.
(٣) في المصدر: لقيت. (٤) في المصدر: ما هاتان.
(٥) في مصدر: فخلهم. (٦) الإيضاح (ص٥٣٩).
(٧) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٥٦).
(٨) من المصدر.
(٩) بعراننا.
(١٠) من المصدر.

ولحمها.. فقال: افعلوا.. فجاء عمر، فقال: يا رسول الله؛ إنهم إن فعلوا قل الظهر، ولكن ادعهم بفضلات أزوادهم فاجمعها ثم ادع لهم عليها [بالبركة][١] لعل الله يجعل في ذٰلك خيرا.. ففعل رسول الله ﷺ ذلك، فصار[٢] الكثير من طعام قليل ولم تذبح النواضح.

◘ [الحادثة الخامسة]:

قال[٣]: وروىٰ ابن عباس [رضي الله عنه][٤] أن عمر[٥] أتىٰ رسول الله ﷺ يذكر له ذنبا أذنبه فأنزل الله تعالىٰ في أمره: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[٦]، فقال: يا رسول الله؛ لي خاصة أم للناس عامة.. فضرب عمر صدره بيده، وقال: لا ونعمىٰ عين بل للناس عامة.. فقال رسول الله ﷺ: بل للناس عامة.

◘ [الحادثة السادسة]:

قال[٧]: جاء عيينة بن حصن والأقرع بن حابس إلىٰ أبي بكر، فقالا: يا خليفة رسول الله؛ إن عندنا أرضا سبخة ليس فيها كلا[٨] ولا منفعة، فإن رأيت أن تقطعناها لعلنا نحرثها أو نزرعها!! ولعل الله أن ينفع بها بعد اليوم!

فقال أبو بكر لمن حوله من الناس المسلمين: ما ترون؟ قالوا: لا بأس.. فكتب لهما بها كتابا وأشهد فيه شهودا.. وعمر ما كان حاضرا، فانطلقا إليه ليشهد في الكتاب، فوجداه قائما يهنأ[٩] بعيرا، فقال[١٠]: إن خليفة رسول الله ﷺ كتب لنا هٰذا الكتاب وجئناك لتشهد علىٰ ما فيه، أفتقرؤه أم نقرؤه عليك؟ قال:

---

(١) من المصدر.
(٢) في المصدر: فأكل الخلق.
(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٥٧).
(٤) من شرح نهج البلاغة.
(٥) في المصدر: رجلا.
(٦) الآية ١١٤ من سورة هود.
(٧) ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ٥٨).
(٨) عشب (كتاب العين: ج٥، ص٤٠٨).
(٩) يطلبه بالقطران علاجا له من الجرب.
(١٠) في المصدر: فقالا.

أعلىٰ الحال التي تريان! فإن شئتما فاقرأه وإن شئتما فانتظرا حتىٰ أفرغ.. قالا: بل نقرؤه عليك.

فلما سمع ما فيه، أخذه منهما، ثم تفل فيه، فمحاه، فتذامرا وقالا له مقالة سيئة.. وقال[١]: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتألفكما والإسلام يومئذ ذليل، وإن الله تعالىٰ قد أعز الإسلام، فاذهبا فاجهدا جهدكما، لا رعىٰ الله فيكما[٢] إن رعيتما.

فجينا[٣] إلىٰ أبي بكر وهما يتذمران، فقالا له: والله ما ندري أنت أمير أم عمر؟ فقال: بل هو لو كان شاء.

وجاء عمر - وهو مغضب- حتىٰ وقف علىٰ أبي بكر، فقال: أخبرني عن هٰذه الأرض التي اقطعها[٤] هذين الرجلين أهي لك خاصة أم بين المسلمين عامة؟ فقال: بين المسلمين عامة.. قال: فما حملك علىٰ أن تخص بها هذين دون جماعة المسلمين.. قال: استشرت الذين حولي فأشاروا بذلك.. فقال: أفكل المسلمين أوسعتهم مشورة ورضا.. فقال أبو بكر: فلقد كنت قلت لك: إنك أقوىٰ علىٰ هٰذا الأمر مني لكنك غلبتني.

وقال: لما كتب النبي صلى الله عليه وآله كتاب الصلح في الحديبية بينه وبين سهيل بن عمرو وكان في الكتاب أن من خرج من المسلمين إلىٰ قريش لا يرد ومن خرج من المشركين إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله يرد عليهم فغضب عمر، وقال لأبي بكر: [ما هٰذا يا أبا بكر][٥]! أيرد المسلمون إلىٰ المشركين! ثم جاء إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، فجلس بين يديه، وقال: يا رسول الله ألست رسول الله حقا، قال: بلىٰ.. قال: ونحن المسلمون حقا.. قال: نعم.. قال: وهم الكافرون حقا.. قال: نعم.. قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا.. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا رسول الله افعل ما يأمرني به ولن يضيعني.. فقام عمر مغضبا، وقال: لو أجد أعوانا ما أعطيت الدنية أبدا. وجاء إلىٰ أبي بكر فقال له: يا أبكر؛ ألم يكن وعدنا أننا سندخل مكة، فأين ما وعدنا به؟ فقال أبو بكر: أقال لك: إنه العام يدخلها؟ قال: لا قال: فسيدخلها.. فقال:

---

(١) في المصدر: فقال.

(٢) في المصدر: عليكما.

(٣) في المصدر: فذهبا.

(٤) في المصدر: أقطعتها.

(٥) من المصدر.

فما هٰذه الصحيفة التي كتبت؟ وكيف نعطي الدنية من أنفسنا.. فقال أبو بكر: يا هٰذا إلزم غرزه فوالله إنه لرسول الله ﷺ وإن الله لا يضيعه.

قال: فلما كان يوم الفتح وأخذ رسول الله ﷺ مفتاح الكعبة، قال: ادعوا لي عمر، فجاء فقال: هٰذا الذي كنت وعدت[١] به[٢].

⊡ [الحادثة السابعة]:

ورویٰ[٣]: لما قتل المشركون يوم بدر أسر منهم سبعون أسيرا، فاستشار رسول الله ﷺ جماعة فيهم أبو بكر وعمر، فقال أبو بكر: يا رسول الله؛ هٰؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وأرىٰ أن تأخذ منهم الفدىٰ[٤] فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا علىٰ المشركين، وعسىٰ أن يهديهم الله بعد اليوم، فيكونوا لنا عضدا[٥].. فقال رسول الله ﷺ: ما تقول أنت يا عمر؟ قال: أرىٰ أن تمكنني من فلان ـ قريب لعمر ـ فاضرب عنقه، وتمكن عليا من عقيل، فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من أخيه فيضرب عنقه، حتىٰ يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين.. اقتلهم يا رسول الله فإنهم صناديدهم وقادتهم.. فلم يهو رسول الله ﷺ ما قاله عمر.. وهو ما قاله أبو بكر تأخذ منهم الفدا وخلىٰ سبيلهم، فأنزل عليه ما أنزل.

قال عمر: فجئت رسول الله ﷺ، فوجدته قاعدا وأبو بكر وهما يبكيان، فقلت: ما يبكيكما؟ حدثاني، فإن وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت.. فقال رسول الله ﷺ: أبكي لأخذ الفداء لقد عرض علي عذابكم أدنىٰ من هٰذه الشجرة لشجرة قريبة منه.

قال عبدالله بن عمر: فكان رسول الله ﷺ يقول: كدنا أن يصيبنا شر في مخالفة عمر.

(١) في المصدر: وعدتكم. (٢) الرياض النضرة (ج٢، ص٤٤).
(٣) كما في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٦٠).
(٤) في المصدر: الفدية.
(٥) في المصدر: عذرا.

[الحادثة الثامنة]:

قال[١]: وروىٰ ابن عباس، قال: خرجت مع عمر إلىٰ الشام في إحدىٰ خرجاته، فانفرد يوما يسير علىٰ بعيره فاتبعته، فقال لي: يا ابن عباس؛ أشكو إليك ابن عمك، سألته أن يخرج معي فلم يفعل، ولا أزال[٢] أراه واجدا، فيما تظن موجدته؟ قلت: يا أمير المؤمنين؛ إنك لتعلم.. قال: أظنه لا يزال كئيبا لفوت الخلافة. قلت: هو ذلك[٣]، إنه يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أمرا[٤] له.. فقال: يا ابن عباس، وأراد رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر له فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالىٰ ذلك، إن رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أمرا، وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله [تعالىٰ][٥] ولم ينفذ مراد رسوله أو كلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أراده الله [أو كلما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله][٦] كان إنه أراد إسلام عمه ولم يرده الله فلم يسلم.

وقد روىٰ معنىٰ هٰذا الخبر بغير هٰذا اللفظ، وهو قوله: إن رسول الله[صلى الله عليه وآله] أراد أن يذكره للأمر في مرضه، فصددته عنه خوفا من الفتنة وانتشار أمر الإسلام، فعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما في نفسي فأمسك[٧] وأبىٰ الله إلا إمضاء ما حتم.

[تعليق المصنف رضي الله عنه علىٰ الخبر]:

أقول: لا يخفىٰ ما في هٰذا الخبر من الطعن علىٰ عمر، حيث خالف مراد الله تعالىٰ ومراد رسوله[صلى الله عليه وآله]، والله تعالىٰ يقول في محكم كتابه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٩].

[وأراد علي عليه السلام بعد ذٰلك نقض البيعة فلم يتم له ذلك، وكانت العرب لا ترىٰ الغدر، ولا تنقض البيعة صوابا كانت أو خطأ، وقد قالت له الأنصار

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٧٨). (٢) في المصدر: ولم أزل.
(٣) في المصدر: ذاك. (٤) في المصدر: الأمر.
(٥) من المصدر.
(٦) من المصدر.
(٧) في المصدر: وأمسك.
(٨) الآيتان ٣ و٤ من سورة النجم.
(٩) الآية السابعة من سورة الحشر.

وغيرها: أيها الرجل؛ لو دعوتنا إلىٰ نفسك قبل][1] البيعة لما عدلنا بك أحد ولكنا قد بايعنا فكيف السبيل إلىٰ نقض البيعة [بعد وقوعها][2].

وقال النقيب[3]: ومما جرأ عمر علىٰ بيعة أبي بكر والعدول عن عليعليه السلام ـ مع ما كان يسمعه من الرسولﷺ في أمره ـ أنه أنكر مرارا علىٰ الرسولﷺ أمورا اعتمدها فلم ينكر عليه رسول اللهﷺ إنكاره له بل رجع في كثير منها إليه، وأشار عليه بأمور كثيرة نزل القرآن فيها بموافقته، فأطمعه ذٰلك في الإقدام علىٰ اعتماد في كثير من الأمور التي كان يرىٰ فيها المصلحة، مما هي علىٰ خلاف النص، وذلك نحو:

- إنكاره علىٰ[4] الصلاة علىٰ عبدالله بن أبي المنافق[5]، و:
- إنكاره فداء أسارىٰ بدر[6]، و:
- إنكاره عليه تدرج نسائه للناس[7]، و:
- إنكار قضية الحديبية[8]، و:
- إنكار أمان العباس لأبي سفيان بن حرب، و:
- إنكاره واقعة أبي حذيفة بن عتبة، و:
- إنكاره أمره بالنداء: (من قال لا إلٰه الله دخل الجنة)[9]، و:
- إنكاره أمره علىٰ أصحابه بذبح النواضح، و:
- إنكاره علىٰ النساء بحضرة رسول اللهﷺ هيبتهن له دون رسول اللهﷺ.

إلىٰ غير ذٰلك من أمور كثيرة تشتمل عليها كتب الحديث، ولو لم يكن إلا إنكاره قول رسول اللهﷺ في مرضه: «**إئتوني بدواة وكتف أكتب لكم ما لا تضلون بعدي**»، وقوله ما قال، وسكوت رسول اللهﷺ عنه.

وأعجب الأشياء أنه قال ذٰلك اليوم: (حسبنا كتاب الله)، فافترق الحاضرون من المسلمين في الدار، فبعضهم يقول: القول ما قال رسول اللهﷺ، وبعضهم

(١) من المصدر. (٢) من شرح نهج البلاغة.
(٣) كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج١٢، ص٨٧). (٤) في المصدر عليه في.
(٥) صحيح البخاري (ج٢، ص٧٦).
(٦) صحيح مسلم (ج٤، كتاب الجهاد والسير، ص٣٧٧).
(٧) صحيح البخاري (ج١، ص٦٩).
(٨) جامع البيان (ج٢٢، ص٢٤٦).
(٩) سنن الترمذي (ج٤، ص١٣٣).

يقول: القول ما قال عمر.. فقال رسول الله ﷺ ـ وقد كثر اللغط، وعلت الأصوات ـ: «**قوموا عني فما ينبغي لنبي أن يكون عنده هٰذا التنازع**»، فهل بقي للنبوة مزية أو فضل؟! إذا كان الإختلاف قد وقع بين القولين وميل المسلمين بينهما، فرجح قوم هٰذا وقوم هذا، [أ][1]فليس ذٰلك دالا علىٰ أن القوم سووا بينه وبين عمر، وجعله[2] القولين مسألة خلاف، ذهب كل فريق إلىٰ نصرة واحد منهما، كما يختلف اثنان من عرض المسلمين في بعض الأحكام فينصر هٰذا قوم وينصر ذاك آخرون، فمن بلغت قوته وهمته إلىٰ هٰذا كيف ينكر منه أنه يبايع أبا بكر لمصلحة رآها، ويعدل عن النص، ومن الذي كان ينكر عليه ذلك، وهو في القول الذي قاله للرسول ﷺ في وجهه غير خائف من الأنصار، ولا أنكر[3] عليه أحد لا رسول الله ﷺ ولا غيره، وهو أشد من مخالفة النص في الخلافة وأقطع[4] وأشنع.

قال النقيب: علىٰ أن الرجل ما أهمل أمر نفسه، بل أعد أعذارا وأجوبة، وذلك لأنه قال لقوم عرضوا له بحديث النص: (إن رسول الله ﷺ رجع عن ذٰلك بإقامته أبا بكر في الصلاة مقامه)، وأوهمهم أن ذٰلك جار مجرىٰ النص عليه بالخلافة، وقال يوم السقيفة: (أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ﷺ في الصلاة)، ثم أكد ذٰلك بأن قال لأبي بكر وقد عرض عليه البيعة: (أنت صاحب رسول الله ﷺ في المواطن كلها، شدتها ورخائها، ورضيت لديننا أفلا نرضاك لدنيانا).

ثم عاب عليه[5] بخطبته بنت أبي جهل، فأوهم أن رسول الله ﷺ كرهه لذلك، ووجد عليه، وأرضاه عمرو بن العاص، فروىٰ حديثا افتعله واختلقه علىٰ رسول الله [ﷺ]، قال سمعته يقول: (إن آل أبي سفيان[6] ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين)، فجعلوا ذٰلك كالناسخ لقوله ﷺ: «**من كنت مولاه فهٰذا مولاه**».

---

(١) كما في المصدر.

(٢) أو: جعلوا.

(٣) في المصدر: ينكر.

(٤) في المصدر: وأفضع.

(٥) في المصدر: عليا.

(٦) في المصدر: طالب.. وفي نظم درر السمطين (ص٢٣٦): فلان.

قلت للنقيب: أيصح النسخ في مثل هذا؟ أليس هٰذا نسخا للشيء قبل أن يحضر[1] وقت فعله؟

فقال: سبحان الله؛ من أين تعرف العرب هذا؟ وأنىٰ لها أن تتصوره، فضلا عن أن تحكم بعدم جوازه، فهل يقدم[2] حذاق الأصوليين هٰذه المسألة، فضلا عن حمقاء[3] العرب، هٰؤلاء قوم ينخدعون بأدنىٰ شبهة، ويستمالون بأضعف سبب، وتبنىٰ الأمور معهم علىٰ ظواهر النصوص، وأوائل الأدلة، وهم أصحاب جهل وتقليد، لا أصحاب تفضيل ونظر.

قال: ثم أكد حسن ظن الناس بهم أنهم أطلقوا أنفسهم عن الأموال، وزهدوا في متاع الدنيا وزخرفها، وسلكوا مسلك الرفض لزينتها، والرغبة عنها، والقناعة بالطفيف النزر[4] منها، وأكلوا الخشن، ولبسوا الكرابيس[5]، ولما ألقت إليهم الدنيا أفلاذ كبدها، وفرقوا الأموال علىٰ الناس، وقسموها بينهم، ولم يتدنسوا منها بقليل ولا كثير، فمالت إليهم القلوب، وأحبتهم النفوس، وحسنت فيهم الظنون.

وقال: من كان في نفسه شبهة منهم، أو وقفة في أمرهم، لو كان هٰؤلاء [قد][6] خالفوا النص لهوىٰ أنفسهم لكانوا أهل الدنيا، ولظهر عليهم الميل إليها والرغبة فيها، والاستئثار بها، وكيف يجمعون علىٰ أنفسهم بين مخالفة النص، وترك لذات الدنيا ومآربهم، فيخسروا الدنيا والآخرة، وهٰذا لا يفعله عاقل، والقوم عقلاء ذوو ألباب وآراء صحيحة، فلم يبق عند أحد شك في أمرهم، ولا ارتياب لفعلهم، وثبتت العقائد علىٰ ولايتهم، وتنزيههم، وتصويب أفعالهم، ونسوا لذة الرياسة، وإن أصحاب الهمم العالية لا يلتفون إلىٰ المأكل والمشرب والمنكح، وإنما يريدون الرياسة والحكم ونفوذ الأمر، كما قال الشاعر:

---

(١) في المصدر: تقضي.

(٢) في المصدر: يفهم.

(٣) في المصدر: حمقى.

(٤) القليل (الصحاح: ج٢، ص٨٢٦).

(٥) جمع كرباس وهو القطن (مجمع البحرين: ج٤، ص١٠٠).

(٦) من المصدر.

وقــد رغـبــت عــن لــذة الــعــيــش[1] أنـفـس
ومــا رغـبــت عــن لــذة الــنهي والأمــر

قال: والفرق بين الرجلين وبين الثالث: ما أصيب به الثالث، وقتل تلك القتلة، وخلعه الناس، وحصروه، وضيقوا عليه، بعد أن توالىٰ إنكارهم أفعاله، وجبهوه في وجهه وفسقوه، وذلك إنه استأثر هو وأهله بالأموال، وانغمسوا فيها، واستبدوا بها، فكانت طريقته وطريقتهم مخالفة لطريق الأولين، فلم تصبر العرب علىٰ ذلك، ولو كان عثمان سلك طريق عمر في الزهد، وجمع الناس، وردع الأمراء والولاة عن الأموال، وتجنب استعمال أهل بيته، ووفر أعراض الدنيا وملاذها وشهواتها علىٰ الناس، زاهدا فيها، تاركا لها، معرضا عنها، لما ضره شيء قط، ولا أنكر عليه أحد قط، ولو حول الصلاة من الكعبة إلىٰ بيت المقدس، بل لو أسقط عن الناس إحدىٰ الصلوات الخمس واقتنع منهم بأربع، وذلك لأن همم الناس مصروفة إلىٰ الدنيا والأموال، فإذا وجدوها سكتوا، وإذا فقدوها هاجوا واضطربوا.

ألست ترىٰ رسول الله ﷺ كيف قسم غنائم هوازن[2] علىٰ المنافقين، وعلىٰ أعدائه الذين يتمنون قتله وموته وزوال دولته، فلما أعطاهم أحبوه إما كلهم أو أكثرهم، ومن لم يحبه منهم بقلبه جامله وداراه، وكف عن إظهار عداوته والإجلاب عليه.

ولو أن عليا عليه السلام صانع أصحابه بالمال، وأعطاه الوجوه والرؤساء، لكان أمره إلىٰ الانتظام والإطراد أقرب، ولكنه رفض جانب التدبير الدنيوي، وآثر لزوم الدين، وتمسك بأحكام الشريعة، والملك أمر آخر غير الدين، فاضطرب عليه أصحابه، وهرب كثير منهم إلىٰ عدوه.

وقد ذكرت في هٰذا الفصل خلاصة ما حفظته عن النقيب أبي جعفر، ولم يكن إمامي المذهب، ولا كان يبرأ من السلف الصالح، ولا يرتضي قول المسرفين من الشيعة، ولكنه كلام أجراه علىٰ لسانه البحث والجدل بيني وبينه، علىٰ أن العلوي لو كان كراميا لابد أن يكون عنده نوع من تعصب وميل علىٰ الصحابة وإن قل.

---

(١) في المصدر: المال.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (ج٢، ص٤٩٢).

قال ابن أبي الحديد في موضع آخر من الشرح[(١)]: وكان النقيب أبو جعفر رضي الله عنه غزير العلم، صحيح العقل، منصفا في الجدال، غير متعصب للمذهب - وإن كان علويا - ، وكان يعترف بفضل الصحابة، ويثني علىٰ الشيخين.

قال لي مرة: حاش لله أن يثبت معاوية في جريدة الشيخين الفاضلين أبي بكر وعمر، والله [ما][(٢)] هما إلا كالذهب الإبريز[(٣)]، ولا معاوية إلا كالدرهم الزائف، أو قال: كالدرهم القسي[(٤)].

ثم قال [لي][(٥)]: فما يقول أصحابكم فيهما؟ قلت: أما الذي استقر عليه رأي المعتزلة بعد اختلاف كثير بين قدمائهم في التفضيل وغيره، أن عليا عليه السلام أفضل الجماعة، وأنهم تركوا الأفضل لمصلحة رأوها، و[إنه][(٦)] لم يكن هناك نص يقطع العذر، وإنما كانت إشارة وإيماء لا يتضمن شيء منها صريح النص، وإن عليا عليه السلام نازع ثم بايع، وحج ثم أصحب[(٧)].. ولو أقام علىٰ الامتناع لم نقل بصحة البيعة ولا بلزومها، ولو جرد السيف كما جرده في زمان آخر الأمر لقلنا بفسق كل من خالفه علىٰ الاطلاق، كائنا من كان، ولكنه رضي بالبيعة أخيرا، ودخل في طاعة القوم[(٨)].

وبالجملة؛ فأصحابنا[(٩)] يقولون: إن الأمر كان له، وكان هو المستحق والمتعين، فإن شاء أخذه لنفسه، وإن شاء ولاه غيره، فلما رأيناه قد وافق علىٰ ولاية غيره اتبعناه ورضينا بما رضي به.

فقال: قد بقي[(١٠)] بين وبينكم[(١١)] قليل، أنا أذهب إلىٰ النص وأنتم لا تذهبون إليه.

---

(١) شرح نهج البلاغة (ج١٠، ص٢٢٢). (٢) من المصدر.
(٣) الذهب الخالص الغير مسكوك (مجمع البحرين: ج٤، ص٨).
(٤) الردي. (٥) كما في المصدر.
(٦) من المصدر.
(٧) في المصدر: وجمح ثم استجاب.
(٨) في المصدر: ودخل في الطاعة.
(٩) في المصدر: أصحابنا.
(١٠) في المصدر: فبقي.
(١١) في المصدر: وبينك.

فقلت له: إنه لم يثبت عندنا [النص][1] بطريق يوجب العلم، وما تذكرونه أنتم صريحا فأنتم تنفردون بنقله، وما عدا ذٰلك من الأخبار التي نشاركـكم فيها فلها تأويلات معلومة.

فقال لي وهو ضجر: يا فلان؛ لو فتحنا باب [التأويلات لجاز أن يتناول قولنا: (لا إلٰه إلا الله، محمد رسول الله)، دعني من][2] التأويلات الباردة التي تعلم القلوب والنفوس أنها غير مرادة، وأن المتكلمين تكلفوها وتعسفوها، فإنما أنا وأنت في الدار ولا ثالث لنا فيستحي أحدنا من صاحبه أو[3] يخافه.

فلما بلغنا إلىٰ هٰذا الموضع، دخل قوم ممن كان يغشانا[4]، فتركنا ذٰلك الأسلوب من الحديث وخضنا في غيره.

قال: والذي يؤيد ما ذكره النقيب ما ذكره ابن أبي الحديد، قال: قال شيخنا أبو جعفر الاسكافي: رأينا جميع المتخلفين قد حاولوا نقض فضائله، ووجهوا الحيل والتأويلات نحوها، من خارجي مارق، وناصب حنق[5]، وثابت مستبهم، وناشئ معاند، ومنافق مكذب، وعثماني حسود، يعترض فيها ويطعن، ومعتزلي قد نقد الكلام، وأبصر علم الاختلاف، وعرف الشبهة ومواضع الطعن، وضروب التأويل، قد التمس الحيل في إبطال مناقبه، وتأول مشهور فضائله، فمرة يتأولها بما لا يحتمل، ومرة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض، ولا يزاد مع ذٰلك إلا قوة ورفعة، ووضوحا واستنارة، وقد علمت أن معاوية ويزيد ومن كان بعدهما من بني مروان أيام ملكهم ـ وذلك نحو ثمانين سنة ـ لم يدعوا جهدا في حمل الناس علىٰ شتمه ولعنه واخفاء فضائله، وستر مناقبه وسوابقه.

---

(١) من المصدر.

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: و.

(٤) في المصدر: يخشاه.

(٥) شديد النصب والاغتياظ (كتاب العين: ج٣، ص٥١).

الباب الخامس

في رد عمر علىٰ رسول الله ﷺ في طلب الدواة في مرض موت الرسول ﷺ وقول عمر: إن رسول الله ﷺ يهجر

ابن أبي الحديد قال[١]: قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري[٢]، قال: حدثنا الحسن بن الربيع، عن عبدالرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن علي بن عبدالله بن العباس، عن أبيه، قال: لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ائتوني بدواة وصحيفة، أكتب لكم كتابا لا تضلون بعده**[٣]»، فقال عمر كلمة معناها: أن الوجع قد غلب علىٰ رسول الله ﷺ، ثم قال: (عندنا القرآن حسبنا كتاب الله)، فاختلف من في البيت واختصموا، فمن قائل يقول: القول ما قال رسول الله ﷺ.. ومن قائل يقول: القول ما قال عمر.

فلما أكثر[٤] اللغط واللغو والاختلاف، غضب رسول الله ﷺ، فقال: «**قوموا إنه لا ينبغي لنبي أن يختلف عنده هكذا**»، فقاموا، فمات رسول الله ﷺ في ذٰلك اليوم، فكان ابن عباس يقول: [إن][٥] الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب رسول الله ﷺ، يعني الإختلاف واللغط.

قال: قلت[٦]: هٰذا الحديث قد خرجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخاري، ومسلم بن الحجاج القشيري في صحيحهما[٧]، واتفق المحدثون كافة علىٰ روايته.

وقال: في الصحيحين[٨] خرجاه معا (رحمهما الله) عن ابن عباس أنه كان يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس!! ثم بكىٰ حتىٰ بل دمعه الحصىٰ، فقلنا: يا ابن

(١) في شرح نهج البلاغة (ج٦، ص٥١).
(٢) في السقيفة وفدك (ص٧٥).
(٣) في المصدر: لا تضلون بعدي.
(٤) في المصدر: أكثروا.
(٥) من المصدر.
(٦) أي ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج٦، ص٥١).
(٧) صحيح البخاري (ج٥، ص١٣٨) وصحيح مسلم (ج٥، ص٧٦).
(٨) صحيح البخاري (ج٤، ص٣١) وصحيح مسلم (ج٥، ص٧٥).

عباس؛ ما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه، فقال[صلى الله عليه وآله]: «**إئتوني بكتاب أكتب لكم لا تضلوا بعدي أبدا**».. فتنازعوا، فقال: إنه لا ينبغي عندي تنازع.. فقال قائل: ما شأنه؟ أهجر؟ استفهموه.. فذهبوا يعيدون عليه، فقال[صلى الله عليه وآله]: «**دعوني فالذي**[1] **أنا فيه خير من الذي أنتم فيه**«، **ثم أمر بثلاثة أشياء، فقال:** »أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم»، وسئل ابن عباس عن الثالثة، فقال: إما ألا يكون تكلم بها، وإما أن يكون قالها فنسيت.

وقال في الصحيحين[2] أيضا خرجاه معا عن ابن عباس (رحمه الله)، قال: لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وآله وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب، قال النبي صلى الله عليه وآله: «[**هلم**][3] **أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا**».. فقال عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله.

فاختلف القوم واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا إليه يكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده.. ومنهم من يقول: القول ما قاله عمر.. فلما أكثروا اللغو والإختلاف عنده عليه السلام قال لهم: «**قوموا**».. فقاموا، فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أن يكتب لكم ذٰلك الكتاب.

قال: قال أبو جعفر الطبري[4]: وروىٰ سعيد بن جبير، قال: كان ابن عباس رضي الله عنه يقول: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم يبكي حتىٰ تبل دموعه الحصباء[5]، فقلنا له: وما يوم الخميس؟ قال: يوم اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وجعه، فقال: «**ائتوني باللوح والدواة - أو قال: بالكتف والدواة - أكتب لكم ما لا تضلون بعدي**»، فتنازعوا، [فقال: اخرجوا][6] ولا ينبغي عند نبي أن يتنازع.. قالوا: ما شأنه أهجر استفهموه، فذهبوا عليه، فقال: «**دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه**»، ثم أوصىٰ بثلاث، قال: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم..**»، وسكت عن الثالثة عمدا، أو قالها ونسيت.

---

(١) في المصدر: والذي.

(٢) صحيح البخاري (ج١، ص١٢٠) وصحيح مسلم (ج٥، ص٧٦).

(٣) من المصدر.

(٤) في تاريخه (ج١، ص١٨٠٦).

(٥) الحصى (الصحاح: ج١، ١١٢).

(٦) من المصدر.

قال[١]: وكان في ألفاظ عمر وأخلاقه جفاء وعنجهية [ظاهرة][٢]، يحسب لها السامع، أنه أراد بها ما لم يكن قد أراد، ويتوهم من يحكي له انه قصد بها [ظاهرا][٣] ما لم يقصد، فمنها الكلمة التي قالها في مرض رسول الله ﷺ، ومعاذ الله أن يقصد بها ظاهرها، ولكنه أرسلها علىٰ مقتضىٰ خشونة غريزته، ولم يتحفظ منها، وكان الأحسن أن يقول مغمور أو مغلوب بالمرض، وحاشاه أن يعني بها غير ذلك.

وقال بعدما روىٰ قول عمر: (كانت بيعة أبي بكر فلتة وقىٰ الله شرها ومن عاد إلىٰ مثلها فاقتلوه)، قال[٤]: اعلم أن هٰذه اللفظة من عمر مناسبة للفظات كثيرة كان يقولها بمقتضىٰ ما جبله [الله][٥] تعالىٰ عليه من غلظ الطينة وجفاء الطبيعة، ولا حيلة له فيها، لأنه مجبول عليها لا يستطيع تغييرها، ولا ريب عندنا أنه كان يتعاطىٰ أن يتلطف، وأن يخرج ألفاظه مخارج حسنة لطيفة، فينزع به الطبع الجاسي، والغريزة الغليظة، إلىٰ أمثال هٰذه اللفظات، ولا يقصد بها شرا[٦]، ولا يريد بها ذما ولا تخطئة، كما قدمناه[٧] من قبل في اللفظة التي قالها في مرض رسول الله ﷺ، وكاللفظات التي قالها عام الحديبية، وغير ذلك، والله تعالىٰ لا يجازي المكلف إلا ما نواه، ولقد كانت نيته من أظهر النيات وأخلصها لله تعالىٰ.

⊡ [رأي المصنف رضي الله عنه في شخصية ابن أبي الحديد]:

أقول: اعلم إن ابن أبي الحديد من المتعصبين للمذهب الاعتزالي غاية التعصب، متكلف غاية التكلف، كما هو معلوم مما ذكرناه عنه في هٰذا الموضع وغيره، وإلا فالحق ما نقله ابن أبي الحديد، قال: سألت النقيب أبا جعفر يحيىٰ بن محمد بن أبي زيد وذكر عنه ما قدمناه في الباب السابق مما رده عمر

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٨٣).
(٢) من المصدر.
(٣) من المصدر.
(٤) في الجزء الثاني (ص٢٧).
(٥) من المصدر.
(٦) في المصدر: سوءا.
(٧) في المصدر: قدمنا.

علىٰ رسول اللهﷺ في أمور كثيرة، إلىٰ أن قال النقيب: ولو لم يكن إلا إنكاره قول رسول اللهﷺ في مرضه: «**اتوني بدواة وكتف أكتب لكم ما لا تضلون بعده**»، وقوله ما قال، وسكوت رسول اللهﷺ عنه، وأعجب الأشياء أنه قال ذٰلك اليوم: (حسبنا كتاب الله)، فافترق الحاضرون من المسلمين في الدار، فبعضهم يقول: القول ما قال رسول الله.. وبعضهم يقول: القول ما قال عمر.. فقال رسول اللهﷺ ـ وقد كثر اللغط وعلت الأصوات ـ: «**قوموا عني فما ينبغي لنبي أن يكون عنده هٰذا التنازع**»، فهل بقي للنبوة مزية أو فضل إذا كان الاختلاف قد وقع بين القول وميل المسلمين بينهما مرج قوم هٰذا وقوم هذا، فليس ذٰلك دالا علىٰ أن القوم سووا بينه وبين عمر، وجعلوا القولين مسألة خلاف، ذهب كل فريق منهم إلىٰ نصرة واحد منهما كما يختلف اثنان من عرض المسلمين في بعض الأحكام، فينصر هٰذا قوم وينصر ذاك آخرون، فمن بلغت قوته وهمته إلىٰ هٰذا كيف ينكر منه أن يبايع أبا بكر لمصلحة يراها ويعدل عن النص، ومن الذي كان ينكر عليه ذلك، وهو في القول الذي قاله للرسولﷺ في وجهه غير خايف من الإنكار، ولا أنكر عليه أحد لا رسول الله ولا غيره، وهو أشد من مخالفة النص في الخلافة وأقطع وأشنع إلىٰ هنا من كلام النقيب وهو كلام حسن وجهه واضح.

الباب السادس

في إرادة عمر حرق بيت فاطمةعليها السلام ومن فيه

ابن أبي الحديد قال[1]: روىٰ أحمد بن عبدالعزيز، قال[2]: لما بويع لأبي بكر كان الزبير والمقداد يختلفان في جماعة من الناس إلىٰ عليعليه السلام، وهو في بيت فاطمة[عليها السلام]، فيتشاورون ويتراجعون أمورهم، فخرج عمر حتىٰ دخل علىٰ فاطمةعليها السلام، وقال: يا بنت رسول اللهﷺ، ما من أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما من أحد أحب إلينا منك بعد أبيك، وأيم الله ما ذاك بمانعي أن أجتمع هٰؤلاء النفر عندك أن آمر بتحريق البيت عليهم.

(١) في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص٤٥).
(٢) في السقيفة وفدك (ص٤٠).

فلما خرج عمر جاءوها، فقالت[عليها السلام]: «**تعلمون أن عمر جاءني، وحلف لي بالله إن عدتم ليحرقن عليكم البيت، وأيم الله ليمضين لما حلف له، فانصرفوا عنا راشدين**».

فلم يرجعوا إلىٰ بيتها[عليها السلام] وذهبوا فبايعوا لأبي بكر.

[و]قال[1]: قال أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز[2]، قال: حدثني أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، عن ابن وهب، عن سعيد، عن أبي الأسود، قال: غضبت[3] رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة، وغضب علي[عليه السلام] والزبير، فدخلا بيت فاطمة عليها السلام معهما السلاح، فجاء عمر في عصابة، فيهم: أسيد بن خضير[4]، وسلمة بن سلامة بن وقش[5]، وهما من بني عبدالأشهل، فهجما[6] الدار، فصاحت فاطمة[عليها السلام] وناشدتهما الله، فأخذوا سيفيهما فضربوا بهما الجدار حتىٰ كسروهما، ثم[7] أخرجهما عمر يسوقهما حتىٰ بايعا.

ثم قام أبو بكر، فخطب [الناس][8]، واعتذر إليهم، وقال: (إن بيعتي كانت فلتة وقىٰ الله شرها، وخشيت الفتنة، وأيم الله ما حرصت عليها يوما قط، ولا سألتها الله في سر ولا علانية قط، ولقد قلدت أمرا عظيما ما لي به طاقة ولا يدان، ولقد وددت أن أقوي الناس عليه مكاني).. وجعل يعتذر إليهم، فقبل المهاجرون عذره.

قال أبو بكر[9]: وحدثني أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا أحمد بن معاوية، قال: حدثني النضر بن سهيل، قال: حدثنا محمد بن عمرو، عن

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٦، ص٤٧).

(٢) في كتابه السقيفة وفدك (ص٤٦).

(٣) في المصدر: غضب.

(٤) أو أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن أمرئ القيس بن زيد بن عبدالأشهل، المكنى بـ(أبا يحيى) أو (أبا الحضير)، له مكانته عند الجبت والطاغوت حتى كان أبو بكر لا يقدم أحدا من الأنصار عليه (الإصابة: ج١، ص٦٤) وذلك لأنه كان ابن أخته.

(٥) أو: وقش بن زغبة بن زعواء بن عبدالأشهل الأنصاري، المكنى بـ(أبي عوف)، وكان من المقربين إلى عمر، وولاه اليمامة (الاستيعاب: ج٢، ص٦٤١) .

(٦) في المصدر: فاقتحما.

(٧) في المصدر: فـ.

(٨) من المصدر.

(٩) في كتاب السقيفة وفدك (ص٥٢).

سلمة بن عبدالرحمن، قال: لما جلس أبو بكر علىٰ المنبر كان علي عليه السلام، والزبير، وناس من بني هاشم، في بيت فاطمة عليها السلام، فجاء عمر إليهم، فقال: والذي نفسي بيده لتخرجن إلىٰ البيعة أو لأحرقن البيت عليكم.

فخرج الزبير مصلتا سيفه، فاعتنقه رجل من الأنصار، وزياد بن لبيد، فدق به، فبدر السيف، فصاح أبو بكر وهو علىٰ المنبر: اضرب به الحجر.

قال أبو عمرو بن حماس: فلقد رأيت الحجر فيه تلك الضربة.. وقالوا: هٰذه ضربة سيف الزبير.

ثم قال أبو بكر: دعوهم فسيأتي الله بهم.. قال: فخرجوا إليه بعد ذٰلك فبايعوه.

قال أبو بكر[1]: وقد روي في رواية أخرىٰ أن سعد بن أبي وقاص كان معهم في بيت فاطمة[عليها السلام]، والمقداد بن الأسود أيضا، وانهم اجتمعوا علىٰ أن يبايعوا عليا عليه السلام، فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت، فخرج إليه الزبير بالسيف، وخرجت فاطمة عليها السلام تبكي وتصيح، فنهنهت[2] من الناس، وقالوا: ليس عندنا معصية ولا خلاف في خير اجتمع عليه الناس، وإنما اجتمعنا لنؤلف القرآن في مصحف واحد.. ثم بايعوا أبا بكر فاستمر الأمر واطمأن الناس.

قال أبو بكر[3]: وحدثني أبو زيد عمر بن شبة، عن رجاله، قال: جاء عمر إلىٰ بيت فاطمة عليها السلام في رجال من الأنصار، ونفر قليل من المهاجرين، فقال: والذي نفسي بيده لتخرجن إلىٰ البيعة أو لأحرقن البيت عليكم.

فخرج إليه الزبير مصلتا سيفه[4]، فاعتنقه زياد بن لبيد الأنصاري ورجل آخر، فندر[5] السيف من يده، فضرب به عمر الحجر فكسره، ثم أخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقا عنيفا، حتىٰ بايعوا أبا بكر.

وقال: قال المسعودي[6]: وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبدالله في حصر بني هاشم في الشعب، وجمعه الحطب ليحرقهم، ويقول: إنما أراد بذلك ألا

(١) في كتاب السقيفة وفدك (ص٥٣).

(٢) كففت وزجرت، أو صيح به ليكف (مجمع البحرين: ج٣، ص١٨١٤).

(٣) في السقيفة وفدك (ص٧٢).

(٤) في المصدر: بالسيف.

(٥) سقط.

(٦) في كتابه مروج الذهب (ج٣، ص٨٦).

تنتشر الكلمة، ولا يختلف المسلمون، وأن يدخلوا في الطاعة، فتكون الكلمة واحدة، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر، فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار.

وقال[١]: ورووا عن جعفر بن محمد[عليه السلام] وغيره إن عمر ضرب فاطمة بالسوط، وضرب الزبير بالسيف، وإن عمر قصد منزلها وفيه علي[عليه السلام] والزبير والمقداد وجماعة ممن تخلف عن أبي بكر، وهم مجتمعون هناك، فقال لها: ما أحد بعد أبيك أحب إلينا منك، وأيم الله لئن اجتمع هٰؤلاء النفر عندك لنحرقن عليهم، فمنعت القوم من الإجتماع[٢].

قال ابن أبي الحديد[٣] عقيب هٰذه الروايات، عن أبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري: فأما امتناع علي عليه السلام من البيعة حتىٰ أخرج علىٰ الوجه الذي أخرج عليه، فقد ذكره المحدثون ورواة السير[٤]، وقد ذكرنا ما قاله الجوهري في هٰذا الباب[٥]، وهو من رجال الحديث ومن الثقات المأمونين، وقد ذكر [غيره][٦] من [هذا][٧] النحو ما لا يحصىٰ كثرة.

وأما الأمور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة من:

- إرسال قنفذ إلىٰ بيت فاطمة عليها السلام[٨]، و:
- إنه ضربها بالسوط فصار في عضدها كالدملج وبقي أثره إلىٰ أن ماتت[٩]، و:
- إن عمر أضغطها بين الباب والجدار، فصاحت: «**يا أبتاه يا رسول الله**»، وألقت جنينا ميتا[١٠]، و:

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٦، ص٢٧١).
(٢) ونقل ذٰلك أيضا القاضي في المغني (ج٢٠، ق١، ص٣٣٥).
(٣) في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص٥٩).
(٤) الإمامة والسياسة (ج١، ص٤).
(٥) شرح نهج البلاغة (ج٢، ص٥٦).
(٦) من المصدر.
(٧) كما في المصدر.
(٨) الإمامة والسياسة (ص١٩).
(٩) أنوار الشهادة (ص٢٠٧).
(١٠) الملل والنحل للشهرستاني (ص٨٣).

· جعل في عنق علي عليه السلام حبل يقاد به وهو يعتل، وفاطمة[عليها السلام] خلفه تصرخ وتنادىٰ بالويل والثبور، وابناه حسن وحسين[عليهما السلام] معهما يبكيان[1]، و:

· إن عليا[عليه السلام] لما أحضر ساموه[2] البيعة فامتنع، فتهدد بالقتل، فقال[عليه السلام]: «**إذن تقاتلون عبدالله وأخا رسول الله!**».. فقالوا: أما عبدالله فنعم، وأما أخو رسول الله فلا[3].. و:

· أنه طعن فيهم في أوجههم بالنفاق، و:

· سطر صحيفة الغدر التي اجتمعوا عليها، و:

· أنهم[4] أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة العقبة[5].

فكله لا أصل له عند أصحابنا، ولا يثبته أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث، ولا يعرفونه، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله.

وقال في موضع آخر من الشرح[6]: أما حديث الهجوم علىٰ بيت فاطمة عليها السلام فقد تقدم القول[7] فيه، والظاهر عندي صحة ما يرويه المرتضىٰ والشيعة، [ولكن لا][8] كل ما يزعمونه، بل كان بعض ذلك، وحق لأبي بكر أن يندم ويتأسف علىٰ ذٰلك (يعني علىٰ كشفه بيت فاطمة عليها السلام).

⊡ [تعليق المصنف قدس سره علىٰ مغالطة ابن أبي الحديد]:

أقول: لما صحح ابن أبي الحديد في كلامه الأخير ما يرويه السيد المرتضىٰ[رضي الله عنه] والشيعة، وأراد بما يرويه السيد المرتضىٰ رضي الله عنه ما رواه في كتاب الشافي، فنذكر ما رواه السيد المرتضىٰ في الشافي وما يرويه الشيعة في فصل مستقل.

(١) الإمامة والسياسة (ج١، ص٢٠) وأنساب الأشراف (ج١، ص٥٨٧).
(٢) كلفوه التعب.
(٣) كتاب سليم (ص١٥٣).
(٤) في المصدر: وبأنهم.
(٥) الطبقات الكبرى (ج٣، ق١، ص٣١٩) ومسند أحمد (ج١، ص١٠٩).
(٦) شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص١٦٨).
(٧) في المصدر: الكلام.
(٨) من المصدر.

قال السيد الأجل المرتضىٰ (قدس الله تعالىٰ روحه) في كتاب الشافي[1]: روىٰ إبراهيم (بن محمد)[2] بن سعيد الثقفي، قال: حدثنا أحمد بن عمرو البجلي، قال: حدثنا أحمد بن حبيب العامري، [عن حمران بن أعين][3]، عن أبي عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، قال: «**والله ما بايع علي عليه السلام حتىٰ رأىٰ الدخان قد دخل عليه بيته**».

وقال السيد[4]: وقد روىٰ البلاذري[5]، عن المدائني، عن مسلمة بن محارب، عن سليمان التيمي، عن أبي عون: أن أبا بكر أرسل إلىٰ علي عليه السلام [يريده علىٰ البيعة][6] فلم يبايع، فجاء عمر ومعه قبس، فلتقته فاطمة عليها السلام علىٰ الباب، [فقالت][7]: «**يا ابن الخطاب، أتراك محرقا علي بابي**»!! قال: نعم، وذلك أقوىٰ فيما جاء به أبوك وجاء علي عليه السلام فبايع.

قال السيد[8] عقيب هٰذا الحديث: وهٰذا الخبر قد روته الشيعة من طرق كثيرة، وإنما الطريف أن نرويه برواية لشيوخ محدثي العامة، ولكنهم كانوا يروون ما سمعوا بالسلامة، وربما تنبهوا علىٰ [ما في بعض] ما يروونه عليهم فكفوا عنه، وأي إختيار لمن يحرق عليه بابه حتىٰ يبايع؟

قال السيد[9]: وروىٰ إبراهيم عن يحيىٰ بن الحسن، عن عاصم عامر، عن نوح بن دراج، عن داوود بن بريدة[10] الأودي، عن أبيه، عن عدي بن حاتم، قال: ما رحمت أحدا رحمتي عليا [عليه السلام] حين أتي به ملببا[11] فقيل له: بايع.. قال [عليه السلام]: «**فإن لم أفعل**»؟ قالوا: إذا نقتلك.. قال [عليه السلام]: «**إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله**»، ثم بايع كذا وضم يده اليمنىٰ.

---

(١) الجزء الثالث (ص٢٤١).

(٢) غير موجودة في المصدر.

(٣) من المصدر.

(٤) في الشافي (ج٣، ص٢٤١).

(٥) في أنساب الأشراف (ج١، ص٥٨٦).

(٦) كما في المصدر.

(٧) من المصدر.

(٨) في الشافي في الإمامة (ج٣، ص٢٤١).

(٩) في الشافي والإمامة (ج٣، ص٢٤٤).

(١٠) في المصدر: يزيد.

(١١) مأخوذا بتلابيبه أي مجموعا ثيابه عند نحره وصدره (ترتيب إصلاح المنطق: ص٢٥٣).

وقال السيد[1]: قد روىٰ أبو الحسن أحمد بن جابر البلاذري[2] ـ وحاله في الثقة عند العامة، والبعد عن مقاربة الشيعة، والضبط لما يرويه معروفة ـ قال: حدثني بكر بن الهيثم، قال: حدثنا عبدالرزاق، عن معمر، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، قال: بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلىٰ علي عليه السلام حين قعد عن بيعته، وقال: إئتني به بأعنف العنف.. فلما أتاه جرىٰ بينهما كلام، فقال له علي عليه السلام: «**احلب حلبا لك شطره، والله ما أحرصك علىٰ إمارته اليوم إلا ليؤمرك غدا، وما تنفس علىٰ أبي بكر هٰذا الأمر لكنا أنكرنا تركِكم مشاورتنا، وقلنا: إن لنا حق لا تجهلونه**» ثم أتىٰ فبايعه.

وهٰذا الخبر يتضمن ما جرت عليه الحال وما يقوله الشيعة بعينه، وقد أنطق الله تعالىٰ به رواتهم.

وقال السيد[3]: وقد روىٰ البلاذري[4] عن المدائني عن أبي حرب[5]، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: لم يبايع علي أبا بكر حتىٰ ماتت فاطمة عليها السلام بعد ستة أشهر، فلما ماتت ضرع إلىٰ صلح أبي بكر، فأرسل إليه أن يأتيه، فقال له عمر: لا تأمنه[6] وحدك.. قال: وما يصنعون بي؟ فأتاه أبو بكر، فقال له عليه السلام: «**والله ما نفسنا عليك ما ساق الله إليك من فضل وخير ولكنا كنا نظن أن لنا في هٰذا الأمر نصيبا استبد به علينا**»، فقال أبو بكر: والله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله أحب إليّ من قرابتي، فلم يزل علي عليه السلام يذكر حقه وقرابته حتىٰ بكىٰ أبو بكر، فقال: ميعادك العشية، فلما صلىٰ أبو بكر الظهر خطب وذكر عليا عليه السلام وبيعته.

فقال علي عليه السلام: «**إني لم يحبسني عن بيعة أبي بكر ألا أكون عارفا بحقه، ولكنا كنا نرىٰ أن لنا في هٰذا الأمر نصيبا استبد به علينا**»، ثم بايع أبا بكر، فقال المسلمون: أصبت وأحسنت.

---

(١) الشافي في الإمامة (ج٣، ص٢٤٠).

(٢) في أنساب الأشراف (ج١، ص٥٨٧).

(٣) في الشافي والإمامة (ج٣، ص٢٤٢).

(٤) في أنساب الأشراف (ج١، ص٥٨٦).

(٥) في المصدر: جري.

(٦) في المصدر: لا تأته.

ومن تأمل هٰذا الخبر وما جرىٰ مجراه علم كيف وقعت الحال في البيعة، وما الداعي إليها، ولو كانت الحال سليمة، والنيات صافية، والتهمة مرتفعة، لما منع عمر أبا بكر أن يصير إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وحده.

وقال السيد[1]: وروىٰ إبراهيم الثقفي، عن محمد بن أبي عمير، عن أبيه، عن صالح بن أبي الأسود، عن عقبة بن سنان، عن الزهري، قال: ما بايع علي عليه السلام إلا بعد ستة أشهر، وما اجترىٰ عليه إلا بعد موت فاطمة عليها السلام.

قال السيد[2]: وروىٰ إبراهيم عن إبراهيم[3] بن أبي شيبة، عن خالد بن مخلد البجلي، عن داوود بن يزيد الأودي، عن أبيه، عن عدي بن حاتم، قال: إني لجالس عند أبي بكر إذ جيء بعلي عليه السلام فقال له أبو بكر: بايع.. فقال له علي عليه السلام: «**فإن لم أبايع[4]».. فقال: أضرب الذي فيه عيناك.. فرفع[عليه السلام] رأسه إلىٰ السماء، ثم قال:** «اللهم اشهد» ثم مد يده فبايعه.

وقد روي هٰذا المعنىٰ من طرق كثيرة مختلفة، وبألفاظ متقاربة المعنىٰ وإن اختلفت ألفاظها، وإنه عليه السلام كان يقول في ذٰلك اليوم لما أكره علىٰ البيعة، وحذر من التقاعد عنها: «﴿ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5]»[6]، ويردد ذٰلك ويكرره، وذكر أكثر ما روي في هٰذا المعنىٰ يطول فضلا عن ذكر جميعه، وفيما أشرنا إليه كفاية ودلالة علىٰ أن البيعة لم تكن عن رضىٰ واختيار.

قال السيد المرتضىٰ[رضي الله عنه][7] عقيب ما ذكرناه: فإن قيل كل ما رويتموه في هٰذا المعنىٰ أخبار آحاد لا يوجب علما، قلنا: كل خبر مما ذكرناه وإن كان واردا من طريق الآحاد فإن معناه الذي تضمنه متواتره، والمعول علىٰ المعنىٰ دون اللفظ، ومن استقرىٰ الأخبار وجد معنىٰ إكراهه عليه السلام علىٰ البيعة، وإنه دخل فيها مستدفعا للشر، وخوفا من [نفور الناس، و][8]تفرق الكلمة، وقد وردت فيه[9] أخبار كثيرة من طرق مختلفة تخرج عن حد الآحاد إلىٰ التواتر.

---

(١) في الشافي (ج٣، ص٢٤٢). (٢) في الشافي في الإمامة (ج٣، ص٢٤٤).
(٣) في المصدر: عثمان. (٤) في المصدر: أفعل. (٥) الآية ١٥٠ من سورة الأعراف.
(٦) بصائر الدرجات (ص٢٩٥).
(٧) في الشافي في الإمامة (ج٣، ص٢٤٥).
(٨) من المصدر.
(٩) في المصدر: به.

ثم ساق السيد الكلام علىٰ تأييد الحق بما فيه طول، فاقتصرنا علىٰ القليل منه.

وأما ما رواه الشيعة؛ فالذي رواه الشيخ الثقة أبو النضر محمد بن مسعود العياشي في تفسيره[١]، عن أحدهما عليهما السلام، قال: إن نبي الله صلى الله عليه وآله لم يقبض حتىٰ أعلم الناس أمر علي عليه السلام، فقال: «**من كنت مولاه فعلي مولاه**»[٢]، وقال: «**إنه مني بمنزلة هارون من موسىٰ، غير أنه لا نبي بعدي**»[٣]، وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله في المواطن كلها، وكان معه في المسجد يدخله علىٰ كل حال، وكان أول الناس إيمانا به، فلما قبض نبي الله[صلى الله عليه وآله] كان الذي كان لما قضىٰ من الاختلاف وعمل[٤] عمر فبايع أبا بكر ولم يدفن رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رأىٰ ذلك علي[عليه السلام] ورأىٰ الناس قد بايعوا أبا بكر خشي أن يفتتن الناس، ففزع إلىٰ كتاب الله وأخذ يجمعه في مصحف، فأرسل أبو بكر إليه أن تعال فبايع، فقال علي عليه السلام: «**لا أخرج حتىٰ أجمع القرآن**».. فأرسل إليه مرة أخرىٰ، فقال[عليه السلام]: «**لا أخرج حتىٰ أفرغ**»، فأرسل إليه الثالثة عمر رجلا[٥] يقال له: قنفذ، فقامت فاطمة بنت رسول الله (صلوات الله عليها) تحول بينه وبين علي عليه السلام، فضربها، فانطلق قبله[٦] وليس معه [علي عليه السلام][٧] فخشي أن يجتمع علىٰ الناس فأمر بحطب فجعل حوالي بيته، ثم انطلق عمر بنار فأراد أن يحرق علىٰ علي عليه السلام بيته وعلي وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله عليهم)، فلما رأىٰ [علي عليه السلام][٨] ذلك خرج فبايع كارها غير طائع.

---

(١) الجزء الثاني (ص٣٠٧).

(٢) حديث الغدير المتواتر وقد تقدم تخريجه.

(٣) حديث المنزلة المتواتر وتقدم تخريجه.

(٤) في المصدر: وعمد.

(٥) في المصدر: ابن عم له.

(٦) في المصدر: قنفذ.

(٧) من المصدر.

(٨) كما في المصدر.

الباب السابع

في اعتراف عمر بأن أمير المؤمنين عليا عليه السلام مظلوم وغصبه الخلافة منه

قال ابن أبي الحديد[١]: وروىٰ الزبير بن بكار في كتاب الموفقيات، عن عبدالله بن عباس، قال: إني لأماشي عمر بن الخطاب في سكة من سكك المدينة، إذ قال لي: يا ابن عباس؛ ما أرىٰ صاحبك إلا مظلوما.. فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلت: يا أمير المؤمنين؛ فاردد إليه ظلامته.. فانتزع يده من يدي، ومضىٰ يهمهم ساعة، فأسرعت[٢] فلحقته، فقال: يا ابن عباس؛ ما أظنهم[٣] منعهم منه[٤] إلا أنه استصغره قومه.. فقلت في نفسي: هٰذه شر من الأولىٰ.. فقلت: والله ما استصغره الله ورسوله حين أمراه أن يأخذ براءة من صاحبك.. فأعرض عني وأسرع فرجعت عنه.

وقال[٥]: قال ابن عمر لابن عباس: يا عبدالله؛ أنتم أهل رسول الله وبنو عمه، فما تقول منع قومكم منكم.. قال: لا أدري والله ما أضمرنا لهم إلا خيرا.. قال: اللهم اغفر إن قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتذهبوا في السماء شمخا[٦] وبذخا[٧]، ولعلكم تقولون: إن أبا بكر أول من آخركم، إما إنه لم يقصد ذلك، ولكن حضر أمر لم يكن بحضرته أحزم مما فعل، ولو لا رأي أبي بكر فيّ لجعل لكم من الأمر نصيبا، ولو فعل ما هناكم مع قومكم إنهم ينظرون إليكم نظر الثور إلىٰ جزاره.

قال[٨]: قال ابن عباس: كنت عند عمر، فتنفس نفسا ظننت أن أضلاعه قد انفجرت، فقلت: ما أخرج هٰذا النفس منك يا أمير المؤمنين إلا هم شديد.. قال: إي والله يا ابن عباس، إني فكرت فلم أدر فيمن أجعل هٰذا الأمر بعدي.. ثم

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٤٦).

(٢) في المصدر: ثم وقفت.

(٣) أو: ما أظن القوم.

(٤) في المصدر: عنه.

(٥) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٩).

(٦) رفعا (كتاب العين: ج٤، ص١٧٤).

(٧) متكبرين (لسان العرب: ج٣، ص٧).

(٨) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٥١).

قال: لعلك ترىٰ صاحبك لها أهلا.. قلت: وما يمنعه من ذٰلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه.. قال: صدقت ولكنه امرؤ فيه دعابة.

قلت: فأين أنت عن طلحة.. قال: ذو البأو[١] وبإصبعه المقطوعة.

قلت: فعبدالرحمن؟ قال: رجل ضعيف، لو صار الأمر إليه لوضع خاتمه في يد امرأته.

قلت: فالزبير؟ قال: شكس[٢] لقس[٣]، يلاطم في النقيع في صاع من بر.

قلت: فسعد بن أبي وقاص؟ قال: صاحب سلاح ومقنب[٤].

قلت: فعثمان؟ قال: أوه ـ ثلاثا ـ ، والله لئن وليها ليحملن بني أبي معيط علىٰ رقاب الناس، ثم لتنهض العرب إليه.

ثم قال: يا ابن عباس؛ إنه لا يصلح لهٰذا الأمر إلا خصيف[٥] العقدة، قليل الغرة[٦]، لا تأخذه في الله لومة لائم، ثم يكون شديدا من غير عنف، لينا من غير ضعف، سخيا من غير سرف، ممسكا من غير وكف[٧].

قال ابن عباس: وكانت والله هي صفات عمر.

قال: ثم أقبل علي بعد أن سكت هنيهة[٨]، وقال: أجرؤهم والله إن وليها أن يحملهم علىٰ كتاب ربهم، وسنة نبيهم، لصاحبك أما إن ولي أمرهم، حملهم علىٰ المحجة البيضاء والصراط المستقيم.

قال[٩]: ورویٰ عبدالله بن عمر، قال: كنت عند أبي يوما، وعنده نفر من الناس، فجرىٰ ذكر الشعر، فقال: من أشعر العرب؟ فقالوا: فلان وفلان.. فطلع عبدالله بن عباس، فسلم وجلس، فقال عمر: قد جاءكم الخبير، من أشعر الناس يا عبدالله؟ قال: زهير بن أبي سلمىٰ.. قال: فأنشدني مما تستجيده له.. فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنه مدح قوما من غطفان يقال لهم بنو سنان، فقال[١٠]:

---

(١) العجب والتفاخر (النهاية: ج١، ص٩٠). (٢) صعب الخلق.

(٣) سيء الخلق. (٤) جماعة الخيل.

(٥) مستحكمها.

(٦) الحسن (غريب الحديث لابن قتيبة: ج٢، ص٨٠).

(٧) عيب.

(٨) زمانا قليلا (النهاية: ج٥، ص٢٧٩).

(٩) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٥٢).

(١٠) ونسب أبو تمام في الوحشيات لأبي الحويزة عيسى بن أوس.

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم
قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تنسبهم
طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنس إذا أمنوا جن إذا فزعوا
مرزؤون بها ليل إذا جهدوا
محسدون على ما كان من نعم
لا ينزع الله منهم ماله حسدوا[١]

فقال عمر (قاتله الله): [والله][٢] لقد أحسن، وما أرىٰ هٰذا المدح يصلح إلا لهٰذا البيت من هاشم، لقرابتهم من رسول الله ﷺ.. فقال ابن عباس: وفقك الله يا أمير المؤمنين، فلم تزل موفقا.. فقال: يا ابن عباس؛ أتدري من[٣] منع الناس منكم؟ قال: لا يا أمير المؤمنين.. قال: لكني أدري. قال: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: كرهت قريش أن تجمع ـ وفي نسخة: أن تجتمع ـ لكم النبوة والخلافة فيجحفوا جحفا[٤]، فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووفقت فأصابت.

فقال ابن عباس: أيميط[٥] أمير المؤمنين علىٰ غضبه فيستمع! قال: قل ما تشاء.. قال: أما قول أمير المؤمنين: (إن قريشا كرهت) فإن الله تعالىٰ قال لقوم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[٦].

واما قولك: (إنا كنا نجحف) فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة، ولكنا [قوم][٧] أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله ﷺ الذي قال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٨].. وقال له: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٩].

---

(١) ديوان زهير (ص٢٨١).
(٢) من المصدر.
(٣) في المصدر: ما.
(٤) الجحف هو الفخر والشرف (النهاية: ج١، ص٢٤٢).
(٥) ينحي ويبعد (الصحاح: ج٣، ص١١٦٢).
(٦) الآية ١٩ من سورة الأحزاب.
(٧) من المصدر.
(٨) الآية الرابعة من سورة القلم.
(٩) الآية ٢١٥ من سورة الشعراء.

وأما قولك: (إن قريشا اختارت) فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾(١)، وقد علمت يا أمير المؤمنين إن الله تعالىٰ اختار لخلقه من ذٰلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت [وأصابت](٢) قريش، فقال عمر: علىٰ رسلك يا ابن عباس؛ أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشا في أمر قريش لا يزول، وحقدا عليها لا يحول.. فقال ابن عباس: مهلا يا أمير المؤمنين، لا تنسب قلوب بني هاشم(٣) إلىٰ الغش، فإن قلوبهم من قلب رسول الله[صلى الله عليه وآله] الذي طهره الله وزكاه، وهم أهل البيت الذين قال الله تعالىٰ لهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٤).

وأما قولك: (حقدا)؛ فكيف لا يحقد من غصب شيئه ويراه في يد غيره.

فقال عمر: أما أنت يا عبدالله(٥)؛ فقد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي.

قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ أخبرني به فإن يك باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقا فإن منزلتي عندك لا تزول به.. قال: بلغني إنك لا تزال تقول: أخذ هٰذا الأمر منك حسدا وظلما.. قال: أما قولك يا أمير المؤمنين: (حسدا) فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، فنحن بنو آدم المحسود.

وأما قولك: (ظلما)؛ فأمير المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو.

ثم قال: يا أمير المؤمنين؛ ألم تحتج العرب علىٰ العجم بحق رسول الله[صلى الله عليه وآله]، واحتجت قريش علىٰ سائر العرب بحق رسول الله صلى الله عليه وآله، فنحن أحق برسول الله من سائر قريش.

فقال له عمر: قم الآن فارجع إلىٰ منزلك.. فقام، فلما ولىٰ هتف به عمر: أيها المنصرف؛ إني علىٰ ما كان منك لراع حقك!! فالتفت ابن عباس فقال: إن لي عليك يا أمير المؤمنين وعلىٰ كل المسلمين حقا برسول الله صلى الله عليه وآله، فمن حفظ فحق نفسه حفظ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع.. ثم مضىٰ، فقال عمر لجلسائه: واها لابن عباس، ما رأيته لاحىٰ(٦) أحدا قط إلا خصمه!

(١) الآية ٦٨ من سورة القصص. (٢) كما في المصدر.
(٣) في المصدر: هاشما. (٤) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.
(٥) في المصدر: يا ابن عباس.
(٦) نازع وخاصم.

وقال: قال أبو بكر[١] ـ يعني: أحمد بن عبدالعزيز الجوهري، صاحب كتاب السقيفة، ونقل توثيقه عن أصحاب الحديث ـ قال: أخبرنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا محمد بن حاتم، عن رجاله، عن ابن عباس، قال: مر عمر رضي الله عنه بعلي عليه السلام وعنده ابن عباس بفناء داره، فسلم عليه، فقال له علي[عليه السلام]: «**أين تريد**»؟ قال: بقيع.. [قال علي عليه السلام][٢]: «**أفلا نصل جناحك ونقوم معك**»؟ قال: بلىٰ.. فقال علي عليه السلام: «**قم معه**».. فقمت ومشيت إلىٰ جانبه فشبك أصبعه في أصابعي، ومشيت حتىٰ إذا خلفنا البقيع، قال لي: يا ابن عباس؛ أما والله إن [كان][٣] صاحبك هٰذا لأولىٰ[٤] الناس بالأمر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أنا خفناه علىٰ اثنتين.

قال ابن عباس: فجاء بكلام[٥] لم أجد بدا معه من مسألته عنه.. فقلت: ما هما يا أمير المؤمنين؟ قال: خفنا[٦] علىٰ حداثة سنه وحبه بني عبدالمطلب.

وقال: قال أبو بكر[٧]: وحدثنا أبو زيد عمر بن شبة، بإسناد رفعه إلىٰ ابن عباس، قال: إني لأماشي عمر في سكة من سكك المدينة، يده في يدي، فقال: يا ابن عباس؛ ما أظن صاحبك إلا مظلوما، فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلت: يا أمير المؤمنين؛ فأد[٨] إليه ظلامته، فانتزع يده من يدي، ثم مر يهمهم[٩] ساعة ثم وقف، فلحقته فقال لي: يا ابن عباس؛ ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه، فقلت في نفسي: هٰذه شر من الأولىٰ.. فقلت: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر.

وقال[١٠] في حديث الشورىٰ حين خاطب عمر الستة، قال: ثم أقبل عمر علىٰ علي عليه السلام، فقال: لله أنت لولا دعابة فيك، أما والله لئن وليتهم لتحملنهم علىٰ الحق الواضح، والمحجة البيضاء.

---

(١) في كتابه السقيفة وفدك (ص٥٤). (٢) كما في المصدر.
(٣) من المصدر. (٤) في المصدر: أولى.
(٥) في المصدر: بمنطق.
(٦) في المصدر: خشينا.
(٧) في السقيفة وفدك (ص٧٢).
(٨) في المصدر: فاردد.
(٩) يردد صوتا في صدره (الصحاح: ج٥، ص٢٠٦٢).
(١٠) شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٨٦).

قال: وروىٰ محمد بن سعد، عن الواقدي، عن محمد بن عبدالله الزهري، عن عبدالله بن عتبه، عن ابن عباس، قال عمر: لا أدري ما صنع[١] بأمة محمد[صلى الله عليه وآله]؟ وذلك قبل أن يطعن، فقلت: ولم تهتم وأنت تجد من يستخلفه عليهم؟ قال: أصاحبك[٢]؟ ـ يعني علياً عليه السلام ـ .. قلت: نعم، هو لها أهل في قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله، وصهره وسابقته وبلائه.. قال: إن فيه بطالة[٣] وفكاهة.

فقلت: فأين أنت من طلحة؟ قال: فأين الزهو والنخوة.

قلت: عبدالرحمن؟ قال: هو رجل صالح علىٰ ضعف فيه.

[قلت: فسعد.. قال: ذاك صاحب مقنب وقتال لا يقوم بقرية لو حمل أمرها][٤].

قلت: فالزبير؟ قال: وعق[٥] وتعس[٦] مؤمن الرضا، كافر الغضب، شحيح، وإن هٰذا الأمر لا يصلح إلا لقوي في غير عنف، رفيق في غير ضعف، وجواد في غير سرف.

قلت: فأين أنت عن عثمان؟ قال: لو وليها لحمل بني معيط علىٰ رقاب الناس، ولو فعلها لقتلوه.

وقد روي من غير هٰذا الطريق أن عمر قال لأصحاب الشورىٰ روحوا إلي فلما نظر إليهم قال: جاءني كل واحد يهز عقيرته[٧] يرجو أن يكون خليفة، أما أنت يا طلحة أفلست القائل: إن قبض النبي صلى الله عليه وآله أنكح أزواجه من بعده؟ فما جعل الله محمدا أحق ببنات أعمامنا منا، فأنزل الله تعالىٰ فيك: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾[٨]، واما أنت

---

(١) في المصدر: أصنع.

(٢) في المصدرك أصاحبكم.

(٣) قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٧٩): وأنا أعجب من لفظ عمر - إن كان قالها-: إن فيه بطالة، حاش لله أن يوصف علي عليه السلام بذلك، وإنما يوصف به أهل الدعابة واللهو، وما أظن عمر - إن شاء الله- قالها، وأظنها زيدت في كلامه، وإن الكلمة هاهنا دالة على انحراف شديد.

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: وعقة.

(٦) في المصدر: لقس.

(٧) في المصدر: عفريته.

(٨) الآية ٥٣ من سورة الأحزاب.

يا زبير فوالله ما لان قلبك يوما و[لا][1] ليلة، وما زلت جلفا[2] خايفا، وأما أنت يا عثمان فوالله لروثة خير منك.. وأما أنت يا عبدالرحمن؛ فإنك رجل عاجز تحب قومك جميعا.. وأما أنت يا سعد فصاحب عصبية وفتنة.

وأما أنت يا علي فوالله لو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم.. فقام علي[عليه السلام] موليا يخرج، فقال عمر: [والله إني][3] لأعلم مكان رجل لو وليتم[4] أمركم لحملكم علىٰ المحجة البيضاء.. قالوا: من هو؟ قال: هٰذا المولىٰ بينكم.. قالوا: فما يمنعك من ذلك؟ قال: ليس إلىٰ ذٰلك سبيل.

وفي خبر آخر رواه البلاذري في تاريخه[5]: أن عمر لما خرج أهل الشورىٰ من عنده، قال: إن ولوها الأجلح[6] سلك بهم الطريق.. فقال عبدالله بن عمر: فما يمنعك منه يا أمير المؤمنين؟ قال: أكره أن تحملها حيا وميتا.

وقيل: وكان عمر قال لطلحة والزبير ولغيرهما: أما أن الأجلح إن وليها ليحملنهم علىٰ المحجة البيضاء والصراط المستقيم، وكان النبي صلى الله عليه وآله من قبل قال: «**وإن تولوها عليا[عليه السلام] تجدوه هاديا مهديا**»[7].

الباب الثامن

في مطاعن شتىٰ

وهي في المطاعن علىٰ عمر التي أوردها قاضي القضاة عبدالجبار في المغني وما اعترض عليه السيد المرتضىٰ في الشافي، وهي عشرة.

◘ [الطعن الأول]:

قال ابن أبي الحديد[8]: قال قاضي القضاة: إن أول ما طعن به عليه، قول من قال: إنه بلغ من [قلة][9] علمه إنه لم يعلم أن الموت يجوز علىٰ النبي صلى الله عليه وآله، وأنه

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: جافيا.
(٣) من المصدر. (٤) في المصدر: وليتموه. (٥) أنساب الأشراف (ج٥، ص١٦).
(٦) منحسر الشعر من جانبي جبهته (لسان العرب: ج١٣، ص٤٨٥).
(٧) نهج السعادة (ج٨، ص٤٩٨).
(٨) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٩٥).
(٩) من المصدر.

أسوة الأنبياء في ذلك، حتىٰ قال: (والله ما مات محمد ولا يموت حتىٰ تقطع أيدي رجال وأرجلهم)، فلما تلا عليه أبو بكر قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ الآية[2]، [قال][3]: (أيقنت بوفاته وكأني لم أسمع بهذه الآية)، فلو كان يحفظ القرآن، أو يفكر فيه، لما قال ذلك.

وهٰذا يدل علىٰ بعده من حفظ القرآن وتلاوته، [و][4]من هٰذا حاله لا يجوز أن يكون إماما.

قال: قال قاضي القضاة[5]: وهٰذا لا يصح، لأنه قد روي عنه أنه قال: (كيف يموت وقد قال الله تعالىٰ: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[6]، وقال: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[7])، ولذلك نفىٰ موته[عليه السلام]، لأنه حمل الآية علىٰ أنها خبر عنه في حال حياته، حتىٰ قال له أبو بكر: (إن الله وعده بذلك وسيفعله)، وتلا عليه ما تلا، فأيقن عند ذٰلك بموته، وإنما ظن أن موته يتأخر عن ذٰلك الوقت لا أنه منع من موته.

ثم سأل قاضي القضاة نفسه، فقال: فإن قيل: فلم قال لأبي بكر عند قراءة الآية: كأني لم أسمعها، ووصف نفسه بأنه أيقن بالوفاة.

وأجاب بأن قال: لما كان الوجه في ظنه ما أزال أبو بكر الشبهة [فيه جاز أن يتيقن، ثم سأل نفسه عن سبب يقينه فيما لا يعلم إلا بالمشاهدة.. وأجاب: بأن قرينة الحال عند][8] سماع الخبر أفادته اليقين ولو لم يكن في ذٰلك إلا [خبر][9] أبي بكر وادعاؤه لذلك والناس مجتمعون لحصل اليقين.

وقوله: (كأني لم أقرأ هٰذه الآية أو لم أسمعها) تنبيه علىٰ ذهابه[10] عن الاستدلال بها، لا أنه علىٰ الحقيقة لم يقرأها ولم يسمعها، ولا يجب فيمن ذهب

---

(١) الآية ١٥ من سورة المؤمن. (٢) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران.
(٣) كما في المصدر. (٤) من كتاب الشافي.
(٥) في المغني (ج ٢٠، ق ٢، ص ٩).
(٦) الآية ٣٣ من سورة التوبة.
(٧) الآية ٥٥ من سورة النور.
(٨) كما في المصدر.
(٩) من المصدر.
(١٠) في المصدر: ذهوله.

عن بعض أحكام الكتاب ألا يعرف القرآن، لأن ذلك لو دل لوجب ألا يحفظ القرآن إلا من يعرف جميع أحكامه، ثم ذكر أن حفظ القرآن كله غير واجب ولا يقدح الإخلال به في الفضل.

وحكىٰ عن الشيخ أبي علي: أن أمير المؤمنينعليه السلام لم يحط علمه بجميع الأحكام، ولم يمنع ذلك من فضله، واستدل بما روىٰ من قوله[عليه السلام]: (كنت إذا سمعت من رسول اللهصلى الله عليه وآله حديثا نفعني الله به ما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني غيره أحلفته، فإن حلف لي صدقته، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر)[1]، وذكر أنهعليه السلام لم يعرف أي موضع يدفن فيه رسول اللهصلى الله عليه وآله حتىٰ رجع إلىٰ ما رواه أبو بكر، وذكر قصة الزبير في موالي صفية، وأن أمير المؤمنينعليه السلام أراد أن يأخذ ميراثهم كما أن عليه أن يحمل عقلهم حتىٰ أخبره [عمر][2] بخلاف ذلك من أن الميراث للأب والعقل علىٰ العصبة[3]، ثم سأل نفسه فقال: كيف يجوز نحو ما ذكرتم علىٰ أمير المؤمنينعليه السلام مع قولهعليه السلام: «**سلوني قبل أن تفقدوني**»[4]، وقوله[عليه السلام]: «**إن هاهنا علما جما**»[5] يومئ إلىٰ قلبه، وقوله[عليه السلام]: «**لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم**»[6]، وقوله: «**كنت إذا سئلت أجبت**[7]**، وإذا سكت ابتديت**»[8].

وأجاب عن ذلك: بأن هٰذا إنما يدل علىٰ عظم المحل في العلم، من غير أن يدل علىٰ الإحاطة بالجميع.. وحكىٰ عن أبي علي استبعاده ما روي من قوله: «**لو ثنيت الوسادة**»، قال: لأنه لا يجوز أن يصف نفسه بأنه يحكم بما لا يجوز، ومعلوم أنهعليه السلام لا يحكم بين الجميع إلا بالقرآن ثنيت له الوسادة أو لم تثن، وهٰذا يدل علىٰ أن الخبر موضوع.

(١) مسند أحمد (ج١، ص١٠).

(٢) من المصدر.

(٣) معرفة السنن والآثار (ج٦، ص٢٤١).

(٤) نهج البلاغة (من كلام له رقمه ١٨٩).

(٥) إرشاد القلوب (ج٢، ص٢١٢).

(٦) التوحيد (ص٣٠٥).

(٧) أو: أعطيت.

(٨) أمالي الصدوق (ص٣٢٤).

قال ابن أبي الحديد[١]: واعترض الشريف المرتضىٰ (رضوان الله تعالىٰ عليه) وقال[٢]: ليس يخلو خلاف عمر في وفاة الرسول ﷺ أن يكون علىٰ سبيل الإنكار لموته علىٰ كل حال، والاعتقاد بأن الموت لا يجوز عليه علىٰ كل وجه، أو يكون منكرا لموته في تلك الحال، من حيث لم يظهر دينه علىٰ الدين كله وما أشبه ذٰلك مما قال صاحب الكتاب: (إنها كانت شبهة في تأخر موته علىٰ تلك الحال).

فإن كان (الوجه الأول) فهو مما لا يجوز خلاف العقلاء في مثله، والعلم بجواز الموت علىٰ سائر البشر لا يشك فيه عاقل، والعلم من دينه ﷺ بأنه سيموت كما مات [من قبله][٣] ضروري، وليس يحتاج في مثل هٰذا إلىٰ الآيات التي تلاها أبو بكر، من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٤] وما أشبهها.

وإن كان خلافه علىٰ (الوجه الثاني) تأول ما فيه أن هٰذا الخلاف لا يليق بما احتج به أبو بكر من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٥]، لأنه لم ينكر علىٰ هٰذا جواز الموت، وإنما خالف في تقدمه، وقد كان يجب أن يقول: وأي حجة في هٰذه الآيات علىٰ من جوز عليه ﷺ الموت في المستقبل، وأنكره في هٰذا الحال.

وبعد؛ فكيف دخلت [هذه][٦] الشبهة البعيدة علىٰ عمر من بين سائر الخلق!! ومن أين زعم أنه لا يموت حتىٰ يقطع أيدي رجال وأرجلهم!!

وكيف حمل معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[٧]، وقوله: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[٨] علىٰ أن ذٰلك لا يكون في المستقبل بعد الوفاة.

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٩٧).
(٢) في الشافي والإمامة (ج٤، ص١٧٦).
(٣) من المصدر.
(٤) الآية ٣٠ من سورة الزمر.
(٥) الآية ٣٠ من سورة الزمر.
(٦) من المصدر.
(٧) كما في الآيات ٣٣ من سورة التوبة والآية ٢٨ من سورة الفتح والآية ٩ من سورة الصف.
(٨) الآية ٥٥ من سورة النور.

وكيف لم يخطر هٰذا إلا لعمر وحده، ومعلوم ضعف الشبهة إنما يكون من ضعف الفكرة، وقلة التأويل والبصيرة.

وكيف لم يوقن بموته لما رأىٰ ما عليه أهل الإسلام من اعتقاد موته، وما ركبهم من الحزن والكآبة لفقده، وهلا دفع بهٰذا اليقين ذٰلك التأويل البعيد فلم يحتج إلىٰ موقف ومعرف، وقد كان يجب ـ إن كانت هٰذه شبهته ـ أن يقول في حال مرض رسول الله ﷺ وقد رأىٰ جزع أهله وأصحابه وخوفهم عليه الوفاة، حتىٰ يقول أسامة بن زيد معتذرا من تباطاه عن الخروج في الجيش الذي كان رسول الله ﷺ يكرر ويردد الأمر بتنفيذه: لم أكن لأسأل عنك الركب: ما هٰذا الجزع والهلع وقد أمنكم الله من موته بكذا ومن[1] وجه كذا، وليس هٰذا من أحكام الكتاب التي يعذر من لا يعرفها علىٰ ما ظنه صاحب الكتاب.

قال ابن أبي الحديد عقيب ذلك[2]: قلت الذي قرأناه ورويناه من كتب التواريخ يدل علىٰ أن عمر أنكر موت رسول الله ﷺ من الوجهين المذكورين، أنكر (أولا) أن يموت إلىٰ يوم القيامة، واعتقد عمر أنه يعمر كما يعتقد كثير من الناس في الخضر، فلما حاجه أبو بكر بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[3] وبقوله: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾[4] رجع عن ذٰلك الإعتقاد.

ثم نقل ابن أبي الحديد[5] عن السيد المرتضىٰ[6] الاعتراض علىٰ قاضي القضاة في باقي ما ذكره بجواب مبطل لكلام قاضي القضاة، إلىٰ أن قال:

(وأما قوله[عليه السلام]: «**سلوني قبل أن تفقدوني**»، وقوله[عليه السلام]: «**إن ها هنا لعلما جما**» إلىٰ غير ذلك) فإنه لا يدل علىٰ عظم المحل في العلم، فقط علىٰ ما ظنه صاحب الكتاب، بل هو قول واثق بنفسه، آمن من أن يسأل عما لا يعلمه، وكيف يجوز أن يقول مثله علىٰ رؤوس الأشهاد، وظهور المنابر: «**سلوني قبل أن تفقدوني**»، وهو يعلم أن كثيرا من أحكام الدين يعزب[7] عنه.. وأين كان أعداؤه،

---

(١) في المصدر: في.

(٢) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٩٨).

(٣) الآية ٣٠ من سورة الزمر.

(٤) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران.

(٥) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٠٢).

(٦) في الشافي في الإمامة (ج٤، ص١٧٨).

(٧) يبعد عنه.

والمنتهزون لفرصته، وزلته عن سؤاله عن مشكل المسائل، وغوامض الأحكام، والأمر في هٰذا ظاهر.

وأما[١] استبعاد أبي علي لما روي عنه[عليه السلام] من قوله: «**لو ثنيت لي الوسادة**» للوجه الذي ظنه، فهو البعيد[٢]، فإنه[٣] لم يفطن لغرضه عليه السلام، وإنما أراد: إني كنت أقاضيهم إلىٰ كتبهم الدالة علىٰ البشارة بنبينا صلى الله عليه وآله وصحة شرعه، فأكون حاكما ـ حينئذ ـ عليهم بما تقتضيه كتبهم من هٰذه الشريعة وأحكام هٰذا القرآن، وهٰذا من جليل الأغراض وعظيمها [في العلم][٤].

▫ الطعن الثاني:

أنه أمر برجم حامل حتىٰ نبهه معاذ بن جبل[٥]، وقال: (إن يكن لك عليها سبيل فلا سبيل لك علىٰ ما في بطنها)، فرجع عن حكمه، وقال: (لو لا معاذ لهلك عمر)، ومن يجهل هٰذا القدر لا يجوز أن يكون إماما، لأنه يجري مجرىٰ أصول الشرع، بل العقل يدل عليه، لأن الرجم عقوبة، ولا يجوز أن يعاقب من لا يستحق[٦].

قال[٧]: اعتذر قاضي القضاة عن هذا، فقال[٨]: إنه ليس في الخبر إنه أمر برجمها مع علمه بأنها حامل، لأنه ليس ممن يخفىٰ عليه هٰذا القدر، وهو: أن الحامل لا ترجم حتىٰ تضع، وإنما ثبت عنده زناها فأمر برجمها علىٰ الظاهر، وإنما قال [ما قال][٩] في معاذ لأنه نبهه علىٰ أنها حامل.

ثم سأل نفسه، فقال: فإن قيل: إذا لم تكن معه معصية فكيف يهلك لولا معاذ!! وأجاب: بأنه لم يرد لهلك من جهة العذاب[١٠]، وإنما أراد أنه كان يجري

---

(١) في المصدر: فأما. (٢) في المصدر: فمن بعيد الاستبعاد.
(٣) في المصدر: لأنه.
(٤) كما في المصدر.
(٥) وفي جملة من المصادر كمناقب الخوارزمي (ص٨١) وذخائر العقبى (ص٨١) وتذكرة الخواص (ص١٤٨) وغيرها إن الذي نبهه هو الإمام علي عليه السلام.
(٦) شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٠٢).
(٧) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٠٣).
(٨) في كتابه المغني (ج٢٠، القسم الثاني، ص١٢).
(٩) من المصدر.
(١٠) أو: العقاب.

بقوله: قتل من لا يستحق القتل، كما يقال للرجل هلك من الفقر، وصار سببا لقتل الخطأ، ويجوز أن يريد بذلك تقصيره في تعرف حالها، لأن ذٰلك لا يمتنع أن يكون بخطيئة وإن صغرت.

قال[١]: اعترض المرتضىٰ (رضوان الله تعالىٰ عليه) علىٰ هٰذا الاعتذار، فقال[٢]: لو كان الأمر علىٰ ما ظننته لم يكن تنبيه معاذ له علىٰ هٰذا الوجه، بل كان يجب أن ينبهه بأن يقول له: بل هي حامل، ولا يقول له: إن كان لك سبيل عليها فلا سبيل لك علىٰ ما في بطنها، لأن هٰذا قول من عنده أنه أمر برجمها مع العلم بحملها[٣]، وأقل ما يجب ـ لو كان الأمر كما ظنه صاحب الكتاب ـ أن يقول لمعاذ: ما ذهب عليّ أن الحامل لا ترجم، وإنما أمرت برجمها لفقد علمي بحملها، فكان ينفي بهٰذا القول عن نفسه الشبهة!

وفي إمساكه [عنه][٤] ـ مع شدة الحاجة إليه ـ دليل علىٰ صحة قولنا، وقد كان يجب أيضا أن يسأل عن الحمل لأن هٰذا أحد الموانع من الرجم، فإذا علم انتفاؤه[٥] أمر برجمها[٦]، وصاحب الكتاب قد اعترف بأن ترك المسألة عن ذٰلك تقصير وخطيئة، وادعىٰ أنها صغيرة، ومن أين له ذٰلك ولا دليل يدل عنده في غير الأنبياء عليهم السلام أن معصية عند صغيرة.

فأما إقراره بالهلاك لو لا تنبيه معاذ، فإنه[٧] يقتضي التعظيم والتفخيم لشأن الفعل، ولا يليق ذٰلك إلا بالتقصير الواقع، إما في الأمر برجمها مع العلم بأنها حامل، أو ترك البحث عن ذٰلك والمسألة عنه، وأي لوم عليه في أنه كان يجري بقوله قتل من لا يستحق القتل إذا لم يكن عن تفريط منه ولا تقصير.

قال ابن أبي الحديد[٨]: أما ظاهر لفظ معاذ فيشعر بما قاله المرتضىٰ (رضوان الله تعالىٰ عليه).

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٠٣).

(٢) في الشافي (ج٤، ص١٨٠).

(٣) أو: حالها.

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: ارتفاعه.

(٦) في المصدر: بالرجم.

(٧) في المصدر: فهو.

(٨) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٠٤).

وقال أيضا[١]: وأما قول المرتضىٰ[رضي الله عنه] كان يسأل[٢] عن الحمل لأنه أحد الموانع من الرجم فكلام صحيح لازم، ولا ريب أن ترك السؤال عن ذٰلك نوع من الخطأ .

قال[٣]: وأما قول عمر: (لولا معاذ لهلك عمر)؛ فإن ظاهر اللفظ يشعر بما يريده المرتضىٰ (رضوان الله تعالىٰ عليه).

▣ الطعن الثالث:

خبر المجنونة التي أمر برجمها، فنبهه أمير المؤمنين عليه السلام، وقال: (إن القلم مرفوع عن المجنون حتىٰ يفيق)، فقال: (لولا علي لهلك عمر)! وهٰذا يدل علىٰ انه لم يكن يعرف الظاهر من الشريعة.

قال ابن أبي الحديد[٤]: أجاب قاضي القضاة[٥]، فقال: ليس في الخبر أنه عرف جنونها، فيجوز أن يكون الذي ينبه عليه هو جنونها دون الحكم، لأنه كان يعلم أن الحد لا يقام في حال الجنون، وإنما قال: (لولا علي لهلك عمر) لا من جهة المعصية والاثم، لٰكن لأن حكمه لو نفذ لعظم غمه، ويقال في شدة الغم إنه هلاك، كما يقال في الفقر وغيره، وذلك مبالغة منه لما كان يلحقه من الغم الذي زال بهٰذا التنبيه، علىٰ أن هٰذا الوجه مما لا يمتنع في الشرع أن يكون صحيحا، وأن يقال: إذا كانت مستحقة للحد وإقامته[٦] عليها تصح، وإن لم يكن لها عقل، لأنه لا يخرج الحد من أن يكون واقعا موقعه، ويكون قوله عليه السلام: «**رفع القلم عن ثلاث**» يراد به زوال التكليف عنهم دون زوال إجراء الحكم عليهم، ومن هٰذه حاله لا يمتنع أن يكون مشتبها، فرجع[٧] فيه إلىٰ غيره، ولا يكون الخطأ فيه مما يعظم فيمنع من صحة الإمامة.

قال[٨]: اعترض السيد الشريف المرتضىٰ علىٰ هذا، فقال[٩]: لو كان أمر برجم المجنونة من غير علم بجنونها لما قال له أمير المؤمنين: أما علمت أن

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح النهج (ج١٢، ص٢٠٤). (٢) في المصدر: كان يجب أن يسأل.
(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٠٤). (٤) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٠٥).
(٥) في المغني (ج٢٠، القسم الثاني، ص١٣). (٦) في المصدر: فإقامته.
(٧) أو: فيرجع.
(٨) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٠٥).
(٩) في الشافي (ج٤، ص١٨١).

القلم مرفوع عن المجنون حتىٰ يفيق؟، بل كان يقول له بدلا من ذلك: هي مجنونة، وكان ينبغي أن يقول[1] عمر متبرئا من الشبهة: ما علمت بجنونها، ولست ممن يذهب عليه أن المجنون لا يرجم، فلما رأيناه استعظم ما أمر به، وقال: (لو لا علي لهلك عمر)، دلنا علىٰ أنه كان تأثم وتحرج بوقوع الأمر بالرجم، وأنه مما لا يجوز ولا يحل الأمر به، وإلا فلا معنىٰ لهٰذا الكلام.

وأما ذكر الغم[2] فأي غم كان يلحقه إذا فعل ما له أن يفعله، ولم يكن منه تفريط ولا تقصير، لأنه إذا كان جنونها لم يعلم به، فكانت[3] المسألة عن حالها، والبحث لا يجبان عليه، فأي وجه لتألمه وتوجعه واستعظامه لما فعله؟! وهل هٰذا إلا كرجم المشهود عليه بالزنا في أنه لو ظهر للإمام بعد ذٰلك براءة ساحته لم يجب أن يندم علىٰ فعله ويستعظمه، لأنه وقع صوابا مستحقا.

واما قوله: (إنه كان لا يمتنع في الشرع [أن يقام][4] الحد علىٰ المجنون)، وتأوله الخبر المروي علىٰ أنه يقتضي زوال التكليف دون الأحكام، فإن أراد أنه لا يمتنع في العقل أن يقام علىٰ المجنون ما هو من جنس الحد بغير استحقاق[5] ولا إهانة فذلك صحيح، كما يقام علىٰ التائب، وأما الحد في الحقيقة وهو الذي تضمنه الاستخفاف والإهانة فلا يجوز[6] إلا علىٰ المكلفين ومستحقي العقاب، وبالجنون قد أزيل[7] التكليف فزال استحقاق العقاب الذي يمنعه[8] الحد.

وقوله: (لا يمتنع أن يرجع فيما هٰذه حاله من المشتبه إلىٰ غيره)، فليس هٰذا من المشتبه الغامض عنه، بل يجب أن يعرفه العوام فضلا عن العلماء، علىٰ أنا قد بينا إنه لا يجوز أن يرجع الإمام في جلي ولا مشتبه من أحكام الدين إلىٰ غيره.

---

(١) أو: يكون.

(٢) أو: ما ذكره من الغم.

(٣) أو: وكانت.

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: استخفاف.

(٦) أو: فلا يقام.

(٧) أو: زال.

(٨) أو: يتبعه.

وقوله: (إن الخطأ في ذٰلك لا يعظم فيمنع [من صحة][1] الإمامة)، اقتراح بغير حجة، لأنه إذا اعترف بالخطأ فلا سبيل للقطع علىٰ أنه صغير.

قال ابن أبي الحديد[2]: قلت: لو كان قد نقل أن أمير المؤمنين قال له: (أما علمت) لكان قول المرتضىٰ[ﷺ] قويا ظاهرا، إلا أنه لم ينقل هٰذه الصيغة بعينها، والمعروف المنقول أنه قال له: قال رسول اللهﷺ: «**رفع القلم عن ثلاث**» فرجع عن رجمها.

◘ الطعن الرابع:

قال ابن أبي الحديد[3]: حديث أبي العجفاء[4]، وأن عمر منع من المغالات في صدقات النساء، اقتداء بما كان من النبيﷺ في صداق فاطمةﷺ، حتىٰ قامت المرأة ونبهته بقوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾[5]، علىٰ جواز ذلك، فقال عمر: كل النساء أفقه من عمر[6].

وبما روي إنه تسور علىٰ قوم، ووجدهم علىٰ منكر، فقالوا له: إنك أخطأت من جهات: تجسست؛ وقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾[7]، ودخلت بغير إذن ولم تسلم[8].

قال[9]: أجاب قاضي القضاة، فقال: علمنا بتقدم عمر في العلم، وفضله فيه ضروري، فلا يجوز أن يقدح فيه بأخبار أحاديث غير مشهورة، وإنما أراد في المشهور أن المستحب الاقتداء برسول اللهﷺ، وأن المغالاة فيها ليس بمكرمة، ثم عند التنبيه علم أن ذٰلك مبني علىٰ طيب النفس، فقال بما قال[10] من جهة

---

(١) من المصدر.

(٢) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٠٦).

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٠٨).

(٤) هرم بن نسيب السلمي البصري، تابعي، يروي عن عمر.

(٥) الآية ٢٠ من سورة النساء.

(٦) كما في سيرة عمر لابن الجوزي (ص١٢٩) وغيره من المصادر.

(٧) الآية ١٢ من سورة الحجرات.

(٨) وهناك إشكالات أخرى أوردوها عليه نقلتها جملة من المصادر والمراجع منها: نهج الحق (ص٢٧٩) والرياض النضرة (ج٢، ص٤٦) وكنز العمال (ج٢، ص١٦٧).

(٩) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٠٩).

(١٠) في المصدر: فقال ما قاله.

التواضع، لأن من أظهر الاستفادة من غيره وإن قل علمه فقد تعاطىٰ الخضوع، ونبه علىٰ أن طريقته أخذ الفائدة أينما وجدها، وصير نفسه قدوة في ذٰلك وأسوة، وذلك حسن من الفضلاء.

وأما حديث التجسس: فإن كان فعله فقد كان له ذلك، لأن للإمام أن يجتهد في إزالة المنكر بهٰذا الجنس من الفعل، وإنما لحقه علىٰ ما يروىٰ في الخبر الخجل، لأنه لم يصادف الأمر علىٰ ما ألقي إليه في إقدامهم علىٰ المنكر.

قال[1]: اعترض المرتضىٰ (رضوان الله تعالىٰ عليه) علىٰ هٰذا الجواب فقال له[2]: أما تعويلك علىٰ العلم الضروري بكونه من أهل العلم والاجتهاد، فذلك إذا صح لم ينفعك، لأنه قد يذهب علىٰ من هو بهذه الصفة كثير من الأحكام حتىٰ ينبه عليها ويجتهد فيها، وليس العلم الضروري ثابت بأنه عالم بجميع أحكام الدين فيكون قاضيا علىٰ هٰذه الأخبار.

فأما تأوله الحديث، وحمله إياه علىٰ الاستحباب، فهو دفع للعيان، لأن المروي أنه منع من ذٰلك وحظره حتىٰ قالت المرأة ما قالت، ولو كان [راغبا و][3]غير حاظر للمغالاة، لما كان في الآية حجة، ولا كان لكلام المرأة موقع، ولا كان يعترف لها بأنها أفقه منه، بل كان الواجب أن يرد عليها، ويوبخها، ويعرفها أنه ما حظر لذلك، وإنما تكون الآية حجة عليه لو كان حاظرا مانعا.

فأما التواضع فلا يقتضي إظهار القبيح وتصويب الخطأ.. ولو كان الأمر علىٰ ما توهمه صاحب الكتاب لكان هو المصيب والمرأة مخطئة، وكيف يتواضع بكلام يوهم أنه المخطئ وهي المصيبة.

فأما التجسس فهو محظور بالقرآن والسنة، وليس للإمام أن يجتهد فيما يؤدي إلىٰ مخالفة الكتاب والسنة، وقد كان يجب إن كان هٰذا عذرا صحيحا أن يعتذر به إلىٰ من خطأه في وجهه، وقال له: إنك قد أخطأت من وجوه، فإنه بمعاذير نفسه أعلم من صاحب الكتاب، وتلك الحال حال تدعو إلىٰ الاحتجاج وإقامة العذر.

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٠٩).

(٢) في الشافي (ج٤، ص١٨٤).

(٣) كما في المصدر.

قال ابن أبي الحديد عقيب ذلك[١]: قلت قصارىٰ هٰذا الطعن إن عمر اجتهد في حكم أو أحكام فأخطأ، فلما نبه عليها رجع، وهٰذا عند المعتزلة وأكثر المسلمين غير منكر، وإنما ينكر أمثال هٰذا من يبطل الاجتهاد ويوجب عصمة الإمام، فإذا هٰذا البحث ساقط علىٰ أصول المعتزلة، والجواب عنه غير لازم علينا.

[تعليق المصنف قُدِّسَ سِرُّه]:

أقول: هٰذا الجواب لا يخفىٰ ضعفه، لأن الإجتهاد في مخالفة نص القرآن والسنة لا يجوز، وهٰذا من ذاك كما ترىٰ، فكلام ابن أبي الحديد ساقط.

الطعن الخامس:

إنه كان يعطي من بيت المال ما لا يجوز، حتىٰ إنه كان يعطي عائشة [وحفصة][٢] عشرة آلاف درهم في كل سنة[٣]، ومنع أهل البيت خمسهم الذي يجري مجرىٰ الواصل إليهم من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله[٤]، وأنه كان عليه ثمانون ألف درهم من بيت المال علىٰ سبيل القرض[٥].

قال[٦]: أجاب قاضي القضاة[٧]: بأن دفعه إلىٰ الأزواج جائز من حيث أن لهن حقا في بيت المال، وللإمام أن يدفع ذٰلك علىٰ قدر ما يراه، وهٰذا الفعل قد فعله من قبله ومن بعده، ولو كان منكرا لما استمر عليه أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ثبت استمراره عليه، ولو كان ذٰلك طعنا لوجب [إذا][٨] أن يدفع إلىٰ الحسن والحسين عليهما السلام و[إلىٰ][٩] عبدالله بن جعفر وغيرهم من بيت المال شيئا أن يكون

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢١٠).
(٢) من المصدر.
(٣) الكامل في التاريخ (ج٢، ص٣٥١).
(٤) أحكام القرآن للجصاص (ج٣، ص٦١).
(٥) تاريخ الطبري (ج٥، ص٢٢).
(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢١٠).
(٧) في المغني (ج٢٠، ق٢، ص١٥).
(٨) من المصدر.
(٩) من المصدر.

في حكم الجائز[١]، وكل ذٰلك يبطل ما قالوه، لأن بيت المال يراد لوضع الأموال في حقوقها ثم الاجتهاد، وإلىٰ المتولي للأمر في الكثرة والقلة.

فأما أمر الخمس، فمن باب الاجتهاد، وقد اختلف الناس فيه، فـ:

ـ (منهم): من جعله حقا لذوي القربىٰ، وسهما مفردا لهم علىٰ ما يقتضيه ظاهر الآية، و:

ـ (منهم): من جعله حقا لهم من جهة الفقر، وأجراهم مجرىٰ غيرهم، وإن كانوا قد خصوا بالذكر، كما أجرىٰ الأيتام وإن خصوا بالذكر مجرىٰ غيرهم في أنهم يستحقون بالفقر.

والكلام في ذٰلك يطول، فلم يخرج عمر بما حكم به عن طريقة الاجتهاد، ومن قدح في ذٰلك فإنما يقدح في الاجتهاد الذي هو طريقة الصحابة.

فأما اقتراضه من بيت المال؛ فإن صح فهو غير محظور، بل ربما كان أحوط إذا كان علىٰ ثقة من رده بمعرفة الوجه الذي يمكنه منه الرد، وقد ذكر الفقهاء ذلك، وقال أكثرهم: إن الاحتياط في مال الأيتام وغيرهم أن يجعل في ذمة الغني المأمون لبعده عن الخطر، ولا فرق بين أن يقرض الغير أو يقترضه لنفسه.

ومن بلغ في أمره أن يطعن علىٰ عمر بمثل هٰذه الأخبار، مع ما يعلم من سريرته، وتشدده في ذات الله، واحتياطه فيما [يتصل بـ][٢]ملك الله، وتنزهه عنه، حتىٰ فعل بالصبي الذي أكل من تمر الصدقة واحدة ما فعل، وحتىٰ كان يرفع نفسه عن الأمر الحقير، ويتشدد علىٰ كل أحد، حتىٰ علىٰ ولده، فقد أبعد في القول.

قال[٣]: اعترض المرتضىٰ (رضوان الله تعالىٰ عليه) فقال[٤]: أما تفضيل الأزواج فإنه لا يجوز، لأنه لا سبب فيهن يقتضي ذلك، وأما تفضيل[٥] الإمام [في العطاء][٦] ذوي الأسباب المقتضية [لذلك][٧] مثل الجهاد وغيره من الأمور العام نفعها للمسلمين.

---

(١) في المصدر: الخائن. (٢) كما في المصدر.
(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢١١).
(٤) في الشافي (ج٤، ص١٨٧).
(٥) في المصدر: وإنما يفضل.
(٦) من المصدر.
(٧) من المصدر.

وقوله: (إن لهن حقا في بيت المال) صحيح، إلا أنه لا يقتضي تفضيلهن علىٰ غيرهن، وما عيب بدفع حقهن إليهن، وإنما عيب بالزيادة عليه.

وما يعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام استمر علىٰ ذلك، وإن كان صحيحا كما ادعىٰ، فالسبب الداعي إلىٰ الاستمرار عليه هو السبب الداعي إلىٰ الاستمرار علىٰ جميع الأحكام.

فأما تعلقه بدفع أمير المؤمنين عليه السلام إلىٰ الحسن والحسين [عليهما السلام] وغيرهما شيئا من بيت المال فعجيب، لأنه لم يفضل هٰؤلاء في العطية فيشبه ما ذكرناه في الأزواج، وإنما أعطاهم حقوقهم، وسوىٰ بينهم وبين غيرهم.

فأما الخمس فهو للرسول صلى الله عليه وآله ولأقربائه علىٰ ما نطق به القرآن، وإنما عنىٰ تعالىٰ بقوله: ﴿وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[1] من كان من آل الرسول خاصة، لأدلة كثيرة لا حاجة لنا[2] إلىٰ ذكرها ها هنا، وقد روىٰ سليم بن قيس الهلالي، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**نحن والله الذين عنىٰ الله بذي القربىٰ، قرنهم الله بنفسه ونبيه صلى الله عليه وآله فقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[3]، كل هٰؤلاء منا خاصة، ولم يجعل لنا سهما في الصدقة، أكرم الله تعالىٰ نبيه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ ما في أيدي الناس**»[4].

وروىٰ يزيد بن هرمز[5]، قال: كتب نجدة[6] إلىٰ ابن عباس يسأله عن الخمس لمن هو؟ فكتب إليه: كتبت تسألني عن الخمس لمن هو؟ وإنا كنا نزعم[7]: أنه لنا، فأبىٰ قومنا علينا ذٰلك فصبرنا عليه[8].

قال[9]: وأما الاجتهاد الذي عول عليه فليس[10] عذرا في إخراج الخمس عن أهله فقد أبطلناه.

---

(١) الآية ٤١ من سورة الأنفال. (٢) في المصدر: بنا.
(٣) الآية السابعة من سورة الحشر. (٤) الكافي (ج١، ص٥٣٩).
(٥) في المصدر: هرم.
(٦) ابن عامر الحروري من رؤساء الخوارج.
(٧) أو: نقول.
(٨) صحيح مسلم (ج٥، ص١٩٧).
(٩) السيد المرتضى قدس سره في الشافي (ج٤، ص١٨٨).
(١٠) في المصدر: وجعله.

وأما الاقتراض من بيت المال، فهو مما يدعو إلىٰ الريبة والتهمة، ومن كان من التشدد والتحفظ والتقشف علىٰ الحد الذي ذكره فكيف تطيب نفسه بالاقتراض من بيت المال وفيه حقوق، وربما مست الحاجة إلىٰ الإخراج منها، وأي حاجة لمن كان جشب[1] المأكل، خشن الملبس، يتبلغ بالقوت إلىٰ اقتراض الأموال.

وأما: حكايته عن الفقهاء أن الاحتياط أن يجعل[2] مال الأيتام في ذمة الغني المأمون، فذلك إذا صح لم يكن نافعا له، لأن عمر لم يكن غنيا، ولو كان غنيا لما اقترض، فقد خرج اقتراضه عن أن يكون من باب الاحتياط، وإنما اشترط الفقهاء مع الأمانة الغنىٰ لئلا تمس الحاجة إليه، فلا يمكن ارتجاعه، فلهٰذا قلنا: إن اقتراضه لحاجته إلىٰ المال لم يكن صوابا وحسن نظر للمسلمين.

قال ابن أبي الحديد[3]: ونحن نذكر ما فعله عمر في هٰذا الباب مختصرا، نقلناه من كتاب أبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي المحدث في (أخبار عمر وسيرته).

روىٰ أبو الفرج، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، قال: استشار عمر الصحابة بمن يبدأ بالقسم والفريضة، فقالوا: ابدأ بنفسك فقال: بل أبدأ بآل رسول الله ﷺ وذوي قرابته، فبدأ بالعباس.

قال ابن الجوزي[4]: وقد وقع الاتفاق علىٰ أنه لم يفرض لأحد أكثر مما فرض له.

روي: أنه فرض له خمسة عشر ألفا، وروي: أنه فرض له اثنىٰ عشر ألفا[5]، وهو الأصح، ثم فرض لزوجات رسول الله ﷺ لكل واحدة عشرة آلاف، وفضل عائشة [عليهن][6] بألفين، فأبت، فقال: ذلك بفضل منزلتك عند رسول الله ﷺ، فإذا أخذت فشأنك.. واستثنىٰ من زوجات رسول الله ﷺ: جويرية، وصفية، وميمونة، ففرض لكل واحدة منهن ستة آلاف، فقالت عائشة: إن رسول الله ﷺ

(١) لا يبالي بما أكل بغير أدم (كتاب العين: ج٦، ص٣٩).

(٢) في المصدر: يحفظ.

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢١٤).

(٤) سيرة عمر بن الخطاب (ص٨١).

(٥) كتاب الأموال (ص٢٢٦).

(٦) من المصدر.

كان يعدل بيننا.. فعدل عمر بينهن، وألحق هٰؤلاء الثلاث بسائرهن، ثم فرض للمهاجرين الذين شهدوا بدرا لكل واحد خمسة آلاف درهم، ولمن شهدها من الأنصار [لكل واحد أربعة آلاف][1].

[وقد روي أنه فرض لكل واحد ممن شهد بدرا من المهاجرين أو من الأنصار أو][2] من غيرهم من القبائل خمسة آلاف، ثم فرض لكل من شهد أحدا وما بعدها إلىٰ الحديبية أربعة آلاف، ثم فرض لكل من شهد المشاهد بعد الحديبية ثلاثة آلاف، ثم فرض لكل من شهد المشاهد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ألفين وخمسمائة، وألفا وخمسمائة، وألفا واحدا إلىٰ مائتين، وهم أهل هجر، ومات عمر علىٰ ذلك.

قال ابن الجوزي: وأدخل عمر في أهل بدر ممن لم يحضر بدرا أربعة، وهم: الحسن والحسين[عليهما السلام] وأبوذر وسلمان، ففرض لكل واحد منهم خمسة آلاف.

وقال ابن الجوزي: وروىٰ السدي أن عمر كسىٰ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فلم يرتض في الكسوة ما يستصلحه للحسن والحسين عليهما السلام، فبعث إلىٰ اليمن، فأتىٰ لهم[3] بكسوة فاخرة، فلما كساهما، قال: الآن طابت نفسي.

قال ابن الجوزي: فأما ما اعتمده في النساء فإنه جعل نساء أهل بدر علىٰ خمسمائة خمسمائة، ونساء من بعد بدر إلىٰ الحديبية علىٰ أربعمائة، ونساء من بعد ذٰلك علىٰ ثلاثمائة ثلاثمائة، وجعل نساء أهل القادسية علىٰ مائتين مائتين، ثم سوىٰ بين النساء بعد ذلك.

وروىٰ أبو الفرج بن الجوزي في كتاب سيرة عمر[4]: عن نافع[5]، عن ابن عمر، قال: جمع عمر الناس لما انتهىٰ إليه فتح القادسية ودمشق، فقال: إني كنت امرأ تاجرا يغني الله عيالي بتجارتي وقد شغلتموني عن التجارة بأمركم هذا، فما ترون إنه يحل لي من هٰذا المال؟ فقال: القوم وأكثروا وعلي عليه السلام ساكت، فقال عمر: ما تقول أنت يا أبا الحسن؟ قال: ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف وليس لك من هٰذا المال غيره.. فقال: القول ما قاله أبو الحسن، وأخذ به.

---

(١) من المصدر. (٢) من المصدر. (٣) في المصدر: لهما.

(٤) ص٧٦.

(٥) في المصدر: نائلة.

◘ الطعن السادس:

إنه عطل حد الله في المغيرة بن شعبة لما شهد عليه بالزنا، ولقن الشاهد الرابع بالامتناع عن الشهادة اتباعا [لـ][1]هواه، فلما فعل ذٰلك عاد إلىٰ الشهود فحدهم وضربهم، فيجب[2] أن يفضح المغيرة وهو واحد، وفضح الثلاثة، مع تعطيله لحكم الله ووضعه في الحد غير موضعه.

قال ابن أبي الحديد[3]: [أجاب][4] قاضي القضاة، فقال[5]: إنه لم يعطل الحد إلا من حيث لم تكمل الشهادة، وبإرادة الرابع لأن[6] يشهد لا تكمل البينة وإنما تكمل بالشهادة.

وقال: إن قوله: (أرىٰ وجه رجل لا يفضح الله به رجلا من المسلمين) يجري في أنه سائغ صحيح مجرىٰ ما روي عن النبيﷺ من أنه أتىٰ بسارق فقال له: (لا تقر[7]).

وقال عليه السلام لصفوان بن أمية لما أتاه بالسارق وأمر بقطعه فقال: «**هي له**»، يعني ما سرق، هلا قبل أن تأتيني به فلا يمتنع من عمر أن[8] يحب أن لا يكمل الشهادة، ويتبعه[9] الشاهد علىٰ أن لا يشهد، وقال: إنه جلد الثلاثة من حيث صاروا قذفه، وإنه ليس حالهم، وقد شهدوا كحال من لم تتكامل الشهادة عليه، لأن الحيلة [في][10] إزالة الحد عنه، ولا[11] تتكامل الشهادة [عليه][12] ممكنة بتلقين، وتبعه[13] غيره، ولا حيلة فيما قد وقع من الشهادة، فلذلك حدهم.

---

(١) كما في المصدر.

(٢) في المصدر: فتجنب.

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٢٧).

(٤) من المصدر.

(٥) في كتابه المغني (ج٢٠، ق٢، ص١٦).

(٦) في المصدر: لئلا.

(٧) أو: لا تفر.

(٨) في المصدر: ألا.

(٩) في المصدر: وينبه.

(١٠) كما في الشافي.

(١١) في المصدر: ولما.

(١٢) من المصدر.

(١٣) في المصدر: وتنبيه.

قال: (وليس في إقامة الحد عليهم من الفضيحة ما في تكامل الشهادة علىٰ المغيرة، لأنه يتصور بأنه زان، ويحكم بذلك، وليس كذلك حال الشهود، لأنهم لا يتصورون بذلك، وإن وجب في الحكم أن يجعلوا في حكم القذفة).

وحكىٰ عن أبي علي: إن الثلاثة كان القذف قد تقدم منهم للمغيرة بالبصرة، لأنهم صاحوا به من نواحي المسجد بأنا نشهد أنك زان، فلو لم يعيدوا الشهادة لكان يحدهم لا محالة، فلم يكن في إزالة الحد عنهم ما أمكن في المغيرة.

وحكىٰ عن أبي علي في جواب اعتراضه عن نفسه بما روي عن عمر، إنه كان إذا رآه يقول: (لقد خفت أن يرميني الله عزّ وجلّ بحجارة من السماء)، إن هٰذا الخبر غير صحيح، ولو كان حقا لكان تأويله التخويف، وإظهار قوة الظن لصدق القوم الذين شهدوا عليه ليكون ردعا له، وذكر أنه غير ممتنع أن يحب ألا يفتضح لما كان متوليا البصرة من قبله.

ومما[1] أجاب عن سؤال سأله عن امتناع زياد من الشهادة، وهل يقتضي الفسق أم لا؟ فإن قال: لا نعلم أنه كان يتمم الشهادة، ولو علمنا ذٰلك لكان حيث ثبت في الشرع أن له السكوت لا يكون طعنا، ولو كان ذٰلك طعنا وقد ظهر أمره لأمير المؤمنين عليه السلام لما ولاه فارس ولما ائتمنه علىٰ أموال الناس ودمائهم.

قال: اعترض المرتضىٰ (رضوان الله تعالىٰ عليه) فقال[2]: إنما نسب عمر إلىٰ تعطيل الحد من حيث كان في حكم الثابت، وإنما بتلقينه لم تكمل الشهادة، لأن زيادا ما حضر إلا ليشهد بما شهد به أصحابه، وقد صرح بذلك كما صرحوا قبل حضورهم، ولو لم يكن هٰذا لما شهد القوم قبله وهم لا يعلمون [حال زياد][3] هل حاله في ذٰلك الحكم كحالهم، لكنه أحجم في الشهادة[4] لما رأىٰ كراهية متولي الأمر لكماله[5]، وتصريحه بأنه لا يريد أن يعمل بموجبها.

---

(١) في المصدر: ثم.

(٢) في الشافي (ج٤، ص١٩٠).

(٣) من المصدر.

(٤) في المصدر: مجمع بالشهادة.

(٥) في المصدر: لكمالها.

ومن العجائب أن يطلب الحيلة في دفع الحد عن واحد وهو لا يندفع إلا بانصرافه إلىٰ ثلاثة، فإن[1] كان درء الحد والاحتيال في دفعه من السنن المتبعة لدرء[2] الحد عن ثلاثة أولىٰ من درئه عن واحد.

وقوله: (إن دفع الحد عن المغيرة ممكن ودفعه عن ثلاثة ـ وقد شهدوا ـ غير ممكن) طريف، لأنه لو لم يلقن الشاهد الرابع الامتناع عن الشهادة لاندفع الحد عن الثلاثة، وكيف[3] لا تكون الحيلة ممكنة فيما ذكره؟[4].

وقوله: (إن المغيرة يتصور بصورة زان لو تكاملت الشهادة، وفي هٰذا من الفضيحة ما ليس في حد الثلاثة) غير صحيح، لأن الحكم في الأمرين واحد، لأن الثلاثة إذا [ما][5] حدوا يظن بهم الكذب، وإن جوز[6] أن يكونوا صادقين، والمغيرة لو تكاملت[7] الشهادة عليه بالزنا لظن به ذٰلك مع التجويز، لأن يكون الشهود كذبة وليس في أحد إلا ما في الآخر.

وما روي عنه ﷺ من أنه أتي بسارق، فقال له: «**لا تقر**»، إن كان صحيحا لا يشبه ما نحن فيه الآن، لأنه ليس فيه دفع الحد عن السارق إيقاع غيره في المكروه، وقصة المغيرة يخالف[8] هٰذا ما[9] ذكرناه.

فأما قوله ﷺ: «**هلا قبل أن تأتيني به**»[10]، فلا يشبه كل ما نحن فيه لأنه بين أن ذٰلك القول لكان يسقط الحد لو تقدم، وليس فيه تلقين يوجب إسقاط الحد.

وأما[11] ما حكاه عن أبي علي من (أن القذف من الثلاثة كان قد تقدم، وانهم [لو][12] لم يعيدوا الشهادة لكان يحدهم لا محالة)؛ [فـ][13]غير معروف، والظاهر

(١) في المصدر: فلو. (٢) في المصدر: فدرؤه.
(٣) في المصدر: فكيف.
(٤) وقال في تتمة هٰذا الكلام: بل لو أمسك عن الاحتيال في الجملة لما لحق الثلاثة حد.
(٥) من المصدر.
(٦) في المصدر: جوزوا.
(٧) في المصدر: كملت.
(٨) في المصدر: تخالف.
(٩) في المصدر: لما.
(١٠) مسند أحمد (ج٦، ص٤٦٥).
(١١) في المصدر: فأما.
(١٢) كما في المصدر.
(١٣) من المصدر.

المروي خلافه، وهو أنه حدهم عند نكول زياد عن الشهادة، وأن ذٰلك كان السبب في إيقاع الحد بهم، وتأوله[1] عليه: (لقد خفت أن يرميني الله بحجارة من السماء)، لا يليق بظاهر الكلام، لأنه يقتضي التندم والتأسف علىٰ تفريط وقع، ولم يخف[2] أن يرمي بالحجارة، وهو [لم][3] يدرأ الحد عن مستحق له، ولو أراد الردع والتخويف للمغيرة لأتىٰ بكلام يليق بذلك، ولا يقتضي إضافة التفريط إلىٰ نفسه، وكونه واليا من قبله لا يقتضي أن يدرأ عنه الحد ويعدل به إلىٰ غيره.

وأما قوله: (إنا ما كنا نعلم أن زيادا كان يتمم الشهادة[4])، فقد بينا أن ذٰلك كان معلوما بالظاهر، ومن قرأ ما روي في هٰذه القصة علم بلا شك أن حال زياد كحال الثلاثة في أنه إنما حضر للشهادة[5]، وإنما عدل عنها لكلام عمر.

وقوله: (إن الشرع يبيح السكوت) ليس بصحيح، لأن الشرع قد حظر كتمان الشهادة.

فأما استدلاله علىٰ أن زيادا لم يفسق بالإمساك عن الشهادة، [واستدل][6] بتولية أمير المؤمنين عليه السلام له فارس فليس بشيء يعتمد، لأنه لا يمتنع أن يكون قد تاب بعد ذٰلك وأظهر توبته لأمير المؤمنين عليه السلام، فجاز أن يوليه، وقد كان بعض أصحابنا يقول في قصة المغيرة شيئا طيبا، وإن كان معتمدا[7] في باب الحجة، كان يقول: إن زيادا امتنع من التصريح بالشهادة المطلوبة في الزنا، وقد شهد بأنه شاهده بين شعبها الأربع، وسمع نفسا عاليا، فقد صح علىٰ المغيرة بشهادة الأربع جلوسه منها مجلس الفاحشة، إلىٰ غير ذٰلك من مقدمات الزنا وأسبابه.

فهلا[8] ضم عمر إلىٰ جلد الثلاثة تعزيز هٰذا الذي قد صح عنده بشهادة الأربعة ما صح من الفاحشة، أما[9]: تعريك أذنه، أو ما يجري مجراه من

(١) في المصدر: وما تأول. (٢) في المصدر: يخاف.
(٣) كما في المصدر. (٤) أو: الشاهد.
(٥) في المصدر: ليشهد.
(٦) كما في المصدر.
(٧) في المصدر: معتملا.
(٨) في المصدر: فألا.
(٩) في المصدر: مثل.

خفيف التعزير ويسيره، وهل في العدول عن ذٰلك ـ حتىٰ عن لومه وتوبيخه والاستخفاف به ـ إلا ما ذكروه من السبب الذي يشهد الحال به.

قال ابن أبي الحديد[1] عقيب ذلك: قلت: أما المغيرة فلا شك عندي أنه زنىٰ بالمرأة، ولكني لست أخطئ عمر في درء الحد عنه، وإنما أذكر أولا قصته من كتابي أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وأبي الفرج علي بن الحسن الأصفهاني، ليعلم أن الرجل زنىٰ بها لا محالة، ثم أعتذر لعمر في درء الحد عنه.

وأما الطبري فإنه قال في تاريخه[2]: وفي هٰذه السنة ـ يعني [سنة][3] سبع عشرة ـ ولىٰ عمر أبو موسىٰ البصرة وأمره أن يشخص إليه المغيرة بن شعبة، وذلك لأمر بلغه عنه.

قال الطبري[4]: حدثني محمد بن يعقوب بن عتبة، قال: حدثني أبي قال: كان المغيرة يختلف[5] إلىٰ أم جميل، امرأة من بني هلال بن عامر، وكان لها زوج من بني ثقيف هلك قبل ذلك، يقال له: الحجاج بن عبيد، وكان المغيرة ـ وكان أمير البصرة ـ يختلف إليها سرا، فبلغ ذٰلك أهل البصرة فأعظموه، فخرج المغيرة يوما من الأيام [إلىٰ المرأة][6]، فدخل عليها وقد وضعوا عليهما الرصد[7]، فانطلق القوم الذين شهدوا عند عمر فكشفوا الستر، فرأوه قد واقعها، فكتبوا بذلك إلىٰ عمر، وأوفدوا إليه بالكتاب أبا بكرة.

فانتهىٰ أبو بكرة إلىٰ المدينة، وجاء إلىٰ باب عمر، فسمع صوته وبينه وبينه حجاب، فقال: أبو بكرة.. فقال: نعم.. قال: لقد جئت بشر[8].. قال: إنما جاء به المغيرة، ثم قص عليه القصة، وعرض عليه الكتاب، فبعث أبا موسىٰ عاملا، وأمره أن يبعث إليه المغيرة، فلما دخل أبو موسىٰ البصرة وقعد في الإمارة

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٣١).
(٢) الجزء الأول (ص٢٠٧).
(٣) من المصدر.
(٤) في تاريخه (ج٣، ص١٦٨).
(٥) في المصدر: يخالف.
(٦) من المصدر.
(٧) القوم الذين يرصدون كالحرس.
(٨) في المصدر: لشر.

أهدىٰ إليه المغيرة عقيلة، وقال: إني قد رضيتها لك.. فبعث أبو موسىٰ بالمغيرة إلىٰ عمر.

قال الطبري[١]: وروىٰ الواقدي، قال: حدثني عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري، عن أبيه، عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: قدم المغيرة علىٰ عمر، فتزوج في طريقه امرأة من بني عدي بن مرة[٢]، فقال له عمر: إنك لفارغ القلب، شديد الشبق[٣]، طويل الغرمول[٤]، ثم سأل عن المرأة، فقيل له: يقال لها: الرقطاء، كان زوجها ثقيف، وهي من بني هلال.

قال الطبري[٥]: وكتب السري، عن شعيب، عن يوسف بن المغيرة[٦]، كان يبغض أبا بكرة وكان أبو بكرة يبغضه، ويناغي[٧] كل واحد منهما صاحبه، وينافره عند كل ما يكون منه، وكانا متجاورين بالبصرة، بينهما طريق، وهما في مشربتين[٨] متقابلتين، فهما في داريهما، في كل واحدة منهما كوة[٩] مقابلة الأخرىٰ، فاجتمع إلىٰ أبي بكرة نفر يتحدثون في مشربته، فهبت ريح ففتحت باب الكوة، فقام أبو بكرة ليصفقه[١٠]، فبصر بالمغيرة وقد فتحت الريح باب الكوة التي في مشربته وهو بين رجلي امرأة، فقال للنفر: قوموا فانظروا.. فقاموا فنظروا، ثم قال: اشهدوا.. قالوا: ومن هذه؟ قالوا[١١]: أم جميل بنت الأفقم، وكانت أم جميل إحدىٰ [نساء][١٢] بني عامر بن صعصعة.. فقالوا: إنما رأينا أعجازا ولا ندري ما الوجوه.. فلما قامت صمموا.

وخرج المغيرة إلىٰ الصلاة، فحال أبو بكرة بينه وبين الصلاة، وقال: لا تصل بنا.. وكتبوا إلىٰ عمر بذلك، وكتب المغيرة إليه أيضا، فأرسل عمر إلىٰ

---

(١) في تاريخه (ج٣، ص١٦٩). (٢) في المصدر: من بني مرة.
(٣) شدة الميل إلى الجماع (مجمع البحرين: ج١، ص٤٧٧).
(٤) الذكر (الصحاح: ج٥، ص١٧٨٠).
(٥) في تاريخه (ج٣، ص١٦٩).
(٦) في المصدر: عن سيف، أن المغيرة.
(٧) يغازل ويتكلم بالكلام الطيب (معجم مقاييس اللغة: ج٥، ص٤٥٢).
(٨) غرفتين (مجمع البحرين: ج١، ص٤٩٤).
(٩) ثقب في الحائط (المصباح المنير: ص٥٤٥).
(١٠) ليغلقه (لسان العرب: ج١٠، ص٢٠٣).
(١١) في المصدر: قال.
(١٢) من المصدر.

أبي موسىٰ، فقال: يا أبا موسىٰ؛ إني مستعملك وإني باعثك إلىٰ أرض[1] قد باض بها الشيطان وفرخ، فالزم ما تعرف ولا تستبدل فيستبدل الله بك.. فقال: يا أمير المؤمنين؛ أعني بعدة من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، فإني وجدتهم في هٰذه الأمة وهذه الأعمال كالملح لا يصلح الطعام إلا به.. قال عمر: فاستعن بمن أحببت.

فاستعان بسبعة[2] وعشرين رجلا، منهم: أنس بن مالك، وعمران بن حصين، وهشام بن عامر، وخرج أبو موسىٰ بهم حتىٰ أناخ بالبصرة في المربد، وبلغ المغيرة أن أبا موسىٰ قد أناخ بالمربد، فقال: والله ما جاء أبو موسىٰ زائرا ولا تاجرا ولكنه جاء أميرا.. فإنهم لفي ذٰلك إذ جاء أبو موسىٰ حتىٰ دخل عليهم، فدفع إلىٰ المغيرة كتابا من عمر إنه لأزجز[3] كتاب كتب به أحد من الناس، أربع كلم، عزل فيها وعاتب، واستحث، وأمر، (أما بعد؛ فإنه بلغني نبأ عظيم، فبعثت أبا موسىٰ [أميرا][4]، فسلم ما في يديك إليه، والعجل).

وكتب إلىٰ أهل البصرة: (أما بعد.. فإني قد بعثت أبا موسىٰ أميرا عليكم ليأخذ لضعيفكم من قويكم، ليقاتل بكم عدوكم، وليدفع عن ذمتكم، وليجبي لكم فيئكم، وليقسم فيكم، وليحمي لكم طرقكم).

فأهدىٰ إليه المغيرة وليدة من مولدات الطائف تدعىٰ عقيلة، وقال: إني رضيتها لك ـ وكانت فارهة[5] ـ وارتحل: المغيرة، وأبو بكرة، ونافع بن كلدة، وزياد، وشبل بن معبد البجلي، حتىٰ قدموا علىٰ عمر، فجمع بينهم وبين المغيرة، فقال المغيرة: يا أمير المؤمنين؛ سل هٰؤلاء إلا عبيد[6] [كيف][7] رأوني؟ مستقبلهم أم مستدبرهم؟ وكيف رأوا المرأة وعرفوها، فإن كانوا مستقبلي [فكيف][8] لم أستتر، وإن كانوا مستدبري فبأي شيء استحلوا النظر إلي في منزلي علىٰ امرأتي، والله ما أتيت إلا امرأتي.

---

(١) في المصدر: الأرض التي. (٢) في المصدر: بتسعة.
(٣) في المصدر: لأوجز.
(٤) تاريخ الطبري (ج٣، ص١٧٠).
(٥) حاذقة (الصحاح: ج٦، ص٢٢٤٢).
(٦) في المصدر: الأعبد.
(٧) من المصدر.
(٨) من المصدر.

فبدأ بأبي بكرة فشهد عليه أنه رآه بين رجلي أم جميل وهو يدخله ويخرجه.. قال عمر: كيف رأيتهما.. قال: مستدبرهما.. قال: كيف استثبت رأسها.. قال: تخافيت[١].. ثم دعا بشبل بن معبد يشهد[٢] مثل ذلك، [وقال][٣]: استقبلتهما واستدبرتهما، وشهد نافع بمثل شهادة أبي بكرة، ولم يشهد زياد بمثل شهادتهم.

قال: رأيته جالسا بين رجلي امرأة ورأيت قدمين مرفوعتين تخفقان، واستين مكشوفتين، وسمعت حفزا شديدا.. قال عمر: فهل رأيته فيها كالميل في المكحلة؟ قال: لا.. قال: فهل تعرف المرأة؟ قال: لا ولكن أشبهها.. فأمر عمر بالثلاثة فجلدوا الحد، وقرأ: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾[٤]، فقال المغيرة: الحمد لله الذي أخزاكم.. فصاح به عمر: اسكت أسكت الله نأمتك[٥].. أما والله لو تمت الشهادة لرجمتك بأحجارك.

فهٰذا ما ذكره الطبري.

وأما أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني فإنه ذكر في كتاب الأغاني[٦]: أن أحمد بن عبدالعزيز الجوهري[٧] حدثه، عن عمر بن شبة، عن علي بن محمد، عن قتادة، قال: كان المغيرة بن شعبة ـ وهو أمير البصرة ـ يختلف سرا إلىٰ امرأة من ثقيف، يقال لها: الرقصاء[٨]، فلقيه أبو بكرة يوما، فقال له: أين تريد؟ قال: أزور[٩] آل فلان.. فأخذ بتلابيبه، وقال: إن الأمير يزار ولا يزور.

قال أبو الفرج[١٠]: وحدثني بحديثه جماعة ـ ذكر أسمائهم بأسانيد مختلفة لا نرىٰ الإطالة بذكرها ـ إن المغيرة كان يخرج من دار الإمارة وسط النهار، فكان أبو بكرة يلقاه فيقول له: أين يذهب الأمير؟ فيقول له: إلىٰ حاجة.. فيقول: حاجة ماذا[١١]؟ إن الأمير يزار ولا يزور.

---

(١) في المصدر: تجافيت. (٢) في المصدر: فشهد.
(٣) من المصدر. (٤) الآية ١٣ من سورة النور. (٥) نغمتك وصوتك (الصحاح: ج٥، ص٢٠٣٨).
(٦) الجزء السادس عشر (ص٧٧).
(٧) والخبر موجود في السقيفة وفدك (ص٩٢).
(٨) في المصدر: الرقطاء.
(٩) في السقيفة وفدك: أذكروا.
(١٠) في الأغاني (ج١٤، ص١٤٦).
(١١) أو: ما.

قالوا[١]: وكانت المرأة التي يأتيها جارة لأبي بكرة، فقال: فبينا أبو بكرة في غرفة له مع [أصحابه و][٢]أخويه نافع وزياد، ورجل آخر، يقال له: شبل بن معبد، وكانت غرفة جارته[٣] تلك محاذية غرفة أبي بكرة، فضربت الريح باب غرفة المرأة ففتحته، فنظر القوم فإذا هم بالمغيرة ينكحها، فقال أبو بكرة: هٰذه بلية قد ابتليتم بها فانظروا.. فنظروا حتىٰ أثبتوا[٤]، فنزل أبو بكرة فجلس حتىٰ خرج عليه المغيرة من بيت المرأة، فقال له أبو بكرة: إنه قد كان من أمرك ما قد علمت فاعتزلنا، فذهب المغيرة وجاء ليصلي بالناس الظهر فمنعه أبو بكرة، وقال [له][٥]: لا والله لا تصلي بنا وقد فعلت ما فعلت، فقال الناس: دعوه فليصل إنه الأمير.. واكتبوا [بذلك][٦] إلىٰ عمر، فكتبوا إليه فورد كتابه أن يقدموا عليه جميعا المغيرة والشهود.

قال أبو الفرج: وقال المدائني في حديثه: فبعث عمر بأبي موسىٰ، وعزم عليه ألا يضع كتابه من يده حتىٰ يرحل المغيرة.

قال أبو الفرج: وقال علي بن هاشم في حديثه: إن أبا موسىٰ قال لعمر لما أمره أن يرحل المغيرة من وقته أو خير من ذلك: يا أمير المؤمنين؛ نتركه فيتجهز ثلاثا ثم يخرج.. قالوا: فخرج أبو موسىٰ حتىٰ صلىٰ صلاة الغداة بـ[ظهر][٧] المربد، وأقبل إنسان فدخل علىٰ المغيرة، فقال: إني رأيت أبا موسىٰ قد دخل المسجد الغداة [وعليه][٨] برنس[٩] وها هو في جانب المسجد، فقال المغيرة: إنه لم يأت زائرا ولا تاجرا.

قالوا: وجاء أبو موسىٰ حتىٰ دخل علىٰ المغيرة ومعه صحيفة ملؤ يده، فلما رآه قال: أمير.. فأعطاه أبو موسىٰ الكتاب، فلما ذهب يتحرك عن سريره، قال له: مكانك، تجهز ثلاثا.

---

(١) أو: قال. (٢) كما في المصدر.

(٣) أو: تلك المرأة.

(٤) تيقنوا.

(٥) كما في المصدر.

(٦) كما في بعض المصادر.

(٧) من المصدر.

(٨) من المصدر.

(٩) قلنسوة طويلة، كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام (الصحاح: ج٣، ص٩٠٧).

وقال أبو الفرج[١]: وقال آخرون: إن أبا موسىٰ أمره أن يرحل من وقته، فقال له المغيرة: قد علمت ما وجهت له فألا تقدمت فصليت، فقال: ما أنا وأنت في هٰذا الأمر إلا سواء.. فقال المغيرة: إني [أحب أن][٢] أقيم ثلاثا لأتجهز.. فقال أبو موسىٰ: قد عزم عليّ أمير المؤمنين ألا أضع عهدي من يدي إذا قرأته حتىٰ أرحلك إليه.. قال: إن شئت تستعفيني[٣] وأبررت قسم أمير المؤمنين بأن ترحلني[٤] إلىٰ الظهر وتمسك الكتاب في يدك.

قالوا: فلقد رئي أبو موسىٰ مقبلا ومدبرا، وإن الكتاب في يده معلق بخيط، فتجهز المغيرة وبعث إلىٰ أبي موسىٰ بعقيلة، جارية عربية من سبي اليمامة من بني حنيفة، ويقال إنها مولدة الطائف، ومعها خادم، وسار المغيرة حين صلىٰ الظهر حتىٰ قدم علىٰ عمر.

قال أبو الفرج: فقال محمد بن عبدالله بن حزم في حديثه: إن عمر قال له لما قدم عليه: لقد شهد عليك بأمر إن كان حقا لأن تكون مت قبل ذٰلك كان خيرا لك.

قال أبو الفرج: قال أبو زيد عمر بن شبة: فجلس له عمر، ودعا به وبالشهود، فتقدم أبو بكرة، فقال: أرأيته بين فخذيها؟ قال: نعم والله، لكأني أنظر إلىٰ تشريم[٥] جدري[٦] بفخذيها.. وقال المغيرة: لقد ألطفت النظر. قال أبو بكرة: لم آل أن أثبت ما يخزيك الله به.. فقال عمر: لا والله حتىٰ تشهد لقد رأيته يلج فيها كما يلج المرود[٧] في المكحلة، قال: نعم أشهد علىٰ ذٰلك.. فقال عمر: اذهب عنك مغيرة ذهب ربعك.

قال أبو الفرج: ويقال إن علياً عليه السلام هو قائل هٰذا القول.. ثم دعا نافعا، فقال: علام تشهد؟ قال: علىٰ مثل شهادة أبي بكرة.. فقال عمر: لا حتىٰ تشهد أنك رأيته يلج فيها ولوج المرود في المكحلة.. قال: نعم حتىٰ بلغ قذذه[٨].. فقال:

---

(١) في كتابه الأغاني (ج١٦، ص٧٩). (٢) كما في المصدر.
(٣) في المصدر: شفعتني.
(٤) في المصدر: تؤجلني.
(٥) تشقيق (القاموس المحيط: ج٤، ص١٣٦).
(٦) قروح (لسان العرب: ج٤، ص١٢٠).
(٧) الميل الذي يكتحل به (النهاية: ج٤، ص٣٢١).
(٨) جمع قذة وهو جانب الخباء أو ريش السهم.

اذهب عنك مغيرة فذهب نصفك.. ثم دعا الثالث وهو شبل بن معبد، فقال: علام تشهد؟ قال: علىٰ مثل شهادة صاحبي.. فقال: اذهب عنك مغيرة، ذهب ثلاثة أرباعك.. قال: فجعل المغيرة يبكي إلىٰ المهاجرين، وبكىٰ إلىٰ أمهات المؤمنين حتىٰ بكين معه.. قال: ولم يكن زياد حضر ذٰلك المجلس، فأمر عمر أن ينحي الشهود الثلاثة وألا يجالسهم أحد من أهل المدينة وانتظر قدوم زياد، فلما قدم جلس في المسجد واجتمع رؤوس المهاجرين والأنصار، قال: المغيرة وكنت قد أعددت كلمة أقولها، فلما رأىٰ عمر زيادا مقبلا، قال: إني لأرىٰ رجلا لن يخزي الله علىٰ لسانه رجلا من المهاجرين.

قال أبو الفرج: وفي حديث أبي زيد بن عمر بن شبة، عن السري، عن عبدالكريم بن رشيد، عن أبي عثمان النهدي، أنه لما شهد الشاهد الأول عند عمر تغير الثالث لذلك لون عمر، ثم جاء الثاني فشهد، فانكسر لذلك انكسارا شديدا، ثم جاء الثالث فشهد، فكأن الرماد نثر علىٰ وجه عمر، فلما جاء زياد جاء شاب يخطر بيديه، فرفع عمر رأسه إليه، وقال: ما عندك أنت يا سلح[1] العقاب.. وصاح [أبو][2] عثمان النهدي صيحة تحكي صيحة عمر، قال عبدالكريم بن رشيد: لقد كدت أن يغشىٰ عليّ لصيحته.

قال أبو الفرج: فكان المغيرة يحدث.. قال: فقمت إلىٰ زياد، فقلت: لا يخبأ[3] لعطر بعد عروس يا زياد، أذكرك الله وأذكرك موقف القيامة وكتابه ورسوله أن تتجاوز إلىٰ ما لم تر.. ثم صحت: يا أمير المؤمنين؛ إن هٰؤلاء قد احتقروا دمي فالله الله في دمي.. قال: فترنفقت[4] عينا زياد واحمر وجهه، وقال: يا أمير المؤمنين؛ أما إن أحق ما حق القوم فليس عندي، ولكني رأيت مجلسا قبيحا، وسمعت نفسا حثيثا وانتهارا، ورأيته متبطنها.. فقال عمر: أرأيته يدخل ويخرج كالميل في المكحلة؟ قال: لا.

قال أبو الفرج: وروىٰ كثير من الرواة أن زيادا قال: رأيته رافعا برجليها، ورأيت خصيتيه مترددتين بين فخذيها، ورأيت[5] حفزا شديدا، وسمعت نفسا

---

(١) السلح هو الغائط، وهنا تشبيه. (٢) كما في المصدر. (٣) في المصدر: لا مخبأ.

(٤) في الإيضاح: فدمعت، وفي بحار الأنوار: فرتقت.. وفي السقيفة وفدك: فتدفقت، وفي شرح نهج البلاغة: فترنقت.

(٥) في المصدر: وسمعت.

عاليا، فقال عمر: أرأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ قال: لا.. فقال عمر: الله أكبر، قم يا مغيرة إليهم فاضربهم.. فقام[1] المغيرة إلىٰ أبي بكرة فضربه ثمانين وضرب الباقين.

وروىٰ قوم أن الضارب لهم الحد لم يكن المغيرة.

قال: وأعجب عمر قول زياد، ودرأ الحد عن المغيرة، فقال له أبو بكرة بعد أن ضرب: أشهد أن المغيرة فعل كذا وكذا.. فهم عمر بضربه، فقال له علي عليه السلام: «**إن ضربته رجمت صاحبك**»، ونهاه عن ذلك.

قال أبو الفرج: يعني إن ضربه تصير شهادته شهادتين، فيوجب بذلك الرجم علىٰ المغيرة.

قال: واستتاب عمر أبا بكرة، فقال: إنما استتىٰ[2] لتقبل شهادتي.. قال: أجل.. قال: فإني لا أشهد بين اثنين ما بقيت في الدنيا.. قال: فلما ضربوا الحد قال المغيرة: الله أكبر الحمد لله الذي أخزاكم.. فقال عمر: أسكت أخزىٰ الله مكانا رأوك فيه.

قال: وأقام أبو بكرة علىٰ قوله، وكان يقول: والله ما أنسىٰ قط فخذيها.. وتاب الاثنان وقبل[3] شهادتهما، وكان أبو بكرة بعد ذلك إذا طلب إلىٰ شهادة، قال: اطلبوا غيري فإن زيادا أفسد عليّ شهادتي.

وقال أبو الفرج: وروىٰ إبراهيم بن سعيد، عن أبيه، عن جده، قال: لما ضرب أبو بكرة أمرت أمه بشاة فذبحت، وجعل جلدها علىٰ ظهره، قال إبراهيم: فكان أبي يقول: ما ذاك إلا من ضرب شديد.

قال أبو الفرج: فحدثنا الجوهري[4]، عن عمر بن شبة، عن علي بن محمد، عن يحيىٰ بن زكريا، عن مجالد، عن الشعبي، قال: كانت الرقطاء التي رمي بها المغيرة تختلف إليه في أيام أمارته الكوفة في خلافة معاوية في حوائجها فيقضيها لها.

---

(١) في المصدر: فجاء.

(٢) في المصدر: تستتيبني.

(٣) في المصدر: فقبل.

(٤) في السقيفة وفدك (ص٩٥).

قال أبو الفرج[١]: وحج عمر بعد ذلك مرة، فوافق الرقطاء بالموسم، فرآها وكان المغيرة يومئذ هناك، فقال عمر للمغيرة: ويحك أتتجاهل علي، والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك، وما رأيتك إلا خفت أن أرمي بحجارة من السماء.

وكان علي عليه السلام بعد ذلك يقول: «**إن ظفرت بالمغيرة لاتبعته الحجارة**».

قال أبو الفرج: فقال حسان بن ثابت يهجو المغيرة ويذكر هذه القصة:

لو أن اللؤم ينسب كان عبدا
قبيح الوجه أعور من ثقيف
تركت الدين والإسلام لما
بدت لك غدوة ذات النصيف[٢]
وراجعت الصبى وذكرت لهوا
مع القينات[٣] في العمر اللطيف[٤]

قال أبو الفرج: وروى المدائني: أن المغيرة لما شخص إلى عمر في هذه الواقعة[٥] رأى في طريقه جارية فأعجبته، فخطبها إلى أبيها، فقال له: وأنت على هذه الحال.. قال: وما عليك إن أبق[٦] فهو الذي تريد وإن أقتل ترثني فزوجه.

وقال أبو الفرج: قال الواقدي: كانت امرأة من بني مرة تزوجها بالرقم[٧]، فلما قدم بها على عمر، قال: إنك لفارغ القلب، طويل الشبق.

فهذه الأخبار كما تراها تدل متأملها على أن الرجل زنى [بالمرأة][٨] لا محالة، وكل كتب التواريخ والسير تشهد بذلك[٩]، وإنما اقتصرنا نحن منها على هذين الكتابين.

---

(١) في الأغاني (ج١٤، ص١٤٧). (٢) ذات الخمار.

(٣) المغنيات (لسان العرب: ج١٣، ص٣٥١).

(٤) ديوان حسان (ص٢٧٦).

(٥) في المصدر: الوقعة.

(٦) هرب (الصحاح: ج٤، ص١٤٤٤).

(٧) موضع بالحجاز قريب من وادي القرى.

(٨) من المصدر.

(٩) راجع: تاريخ ابن كثير (ج٧، ص٨١) والفتوحات الإسلامية (ج٢، ص٤١٣) وفتوح البلدان (ص٣٥٢) والكامل في التاريخ (ج٢، ص٢٨٨) وغيرها.

وقد روىٰ المدائني: أن المغيرة كان أزنىٰ الناس في الجاهلية، فلما دخل في الإسلام قيده الإسلام، وبقيت عنده منه بقية ظهرت في أيام ولايته البصرة.

وروىٰ أبو الفرج في كتاب الأغاني[١]، عن الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر، قال: كان المغيرة بن شعبة، والأشعث بن قيس، وجرير بن عبدالله البجلي، يوما متوافقين بالكناسة و[٢]نفر، وطلع عليهم أعرابي، فقال لهم المغيرة: دعوني أحركه.. قالوا: لا تفعل فإن للأعراب جوابا يؤثر.. قال: لا بد.. قالوا: فأنت أعلم.. فقال له: يا أعرابي أتعرف المغيرة بن شعبة؟ قال: نعم أعرفه أعور زانيا فرجم[٣] وجلد[٤].. ثم قال[٥]: أتعرف الأشعث بن قيس؟ قال: نعم ذاك رجل لا يغرىٰ[٦] إلىٰ قومه.. قال: وكيف ذاك؟ قال: لأنهم حاكة.. قال: فهل تعرف جرير بن عبدالله؟ قال: كيف لا أعرف رجلا لولاه ما عرفت عشيرته.. فقالوا: قبحك الله فإنك شر جليس، هل تحب أن يوقر لك بعيرك هٰذا مالا وتموت أكرم العرب موته؟ قال: فمن يبلغه إذن أهلي؟ فانصرفوا [عنه][٧] وتركوه[٨].

[قال أبو الفرج][٩]: وروىٰ علي بن سليمان الأخفش، قال: خرج المغيرة بن شعبة وهو يومئذ علىٰ الكوفة، ومعه الهيثم بن التيهان النخعي، غب مطر، يسير في ظهر الكوفة والنجف، فلقي ابن سلمان الحمرة أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وهو لا يعرف المغيرة [ولا يعرفه المغيرة][١٠].. فقال له: من أين أقبلت يا أعرابي؟ قال: من السماوة.. قال: كيف تركت الأرض خلفك.. قال: عريضة أريضة[١١].. قال: فكيف [كان][١٢] المطر؟ قال: عفىٰ الأثر وملأ الحفر.. قال: فمن

(١) الجزء السادس عشر (ص٨٩).
(٢) في المصدر: في.
(٣) في المصدر: فوجم.
(٤) في المصدر: ثم تجلد.
(٥) في المصدر: فقال.
(٦) في المصدر: لا يعرى.
(٧) من المصدر.
(٨) في المصدر: فتركوه.
(٩) من المصدر.
(١٠) من المصدر.
(١١) معشبة.
(١٢) من المصدر.

أنت؟ قال: من بكر بن وائل.. قال: كيف علمك بهم؟ قال: إن جهلتهم لم أعرف غيرهم.. قال: فما تقول في بني شيبان؟ قال: سادتنا وسادات[١] غيرنا.. قال: فما تقول في يني ذهل؟ قال: سادات[٢] نوكىٰ.. قال: فقيس بن ثعلبة؟ قال: إن جاورتهم سرقوك وإن ائتمنتهم خانوك.. قال: فبنو تيم الله بن ثعلبة؟ قال: رعاء النقد[٣] وعراقيب[٤] الكلاب.. قال: فبني يشكر؟ قال: صريح تحسبه مولىٰ بنسبه.

قال هشام بن الكلبي: لأن في ألوانهم حمرة.

ثم ساق كلاما إلىٰ أن قال: فما تقول في [أميرك][٥] المغيرة بن شعبة؟ قال: أعور زان.. فقال الهيثم بن الأسود: فض الله فاك، ويلك إنه الأمير المغيرة.. قال: إنها كلمة تقال.. فانطلق به المغيرة إلىٰ منزله وعنده يومئذ أربع نسوة وستون ـ أو سبعون ـ أمة، وقال: ويحك؛ هل يزني الحر وعنده مثل هؤلاء.. ثم قال لهن: ارمين إليه بحيلكن.. ففعلن، فخرج بملء كسائه ذهبا وفضة.

وإنما أوردنا هذين الخبرين ليعلم السامع أن خبر زناه[٦] كان شائعا مشهورا مستفيضا بين الناس، [و][٧]لأنهما يتضمنان أدبا وكتابنا هٰذا موضوع للأدب.

▫ الطعن السابع:

إنه كان يتلون في الأحكام، حتىٰ روي أنه قضىٰ في الجد بسبعين قضية، وروي مائة قضية، وأنه كان يفضل في القسمة[٨] والعطاء[٩]، وقد سوىٰ الله تعالىٰ بين الجميع، وأنه قال في الأحكام من جهة الرأي والحدس والظن.

قال ابن أبي الحديد[١٠]: أجاب قاضي القضاة عن ذلك، فقال[١١]: مسائل الاجتهاد يسوغ فيها الاختلاف، والرجوع عن رأي إلىٰ رأي بحسب الامارات

(١) في المصدر: وسادة. (٢) في المصدر: سادة.
(٣) صغار الغنم.
(٤) جمع عرقوب وهو العصب الموثق خلف الكعبين (مجمع البحرين: ج٣، ص١٦٨).
(٥) من المصدر.
(٦) في المصدر: الخبر بزناه.
(٧) كما في المصدر.
(٨) أو: الغنيمة.
(٩) الكامل في التاريخ (ج٢، ص٣٥١).
(١٠) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٤٧).
(١١) في كتابه المغني (ج٢٠، ق٢، ص١٩).

وغالب الظن، وقد ذكر أن ذٰلك طريق[١] أمير المؤمنين عليه السلام في أمهات الأولاد، ومقاسمة الجد مع الأخوة ومسألة الحرام.

قال: وإنما الكلام في أصل القياس والاجتهاد فإذا ثبت ذٰلك خرج من أن يكون طعنا، وقد ثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يولي من يرىٰ خلاف رأيه كابن عباس وشريح، ولا يمنع زيدا وابن مسعود من الفتيا مع الاختلاف بينه وبينهما.

فأما ما روي من السبعين قضية، فالمراد به في مسائل من الجد، لأن مسألة واحدة لا يوجد فيها سبعون قضية مختلفة وليس في ذٰلك عيب، بل يدل علىٰ سعة علمه.

وقال: قد صح في زمان الرسول صلى الله عليه وآله مثل ذلك، لأنه لما شاور في أمر الأسرىٰ أبا بكر أشار ألا يقتلهم وأشار عمر بقتلهم، فمدحهما جميعا، فما الذي يمنع من كون القولين صوابا من المجتهدين ومن الواحد في حالين؟

وبعد: فقد ثبت أن اجتهاد الحسن عليه السلام في طلب الإمامة كان بخلاف اجتهاد الحسين عليه السلام، لأنه سلم الأمر، وتمكنه أكثر من تمكن الحسين عليه السلام، ولم يمنع ذٰلك من كونهما عليهما السلام مصيبين.

قال[٢]: اعترض المرتضىٰ (رضوان الله تعالىٰ عليه) هٰذا الجواب، فقال[٣]: لا شك أن التلون في الأحكام، والرجوع من قضاء إلىٰ قضاء إنما يكون عيبا وطعنا إذا أبطل[٤] الاجتهاد الذين[٥] يذهبون[٦] إليه، فأما لو ثبت لم يكن ذٰلك عيبا.

فأما الدعوىٰ علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام أنه تنقل في الأحكام، ورجع من مذهب إلىٰ آخر، فإنها غير صحيحة ولا نسلمه، ونحن ننازعه فيها[٧]، وهو ينازعنا[٨] في تلون صاحبه وتنقله، فلم[٩] يشتبه الأمران.

---

(١) في المصدر: طريقة.
(٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٤٨).
(٣) في الشافي (ج٤، ص١٩٤).
(٤) في المصدر: بطل.
(٥) في المصدر: الذي.
(٦) في المصدر: تذهبون.
(٧) في المصدر: ونحن ننازعه في ذٰلك كل النزاع، ونذهب إلى دفعه أشد الدفاع.
(٨) في المصدر: لا ينازعنا.
(٩) في المصدر: فلا.

وأظهر ما روي في ذلك: خبر أمهات الأولاد، وقد بينا فيما سلف من [كلامنا في هذا][١] الكتاب ما فيه [كفاية][٢]، وقلنا: إن مذهبه[عليه السلام] في بيعهن كان واحدا غير مختلف، وإن كان [قد][٣] وافق عمر في بعض الأحوال لضرب من الرأي.

فأما توليته لمن يرىٰ خلاف رأيه، فليس ذٰلك لتسويغه الاجتهاد الذي يذهبون[٤] إليه، بل لما بيناه من قبل أنه عليه السلام كان غير متمكن من اختياره، وأنه كان يجري أكثر الأمور مجراها المتقدم للسياسة والتدبير، وهٰذا السبب في أنه لم يمنع من خالفه في الفتيا.

فأما قوله: في[٥] السبعين قضية لم تكن في مسألة واحدة وإنما كانت في مسائل من الجد، فكلا الأمرين واحد فيما قصدناه، لأن حكم الله تعالىٰ لا يختلف في المسألة الواحدة والمسائل.

فأما [أمر][٦] الأسارىٰ؛ فإن صح فإنه لا يشبه أحكام الدين المبنية علىٰ العلم واليقين، لأنه لا سبيل لأبي بكر وعمر إلىٰ المشورة في أمر الأسارىٰ إلا من طريق الظن والحسبان، وأحكام الدين معلومة، وإلىٰ العلم بها سبيل.

وأما[٧] ادعاؤه من اجتهاد الحسن عليه السلام[٨] بخلاف اجتهاد الحسين عليه السلام، [فـ][٩]ليس علىٰ ما ظنه، لأن ذٰلك لم يكن عن اجتهاد وظن، بل كان عن علم ويقين، فمن أين له أنهما عليهما السلام عملا علىٰ الظن؟!! فما نراه اعتمد علىٰ حجة، ومن أين له أن تمكن الحسن عليه السلام كان أكثر من تمكن الحسين عليه السلام؟!! علىٰ أن هٰذا أن لو كان علىٰ ما قاله لم يحسن من هٰذا التسليم ومن ذاك القتال، لأن المقاتل قد يكون مغررا ملقيا بيديه إلىٰ التهلكة، والمسالم[١٠] مضيعا للأمر

(١) كما في المصدر. (٢) من المصدر.
(٣) من المصدر.
(٤) في المصدر: تذهبون.
(٥) في المصدر: إن.
(٦) من المصدر.
(٧) في المصدر: فأما.
(٨) في المصدر: من أن الاجتهاد من الحسن عليه السلام.
(٩) كما في المصدر.
(١٠) في المصدر: والمسلم.

مفرطا، وإذا كان عند صاحب الكتاب التسليم والقتال إنما كان[١] [أصابها][٢] عن ظن وإمارات، فليس يجوز أن يغلب [علىٰ][٣] الظن بأن الرأي في القتال مع ارتفاع أمارات التمكن، ولا [أن][٤] يغلب في الظن المسالمة مع قوة الأمارات والتمكن[٥].

وهٰذا بين لمن تدبر بعين بصيرة.

▫ الطعن الثامن:

أن عمر أخطأ من قوله: (متعتان كانتا علىٰ عهد رسول الله ﷺ حلال وأنا أنهىٰ عنهما وأعاقب عليهما)[٦]، وهٰذا اللفظ قبيح لو صح المعنىٰ، فكيف إذا فسد، لأنه ليس ممن يشرع فيقول هٰذا القول، ولأنه يوهم مساواة الرسول ﷺ في الأمر والنهي، وأن اتباعه أولىٰ من اتباع رسول الله ﷺ.

قال ابن أبي الحديد[٧]: أجاب قاضي القضاة، فقال[٨]: إنه إنما عنىٰ بقوله: (وأنا أنهىٰ عنهما وأعاقب عليهما) كراهته لذلك، وتشدده فيه من حيث نهىٰ رسول الله ﷺ عنهما، بعد أن كانتا في أيامه، منبها بذلك علىٰ حصول النسخ فيهما، وتغير الحكم، لأنا نعلم أنه كان متبعا للرسول [ﷺ]، متدينا بالإسلام، فلا يجوز أن نحمل قوله علىٰ خلاف ما تواتر من حاله.

وحكي عن أبي علي أن ذٰلك بمنزلة أن يقول: إني أعاقب من صلىٰ إلىٰ بيت المقدس وإن كان صلىٰ إلىٰ بيت المقدس في حياة رسول الله ﷺ.

واعتمد في تصويبه علىٰ كف الصحابة عن النكير عنه، وادعىٰ أن أمير المؤمنين ﷺ أنكر علىٰ ابن عباس إحلال المتعة، وروىٰ عن النبي ﷺ تحريمها.

---

(١) في المصدر: كانا.

(٢) من المصدر.

(٣) من المصدر.

(٤) كما في شرح نهج البلاغة.

(٥) في المصدر: مع أمارات القوة والتمكن.

(٦) خبر مشهور متواتر تناقلته جل المصادر التي منها: سنن الترمذي (ج٣، ص١٨٥) والسنن الكبرى (ج٧، ص٢٠٦) وكنز العمال (ج١٦، ص٥١٩) والمستدرك على الصحيحين (ج٢، ص٣٠٥) ومسند أحمد (ج١، ص٥٢) وغيرها.

(٧) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٥٢).

(٨) في كتابه المغني (ج٢٠، ق٢، ص٢٠).

فأما متعة الحج فإنما أراد ما كانوا يفعلون من فسخ الحج، لأنه كان يحصل لهم عنده التمتع، ولم يرد بذلك التمتع الذي يجري [مجرىٰ][1] تقدم العمرة وإضافة الحج إليها بعد ذلك، لأنه جائز لم يقع فيه نسخ[2].

قال: اعترض المرتضىٰ (رضوان الله تعالىٰ عليه) هٰذا الكلام، فقال[3]: ظاهر الخبر المروي عن عمر في المتعتين يبطل هٰذا التأويل، لأنه قال: (متعتان كانتا علىٰ عهد رسول الله ﷺ أنا أنهىٰ عنهما وأعاقب عليهما)، فأضاف النهي إلىٰ نفسه، ولو كان الرسول[ﷺ] نهىٰ عنهما لأضاف النهي إليه، فكان آكد وأولىٰ، فكان يقول: فنهىٰ عنهما أو نسخهما وأنا من بعده أنهىٰ عنهما وأعاقب عليهما.

وليس يشبه ذٰلك ما ذكره من الصلاة إلىٰ البيت المقدس، لأن نسخ الصلاة إلىٰ بيت المقدس معلوم ضرورة من دينه عليه السلام، وليس كذلك المتعة علىٰ أنه لو قال: إن الصلاة إلىٰ بيت المقدس كانت في أيام النبي ﷺ جائزة وأنا الآن أنهىٰ عنها لكان ذٰلك قولا قبيحا شنيعا، [مثل][4] ما استفجعناه[5] من القول الأول، وليس هٰذا القول منه ردا علىٰ الرسول ﷺ، لأنه لا يمتنع أن يكون استحسن حظرهما في أيامه لوجه لم يكن فيما تقدم، واعتقد أن الإباحة في أيام رسول الله ﷺ كان لها شرط لم يوجد في أيامه، وقد روي عنه أنه صرح بهٰذا المعنىٰ، فقال: إنما أحل الله المتعة للناس علىٰ عهد رسول الله ﷺ والنساء يومئذ قليلة، ولذلك روي عنه في متعة الحج أنه قال: قد علمت أن رسول الله ﷺ فعلها وأصحابه ولكن كرهت أن يظلوا بها معرسين[6] تحت الأراك ثم يرجعوا بالحج تقطر رؤوسهم[7].

فأما اعتماده علىٰ [الكف عن][8] النكير؛ فقد تقدم أنه ليس بحجة إلا علىٰ شرائط شرحناها، علىٰ أنه قد روي أن عمر [قال][9] بعد نهيه عن المتعة: (لا

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: قبح.
(٣) في الشافي (ج٤، ص١٩٦).
(٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: استقبحنا.
(٦) في غريب الحديث لابن سلام (ج٣، ص٣٩٤): المعرس الذي يغشي امرأته وأصله من العرس.
(٧) سنن ابن ماجه (ج٢، ص٩٩٢).
(٨) من المصدر.
(٩) من المصدر.

أوتي بأحد تزوج متعة إلا عذبته بالحجارة ولو كنت تقدمت فيها لرجمت)[١]، وما وجدنا أحدا أنكر عليه هذا القول، لأن المتمتع عندهم لا يستحق الرجم، ولم يدل ترك النهي[٢] علىٰ صوابه.

فأما ادعاؤه علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام أنه أنكر علىٰ ابن عباس إحلالها، فالأمر بخلافه وعكسه، فقد روي عنه عليه السلام من طرق كثيرة أنه كان يفتي بها، وينكر علىٰ محرمها والناهي عنها.

وروىٰ عمر بن سعد الهمداني، عن خنيس[٣] بن المعتمر، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: «**لو لا ما سبق من ابن الخطاب في المتعة ما زنىٰ إلا شقي**»[٤].

وروىٰ أبو بصير قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يروي عن جده أمير المؤمنين عليه السلام: «**لو لا ما سبقني به ابن الخطاب ما زنىٰ إلا شقي**».

وقد أفتىٰ بالمتعة جماعة من الصحابة والتابعين، كـ: عبدالله بن عباس[٥]، وعبدالله بن مسعود[٦]، وجابر بن عبدالله الأنصاري[٧]، وسلمة بن الأكوع[٨]، وأبي سعيد الخدري[٩]، وسعيد بن جبير[١٠]، وابن جريح[١١]، ومجاهد[١٢]، وغير ما ذكرناه ممن يطول ذكره.

فأما سادة أهل البيت عليهم السلام وعلماؤهم فأمرهم واضح في الفتيا بها، كعلي بن الحسين زين العابدين[عليه السلام]، وأبي جعفر الباقر[عليه السلام]، وأبي عبدالله الصادق[عليه السلام]، وأبي الحسن موسىٰ الكاظم، وعلي بن موسىٰ الرضا عليهما السلام.

وما ذكرنا من فتيا من أشرنا إليه من الصحابة بها يدل علىٰ أوضح بطلان ما ذكره صاحب الكتاب من ارتفاع النكير لتحريمها، لأن مقامهم علىٰ الفتيا بها نكير.

---

(١) صحيح مسلم (كتاب الحج، ص١٤٥). (٢) في المصدر: النكير.
(٣) في المصدر: حبيش. (٤) كنز العمال (ج٨ ص٢٩٤).
(٥) المحلى (ج٩، ص٥١٩). (٦) المحلى (ج٥، ص٥١٩).
(٧) صحيح مسلم (ج١، ص٦٢٣).
(٨) صحيح مسلم (ج٩، ص١٨٢).
(٩) عمدة القارئ (ج٨ ص٣١٠).
(١٠) نيل الأوطار (ج٦، ص٢٧٠).
(١١) تحفة الأحوذي (ج٤، ص٢٦٩).
(١٢) محاسن التأويل (ج٥، ص٩٩).

فأما متعة الحج: فقد فعلها النبيﷺ والناس أجمع من بعده، والفقهاء في أعصارنا هٰذه لا يرونها خطأ بل صوابا.

فأما قول صاحب الكتاب: (إن عمر إنما أنكر فسخ الحج) فباطل، لأن ذٰلك أولا لا يسمىٰ متعة، ولأن ذٰلك ما فعل في أيام النبيﷺ، ولا فعله أحد من المسلمين بعده، وإنما هو من سنن الجاهلية، فكيف يقول عمر: (متعتان كانتا علىٰ عهد رسول اللهﷺ)، وكيف يغلظ ويشدد فيما لم يفعل ولا فعل.

◻ الطعن التاسع:

قال ابن أبي الحديد[1]: ما روي عنه من قصة الشورىٰ، وكونه خرج بها عن الاختيار والنص جميعا، وإنه ذم كل واحد منهم، بأن ذكر فيه طعنا، ثم أهله للخلافة بعد أن طعن فيه، وأنه جعل الأمر إلىٰ ستة، ثم إلىٰ أربعة، ثم إلىٰ واحد، قد وصفه بالضعف والقصور، وقال: (إن اجتمع علي وعثمان فالقول ما قالاه، وإن صاروا ثلاثة وثلاثة فالقول للذين فيهم عبدالرحمن)، وذلك لعلمه بأن عليا وعثمان لا يجتمعان، وإن عبدالرحمن لا يكاد يعدل بالأمر عن ختنه وابن عمه، وإنه أمر بضرب أعناقهم إن تأخروا عن البيعة فوق ثلاثة أيام، وانه أمر بقتل من يخالف الأربعة منهم أو الذين فيهم عبدالرحمن.

قال: قال[2] قاضي القضاة عن ذلك، فقال[3]: الأمور الظاهرة لا يجوز أن يعترض عليها بأخبار غير صحيحة، والأمر في الشورىٰ ظاهر، وإن الجماعة دخلت فيها بالرضا، ولا فرق بين من قال في أحدهم: إنه دخل فيها لا بالرضا وبين من قال ذٰلك في جميعهم، ولذلك جعلنا دخول أمير المؤمنينعليه السلام في الشورىٰ أحد ما يعتمد عليه في أن لا نص يدل عليه، إنه المختص بالإمامة، لأنه قد كان يجب عليه أن يصرح بالنص علىٰ نفسه، بل يحتاج إلىٰ ذكر فضائله ومناقبه، لأن الحال حال مناظرة، ولم يكن الأمر مستقرا لواحد، فلا يمكن أن يتعلق بالتقية، والمتعالم من حاله أنه لو امتنع من هٰذا الأمر في الشورىٰ أصلا لم يلحقه الخوف، فضلا عن غيره.

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٥٤).

(٢) في المصدر: أجاب.

(٣) في كتابه المغني (ج٢٠، ق٢، ص٢١).

ومعلوم إن دلالة الفعل أحسن من دلالة القول، من حيث كان الاحتمال فيه أقل، والمروي أن عمر[١] أخذ الميثاق علىٰ الجماعة بالرضا بمن يختاره، ولا يجب القدح في الفساد[٢] من الظنون[٣]، بل يجب حملها علىٰ ظاهر الصحة دون الاحتمال، كما يجب مثله في غيرها، ويجب إذا تقدمت للفاعل حالة تقتضي حسن الظن به أن يحمل فعله علىٰ ما يطابقها، وقد علمنا أن حال عمر ما كان عليه من النصيحة للمسلمين، منع من صرف أمره في الشورىٰ إلىٰ الأغراض التي يظنها أعداؤه، فلا يصح أن يقولوا: كان مراده بالشورىٰ[٤] بأن يجعل الأمر إلىٰ الفرقة التي فيها عبدالرحمن عند الخلاف أن يتم الأمر لعثمان، لأنه لو كان هٰذا مراده لم يكن هناك ما يمنعه من النص علىٰ عثمان، كما لم يمنع ذٰلك أبا بكر، لأن أمره إن لم يكن أقوىٰ من أمر أبي بكر لم ينقص عنه، وليس ذٰلك بدعة، لأنه إذا جاز في غير الإمام إذا اختار أن يفعل ذلك، بأن ينظر في أماثل[٥] القوم فيعلم أنهم عشرة، ثم ينظر في العشرة، فيعلم أن أمثلهم خمسة، ثم ينظر في واحد من الخمسة، فما الذي يمنع من مثله في الإمام، وهو في هٰذا الباب أقوىٰ اختيارا، لأن له أن يختار واحدا بعينه.

ثم ذكر إنه إنما حصره في الجماعة الذين انتهىٰ إليهم الفضل، وجعله شورىٰ بينهم، ثم بين أن الانتقال من الستة إلىٰ الأربعة، ومن الأربعة إلىٰ الثلاثة، لا يكون متناقضا، لأن الأقوال مختلفة وليست واحدة، ولو كانت أيضا واحدة لكان كالرجوع وللإمام أن يرجع في مثل ذلك، لأنه في حكم الوصية.

قال: وقوله[٦]: (إنه كان يعلم أن عثمان وعليا لا يجتمعان، وأن عبدالرحمن يميل إلىٰ عثمان) قلة دين، لأن الأمور المستقبلة لا تعلم وإنما يحصل فيها أمارة.

قال: والأمارات توجب أنه لم يكن فيهم حرص شديد علىٰ الإمامة، بل الغالب من حالهم طلب الاتفاق والائتلاف والاسترواح إلىٰ قيام الغير بذلك،

(١) في المصدر: عبدالرحمن.
(٢) في المصدر: الأفعال.
(٣) في المصدر بالظنون.
(٤) في المصدر: في الشورى.
(٥) في المصدر: أمثال.
(٦) في المصدر: وقولهم.

وإنما جعل عمر الأمر إلىٰ عبدالرحمن عند الاختلاف لعلمه بزهده في الأمر، وأنه لأجل ذٰلك أقرب أن يثبت، لأن الراغب عن الشيء يحصل له من التثبت ما لا يحصل للراغب فيه، ومن كانت هٰذه حاله كان القوم إلىٰ الرضا به أقرب.

وحكىٰ عن أبي علي: أن المخادعة إنما تظن بمن قصده في الأمور طريق الفساد، وعمر بريئ من ذلك.

قال: والضعف الذي وصف به عبدالرحمن إنما أراد به الضعف عن القيام بالإمامة، لا ضعف الرأي، ولذلك رد الاختيار والرأي إليه.

وحكىٰ عن أبي علي: أنه ضعف ما روي من أمره بضرب أعناق القوم إذا تأخروا عن البيعة، وأن ذٰلك لو صح لأنكره القوم ولم يدخلوا في الشورىٰ بهٰذا الشرط، ثم تأوله إذا سلم صحته علىٰ أنهم تأخروا عن البيعة علىٰ سبيل شق العصا وطلب الأمر من غير وجهه.

قال: ولا يمتنع أن يقول ذٰلك علىٰ طريق التهديد، وإن بعد عنده أن يقدموا عليه، كما قال تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1].

قال[2]: اعترض المرتضىٰ (رضوان الله تعالىٰ عليه) هٰذا الكلام، فقال[3]: إن هٰذا الذي رتبه عمر في قصة الشورىٰ من ترتيب العدد واتفاقه واختلافه، يدل (أولا) علىٰ بطلان مذهب[4] الاختيار في عدد العاقدين للإمامة، وإنه يتم بعقد واحد لغيره برضا أربعة، وإنه لا يتم بدون ذلك، فإن قصة الشورىٰ تصرح بخلاف هٰذا الاعتبار، فهٰذا أحد[5] وجوه المطاعن فيها.

ومن جملتها: أنه وصف كل واحد منهم بوصف زعم أنه يمنع من الإمامة، ثم جعل الأمر فيمن له تلك[6] الأوصاف.

وقد روىٰ محمد بن سعد، عن الواقدي، عن محمد بن عبدالله الزهري، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، عن ابن عباس، قال: قال عمر: ما[7] أدري ما

(١) الآية ٦٥ من سورة الزمر.
(٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٥٨).
(٣) في الشافي (ج٤، ص٢٠٢).
(٤) في المصدر: أصحاب.
(٥) في المصدر: من.
(٦) في المصدر: هذه.
(٧) في المصدر: لا.

صنع[١] بأمة محمدﷺ؟ ـ وذلك قبل أن يطعن ـ فقلت: ولم تهتم وأنت تجد من تستخلفه عليهم؟ قال: أصاحبكم؟ يعني عليا[عليه السلام].. قلت: نعم، هو لها أهل في قرابته من رسول اللهﷺ، وصهره، وسابقته، وبلائه.. قال: إن فيه بطالة[٢] وفكاهة.

قلت: فأين أنت عن طلحة؟ قال: فأين الزهو والنخوة.

قلت: عبدالرحمن؟ قال: هو رجل صالح علىٰ ضعف فيه.

قلت: فسعد.. قال: ذاك صاحب مقنب وقتال لا يقوم بقرية لو حمل أمرها.

قلت: فالزبير؟ قال: وعقة نفس[٣]، مؤمن الرضا، كافر الغضب، شحيح، وإن هٰذا الأمر لا يصلح إلا لقوي في غير عنف، رفيق في غير ضعف، وجواد في غير سرف.

قلت: فأين أنت عن عثمان؟ قال: لو وليها لحمل بني معيط علىٰ رقاب الناس، ولو فعلها لقتلوه[٤].

وقد روي من غير هٰذا الطريق: أن عمر قال لأصحاب الشورىٰ: روحوا إليّ.. فلما نظر إليهم، قال: جاءني كل واحد يهز عقيرته[٥] يرجو أن يكون خليفة، أما أنت يا طلحة أفلست القائل: إن قبض النبيﷺ أنكح أزواجه من بعده؟ فما جعل الله محمدا أحق[٦] ببنات أعمامنا منا، فأنزل الله تعالىٰ فيك: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾[٧].. وأما أنت يا زبير؛ فوالله ما لان قلبك يوما ولا ليلة، وما زلت جلفا[٨] خايفا.. وأما أنت يا عثمان؛ فوالله لروثة خير منك.. وأما أنت يا عبدالرحمن؛ فإنك رجل

(١) في بحار الأنوار: ما أصنع.

(٢) قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٧٩): وأنا أعجب من لفظ عمر - إن كان قالها -: إن فيه بطالة، حاش لله أن يوصف عليﷺ بذلك، وإنما يوصف به أهل الدعابة واللهو، وما أظن عمر - إن شاء الله - قالها، وأظنها زيدت في كلامه، وإن الكلمة هاهنا دالة على انحراف شديد.

(٣) في المصدر: لقس.

(٤) وكذلك في أنساب البلاذري (ج٥، ص١٦).

(٥) في المصدر: عفريته.

(٦) في بحار الأنوار: بأحق.

(٧) الآية ٥٣ من سورة الأحزاب.

(٨) في المصدر: جافيا.

عاجز تحب قومك جميعا.. وأما أنت يا سعد؛ فصاحب عصبية وفتنة.. وأما أنت يا علي؛ فوالله لو وزن إيمانك بإيمان أهل الأرض لرجحهم.

فقام علي[عليه السلام] موليا يخرج، فقال [عمر](١): والله إني لأعلم مكان رجل(٢) لو وليتموه أمركم لحملكم علىٰ المحجة البيضاء.. قالوا: من هو؟ قال: هٰذا المولي بينكم.. قالوا: فما يمنعك من ذلك؟ قال: ليس إلىٰ ذٰلك سبيل.

وفي خبر آخر رواه البلاذري في تاريخه(٣): أن عمر لما خرج أهل الشورىٰ من عنده، قال: إن ولوها الأجلح(٤) سلك بهم الطريق.. فقال عبدالله بن عمر: فما يمنعك منه يا أمير المؤمنين؟ قال: أكره أن تحملها حيا وميتا.

فوصف كما ترىٰ كل واحد من القوم بوصف قبيح يمنع من الإمامة، ثم جعلها في جملتهم، حتىٰ كان تلك الأوصاف تزول في حال الاجتماع ونحن نعلم أن الذي ذكره إن كان مانعا من الإمامة في كل واحد علىٰ الإنفراد، فهو مانع من الاجتماع، مع أنه وصف علياعليه السلام بوصف لا يليق به، ولا ادعاه عدو قط، بل هو معروف بضده، من الركانة والبعد عن المزاج والدعابة، وهٰذا معلوم ضرورة لمن سمع أخبارهعليه السلام.

وكيف يظن به ذلك، وقد روي عن ابن عباس (رضوان الله تعالىٰ عليه) أنه قال: كان أمير المؤمنينعليه السلام إذا أتىٰ(٥) هبنا أن نتبتدئه بالكلام(٦)، وهٰذا لا يكون إلا من شدة التزمت والتوقر، وما يخالف الدعابة والفكاهة.

وما تضمنته قصة الشورىٰ من المطاعن أنه قال: (لا تحملها حيا وميتا)، وهٰذا إن كان علة عدوله عن النص إلىٰ واحد بعينه، فهو قول متلمس متخلص، لا ينتاب علىٰ الناس في آرائهم، ثم نقض هٰذا بأن نص علىٰ ستة من بين العالم كله، ثم رتب العدد ترتيبا مخصوصا، يؤول إلىٰ أن اختيار عبدالرحمن هو المقدم، وأي شيء يكون من التحمل أكبر(٧) من هذا، وأي فرق بين أن يتحملها بأن ينص علىٰ واحد بعينه، وبين أن يفعل ما فعله من الحصر والترتيب.

---

(١) من المصدر. (٢) أو: الرجل.

(٣) أنساب الأشراف (ج٥، ص١٦).

(٤) منحسر الشعر من جانبي جبهته (لسان العرب: ج١٣، ص٤٨٥).

(٥) أو: أطرق.

(٦) مناقب آل أبي طالب (ج١، ص٣٨٣).

(٧) في المصدر: أكثر.

ومن جملة المطاعن: أنه أمر بضرب الأعناق إن تأخروا عن البيعة أكثر من ثلاثة أيام، ومعلوم أنهم بذلك لا يستحقون القتل، لأنهم إذا كانوا إنما كلفوا أن يجتهدوا آراءهم في اختيار الإمام، فربما طال زمان الاجتهاد وربما قصر بحسب ما يعرض فيه من العوارض، فأي معنىٰ للأمر بالقتل إذا تجاوزوا الأيام الثلاثة، ثم إنه أمر بقتل من يخالف الأربعة، ومن يخالف العدد الذي فيه عبدالرحمن وكل ذٰلك مما لا يستحق به القتل.

فأما تضعيف أبي [علي][1] لذكر القتل فليس بحجة، مع أن جميع من روىٰ قصة الشورىٰ روىٰ ذلك، وقد روىٰ الطبري في تاريخه[2] وغيره.

فأما تأوله الأمر بالقتل علىٰ أن المراد به إذا تأخروا علىٰ طريق شق العصا، وطلب الأمر من غير وجهه، فبعيد من الصواب، لأنه ليس في ظاهر الخبر ذلك، ولأنهم إذا شقوا العصا وطلبوا الأمر من غير وجهه من أول يوم وجب أن يمنعوا ويقاتلوا، فأي معنىٰ لضرب الأيام الثلاثة أجلا.

فأما تعلقه بالتهديد فكيف يجوز أن يتهدد الإنسان علىٰ فعله بما لا يستحقه فإن[3] علم أنه لا يعزم عليه.

فأما قوله تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[4] فيخالف ما ذكر، لأن الشرك يستحق به إحباط الأعمال، وليس يستحق بالتأخير عن البيعة القتل.

وأما إدعاء صاحب الكتاب: (أن الجماعة دخلوا في الشورىٰ علىٰ سبيل الرضا، وإن عبدالرحمن أخذ عليهم العهد أن يرضوا بما يفعله)، فمن قرأ قصة الشورىٰ علىٰ وجهها، وعدل عما تسوله النفس من بناء الأخبار علىٰ المذاهب، علم أن الأمر بخلاف ما ذكر.

وقد روىٰ الطبري في تاريخه[5]، عن أشياخه من طرق مختلفة: أن أمير المؤمنين عليه السلام قال حين خرج من عند عمر ـ بعد خطابه للجماعة بما تقدم ذكره ـ لقوم كانوا معه من بني هاشم: «**إن طمع فيكم قومكم لم تأمروا أبدا**»، وتلقاه

---

(١) من المصدر.

(٢) الجزء الخامس (ص٣٥).

(٣) في المصدر: وإن.

(٤) الآية ٦٥ من سورة الزمر.

(٥) الجزء الثالث (ص٢٩٥).

العباس بن عبدالمطلب، فقال: يا عم عدلت عنا!! قال: «**وما علمك**».. قال: قرن بي عثمان، وقال: كونوا مع الأكثر، وإن رضي رجلان رجلا ورجلان رجلا فكونوا مع الذين معهم[١] عبدالرحمن، فسعد لا يخالف ابن عمه عبدالرحمن، وعبدالرحمن صهر عثمان لا يختلفان فيوليها عبدالرحمن عثمان، أو يوليها [عثمان][٢] عبدالرحمن، فلو كان الآخران معي لم ينفعاني بله أني لا أرجو إلا أحدهما.. فقال له العباس: لم أدفعك عن شيء إلا رجعت إليّ مستأخرا، أشرت عليك عند وفاة رسول اللهﷺ أن تسأله فيمن هٰذا الأمر؟ فأبيت، وأشرت عليك عند وفاته أن تعاجل الأمر فأبيت، وأشرت عليك حين سماك عمر في الشورىٰ ألا تدخل معهم فأبيت، فاحفظ علي كل واحدة، كلما عرض عليك القوم، فقل: لا إلا أن يولوك، واحذر هٰؤلاء الرهط، فإنهم لا يرجون[٣] يدفعوننا عن هٰذا الأمر، حتىٰ يقوم لنا به غيرنا وغيرهم، وأيم الله لا تناله إلا بشر لا ينفع معه خير.

فقال عليعليه السلام: «**أما والله لئن بقي عمر لأذكرنه ما أتىٰ إلينا، ولئن مات ليتداولنها بينهم، ولئن فعل ليجدنني حيث يكرهون**».

ثم تمثل:

حلفت برب الراقصات[٤] عشية غدون خفافا[٥] فابتدرن[٦] المحصبا[٧]

ليحتلبن[٨] رهط ابن يعمر مارئا[٩] قاليا نجيعا هو السراج[١٠] ردا مصلبا

(١) في المصدر: فيهم.
(٢) كما في المصدر.
(٣) في المصدر: لا يبرحون.
(٤) الإبل.
(٥) مسرعات.
(٦) فاستبقن.
(٧) أي يقيموا بالمحصب، وهو: الشعب الذي مخرجه إلى الأبطح بين مكة ومنى.
(٨) في تاريخ المدينة لابن شبة (ج٣، ص٩٢٦): ليختلبن.
(٩) في الكامل في التاريخ (ج٣، ص٦٨): قارنا.
(١٠) في شرح نهج البلاغة: بنو الشماخ.

فالتفت فرأىٰ أبا طلحة الأنصاري فكره مكانه، فقال أبو طلحة: لا تزغ[١] أبا حسن.

قال المرتضىٰ[٢]: فإن قال قائل: أي معنىٰ لقول العباس: إني دعوتك إلىٰ أن تسأل رسول الله ﷺ فيمن هٰذا الأمر من قبل وفاته؟ أليس هٰذا مبطلا لما تدعونه من النص.

قلنا: غير ممتنع أن يريد العباس سؤاله عمن يصير الأمر إليه، وينتقل إلىٰ يديه، لأنه قد يستحقه من لا يصل إلىٰ مستحقه[٣]، وقد يصل إلىٰ من لا يستحقه، وليس يمتنع أن يريد إنما كنا نسأله ﷺ عن إعادة النص قبل الموت ليتجدد ويتأكد ويكون لقرب العهد إليه بعيدا من أن يطرح.

فإن قيل: أليس قد أنكرتم علىٰ صاحب الكتاب من هٰذا التأويل بعينه فيما استعمله من الرواية عن أبي بكر من قوله: (ليتني كنت سألت رسول الله ﷺ هل للأنصار في ذلك[٤] حق)؟

قلنا: [إنما][٥] أنكرناه في ذٰلك الخبر لأنه لا يليق به من حيث قال: (فكنا لا ننازعه أهله)، وهٰذا صريح[٦] من لا علم له بأنه ليس للأنصار في الإمامة حق، ومن كان يرجع في أن لهم حقا في الأمر أو لا حق لهم فيه إلىٰ ما يسمعه مستأنفا، وليس هٰذا بعيد فيما[٧] ذكرناه.

وروىٰ العباس بن هشام الكلبي، عن أبيه، عن جده في إسناده: أن أمير المؤمنين عليه السلام شكا إلىٰ العباس ما سمع من قول عمر: (كونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف)، وقال[عليه السلام]: «**والله لقد ذهب الأمر منا**».. قال: وكيف قلت ذٰلك يا ابن أخي؟ قال[عليه السلام]: «**إن سعدا لا يخالف ابن عمه عبدالرحمن، وعبدالرحمن نظير عثمان وصهره، فأحدهما يختار لصاحبه لا محالة، وإن كان الزبير وطلحة معي، فلن أنتفع بذلك إذا كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين**».

(١) في المصدر: لا ترع.
(٢) في الشافي (ج٤، ص٢٠٨).
(٣) في المصدر: لا يصل إليه.
(٤) في المصدر: هٰذا الأمر.
(٥) من المصدر.
(٦) في المصدر: قول.
(٧) في المصدر: وليس هٰذا في الخبر الذي ذكرناه.

قال ابن الكلبي: عبدالرحمن زوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وأمها: أروىٰ بنت كريز، وأروىٰ أم عثمان، فلذلك قال: صهره[١].

وفي رواية الطبري[٢]: أن عبدالرحمن دعا علياً عليه السلام، فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعلمن بكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة الخليفتين من بعده؟ فقال: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي.

وفي خبر [آخر عن أبي][٣] الطفيل[٤]: إن عبدالرحمن قال لعلي عليه السلام: هلم يدك خذها بما فيها علىٰ أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر.. فقال[عليه السلام]: «**آخذها بما فيها، علىٰ أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه وجهدي**»، فترك يده، وقال: هلم يدك يا عثمان أتأخذها بما فيها علىٰ أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر؟ قال: نعم.. قال: هي لك يا عثمان[٥].

وفي رواية الطبري: أنه قال لعثمان مثل قوله لعلي عليه السلام، فقال: نعم.. فبايعه فقال علي عليه السلام: «**ختونة[٦] حنت دهرا**».

وفي خبر آخر[٧]: «**نفعت الختونة يا ابن عوف، ليس هٰذا أول يوم تظاهرتم [فيه][٨] علينا، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[٩]، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم هو في شأن**».

وفي غير رواية الطبري أن عبدالرحمن قال له: لقد قلت ذٰلك لعمر فقال علي عليه السلام: «**أو لم يكن ذٰلك كما قلت**».

وروىٰ الطبري[١٠]: أن عبدالرحمن قال: لا تجعلن يا علي علىٰ نفسك سبيلا، فإني [قد][١١] نظرت وشاورت الناس، فإذا هم لا يعدلون بعثمان، فقام[١٢] علي عليه السلام، وهو يقول: «**سيبلغ الكتاب أجله**».

---

(١) كذلك في أنساب الأشراف (ج٥، ص١٩). (٢) في تاريخه (ج٣، ص٢٩٧).

(٣) من المصدر.

(٤) عامر بن واثلة الليثي، صحابي من شيعة الإمام علي عليه السلام (أسد الغابة: ج٥، ص٢٣٣).

(٥) أمالي شيخ الطائفة (ص٥٥٦). (٦) مصاهرة. (٧) تاريخ الطبري (ج٣، ص٢٩٧).

(٨) من المصدر.

(٩) الآية ١٨ من سورة يوسف.

(١٠) في تاريخه (ج٣، ص٢٩٧).

(١١) كما في المصدر.

(١٢) في المصدر: فخرج.

وفي رواية الطبري[١]: إن الناس لما بايعوا عثمان تلكأ علي عليه السلام، فقال عثمان[٢]: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٣] فرجع علي عليه السلام حتىٰ بايعه، وهو يقول: «**خدعة وأي**[٤] **خدعة**».

وروىٰ البلاذري في كتابه[٥]، عن ابن الكلبي، عن أبيه، عن أبي مخنف، في إسناد له: إن علياً عليه السلام لما بايع عبدالرحمن عثمان كان قائماً فقعد، فقال له عبدالرحمن: بايع وإلا ضربت عنقك.. ولم يكن يومئذ مع أحد سيف غيره، فخرج علي[عليه السلام] مغضباً، فلحقه أصحاب الشورىٰ، فقالوا له: بايع وإلا جاهدناك.. فأقبل معهم يمشي حتىٰ بايع عثمان.

قال: قال المرتضىٰ[٦]: فأي رضا ها هنا؟!! وأي إجماع؟!! وكيف يكون مختاراً من تهدد بالقتل وبالجهاد[٧]؟!! وهٰذا المعنىٰ ـ وهو حديث ضرب العنق ـ لو روته الشيعة لتضاحك المخالفون منه وتغامزوا، وقالوا: هٰذا من جملة ما تدعونه من المحال، وتروونه من الأحاديث، وقد أنطق الله به رواتهم، وأجراه علىٰ أفواه ثقاتهم.

ولقد تكلم المقداد في ذٰلك اليوم بكلام طويل يفند فيه ما فعلوه من بيعة عثمان، وعدولهم بالأمر عن أمير المؤمنين عليه السلام.. إلىٰ أن قال له عبدالرحمن: يا مقداد؛ اتق الله فإني خائف عليك الفتنة[٨].. ثم إن المقداد قام فأتىٰ علياً عليه السلام، فقال: أتقاتل فنقاتل معك؟ فقال علي عليه السلام: «**فبمن أقاتل**»؟

وتكلم أيضاً عمار ـ فيما رواه أبو مخنف ـ فقال: يا معشر قريش؛ أين تصرفون هٰذا الأمر عن أهل بيت نبيكم، تحولونه ها هنا مرة وها هنا مرة، أما والله ما آمنا[٩] أن ينزعه الله منكم فيضعه في غيركم كما انتزعتموه من أهله، ووضعتموه في غير أهله، فقال له هشام بن الوليد: يا ابن سمية؛ لقد عدوت

(١) في تاريخه (ج٣، ص٣٠٢). (٢) في المصدر: عبدالرحمن.
(٣) الآية العاشرة من سورة الفتح.
(٤) في المصدر: وأيما.
(٥) أنساب الأشراف (ج٥، ص٢٢) وفي طبعة أخرى (ج٤، ص٥٠٨).
(٦) في كتابه الشافي (ج٤، ص٢١١).
(٧) في الشافي: والجهاد.
(٨) تاريخ الطبري (ج٣، ص٢٩٨).
(٩) في المصدر: ما أنا بآمن.

طورك وما عرفت قدرك، وما أنت وما رأته قريش لأنفسها، أنك لست في شيء من أمرها وإمارتها، فتنح عنها.. وتكلمت قريش بأجمعها، وصاحت بعمار، وانتهرته، فقال: الحمد لله ما زال أعوان الحق قليلا[١].

وروىٰ أبو مخنف أيضا أن عمارا رضي الله عنه قال لهم في ذٰلك اليوم:

يا ناعي الإسلام قم فانعه
قد مات عرف وأتىٰ[٢] منكر

أما والله لو أن لي أعوانا لقاتلتهم[٣].. وقال لأمير المؤمنين عليه السلام: لئن قاتلتهم بواحد لأكون ثانيا.. فقال عليه السلام: «**والله ما أجد عليهم أعوانا، ولا أحب أن أعرضكم لما لا تطيقون**».

وروىٰ أبو مخنف، عن عبدالرحمن بن جندب، عن أبيه، قال: دخلت علىٰ علي عليه السلام وكنت حاضرا بالمدينة يوم بويع عثمان، فإذا هو واجم[٤] كئيب، فقلت: ما أصاب قوم صرفوا هٰذا الأمر عنكم؟ فقال[عليه السلام]: «**صبر جميل**».. فقلت: سبحان الله إنك لصبور.. قال[عليه السلام]: «**فأصنع ماذا**»؟ قلت: تقوم في الناس خطيبا فتدعوهم إلىٰ نفسك، وتخبرهم أنك أولىٰ بالنبي صلى الله عليه وآله بالعمل والسابقة، وتسألهم النصر علىٰ هٰؤلاء المتظاهرين عليك، فإن أجابك عشرة من مائة شددت بالعشرة علىٰ المائة، فإن دانوا لك كان ما أحببت وإن أبوا قاتلتهم، فإن ظهرت عليهم فهو سلطان الله آتاه نبيه عليه السلام وكنت أولىٰ به منهم إذا ذهبوا بذلك، فرده الله إليك وإن قتلت في طلبه فقتلت شهيدا، وكنت أولىٰ بالعذر عند الله تعالىٰ في الدنيا والآخرة.

فقال عليه السلام: «**أو تراه كان تابعي من كل مائة عشرة**»!!.. قلت: لأرجو ذلك.. قال[عليه السلام]: «**لكني لا أرجو ولا والله من المائة اثنين، وسأخبرك إلىٰ[٥] أين ذلك، إن الناس ينظرون إلىٰ قريش، فيقولون: هم قوم محمد صلى الله عليه وآله وقبيلته، وإن قريشا تنظر إلينا فتقول: إن لهم بالنبوة فضلا علىٰ سائر قريش، وانهم أولياء هٰذا الأمر دون قريش، والناس، وانهم إن ولوه لم يخرج هٰذا السلطان منهم إلىٰ أحد أبدا، ومتىٰ كان في غيرهم تداولتموه بينكم، فلا والله ولا تدفع قريش إلينا هٰذا السلطان طائعة أبدا**».

---

(١) ومثله في السقيفة وفدك (ص٩٢). (٢) أو: وبدا. (٣) ومثله في البدء والتاريخ (ج٥، ص١٩٢).
(٤) ساكت علي غيظ وهم (كتاب العين: ج٦، ص١٩٥).
(٥) في المصدر: من.

قلت: أفلا أرجع إلىٰ المصر فأخبر الناس بمقالتك هٰذه وأدعو الناس إليك..
فقال[عليه السلام]: «**يا جندب، ليس هٰذا زمان ذلك**».. فرجعت فكلما ذكرت للناس شيئا من فضل علي عليه السلام زبروني ونهروني، حتىٰ رفع ذٰلك من أمري للوليد بن عتبة[1] فبعث إلي فحبسني[2].

قال[3]: وهذه الجملة التي أوردناها قليل من كثير في أن الخلاف كان واقعا، والرضا كان مرتفعا، والأمر إنما تم بالحيلة والمكر والخداع، وأول شيء مكر به عبدالرحمن أنه ابتدأ فأخرج نفسه من الأمر ليتمكن من صرفه إلىٰ من يريد، وليقال: إنه لو لا إيثاره[4] الحق، وزهده في الولاية، لما أخرج نفسه منها، ثم عرض علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام ما يعلم أنه لا يجيب إليه، ولا تلزمه الإجابة إليه من السيرة[5] فيهم بسيرة الرجلين، وعلم أنه عليه السلام لا يتمكن من أن يقول: إن سيرتهما لا تلزمني، لئلا يلزم[6] إلىٰ الطعن عليهما، وكيف يلزم سيرتهما وكل واحد منهما لم يسير بسيرة الآخر[7]، بل اختلفا وتباينا في كثير من الأحكام، هٰذا بعد أن قال لأهل الشورىٰ: وثقوا إلي[8] من أنفسكم بأنكم ترضون باختياري إذا أخرجت نفسي.. فأجابوه ـ علىٰ ما رواه أبو مخنف بإسناده ـ إلىٰ ما عرض عليهم إلا أمير المؤمنين عليه السلام فإنه قال: «**أنظر**»، لعلمه بما يجر هٰذا المكر حتىٰ أتاهم أبو طلحة فأخبره عبدالرحمن بما عرض، وما جاء به القوم[9] إياه إلا عليا[عليه السلام]، فأقبل أبو طلحة علىٰ علي عليه السلام فقال: يا أبا الحسن؛ إن أبا محمد ثقة لك وللمسلمين، فما بالك تخافه وقد عدل بالأمر عن نفسه، فلن يتحمل المأثم لغيره، فأحلف علي عليه السلام عبدالرحمن بما عرض ألا يميل إلىٰ الهوىٰ، وأن يؤثر الحق، ويجتهد للأمة، ولا يحابي ذا قرابة، فحلف له، وهٰذا

(١) في المصدر: عقبة.
(٢) كذلك في الإرشاد (ج١، ص٢٤٢) أو (ج١، ص٢٣٥) حسب الطبعات.
(٣) السيد المرتضى قُدِّسَ سِرُّه في الشافي (ج٤، ص٢١٣).
(٤) في المصدر: إيثار.
(٥) في المصدر: السير.
(٦) في المصدر: ينسب.
(٧) في المصدر: صاحبه.
(٨) في المصدر: لي.
(٩) في المصدر: وبإجابة القوم.

غاية ما يتمكن[١] منه أمير المؤمنينعليه السلام في الحال، لأن عبدالرحمن لما أخرج نفسه من الأمر، وظنت به الجماعة الخير، وفوضت[٢] إليه الاختيار، لم[٣] يقدر أمير المؤمنينعليه السلام علىٰ أن يخالفهم، وينقض ما اجتمعوا عليه، فكان أكثر ما تمكن منه أن أحلفه، وصرح بما يخافه[٤] من جهته، من الميل إلىٰ الهوىٰ، وإيثار القرابة، غير أن ذٰلك كله لم يغن شيئا.

قال[٥]: وأما قول صاحب الكتاب: (إن دخوله في الشورىٰ دلالة علىٰ أنه لا نص عليه بالإمامة، ولو كان عليه نص لصرح به في تلك الحال، وكان ذكره أولىٰ من ذكر الفضائل والمناقب)، فقد تقدم الكلام في هٰذا مستقصىٰ، وبينا المانع من تصريحهعليه السلام في تلك الحال وغيرها بالنظر، فإن المانع من ذكر النص كونه يقتضي تضليل من تقدم عليه وتفسيقهم، وليس كذلك تعديد المناقب والفضائل.

وأما دخوله[عليه السلام] في الشورىٰ؛ فلو لم يدخل فيها إلا ليحتج بما احتج به من مقاماته وفضائله، ودرايته[٦] ووسائله إلىٰ الامامة، وبالأخبار الدالة عندنا عليها علىٰ النص والإشارة بالإمامة إليه، لكان غرضا صحيحا، وداعيا قويا، وكيف لا يدخل في الشورىٰ وعندهم أن واضعها قد أحسن النظر للمسلمين، وفعل ما لم يسبق إليه من التحرز للدين.

فأول ما كان يقال له لو امتنع منها: إنك مصرح بالطعن علىٰ واضعها، وعلىٰ جماعة المسلمين بالرضا بها، وليس طعنك إلا لأنك ترىٰ أن الأمر لك، وأنك أحق به، فيعود الأمر إلىٰ ما كانعليه السلام يخافه من تفرق الكلمة ووقوع الفتنة[٧].

قال[٨]: وفي أصحابنا القائلين بالنص من يقول: إنهعليه السلام إنما دخل في الشورىٰ لتجويزه أن ينال الأمر منها، وعليه أن يتوصل إلىٰ ما يلزمه القيام به من كل وجه يظن أن يوصله إليه.

---

(١) في المصدر: ما تمكن. (٢) في المصدر: وفوضوا.
(٣) في المصدر: فلم. (٤) في المصدر: يخاف.
(٥) السيد المرتضى قدس سره في الشافي (ج٤، ص٢١٣).
(٦) في المصدر: ودرائعه.
(٧) في المصدر: من تفرق الأمة، ووقوع الفتنة، وتشتت الكلمة.
(٨) السيد المرتضى قدس سره في الشافي (ج٤، ص٢١٤).

قال[١]: وقول صاحب الكتاب: (إن التقية لا يمكن أن يتعلق بها، لأن الأمر لم يكن استقر لواحد)؛ طريف، لأن الأمر وإن لم يكن في تلك الحال مستقرا [لأحد][٢]، فمعلوم أن الاظهار لما[٣] يطعن في المتقدمين من ولاة الأمر لا يمكن منه، ولا يرضىٰ به، وكذلك الخروج مما يتفق أكثرهم عليه، ويرضىٰ جمهورهم[٤] به، ولا يقرون أحدا عليه، بل يعدونه شذوذا عن الجماعة، وخلافا علىٰ الأمة.

فأما قوله: (إن الأفعال لا يقدح فيها بالظنون، بل يجب أن تحمل علىٰ ظاهر الصحة، وإن الفاعل إذا تقدمت له حالة تقتضي حسن الظن به، يجب أن تحمل أفعاله علىٰ ما يطابقها)، فإنا متىٰ سلمنا له بهذه[٥] المقدمة لم يتم قصده فيها، لأن الفعل إذا كان له ظاهر وجب أن يحمل علىٰ ظاهره، إلا بدليل يعدل بنا عن ظاهره، كما يجب مثله في الألفاظ، وقد بينا أن ظاهر الشورىٰ وما جرىٰ فيها يقتضي ما ذكرناه للأمارات اللائحة، والوجوه الظاهرة، فما عدلنا عن ظاهر إلىٰ محتمل، بل المخالف هو الذي يسومنا أن نعدل عن الظاهر.

فأما الفاعل وما تقدم له من الأحوال، فمتىٰ تقدم للفاعل حالة تقتضي أن يظن به الخير من غير علم ولا يقين، فلا بد أن يؤثر فيها، ويقدح أن يرىٰ له حالة أخرىٰ تقتضي ظن القبيح به، لدلالة ظاهرها علىٰ ذلك، وليس لنا أن نقضي بالأولىٰ علىٰ الثانية، وهما جميعا مظنونتان، لأن ذٰلك بمنزلة أن يقول قائل: اقضوا بالثانية علىٰ الأولىٰ، وليس كذلك إذا تقدمت للفاعل حالة تقتضي بالخير منه، ثم تليها حالة تقتضي ظن القبيح به، لأنه حينئذ تقتضي[٦] بالعلم علىٰ الظن، ويبطل[٧] حكمة[٨] لمكان العلم، وإذا صحت هٰذه الجملة فيما تقدمت لمن ذكر حالة تقتضي العلم بالخير، وإنما تقدم ما يقتضي حسن الظن،

(١) السيد المرتضى قُدِّسَ سِرُّه في الشافي (ج٤، ص٢١٤).
(٢) كما في المصدر.
(٣) في المصدر: بما.
(٤) في المصدر: جهودهم.
(٥) في المصدر: هذه.
(٦) في المصدر: نقضي.
(٧) في المصدر: ونبطل.
(٨) في المصدر: حكمه.

فليس لنا ألا[١] نسيء الظن به عند ظهور إمارات سوء الظن، لأن كل مظنون غير معلوم.

وقوله: (لو أراد ذٰلك ما منعه من أن ينص علىٰ عثمان مانع، كما لم يمنع ذٰلك أبا بكر من النص عليه)، ليس بشيء، لأنه قد فعل ما يقوم مقام النص علىٰ من أراد إيصاله إليه، وصرفه عمن أراد أن يصرفه عنه، من غير شناعة التصريح، وحتىٰ لا يقال فيه ما قيل في أبي بكر، ويراجع في قصته[٢] كما روجع أبو بكر، ولم يتعسف أبعد الطريقين وغرضه يتم من أقربهما.

قال[٣]: فأما بيان صاحب الكتاب: (إن الانتقال من الستة إلىٰ الأربعة في الشورىٰ، ومن الأربعة إلىٰ الثلاثة، لا يكون تناقضا)؛ فهو رد علىٰ من زعم أن ذٰلك تناقض، وليس[٤] [من][٥] هٰذا الوجه طعنا، بل قد بينا وجوه المطاعن وفصلناها[٦].

وأما[٧] قوله: (إن الأمور المستقبلة لا تعلم وإنما يحصل فيها إمارة)؛ ردا علىٰ من قال: إن عمر كان يعلم أن علياعليه السلام وعثمان لا يجتمعان، وأن عبدالرحمن يميل إلىٰ عثمان، فكلام في غير موضعه، لأن المراد بذلك الظن لا العلم، وإن عبر عن الظن بالعلم [فـ][٨]علىٰ طريقة في الاستعمال معروفة، لا يتناكرها المتكلمون.

ولعل صاحب الكتاب قد استعمل العلم في موضع الظن فيما لا يحصىٰ كثرة من كتابه هٰذا وغيره.

وقد بينا فيما ذكرناه من رواية الكلبي، عن أبي مخنف: أن أمير المؤمنينعليه السلام أول من سبق إلىٰ هٰذا المعنىٰ في قوله للعباس شاكيا له: «**ذهب والله الأمر منا، لأن سعدا لا يخالف ابن عمه عبدالرحمن، وعبدالرحمن صهر عثمان،**

(١) في المصدر: أن لا.
(٢) في المصدر: نصه.
(٣) السيد المرتضىقدس سره في الشافي (ج٤، ص٢١٦).
(٤) في المصدر: فليس.
(٥) من المصدر.
(٦) في المصدر: ففصلناها.
(٧) في المصدر: فأما.
(٨) من المصدر.

فأحدهما مختار لصاحبه لا محالة، وإن كان الزبير وطلحة معي فلن أنتفع بذلك إذا كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين».

قال[1]: فأما قوله: (إن عبدالرحمن كان زاهدا في الأمر، والزاهد أقرب إلىٰ التثبت)؛ فقد بينا وجه إظهار الزهد فيه، وإنه جعله الذريعة إلىٰ مراده.

فأما قول صاحب الكتاب: (إن الضعف الذي وصفه به إنما أراد به الضعف عن القيام بالإمامة لا ضعف الرأي)؛ فهب أن الأمر كذلك، أليس قد جعله أحد من يجوز أن يختار للإمامة، ويفوض إليه مع [أنه][2] ضعفه[3] عنها، وهٰذا بمنزلة أن يصفه بالفسق ثم يدخله في جملة القوم، لأن الضعف عن الإمامة مانع منها، كما أن الفسق كذلك.

قال ابن أبي الحديد عقيب ذلك[4]: قلت: الكلام في الشورىٰ والمطاعن فيها طويل جدا، وقد ذكرت من ذٰلك في كتبي الكلامية وتعليقاتي ما قاله الناس، وما لم أسبق إليه، ولا يحتمل هٰذا الكتاب الإطالة باستقصاء ذلك، لأنه ليس بكتاب حجاج ونظر.

◘ الطعن العاشر:

قولهم أنه أبدع في الدين ما لا يجوز كـ:

[١] التراويح[5]، و:

[٢] ما عمله في الخراج الذي وضعه علىٰ السواد، [و][6]:

[٣] في ترتيب أخذ الخراج[7].

وكل ذٰلك مخالف للقرآن والسنة، لأنه تعالىٰ جعل الغنيمة للغانمين، والخمس منها لأهل الخمس، فخالف القرآن، وكذلك السنة تنطق في الجزية أن علىٰ كل حالم دينارا[8]، فخالف في ذٰلك السنة، وأن الجماعة لا تكون إلا في المكتوبات، فخالف السنة[9].

---

(١) السيد المرتضى قُدِّسَ سِرُّهُ في الشافي (ج٤، ص٢١٦). (٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: ضعيف. (٤) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٧١).

(٥) قال جملة من أعلامهم أنه أول من سنها (محاضرات الأوائل: ص١٤٩). (٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: ترتيب الجزية.

(٨) السنن الكبرى للبيهقي (ج٩، ص١٩٣).

(٩) شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٨١).

قال ابن أبـي الحديد[١]: أجابـه قاضي القضاة عـن ذلك[٢]، بـ: أن قيام شـهر رمضان قد روي عن النبيﷺ أنه عمله ثم تركه، وإذا علم أن الترك ليس بنسـخ صار سـنة يجوز أن يعمل بهـا، وإذا كان ما لأجلهعليه السلام [تـركعليه السلام][٣] من التنبيه بذلك علىٰ أنه ليس بفـرض، ومن تحقـق[٤] التعبد ليس بقائم فـي فعل عمر لم يمتنع أن يدوم عليه، وإذا كان فيـه الدعاء إلىٰ الصلاة والتشـدد في حفظ القرآن فما الذي يمنع أن يعمل به.

فأما: أمـر الخراج فأصله السـنة، لأن النبـيﷺ بين لمن يتولـىٰ الأمر ضربا من الاختيار فـي الغنيمة، ولذلك[٥] فصل بيـن الرجال والأمـوال، فجعل الاختيار في الرجال إلىٰ الامام فـي القتل والاسـترقاق والمفاداة، وفصل بينـه وبين المال، [و][٦]إن كان الجميع غنيمة.

ثم[٧] ذكر أن الغنيمة لم تضف إلىٰ الغانمين إضافـة[٨] الملك، وإنما المراد: أن لهم في ذٰلك مـن الاختصاص والحق ما ليس لغيرهم، فـإذا عرض ما يقتضي تقديـم أمر آخـر جـاز للإمـام أن يفعلـه، ورأي عمـر في أمـر السـواد الاحتياط للإسـلام بأن يقر في أيديهم علىٰ الخـراج الذي وضعـه، وإن كان في الناس من يقول: فعل بذلك برضا الغانمين وبأن عوض [بعضهم][٩].

ويدل[١٠] علىٰ صحـة فعله إجماع الأمة[١١]، ورضاهـم بـه، ولما[١٢] أفضىٰ الأمر إلىٰ أمير المؤمنينعليه السلام تركه علىٰ جملته ولم يغيره.

ثم ذكر في الجزيـة أن طريقها الاجتهـاد، وإن الخبر المروىٰ فـي هٰذا الباب ليس بمقطوع به، ولا معناه معلوم.

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٨١).
(٢) في كتابه المغني (ج٢٠، ق٢، من ص٢٧ إلى ص٢٩).
(٣) كما في المصدر.
(٤) في المصدر: تخفيف.
(٥) في المصدر: وكذلك.
(٦) من المصدر.
(٧) في المصدر: و.
(٨) في المصدر: على سبيل.
(٩) كما في المغني.
(١٠) في المصدر: واستدل.
(١١) في المصدر: بالإجماع من الأمة.
(١٢) في المصدر: وبأنه لما.

قال ابن أبـي الحديد[١]: اعتـرض المرتضـىٰ (رضـوان الله تعالىٰ عليـه) هٰذا الجواب، فقال[٢]: أما التراويح فلا شـبهة إنها بدعة، وقـد روي عن النبيﷺ أنه قـال: «**أيها الناس، إن الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة جماعة بدعة، وصلاة الضحىٰ بدعة، ألا فلا تجتمعن ليلا في شهر رمضان في النافلة، ولا تصلوا صلاة الضحىٰ، فإن قليلا في سنة خير من كثير في بدعة، ألا وإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة سبيلها إلىٰ النار**»[٣].

وقـد روي[٤]: أن عمـر خـرج في شـهر رمضـان ليـلا، فـرأىٰ المصابيح في المسـجد، فقال: ما هذا؟ فقيل له: إن النـاس قد اجتمعوا لصـلاة التطوع.. فقال: بدعة فنعمـت البدعة.. فاعتـرف كما ترىٰ بأنها بدعة، وقد شـهد الرسـولﷺ أن كل بدعة ضلالة.

وقـد روي: أن أميـر المؤمنيـنعليه السلام لما اجتمعـوا عليـه[٥] بالكوفة، فسـألوه أن ينصب لهـم إماما يصلي بهم نافلة شـهر رمضـان، زجرهم وعرفهـم أن ذٰلك خلاف السـنة، فتركوه واجتمعـوا لأنفسـهم، وقدموا بعضهـم، فبعـث إليهم ابنه الحسـنعليه السلام، فدخل عليهم المسـجد ومعه الـدرة، فلمـا رأوه تبـادروا الأبواب، وصاحوا: وا عمراه[٦].

قـال[٧]: فأمـا ادعـاؤه: (أن قيام شـهر رمضـان كان فـي أيام الرسـولﷺ ثم تركه)؛ فمغالطة منه، لأنا لا ننكر قيام شـهر رمضان بالنوافل علىٰ سبيل الانفراد، وإنما أنكرنا الإجتماع علىٰ ذلك.

فإن ادعىٰ أن الرسولﷺ صلاها جماعة في أيامه فإنها مكابرة ما أقدم عليها أحد، ولـو كان كذلك ما قـال عمر: إنهـا بدعـة، وإن أراد غير ذٰلك فهـو مما لا ينفعه، لأن الذي أنكرناه غيره.

قال[٨]: والذي ذكره من: (أن فيه التشـدد في حفظ القـرآن، والمحافظة علىٰ الصلاة)، ليس بشـيء، لأن الله تعالـى ورسـوله[ﷺ] بذلك أعلم، ولـو كان كما

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٨٢). (٢) في الشافي (ج٤، ص٢١٩).
(٣) من لا يحضره الفقيه (ج٢، ص١١٨). (٤) إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري (ج٥، ص٤) وجامع الأصول (ج٦، ص١٢٢، ح٤٢٢٢). (٥) في المصدر: إليه.
(٦) مثله في التهذيب (ج٢، ص٧٠).
(٧) السيد المرتضى قدس سره في الشافي (ج٤، ص٢١٩).
(٨) السيد المرتضى قدس سره في الشافي (ج٤، ص٢٢٠).

قاله لكانا يسنان هٰذه الصلاة ويأمرأن بها، وليس لنا أن نبدع في الدين بما نظن[١] أن فيه مصلحة، لأنه لا خلاف في أن ذٰلك لا يسوغ ولا يحل.

قال[٢]: وأما[٣] أمر الخراج فهو خلاف لنص القرآن، لأن الله تعالىٰ جعل الغنيمة في وجوه مخصوصة، فمن خالفها فقد أبدع، وليس للإمام ولا لغيره أن يجتهد فيخالف النص، فبطل قوله: (إنه رأىٰ من الاحتياط للإسلام أن يقر[٤] في أيديهم علىٰ الخراج)، لأن خلاف النص لا يكون من الاحتياط، [والله][٥] ورسوله أعلم بالاحتياط منه، ولو كان لرضا[٦] الغانمين عن ذلك، أو: عوضهم منه[٧] علىٰ ما ادعاه صاحب الكتاب، لوجب أن يظهر ذلك، ويعلم، وما عرفنا في ذٰلك شيئا، ولا نقله الناقلون.

وأما: ما ادعاه من الاجماع، فمعوله فيه علىٰ ترك النكير، وقد[٨] تقدم الكلام عليه وتكرر، وكذلك قد تقدم الكلام في وجه إقرار أمير المؤمنين عليه السلام ما أقره من أحكام القوم.

وما ادعاه[٩] أن خبر الجزية غير معلوم، ولا مقطوع به، فهب أن ذٰلك مسلم[١٠] علىٰ ما فيه، أليس من [مذهبه][١١] أن أخبار الآحاد في الشريعة يعمل بها وإن لم تكن معلومة! فهلا[١٢] عمل عمر بالخبر المروي في هٰذا الباب، وعدل عن اجتهاده الذي أداه إلىٰ مخالفة الله تعالىٰ[١٣].

---

(١) في المصدر: يظن.

(٢) السيد المرتضى قدس سره في الشافي (ج٤، ص٢٢٠).

(٣) في المصدر: فأما.

(٤) في المصدر: تقر.

(٥) كما في المصدر.

(٦) في المصدر: أرضى.

(٧) في المصدر: بينة.

(٨) في المصدر: الذي قد.

(٩) في المصدر: وادعاؤه.

(١٠) في المصدر: سلم.

(١١) كما في المصدر.

(١٢) في المصدر: فألا.

(١٣) في المصدر: مخالفة النص.

الباب التاسع

في مطاعن ما ورد من مناقبه

قال ابن أبي الحديد[١]: قد روي في فضل عمر من غير الصحاح أحاديث منها:

- إن السكينة لتنطق علىٰ لسان عمر[٢].. **ومنها:**
- إن الله تعالىٰ ضرب بالحق علىٰ لسان عمر وقلبه[٣].. **ومنها:**
- إن بين عيني عمر ملكا يسدده[٤] [ويوفقه][٥].. **ومنها:**
- لو لم أبعث فيكم لبعث عمر[٦].. **ومنها:**
- لو كان بعدي نبي لكان عمر[٧].. **ومنها:**
- لو نزل من السماء[٨] عذاب لما نجا منه إلا عمر[٩].. **ومنها:**
- ما أبطأ عني جبريل إلا ظننت إنه بعث إلىٰ عمر[١٠].. **ومنها:**
- سراج أهل الجنة عمر[١١].. **ومنها:**
- أن شاعرا أنشد النبيﷺ شعرا، فدخل عمر، فأشار النبيﷺ إلىٰ الشاعر أن اسكت، فلما خرج عمر، قال له: عد، فعاد فدخل عمر، فأشار النبيﷺ بالسكوت مرة ثانية، فلما خرج عمر سأل الشاعر رسول اللهﷺ عن الرجل، فقال: هٰذا عمر بن الخطاب، وهو رجل لا يحب الباطل[١٢].. **ومنها:**

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٣، ص١٧٨).
(٢) كنز العمال (ج١٢، ص٦٠١).
(٣) مسند أحمد (ج٥، ص١٤٥).
(٤) تاريخ مدينة دمشق (ج٤٤، ص٤٧).
(٥) كما في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٧٨).
(٦) تذكرة الموضوعات (ص٩٤).
(٧) مجمع الزوائد (ج٩، ص٦٨).
(٨) في المصدر: إلى الأرض.
(٩) تخريج الأحاديث والآثار (ج٢، ص٣٩).
(١٠) شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٧٨).
(١١) الجامع الصغير (ج٢، ص١٧٩).
(١٢) الأدب المفرد (ص٨٠).

• أن النبيﷺ قال: وزنت بأمتي فرجحت، ووزن أبو بكر بها فرجح، ووزن عمر بها فرجح، ثم رجح[١] [ثم رجح][٢].

قال ابن أبي الحديد عقيب ذلك[٣]: وقد طعن [أعداؤه ومبغضوه][٤] في هٰذه الأحاديث، فقالوا:

لو كان محدثا وملهما لما اختار معاوية الفاسق لولاية الشام، ولكان[٥] الله تعالىٰ قد ألهمه وحدثه بما يواقع من القبائح والمنكرات والبغي، والتغلب علىٰ الخلافة، والاستئثار بمال الفيء، وغير ذٰلك من المعاصي الظاهرة.

قالوا: وكيف لا يزال الشيطان يسلك فجا غير فجه وقد فر مرارا من الزحف في أحد وحنين وخيبر، والفرار من الزحف من عمل الشيطان، وإحدىٰ الكبائر الموبقة.

وقالوا: وكيف يدعىٰ له أن السكينة تنطق علىٰ لسانه؛ أترىٰ كانت السكينة تلاحي رسول اللهﷺ يوم الحديبية حتىٰ أغضبه.

قالوا: ولو كان ينطق علىٰ لسانه [ملك، أو بين عينيه ملك يسدده ويوفقه، أو: ضرب الله بالحق علىٰ لسانه][٦] وقلبه، لكان نظيرا لرسول اللهﷺ، بل كان أفضل منه، لأنهﷺ كان يؤدي الرسالة إلىٰ الأمة عن ملك من الملائكة، وعمر قد كان ينطق علىٰ لسانه ملك، وزيد ملكا آخر بين عينيه يسدده ويوفقه، فهٰذا الملك الثاني مما [قد][٧] فضل به علىٰ رسول اللهﷺ، وقد كان حكم في أشياء فيخطئ فيها حتىٰ يفهمه إياها علي بن أبي طالب[عليه السلام] ومعاذ بن جبل وغيرهما، حتىٰ قال: (لو لا علي لهلك عمر) و(لو لا معاذ لهلك عمر)، وكان يشكل عليه الحكم فيقول لابن عباس: غص يا غواص، فيفرج عنه، فأين كان الملك الثاني المسدد له؟!! وأين الحق الذي ضرب به علىٰ لسان عمر؟!! [ومعلوم أن رسول اللهﷺ كان ينتظر في الوقائع نزول الوحي، وعمر][٨]

---

(١) الاستيعاب (ج٣، ص١١٥٠). (٢) كما في شرح نهج البلاغة.

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٧٩).

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: ولكن.

(٦) من المصدر.

(٧) من المصدر.

(٨) كما في المصدر.

علىٰ مقتضىٰ هٰذه الأخبار لا حاجة به إلىٰ نزول ملك عليه، لأن الملكين حاضرين معه [في كل وقت وكل حال، ملك ينطق علىٰ لسانه وملك آخر بين عينيه يسدده][١] ويوفقه، وقد عززا بثالث وهي السكينة، فهو إذا أفضل من رسول الله صلى الله عليه وآله.

قالوا: والحديث الذي مضمونه: (لو لم أبعث فيكم لبعث عمر)؛ فيلزم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله [عذابا][٢] علىٰ عمر، وأذىٰ شديدا له، لأنه لو لم يبعث لبعث عمر نبيا ورسولا، ولم تعلم رتبة أجل من رتبة الرسالة، فالمزيل لعمر عن هٰذه الرتبة التي ليس وراءها رتبة ينبغي ألا يكون في الأرض [أحد][٣] أبغض إليه منه.

قالوا: وأما كونه (سراج أهل الجنة)؛ فيقتضي أنه لو لم يكن تجلي عمر لكانت الجنة مظلمة لا سراج لها.

قالوا: وكيف يجوز أن يقال لو نزل العذاب لم ينج [منه][٤] إلا عمر، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[٥].

قالوا: وكيف يجوز أن يقال: إن النبي صلى الله عليه وآله كان يسمع الباطل ويحبه ويشهده، وعمر لا يسمع الباطل ولا يشهده ولا يحبه، أليس هٰذا تنزيها لعمر عما لم ينزه عنه رسول الله صلى الله عليه وآله.

قالوا: ومن العجب أن يكون النبي صلى الله عليه وآله أرجح من الأمة يسيرا، وكذلك أبو بكر، ويكون عمر أرجح منها كثيرا، فإن هٰذا يقتضي أن يكون فضله أبين وأظهر من فضل أبي بكر ومن فضل رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) من المصدر.

(٢) كما في المصدر.

(٣) من المصدر.

(٤) من المصدر.

(٥) الآية ٣٣ من سورة الأنفال.

الباب العاشر

في خرقه كتاب فاطمة[عليها السلام] الذي كتبه أبو بكر إليها برد فدك ومحيه إياه

قال ابن أبي الحديد(١): قال إبراهيم بن سعيد الثقفي(٢)، عن إبراهيم بن ميمون، قال: حدثنا عيسىٰ بن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب[عليه السلام]، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام، قال: جاءت فاطمة عليها السلام إلىٰ أبي بكر، وقالت: «**إن أبي[صلى الله عليه وآله] أعطاني فدك، وعلي[عليه السلام] يشهد وأم أيمن**(٣)».. فقال: ما كنت لتقولي علىٰ أبيك إلا الحق، و(٤)أعطيتكها(٥).. ودعا بصحيفة من أدم(٦) فكتب لها فيها، فخرجت[عليها السلام] فلقيت عمر، فقال: من أين جئت يافاطمة؟ قالت[عليها السلام]: «**جئت من عند أبي بكر، أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاني فدك، وأن عليا[عليه السلام] وأم أيمن يشهدان لي بذلك، فأعطانيها وكتب لي بها**».. فأخذ عمر منها الكتاب، ثم رجع إلىٰ أبي بكر، فقال: أعطيت فاطمة فدك، وكتبت بها لها؟!! قال: نعم.. [فـ](٧)قال: إن عليا يجر إلىٰ نفسه، وأم أيمن امرأة.. وبصق في الكتاب(٨) فمحاه وخرقه.

ورواه ابن أبي الحديد(٩) عن الشيعة(١٠).

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٦، ص٢٧٤).

(٢) لم نجد الخبر في كتاب الغارات، وقال المحقق السيد عبدالزهراء الحسيني الخطيب رضي الله عنه في تعليقه على الخبر في كتاب الشافي (ج٤، ص٩٧): والمظنون أن الرواية المذكورة رواها في كتاب المعرفة للثقفي.

(٣) في المصدر: وعلي وأم أيمن يشهدان.

(٤) في شرح نهج البلاغة: قد.

(٥) في الشافي: نعم قد أعطيتك إياها.

(٦) جلد رقيق.

(٧) كما في شرح نهج البلاغة.

(٨) في الشافي: الصحيفة.

(٩) في شرح نهج البلاغة (ج١٦، ص٢٧٤).

(١٠) كما في الاحتجاج (ص٥٨).

الباب الحادي عشر

في جهل عمر ورجوعه إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام في الأحكام الشرعية

قال ابن أبي الحديد[(١)]: قال: [وروي أنه][(٢)] ذكر [عند][(٣)] عمر بن الخطاب حلي الكعبة وكثرته، فقال قوم: لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين، كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحلي.. فهم عمر بذلك، وسأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: «إن [هذا][(٤)] القرآن أنزل علىٰ محمد صلى الله عليه وآله، والأموال أربعة: (أموال المسلمين) فقسمها بين الورثة في الفرائض، و(الفيء) فقسمه علىٰ مستحقيه، و(الخمس) فوضعه الله حيث وضعه، [(والصدقات)][(٥)] فجعلها الله حيث جعلها، وكان حلي الكعبة فيها يومئذ، فتركه الله علىٰ حاله، ولم يتركه نسيانا، ولم يخف عنه مكانا، فأقره حيث أقره الله ورسوله، فقال له عمر: لولاك لافتضحنا.. وترك الحلي [بحاله][(٦)].

قال نصر بن مزاحم[(٧)]: وحدثنا عمر بن سعد، عن أزهر العبسي، عن النضر بن صالح، قال: كنت مع شريح بن هانيء في غزوة سجستان، فحدثني أن عليا عليه السلام أوصاه بكلمات إلىٰ عمرو بن العاص، وقال له: «**قل لعمرو إذا لقيته: إن عليا يقول لك: إن أفضل الخلق عند الله من كان العمل بالحق أحب إليه وإن نقصه، وإن أبعد الخلق من الله من كان العمل بالباطل أحب إليه وإن زاده، والله يا عمرو إنك لتعلم أين موضع الحق فلم تتجاهل؟ أبان أوتيت طمعا يسيرا صرت لله ولأوليائه عدوا، فكان ما قد أوتيت قد زال عنك، فلا تكن للخائنين خصيما، ولا للظالمين ظهيرا، أما أني أعلم أن يومك الذي أنت فيه نادم، هو يوم وفاتك، وسوف تتمنىٰ أنك لم تظهر لي عداوة، ولم تأخذ علىٰ حكم الله رشوة**».

---

(١) شرح نهج البلاغة (ج١٩، ص١٥٨).

(٢) من المصدر.

(٣) من المصدر.

(٤) كما في المصدر.

(٥) من المصدر.

(٦) كما في المصدر.

(٧) في كتابه وقعة صفين (ص٦٢٤).

قال شريح: فأبلغته ذٰلك يوم لقيته، فتعمر[١] وجهه، وقال: متىٰ كنت قابلا مشورة علي، أو: منيبا إلىٰ رأيه، أو: معتدا بأمره.. فقلت: وما يمنعك يا ابن النابغة أن تقبل من مولاك وسيد المسلمين بعد نبيهم مشورته، لقد كان من هو خير منك أبو بكر وعمر يستشيرانه ويعملان برأيه.. فقال: إن مثلي لا يكلم مثلك.. فقلت: بأي أبويك ترغب عن كلامي، بأبيك الوشيظ[٢] أم بأمك النابغة.. فقام من مكانه وقمت.

وروىٰ أبو سعيد الخدري، قال: حججنا مع عمر أول حجة حجها في خلافته، فلما دخل المسجد الحرام، دنا من الحجر الأسود، فقبله واستلمه، وقال: إني لأعلم أنك [حجر][٣] لا تضر ولا تنفع، ولو لا أني رأيت رسول الله ﷺ قبلك واستلمك لما قبلتك ولا استلمتك.. فقال له علي عليه السلام: **«بلىٰ يا أمير المؤمنين؛ إنه ليضر وينفع، ولو علمت تأويل ذٰلك من كتاب الله لعلمت أن الذي أقول لك كما أقول، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾[٤]، فلما أشهدهم وأقروا له أنه الرب عز وجل وأنهم العبيد، كتب ميثاقهم في رق[٥] ثم ألقمه هٰذا الحجر، وإن له لعينين، ولسانا، وشفتين تشهد لمن وافاه بالموافاة، فهو أمين الله عز وجل في هٰذا المكان»**.. فقال عمر: لا أبقاني الله بأرض لست بها يا أبا الحسن[٦].

قال ابن أبي الحديد[٧]: قلت: قد وجدنا في الآثار والأخبار في سيرة عمر أشياء تناسب قوله في هٰذا الحجر الأسود، كما أمر بقطع الشجر التي بويع رسول الله ﷺ تحتها بيعة الرضوان في عمرة الحديبية، لأن المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ كانوا يأتونها فيقيلون[٨] تحتها، فلما تكرر ذٰلك أوعدهم عمر فيها ثم أمر بها، فقطعت.

---

(١) تغير.

(٢) الخسيس.

(٣) من المصدر.

(٤) الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.

(٥) بالفتح، ما يكتب فيه، وهو جلد رقيق (الصحاح: ج٤، ص١٤٨٣).

(٦) سيرة عمر لابن الجوزي (ص١٠٦) والمستدرك للحاكم (ج١، ص٤٥٧) وغيرهما.

(٧) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٠١).

(٨) ينامون.

وقال ابن أبي الحديد[١]: وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إلىٰ أمير المؤمنين[عليه السلام] في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلىٰ غيره من الصحابة، وقوله غير مرة: (لو لا علي لهلك عمر)، وقوله: (لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن)، وقوله: (لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر). وقد تقدم من ذٰلك في الباب السابع وسيأتي من ذٰلك في الباب الآتي.

الباب الثاني عشر

في رجوع عمر إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام والصحابة

وهو من الباب الأول

قال ابن أبي الحديد[٢]: قال: روىٰ الربيع بن زياد، قال: قدمت علىٰ عمر بمال [من][٣] البحرين، وصليت[٤] معه العشاء، ثم سلمت عليه، فقال: ما قدمت به؟ قلت: خمسمائة ألف.. قال: ويحك إنما قدمت بخمسين ألف.. قلت: بل خمسماية ألف.. قال: كم يكون ذلك؟ قلت: ماية ألف [ومائة ألف مائة ألف][٥].. حتىٰ عددت خمسا.. [ف][٦]قال: إنك ناعس ارجع إلىٰ بيتك ثم اغد عليّ.. فغدوت عليه، قال: ما جئت به؟ قلت: هو ما قلت[٧] لك.. قال: كم هو؟ قلت: خمسمائة ألف.. قال: أطيب هو؟ قلت: نعم لا أعلم إلا ذلك.

فاستشار الصحابة فيه، فأشير عليه بنصب الديوان، فنصبه، وقسم المال بين المسلمين، ففضلت عنده فضلة، فأصبح فجمع المهاجرين والأنصار وفيهم علي بن أبي طالب عليه السلام، وقال للناس: ما ترون في فضل فضيل[٨] عندنا من هٰذا المال؟ فقال الناس: يا أمير المؤمنين؛ [إنا شغلناك][٩] بولاية أمورنا عن

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٨).
(٢) كما في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٩٩).
(٣) من المصدر.
(٤) في المصدر: فصليت.
(٥) كما في المصدر.
(٦) كما في المصدر.
(٧) في المصدر: ما قلته.
(٨) في المصدر: فضل.
(٩) من المصدر.

أهلك وتجارتك وصنعتك فهو لك.. فالتفت إلىٰ عليعليه السلام فقال: ما تقول أنت؟ قال[عليه السلام]: «**قد أشاروا عليك**».. قال: فقلت: أنت.. فقال له: «**لم تجعل يقينك ظنا**»، فلم يفهم عمر قوله، فقال: «**لتخرجن مما قلت**».. قال: أجل والله لأخرجن منه، قال: أتذكر حين بعثك رسول اللهصلى الله عليه وآله ساعيا فأتيت العباس بن عبدالمطلب، فمنعك صدقته، فكان بينكما شيء، فجئتما إليّ وقلتما انطلق معنا إلىٰ رسول اللهصلى الله عليه وآله، فجئنا إليه فوجدناه خاثرا[1] فرجعنا، ثم غدونا عليه فوجدناه طيب النفس، فأخبرته بالذي صنع العباس، فقال لك: يا عمر؛ أما علمت أن عم الرجل صنو أبيه، فذكرنا له ما رأينا من خثوره[2] في اليوم الأول وطيب نفسه في اليوم الثاني، فقال: إنكم أتيتم في اليوم الأول وقد بقي عندي من مال الصدقة ديناران، فكان ما رأيتم من خثوري لذلك، وأتيتم في اليوم الثاني وقد وجهتها، فذاك الذي رأيتم من طيب نفسي أشير عليك ألا تأخذ من هٰذا الفضل شيئا، وأن تفضه علىٰ فقراء المسلمين، فقال: صدقت والله لأشكرن لك الأولىٰ والأخيرة[3].

قال[4]: وحدثني الحسين بن محمد السيني، قال: قرأت علىٰ ظهر كتاب: أن عمر نزلت به نازلة، فقام لها وقعد، وتنوح[5] [لها][6] وتقطر[7]، وقال لمن عنده: معشر الحاضرين؛ ما تقولون في هٰذا الأمر؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين؛ أنت المفزع والمنزع.. فغضب، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾[8]، ثم قال: أما والله إني وأياكم لنعلم ابن بجدتها والخبير بها.. قالوا: كأنك أردت ابن أبي طالب.. قال: وأنىٰ يعدل بي عنه، وهل طفحت حرة مثله.. قالوا: فلو دعوت به يا أمير المؤمنين، قال: هيهات إن هناك شمخا من هاشم، وأثرة من علم، ولحمة من رسول اللهصلى الله عليه وآله، يؤتىٰ ولا يأتي، فامضوا بنا إليه فافضوا[9] نحوه، وأفضوا إليه.

---

(١) فاترا. (٢) فتوره.

(٣) ومثله في مسند أحمد (ج١، ص٩٤).

(٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٧٩).

(٥) في شرح نهج البلاغة: وترنح.

(٦) من المصدر.

(٧) شمخ برأسه كبرا.

(٨) الآية ٧٠ من سورة الأحزاب.

(٩) في شرح نهج البلاغة: فانقصفوا.

فألفوه في حائط له، عليه تبان[١] وهو يتركل[٢] على مسحاته[٣]، ويقرأ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[٤] إلى آخر السورة[٥]، ودموعه تهمي على خديه، فأجهش الناس لبكائه، فبكوا، ثم سكت وسكتوا، فسأله عمر عن تلك الواقعة، فأصدر جوابها، فقال عمر: أما والله لقد أرادك الحق ولكن أبىٰ قومك.. فقال: يا أبا حفص؛ خفض عليك من هنا ومن هنا ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾[٦] فوضع عمر إحدىٰ يديه علىٰ الأخرىٰ وأطرق إلىٰ الأرض، [وخرج][٧] كأنما ينظر في رماد.

وقال[٨]: وروي أنه رفع إلىٰ عمر صك[٩] محلة في شعبان[١٠]، فقال: أي شعبان؟ الذي مضىٰ أم الذي نحن فيه؟ ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ضعوا للناس تاريخا يرجعون إليه.. فقال قائل منهم: اكتبوا علىٰ تاريخ الروم.. فقيل: إنه يطول وإنه مكتوب من عهد ذي القرنين.. وقال قائل: بل اكتبوا علىٰ تاريخ الفرس.. فقيل: إن الفرس كلما قام ملك طرحوا ما كان قبله.. فقال علي عليه السلام: «**اكتبوا تاريخكم منذ خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من دار الشرك إلىٰ دار النصرة، وهي [دار][١١] الهجرة**».. فقال عمر: نعم ما أشرت به.. فكتب للهجرة بعد مضي سنتين ونصف من خلافة عمر[١٢].

وقال[١٣]: وروىٰ ابن سعد، قال: مكث عمر زمانا لا يأكل من مال المسلمين شيئا حتىٰ أصابته خصاصة[١٤]، فأرسل إلىٰ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاستشارهم،

---

(١) سراويل صغيرة. (٢) يضربها برجله.

(٣) ما يسحى به الطين عن الأرض.

(٤) الآية ٣٦.

(٥) سورة القيامة.

(٦) الآية ١٧ من سورة النبأ.

(٧) من المصدر.

(٨) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٧٤).

(٩) كتاب الاقرار بالمال.

(١٠) في كنز العمال (ج١٠، ص٣١٣): شمبان.

(١١) من المصدر.

(١٢) تاريخ مدينة دمشق (ج١، ص٤٠) وتاريخ الطبري (ج٢، ص١١١) وغيرهما.

(١٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٢٠).

(١٤) سوء حال بسبب شدة الفقر والحاجة.

فقال لهم: قد شغلت نفسي بأمركم، فما الذي يصلح أن أصيبه من مالكم؟ فقال عثمان: كل واطعم.. وكذلك قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، فتركهما وأقبل علىٰ عليٍّ عليه السلام، فقال: ما تقول أنت؟ قال[عليه السلام]: «**غذاء وعشاء**».. قال: أصبت وأخذ بقوله[1].

قال[2]: وروىٰ أبو الفرج بن الجوزي في كتاب سيرة عمر[3]، عن نافع[4]، عن ابن عمر، قال: جمع عمر الناس لما انتهىٰ إليه فتح القادسية ودمشق، فقال: إني كنت امرأ تاجرا يغني الله عيالي بتجارتي، وقد شغلتموني عن التجارة بأمركم، فما ترون ما[5] يحل لي من هٰذا المال؟ فقال القوم فأكثروا وعلي عليه السلام ساكت، فقال عمر: ما تقول أنت يا أبا الحسن؟ قال[عليه السلام]: «**ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف وليس لك من هٰذا المال غيره**».. فقال: القول ما قاله أبو الحسن[6].. وأخذ به.

وقال[7]: قال علي رضي الله عنه لعمر وقد أفتاه الصحابة في مسألة وأجمعوا عليها: «**إن كانوا راقبوك فقد غشوك، وإن كان هٰذا جهد رأيهم فقد أخطئوا**»[8].

وقال[9]: وروىٰ أبو هريرة، قال: قدمت علىٰ عمر عند أبي موسىٰ بثماني مائة ألف درهم، فقال [لي][10]: ألم أقل لك إنك يماني[11] أحمق، ويحك إنما قدمت بثمانين ألف درهم.. فقلت: يا أمير المؤمنين؛ إنما قدمت بثماني [مائة][12] ألف درهم.. فجعل يعجب ويكررها، فقال: ويحكم [وكم][13] ثماني ماية ألف

(١) سيرة عمر لابن الجوزي (ص٧٦) والطبقات الكبرى (ج٣، ص٣٠٧) وغيرهما.

(٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٢٠).

(٣) ص٧٦.

(٤) في المصدر: نائلة.

(٥) في المصدر: إنه.

(٦) وفي تاريخ الطبري (ج٣، ص١١١): القول قول ابن أبي طالب.

(٧) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢٠، ص٢٧).

(٨) سيرة عمر لابن الجوزي (ص١١٧).

(٩) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٧٦).

(١٠) كما في المصدر.

(١١) في المصدر: يمان.

(١٢) من المصدر.

(١٣) من المصدر.

درهم؟ فعددت مائة ألف، ومائة ألف، حتىٰ بلغت ثمانية، فاستعظم ذلك، فقال[١]: أطيب هو ويحك!! قلت: نعم.

فبات عمر ليلته تلك أرقا، حتىٰ إذا نودي لصلاة الصبح، قالت [له][٢] امرأته: لا أراك نمت منذ الليلة[٣]؟ قال: وكيف أنام وقد جاء الناس ما لم يأتهم مثله منذ قام الاسلام.. فظنت المرأة أنها داهية، فسألته فقال: مال جم، حمله أبو موسىٰ.. قالت: فما بالك؟ قال: ما يؤمنني لو مت وهٰذا المال عندي لم أضعه في حقه؟

فخرج يصلي الصبح واجتمع الناس إليه، فقال لهم: قد رأيت في هٰذا المال رأيا فأشيروا عليّ، رأيت أن أكيله للناس بالمكيال.. قالوا: لا يا أمير المؤمنين.. قال: لا بل أبدأ برسول الله ﷺ وبأهله، ثم الأقرب فالأقرب.. فبدأ ببني هاشم، ثم بني عبدالمطلب، ثم بعبدشمس ونوفل، ثم بسائر بطون قريش[٤].

وقال[٥]: خرج عمر إلىٰ الشام حتىٰ إذا كان بينه وبينها[٦] لقيته[٧] امرأة[٨] الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه الخبر قد وقع في الشام الوباء، فقال لابن عباس: ادع لي المهاجرين.. فدعاهم، فسألهم، فاختلفوا عليه، فقال بعضهم: خرجت لأمر ولا نرىٰ أن ترجع عنه.. وقال بعضهم: ونرىٰ معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرىٰ أن تقدمهم علىٰ هٰذا الوباء.. فقال: ارتفعوا عنىٰ.

ثم مال لابن عباس، فقال: ادع لي الأنصار.. فدعاهم، فاستشارهم، فاختلفوا عليه اختلاف المهاجرين.

فقال لابن عباس: ادع لي من كان من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح.. فدعاهم، فقالوا بأجمعهم: نرىٰ أن ترجع بالناس ولا تقدمهم علىٰ هٰذا الوباء..

---

(١) في المصدر: وقال.

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: ما نمت هٰذه الليلة.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي (ج٦، ص٣٦٤).

(٥) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٧٧).

(٦) في المصدر: ببعض الطريق.

(٧) في المصدر: لقيه.

(٨) في المصدر: أمراء.

فنادىٰ عمر في الناس: إلىٰ أن تصبح[١] علىٰ ظهري.. فأصبحوا عليه، فقال له أبو عبيدة بن الجراح: أفرارا من قدر الله تعالىٰ؟! فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلىٰ قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرىٰ جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله.

فجاءه[٢] عبدالرحمن بن عوف ـ وكان متغيبا في بعض حاجته ـ فقال: إن عندي من هٰذا علما، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه**»، فحمد عمر الله ﷻ وانصرف إلىٰ المدينة.

وقال[٣]: وروىٰ أبو جعفر، قال: استشار عمر في أمر المال [كيف يقسمه، فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام: «**تقسم كل سنة ما اجتمع معك من المال**][٤] **ولا تمسك منه شيئا**».. فقال[٥] عثمان بن عفان: أرىٰ مالا كثيرا يسع الناس كيف تقسمه؟ فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام: «تقسمه كل سنة مما اجتمع معك من المال وإن لم يحصوا، حتىٰ يعرف من أخذ ممن لم يأخذ، خفت[٦] أن ينتشر الأمر.. فقال الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين؛ قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا، وجندوا جنودا، وفرضوا لهم أرزاقا.. فأخذ بقوله، فدعا عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم، ـ وكانوا نساب قريش ـ ، وقال: اكتبوا الناس علىٰ منازلهم.. فكتبوا، فبدءوا ببني هاشم، ثم اتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه، علىٰ ترتيب الخلافة، فلما نظر إليه، قال: وددت أنه كان هكذا، لٰكن أبدأ بقرابة النبي ﷺ الأقرب فالأقرب، حتىٰ تضعوا عمر حيث وضعه الله.

قال أبو جعفر: جاءت بنو عدي إلىٰ عمر، فقالوا له: يا عمر؛ أنت خليفة رسول الله ﷺ.. قال: أو خليفة أبي بكر، وأبو بكر خليفة رسول الله ﷺ.. قالوا: وذاك، فلو جعلت نفسك حيث جعلك هٰؤلاء القوم.. فقال: بخ بخ يا بني عدي،

---

(١) في المصدر: إني مصبح. (٢) في المصدر: فجاء.
(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٩٤). (٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: وقال.
(٦) في المصدر: خشيت.

أردتم الأكل علىٰ ظهري وأن أذهب حسناتي لكم، لا والله لو كتبتم آخر الناس أن لي صاحبين سلكا طريقا، فإن أنا خالفتهما خولف بي، والله ما أدركنا الفضل في الدنيا إلا بمحمد، ولا نرجو ما نرجو من الآخرة وثوابها إلا بمحمدﷺ، فهو شرفنا، وقومه أشرف العرب، ثم الأقرب منه فالأقرب، وما بيننا وبين أن نلقاه ثم لا نفارقه إلىٰ آدم إلا أباء يسيرة، والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فإنهم أولىٰ بمحمدﷺ منا يوم القيامة، فلا ينظرن رجل إلىٰ قرابته، وليعمل بما عند الله، فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه[1].

الباب الثالث عشر

في رجوع عمر إلىٰ النساء والصبيان، واعترافه بالجهل في المسائل، وإيذاه بغاة العلم

قال ابن أبي الحديد[2]: قال مر عمر بشاب من [فتيان][3] الأنصار وهو ظمآن، فاستسقاه، فخاض[4] له عسلا، فرده ولم يشرب منه، فقال: إني سمعت الله [سبحانه][5] يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[6].. فقال الفتىٰ: إنها والله ليست لك، [ف][7]اقرأ يا أمير المؤمنين ما قبلها: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾[8] فنحن لسنا منهم.. فشرب وقال: كل الناس أفقه من عمر.

قال: وخطب عمر، فقال: لا يبلغني أن امرأة تجاوز صداقها صداق زوجات[9] رسول اللهﷺ[10] إلا ارتجعت ذٰلك منها.. فقامت إليه امرأة، فقالت:

(١) شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٩٤). (٢) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٥).

(٣) كما في بحار الأنوار.

(٤) في بعض المصادر: فماض له، وفي آخر: فجدع.

(٥) من المصدر.

(٦) الآية ٢٠ من سورة الأحقاف.

(٧) من المصدر.

(٨) الآية ٢٠ من سورة الأحقاف.

(٩) في المصدر: نساء.

(١٠) في المصدر: النبيﷺ.

والله ما جعل الله لك [ذلك][١]، إنه تعالىٰ يقول[٢]: ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾[٣][٤].. فقال عمر: [كل النساء أفقه من عمر حتىٰ ربات الحجال[٥]][٦]، ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت، ناضلت أمامكم فنضلته[٧].

وكان يعس[٨] ليلة، فمر بدار فيها صوت[٩]، فارتاب وتسور، فوجد[١٠] رجلا عند امرأة وزق[١١] خمر، فقال: يا عدو الله؛ أظننت أن الله يسترك وأنت علىٰ معصية.. فقال: لا تعجل يا أمير المؤمنين، إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاث.. قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾[١٢] وقد تجسست، وقال: ﴿وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَا﴾[١٣] وقد تسورت، وقال: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ﴾[١٤] وما سلمت.. قال: فهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم، والله لا أعود.. فقال: اذهب فقد عفوت عنك[١٥].

وقال[١٦]: حمل من العراق إلىٰ عمر مال، فخرج هو ومولىٰ له، فنظر إلىٰ الإبل فاستكثرها، فجعل يقول: الحمد لله.. يكررها ويرددها، وجعل مولاه يقول: هٰذا من فضل الله ورحمته.. يكررها ويرددها، فقال عمر: كذبت لا أم لك، أظنك ذهبت إلىٰ أن هٰذا هو ما عناه ﷻ بقوله: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ

---

(١) من المصدر.

(٢) ففي المصدر: قال.

(٣) من المصدر.

(٤) الآية ٢٠ من سورة النساء.

(٥) النساء.

(٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: فاضلت إمامكم ففضلته.

(٨) يطوف بقصد التجسس والاستكشاف.

(٩) في المصدر: سمع فيها صوتا.

(١٠) في المصدر: فرأى.

(١١) ظرف للسقاء.

(١٢) الآية ١٢ من سورة الحجرات.

(١٣) الآية ١٨٩ من سورة البقرة.

(١٤) الآية ٦١ من سورة النور.

(١٥) شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٧).

(١٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٨).

فَلْيَفْرَحُواْ ﴾[١]، وإنما ذلك الهدىٰ والإيمان، لا[٢] تسمعه يقول: ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[٣] وهٰذا مما يجمعون.

وقال[٤]: عمر خرج إلىٰ المسجد يوما، وعليه قميص في ظهره أربع رقاع، فقرأ حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قوله: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾[٥] فقال: ما الأب؟ ثم قال: إن هٰذا لهو التكلف، وما عليك يا ابن الخطاب أن لا تدري[٦] ما الأب[٧].

وقال[٨]: جاء قوم من الصحابة إلىٰ حفصة، وقالوا[٩]: لو كلمت أباك في أن يلين من عينيه[١٠] فإنه[١١] أقوىٰ له علىٰ النظر في أمور المسلمين.. فجاءته، فقالت: إن أناسا من قومك كلموني في أن أكلمك في أن تلين عينيك[١٢].. فقال: يا بنية؛ غششت أباك ونصحت لقومك.

وقال[١٣]: قال روىٰ أبو العالية الشامي، قال: كان عمر عليه قميص كرابيس[١٤] قد دسم وتخرق جيبه، [فقال: ادعوا إليّ رأس القرية.. فدعوه له][١٥]، فقال: اغسلوا قميصي هٰذا وخيطوه، وأعيروني قميصا ريثما تجف قميصي.. فأتوه بقميص كتان، فعجب منه، وقال: ما هذا؟ قالوا: كتان.. قال: وما الكتان؟ فأخبروه، فلبسه ثم غسل قميصه، فأتىٰ بها فنزع قميصهم ولبس قميصه.

وقال[١٦]: جاءت امرأة إلىٰ عمر بن الخطاب، فقالت: يا أمير المؤمنين؛ إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا[١٧] أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله..

---

(١) الآية ٥٨ من سورة يونس. (٢) في المصدر: أما.
(٣) الآية ٥٨ من سورة يونس. (٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٣٣).
(٥) الآية ٣١ من سورة عبس. (٦) في المصدر: ألا تدري.
(٧) ومثله في الطبقات الكبرى (ج٣، ص٣٢٧).
(٨) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٣٣).
(٩) في المصدر: فقالوا.
(١٠) في المصدر: عيشه.
(١١) في المصدر: لعله.
(١٢) في المصدر: أن تلين من عيشك.
(١٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٣٧).
(١٤) قطن (النهاية: ج٤، ص١٦١).
(١٥) من المصدر.
(١٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٤٦).
(١٧) في المصدر: وإني.

فقال: نعم الزوج زوجك.. فجعلت تكرر عليه القول، وهو يكرر عليها الجواب، فقال له كعب بن سور: يا أمير المؤمنين؛ إنها تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه.. ففطن عمر حينئذ، وقال له: قد وليتك الحكم بينهما.. فقال: فدعىٰ كعب زوجها، فأتىٰ به فقال: إن امرأتك هٰذه تشكوك.. قال: في طعام أو شراب.. قال: لا.. فقالت المرأة:

أيها القاضي الحكيم رشده
ألهىٰ خليلي عن فراشي مسجده
زهده في مضجعي تقيده[1]
نهاره وليله ما يرقده
فلست في أمر النساء أحمده

فقال زوجها:

ما زهدتي في فرشها [و]في الحجل
إني امرؤ أذهلتي ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطوال
وفي كتاب الله تخويف الحلل[2]

قال كعب:

لأنها[3] حق عليك يا رجل
فصبع[4] في[5] أربع لمن عقل
فاعطها ذاك ودع عنها[6] العلل

فقال لعمر: يا أمير المؤمنين؛ إن الله أحل له من النساء مثنىٰ وثلاث ورباع، [ف][7]له ثلاثة أيام ولياليهن [يعبد فيها ربه][8]، ولها يوم وليلة.. فقال عمر:

(١) في المصدر: تعبده.
(٢) في المصدر: جلل.
(٣) في المصدر: إن لها.
(٤) في المصدر: تصيبها.
(٥) في المصدر: من.
(٦) في المصدر: عنك.
(٧) من المصدر.
(٨) كما في المصدر.

والله ما أعلم [من][١] أي أمريك [أعجب][٢]، من فهمك أمرهما أم من حكمك بينهما، إذهب فقد وليتك قضاء البصرة[٣].

قال[٤]: وروىٰ عبدالله بن عمر، قال: كنت عند أبي يوما، وعنده نفر من الناس، فجرىٰ ذكر الشعر، فقال: من أشعر العرب؟ فقالوا: فلان وفلان.. فطلع عبدالله بن عباس، فسلم وجلس، فقال عمر: قد جاءكم الخبير، من أشعر الناس يا عبدالله؟ قال: زهير بن أبي سلمىٰ.. قال: فأنشدني مما تستجيده له.. فقال: يا أمير المؤمنين؛ إنه مدح قوما من غطفان، يقال لهم: بنو سنان، فقال:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم
قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تنسبهم
طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنس إذا أمنوا، جن إذا فزعوا
مرزؤون بها ليل إذا جهدوا
محسدون علىٰ ما كان من نعم
لا ينزع الله منهم ماله حسدوا[٥]

فقال عمر (قاتله الله): [والله][٦] لقد أحسن، ولا[٧] أرىٰ هٰذا المدح يصلح إلا لهٰذا البيت من هاشم، لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله.. فقال ابن عباس: وفقك الله يا أمير المؤمنين، [فلم تزل موفقا.. فقال: يا ابن عباس؛ أتدري من منع الناس منكم؟ قال: لا يا أمير المؤمنين][٨].. قال: لكني أدري. قال: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فيجحفوا[٩] الناس جحفا[١٠]، فنظرت قريش لأنفسها[١١] فاختارت ووفقت فأصابت.

(١) كما في المصدر. (٢) من المصدر. (٣) الاستيعاب (ج٣، ص١٣٢٠).
(٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٥٢). (٥) ديوان زهير (ص٢٨١).
(٦) من المصدر.
(٧) في المصدر: وما.
(٨) من المصدر.
(٩) في المصدر: يجخفوا (أي: يتكبروا).
(١٠) الجحف هو الفخر والشرف (النهاية: ج١، ص٢٤٢).
(١١) في المصدر: لنفسها.

فقال ابن عباس: أيميط[١] عني أمير المؤمنين علىٰ غضبه فينشرح[٢]! قال: قل ما تشاء.. قال: أما قول أمير المؤمنين: (إن قريشا كرهت) فإن الله تعالىٰ قال لقوم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[٣].

واما قولك: ([إنا كنا][٤] نجحف) فلو جحفنا بالخلافة لجحفنا بالقرابة، ولكنا [قوم][٥] أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله ﷺ الذي قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٦].. وقال له: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٧].

وأما قولك: (إن[٨] قريشا اختارت) فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾[٩]، وقد علمت يا أمير المؤمنين إن الله تعالىٰ اختار لخلقه من ذٰلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت [وأصابت][١٠] قريش.. فقال عمر: علىٰ رسلك يا ابن عباس؛ أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشا في أمر قريش لا يزول، وحقدا عليها لا يحول.. فقال ابن عباس: مهلا يا أمير المؤمنين، لا تنسب قلوب بني هاشم[١١] إلىٰ الغش، فإن قلوبهم من قلب رسول الله ﷺ الذي طهره الله وزكاه، وهم أهل البيت الذين قال الله تعالىٰ لهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١٢].

وأما قولك: (حقدا)؛ فكيف لا يحقد من غصب شيئه ويراه في يد غيره.

فقال عمر: أما أنت يا عبدالله[١٣]؛ فقد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزل[١٤] منزلتك عندي.

---

(١) ينحي ويبعد (الصحاح: ج٣، ص١١٦٢). (٢) في المصدر: فيستمع.
(٣) الآية ١٩ من سورة الأحزاب. (٤) من المصدر. (٥) من المصدر.
(٦) الآية الرابعة من سورة القلم.
(٧) الآية ٢١٥ من سورة الشعراء.
(٨) في المصدر: فإن.
(٩) الآية ٦٨ من سورة القصص.
(١٠) كما في المصدر.
(١١) في المصدر: هاشما.
(١٢) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.
(١٣) في المصدر: يا ابن عباس.
(١٤) في المصدر: فتزول.

قال: وما هو [يا أمير المؤمنين][١]؟ أخبرني به فإن يك باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقا فإن منزلتي عندك لا تزول به.. فقال: بلغني إنك لا تزال تقول: أخذ هٰذا الأمر منا حسدا وظلما.. قال: أما قولك يا أمير المؤمنين: (حسدا) فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، فنحن بنو آدم المحسود.

وأما قولك: (ظلما)؛ فأمير المؤمنين يعلم صاحب الحق من [هو][٢].

ثم قال: يا أمير المؤمنين؛ ألم تحتج العرب علىٰ العجم بحق رسول الله ﷺ، واحتجت قريش علىٰ سائر العرب بحق رسول الله ﷺ، فنحن أحق برسول الله من سائر قريش.

فقال [له][٣] عمر: قم الآن فارجع إلىٰ منزلك.. فقام، فلما ولىٰ هتف به عمر: أيها المنصرف؛ إني علىٰ ما كان منك لراع حقك!! فالتفت ابن عباس فقال: إن لي عليك [يا أمير المؤمنين][٤] وعلىٰ كل المسلمين حقا برسول الله ﷺ، فمن حفظه فقد حفظ نفسه[٥]، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع.. ثم مضىٰ، فقال عمر لجلسائه: واها لابن عباس، ما رأيته لاحىٰ[٦] أحدا قط إلا خصمه!

وقال[٧]: بينما عمر ذات ليلة يعيس[٨] إذ سمع صوت امرأة من سطح وهي تنشد:

تطاول هٰذا الليل وأزور جوانبه
وليس إلىٰ جنبي خليل ألاعبه
فوالله لو الله لا شيء غيره[٩]
تزعزع[١٠] من هٰذا السرير جوانبه

(١) من المصدر. (٢) كما في المصدر.
(٣) من المصدر.
(٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: فمن حفظ فحق نفسه حفظ.
(٦) نازع وخاصم.
(٧) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٦٣).
(٨) في المصدر: يعس.
(٩) في المصدر: فوالله لو لا الله تخشى عواقبه.
(١٠) في المصدر: لزعزع.

مخافة ربي والحياء يصدني
وأكرم بعلي أن ينال[١] مراكبه

فقال عمر: لا حول ولا قوة إلا بالله، ماذا صنعت يا عمر بنساء المدينة.. ثم جاء فضرب الباب علىٰ حفصة ابنته، فقالت: ما جاء بك في هٰذه الساعة؟!! قال: أخبريني كم تصبر المرأة المغيبة عن أهلها[٢]؟ قالت: أقصاه أربعة أشهر.. فلما أصبح كتب إلىٰ السراية[٣] في جميع النواحي أن لا يجمر[٤] البعوث، ولا[٥] يغيب أهل[٦] عن أهله أربعة أشهر[٧].

وقال[٨]: وروىٰ يوسف بن يعقوب الماجشون، قال: قال لي ابن شهاب ولأخ لي ولابن عم لنا ونحن صبيان أحداث: لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر كان إذا نزل به الأمر المعضل، دعا الصبيان فاستشارهم، يبتغي جدة[٩] عقولهم[١٠].

وقال[١١]: قال عمر مرة[١٢]: لا يبلغني أن امرأة تجاوز صداقها صداق نساء النبي ﷺ[١٣] إلا ارتجعت ذٰلك منها.. فقالت له امرأة: [والله][١٤] ما جعل الله لك ذلك، إن الله تعالىٰ قال[١٥]: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[١٦].. فقال: كل الناس أفقه من عمر حتىٰ ربات الحجال، ألا تعجبوا من أمام أخطأ وأمرأة أصابت فأضلت إمامكم ففضلته[١٧].

---

(١) في المصدر: تنال. (٢) في المصدر: بعلها.
(٣) في المصدر: أمرائه. (٤) في المصدر: تجمر (أي: تحبس).
(٥) في المصدر: وألا. (٦) في المصدر: رجل.
(٧) سيرة عمر لابن الجوزي (ص٦٠).
(٨) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٦٦).
(٩) في المصدر: حدة.
(١٠) ومثله في حلية الأولياء (ج٣، ص٣٦٤).
(١١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٧).
(١٢) في المصدر: وخطب عمر فقال.
(١٣) في المصدر: صداق زوجات رسول الله ﷺ.
(١٤) من المصدر.
(١٥) في المصدر: يقول.
(١٦) الآية ٢٠ من سورة النساء.
(١٧) في المصدر: ناضلت إمامكم فنضلته (أي سابقت إمامكم فغلبته).

وقـال[١]: ومـر يوما عمر بشـاب مـن فتيـان الأنصار وهـو ظمآن، فاستسـقاه فجدح[٢] لـه ماء بعسـل فلم يشـربه، وقـال: إن الله تعالىٰ يقـول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾[٣] فقال لـه الفتىٰ: يا أمير المؤمنين ؛ إنها ليسـت لك ولا لأحد من أهل القبلة، إقرأ ما قبلهـا: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾[٤].. فقال عمر: كل الناس أفقه من عمر.

وقال[٥]: وقيل: إنـه كان يعس بالليل، فسـمع صوت رجل وامـرأة في بيت، فارتاب فتسـور الحائط، فوجد امرأة ورجلا وعندهمـا زق[٦] خمر، فقال: يا عدو الله؛ أكنت ترىٰ أن الله يسـترك وأنت علىٰ معصيـة.. فقال: يا أميـر المؤمنين؛ إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاث، قـال الله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾[٧] وقد تجسسـت، وقال: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[٨] وقد تسورت، وقال: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا﴾[٩] وما سلمت.

وقد تقدمت هٰذه الأحاديث الثلاثة وكررتها كما كررتها في الشرح للتأكيد.

وقال[١٠]: وأتىٰ رجل من المسـلمين إلىٰ عمر، وقال[١١]: إنا لما فتحنا المدائن أصبنـا كتابـا فيه علم مـن علـوم الفـرس، وكلام معجـب، فدعا بالـدرة، فجعل يضربه بها، ثم قرأ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾[١٢]، ويقول: ويلك؛ أقصص أحسـن من كتاب الله، إنما هلـك من قبلكـم لأنهم أقبلـوا علىٰ كتـب علمائهم وأساقفتهم وتركوا التوراة والإنجيل حتىٰ درسا وذهب ما فيهما من العلم[١٣].

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٥).

(٢) فخلط.

(٣) الآية ٢٠ من سورة الأحقاف.

(٤) الآية ٢٠ من سورة الأحقاف.

(٥) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٨٢).

(٦) وعاء.

(٧) الآية ١٢ من سورة الحجرات.

(٨) الآية ١٨٩ من سورة البقرة.

(٩) الآية ٦١ من سورة النور.

(١٠) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٠١).

(١١) في المصدر: فقال.

(١٢) الآية الثالثة من سورة يوسف.

(١٣) سيرة عمر لابن الجوزي (ص١٠٧).

وقال(١): وجاء رجل إلىٰ عمر، فقال: إن ضبيعا التميمي لقينا يا أمير المؤمنين، فجعل يسألنا عن تفسير حروف في القرآن.. فقال: اللهم أمكني منه.. فبينما عمر يوما جالسا يغدي الناس إذ جاء الضبيع وعليه ثياب وعمامة، فتقدم وأكل، حتىٰ إذا فرغ قال: يا أمير المؤمنين؛ ما تفسير(٢) قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾(٣).. قال: ويحك أنت هو!! فقام إليه، فحسر عن ذراعه(٤)، فلم يزل يجلده حتىٰ سقطت عمامته، فإذا له ضفيرتان، فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقا لضربت رأسك.. ثم أمر به فجعل في بيت، ثم كان يخرجه كل يوم فيضربه مائة، فإذا أدبر أخرجه فضربه ماية أخرىٰ، ثم حمله علىٰ قتب(٥) فسيره إلىٰ البصرة، وكتب إلىٰ أبي موسىٰ يأمره أن يحرم علىٰ الناس مجالسته، وأن يقوم في الناس خطيبا، ثم يقول: إن ضبيعا ابتغىٰ العلم فأخطأه.. فلم يزل وضيعا في قومه وعند الناس حتىٰ هلك، وقد كان من قبل سيد قومه.

وقال(٦): وروىٰ زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: سمعت عمر يقول في الحج: فيم الرملان(٧) الآن والكشف عن المثالب(٨) وقد أظهر الله الإسلام ونفىٰ الكفر وأهله، ومع ذٰلك لا يدع(٩) شيئا كنا نفعله علىٰ عهد رسول الله ﷺ.

وقال(١٠): وفي حديث عمر أنه خرج من الخلاء فدعا بطعام، فقيل له: ألا تتوضأ؟!! فقال: لولا التنطس(١١) ما باليت أن لا(١٢) أغسل يدي.

وقال(١٣): وروىٰ المغيرة بن أسود(١٤)، قال: خرجنا مع عمر في حجة حجها، فقرأ بنا في الفجر: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ﴾(١٥) و﴿لِإِيلَٰفِ

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٠٢). (٢) في المصدر: معنى.
(٣) الآيتان الأولى والثانية من سورة الذاريات. (٤) في المصدر: ذراعيه.
(٥) صغير البعير (كتاب العين: ج٥، ص١٣١).
(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٠٢). (٧) الهرولة حول البيت.
(٨) في المصدر: المناكب. (٩) في المصدر: لا ندع.
(١٠) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٢٤).
(١١) التقذر (غريب الحديث لابن سلام: ج٣، ص٢٣٤).
(١٢) في المصدر: ألا.
(١٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٠١).
(١٤) في المصدر: سويد.
(١٥) الآية الأولى من سورة الفيل.

﴿قُرَيْشٍ﴾[١]، فلما فرغ رأىٰ الناس يبادرون إلىٰ مسجد هناك، فقال: ما بالهم؟!! قالوا: مسجد [صلىٰ][٢] فيه رسول الله[ﷺ] فالناس[٣] يبادرون إليه.. فناداهم، [فقال][٤]: هٰكذا هلك أهل الكتاب قبلكم، اتخذوا آثار أنبيائهم [بيعا][٥]، من عرضت له صلاة في [هذا][٦] مسجد فليصل ومن لم يعرض[٧] له صلاة فليمض.

الباب الرابع عشر

في تحريم عمر المتعتين متعة الحج ومتعة النساء

ابن أبي الحديد قال[٨]: قال عمر: (متعتان كانتا علىٰ عهد رسول الله ﷺ [و][٩]أنا محرمهما ومعاقب عليهما، متعة النساء ومتعة الحج).

وقال[١٠]: قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه[١١]: عن[١٢] عبدالرحمن بن أبي زيد، عن عمران بن سودة الليثي، قال: صليت الصبح مع عمر، فقرأ ﴿سُبْحَٰنَ﴾ وسورة معها، ثم انصرف، فقمت معه، فقال: أحاجة[١٣]؟ قلنا[١٤]: حاجة.. قال: فالحق.. فلحقت، فلما دخل أذن، فإذا هو علىٰ رماد[١٥] سرير ليس فوقه شيء.. فقلت: نصيحة.. فقال: مرحبا بالناصح غدوا وعشيا.. قلت: عابت أمتك (أو: قال رعيتك) عليك أربعا.. قال: فوضع عود الدرة ثم ذقن عليها[١٦]، هٰكذا روىٰ ابن قتيبة[١٧].

(١) سورة قريش. (٢) كما في المصدر.
(٣) في المصدر: والناس. (٤) من المصدر.
(٥) من المصدر. (٦) من المصدر. (٧) في المصدر: تعرض.
(٨) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٨٢). (٩) من المصدر.
(١٠) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٢١).
(١١) الجزء الثالث (ص٢٩٠).
(١٢) في المصدر: روى.
(١٣) في المصدر: حاجة.
(١٤) في المصدر: قلت.
(١٥) في المصدر: رمال.
(١٦) أي: وضع عليها ذقنه يستمع (غريب الحديث لابن قتيبة: ج١، ص٢٦٤).
(١٧) في كتابه غريب الحديث (ج١، ص٢٦٣).

وقال أبو جعفر[١]: فوضع رأس درته في ذقنه، ووضع أسفلها علىٰ فخذه، وقال: هات.

قال: ذكروا أنك حرمت المتعة في أشهر الحج.. وزاد أبو جعفر[٢]: وهي حلال، ولم يحرمها رسول الله ﷺ ولا أبو بكر.. فقال: أجل، إنكم إنما اعتمرتم في أشهر حجكم رأيتموها مجزية[٣] من حجكم ففرغ[٤] حجكم، وكانت قابية[٥] قوب عامها[٦]، والحج بهاء من بهاء الله وقد أصبت.

قالوا[٧]: وذكروا أنك حرمت متعة النساء وقد كانت[٨] رخصة من الله، نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث.. قال: [إن][٩] رسول الله ﷺ أحلها في زمان ضرورة ورجع الناس إلىٰ السعة، ثم لم أعلم أحدا من المسلمين عاد إليها ولا عمل بها، فالآن من شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق، وقد أصبت.

قالوا[١٠]: وذكروا أنك اعتقت الأمة إن وضعت ذات بطنها بغير عتاقة سيدها.. قال: ألحقت حرمة بحرمة، وما أردت إلا خيرا[١١]، وأستغفر الله.

قال: ويشكون[١٢] منك عنف السياق ونهر الرعية.. [قال: فنزع الدرة ثم مسحها حتىٰ أتىٰ علىٰ سيورها][١٣].

وقال[١٤]: وفي حديثه أنه قال في متعة الحج: [قد علمت][١٥] أن رسول الله ﷺ فعلها وأصحابه، ولكن كرهت أن تضلوا[١٦] بهن معرسين[١٧] تحت الأراك ثم يلبون بالحج تقطر رؤوسهم.

---

(١) في تاريخه (ج٣، ص٢٩٠). (٢) في تاريخه (ج٣، ص٢٩٠).

(٣) في المصدر: مجزئة. (٤) في المصدر: فقرع.

(٥) القابية: البيضة التي تنفلق عن فرخها.

(٦) مثل يضرب لخلو مكة من المعتمرين في باقي السنة (النهاية: ج٤، ص١١٨).

(٧) في المصدر: قال. (٨) في المصدر: كان.

(٩) من المصدر. (١٠) في المصدر: وقال.

(١١) في المصدر: إلا الخير.

(١٢) في المصدر: وشكوا.

(١٣) من المصدر.

(١٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٥٠).

(١٥) من المصدر.

(١٦) في المصدر: يظلوا.

(١٧) المعرس الذي يغشي امرأته (غريب الحديث لابن سلام: ج٣، ص٣٩٤).

وقال[١]: قال ابن عباس: المتعة حلال.. فقال له جبير بن مطعم: كان عمر ينهىٰ عنها.. فقال: يا عدي نفسه، من ها هنا ظلمتم[٢] أحدثكم عن رسول الله عليه السلام وتحدثني عن عمر.

وجاء في الخبر[٣]: لو لا ما فعل ابن الخطاب في المتعة ما زنىٰ إلا شقي.. وقيل: ما زنىٰ إلا شفا؛ أي: قليل.

وقال[٤]: وقال جرير بن كليب رأيت عمر رضي الله عنه[٥] ينهىٰ عن المتعة، وعلي[عليه السلام] يأمر بها، فقلت: إن بينكما لشرا.. فقال علي[عليه السلام]: «**ما[٦] بيننا إلا الخير، ولكن خير ما معنا[٧] لهذا الدين**».

وقال: وقال أبو عثمان يعني الجاحظ ـ وهو من أكابر علماء الجمهور من المنحرفين عن علي عليه السلام ـ: في أن ترك الإنكار علىٰ أبي بكر وعمر في منع فاطمة[عليها السلام] من فدك ليس دليلا علىٰ صحة قولهما ودعواهما.

قال[٨]: قال أبو عثمان[٩]: وقد زعم ناس أن الدليل علىٰ صدق خبرهما ـ يعني: أبا بكر وعمر ـ في منع الميراث، وبراءة ساحتها، ترك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله النكير عليهما.

ثم قال: فيقال لهم: أليس كان ترك النكير دليلا علىٰ صدقهما، إن تركتم النكير[١٠] علىٰ المتظلمين منهما، والمحتجين عليهما، والمطالبين لهما، علىٰ صدق دعواهم، واستحسان مقالتهم، ولا سيما وقد طالت المناجاة[١١]، وكثرت المراجعة والملاحاة، وظهرت السكينة[١٢]، واشتدت الموجدة، وقد بلغ ذٰلك من

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢٠، ص٢٥).
(٢) في المصدر: ضللتم.
(٣) الدر المنثور (ج٢، ص٤٨٦).
(٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢٠، ص٢٨).
(٥) غير موجودة في المصدر.
(٦) في المصدر: ليس.
(٧) في المصدر: خيرنا أتبعنا.
(٨) السيد المرتضى قدس سره في الشافي (ج٤، ص٨٤).
(٩) رسائل الجاحظ (ص٣٠٠).
(١٠) في المصدر: ليكونن ترك النكير.
(١١) في الشافي: المحاجات.
(١٢) في الشافي: الشكية.

فاطمة (رضوان الله تعالىٰ عليها)، حتىٰ أنها أوصت أن لا يصلي عليها أبو بكر[١]، ولقد كانت قالت له حين أتته تطالبه بحقها ومحتجة لرهطها[٢]: «**من يرثك يا أبا بكر إذا[٣] مت**»؟ قال: **أهلي وولدي.. قالت**[عليها السلام]: «فما بالنا لا نورث النبي صلى الله عليه وآله».

فلما منعها ميراثها وحقها، واعتل عليها، واختلج في أمرها، وعانت التهضم[٤]، وآيست من النزوع[٥]، ووجدت نشو[٦] الضعف، وقلة الناصر، قالت[عليها السلام]: «**والله لأدعون الله عليك**».. قال: والله لأدعون الله لك.. قالت[عليها السلام]: «**والله لا أكلمك أبدا**».. قال: والله لا أهجرك أبدا.

فإن يكن ترك النكير [منهم][٧] علىٰ أبي بكر دليلا علىٰ صواب منعه، إن [كان][٨] في ترك النكير علىٰ فاطمة[عليها السلام] دليلا علىٰ صواب طلبه[٩]، وأدنىٰ ما كان يجب عليهم في ذلك تعريفها ما جهلت، وتذكيرها ما نسيت، وصرفها عن الخطأ، ورفع قدره[١٠] عن البذي[١١]، فإن[١٢] تقول هجروا[١٣]، ولا يجور عادلا، أو يقطع وصلا[١٤]، فإذا لم نجدهم أنكروا علىٰ الخصمين جميعا فقد تكاتفت[١٥] الأمور، واستوت الأسباب، والرجوع إلىٰ أصل حكم الله في المواريث أولىٰ بنا وبكم، وأوجب علينا وعليكم.

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب (ج٣، ص٣٦٣).

(٢) في الشافي: برهطها.

(٣) في الشافي: إن.

(٤) الظلم.

(٥) الرجوع.

(٦) في الشافي: مس.

(٧) من المصدر.

(٨) المصدر.

(٩) في الشافي: طلبها.

(١٠) في الشافي: قدرها.

(١١) في الشافي: البذاء.

(١٢) في الشافي: وأن.

(١٣) في الشافي: هجرا.

(١٤) في الشافي: واصلا.

(١٥) في الشافي: تكافأت.

ثم قال[١]: وإن[٢] قالوا: كيف يظن به[٣] ظلمها، والتعدي عليها، وكلما ازدادت عليه غلظة ازداد لها لينا ورقة، حيث تقول له: «**والله لا أكلمك أبدا**»، فيقول: والله لا أهجرك أبدا.. ثم تقول: «**والله لأدعون الله عليك**».. فيقول: والله لأدعون الله لك.. ثم يحتمل منها هٰذا الكلام الغليظ، والقول الشديد في دار الخلافة، وبحضرة قريش والصحابة، مع حاجة الخلافة إلىٰ البهاء والتنزيه، وما يجب لها من الرفعة والهيبة[٤]، ثم لم يمنعه ذٰلك بأن قال معتذرا أو متقربا بالكلام المعظم لحقها المتكبر[٥] لمقامها، والصاين لوجهها، [و][٦]المتحنن عليها، ما أحدا أعز علي منك فقرا، ولا أحب لي منك غنىٰ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا فهو صدقة).

قيل لهم: ليس ذٰلك بدليل علىٰ البراءة من الظلم، والسلامة من الجور[٧]، وقد يبلغ من مكر الظالم، ودهاء الماكر، إذا كان أديبا، وللخصومة معتادا، أن يظهر كلام المظلوم، وذلة المنتصف، وجدب[٨] الوامق[٩]، ومقة[١٠] المحق، وكيف جعلتم ترك النكير حجة قاطعة ودلالة واضحة، وقد زعمتم أن عمر قال علىٰ منبره: (متعتان كانتا علىٰ عهد رسول الله ﷺ متعة النساء ومتعة الحج وأنا أنهىٰ عنهما وأعاقب عليهما)، فما وجدتم أحدا أنكر قوله، ولا مستشيع[١١] مخرج نهيه، ولا خطأه في معناه، ولا تعجب منه، ولا استفهمه.

وكيف يقضون[١٢] [في معناه][١٣] بترك النكير وقد شهد عمر يوم السقيفة، وبعد ذلك: أن النبي ﷺ قال: (الأئمة من قريش)، ثم قال في مكانه[١٤]: (لو

---

(١) الجاحظ. (٢) في الشافي: فإن. (٣) أي: بأبي بكر.

(٤) في الشافي: مع حاجة الخلافة إلى البهاء والرفعة وما يجب لها من التنزيه والهيبة.

(٥) في الشافي: المكبر.

(٦) من الشافي.

(٧) في الشافي: العمد.

(٨) في الشافي: وحدب.

(٩) المحب.

(١٠) حب.

(١١) في الشافي: مستشنع أو استشنع.

(١٢) في الشافي: تقضون.

(١٣) من المصدر.

(١٤) في الشافي: في شكاته.

كان سالم حيا ما تخالجني فيه شك)، حين[١] أظهر الشك في استحقاق كل واحد من الستة الذين جعلهم شورىٰ، وسالم عبد لإمرأة من الأنصار، وهي أعتقته، وحازت ميراثه، ثم لم ينكر ذٰلك من قول منكر، ولا قابل إنسان بين قوليه[٢]، ولا تعجب منه، وإنما يكون ترك النكير علىٰ من لا رغبة ولا رهبة عنده دليلا علىٰ صدق قوله، وصواب عمله، فأما ترك النكير علىٰ من يملك الصفة[٣] والرفعة، والأمر والنهي، والقتل والاستحياء، والحبس والإطلاق، فليس بحجة تشفىٰ، ولا دلالة تضيء.

قال: وقال آخرون: بل الدليل علىٰ صدق قولهما، وصواب عملهما، إمساك الصحابة عن خلعهما والخروج عليهما، وهم الذين وثبوا علىٰ عثمان في أيسر من جحد التنزيل ورد النصوص، ولو كان كما تقولون وما تصفون ما كان سبيل الأمة منهما[٤] [إلا][٥] كسبيله[٦] فيه، وعثمان كان أعز نفرا، وأشرف رهطا، وأكثر عددا وثروة، وأقوىٰ عدة.

قلت[٧]: إنهما لم يجحدا التنزيل ولم ينكرا النصوص، ولكنهما بعد إقرارهما بحكم الميراث وما عليه الظاهر من الشريعة ادعيا رواية، وتحدثا بحديث لم يكن محالا كونه، ولا ممتنعا في حجج العقول حجة[٨]، وشهد لهما عليه من علته مثل علتهما فيه.

ولعل بعضهم كان يرىٰ تصديق الرجل إذا كان عدلا في رهطه، مأمونا في ظاهره، ولم يكن قبل ذٰلك عرف بفجرة[٩]، ولا جرب عليه عذره[١٠]، فيكون تصديقه له علىٰ جهة حسن الظن وتعديل الشاهد.

---

(١) في الشافي: حيث.
(٢) في الشافي: بين خبريه.
(٣) في الشافي: الضعة.
(٤) في المصدر: فيهما.
(٥) من المصدر.
(٦) في المصدر: كسبيلهم.
(٧) في المصدر: قلنا.
(٨) في المصدر: مجيئه.
(٩) انبعاث في المعاصي.
(١٠) في المصدر: ولا جرت عليه غدرة.

ولأنه لم يكن كثير منهم يعرف حقائق الحجج، والذي يقطع بشهادته علىٰ الغيب، وكان ذٰلك شبهة علىٰ أكثرهم، فلذلك قل النكير وتواكل الناس فاشتبه الأمر، فصار لا يتخلص إلىٰ معرفة حق ذٰلك من باطله إلا العالم المتقدم أو المؤيد المرشد، ولأنه لم يكن لعثمان في صدور العوام وقلوب السفلة والعظام[1] ما كان لهما من المحبة والهيبة، ولأنهما كانا أقل استئثارا بالفيء وتفضلا بمال الله منه، ومن شأن الناس إهمال السلطان ما وفر عليهم أموالهم ولم يستأثر بخراجهم ولم يعطل أمورهم[2].

ولأن الذي صنع أبو بكر من منع العترة حضها[3]، والعمومة ميراثها، قد كان موافقا لجلة[4] قريش، ولكبراء العرب، ولأن عثمان أيضا كان مضعوفا في نفسه، مستخفا بقدره، لا يمنع ضيما، ولا يقمع عدوا.

ولقد وثب ناس علىٰ عثمان بالشتم والغرم[5] والتشنيع والنكير لأمور لو أتىٰ عمر أضعافها وبلغ أقصاها لما اجترأوا علىٰ اغتيابه، فضلا عن مباداته[6] والإغراء به ومواجهته، كما أغلظ عينية بن حصين[7] له، فقال له: أما أنه لو كان عمر لقصك[8] ومنعك.. فقال عينية: إن عمر كان خيرا لي منك، أرهبني فأتقاني.

ثم قال: والعجب إنا وجدنا من خالفنا في الميراث علىٰ اختلافهم في التشبيه والقدر والوعيد كل من صنف منهم أحاديث مخالفيه وخصومه ما هو أقرب اسنادا، وأصح رجالا، وأحسن اتصالا، حتىٰ إذا صاروا إلىٰ القول في ميراث النبيﷺ نسخوا الكتاب، وخصوا الخبر العام بما يدان[9] بعض ما ردوه وأكذبوا ناقليه[10]، وذلك أن كل إنسان منهم إنما يجري إلىٰ هواه ويصدق ما وافق رضاه.

---

(١) في المصدر: والطغام. (٢) في المصدر: ثغورهم.
(٣) في المصدر: حقهم.
(٤) أي: عظماء.
(٥) في المصدر: القذف.
(٦) في المصدر: على مبدأته.
(٧) في المصدر: حصن.
(٨) في المصدر: لقمعك.
(٩) في المصدر: لا يداني.
(١٠) في المصدر: قائليه.

قال ابن أبي الحديد[١]: هٰذا آخر كلام الجاحظ.

أقول: انظر أيها الواقف علىٰ كلام الجاحظ هذا، ففيه من الطعون علىٰ أبي بكر وعمر، وعلىٰ بيعتهما، وعلىٰ سيرتهما، وغصبهما فاطمةعليها السلام.

قال: هو كلام واضح المسلك، وإن كان فيه ما لهم منه المهلك، مع أن أبا عثمان الجاحظ من المتعصبين للفرقة العمرية، حتىٰ أن له مصنفا في ذٰلك قائل بتفضيل أبي بكر علىٰ أمير المؤمنينعليه السلام، وفي كلامه هٰذا ما يدل علىٰ فساد رأيه ومذهبه، ألا أن ذٰلك ﴿هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[٢].

وابن أبي الحديد مثله، إلا أنه قائل بتفضيل عليعليه السلام علىٰ أبي بكر وعمر وعثمان، وإن شارك الجاحظ في التعصب للثلاثة، ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾[٣] والحمد لله رب العالمين.

الباب الخامس عشر

في بدع عمر

من: التراويح، ورده المقام إلىٰ محله في الجاهلية خلافا لرسول اللهصلى الله عليه وآله، وهدمه مسجد رسول اللهصلى الله عليه وآله، والزيادة فيه بدخول بيت العباس، وغير ذٰلك من بدعه.

ابن أبي الحديد قال[٤]: قال أمير المؤمنينعليه السلام في خطبته: «**وما أحدثت بدعة إلا ترك بها سنة، فاتقوا البدع، والزموا المهيع، إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها**»[٥].

قال في الشرح[٦]:

(البدعة): كل ما أحدث مما لم يكن علىٰ عهد رسول اللهصلى الله عليه وآله، فمنها: الحسن كـ: صلاة التراويح، ومنها: القبيح، كـ: المنكرات التي ظهرت في أواخر الخلافة العثمانية، وإن كانت قد تكلفت الأعذار منها.

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٦، ص٢٦٧). (٢) كما في التعبير القرآني في الآية ٢١١ من سورة الحج.

(٣) الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء. (٤) في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص٩٣).

(٥) نهج البلاغة (ج٢، ص٢٨).

(٦) الجزء التاسع (ص٩٤).

ومعنىٰ قوله عليه السلام: «**ما أحدثت بدعة إلا ترك بها سنة**»، إن من السنة أن لا تحدث البدعة، فوجود البدعة عدم للسنة لا محالة.

و«**المهيع**»: الطريق الواضح، من قولهم: أرض مهيعة، أي: مبسوطة واسعة، والميم مفتوحة، وهي زائدة.

و«**عوازم الأمور**»: ما تقادم منها، من قولك: عجوز عوزم، أي: مسنة، قال الراجز[1]:

لقد غدوت خلو الثياب[2] أحمل عدلين من التراب

لعوزم وصبية سغاب[3] فآكل ولاحس وآب

ويجمع «**فوعل**» علىٰ فواعل، كـ(دورق) و(هوجل)، ويجوز أن يكون «**عوازم**» جمع عازمة، ويكون فاعل بمعنىٰ مفعول، أي: معزوم عليها، أي: مقطوع معلوم بيقين صحتها، ومجيء «**فاعلة**» بمعنىٰ «**مفعولة**» كثير، كقولهم[4]: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[5] بمعنىٰ: مرضية، والأول أظهر عندي، لأن في مقابلته قوله[عليه السلام]: «**وإن محدثاتها شرارها**»، والمحدث في مقابلة القديم.

⊡ [من أوليات عمر]:

قال[6]: قال المؤرخون[7]: إن عمر أول من سن قيام رمضان في جماعة[8]، وكتب به إلىٰ البلدان[9].

وأول من مسح السواد، ووضع الخراج علىٰ الأرض، والجزية علىٰ جماجم أهل الذمة، فيما فتحه من البلدان، وبلغ خراج السواد في أيامه: مائة ألف درهم وعشرين ألف ألف درهم بالوافية، وهي وزن الدنانير من الذهب[10].

---

(١) في الصحاح (ج٥، ص١٩٨٥) هو: الفراء. (٢) في الصحاح: الأثواب.

(٣) جياع (لسان العرب: ج١، ص٤٦٨). (٤) وقوله تعالى.

(٥) الآية ٢١ من سورة الحاقة. (٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٧٥).

(٧) ومنهم القلقشندي.

(٨) وهي صلاة التراويح، راجع: مآثر الأناقة في معالم الخلافة (ج٢، ص٣٣٧).

(٩) وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة للهجرة (الطبقات الكبرى: ج٣، ص٢٨١).

(١٠) الطبقات الكبرى (ج٣، ص٢٨٢).

وهو أول من مصر الأمصار[١]، وكوفة الكوفة، وبصر البصرة، وأنزلها العرب[٢].

وأول من استقضىٰ القضاة في الأمصار[٣].

وأول من دون الدواوين[٤]، وكتب الناس علىٰ قبايلهم، وفرض لهم الأعطية.

وهو أول من قاسم العمال وشاطرهم أموالهم[٥]، وكان يستعمل قوما ويدع أفضل منهم لبصرهم بالعمل، وقال: أكره إذ أدنس هوىٰ بالعمل.

وهو الذي هدم مسجد رسول الله ﷺ، وزاد فيه، وأدخل دار العباس فيما زاد[٦].

وهو أخرج اليهود من الحجاز وأجلاهم عن جزيرة العرب إلىٰ الشام[٧].

وهو: الذي فتح بيت المقدس، وحضر الفتح بنفسه[٨].

وهو الذي أخر المقام إلىٰ موضعه اليوم، وكان ملصقا بالبيت[٩]، وحج بنفسه أيام خلافته إلا السنة الأولىٰ فإنه استخلف علىٰ الحج عبدالرحمن بن عوف.

وهو الذي جاء بالحصىٰ من العقيق فبسطه في مسجد المدينة، وكان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم، وقال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لو قد استوت قدماي من هٰذه المداحض[١٠] لغيرت أشياء**»[١١].

قال[١٢] في الشرح[١٣]: لسنا نشك إنه كان يذهب في الأحكام الشرعية والقضايا إلىٰ أشياء يخالف فيها أحوال[١٤] الصحابة، نحو: قطعه السارق من

(١) الكوفة والبصرة والجزيرة والشام ومصر والموصل، ومعنى مصر: جعل لها حدود (الصحاح: ج٢، ص٨١٧).

(٢) الطبقات الكبرى (ج٣، ص٢٨٢). (٣) السيرة الحلبية (ج٢، ص٢١).

(٤) السنن الكبرى للبيهقي (ج٨، ص١٠٨) وهي فكرة من الفرس لاحصاء أصحاب الأعطيات وتوزيع المرتبات عليهم. (٥) كما في: تاريخ الطبري (ج٤، ص٥٦) وسيرة عمر لابن الجوزي (ص٤٤) وصبح الأعشى (ج٦، ص٣٨٦) والعقد الفريد (ج١، ص١٨) وفتوح البلدان (ص٢٨٦) وغيرها.

(٦) الطبقات الكبرى (ج٣، ص٢٨٣). (٧) تاريخ السيوطي (ص١٣٧).

(٨) الكامل في التاريخ (ج٢، ص٤٩٩). (٩) عمدة القاري (ج٩، ص٢١٣).

(١٠) المزالق.

(١١) نهج البلاغة (ج٤، ص٦٦).

(١٢) ابن أبي الحديد.

(١٣) شرح نهج البلاغة (ج١٩، ص١٦١).

(١٤) في المصدر: أقوال.

رؤوس الأصابع، وبيع أمهات الأولاد، وغير ذلك، وإنما كان يمنعه من تغيير أحكام من تقدم اشتغاله بحرب البغاة والخوارج، وإلىٰ ذٰلك يشير بالمداحض عن بعض السلف.

وقال حجر بن أوس[1]:

الألمعي الذي يظن بك الظن
كأن قد رأىٰ وقد سمعا[2]

وقال أبو الطيب:

ذكي يظنيه طليعة عينه
يرىٰ قلبه في يومه ما يرىٰ غدا[3]

الباب السادس عشر

إن عمر يعمل بخلاف سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي عليه السلام يعمل بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ابن أبي الحديد، قال[4]: اعلم أن السائس لا يتمكن من السياسة البالغة إلا إذا كان يعمل برأيه، وبما يرىٰ فيه صلاح ملكه، وتمهيد أمره، وتوطية قاعدته، سواء وافق الشريعة أو لم يوافقها، ومتىٰ لم يعمل في السياسة والتدبير بموجب ما قلناه، وإلا فبعيد أن ينتظم أمره، أو تستوسق[5] حاله، وأمير المؤمنين عليه السلام كان مقيدا بقيود الشريعة، مدفوعا إلىٰ اتباعها ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير إذا لم يكن الشرع موافقا، فلم تكن [قاعدته][6] في خلافته قاعدة غيره ممن لم يلتزم بذلك، ولسنا بهٰذا [القول][7] زارين[8] علىٰ

(١) أوس بن حجر.
(٢) ديوان أوس بن حجر (ص١٣) وفي طبعة (ص٢٦) وفي طبعة (ص٥٣).
(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي (ج١، ص٢٨٢).
(٤) في شرح نهج البلاغة (ج١٠، ص٢١٢).
(٥) في المصدر: يستوثق.
(٦) من المصدر.
(٧) من المصدر.
(٨) واضعين له شيء ليس فيه (لسان العرب: ج٤، ص٣٢١).

عمر بن الخطاب، ولا ناسبين إليه ما هو منزه عنه، ولكنه كان مجتهدا يعمل بالقياس والاستحسان والمصالح [المرسلة][١]، ويروي[٢] تخصيص عمومات النصوص بالإرادة[٣] والاستنباط[٤] من أصول تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النصوص، ويكيد خصمه، ويأمر أمراءه بالكيد والحلية، ويؤدب بالدرة والسوط من يتغلب في ظنه أنه مستوجب[٥] لذلك، ويصفح عن آخرين قد أجرموا[٦] ما يستحقون له[٧] التأديب، كل ذٰلك بقوة اجتهاده وما يؤدي[٨] إليه نظره، ولم يكن علي[٩]عليه السلام يرىٰ ذلك، وكان يقف مع النصوص [و][١٠]الظواهر ولا يتعداها إلىٰ الإجتهاد والأقيسة، ويطبق أمور الدنيا علىٰ أمور الدين، ويسوق الكل مساقا واحدا، ولا يضع[١١] ولا يرفع [إلا][١٢] بالكتاب والنص، فاختلفت طريقتهما في الخلافة والسياسة، وكان عمر مع ذٰلك شديد الغلظة، وكان علي عليه السلام كثير الحلم والصفح والتجاوز، فازدادت خلافة ذلك[١٣] قوة، وخلافة هٰذا لينا، ولم يمن عمر بما مني به علي عليه السلام في فتنة عثمان التي أحوجته إلىٰ مداراة الصحابة وجنده ومقاربتهم، للإضطراب الواقع بطريق تلك الفتنة، ثم تلا ذٰلك فتنة الجمل، وفتنة صفين، وفتنة النهروان.

وكل هٰذه الأمور مؤثرة في اضطراب أمر الوالي وانحلال معاقد ملكه، ولم يتفق لعمر من ذٰلك شيء، فشتان بين الخلافتين مما يعود إلىٰ انتظامه[١٤] وصحة تدبير الخلافة.

---

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: ويرى.

(٣) في المصدر: بالآراء.

(٤) في المصدر: وبالاستنباط.

(٥) في المصدر: يستوجب.

(٦) في المصدر: اجترموا.

(٧) في المصدر: به.

(٨) في المصدر: يؤديه.

(٩) في المصدر: أمير المؤمنين عليه السلام.

(١٠) من المصدر.

(١١) في المصدر: ولا يضيع.

(١٢) من المصدر.

(١٣) في المصدر: ذاك.

(١٤) في المصدر: انتظام المملكة.

فإن قلت: فما قولك في سياسة الرسول ﷺ وتدبيره؟ أليس كان منتظما سديدا، مع أنه كان لا يعمل إلا بالنصوص والتوفيق[١] من الوحي، فهلا كان تدبير علي[عليه السلام] وسياسته كذلك، إذا قلتم: أنه كان لا يعمل بالنص.

قلت: أما سياسة الرسول[ﷺ] وتدبيره فخارج عما نحن فيه، لأنه معصوم لا يتطرق[٢] الغلط[٣] إلىٰ أفعاله، ولا واحد من هذين الرجلين بواجب العصمة عندنا.

وأيضا فإن كثيرا من الناس ذهبوا إلىٰ أن الله تعالىٰ أذن للرسول ﷺ أن يحكم في الشرعيات وغيرها برأيه، أو: قال له: احكم بما تراه، فإنك لا تحكم إلا بالحق، وهٰذا مذهب يونس بن عمران، وعلىٰ هٰذا فقد سقط السؤال، لأنه ﷺ يعمل بما يراه من المصلحة، ولا ينتظر الوحي.

وأيضا فبتقدير فساد هٰذا المذهب، أليس قد ذهب خلق كثير من علماء أصول الفقه إلىٰ أن الرسول عليه السلام كان يجوز له أن يجتهد في الأحكام والتدبير، كما يجتهد الواحد من العلماء، وإليه ذهب القاضي أبو يوسف رضي الله عنه، واحتج بقوله [تعالىٰ][٤]: ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[٥].

والسؤال أيضا ساقط علىٰ هٰذا المذهب، لأن اجتهاد علي عليه السلام لا يساوي اجتهاد النبي ﷺ، وبين الاجتهادين كما بين المنزلتين.

وكان أبو جعفر بن أبي زيد الحسيني، نقيب البصرة رضي الله عنه، إذا حادثناه[٦] في ذلك[٧]، يقول: إنه لا فرق عند من قرأ السيرتين؛ سيرة النبي[ﷺ] وسياسة أصحابه أيام حياته، وبين سيرة علي[٨] عليه السلام وسياسة أصحابه أيام حياته، فكما أن عليا عليه السلام لم يزل أمره مضطربا معهم بالمخالفة والعصيان والهرب إلىٰ أعدائه، وكثرة الفتن والحروب، فكذلك كان النبي ﷺ لم يزل ممنوا بنفاق

---

(١) في المصدر: والتوقيف.

(٢) في المصدر: تتطرق.

(٣) في المصدر: الغفلة.

(٤) من المصدر.

(٥) الآية ١٠٥ من سورة النساء.

(٦) في المصدر: حدثناه.

(٧) في المصدر: في هذا.

(٨) في المصدر: أمير المؤمنين.

المنافقين وأذاهم، وخلاف أصحابه عليه، وهرب بعضهم إلىٰ أعدائه، وكثرة الحروب والفتن.

وكان يقول: ألست ترىٰ القرآن العزيز مملوا بذكر المنافقين والشكوىٰ منهم، والتألم من أذاهم له، كما أن كلام عليﷺ مملوا[1] بالشكوىٰ من منافقي أصحابه والتألم من أذاهم [له][2]، والتوائهم [عليه][3]، وذلك نحو قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[4].

وساق ابن أبي الحديد كلام أبي جعفر بالشواهد القرآنية كهذه الآية بالآيات الكثيرة، وساوىٰ بين النبيﷺ وبين عليﷺ في كثير من الأحوال[5]، وهو حديث طويل ذكرناه بطول في الباب الثاني والأربعين من كتاب سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد من كلام ابن أبي الحديد من شرح نهج البلاغة[6] من أراده وقف عليه من هناك بطوله وهو كلام حسن.

▫ [تعقيب للمصنف علىٰ كلام ابن أبي الحديد]:

أقول: انظر كلام العامة صريح بأن أمير المؤمنينﷺ لم يخالف الرسولﷺ في سيرته، بل يعمل بالكتاب والسنة الواردة عن النبيﷺ، كما كان النبيﷺ لا يتجاوز الكتاب والنصوص الإلهية الواردة بالوحي من الله ﷻ، وهٰذا دليل واضح علىٰ أن محمد هو النبيﷺ وعلي الإمامﷺ، لأن السيرة واحدة، والطريقة واحدة، فهو منه بمنزلة هارون من موسىٰ، فهما معصومان لا يعملان إلا بالوحي الإلهي هٰذا هو الحق اليقين.. والحمد لله رب العالمين.

وسيعلم في الباب الآتي ما هو مؤيد لما في هٰذا الباب.

---

(١) في المصدر: مملوء.

(٢) من المصدر.

(٣) من المصدر.

(٤) الآية الثامنة من سورة المجادلة.

(٥) راجع شرح نهج البلاغة (ج١٠، ص٢١٤).

(٦) الجزء الثاني (ص٢٤٢).

الباب السابع عشر

في أن عمر لم يقسم بالسوية بخلاف سيرة النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام يقسم بالسوية كفعل النبي صلى الله عليه وآله

ابن أبي الحديد قال[1]: ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام لما عوتب على [التسوية في العطاء و][2]تصبيره الناس أسوة في العطاء من غير تفضيل أولي السابقات والشرف: «**أتأمروني أن أطلب النصر بالجور في من وليت عليه!! والله لا أطير[3] به ما سمر سمير، وما أم نجم في السماء نجما، ولو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإن المال مال الله**»[4].

ثم قال[عليه السلام]: «**ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا، ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس، ويهينه عند الله، ولم يضع أمرؤ ماله في غير حقه، وعند غير أهله، إلا حرم شكره[5]، وكان لغيره ودهم، فإن زلت به النعل يوما فاحتاج إلى معونتهم فشر خليل، وألم[6] خدين**»[7].

قال في الشرح[8]: [و][9]اعلم إن هٰذه المسألة فقهية، ورأي أبي بكر وعلي[عليه السلام] [فيها][10] واحد، وهو التسوية بين المسلمين في قسمة الفيء والصدقات، وإلى هٰذا ذهب الشافعي.

وأما عمر رضي الله عنه[11] فإنه لما ولي الخلافة فضل بعض الناس على بعض، ففضل السابقين على غيرهم، [وفضل المهاجرين من قريش على غيرهم][12]

(١) في شرح نهج البلاغة (ج٨، ص١٠٩).
(٢) من المصدر.
(٣) في المصدر: أطور.
(٤) نهج البلاغة (ج٢، ص٦).
(٥) في المصدر: إلا حرمه الله شكرهم.
(٦) في المصدر: والأم.
(٧) نهج البلاغة (ج٢، ص٧).
(٨) الجزء الثامن (ص١١١).
(٩) من المصدر.
(١٠) من المصدر.
(١١) غير موجودة في المصدر.
(١٢) من المصدر.

من المهاجرين، وفضل المهاجرين كافة علىٰ الأنصار كافة، وفضل العرب علىٰ العجم، وفضل الصريح علىٰ المولىٰ، وقد كان أشار علىٰ أبي بكر أيام خلافته بذلك فلم يقبل، وقال: إن الله لم يفضل أحدا علىٰ أحد، ولكنه قال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ (١)﴾(٢)، ولم يخص قوما غير(٣) قوم، فلما أفضت إليه الخلافة عمل بما [كان](٤) أشار به أولا، وقد ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلىٰ قوله، والمسألة محل اجتهاد، وللإمام أن يعمل بما يؤدي(٥) إليه اجتهاده، وإن كان اتباع علي[عليه السلام] عندنا أولىٰ، لا سيما إذا عضده موافقة أبي بكر رضي الله عنه(٦) علىٰ المسألة، وإن صح الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله سوىٰ فقد صارت المسألة منصوصا عليها، لأن فعله[عليه السلام] كقوله.

وقال في حديث آخر(٧): كان أبو بكر رضي الله عنه(٨) يرىٰ التسوية في قسم الغنائم، وخالفه عمر، وأنكر فعله.

الباب الثامن عشر

في نقض عمر حكمه ورجوعه في فتاه

ابن أبي الحديد قال(٩): قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الشقشقية فيما ذكره عمر، قال[عليه السلام]: «**ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها**»(١٠)، يقول: ليست هٰذه الجهة جددا مهيعا، بل هي كطريق كثيرة الحجارة، لا يزال الماضي(١١) فيه عاثرا.

وأما منها في قوله عليه السلام: «**والاعتذار منها**» فيمكن أن يكون(١٢) [«**من**»](١٣) علىٰ أصلها، يعني: أن عمر كان كثيرا ما يحكم بالأمر ثم ينقضه، ويفتي بالفتيا ثم يرجع عنها، ويعتذر مما أفتىٰ به أولا.

(١) من المصدر. (٢) الآية التاسعة من سورة التوبة.
(٣) في المصدر: دون. (٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: يؤديه. (٦) غير موجودة في المصدر.
(٧) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢٠، ص٢٦). (٨) غير موجودة في المصدر.
(٩) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٧١). (١٠) نهج البلاغة (ج١، ص٣٣).
(١١) في المصدر: الماشي.
(١٢) في المصدر: تكون.
(١٣) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٨١).

وقـال أيضـا[١]: وكان عمـر كثيرا يفتـي بالحكـم ثم ينقضـه، ويفتـي بضده وخلافه، قضىٰ في الجـد مع الأخوة قضايـا كثيرة مختلفة، ثم خـاف من الحكم في هٰذه المسألة، فقال: من أراد أن يقتحم جراثيم جهنم فليقل في الجد برأيه.

الباب التاسع عشر

في شكه في موت رسول الله ﷺ

ابن أبي الحديد قال[٢]: لما مات رسول الله ﷺ، وشاع بين الناس موته، طاف علىٰ الناس عمر، قائلا: إنه لم يمت، ولكنه غاب عنا كما غاب موسىٰ عن قومه، وليرجعـن فيقطعن أيـدي الرجال وأرجلهـم، يزعمـون أنه مات؟ فجعـل لا يمر بأحد يقول إنه مات إلا ويخبطه ويتوعده، حتـىٰ جاء أبو بكر، فقال: أيها الناس؛ من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لم يمت.. ثـم تلا قولـه تعالـىٰ: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾[٣].. قالوا: فوالله لكأن الناس ما سمعوا هٰذه الآية حتىٰ تلاها أبو بكر.

وقال عمر: لما سـمعته يتلوها هويت إلىٰ الأرض، وعلمت أن رسول الله ﷺ قد مات.

قال[٤]: وروىٰ جميع أصحاب السـيرة: أن رسـول الله ﷺ لما توفـىٰ كان أبو بكر في منزله بالسـنح[٥]، فقام عمر بـن الخطاب، فقال: ما مات رسـول الله ﷺ، ولا يموت حتىٰ يظهر [دينه][٦] علىٰ الدين كله، وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهـم ممن أرجـف[٧] بموته، لا أسـمع رجـلا يقول: مات رسـول الله ﷺ إلا ضربته بسيفي.

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٧٨).
(٢) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٧٨).
(٣) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران.
(٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص٤٠).
(٥) أحد محال المدينة المنورة بالعوالي.
(٦) من المصدر.
(٧) خاض في الخبر بغية الفتنة (كتاب العين: ج٦، ص١٠٩).

فجاء أبو بكر وكشف عن وجه رسول الله ﷺ، وقال: بأبي وأمي، طبت حيا وميتا، والله لا يذيقك الله الموتتين أبدا.

ثم خرج والناس حول عمر، وهو يقول لهم: إنه لم يمت، ويحلف لهم، فقال له: أيها الحالف على رسلك.. ثم قال: من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1]، وقال: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾[2].

قال عمر: فوالله ما ملك نفسي حيث سمعتها أن سقطت إلى الأرض، علمت أن رسول الله ﷺ قد مات.

الباب العشرون

في أن عمر كان فظا غليظ القلب

قال ابن أبي الحديد[3]: أول من ضرب عمر بالدرة[4] أم فروة بنت أبي قحافة، مات أبو بكر فناح النساء عليه، وفيهم[5] أخته أم فروة، فنهاهن عمرا مرارا، وهن يعاودن، فأخرج أم فروة من بينهن، وعلاها بالذرة، فهربن وتفرقن.

كان يقال: درة عمر أهيب من سيف الحجاج.

وفي الصحيح: أن نسوة كن عند رسول الله ﷺ قد كثر لغطهن، فجاء عمر فهربن هيبة له، فقال لهن: يا عديات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ.. قلن: نعم، أنت أغلظ وأفظ.

قال: وقال عليه السلام في خطبة الشقشقية[6]: «**فيا عجبا بينما هو**» يعني: أبا بكر «**يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لسد ما تشطر ضرعيها، فصيرها في حوزة خشنا**» يعني: عمر بن الخطاب، «**ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والإعتذار منها، فراكبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم الشبهات**».

---

(١) الآية ٣٠ من سورة الزمر.

(٢) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران.

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٨١).

(٤) حياة الحيوان الكبرى (ج١، ص٣٤٦).

(٥) في المصدر: وفيهن.

(٦) نهج البلاغة (ج١، ص٣٢).

قال في الشرح[١] في حديث نص أبي بكر علىٰ عمر بعد وفاته، بعد ما أمر أبو بكر كاتبا يكتب بذلك، قال: فلما فرغ من الكتاب دخل عليه قوم من الصحابة منهم: طلحة، فقال له: ما أنت قائل لربك غدا، وقد وليت علينا فظا غليظا، تفرق منه النفوس، وتنفض عنه القلوب.

وقال[٢]: وروىٰ كثير من الناس إن أبا بكر رضي الله عنه[٣] لما نزل به[٤] الموت دعا عبدالرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر.. فقال: إنه أفضل من رأيك، إلا أن فيه غلظة.

ودخل طلحة بن عبدالله[٥] علىٰ أبي بكر، فقال له: إنه قد بلغني إنك يا خليفة رسول الله استخلفت علىٰ الناس عمر، وقد رأيت ما تلقىٰ[٦] الناس منه وأنت معه، فكيف إذا خلا بهم وأنت غدا لاق ربك، يسألك[٧] عن رعيتك.

وقال[٨]: وكان في ألفاظ عمر وأخلاقه جفاء وعنجهية ظاهرة، يحسب لها السامع[٩] إنه أراد بها ما لم يكن قد أراد، ويتوهم من يحكىٰ[١٠] له أنه قصد بها ما لم يقصده، فمنها: الكلمة التي قالها في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعاذ الله أن يقصد بها ظاهرها، ولكنه أرسلها علىٰ مقتضىٰ خشونة غريزة[١١]، ولم يتحفظ منها، وكان الأحسن أن يقول: مغلوب أو مغمور بالمرض[١٢]، وحاشاه أن يعني بها غير ذلك.

وعلىٰ [نحو][١٣] هٰذا يحمل[١٤] كلامه رضي الله عنه[١٥] في صلح الحديبية، لما قال النبي صلى الله عليه وآله ألم تقل لنا: «**سندخلها**[١٦]»، في ألفاظ كثيرة يكره[١٧] حكايتها، حتىٰ شكاه النبي صلى الله عليه وآله، وحتىٰ قال له أبو بكر: إلزم بغرزه، فوالله إنه لرسول الله.

(١) شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٦٤). (٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٦٤).
(٣) غير موجودة في المصدر. (٤) في المصدر: إليه.
(٥) في المصدر: عبيد الله. (٦) في المصدر: ما يلقى. (٧) في المصدر: ويسألك.
(٨) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٨٠). (٩) في المصدر: يحسبه السامع لها.
(١٠) في المصدر: تحكى. (١١) في المصدر: غريزته.
(١٢) في المصدر: مغمور أو مغلوب بالمرض.
(١٣) من المصدر.
(١٤) في المصدر: يحتمل.
(١٥) غير موجودة في المصدر.
(١٦) في المصدر: ستدخلونها.
(١٧) في المصدر: نكره.

وعمر هو الذي غلظ[١] علىٰ جبلة بن الهيم[٢] حتىٰ اضطره إلىٰ مفارقة دار الهجرة، بل مفارقة بلاد[٣] الإسلام كلها، وعاد مرتدا داخلا في دين النصرانية، لأجل لطمة لطمها، وقال جبلة بعد ارتداده متندما علىٰ ما فعل، فقال شعرا:

تنصرت الأشراف من أجل لطمة
وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني
رجعت إلى القول الذي قال[٤] عمر

وقال[٥]: وكان عمر رضي الله عنه[٦] صعبا، عظيم الهيبة، شديد السياسة، لا يخاف واحدا[٧]، ولا يراقب شريفا ولا مشروفا، وكان أكابر الصحابة يتحامونه ويتفادون من لقائه.

كان أبو سفيان بن حرب في مجلس عمر، وهناك زياد بن سمية وكثير من الصحابة، فتكلم زياد فأحسن، وهو [يومئذ][٨] غلام، فقال علي عليه السلام ـ وكان حاضرا لأبي سفيان وهو إلىٰ جانبه ـ: «**لله هٰذا الغلام، لو كان عربيا[٩] لساق العرب بعصاه**».. فقال له أبو سفيان: أما والله لو عرفت أباه [لعرفت][١٠] أنه من خير أهلك.. قال[عليه السلام]: «**ومن أبوه**»؟ قال: أنا والله وضعته في رحم أمه.. فقال علي عليه السلام: «**فما يمنعك من استلحاقه**».. قال: أخاف هٰذا العير الجالس أن يخرق علىٰ إهابي.

وقيل لابن عباس لما أظهر قوله في العول[١١] بعد موت عمر، ولم يكن من قبل يظهره: هلا قلت هٰذا وعمر حي؟ قال: هبته، وكان أمرا مهيبا[١٢].

(١) في المصدر: أغلظ. (٢) في المصدر: الأيهم.
(٣) في المصدر: دار.
(٤) في المصدر: قاله.
(٥) ابن أبي الحديد (ج١، ص١٧٣).
(٦) غير موجودة في المصدر.
(٧) في المصدر: لا يحابي أحدا.
(٨) من المصدر.
(٩) في المصدر: قرشيا.
(١٠) من المصدر.
(١١) عول الفريضة، وهو أن تزيد سهامها فيدخل النقصان على أهل الفرائض.
(١٢) في المصدر: مهابا.

واستدعا عمر امرأة ليسألها عن أمر وكانت حاملا، فلشدة هيبته ألقت ما في بطنها، [فأجهضت به][1] جنينا ميتا، فاستفتىٰ عمر أكابر الصحابة في ذلك، فقالوا: لا شيء عليك، إنما أنت مؤدب.. فقال له علي عليه السلام: «**إن كانوا راقبوك فقد غشوك، وإن كان هٰذا جهد رأيهم فقد أخطأوا عليك غرة**»، يعني: عتق رقبة، فرجع عمر والصحابة إلىٰ قوله.

وعمر هو الذي شيد بيعة أبي بكر، ورقم[2] المخالفين فيها، فكسر سيف الزبير لما جرده، ودفع في صدر المقداد، ووطئ في السقيفة سعد بن عبادة، وقال: اقتلوا سعدا، قتل الله سعدا.

وهو الذي حطم أنف الحباب بن المنذر.

وهو الذي قال يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب[3].

وتوعد من لجأ إلىٰ بيت فاطمة عليها السلام من الهاشميين، وأخرجهم منها، ولولاه لم يثبت لأبي بكر أمر، ولا قامت له قائمة.

وهو الذي ساس العمال، وأخذ أموالهم في خلافته، وذلك من أحسن السياسات.

وقال[4]: قال عمر كانت بيعة أبي بكر فلتة وقىٰ الله شرها، ومن عاد إلىٰ مثلها فاقتلوه.

قال[5]: اعلم أن هٰذه اللفظة من عمر مناسبة للفظات كثيرة كان يقولها بمقتضىٰ ما جبله الله تعالىٰ عليه، من غلظة الطينة، وجفاء الطبيعة، ولا حيلة له فيها، لأنه مجبول عليها لا يستطيع تغييرها، ولا ريب عندنا أنه كان يتعاطىٰ أن يتلطف، وأن يخرج ألفاظه مخارج حسنة [لطيفة][6]، فينزع بها الطبع الجاسي، والغريزة الغليظة، إلىٰ أمثال هٰذه اللفظات، ولا يقصد بها شرا[7]، ولا يريد بها ذما ولا تخطئة، كما قدمناه من قبل في اللفظة التي قالها في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله[8]، وكاللفظات التي قالها عام الحديبية[9]، وغير ذلك، والله

(١) من المصدر. (٢) إما كتب أو وضع أثرا (الصحاح: ج٥، ص١٩٣٥).

(٣) تاريخ الطبري (طبعة أوروبا: ج١، ص١٨٤٤) وصحيح البخاري (ج٤، ص١٢٠).

(٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢٠، ص٢١).

(٥) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص٢٧). (٦) من المصدر. (٧) في المصدر: سوءا.

(٨) شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٦١).

(٩) السيرة النبوية لابن هشام (ج٣، ص٣٦٥).

تعالىٰ لا يجازي المكلف إلا [بـ][1]ما نواه، ولقد كانت نيته من أظهر[2] النيات وأخلصها لله وللمسلمين.

ومن أنصف علم أن هٰذا الكلام حق.

[تعقيب المصنف قدس سره]:

أقول: لا يخفىٰ علىٰ هٰذا الكلام في هٰذا الباب وما فيه من الطعن علىٰ عمر من الطعن الفظيع، وقوله في آخر الباب من جوابه عن ذٰلك من: أنه مجبول علىٰ غلظة الطينة، وجفاء الطبيعة، ولا حيلة له لأنه مجبول عليها، وكلامه هٰذا إنما يقتضي الطعن الفضيع علىٰ عمر، ومن هٰذا شأنه لا يجوز أن يكون إماما ولا خليفة علىٰ الناس، لأن منصب الإمامة هو منصب النبوة، وقد قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[3]، فكيف يجوز أن تجامع الإمامة الفظاظة وغلاظة القلب، لابتعد الناس عن مقاربة الإمام، كما كان ينافي النبوة، لأن بعثة الأنبياء ونصب الأوصياء، والأئمة بعدهم إنما وضعها الله سبحانه تعالىٰ لتأليف الرعية، واجتماعهم عند الوالي من الله تعالىٰ، لتبليغهم أحكام الله تعالىٰ، وأجرا فيهم أوامر الله تعالىٰ ونواهيهم، وهٰذا واضح بين لا خفاء فيه.

والحمد لله رب العالمين.

الباب الحادي والعشرون

في أن عمر كان يشاطر العمال أموالهم

ابن أبي الحديد، قال[4]: روىٰ الزبير بن بكار، قال: لما قلد عمر رضي الله عنه[5] عمرو بن العاص مصرا، بلغه أنه قد صار له مال عظيم من ناطق وصامت[6]، فكتب إليه: أما بعد؛ فقد ظهر لي من مالك ما لم يكن في رزقك، ولا كان

(١) كما في المصدر. (٢) في المصدر: أطهر.

(٣) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران.

(٤) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٧٤).

(٥) غير موجودة في المصدر.

(٦) الذهب والفضة، وقيل هو الزكاة الذي يحول عليه الحول ولم يعمل به شيء (مجمع البحرين: ج١، ص٤٩٢) والناطق ما يقابله.

لك مال قبل أن أستعملك، فأنىٰ لك هذا؟ فوالله لو لم يهمني في ذات الله إلا من اختار[١] مال الله لكثر همي، وانتشر أمري، ولقد كان عندي من المهاجرين الأولين من هو خير منك، ولكنني قلدتك رجاء غنائك، فاكتب إليّ من أين لك هٰذا المال، وعجل.

فكتب إليه عمرو: أما بعد.. فقد فهمت كتاب أمير المؤمنين، فأما ما ظهر لي من مال؛ فإنا قدمنا بلادا رخيصة الأسعار، كثيرة الغزو، فجعلنا ما أصابنا من الفضول الذي اتصل بأمير المؤمنين نبؤها، ووالله لو كانت خيانتك حلالا ما خنتك، وقد أئتمتني وإن[٢] لنا أحسابا إذا رجعنا إليها عن خيانتك، وذكرت أن عندك من المهاجرين الأولين من هو خير مني، فإذا كان ذٰلك فوالله ما رفعت لك يا أمير المؤمنيين بابا، ولا فتحت لك قفلا.

فكتب إليه عمر: أما بعد.. فإني لست من تسطيرك الكتاب، وتشقيقك الكلام في شيء، ولكنكم معشر الأمراء قعدتم علىٰ عيون الأموال ولم تقدموا عذرا، وإنما تأكلون النار، وتعجلون العار، وقد وجهت إليك محمد بن مسلمة، فسلم إليه شطر مالك.

فلما قدم محمد، صنع له عمر طعاما، ودعاه فلم يأكل، وقال: هٰذه تقدمة الشر، [و][٣]لو جئتني بطعام الضيف لأكلت، فنح عني طعامك، وأحضرني[٤] مالك.

فأحضره، فأخذ شطره، فلما رأىٰ [عمرو][٥] كثرة ما أخذ منه، قال: لعن الله زمانا صرت فيه غلاما لعمر، والله لقد رأيت عمر وأباه علىٰ كل واحد منهما عباءة قطوانية[٦] لا تجاوز مأبض[٧] ركبتيه، وعلىٰ عنقه حزمة حطب، والعاص بن وائل في مزرورات[٨] الديباج.. فقال محمد: إيها عنك يا عمرو، فعمر والله خير منك، وأما أبوك وأبوه فإنهما في النار، ولو لا الإسلام لألفيت

(١) في المصدر: أختان. (٢) في المصدر: فإن.

(٣) من المصدر.

(٤) في المصدر: وأحضر لي.

(٥) من المصدر.

(٦) من الكوفة، حيث أن قطوان موضع بها.

(٧) باطن.

(٨) في المصدر: مزررات.

معتلفا بشاة[١]، يسرك غزرها، ويسوءك بكوءها[٢].. قال: صدقت فاكتم عليّ.. قال: أفعل.

قال[٣]: عزل عمر خالدا من إمارة حمص في سنة سبع عشرة، وأقامه للناس، وعقله بعمامته، ونزع قلنسوته عن رأسه، وقال له: أعلمني من أين لك هٰذا المال؟ وذلك أنه أجاز الأشعث بن قيس بعشرة آلاف درهم. فقال: من الأنفال والسهمان.. فقال لي: [لا][٤] والله لا تعمل لي عملا بعد هٰذا اليوم.. وشاطره ماله، وكتب إلىٰ الأمصار بعزله، وقال: إن الناس فتنوا به، فخفت أن يوكلوا إليه، وأحببت أن يعملوا إن الله هو الصانع.

وقال[٥]: هو الذي ساس العمال، وأخذ أموالهم في خلافته.

وقال[٦]: وروىٰ الطبري في التاريخ[٧]: إن عمر استعمل عتبة بن أبي سفيان علىٰ عمل[٨]، فقدم منه بمال، فقال [له][٩]: ما هٰذا يا عتبة؟ قال: ما تخرجت[١٠] به معي فتجرت[١١] فيه.. قال: وما لك تخرج المال معك إلىٰ هٰذا الوجه؟ فأخذ المال منه، فصيره في بيت المال، فلما قام عثمان قال لأبي سفيان: إنك إن طالبت[١٢] ما أخذه عمر من عتبة رددته عليك.. فقال له أبو سفيان: إياك وما هممت به، إنك إن خالفت صاحبيك من قبلك ساء رأي الناس فيك، إياك أن ترد علىٰ من [كان][١٣] قبلك [فيرد عليك من بعدك][١٤].

---

(١) في المصدر: شاة.

(٢) قلت لبنها.

(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٨٠).

(٤) من المصدر.

(٥) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٧٤).

(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٩٧).

(٧) الجزء الأول (ص٢٧٦٦، طبعة أوروبا).

(٨) في الطبري: على كنانة.

(٩) من المصدر.

(١٠) في المصدر: ما خرجت.

(١١) في المصدر: وتجرت.

(١٢) في المصدر: طلبت.

(١٣) من المصدر.

(١٤) من المصدر.

وقال[١]: وقال المؤرخون: إن عمر أول من قاسم العمال، وشاطرهم أموالهم، وكان يستعمل قوما ويدع أفضل منهم بالعمل، وقال: أكره أن أدنس هٰؤلاء بالعمل.

وقال[٢]: وصادر أبا هريرة واعظا له[٣]، وكان عامله علىٰ البحرين، فقال [له][٤]: ألا تعلم أني استعملك علىٰ البحرين وأنت حاف لا نعل في رجلك، وقد بلغني أنك بعت أفراسا بألف وستماية دينار.. فقال أبو هريرة: كانت لنا أفراس فتناتجت.. فقال: قد حبست لك رزقك ومؤنتك، وهٰذا فضل.. قال أبو هريرة: ليس ذٰلك لك.. قال: بلىٰ والله وأوجع ظهرك.. ثم قام إليه بالدرة، فضرب ظهره حتىٰ أدماه، ثم قال: أئت بها.. [فلما أحضرها قال أبو هريرة: سوف أحتسبها عند الله.. قال عمر: ذاك لو أخذتها من حل وأديتها][٥] طائعا، أما والله ما رجت فيك أميمة أن تجبي أموال هجر واليمامة وأقصىٰ البحرين لنفسك، لا لله ولا للمسلمين، ولم ترج فيك أكثر من رعية الحمر وعزله.

وقال[٦]: وصادر الحارث [بن وهب][٧] أحد بني ليث بن أبي بكر بن كنانة، وقال له: ما قلاص[٨] وأعبد بعتها بمائة دينار.. قال: خرجت بنفقة لي فاتجرت فيها.. قال: إنا والله ما بعثناك للتجارة.. قال: أدها.. قال: أما والله لا أعمل لك بعدها.. قال: وأنا والله لا أستعملك [بعدها][٩].

ثم صعد المنبر، وقال[١٠]: [يا][١١] معاشر[١٢] الأمراء؛ إن هٰذا المال لو رأينا أنه يحل لنا لأحللناه لكم، فأما إذا لم [نره][١٣] يحل لنا، وطلقنا[١٤] أنفسنا عنه

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٧٥).
(٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٤٢).
(٣) في المصدر: وأغلظ عليه. (٤) من المصدر. (٥) من المصدر.
(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٤٢).
(٧) من المصدر.
(٨) قلاص: جمع قلوص، وهو من الإبل بمنزلة الشابة من النساء.
(٩) من المصدر.
(١٠) في المصدر: فقال.
(١١) من المصدر.
(١٢) في المصدر: معشر.
(١٣) من المصدر.
(١٤) في المصدر: وظلفنا (أي: منعنا).

فاطلقـوا[١] عنه أنفسـكم، فإنـي والله [مـا][٢] وجدت لكـم [مثلا][٣] إلا عطشـان وارد اللج واللجة[٤] ولـم ينظر المانع[٥]، فلما روي غرق.

وقال أيضا[٦]: وكتب عمـر إلىٰ عمرو بن العاص، وهـو عامله في مصر: أما بعد.. فقـد بلغني أنه قد ظهـر لك مال من إبـل وغنم وخدم وغلمـان، ولم يكن لك قبله مال، ولا ذٰلك من رزقك، فانىٰ لك هذا، ولقد كان [لي][٧] من السابقين الأولين من هو خير منك، ولكني استعملك لغنائك، فإذا كان عملك لك وعلينا بم نؤثرك علىٰ أنفسنا، فاكتب إلي من أين مالك [وعجل][٨]، والسلام.

فكتب إليه عمرو بن العـاص: قرأت كتاب أمير المؤمنيـن ولقد صدق، فأما فيما ذكرت[٩] من مالي، [فـ][١٠]إني قدمت بلدة الأسـعار فيها رخيصة والغزو فيها كثيرا فجعلـت فضول مـا حصل لي مـن ذٰلك فيمـا ذكره أميـر المؤمنيـن، والله يا أمير المؤمنيـن لو كانت خيانتـك لنا حلالا ما كنـا خناك حيـث ائتمنت[١١] قد قصر[١٢] عنا عناك، فإن لنا أحسابا إذا رجعنا إليها أغنتنا عن العمل لك، وأما من كان لك من السابقين الأولين، فهلا استعملتهم، فوالله ما دفعت[١٣] لك بابا.

ثم ساق حديثا بنحو ما تقدم[١٤]..إلخ.

---

(١) في المصدر: فأظلفوا.
(٢) من المصدر.
(٣) من المصدر.
(٤) في المصدر: ورد اللجة.
(٥) في المصدر: الماتح.
(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٤٣).
(٧) من المصدر.
(٨) من المصدر.
(٩) في المصدر: فأما ما ذكره.
(١٠) من المصدر.
(١١) في المصدر: إئتمنتنا.
(١٢) في المصدر: فأقصر.
(١٣) في المصدر: دققت.
(١٤) كما في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٤٣).

الباب الثاني والعشرون

في عمله الشورىٰ وما فيها من الفساد وخالف الله تعالىٰ ورسوله[ﷺ] في ذلك

ابن أبي الحديد قال[١] - بعد طعن أبي لؤلؤة له من أمر الشورىٰ -: فإن ذٰلك كان سبب كل فتنة وقعت وتقع إلىٰ أن تنقضي الدنيا، وقد [قدمنا ذكر ذٰلك و][٢]شرحنا ما أدىٰ إليه من أمر الشورىٰ من الفساد، بما حصل في نفس كل واحد من الستة من ترشيحه للخلافة.

وقال[٣]: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الشقشقية: «**حتىٰ إذا مضىٰ لسبيله**» يعني: عمر «**جعلها في ستة زعم إني أحدهم**».

[قال] في الشرح[٤]: يقول عليه السلام: إن عمر لما طعن جعل الخلافة في ستة، هو عليه السلام أحدهم، ثم تعجب من ذلك، فقال: متىٰ اعترض الشك فيَّ مع أبي بكر، حتىٰ أقرن بسعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف وأمثالهما، لكني طلبت الأمر وهو موسوم بالأصاغر منهم، كما طلبته أولا وهو موسوم بأكابرهم، أي: هو حقي فلا أستنكف عن[٥] طلبه، إن كان المنازع فيه جليل القدر أو صغير المنزلة.

و(صغا الرجل) يعني[٦] مال، و(الصغو): الميل، بالفتح والكسر.

⊡ [قصة واقعة الشورىٰ]:

وصورة هٰذه الواقعة: إن عمر لما طعنه أبو لؤلؤة، وعلم أنه ميت، استشار فيمن يوليه الأمر بعده، فأشير عليه بابنه عبدالله، فقال: لا ها الله إذا لا يليها رجلان من ولد الخطاب، حسب عمر [ما حمل][٧]، حسب عمر ما احتقب[٨]،

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١١، ص١١). (٢) من المصدر.

(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٨٤).

(٤) الجزء الأول (ص١٨٤).

(٥) في المصدر: من.

(٦) في المصدر: بمعنى.

(٧) من المصدر.

(٨) جمع.

لا ها الله لا أتحملها حيا وميتا.. ثم فقال: إن رسول الله ﷺ مات وهو راض عن هٰذه الستة من قريش: علي[عليه السلام]، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبدالرحمن بن عوف، وقد رأيت أن أجعلها شورىٰ بينهم ليختاروا لأنفسهم.

ثم قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ـ يعني: أبا بكر ـ ، وإن أترك فقد ترك من هو خير مني ـ يعني: رسول الله ﷺ ـ .

ثم قال: ادعوهم لي.. فدعوهم، فدخلوا عليه، وهو ملقىٰ علىٰ فراشه، يجود بنفسه، فنظر إليهم، فقال: أكلكم يطمع في الخلافة بعدي.. فوجموا، فقال لهم ثانية، فأجابه الزبير، وقال: وما الذي يبعدها[١] منها، وليتها أنت فقمت بها، ولسنا دونك في قريش، ولا في السابقة، ولا في القرابة.

قال[٢]: قال الشيخ أبو عثمان الجاحظ: والله لو لا علمه أن عمر يموت في مجلسه ذٰلك لم يقدم علىٰ أن يفوه من هٰذا الكلام بكلمة، ولا أن ينبس منه بلفظة.. فقال عمر: أفلا أخبركم عن أنفسكم.. قالوا[٣]: قل، فإنا لو استعفيناك لم تعفنا.

فقال: أما أنت يا زبير فوعق لقس[٤]، مؤمن الرضا، كافر الغضب، يوم إنسان ويوم شيطان، ولعلها لو أفضت إليك ظلت يوما[٥] تلاطم بالبطحاء علىٰ مد من شعير، [أفرأيت][٦] فإن أفضت إليك، فليت شعري من يكون للناس يوم يكون[٧] شيطانا، ومن تكون[٨] يوم تغضب إماما، وما كان الله ليجمع لك أمر هٰذه الأمة وأنت علىٰ هٰذه الصفة.

ثم أقبل علىٰ طلحة ـ وكان له مبغضا منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر ـ فقال له: أقول أم أسكت؟ فقال: قل، وإنك لا تقول من الخير شيئا.. [قال][٩]: أما أني أعرفك منذ أصيبت أصبعك يوم أحد واليا[١٠] والذي[١١] حدث

(١) في المصدر: يبعدنا.

(٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٨٥).

(٣) في المصدر: قال.

(٤) أي: ضجر متبرم لا تستقيم على رأي.

(٥) في المصدر: يومك.

(٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: تكون.

(٨) في المصدر: يكون.

(٩) من المصدر.

(١٠) في المصدر: وائيا (أي: غاضبا).

(١١) في المصدر: بالذي.

لك، ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله ساخطا عليك للكلمة[١] التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب.

قال[٢]: قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ (ره)[٣]: الكلمة المذكورة أن طلحة لما أنزلت آية الحجاب قال بمحضر ممن نقل عنه إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله: و[٤]الذي يغنيه[٥] حجابهن اليوم، وسيموت غدا فستنكحهن.

قال أبو عثمان أيضا: لو قال لعمر قائل: أنت قلت: إن رسول الله صلى الله عليه وآله مات وهو راض عن الستة، فكيف تقول الآن [لـ][٦]طلحة إنه مات عليه السلام ساخطا عليك للكلمة التي قلتها، لكان قد رماه بمناقضة[٧]، ولكن من الذي كان يجسر علىٰ عمر أن يقول له ما هو دون هذا، فكيف هذا!!

ثم قال: ثم أقبل علىٰ سعد بن أبي وقاص، وقال: إنما أنت صاحب منقب[٨] من هٰذه المناقب[٩]، تقاتل به، وصاحب قنص[١٠] وقوس وأسهم، وما زهرة الخلافة[١١] وأمور الناس.

ثم أقبل علىٰ عبدالرحمن بن عوف، وقال[١٢]: وأما أنت يا عبدالرحمن [بن عوف][١٣] فلو وزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك لرجح إيمانك به، و[لكن][١٤] ليس يصلح هٰذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك، وما زهره، وهٰذا الأمر.

ثم أقبل علىٰ علي عليه السلام، فقال: لله أنت لو لا دعابة فيك، أما والله لئن وليتهم لتحملنهم علىٰ الحق الواضح، والمحجة البيضاء.

---

(١) في المصدر: بالكلمة.

(٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج ١، ص١٨٦).

(٣) كذا في المصدر لذا التزم المصنف بنقله التزاما بالأمانة إلا أنه لا تجوز الرحمة على الناصبي.

(٤) في المصدر: ما. (٥) في المصدر: يعنيه.

(٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: بمشاقصة (أي: نصل السهام).

(٨) في المصدر: مقنب (أي: جماعة خيل).

(٩) في المصدر: المقانب.

(١٠) أي: صيد (الصحاح: ج٣، ص١٠٥٤).

(١١) في المصدر: وما زهرة والخلافة (أي: وما قبيلة سعد بن أبي وقاص).

(١٢) في المصدر: فقال.

(١٣) كما في المصدر.

(١٤) من المصدر.

ثم أقبل علىٰ عثمان، وقال: هنيئا إليك، كأني بك قد قلدتك قريش هٰذا الأمر لحبها إياك، فحملت بني أمية وبني أبي معيط علىٰ رقاب الناس، وآثرتهم بالفيء، فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب، فذبحوك علىٰ فراشك ذبحا، والله لئن فعلوا لتفعلن، [ولئن فعلت ليفعلن][١]، ثم أخذ بناصيته، فقال: متىٰ[٢] كان ذٰلك فاذكروني[٣] فإنه كائن.

ذكر هٰذا الخبر [كله][٤] شيخنا أبو عثمان (ره)[٥] في كتاب السفيانية، وذكره جماعة غيره في باب فراسة عمر.

وذكر أبو عثمان في هٰذا الكتاب عقيب رواية هٰذا الخبر، قال: وروىٰ معمر بن سليمان التيمي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عباس، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأهل الشورىٰ: إنكم إن تعاونتم وتوازرتم وتناصحتم أكلتموها وأولادكم، وإن تحاسدتم وتقاعدتم وتدابرتم وتباغضتم غلبكم علىٰ هٰذا الأمر معاوية بن أبي سفيان.. وكان معاوية حينئذ أمير الشام.

ثم رجع بنا الكلام إلىٰ تمام قصة الشورىٰ، ثم قال: ادعوا لي أبا طلحة الأنصاري. فدعوه له، فقال: انظر يا أبا طلحة إذا عدتم من حفرتي، فكن في خمسين رجلا من الأنصار، حاملي سيوفكم، فخذ هٰؤلاء النفر بإمضاء الأمر وتعجيله، واجمعهم في بيت، وقف بأصحابك علىٰ باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحدا [منهم][٦]، فإن اتفق خمسة وأبىٰ واحد فاضرب عنقه، فإن[٧] اتفق أربعة وأبىٰ اثنان فاضرب أعناقهما، وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التي فيها عبدالرحمن، فارجع إلىٰ ما اتفقت عليه، فإن أصرت الثلاثة الأخرىٰ علىٰ خلافها فاضرب أعناقها، وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا علىٰ أمر فاضرب أعناق الستة، ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم.

فلما دفن عمر، جمعهم أبو طلحة، ووقف علىٰ الباب[٨] بالسيف في خمسين من الأنصار، حاملي سيوفهم، ثم تكلم القوم وتنازعوا، فأول ما عمل

---

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: فإذا.

(٣) في المصدر: فاذكر قولي. (٤) من المصدر.

(٥) تقدم القول بانه لا تجوز الرحمة على الناصبي ولكن هٰذا التزاما بأمانة النقل.

(٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: وإن.

(٨) في المصدر: باب البيت.

طلحة أنه قد أشهدهم علىٰ نفسه أنه قد وهب حقه من الشورىٰ لعثمان، وذلك ليعلمه[١] إن الناس لا يعدلون به عليا [وعثمان][٢]، وإن الخلافة لا تخلص له وهذان موجودان، فأراد تقوية أمر عثمان وإضعاف [جانب][٣] علي عليه السلام بهبة أمر لا انتفاع له به، ولا يمكن[٤] له منه.

فقال له الزبير في معارضته: وأنا أشهدكم علىٰ نفسي أني قد وهبت حقي من الشورىٰ لعلي[عليه السلام].. وإنما فعل ذٰلك لأنه لما رأىٰ عليا[عليه السلام] قد ضعف وانخذل بهبة طلحة حقه لعثمان دخلته حمية النسب، لأنه ابن عمة أمير المؤمنين عليه السلام صفية بنت عبدالمطلب، وأبو طالب خاله.

وإنما مال طلحة إلىٰ عثمان لانحرافه عن علي عليه السلام، باعتبار أنه تيمي، وابن عم أبي بكر الصديق، وقد كان قد حصل في نفوس بني هاشم من بني تيم حنق شديد لأجل الخلافة، وكذلك صار في صدور بني تيم علىٰ بني هاشم، وهٰذا أمر مركوز في طبيعة البشر، وخصوصا طينة العرب وطباعها، والتجربة إلىٰ الآن تحقق ذلك.. فبقي من الستة أربعة.

فقال سعد بن أبي وقاص: وأنا قد وهبت حقي من الشورىٰ لابن عمي عبدالرحمن، وذلك لأنهما من بني زهرة، ولعلم سعد أن الأمر لا يتم له، فلما لم يبق إلا الثلاثة.

قال عبدالرحمن لعلي[عليه السلام] وعثمان: أيكما يخرج نفسه من الخلافة فيكون[٥] إليه الاختيار في الاثنين الباقيين.. فلم يتكلم منا[٦] أحد.. قال عبدالرحمن: أشهدكم إني[٧] قد أخرجت نفسي من الخلافة، علىٰ أن أختار أحدهما، فأمسكا، فبدأ بعلي عليه السلام، وقال [له][٨]: أبايعك علىٰ كتاب الله، وسنة رسوله[صلى الله عليه وآله]، وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر.. فقال: بل بكتاب[٩] الله وسنة

(١) في المصدر: لعلمه. (٢) كما في المصدر.
(٣) من المصدر.
(٤) في المصدر: تمكن.
(٥) في المصدر: ويكون.
(٦) في المصدر: منهما.
(٧) في المصدر: إنني.
(٨) من المصدر.
(٩) في المصدر: على كتاب.

رسوله واجتهاد رأي.. فعدل عنه إلىٰ عثمان، فقال: نعم..[فعاد إلىٰ علي عليه السلام][1]، فأعاد قوله، فعل ذٰلك عبدالرحمن ثلاثا، فلما رأىٰ أن عليا[عليه السلام] غير راجع عما قاله، وإن عثمان ينعم له[2] بالإجابة صفق علىٰ يد عثمان، فقال[3]: السلام عليك يا أمير المؤمنين.. فيقال: إن عليا[عليه السلام][4] قال لـه: «**والله ما فعلتها إلا لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه، دق الله بينكما عطر مشم[5]**».

قيل: ففسد بعد ذٰلك بين عثمان وعبدالرحمن، فلم يكلم أحدهما صاحبه حتىٰ مات عبدالرحمن.

وقال[6]: وروىٰ عمرو بن ميمون، قال: سمعت عمر وهو يقول، وقد أشار إلىٰ الستة ولم يكلم أحدا منهم إلا علي بن أبي طالب عليه السلام وعثمان، ثم أمرهم بالخروج، فقال لمن كان عنده: إذا اجتمعوا علىٰ رجل منهم فمن خالف فليضرب عنقه.. ثم قال: إن تولوها[7] الأجلح[8] يسلك بهم الطريق، فقال له قائل: فما يمنعك من العهد إليه؟ قال: أكره أن أتحملها حيا وميتا.

الباب الثالث والعشرون

في مفردات

ابن أبي الحديد قال[9]: روىٰ عبدالله بن بريدة، قال: كان عمر ربما يأخذ بيد الصبي، فيقول: ادع لي فإنك لم تذنب بعد.

وكان عمر كثير المشاورة، كان يشاور في أمور المسلمين حتىٰ المرأة.

وقال[10]: وروىٰ يحيىٰ بن سعيد، قال: أمر عمر الحسين بن علي عليهما السلام أن يأتيه في بعض الحاجة، فلقىٰ الحسين[عليه السلام] عبدالله بن عمر، فسأله: من أين

(١) من المصدر. (٢) أي يقول له مجيبا: نعم.

(٣) في المصدر: وقال. (٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: منشم.

(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٠٨).

(٧) في المصدر: يولوها.

(٨) والجلح: هو انحسار الشعر عن جانبي الرأس.

(٩) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٦٥).

(١٠) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٦٥).

جاء؟ قال: استأذنت علىٰ أبي فلم يأذن لي، فرجع [الحسين][١] ولقيه عمر من الغد، فقال: ما منعك يا حسين أن تأتيني؟ قال: قد أتيتك ولكني أخبرني ابنك عبدالله إنك لم تؤذن له عليك فرجعت.. فقال عمر: وأنت عندي مثله، وهل أنبت الشعر علىٰ الرأس غيركم.

وقال عمر يوما والناس حوله: والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكا فلقد ورطت في أمر عظيم.. فقال له قائل: يا أمير المؤمنين؛ إن بينهما فرقا، وإنك إن شاء الله لعلىٰ خير.. قال: كيف قلت[٢]: إن الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حق، وأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس، ويأخذ مال هٰذا فيعطيه هذا.. فسكت عمر وقال: أرجو أن أكونه.

وقال[٣]: وروىٰ مالك عن نافع، عن ابن عمر، [أن عمر][٤] تعلم سورة البقرة في اثنتي عشر سنة، فلما ختمها نحر جزورا.

وروىٰ أنس قال: كان يطرح لعمر كل يوم صاع من تمر حتىٰ حشفه[٥].

وقال[٦]: وروىٰ الحسن، قال: رجل هزال[٧] يأخذ من لحية عمر [شيئا][٨]، فأخذ يوما من لحيته، فقبض علىٰ يده، فإذا هو فيها شيء، فقال: إن الملق من الكذب، (من أخذ من لحية أخيه[٩] شيئا، ثم يكره أباه)[١٠].. ثم علاه بالدرة.

وقال[١١]: وروىٰ محمد بن سيرين: أن عمر في آخر أيامه اعتراه نسيان، حتىٰ كان ينسىٰ [عدد][١٢] ركعات الصلاة، فجعل أمامه رجل يلقنه، فإذا أومىٰ إليه أن يقوم أو يركع، فعل[١٣].

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: قال.
(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٦٦).
(٤) من المصدر.
(٥) التمر الرديء (الصحاح: ج٤، ص١٣٤٤).
(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٦٧).
(٧) في المصدر: لا يزال.
(٨) من المصدر.
(٩) في المصدر: لحية عمر.
(١٠) غير موجودة في المصدر.
(١١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٦٥).
(١٢) من المصدر.
(١٣) تهذيب التهذيب (ج١٢، ص١١٦).

وقال[١]: وروىٰ محمد بن سعد صاحب الواقدي[٢]: أن عمر قال يوما علىٰ المنبر: لقد رأيتني وما لي من أكال[٣] يأكله الناس، إلا أن لي خالات من بني مخزوم، فكنت استعدت[٤] لهن الماء، فيقبضن لي اليقبضات[٥] من الزبيب، فلما نزل قال[٦] له: ما أردت هذا[٧].. قال: وجدت في نفسي بأوا[٨] فأردت أن أطأطئ منها.

وقال[٩]: وروىٰ أبو جعفر الطبري[١٠]، عن الشعبي، قال لم يمت عمر حتىٰ ملته قريش، وقد كان حصرهم بالمدينة، وسألوه أن ياذن لهم في الخروج إلىٰ البلاد فامتنع عليهم، وقال: إن أخوف ما أخاف علىٰ هٰذه الأمة انتشاركم في البلاد، حتىٰ إن الرجل كان يستأذنه في غزو الروم و[١١]الفرس، وهو ممن حبسه بالمدينة من قريش ولا سيما من المهاجرين، فيقول [له][١٢] إنك في غزوك مع رسول الله ﷺ ما يكفيك ويحبك[١٣] ويبلغك، وهو خير لك من غزو اليوم، وإن خيرا لك أن لا ترىٰ الدنيا ولا تراك.

فلما مات عمر وولي عثمان خلا عنهم، فانتشروا في البلاد واضطربوا، وانقطع إليهم الناس وخالطوهم، فلذلك كان عثمان أحب إلىٰ قريش من عمر.

وقال[١٤]: وروىٰ أبو جعفر الطبري في تاريخه[١٥]، قال: كان عمر قد حجر علىٰ أعلام قريش من المهاجرين في البلدان إلا بأذن وأجل، فشكوه فبلغه، فقام

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٣٨).
(٢) في كتابه الطبقات الكبرى (ج٣، ص٢٩٣). (٣) طعام.
(٤) في المصدر: أستعذب.
(٥) في المصدر: القبضات.
(٦) في المصدر: قيل.
(٧) في المصدر: بهذا.
(٨) الكبر والفخر (النهاية: ج٦، ص٢٢٧٨).
(٩) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١١، ص١٢).
(١٠) في تاريخه (ج٣، ص٤٢٦).
(١١) في المصدر: أو.
(١٢) من المصدر.
(١٣) في المصدر: ويحسبك (أي: يرضيك).
(١٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١١، ص١٢).
(١٥) الجزء الثالث (ص٤٢٦).

فخطب، فقال: ألا أني قد سننت الاسلام سن البعير بيد[١] فيكون جذع ثم ثنيا، ثم يكون رباعيا[٢]، ثم سديسا، ثم بازلا[٣]، ألا فهل ينتظر البازل إلا النقصان، ألا وإن الاسلام قد صار بازلا، وإن قريشا يريدون أن يتخذوا مال الله معونات علىٰ ما في أنفسهم إلا أن في قريش من يضمر الفرقة، ويروم خلع الربقة، [أما وابن الخطاب حي][٤] فلا أني قائم[٥] دون شعب الحرة آخذ بحلاقيم قريش، وحجزها في النار أن يتهافتوا في النار.

وقال[٦] في حديث الأخنس[٧] بن قيس: أتىٰ رجل عمر، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن فلانا ظلمني فأعدني[٨] عليه.. فرفع إلىٰ السماء رأسه[٩]، وقال: تدعون عمر وهو معرض لكم، حتىٰ إذا شغل في أمر المسلمين أتيتموه: أعدني أعدني.. فانصرف الرجل يتذمر، فقال عمر: عليّ بالرجل.. فجيء به، فألقىٰ عليه المخفقة[١٠]، فقال: اقتص.. قال: بل ادعه لله ولك.. قال: ليس كذلك، بل تدعه إما لله وإرادة ما عنده، وإما تدعه لي.. قال: أدعه.. قال: انصرف.. ثم جاء حتىٰ دخل منزله ونحن معه، فصلىٰ ركعتين خفيفتين، ثم جلس، فقال: يا ابن الخطاب؛ كنت وضيعا فرفعك الله، وكنت ضالا فهداك الله، وكنت ذليلا فأعزك الله، ثم حملك علىٰ رقاب الناس، فجاء رجل يستعديك علىٰ من ظلمه [فضربته][١١]، ماذا تقول لربك غدا؟ فجعل يعاتب نفسه معاتبة ظننت أنه [من][١٢] خير أهل الأرض.

---

(١) في المصدر: يبدأ.

(٢) أي ألقى راعيته التي هي السن التي بين الثنية والناب.

(٣) البعير الذي فطر نابه وانشق.

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: قائمك.

(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٩).

(٧) في المصدر: الأحنف.

(٨) انصرني.

(٩) في المصدر: فرفع في السماء درته، وضرب بها رأسه.

(١٠) الدرر التي يضرب بها.

(١١) من المصدر.

(١٢) من المصدر.

وقال[١]: وذكر أبو عبيدة القاسم بن سلام في غريب الحديث[٢]: إن رجلا أتىٰ عمر يسأله ويشكو إليه الفقر، فقال: هلكت يا أمير المؤمنين.. فقال: أهلكت وأنت تنث تنثيت الحميت[٣] اعطوه.. فأعطوه ربعة[٤] من مال الصدقة تبعها ظئراها، ثم أنشد[٥] يحدث عن نفسه، فقال: لقد رأيتني وأختا لي نرعىٰ علىٰ أبوينا ناضحا[٦] لنا، قد ألبستنا أمنا نقبتها[٧]، وزودتنا يمنتيها هبيدا[٨]، فنخرج بناضحنا، فإذا طلعت الشمس ألقيت النقبة إلىٰ أختي، [و][٩]أخرجت[١٠] أسعىٰ عريانا، فنرجع إلىٰ أمنا وقد جعلت لنا لفيتة[١١] من ذلك الهبيد، فأحصيناه[١٢].

وروىٰ ابن عباس رضي الله عنه قال: دخلت علىٰ عمر أول خلافته، وقد ألقىٰ صاع من تمر علىٰ حصفة[١٣]، فدعاني إلىٰ الأكل، فأكلت تمرة واحدة، وأقبل يأكل حتىٰ أتىٰ عليه، ثم شرب من جر[١٤] كان عنده، واستلقىٰ علىٰ مرفقة[١٥] له، وطفق[١٦] يحمد الله، يكرر ذلك.

ثم قال: من أين جئت يا عبدالله؟ قلت: من المسجد.. قال: كيف خلفت ابن عمك؟ فظننته يعني عبدالله بن جعفر، قلت خلفته يلعب مع أترابه.. قال:

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٢٠).

(٢) الجزء الثالث (ص٢٥٥).

(٣) أي: أتهلك وجسدك كأنه يقطر دسما.

(٤) الفصيل الذي ينتج في الربيع.

(٥) في المصدر: أنشأ.

(٦) البعير الذي يستقى عليه.

(٧) ثوب يشبه الإزار.

(٨) الهبيد: حب الحنظل.

(٩) من المصدر.

(١٠) في المصدر: خرجت.

(١١) عصيدة مغلظة.

(١٢) في المصدر: فيا خصباه.

(١٣) في المصدر: خصفة .

(١٤) الآنية من الخزف.

(١٥) وسادة (النهاية: ج٢، ص٢٤٦).

(١٦) جعل (كتاب العين: ج٥، ص١٠٦).

لم أعن ذلك، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت.. قلت: خلفته يمتح[١] بالغرب[٢] علىٰ نخيلات ابن[٣] فلان ويقرأ القرآن.. قال: يا عبدالله؛ عليك دماء البدن إن كتمتنيها، هل بقي في نفسه من أمر الخلافة شيء؟ قلت: نعم.. قال: أيزعم إن رسول اللهﷺ نص عليه؟ قلت: نعم، وأزيدك سألت أبي عما يدعي[٤]، فقال: صدق.. فقال عمر: لقد كان من رسول اللهﷺ في أمره ذرو[٥] من قول لا يثبت حجة، ولا يقطع عذرا، ولقد كان يرفع[٦] في أمره وقتا ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك، إشفاقا وحيطة علىٰ الاسلام [لا][٧] ورب هٰذه البينة لا تجتمع عليه قريش أبدا ولو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم رسول اللهﷺ إني علمت ما في نفسه فأمسك، وأبىٰ الله إلا امضاء ما ختم[٨].

ذكر هٰذا الخبر أحمد بن أبي طاهر، صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه مسندا[٩].

وقال[١٠]: وروىٰ طارق بن شهاب: إن عمر لما قدم الشام عرضت له مخاضة[١١]، فنزل عن بعيره، ونزع جرموقيه[١٢] فأمسكها بيده، وخاض الماء وزمام بعيره في يده الأخرىٰ، فقال له أبو عبيدة: لقد صنعت اليوم مسعاة[١٣] عظيما عند أهل هٰذه الأرض.. فصكه[١٤] في صدره، وقال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، إنكم كنتم أذل الناس، وأحقر الناس، وأقل الناس، فأعزكم الله بالاسلام، فهما تطلبوا العزة[١٥] بغيره يرجعكم إلىٰ الذل.

---

(١) يستقي (معجم مقاييس اللغة: ج٥، ص٢٩٣). (٢) الدلو.

(٣) في المصدر: من. (٤) في المصدر: يدعيه. (٥) طرف.

(٦) في المصدر: يربع.

(٧) من المصدر.

(٨) في المصدر: ما حتم.

(٩) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج.

(١٠) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٣٨).

(١١) موضع الخوض من الماء.

(١٢) ما يلبس فوق الخفين.

(١٣) في المصدر: صنيعا.

(١٤) في المصدر: فصك.

(١٥) في المصدر: العز.

وقال(١): قدم عمرو بن العاص علىٰ عمر ـ وكان واليا لمصر ـ فقال له: في كم سرت؟ قال: في عشرين.. قال عمر: لقد سرت مسير(٢) عاشق.. فقال عمرو: إني والله ما بطئتني(٣) الإماء، ولا حملتني في غبرات المآلي.. فقال عمر: والله ما هٰذا بجواب الكلام الذي سألتك عنه، وإن الدجاجة لتفحص في الرماد فتضع لغير الفحل، وإنما تنسب البيضة إلىٰ طرقها.. فقام عمرو مربد(٤) الوجه.

[قلت](٥): (المآلي): خرق سود تحملها النوائح ويسرن بها بأيديهن عند اللطم، وأراد خرق الحيض ها هنا، وشبهها بتلك.

وأنكر عمر فخره بالأمهات، وقال: إن الفخر للأب الذي إليه النسب.

قال(٦): وسألت النقيب أبا جعفر عن هٰذا الحديث في عمر، فقال: إن عمرو فخر علىٰ عمر لأن أم الخطاب زنجية، [و](٧)تعرف بـ(باطحلي)، تسمىٰ (صهاك)، فقلت له: وأم عمرو النابغة أمة من سبايا العرب.. فقال: أمة عربية من غزاة(٨) سبيت في بعض الغارات، فليس يلحقها من النقص عندهم ما يلحق الإماء الزنجيات.

فقلت له: أكان عمرو يقدم علىٰ عمر بمثل ما قلت؟ قال: قد يكون بلغه عنه قول قدح في نفسه فلم يحتمله له، ونفث(٩) بما في صدره منه، وإن لم يكن جوابا مطابقا للسؤال.

وقد كان عمر مع خشونته يحتمل نحو هذا، فقد جبهه(١٠) الزبير مرة، وجعل يحكي كلامه يمططه(١١).

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٣٩).
(٢) في المصدر: سير.
(٣) في المصدر: تبطأتني.
(٤) متغير (النهاية: ج٢، ص١٨٣).
(٥) من المصدر.
(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٣٩).
(٧) من المصدر.
(٨) في المصدر: عنزة.
(٩) شبيه بالنفخ كما في غريب الحديث لابن سلام (ج١، ص٢٩٨).
(١٠) استقبله (الصحاح: ج٦، ص٢٢٣٠).
(١١) يمده (الصحاح: ج٣، ص١١٦٠).

وقال[١]: أشرف عبدالملك على أصحابه وهم يتذاكرون سيرة عمر، فغاظه ذلك، وقال: إيها عن ذكر سيرة عمر فإنها مزراة على الولاة، مفسدة للرعية.

وقال[٢]: وروى ابن عباس (رضوان الله تعالى عليه)، قال: قال لي عمر ليلة: أنشدني لشاعر الشعراء.. قلت: ومن هو؟ قال: زهير، الذي يقول، وقال:

إذا ابتدرت قيس بن غيلان غاية
وقال من المجد من يسبق إليها يسود[٣]

وقال: فأنشدته حتى برق الفجر.. فقال: أيها[٤] الآن، اقرأ يا ابن عباس[٥].. قلت: ما أقرأ؟ قال: سورة الواقعة.

[و]سمع عمر صوت بكاء في بيت، فدخل وبيده الدرة، فمال عليهم ضربا حتى بلغ النائحة، فضربها حتى سقط خمارها، ثم قال لغلامه: اضرب النائحة ويلك! اضربها فإنها نائحة لا حرمة لها، لأنها لا تبكي بشجوكم، إنها تهريق دموعها على أخذ دراهمكم، إنها تؤذي أمواتكم في قبورهم، وأحياؤكم في دورهم، إنها تنهى عن الصبر، وقد أمر الله به، وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه.

وقال[٦]: وجاءت سرية لعبيد الله بن عمر إلى عمر تشكوه، فقالت: يا أمير المؤمنين؛ ألا تعذروني[٧] من أبي عيسى.. قال: ومن أبو عيسى؟!! قالت: ابنك عبيدالله.. قال: ويحك وقد يكنى[٨] بأبي عيسى!! فدعاه[٩]، وقال: إيها اكتنيت بأبي عيسى، فحذر وجزع[١٠]، فأخذ يده فعضها حتى صاح، ثم ضربه فقال[١١]: ويلك، هل لعيسى أب ما[١٢] تدري ما كنى العرب؟ أبو سلمة، أبو حنظلة، أبو عرفطة، أبو مرة.

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٥١).
(٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٦٧).
(٣) ديوان زهير (ص٢٣٤).
(٤) في السقيفة وفدك: حسبك.
(٥) في المصدر: يا عبدالله.
(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٤٤).
(٧) ففي المصدر: ألا تعذرني.
(٨) في المصدر: تكنى.
(٩) في المصدر: ودعاه.
(١٠) في المصدر: وفزع.
(١١) في المصدر: وقال.
(١٢) في المصدر: أما.

[و]كان عمر إذا غضب علىٰ بعض أهله لم يشف[1] حتىٰ يعض [يده][2]، ومن[3] عبدالله بن الزبير كذلك يقال: إنه لم يل ولاية من ولد عمر وال عادل.

وقال مالك بن أنس: إن عمر بن الخطاب عدل[4] كل عدل في ولده فلم يعدل بعده أحد منهم في ولاية وليها.

[وكان][5] عمر ومن بعده من الولاة إذا أخذوا العصاة نزعوا عمائهم من الناس[6]، حتىٰ جاء زياد فضربهم بالسياط، فجاء مصعب فحلق مع الضرب، فجاء بشر بن مروان، فكان يصلب تحت الإبطين، ويضرب الأكف بالمسامير، فكتب إلىٰ بعض الجند قوم من أهله يستزيردونه[7]، ويتشوقونه، وقد أخرج بشر إلىٰ الري فكتب إليهم:

لو لا مخافة بشر أو عقوبته ... أو أن يرىٰ شانئ كفي بمسمار
إذا لعطلت ثغري ثم زرتكم ... إن المحب المعنىٰ جد زوار

فلما جاء الحجاج، [قال: كل هٰذا لعب][8]، فقتل العصاة بالسيف.

وقال[9]: زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: خلا عمر لبعض شأنه، وقال: أمسك علىٰ الباب، فطلع الزبير فكرهته حين رأيته، فأراد أن يدخل، فقلت: هو علىٰ حاجة.. فلم يلتفت إلي وأهوىٰ ليدخل، فوضعت يدي في صدره، فضرب أنفي فأدماه، ثم رجع فدخلت علىٰ عمر، فقال: ما بك؟ قلت: الزبير!! فأرسل إلىٰ الزبير، فلما دخل جئت فقمت لأنظر ما يقول له، فقال: ما حملك علىٰ ما صنعت، أدميتني للناس.. فقال الزبير: يحكيه ويمطط في كلامه (أدميتني) أتحتجب عنا يا ابن الخطاب، فوالله ما احتجب مني رسول اللهﷺ ولا أبو بكر.. فقال عمر كالمعتذر: إني كنت في بعض شأني.

---

(١) في المصدر: يشتفي.

(٢) من المصدر. (٣) في المصدر: وكان.

(٤) في المصدر: استفرغ. (٥) من المصدر.

(٦) في المصدر: عمائهم وأقاموهم للناس.

(٧) في المصدر: يستزيرونه.

(٨) من المصدر.

(٩) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٤٥).

قال أسلم: فلما سمعته يعتذر إليه يئست من أن يأخذ لي بحقي منه.. وخرج[١] الزبير، فقال عمر: إنه الزبير وآثاره ما تعلم فقلت حقي حقك.

وقال[٢]: وخرج للحج، فسمع عمر غناء راكب [يغني وهو محرم][٣]، فقيل: يا أمير المؤمنين؛ ألا تنهىٰ بالغناء[٤] [وهو محرم][٥].. فقال: دعوه.. فقال: [فإن][٦] الغناء زاد للراكب.

وقال[٧]: وروىٰ زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: خرجت مع عمر إلىٰ السوق، فلحقته امرأة شابة، فقالت: هلك يا أمير المؤمنين زوجي وترك صبية صغارا لا ينضحون[٨] كراعا[٩]، لا زرع لهم ولا ضرع، وقد خشيت عليهم الضيعة، وأنا ابنة خفاف بن أسماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبية.. فوقف عمر معها ولم يمض، وقال: مرحبا بنسيب قريب.. ثم انصرف إلىٰ بعير ظهير[١٠] كان مربوطا في الدار، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما وجعل بينهما نفقة وثيابا ثم ناولها خطامه[١١]، وقال: اقتاديه فلن يفنىٰ هٰذا حتىٰ يأتيكم الله بخير.. فقال له رجل: لقد أكثرت لها يا أمير المؤمنين.. فقال: ثكلتك أمك، والله لكأني أرىٰ أبا هٰذه وأخاها، وقد حاصرا حصنا فافتتحناه، فافترقنا، ثم أصبحنا نستقرئ سهماننا فيه.

وقال[١٢]: قسم عمر مروطا[١٣] بين نساء المدينة فبقي مرط جيد له، فقال له بعض من عنده: اعط هٰذا يا أمير المؤمنين ابنة رسول الله التي عندك (يعنون: أم كلثوم، ابنة علي عليه السلام).. فقال: أم سليط أحق به، فإنها ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت تزفر[١٤] لنا القرب يوم أحد[١٥].

---

(١) في المصدر: فخرج. (٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٧٣).
(٣) من المصدر. (٤) في المصدر: ألا تنهاه عن الغناء.
(٥) من المصدر. (٦) من المصدر.
(٧) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٧٧).
(٨) النضح: الشرب دون الري (الصحاح: ج١، ص٤١١).
(٩) الكرع: التناول بفيه (كتاب العين: ج١، ص١٩٩).
(١٠) قوي.
(١١) الحبل الذي يقاد به البعير (لسان العرب: ج١٢، ص١٨٦).
(١٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٧٦).
(١٣) مروط جمع مرط (بالكسر)، وهو: كساء من صوف أو من خز أو من كتان يؤتز به، وربما تلقيه المرأة على رأسها وتتلفع به.
(١٤) تحمل لنا. (١٥) صحيح البخاري (ج٣، ص٢٢٢).

وقال[١]: وكان رجل من الأنصار لا يزال يهدي لعمر فخذ جزور إلىٰ أن جاء ذات يوم مع خصم له، فجعل في أثناء الكلام، [يقول][٢]: يا أمير المؤمنين؛ إفصل القضاء بيني وبينه كما يفصل فخذ الجزور.. قال عمر: فما زال يرددها حتىٰ خفت علىٰ نفسي فقضيت عليه، وكتبت إلىٰ عمالي: أما بعد؛ فإياكم والهدايا فإنها من الرشاء، ثم لم أقبل له هدية فيما بعد ولا لغيره[٣].

وروىٰ أبو جعفر الطبري في تاريخه[٤]، قال: كان عمر يقول: جردوا القرآن ولا تفسروه، وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وأنا شريككم.

وقال[٥]: قال أبو جعفر: وكان عمر إذا أراد أن ينهىٰ الناس عن شيء جمع أهله، فقال: إني عسيت أن أنهىٰ الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلىٰ اللحم، وأقسم بالله لا أجد أحدا منكم يفضله[٦] إلا أضعفت عليه العقوبة.

وقال[٧]: وروىٰ زيد بن أسلم، عن أبيه، أن نفرا من المسلمين كلموا عبدالرحمن بن عوف، فقالوا: كلم لنا عمر بن الخطاب فقد والله أخشانا حتىٰ لا نستطيع أن نديم إليه أبصارنا، تكلم[٨] فذكر عبدالرحمن له ذلك، فقال: أو قد قالوا ذلك، والله لقد لنت لهم حتىٰ تخوفت الله في أمرهم، وقد تشددت عليهم حتىٰ خفت الله في أمرهم، ولأنا[٩] والله أشد فرقا لله منهم لي.

وقال[١٠]: أتىٰ رهط إلىٰ عمر، فقالوا: يا أمير المؤمنين؛ كثر العيال، واشتدت المؤنة، فزدنا في أعطياتنا[١١].. فقال: فعلتموها، جمعتم بين الضرائر، واتخذتم الخدم من مال الله، أما لو وددت أني وإياكم في سفينتين[١٢] في لجة البحر، تذهب بنا شرقا وغربا، فلن يعجز الناس أن يولوا رجلا منهم فإن استقام اتبعوه،

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٩٣). (٢) من المصدر.
(٣) ومثله في تاريخ مدينة دمشق (ج٤٤، ص٣٢٠). (٤) الجزء الثالث (ص٢٧٣).
(٥) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٩٣). (٦) في المصدر: يفعل.
(٧) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٩٤).
(٨) غير موجودة في المصدر.
(٩) في المصدر: وأنا.
(١٠) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٩٧).
(١١) أو: عطائنا.
(١٢) في الكامل: سفينة.

وإن جف قتلوه.. فقال طلحة: وما عليك لو قلت وإن أعوج عزلوه.. فقال: القتل أرهب لما[١] بعده، إحذروا فتىٰ قريش فإنه كريمها الذي لا ينام إلا علىٰ الرضا، ويضحك عند الغضب، ويتناول ما فوقه من تحته[٢].

وقال[٣]: وكان يقول عند[٤] آخر أيامه عند تبرمه بالأمر وضجره من الرعية: اللهم ملوني ومللتهم، وأحسست من نفسي وأحسوا مني، ولا أدري بأينا يكون الكون[٥]، وقد أعلم أن لهم قتيلا منهم فاقبضني إليك[٦].

وقال[٧]: وروىٰ الطبري[٨]: إن هند بن عتبة بن ربيعة قامت إلىٰ عمر، فسألته أن يقرضها من بيت المال أربعة آلاف درهم تتجر فيها، فأقرضها[٩]، فخرجت بها إلىٰ بلاد[١٠] كلب[١١]، فاشترت وباعت، [وبلغها أن أبا سفيان قد أتىٰ معاوية يستميحه ومعه ابنة عمرو بن أبي سفيان، فعدلت إليه من بلاد كلب - وكان أبو سفيان قد طلقها - فقال معاوية: ما أقدمك يا أمة؟ قالت: النظر إليك يا بني، إنه عمر وإنما يعمل لله، وقد أتاك أبوك فخشيت أن تخرج إليه من كل شيء وأهل ذٰلك هو ولكن لا يعلم عمر من أين أعطيته، فيؤنبوك ويؤنبك ولا تستقبلها أبدا، فبعث معاوية إلىٰ أبيه وأخيه مائة دينار وكساهما وحملهما، فسخطها عمر، فقال أبو سفيان: لا تسخطها فإنها عطاء لم تغب عنه هند.. ورجع هو وابنه إلىٰ المدينة، فسأله عمر: بكم أجازك معاوية؟ فقال: بمائة دينار.. فسكت عمر][١٢].

وقال[١٣]: وروىٰ الزبير بن بكار، قال: خطب عمر أم كلثوم إلىٰ[١٤] علي عليه السلام، فقال له: «**إنها صغيرة**».. فقال: زوجنيها يا أبا الحسن فإني أرصد [من][١٥] كرامتها

---

(١) في المصدر: لمن.

(٢) الكامل في التاريخ (ج٣، ص٦٠). (٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٩٧).

(٤) في المصدر: في. (٥) في المصدر: اللوت (أي: النقص).

(٦) تاريخ الطبري (ج٣، ص٢٨١). (٧) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٩٨).

(٨) في تاريخه (ج٣، ص٢٨٧).

(٩) في المصدر: وتضمنها.

(١٠) في المصدر: بلد.

(١١) مدينة مشهورة قديمة في برية الشام.

(١٢) من المصدر.

(١٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٠٦). (١٤) في المصدر: بنت.

(١٥) من المصدر.

ما لا يرصده أحد.. فقال: «**أنا أبعثها إليك فإن رضيتها زوجتكها**».. فبعثها إليه ببرد، وقال لها: قولي: هٰذا [البرد][1] الذي ذكرته لك.. فقالت له ذلك، فقال: قولي له قد رضيته رضي الله عنك.. ووضع يده علىٰ ساقها فقالت له [أتفعل هذا][2] لو لا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك.. ثم جاءت[3] أباها فأخبرته الخبر، وقالت[4]: بعثتني إلىٰ شيخ سوء، قال: مهلا يا بنية، إنه زوجك.. فجاء عمر إلىٰ مجلس المهاجرين في الروضة، وكان يجلس فيه[5] المهاجرون الأولون، فقال: [رفئوني][6] رفئوني[7] قالوا: بماذا يا أمير المؤمنين؟!! قال: تزوجت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب[عليه السلام]، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**كل سبب ونسب [وصهر][8] ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري**»[9].

وقال[10]: عن ابن قتيبة: إن عطاء بن يسار، قال: قلت للوليد بن عبدالملك: روي لي أن عمر بن الخطاب قال: وددت أني سلمت من الخلافة كفافا[11] لا علي ولا لي.. فقال: كذبت، الخليفة يقول هذا!! [فقلت][12]: أو كذبت؟ فأفلت منه بجريعة الذقن[13].

قال[14]: واحتج من روىٰ أن عمر فر يوم أحد بما روي: أنه جاءته في أيام خلافته امرأة تطلب بردا من برود كانت بين يديه، وجاءت معها بنت لعمر

---

(١) من المصدر.

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: جاءها.

(٤) في المصدر: وقال.

(٥) في المصدر: فيها.

(٦) كما في المصدر.

(٧) أي: قولوا لي بالرفاه والبنين.

(٨) من المصدر.

(٩) ذخائر العقبى (ص١٦٨) وعمدة القاري (ج١٤، ص١٦٨) وغيرهما.

(١٠) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٥٧).

(١١) تكف عني وأكف عنها (النهاية: ج٤، ص١٩١).

(١٢) من المصدر.

(١٣) وهو مثل يضرب للرجل الذي يشرف على هلكة ثم يفلت كأنه جرع الموت جرعا ثم يفلت منه (كتاب العين: ج٨ ص١٢٣).

(١٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٥، ص٢٢).

تطلب بردا أيضا، فأعطىٰ المرأة ورد ابنته، فقيل له في ذلك، فقال: إن أبا هٰذه ثبت يوم أحد وأبا هٰذه فر يوم أحد ولم يثبت.

وقال[١]: وروىٰ الواقدي، قال: حدثني ابن أبي سبرة، عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي جهم، اسم أبي جهم [عبيد][٢]، قال: كان خالد بن الوليد يحدث وهو بالشام، فيقول: الحمد لله الذي هداني للإسلام، لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطاب حين جال المسلمون وانهزموا يوم أحد وما معه أحد، وإني لفي كتيبة خشناء[٣] فما عرفه منهم أحد غيري، وخشيت إن أغريت به من معي أن يصمدوا له، فنظرت إليه وهو متوجه إلىٰ الشعب.

قلت: يجوز أن يكون [هٰذا حقا، ولا خلاف أنه توجه إلىٰ الشعب تاركا للحرب لٰكن يجوز أن يكون][٤] ذٰلك في آخر الأمر لما يئس المسلمون من النصرة، فكلهم توجه نحو الشعب حينئذ.

ويؤكد صحة هٰذا الخبر، وكون خالد عف عن قتل عمر يومئذ، ما هو معلوم من حال النسب بينهما من قبل الأم، فإن أم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة، وخالد هو ابن الوليد بن المغيرة، فأم عمر ابنة عم خالد لحا، والرحم تعطف.

وقال[٥]: حضرت عند محمد بن العلوي الموسوي - الفقيه علىٰ رأي الشيعة الإمامية- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في داره بدرب الدواب ببغداد، في سنة ثمان وستمائة، وقارئ يقرأ عنده مغازي الواقدي، فقرأ: حدثنا الواقدي، قال: حدثني ابن أبي سبرة، عن خالد بن رياح، عن أبي سفيان مولىٰ ابن أبي أحمد، قال: سمعت محمد بن مسلمة، يقول: سمعت أذناي وأبصرت عيناي إن رسول الله ﷺ يقول يوم أحد وقد انكشف الناس إلىٰ الجبل، وهو يدعوهم وهم لا يلوون عليه، سمعته يقول: إلي يا فلان، إلي يا فلان، أنا رسول الله فما عرج عليه واحد منهما ومضيا، فأشار ابن معد إلي أن اسمع، فقلت: وما في هذا؟ قال: هٰذه كناية

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٥، ص٢٢).

(٢) كما في المصدر.

(٣) أي: كثيرة السلاح.

(٤) من المصدر.

(٥) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٥، ص٢٣).

عنهما.. فقلت: ويجوز ألا يكون عانهما[1]، لعله عن غيرهما.. قال: ليس في الصحابة من يحتشم وتستحي ما[2] ذكره بالفرار وما شابهه من العيب فيضطر القائل إلىٰ الكناية إلا هما.. قلت [له][3]: هٰذا ممنوع[4].. فقلنا: دعنا من جدلك ومنعك، ثم حلف أنه ما عنىٰ الواقدي غيرهما، وإنه لو كان غيرهما لذكره صريحا، وبان في وجهه التنكر من مخالفتي له.

الباب الرابع والعشرون

في تاريخ مقتله وما جرىٰ في ذٰلك وما قاله عمر عند الموت

ابن أبي الحديد قال[5]: أما تاريخ موته: فإن أبا لؤلؤة طعنه يوم الأربعاء، لأربع بقين من ذي الحجة، من سنة ثلاث وعشرين، ودفن يوم الأحد صباح هلال المحرم، سنة أربع وعشرين، وكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر، وهو ابن ثلاث وستين في أظهر الأقوال.

وقد كان قال علىٰ المنبر يوم جمعة، وقد ذكر رسول الله ﷺ وأبا بكر: إني قد رأيت رؤيا أظنها لحضور [أجلي][6]، رأيت كأن ديكا نقرني نقرتين، فقصصتها علىٰ أسماء بنت عميس، فقالت: يقتلك رجل من العجم، وإني فكرت فيمن أستخلف، ثم رأيت أن الله لم يكن ليضيع دينه وخلافته التي بعث بها رسوله.

وروىٰ ابن شهاب، قال: كان عمر لا يأذن لصبي قد احتلم في دخول المدينة، حتىٰ كتب المغيرة وهو علىٰ الكوفة يذكر له غلاما صنعا[7] عنده، ويستأذنه في دخول المدينة، ويقول: إن عنده أعمالا كثيرة فيها منافع للناس، إنه: حداد، نقاش، نجار، فأذن له أن يرسل به إلىٰ المدينة، وضرب عليه المغيرة

---

(١) في المصدر: عنهما.

(٢) في المصدر: ويستحيا من.

(٣) من المصدر.

(٤) في المصدر: وهم.

(٥) في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٨٤).

(٦) من المصدر.

(٧) في فتح الباري (ج٧، ص٥٠): صانعا.

مائة درهم في كل شهر، فجاء إلىٰ عمر يوما يشتكي إليه شدة الخراج، فقال له عمر: ماذا تحسن من الأعمال؟ فعد له الأعمال التي يحسن، فقال له: ليس خراجك بكثير في كنه[١] عملك.

هٰذا هو الذي رواه أكثر الناس من قوله له، ومن الناس من يقول إنه جبهه[٢] بكلام غليظ، واتفقوا كلهم علىٰ أن العبد انصرف ساخطا يتذمر، فلبث أياما ثم مر بعمر، فدعاه، فقال: قد حدثت أنك تقول: لو أشاء لصنعت رحا تطحن بالريح.. فالتفت العبد عابسا ساخطا إلىٰ عمر، ومع عمر رهط من الناس، فقال: لأصنعن لك رحا يتحدث الناس بها.

فلما ولىٰ أقبل عمر علىٰ الرهط، فقال: ألا تسمعون إلىٰ العبد ما أظنه إلا أوعدني آنفا.. فلبث ليالي، ثم اشتمل أبو لؤلؤة علىٰ خنجر ذي رأسين نصابه فوسطه، فكمن في زاوية من زوايا المسجد في غلس السحر، فلم يزل هناك[٣] حتىٰ خرج[٤] عمر يوقظ الناس لصلاة الفجر كما كان يفعل، فلما دنا منه وثب عليه فطعنه ثلاث طعنات، إحداهن تحت السرة، قد خرقت الصفاق[٥] ـ وهي التي قتلته ـ ، ثم انحاز إلىٰ أهل المسجد فطعن فيهم من يليه، حتىٰ طعن أحد عشر رجلا سوىٰ عمر، ثم انتحر بخنجره، فقال عمر حين أدركه النزف: قولوا لعبدالرحمن بن عوف فليصل بالناس.. ثم غلبه النزف فأغمي عليه، فاحتمل حتىٰ أدخل بيته، ثم صلىٰ عبدالرحمن بالناس.

قال ابن عباس: فلم أزل عند عمر وهو مغمىٰ عليه، لم يزل في غشية واحدة حتىٰ أسفر، فلما أسفر أفاق، فنظر في وجوه من حوله، وقال: أصلىٰ الناس؟ فقيل: نعم.. فقال: لا إسلام لمن ترك الصلاة.. ثم دعا بوضوء فتوضأ وصلىٰ، ثم قال: اخرج يا ابن عباس، فاسأل من قتلني.. فجئت حتىٰ فتحت باب الدار فإذا الناس مجتمعون، فقلت: من طعن أمير المؤمنين؟ قال[٦]: طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة.. قال ابن عباس: فدخلت فإذا عمر ينظر إلىٰ الباب يستأني

(١) في فتح الباري: جنب. (٢) في المصدر: جهر.
(٣) في المصدر: هنالك. (٤) في المصدر: جاء.
(٥) الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر.
(٦) في المصدر: قالوا.

خبر ما بعثني له.. فقلت: يا أمير المؤمنين؛ [زعم الناس][١] أنه عدو الله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، وأنه طعن رهطا ثم قتل نفسه، فقال: الحمد لله الذي لم يجعل قاتلي يحاجني عند الله بسجدة سجدها [له][٢] قط، ما كانت العرب لتقتلني.. [ثم][٣] قال: أرسلوا إلي طبيب ينظر جرحي.. فأرسلوا إلىٰ طبيب من العرب، فسقاه نبيذا فخرج من الجرح، فاشتبه عليه الدم بالنبيذ، ثم دعو طبيبا آخر فسقاه لبنا، فخرج اللبن من الطعنة صلدا أبيض، فقال الطبيب: أعهد يا عمر[٤] عهدك.. فقال: لقد صدقني ولو قال غير ذٰلك لكذب.. فبكىٰ عليه القوم حتىٰ أسمعوا من خارج الدار، فقال: لا تبكوا علينا إلا ومن كان باكيا فليخرج فإن رسول الله[٥]ﷺ قال: «**إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه**»[٦].

وروي عن عبدالله بن عمر، أنه قال: سمعت أبي يقول: لقد طعنني أبو لؤلؤة طعنتين وما أظنه إلا كلبا حتىٰ طعنني الثالثة[٧].

وروي: أن عبدالرحمن بن عوف طرح علىٰ أبي لؤلؤة بعد أن طعن الناس خميصة[٨] كانت عليه، فلما حصل فيها نحر نفسه، فاحتز عبدالرحمن رأسه، واجتمع البدريون وأعيان المهاجرين والأنصار بالباب، فقال عمر لابن عباس: اخرج إليهم فاسألهم عن ملاء[٩] منكم كان هٰذا الذي أصابني؟ فخرج يسألهم، فقال القوم: لا والله ولوددنا أن الله زاد في عمرة من أعمارنا[١٠].

قال[١١]: ورویٰ عبدالله بن عمر، قال: كان أبي يكتب إلىٰ أمراء الجيوش: لا تجلبوا إلينا من العلوج أحدا جرت عليه المواسي[١٢].. فلما طعنه أبو لؤلؤة،

---

(١) من المصدر. (٢) من المصدر.
(٣) كما في المصدر.
(٤) في المصدر: يا أمير المؤمنين.
(٥) في المصدر النبي.
(٦) صحيح البخاري (ج٢، ص٨٠).
(٧) الطبقات الكبرى (ج٣، ص٣٤٨).
(٨) كساء أسود مربع له علمان.
(٩) في المصدر: أعن ملأ.
(١٠) حلية الأولياء (ج٣، ص١٩٩).
(١١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٨٧).
(١٢) في مصدر: الموسى.

قال: مر[١] بي؟ قال[٢]: غلام المغيرة.. قال: ألم أقل لكم لا تجلبوا إلينا من العلوج أحدا فغلبتموني[٣].

وقال[٤]: وروىٰ أحمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه[٥]، عن عمرو بن ميمون، قال: إني لقائم ما بيني وبين عمر إلا عبدالله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا.. حتىٰ إذا لم ير بيننا خللا تقدم فيكرر[٦]، وربما قرأ سورة يوسف، أو: النحل في الركعة [الأولىٰ أو نحو ذٰلك في الركعة الثانية][٧] حتىٰ يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر، فسمعته يقول: قتلني أو أكلني الكلب، وذلك حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين، لا يمر علىٰ أحد يمينا [ولا شمالا][٨] إلا طعنه، حتىٰ طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم ستة[٩]، فلما رأىٰ ذٰلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا[١٠]، فلما ظن العلج إنه مأخوذ نحر نفسه.

وتناول عمر بيده عبدالرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأىٰ الذي رأىٰ، وأما نواحي [المسجد][١١] فإنهم لا يدرون، غير أنهم فقدوا صوت عمر، فهم[١٢] يقولون: سبحان الله، سبحان الله.. فصلىٰ [بهم][١٣] عبدالرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا، قال: يا ابن عباس انظر من قتلني؟ [فجال][١٤] ساعة، ثم جاء فقال غلام المغيرة بن شعبة: قال: الصنع.. قال: نعم.. قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفا، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، وقد

---

(١) في المصدر: من. (٢) في المصدر: قالوا.
(٣) تاريخ المدينة لابن شبة (ج٣، ص٨٩٢).
(٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٨٧).
(٥) الجزء الرابع (ص٢٠٤).
(٦) في المصدر: فكبر.
(٧) كما في شرح نهج البلاغة.
(٨) كما في المصدر.
(٩) في المصدر: سبعة.
(١٠) قلنسوة طويلة (الصحاح: ج٣، ص٩٠٨).
(١١) من المصدر.
(١٢) في المصدر: وهم.
(١٣) من المصدر.
(١٤) كذا في المصدر، وفي شرح نهج البلاغة: فجاء.

كنت أنت وأبـوك تحبان أن يكثـر العلـوج، وكان العباس أكثرهم رقيقـا.. فقال: إن شـئت فعلنا (أي: قتلناهم).. قـال: كذبت بعـد أن تكلموا بلسـانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم.

فاحتمل إلىٰ بيته، وانطلقنا معه، وكأن النـاس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس عليه.. وقائل يقول: أخاف عليه.. فأتي بنبيذ فشـربه، فخرج من جوفـه، ثم أتـي بلبـن فشـربه فخرج مـن جوفـه، فعلـم[١] أنه ميـت، فدخل الناس[٢] يثنون عليه، فجـاء[٣] [رجل][٤] شـاب، فقال: البشـر[٥] يا أمير المؤمنين ببشـرىٰ الله لك بصحبـة[٦] برسـول اللهﷺ وقـدم في الاسـلام ما قـد علمت ثم وليت فعدلت ثم المشـاهدة[٧].. فقال عمر: وددت أن ذٰلك كلـه كان كفافا لا لي ولا علي.

فلما أدبر إذا رداؤه[٨] يمـس الأرض، فقال: ردوا عليّ الغـلام.. فردوه، فقال: يا ابـن أخ[٩]؛ ارفع ثوبـك فإنه أنقـىٰ[١٠] لثوبك وأتقـىٰ لربـك، يا عبدالله بن عمر انظر ما[١١] علي من دين.. فحسبوه، فوجدوه سـتة وثلاثين[١٢] ألفا أو نحوه، فقال: إن وفىٰ به[١٣] مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فسـل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف به أموالهم فسـل في قريش ولا تعدهم إلىٰ غيرهـم، وأد[١٤] عني هٰذا المـال، انطلق به إلىٰ عائشـة، فقل لهـا: يقرأ عليك السـلام عمـر، ولا تقل أمير المؤمنين، فإني اليوم لسـت للمؤمنين أميرا، وقل يسـتأذن عمر بـن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه.

---

(١) في المصدر: فعلموا.
(٢) في المصدر: فدخلنا عليه وجاء الناس.
(٣) في المصدر: وجاء.
(٤) من المصدر.
(٥) في المصدر: أبشر.
(٦) في المصدر: من صحبة.
(٧) في المصدر: الشهادة.
(٨) في المصدر: إزاره.
(٩) في المصدر: أخي.
(١٠) في المصدر: أبقى.
(١١) في المصدر: ماذا.
(١٢) في المصدر: وثمانين.
(١٣) في المصدر: له.
(١٤) في المصدر: فأد.

فمضىٰ وسلم واستأذن، ودخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه.. [فـ][١]قالت: كنت أريده لنفسي ـ يعني: الموضع ـ ولأوثرنه [به][٢] اليوم علىٰ نفسي.. فلما أقبل قيل: هٰذا عبدالله قد جاء.. قال: ارفعوني.. فأسندوه إلىٰ رجل منهم[٣]، [فـ][٤]قال: يا عبدالله؛ ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، قد أذنت.. قال: الحمد لله ما كان شيء أهم إليّ من ذلك، إذا أنا قبضت[٥] فاحملني[٦]، ثم سلم [عليها][٧]، وقل[٨]: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني فردوني [إلىٰ مقابر المسلمين][٩] وادفنوني بين المسلمين.

وجاءت ابنته حفصة والنساء [تسير][١٠] معها، قال: فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت بيتا داخلا لهم، فسمعنا بكاءها من البيت الداخل، فقال[١١]: أوص يا أمير المؤمنين [و][١٢]استخلف.. فقال: ما أجد أحق بهٰذا الأمر من هٰؤلاء النفر (أو قال: الرهط) الذين توفىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راض.. فسمىٰ: عليا[عليه السلام]، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدا، وعبدالرحمن، وقال: يشهدكم عبدالله بن عمر وليس له من الأمر [شيء][١٣] كهيئة التعزية له، فإن أصابت الأمارة سعدا فهو أهل لذلك، وإلا فليستعن به أيكم [ما][١٤] أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا عن خيانة..

---

(١) كما في المصدر.
(٢) من المصدر.
(٣) في المصدر: فأسنده رجل إليه.
(٤) كما في المصدر.
(٥) في المصدر: قضيت.
(٦) في المصدر: فاحملوني.
(٧) من المصدر.
(٨) في المصدر: فقل.
(٩) من المصدر.
(١٠) من المصدر.
(١١) في المصدر: فقالوا.
(١٢) كما في المصدر.
(١٣) من المصدر.
(١٤) من المصدر.

ثم قال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[١] أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم: ردء الاسلام، وحياة[٢] الأموال، وغيظ العدوان[٣]، ألا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام، أن يؤخذ من حواشي أموالهم ويرد علىٰ فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من وراءهم، وألا يكفوا إلا طاقتهم.

قال: فلما قبض خرجت[٤] به فانطلقت[٥] نمشي فسلم عبدالله بن عمر وقال: يستأذن عمر بن الخطاب فقالت: أدخلوه فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه.

وقال ابن عباس (رضوان الله تعالىٰ عليه): أنا أول من أتىٰ عمر حين طعن، فقال: احفظ عني ثلاثا فإني أخاف أن[٦] يدركني الناس، أما أنا فلم أقض في الكلالة، ولم أستخلف علىٰ الناس، وكل مملوك لي[٧] عتيق.. فقلت له: أبشر بالجنة صاحبت رسول الله ﷺ فأطلت صحبته، ووليت أمر المسلمين فقويت عليه، وأديت الأمانة.. قال: أما تبشيرك لي بالجنة فوالله الذي لا إلٰه إلا هو لو أن لي الدنيا بما فيها لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن أعلم بالخبر[٨]، وأما ما ذكرت من أمر المسلمين؛ فلوددت أن ذٰلك [كان][٩] كفافا لا علي ولا لي، وأما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ فهو ذلك[١٠].

قال[١١]: وروىٰ معمر، عن الزهري، عن سالم، عن عبدالله، قال: دخلت علىٰ أبي، فقلت: سمعت الناس يقولون مقالة، وآليت أن أقولها لك، زعموا أنك غير

---

(١) كما في التعبير القرآني (الآية ٩ من سورة الحشر). (٢) في المصدر: جباة.

(٣) في المصدر: العدو. (٤) في المصدر: خرجنا.

(٥) في المصدر: فانطلقنا.

(٦) في المصدر: ألا.

(٧) في مصدر: له.

(٨) في المصدر: ما الخبر.

(٩) من المصدر.

(١٠) تاريخ مدينة دمشق (ج٤٤، ص٤٢٥).

(١١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٩٠).

مستخلف، وأنه كان لك راعي إبل، أو غنم[١]، ثم جاءك وتركها رأيت أنه قد ضيع، فرأيت[٢] الناس أشد، فوضع رأسه، ثم رفعه، فقال: إن الله تعالىٰ يحفظ دينه إن لم أستخلف[٣]، فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف، وإن استخلف فإن أبا بكر قد استخلف، فوالله ما هو إلا أن ذكرت رسول الله ﷺ وأبا بكر، فعلمت أنه لم يكن يعدل برسول الله ﷺ أحدا وأنه غير مستخلف[٤].

قال[٥]: وروي أنه قال ـ وقد أذنت له عائشة في أن يدفن في بيتها ـ: إذا مت فأستأذنوها [مرة ثانية فإن أذنت وإلا فاتركوها فإني أخشىٰ أن تكون أذنت لي لسلطاني فاستأذنوها][٦] بعد موته فأذنت[٧].

قال[٨]: وروىٰ عمر بن ميمون، قال: لما طعن عمر دخل عليه كعب الأحبار، فقال: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾[٩] قد أنبأتك أنك شهيد.. فقال: من أين لي بالشهادة وأنا بجزيرة العرب[١٠].

قال[١١]: وروىٰ ابن عباس رضي الله عنه قال: لما طعن عمر وجئته بخبر أبي لؤلؤة، أتيته والبيت ملآن، فكرهت أن أتخطىٰ رقابهم، وكنت حدث[١٢] السن، فجلست وهو مسجىٰ، فجاء كعب الأحبار، وقال: لئن دعا أمير المؤمنين ليبقيه الله لهذه الأمة حتىٰ يفعل فيها كذا وكذا.. حتىٰ ذكر المنافقين فيمن ذكرت، فقلت: أبلغه ما تقول؟ قال: ما قلت إلا [وأنا][١٣] أريد أن تبلغه.. فتشجعت وقمت فتخطيت رقابهم، حتىٰ جلست عند رأسه، وقلت: إنك أرسلتني بكذا، إن عبد المغيرة

---

(١) في المصدر: راعي غنم.
(٢) في المصدر: فرعاية.
(٣) في المصدر: وإني لئن لا أستخلف.
(٤) صحيح مسلم (ج٦، ص٥).
(٥) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٩٠).
(٦) من المصدر.
(٧) الطبقات الكبرى (ج٣، ص٣٦٣).
(٨) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٩١).
(٩) الآية ١٤٧ من سورة البقرة.
(١٠) تاريخ المدينة لابن شبة (ج٣، ص٩١٧).
(١١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٩١).
(١٢) في المصدر: حديث.
(١٣) من المصدر.

قتلك وأصاب معك ثلاثة عشر إنسانا، وإن كعبا ها هنا وهو يحلف بكذا.. فقال: ادعو إلي كعبا.. فدعي، فقال: ما تقول؟ قال: أقول كذا [وكذا][1].. قال: لا والله لا أدعو، ولكن شقىٰ الله عمر إن لم يغفر الله له[2].

قال[3]: وروىٰ المسور بن مخرمة: أن عمر لما طعن أغمي عليه طويلا، فقيل: إنكم لم توقظوه بشيء مثل الصلاة إن كانت به حياة.. فقالوا: الصلاة يا أمير المؤمنين الصلاة [فقد صليت، فانتبه فقال: الصلاة لاها الله لا أتركها لاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاة][4] فصلىٰ وإن جرحه لينبعث دما.

قال[5]: وروىٰ المسور بن مخرمة أيضا، قال: لما طعن عمر جعل يألم ويجزع، فقال له ابن عباس: ولا وكل ذٰلك يا أمير المؤمنين، لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، وصحبت أبا بكر وأحسنت صحبته، وفارقك وهو عنك راض، ثم صحبت المسلمين فأحسنت إليهم، وفارقتهم وهم عنك راضون.

قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ وأبي بكر فذلك مما من الله به عليّ، وأما ما ترىٰ من جزعي فوالله لو أن لي بما في الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه.

وفي رواية: لافتديت به من هول المطلع[6].

[وفي رواية: المغرور من غررتموه! لو أن لي ما علىٰ ظهرها من صفراء وبيضاء لافتديت به من هول المطلع][7]

وفي رواية أخرىٰ: في الامارة علي تثني يا ابن عباس.. قلت: وفي غيرها.. قال: والذي نفسي بيده لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها لا حرج ولا وزر.

وفي رواية: لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من كرب ساعة ـ يعني الموت ـ كيف ولم أرد الناس بعد.

---

(١) من المصدر. (٢) الأدب المفرد (ص٢٨٨).
(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٩١).
(٤) من المصدر.
(٥) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٩١).
(٦) المستدرك (ج٣، ص٩٢).
(٧) من المصدر.

وفي رواية: لو أن لي الدنيا وما فيها لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن أعلم ما الخبر.

قال ابن عباس: فسمعنا صوت أم كلثوم: وا عمراه، وكان معها نسوة يبكين، فارتج البيت بكاء، فقال عمر: ويلام عمر إن الله لم يغفر له.. فقلت: والله إني لأرجو ألا تراها إلا مقدار ما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[1] إن كنت ما علمنا لأمير المؤمنين وسيد المسلمين تقضىٰ بالكتاب وتقسم بالسوية.

فأعجبه قولي، فاستوىٰ جالسا، فقال: أتشهد لي بهٰذا يا ابن عباس؟ فكععت - أي جبنت- فضرب عليعليه السلام بين كتفي، وقال: أشهد.

وفي رواية لم تجزع يا أمير المؤمنين؟ فوالله لقد كان إسلامك عزا، وإمارتك فتحا، ولقد ملأت الأرض عدلا.. فقال: أتشهد لي بذلك يا ابن عباس؟ قال: فكأنه كره الشهادة فتوقف، فقال له عليعليه السلام قل: (نعم وأنا معك).. فقال: نعم.

وفي رواية أنه قال: مسست جلده وهو ملقىٰ، فقلت: جلد لا تمسه النار أبدا.. فنظر إلي نظرة جعلت أرثي له منها.. قال: وما علمك بذلك؟ قلت: صحبت رسول اللهصلى الله عليه وآله فأحسنت صحبته.. الحديث، فقال: لو أن لي ما في الأرض لافتديت به من عذاب الله قبل أن ألقاه أو أراه.

وفي رواية قال: فأنكرنا الصوت وإذا عبدالرحمن بن عوف، وقيل: طعن أمير المؤمنين، فانصرف الناس وهو في دمه متشمر[2] لم يصل الفجر بعد، فقيل: يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة.. فرفع رأسه وقال: لا ها الله، إذن لا حظ لامرئ في الإسلام ضيع صلاته.. ثم وثب ليقوم، فانبعث جرحه دما، فقال: هاتوا لي عمامة.. فعصب بها جرحه، ثم صلىٰ وذكر تمام الحديث، ثم التفت إلىٰ ابنه عبدالله، وقال: ضع خدي إلى الأرض يا عبدالله.. قال عبدالله: فلم أعج بها، وظننت أنها اختلاس من عقله، فقالها مرة أخرىٰ: ضع خدي إلىٰ الأرض يا بني فلم أفعل، فقال الثالثة: ضع خدي إلىٰ الأرض لا أم لك، فعرفت أنه مجتمع العقل ولم يمنعه أن يضعه هو إلا ما به من الغلبة، فوضعت خده إلىٰ الأرض حتىٰ نظرت إلىٰ أطراف شعر لحيته خارجة من أضعاف التراب، وبكىٰ حتىٰ

---

(١) الآية ٧١ من سورة مريم.

(٢) في المصدر: مسجى.

نظرت إلىٰ الطين قد لصق بعينه، فأصغيت أذني لأسمع ما يقول، فسمعته يقول: يا ويل عمر وويل أم عمر إن لم يتجاوز الله عنه.

وقد جاء في رواية أن علياً عليه السلام جاء حتىٰ وقف عليه، فقال: ما أحد أحب إلي أن ألقىٰ الله بصحيفة هٰذا المسجىٰ[١].

وروي عن حفصة أم المؤمنين، قالت: سمعت أبي يقول في [دعائه][٢]: اللهم قتلا في سبيلك ووفاة في بلد نبيك.. قلت: وأنىٰ يكون هذا؟ قال: يأتي به الله إذا شاء.

ويروىٰ: أن كعبا كان يقول له: نجدك في كتبنا تموت شهيدا، فيقول: كيف لي بالشهادة وأنا في جزيرة العرب.

ورویٰ المقدام بن معد يكرب، قال: لما أصيب عمر دخلت عليه حفصة ابنته، فنادت[٣]: يا صاحب رسول الله، ويا صهر رسول الله، ويا أمير المؤمنين.. فقال لابنه عبدالله: أجلسني فلا صبر لي علىٰ ما أسمع.. فأسنده إلىٰ صدره، فقال لها: إني أحرج عليك بما لي عليك من الحق أن تندبيني عينك، فلن أملكها[٤]، إنه ليس من ميت يندب عليه بما ليس فيه إلا الملائكة تمقته[٥].

قال[٦]: ورویٰ الأحنف، قال: سمعت عمر يقول: إن قريشا رؤوس الناس، ليس أحد منهم يدخل من باب إلا دخل معه طائفة من الناس.. فلما أصيب عمر أمر صهيبا أن يصلي بالناس ثلاثة أيام ويطعمهم، حتىٰ يجتمعوا علىٰ رجل، فلما وضعت الموائد كف الناس عن الطعام، فقال العباس بن عبدالمطلب: أيها الناس؛ إن رسول الله صلى الله عليه وآله مات فأكلنا بعده، ومات أبو بكر فأكلنا بعده، وإنه لا بد للناس من الأكل.. ثم مد يده فأكل من الطعام، فعرفت قول عمر[٧].

ويروي كثير من الناس الشعر المذكور في الحماسة، ويزعم أن هاتفا من الجن هتف به، وهو:

جزيت عن الاسلام خيرا وباركت
يد الله في ذاك الأديم الممزق

(١) في المصدر: بصحيفته من هٰذا المسجى. (٢) من المصدر.

(٣) أو: فقالت. (٤) في مصدر: أن تندبيني بعد مجلسك هٰذا فأما عينك فلن أملكها.

(٥) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (ص٩٥). (٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٩٤). (٧) الطبقات الكبرى (ج٤، ص٣٠).

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة
ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها
بوائق[١] في أكمامها لم تفتق
أبعد قتيل بالمدينة أظلمت
له الأرض تهتز العضاة[٢] بأسوق
وما كنت أخشى أن تكون وفاته
بكفي سبنتي[٣] أزرق العين مطرق[٤]

وقال[٥]: في حديث عمر، قال عند موته: لو أن لي ما في الأرض لافتديت به من هول المطلع.

قال في الشرح[٦]: فقال أبو عبيد: هو موضع الاطلاع من إشراف إلىٰ انحدار، أو: من انحدار إلىٰ أشراف، وهو من الأضداد، فشبه ما أشرف عليه من أمر الآخرة بذلك.

المطلب الثالث ما ذكره ابن أبي الحديد في عثمان بن عفان

◘ [أبواب المطلب الثالث]:

وفيه تسعة عشر بابا:

(١) دواهي.
(٢) في المصدر: العضاد (أي: الشجر).
(٣) أي: النمر، أو من يشبهه في الجرأة (الصحاح: ج١، ص٢٥١).
(٤) ديوان الحماسة (بشرح المرزوقي: ج٣، ص١٠٩٠).
(٥) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٢٥).
(٦) شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٢٥).

· **الباب الأول**: في نسبه ونبذة من مطاعنه.

· **الباب الثاني**: إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يتربص بعثمان الدوائر ولما أحدث في الدين ما أحدث.

· **الباب الثالث**: في عداوة عثمان لأمير المؤمنين عليه السلام وعدو علي [عليه السلام] عدو رسول الله صلى الله عليه وآله.

· **الباب الرابع**: في غصب عثمان أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة مع علمه بأنه عليه السلام ولي الأمر، واقراره بذلك وايذاؤه، وإنه حمال الخطايا، وما ينساق إلىٰ ذلك من عداوته له.

· **الباب الخامس**: في مبايعة علي عليه السلام كرها، إذ لم يجد أعوانا عليه، وعفوه عن الهرمزان ظلما، وما قاله أبو سفيان عند بيعة الناس له، وإنكار المقداد وعمار.

· **الباب السادس**: في مطاعن عثمان وأحداثه، وهي إحدىٰ عشرة المسببة لقتله، التي ذكرها عبدالجبار قاضي القضاة في المغني، وما ذكره السيد المرتضىٰ في الشافي في الرد عليه.

· **الباب السابع**: في نفيه أبا ذر، وإيذاه له، وتكذيبه أبا ذر، وقد صدقه رسول الله صلى الله عليه وآله.

· **الباب الثامن**: إنه آوىٰ الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وآله.

· **الباب التاسع**: في إحداثه الموجبة لقتله.

· **الباب العاشر**: في اعتراف عثمان بمظالم العباد، وهو من الأحداث التي نقمت عليه.

· **الباب الحادي عشر**: في إحراق عثمان المصاحف.

· **الباب الثاني عشر**: في مدح أمير المؤمنين عليه السلام المصريين من حزب قتلة عثمان، وقوله عليه السلام إنهم غضبوا لله تعالىٰ، وشهادته عليه السلام بعصيان عثمان، وإتيانه المنكر، ووصفه عليه السلام المصريين بصفات الصالحين.

· **الباب الثالث عشر**: تحلية عثمان بناته بحلي بيت المال.

· **الباب الرابع عشر**: إن عثمان حمال الخطايا [إلىٰ يوم القيامة].

• الباب الخامس عشر: في أمر عائشة بقتل عثمان، وإعانة طلحة، وخذلان زيد بن ثابت، مع اعطائه ما أعطاه وخذلانه بن عمر له.

• الباب السادس عشر: في أن قتل عثمان مباح عند أمير المؤمنين عليه السلام.

• الباب السابع عشر: في القطايع وغيرها التي ردها أمير المؤمنين عليه السلام من أحداث عثمان.

• الباب الثامن عشر: في ذم أمير المؤمنين عليه السلام أبا بكر وعمر وعثمان.

• الباب التاسع عشر: في المفردات.

الباب الأول

في نسبه ونبذة من مطاعنه

قال ابن أبي الحديد[1]: [وثالث القوم][2] هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف.

كنيته: أبو عمرو.

وأمه: أروىٰ بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس.

بايعه الناس بعد انقضاء الشورىٰ واستقرار الأمر له، وصحت فيه فراسة عمر، فإنه أوطأ بني أمية رقاب الناس، وولاهم الولايات، وأقطعهم القطائع، وافتتحت أرمينية[3] في أيامه، فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان، فقال عبدالرحمن بن جنيد[4] الجمحي[5] شعرا:

أحلف بالله رب الأنام ما ترك الله شيئا[6] سدىٰ

ولكن خلقت لنا فتنة لكي نبتلي بك أو تبتلىٰ

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٩٨). (٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: أفريقية.

(٤) في المصدر: حنبل.

(٥) صحابي أصله من اليمن، ولد في مكة المكرمة، واشتهر بأنه شاعر هجاء، توفي سنة ٣٧ للهجرة.

(٦) أو: أمرا.

فـــإن الأمـــيـــنـــين قـــد بـيـنـا
مـــنـــار الــطـــريـــق عــلـــيـــه الهـــدىٰ
فـــا أخـــــــذا درهمـــــا غـــيـــلة
ولا جـــعـــلا درهمـــا في هـــوىٰ[1]
وأعـــطـــيـــت مـــروان خمـــس الـــبـــلاد
فـهـــيـهـــات ســـعـــيـــك[2] ممـــن سـعىٰ

الأمينان: أبو بكر وعمر رضي الله عنه[3].

وطلب منه عبدالله بن خالد بن أسيد صلة، فأعطاه أربعمائة ألف درهم[4].

وأعاد الحكم بن أبي العاص بعد أن كان رسول الله ﷺ قد سيره، ثم لم يرده أبو بكر ولا عمر، وأعطاه مائة ألف درهم[5].

وتصدق رسول الله ﷺ بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهروز[6] علىٰ المسلمين، فأقتطعها[7] عثمان الحارث[8] بن الحكم أخا مروان بن الحكم[9].

وأقطع مروان فدك، وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها ﷺ[10] تارة بالميراث، وتارة بالنحلة[11]، فدفعت عنها[12].

وحمىٰ المراعي حول المدينة كلها من مواشي المسلمين كلهم إلا عن بني أمية[13].

وأعطىٰ عبدالله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح أفريقية بالمغرب، وهي من طرابلس العرب[14] إلىٰ طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين[15].

---

(١) أو: الهوى. (٢) أو: شأوك.
(٣) ليست في المصدر. (٤) العقد الفريد (ج٢، ص٢٦١).
(٥) أسد الغابة (ج٢، ص٣٣). (٦) في المصدر: بمهزور.
(٧) في المصدر: فأقطعه. (٨) في المصدر: الحرث.
(٩) العقد الفريد (ج٤، ص٢٨٣).
(١٠) في المصدر: صلوات الله عليه.
(١١) بالعطية.
(١٢) الملل والنحل (ج١، ص١٩).
(١٣) السيرة الحلبية (ج٢، ص٨٧).
(١٤) في المصدر: الغرب.
(١٥) تاريخ الذهبي (ج٢، ص٧٩).

وأعطىٰ أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال، وقد كان زوجه ابنته أم أبان، فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان وبكىٰ، فقال عثمان: أتبكي إن وصلت رحمي.. قال: لا، ولكن أبكي لأني أظنك أنك أخذت هٰذا المال عوضا عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول اللهﷺ، والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيرا، فقال: ألق المفاتيح يا ابن أرقم فإنا سنجد غيرك[1].

فأتاه[2] أبو موسىٰ بأموال من العراق جليلة، فقسمها كلها في بني أمية، وأنكح الحارث ابن الحكم ابنته عائشة، فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضا بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه[3].

وانظم إلىٰ هٰذه الأمور أمور أخرىٰ نقمها عليه المسلمون، كـ:

· تسيير أبي ذر [رحمه الله تعالىٰ][4] إلىٰ الربذة[5]، و:

· ضرب عبدالله بن مسعود حتىٰ كسر أضلاعه[6]، و:

· ما أظهر من الحجاب والعدول عن طريقة عمر في إقامة الحدود، ورد المظالم، وكف الأيدي العادية والانتصاب لسياسة الرعية، وختم ذٰلك ما وجدوه من كتابه إلىٰ معاوية يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين[7]، وفي نسخة معاوية يدل عامله.

فاجتمع[8] عليه كثير من أهل المدينة مع القوم الذين وصلوا من مصر لتعديد أحداثه عليه فقتلوه.

وقد أجاب أصحابنا عن المطاعن في عثمان بأجوبة مشهورة مذكورة في كتبهم.

---

(١) السيرة الحلبية (ج٢، ص٨٧).

(٢) في المصدر: وأتاه.

(٣) أنساب الأشراف (ج٥، ص٥٢).

(٤) من المصدر.

(٥) مروج الذهب (ج٢، ص٣٣٩).

(٦) تاريخ اليعقوبي (ج٢، ص١٤٧).

(٧) الكامل في التاريخ (ج٣، ص٨٥).

(٨) في المصدر: واجتمع.

والذي نقول [نحن][١]: إنها وإن كانت أحداثا، إلا أنها لم تبلغ المبلغ الذي يستباح به دمه، وقد كان الواجب عليهم أن يخلعوه من الخلافة حيث لم يستصلحوه لها، ولا يعجلوا بقتله، وأمير المؤمنين عليه السلام أبرأ الناس من دمه، وقد صرح بذلك في كثير من كلامه، من ذلك قوله عليه السلام: **«والله ما قتلت عثمان ولا مالأت علىٰ قتله»**[٢] وصدق (صلوات الله عليه).

أقول: روىٰ ابن أبي الحديد في الباب الثالث (كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ) إن عثمان لو خلع من الخلافة ولم يقتل وقع فساد عظيم، ولم يرفع مادة الفساد إلا قتله.

الباب الثاني

أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يتربص لعثمان الدوائر لما أحدث في الدين ما أحدث

ابن أبي الحديد قال[٣]: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة: **«قد طلع طالع، ولمع لامع، ولاح لائح، واعتدل مائل، واستبدل الله بقوم قوما، وبيوم يوما، وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر، وإنما الأئمة قوام الله علىٰ خلقه، وعرفاؤه علىٰ عباده، ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه، وإن الله [تعالىٰ][٤] خصكم بالإسلام، واستخلصكم له، وذلك لأنه اسم سلامة وجماع كرامة، اصطفىٰ الله تعالىٰ منهجه، وبين حججه، من ظاهر علم، وباطن حكم، لا تفنىٰ عزائمه[٥]، ولا تنقضي عجائبه، فيه مرابيع النعم، ومصابيح الظلم، لا تفتح الخيرات إلا بمفاتيحه، ولا تكشف الظلمات إلا بمصباحه[٦]، قد أحمىٰ حماه، وأرعىٰ مرعاه، فيه شفاء المشتفي، وكفاية المكتفي»**[٧].

---

(١) من المصدر.

(٢) تاريخ المدينة المنورة (ج٤، ص١٢٥٩).

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص١٥٢).

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: غرائبه.

(٦) في المصدر: بمصابيحه.

(٧) نهج البلاغة (ج٢، ص٤٠).

قال[1] في الشرح[2]: هٰذه خطبة خطب بها[عليه السلام] بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة إليه.

«**قد طلع طالع**» يعني: عود الخلافة إليه، وكذلك قوله[عليه السلام]: «**ولمع لامع، ولاح لائح**» كل هٰذا يراد به معنىٰ واحد.

«**واعتدل مائل**»: إشارة إلىٰ ما كانت الأمور عليه من الاعوجاج في أواخر أيام عثمان، واستبدل الله بعثمان وشيعته عليا[عليه السلام] وشيعته، وبأيام ذلك[3] أيام هذا.

ثم قال[عليه السلام]: «**وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر**»، وهٰذا الكلام يدل علىٰ أنه قد كان يتربص بعثمان الدوائر، ويرتقب حلول الخطوب بساحته، ليلي الخلافة.

فإن قلت: أليس هو الذي طلق الدنيا، فأين هٰذا القول من طلاقها؟

قلت: إنه طلق الدنيا أن يقبل[4] منها حظا دنيونيا، ولم يطلقها، أن ينهىٰ [فيها][5] عن المنكرات التي أمر[6] الله تعالىٰ بالنهي عنها، ويقيم فيها الدين الذي أمره [الله][7] بإقامته، ولا سبيل له إلىٰ النهي عن المنكر والأمر بالمعروف إلا بولاية الخلافة.

فإن قلت: أيجوز علىٰ مذهب المعتزلة أن يقال: إنه عليه السلام كان ينتظر قتل عثمان، انتظار المجذب المطر، وهل هٰذا إلا محض مذهب الشيعة.

قلت: إنه عليه السلام لم يقل: (وانتظرنا قتله) وإنما قال: انتظرنا[8] الغير، فيجوز أن يكون أراد انتظار خلعه وعزله عن الخلافة، فإن عليا عليه السلام عند أصحابنا كان يذهب إلىٰ أن عثمان استحق الخلع بإحداثه، ولم يستحق القتل، وهٰذا الكلام إذا حمل علىٰ انتظار الخلع كان موافقا لمذهب أصحابنا.

---

(١) ابن أبي الحديد.

(٢) شرح نهج البلاغة (ج٩، ص١٥٣).

(٣) في المصدر: ذاك.

(٤) أو: ينال.

(٥) من المصدر.

(٦) في المصدر: أمره.

(٧) من المصدر.

(٨) في المصدر: انتظر.

فإن قلت: أتقول المعتزلة أن عليا[عليه السلام] كان يذهب إلىٰ فسق عثمان المستوجب لأجله الخلع؟

قلت: كلا، حاش لله أن تقول المعتزلة ذلك، وإنما تقول إن علياعليه السلام كان يرىٰ أن عثمان يضعف عن تدبير الخلافة، وأن أهله غلبوا عليه، واستبدوا بالأمر دونه، واستعجزه المسلمون، واستسقطوا رأيه، فصار حكمه حكم الإمام إذا عمي، أو أسره العدو، فإنه ينخلع من الإمامة.

ثم قال عليه السلام: «**[الأئمة]**[1] **قوام الله علىٰ خلقه**» أي: يقومون بمصالحهم، وقيم المنزل: هو المدبر له.

قال[عليه السلام]: «**وعرفاؤه علىٰ عباده**» جمع عريف، وهو النقيب والرئيس، يقال: عرف فلان بالضم عرافة بالفتح، مثل خطب خطابة، أي: صار عريفا، وإذا أردت أن أعمل ذلك، قلت: عرف فلان علينا سنين، يعرف عرافة بالكسر، مثل كتب يكتب كتابة.

قال[عليه السلام]: «**ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه**»، هٰذا إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾[2]، قال المفسرون: ينادىٰ في الموقف: يا أتباع فلان، ويا أصحاب فلان، فينادي كل قوم باسم إمامهم، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا يدخل الجنة يومئذ إلا من كان في الدنيا عارفا بإمامه، ومن يعرف إمامه في الآخرة فإن الأئمة تعرف أتباعها يوم القيامة، وإن لم يكونوا رأوهم في الدنيا، كما أن النبي صلى الله عليه وآله يشهد للمسلمين وعليهم، وإن لم يكن رأىٰ أكثرهم، قال سبحانه: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾[3] وجاء في الخبر المرفوع: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»**[4]، وأصحابنا كافة قائلون بصحة هٰذه القضية، وهي: أنه لا يدخل الجنة إلا من عرف الأئمة، ألا ترىٰ أنهم يقولون: الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فلان وفلان، ويعدونهم واحدا واحدا، فلو أن إناسا لا يقول بذلك لكان عندهم فاسقا، والفاسق لا يدخل الجنة عندهم أبدا، أعني: من مات علىٰ فسقه، فقد ثبت أن هٰذه القضية، وهي قوله عليه السلام: «**لا يدخل الجنة إلا من عرفهم**»، قضية صحيحة علىٰ

---

(١) من المصدر. (٢) الآية ٧١ من سورة الأسراء.

(٣) الآية ٤١ من سورة النساء.

(٤) مسند أحمد (ج٤، ص٩٦).

مذهب المعتزلة، وليس بقوله[عليه السلام]: «وعرفوه» بمنكر عند أصحابنا، إذا فسرنا قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ﴾[1] علىٰ ما هو الأظهر والأشهر من التفسيرات، وهو ما ذكرناه.

وبقيت القضية الثانية، ففيها الاشكال، وهي قوله عليه السلام: «**ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه**»، وذلك أن لقائل أن يقول: قد يدخل النار من لم ينكرهم، مثل أن يكون إنسان يعتقد صحة القوم الذين يذهب أنهم أئمة المعتزلة، ثم يزني ويشرب الخمر من غير توبة، فإنه يدخل النار، وليس بمنكر للأئمة فكيف يمكن الجمع بين هٰذه القضية وبين الاعتزال؟

فالجواب: إن الواو في قوله[عليه السلام] «**وأنكروه**» بمعنىٰ: أو، كقوله تعالىٰ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[2]، فالإنسان المفروض في السؤال وأن لا ينكر الأئمة إلا أنهم ينكرونه، أي: يسخطون يوم القيامة أفعاله، يقال: أنكرت فعل فلان؛ أي: كرهته، فهٰذا هو تأويل الكلام علىٰ مذهبنا، فأما الإمامية فإنهم يحملون ذٰلك علىٰ تأويل آخر، ويفسرون قوله[عليه السلام]: «**ولا يدخل النار**» فيقولون: أراد ولا يدخل النار دخولا إلا من ينكرهم وينكرونه.

ثم ذكر عليه السلام شرف الاسلام، وقال: إنه مشتق من السلامة، وإنه جامع للكرامة، وإن الله قد بين حججه، أي: الأدلة علىٰ صحته.

ثم بين ما هٰذه الأدلة، فقال: هو[3] «**ظاهر علم، وباطن حكم**» أي: حكمة فـ«**من**» ها هنا للتبيين والتفسير، كما تقول: دفعت إليه سلاحا من سيف ورمح وسهم، ويعني[عليه السلام] بـ«**ظاهر علم، وباطن حكم**»: القرآن، ألا تراه كيف أتىٰ بعده بصفات ونعوت لا يكون إلا للقرآن، من قوله[عليه السلام]: «**لا تفنىٰ عزائمه**»، أي: آياته المحكمة، «**وبراهينه العازمة**» أي: القاطعة، «**ولا تنقضي عجائبه**» لأنه مهما تأمله الإنسان أخرج بفكره غرائب وعجائب لم تكن عنده من قبل.

«**فيه مرابيع النعم**»؛ (الرابع): الأمطار التي تجي في أول الربيع، فيكون[4] سببا لظهور الكلأ، وكذلك المتدبر[5] القرآن سبب للنعم الدينية وحصولها.

---

(١) الآية ٧١ من سورة الاسراء. (٢) الآية الثالثة من سورة النساء.

(٣) في المصدر: من.

(٤) في المصدر: فتكون.

(٥) في المصدر: تدبر.

قوله[عليه السلام]: «قد أحمىٰ حماه، وراعىٰ[(١)] ترعاه« الضمير في »أحمىٰ» يرجع إلىٰ الله تعالىٰ، أي: قد أحمىٰ الله حماه، أي: عرضه لأن يحمىٰ، كما تقول: أقتلت الرجل، أي: عرضته لأن يقتل، وأضربته؛ أي: عرضته لأن يضرب، أي: قد عرض الله تعالىٰ [حمىٰ][(٢)] القرآن ومحارمه، لأن تجتنب[(٣)] ومكن منها، في[(٤)] عرض مراعاة [لأن يرعىٰ][(٥)]، أي: مكن من الانتفاع بما فيه من الزواجر والمواعظ، لأنه خاطبنا بلسان عربي مبين، ولم يقتنع[(٦)] ببيان ما لا يعلم[(٧)] إلا بالشرع، حتىٰ نبه في كثير[(٨)] علىٰ أدلة العقل.

أقول: لا يخفىٰ ضعف جواب ابن أبي الحديد عن مطاعن عثمان في هٰذا الباب، وكيف تجامع العدالة مع من خالف الله تعالىٰ ورسوله[صلى الله عليه وآله]، وكيف لا يعتقد أمير المؤمنين عليه السلام فسقه بل كفره، لأن الراد علىٰ الله ورسوله صلى الله عليه وآله والمخالف لهما والمغير لأحكامهما كافر بالله العظيم.

الباب الثالث

في عداوة عثمان لأمير المؤمنين عليه السلام وعدو علي عدو رسول الله صلى الله عليه وآله

ابن أبي الحديد قال[(٩)]: ذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ في الكتاب الذي أورد فيه المعاذير عن أحداث عثمان: أن عليا[عليه السلام] اشتكىٰ، فعاده عثمان من شكاته[(١٠)]، فقال علي عليه السلام:

«وعائدة تعود لغير ود
تود لو أن ذا دنف[(١١)] يموت»

(١) في المصدر: أرعى.
(٢) من المصدر.
(٣) في المصدر: يجتنب.
(٤) في المصدر: و.
(٥) من المصدر.
(٦) في المصدر: يقنع.
(٧) في المصدر: نعلم.
(٨) في المصدر: أكثره.
(٩) في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص٢٢).
(١٠) في المصدر: شكايته.
(١١) الدنف: المرض المخامر الملازم (ج٨ ص٤٨).

فقال عثمان: والله مـا أدري أحياتك أحب إلي أم موتـك؟ إن مت هاضني[١] فقدك، وإن حييت قستني[٢] حياتك، لا أعـدم ما بقيت ظاعنا[٣] ستجد[٤] رديئة يلجأ إليها.

فقـال علـي عليه السلام: «**ما الذي جعلني رديئة الظاعنين[٥] الهايبين[٦]، إنما سوء ظنك في[٧] خلقي[٨] من قلبك هٰذا المحل، فإن كنت تخاف جانبي فلك علي عهد الله وميثاقه إنه لا بأس عليك مني أبدا، ما بل بحر صوفة، وأني لك لراع، وإني عنك[٩] لمحامي، ولكن لا ينفعني ذٰلك عندك، وأما قولك: إن فقدي يهيضك، فكلا أن تهاض لفقدي ما بقي لك الوليد بن[١٠] مروان**».. فقام عثمان فخرج.

وقـد روي[١١]: إن عثمـان هـو الـذي أنشـد هٰذا البيـت، وقـد اشـتكىٰ فعاده علي عليه السلام، فقال عثمان:

وعـــايـــدة تـــعـــود لـــغـــيـــر[١٢] نـصـح
تـــــود لـــــو أن ذا دنـــــف تمـــــوت

وقال: وروىٰ أبو سعيد الآبي في كتابه[١٣]: أن ابن عباس رضي الله عنه قال: وقع بين عثمان وعلي عليه السلام كلام كثير، فقال عثمان: ما أصنـع إن كانت قريش لا تحبكم، وقد قتلتم منهم يوم بدر سبعين، كان وجوهم [شنوف[١٤]][١٥] الذهب، يسرع أنفهم قبل شفاقهم[١٦].

---

(١) كسرني وأوجعني (الصحاح: ج٣، ص١١١٣). (٢) في المصدر: فتنتني.
(٣) في المصدر: طاعنا. (٤) في المصدرك يتخذك.
(٥) في المصدر: للطاعنين.
(٦) في المصدر: العائبين.
(٧) في المصدر: بي.
(٨) في المصدر أحلني.
(٩) في المصدر: منك.
(١٠) في المصدر: و.
(١١) كما في تاريخ المدينة (ج٣، ص١٠٤٧).
(١٢) في المصدر: بغير.
(١٣) نثر الدرر في المحاضرات (ص٢٥٩).
(١٤) ما يعلق في الاذن (القاموس المحيط: ج٣، ص١٦٠).
(١٥) من المصدر.
(١٦) في المصدر: شفاههم.

وقال: وروىٰ المذكور[١]: أن عثمان لما نقم الناس عليه ما نقموا، قام متوكيا[٢] علىٰ مروان، فخطب الناس، فقال: إن لكل أمة آفة، ولكل نعمة عاهة، وإن آفة هٰذه الأمة وعاهة هٰذه النعمة قوم عاتون[٣] طعانون، يظهرون لكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون، طغام[٤] مثل النعام، ويتبعون أول ناعق، ولقد نقموا علىٰ ما نقموا علىٰ عمر مثله، فقمعهم ووقهم[٥]، وإني لأقرب ناصرا وأعز نفرا، فمالي لا أفعل في فضول الأموال ما أشاء.

وقال[٦]: وروىٰ المذكور أيضا: أن علياعليه السلام اشتكا فعاده عثمان، فقال: ما أراك أصبحت إلا معتلا[٧].. قال[عليه السلام]: «**أجل**».. قال: والله ما أدري أموتك أحب إلي أم حياتك، إني لأحب موتك وأكره أن أعيش بعدك، فلو شئت لجعلت لنا من نفسك مخرجا، إما صديقا متسالما، وإما عدوا مقاليا، ولأنك لكما قال أخو أياد[٨]:

جرت لما بيننا خيل[٩] الشموس فلا
يأسا مبينا نرىٰ منها ولا طمعا

فقال عليعليه السلام: «**ليس لك عندي ما تخافه، وإن أجبك[١٠] لم أجبك إلا بما نكرهه[١١]**».

وكتب عثمان إلىٰ عليعليه السلام حين أحيط به: أما بعد.. فقد جاوز الماء الزبا، وبلغ الحزام البطين[١٢]، وتجاوز الأمر في[١٣] قدره، فطمع في من لا يدفع عن نفسه.

---

(١) أبو سعيد (أو: سعد) زين الكفاة منصور بن الحسين الآبي. (٢) أو: متوكئا.
(٣) أو: عيابون.
(٤) أوغاد وأراذل (الصحاح: ج٥، ص١٩٧٥).
(٥) في المصدر: وقمهم.
(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص٢٣).
(٧) في المصدر: إلا ثقيلا.
(٨) لقيط بن يعمر.
(٩) في المصدر: حبل.
(١٠) في المصدر: أجبتك.
(١١) في المصدر: تكرهه.
(١٢) في المصدر: الطبيين.
(١٣) في المصدر: بي.

فـإن كـنـت مـأكـولا فـكـن خـيـر آكل
وإلا فـأدركـنـي ولمـا أمـزق[1]».

وروى الزبير: خير العيادة على وجه آخر.. قال: مرض علي عليه السلام، فعاده عثمان ومعه مروان بن الحكم، فجعل عثمان يسأل عن حاله، وعلي[عليه السلام] ساكت لا يجيبه، فقال عثمان: لقد أصبحت يا أبا الحسن مني بمنزلة الولد العاق لأبيه، إن عاش عقه، وإن مات فجعه، فلو جعلت لنا من أمرك فرجا، إما عدوا أو صديقا، ولم تجعلنا بين السماء والماء، أما والله لأنا خير لك من فلان وفلان، وإن قتلت لا تجد مثلي.. فقال مروان: أما والله لا يرام ما ورانا حتى نتواصل سيوفنا، وتقطع أرحامنا.. فالتفت إليه عثمان، فقال: اسكت لأسكت، وما يدخلك فيما بيننا.

وروى شيخنا أبو عثمان الجاحظ، عن زيد بن أرقم، قال: سمعت عثمان وهو يقول لعلي عليه السلام: أنكرت علي استعمال معاوية وأنت تعلم أن عمر استعمله، نشدتك الله ألا تعلم هذا.. فقال علي[عليه السلام]: «**نشدتك الله ألا تعلم أن معاوية كان أطوع لعمر من رفا[2] غلامه، إن عمر [كان][3] إذا استعمل عاملا وطئ على صماخه[4]، وإن القوم ركبوك وغلبوك، واستبدلوا بالأمور دونك**»، فسكت عثمان[5].

قلت: حدثني جعفر بن مكي الحاجب رضي الله عنه، قال: سألت محمد بن سليمان حاجب الحجاب رضي الله عنه، وقد رأيت أنا محمد هذا، وكانت لي به معرفة غير مستحكمة، وكان طريفا[6] أديبا، وقد اشتغل بالرياضيات من الفلسفة، ولم يكن يتعصب لمذهب بعينه، قال جعفر: سألت عما عنده في أمر علي[عليه السلام] وعثمان، فقال: هذه عداوة قديمة النسب بين بيني عبدشمس وبين بني هاشم، وقد كان حرب بني أمية نافر عبدالمطلب بن هاشم، وكان أبو سفيان يحسد محمدا صلى الله عليه وآله، وحاربه، ولم يزل[7] البيتان[8] متباغضين[9] وإن جمعتهما النافية.

---

(١) في الكامل للمبرد (ج١، ص١٧) البيت للممزق العبدي. (٢) في المصدر: يرفأ.
(٣) من المصدر. (٤) الصماخ - بالكسر-: خرق الأذن الباطن الماضي إلى الرأس، وهنا المراد: تغلبون على أمره. (٥) كذلك الخبر في تاريخ الطبري (ج٣، ص٣٧٧).
(٦) في المصدر: ظريفا.
(٧) في المصدر: تزل.
(٨) في المصدر: الثنتان.
(٩) في المصدر: متباغضتين.

ثم إن رسول الله ﷺ زوج عليا[عليه السلام] بابنته، وزوج عثمان بابنته الأخرىٰ[١]، فكان[٢] اختصاص رسول الله ﷺ لفاطمة[عليها السلام] أكثر من اختصاص[٣] البنت[٤] الأخرىٰ، والثانية[٥] التي تزوجها عثمان بعد وفاة الأولىٰ، واختصاصه أيضا لعلي[عليه السلام]، وزيادة قربه منه، وامتزاجه به، واستخلاصه إياه لنفسه، أكثر وأعظم من اختصاصه لعثمان، فنفس عثمان ذٰلك عليه، فتباعد ما بين قلبيهما، وزاد في التباعد ما عساه يكون بين الأختين من مباغضة، أو مشاجرة، أو كلام ينقل من أحديهما إلىٰ الأخرىٰ، فيتكدر قلبها علىٰ أختها، ويكون ذٰلك التكدر[٦] سببا لتكدر[٧] ما بين البعلين [أيضا][٨] كما نشاهده في عصرنا، وفي غيره من الأعصار، وقد قيل: ما قطع بين[٩] الأخوين كالزوجين.

ثم اتفق أن عليا عليه السلام قتل جماعة كثيرة من بني عبد شمس في حروب رسول الله ﷺ ، فتأكد الشنآن، وإذا استوحش صاحبه منه.

ثم مات رسول الله ﷺ، فصبا إلىٰ علي[عليه السلام] جماعة كثيرة[١٠] لم يكن عثمان منهم، ولا حضر في دار فاطمة[عليها السلام] مع من حضر من المخلفين عند البيعة، وكانت في نفس علي عليه السلام أمور من الخلافة لم يمكنه إظهارها في أيام أبي بكر وعمر، لقوته[١١] وشدته وانبساط يده ولسانه، علىٰ من عنده، (أدنىٰ موجب لذلك)[١٢]، فلما قتل عمر وجعل الأمر شورىٰ بين الستة، وعدل عبدالرحمن بها عن علي إلىٰ عثمان، لم يملك علىٰ نفسه، فأظهر ما كان كامنا، وأبدىٰ ما كان مستورا، ولم يزل الأمر يتزايد بينهما، حتىٰ سرف[١٣] وتفاقم، ومع

---

(١) أم كلثوم. (٢) في المصدر: وكان.
(٣) في المصدر: اختصاصه.
(٤) في المصدر للبنت.
(٥) في المصدر: وللثانية.
(٦) في المصدر: فيتكدر.
(٧) في المصدر: لتكدير.
(٨) من المصدر.
(٩) من المصدر.
(١٠) في المصدر: يسيرة.
(١١) في المصدر: لقوة عمر.
(١٢) غير موجودة في المصدر.
(١٣) في المصدر: شرف.

ذٰلك فلم يكن علي عليه السلام يكره من أمره إلا منكرا، ولا ينهاه إلا عما[1] تقتضي الشريعة نهيه، وكان عثمان مستضعفا في أمره[2]، رخوا قليل الحزم، واهي العقدة، وسلم عنانه إلىٰ مروان يصرفه كيف شاء، والخلافة[3] له في المعنىٰ ولعثمان [في][4] الاسم، فلما انتقض علىٰ عثمان أمره، استصرخ عليا[عليه السلام] ولاذ به، وألقىٰ زمام أمره إليه، فدافع عنه حيث لا ينفع الدفاع، ودب عنه حين لا يغني الدب، فقد كان الأمر فسد فسادا لا يرجىٰ صلاحه البتة.

قال جعفر: فقلت له: أتقول إن عليا[عليه السلام] وجد من خلافة عثمان أعظم مما وجده من خلافة أبي بكر وعمر؟ فقال: كيف يكون ذٰلك، وهو فرع لهما، ولو لا هما لم يصل إلىٰ الخلافة، ولا كان عثمان ممن يطمع فيها من قبل، ولا يخطر له ببال، ولكن ها هنا أمر يقتضي في عثمان زيادة المنافسة، وهو اجتماعهما في النسب، وكونهما من بني عبد مناف، والإنسان ينافس ابن عمه الأدنىٰ أكثر من منافسة الأبعد، ويهون عليه من الأبعد ما لا يهون عليه من الأقرب.

قال جعفر: فقلت له: أفتقول: لو أن عثمان خلع ولم يقتل، أكان يستقيم الأمر لعلي عليه السلام إذا بويع بعد خلعه؟ فقال: لا، وكيف يتوهم ذٰلك بل يكون انتقاض الأمور عليه وعثمان حي مخلوع أكثر من انتقاضها عليه بعد قتله، لأنه موجود يرجىٰ ويتوقع عوده، فإن كان محبوسا عظم البلاء والخطب، وهتف الناس باسمه في كل يوم، بل في كل ساعة، وإن كان مخلىٰ سربه، وممكنا من نفسه، وغير محول بينه وبين اختياره، لجأ إلىٰ بعض الأطراف، وذكر أنه مظلوم غصب[5] خلافته، وقهر علىٰ خلع نفسه، فكان اجتماع الناس عليه أعظم، والفتنة به أشد وأغلظ.

قال جعفر: فقلت له: فما تقول في هٰذا الاختلاف الواقع في أمر الإمامة من مبدأ الحال، وما الذي تظنه أصله ومنبعه؟ فقال: لا أعلم لهٰذا أصلا إلا أمرين:

---

(١) في المصدر: كما.

(٢) في المصدر: في نفسه.

(٣) في المصدر: فالخلافة.

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: غصبت.

ـ (**أحدهما**): أن رسول اللهﷺ أهمل أمر الإمامة فلم يصرح فيه بأحد بعينه، وإنما كان هناك رمز وإيماء، وكناية وتعريض، وأمور لو أراد صاحبه أن يحتج به وقت الاختلاف وحال المنازعة لم يقم منه صورة حجة تغني، ولا دلالة تحسب وتكفي، ولذلك لم يحتج عليعليه السلام يوم السقيفة بما ورد فيه، لأنه لم يكن نصا جليا يقطع العذر، ويوجب الحجة، وعادة الملوك إذا تمهد ملكهم، وأرادوا العقد لولد من أولادهم، أو ثقة من ثقاتهم، أن يصرحوا باسمه[١]، ويخطبوا باسمه علىٰ أعناق المنابر، وبين فواصل الخطب، ويكتبوا بذلك إلىٰ الآفاق البعيدة عنهم، [والأقطار النائبة منهم][٢]، ومن كان ذا سرير وحصن ومدن كثيرة، ضرب اسمه علىٰ صفحات الدنانير والدراهم مع اسم ذٰلك الملك، بحيث تزول الشبهة في أمره، ويسقط الارتياب بحاله، فليس أمر الخلافة بهين ولا صغير ليترك حتىٰ يصير في مظنة الاشتباه واللبس، ولعله كان لرسول اللهﷺ في ذٰلك عذر لا نعلمه نحن، إما خشية من فساد الأمر أو إرجاف المنافقين، وقولهم: إنها ليس بنبوة وإنما هي ملك به أوصىٰ لذريته وسلالته، ولما لم يكن أحد من تلك الذرية في تلك الحال صالحا للقيام بالأمر لصغر السن، جعله لأبيهم، ليكون في الحقيقة لزوجته التي هي ابنته ولأولاده منها من بعده.

وأما ما يقوله[٣] المعتزلة وغيرهم من أهل العدل: إن الله تعالىٰ علم أن المكلفين يكونون علىٰ ترك الأمر مهملا غير معين أقرب إلىٰ فعل الواجب وتجنب القبيح.. قال: ولعل رسول اللهﷺ لم يكن يعلم في مرضه أنه يموت في ذٰلك المرض، وكان يرجو البقاء فيمهد للإمامة قاعدة واحدة[٤] ومما يدل علىٰ ذٰلك أنه لما نوزع في إحضار الدواة والكتف ليكتب لهم ما لا يضلون بعده، غضب وقال: «**اخرجوا عني**»، لم يجمعهم بعد الغضب ثانية ويعرفهم رشدهم ويهديهم إلىٰ مصالحهم، بل أرجأ الأمر إرجاء من يرتقب الإفاقة وينتظر العافية.

(١) في المصدر: بذكره.
(٢) من المصدر.
(٣) في المصدر: ما تقوله.
(٤) في المصدر: واضحة.

قال: فبتلك الأقوال المحجمة، والكنايات المحتملة، والرموز المشتبهة، مثل حديث خصف النعل(١)، ومنزلة هارون من موسىٰ(٢)، ومن كنت مولاه(٣)، وهٰذا يعسوب(٤) الدين، ولا فتىٰ إلا علي(٥)، وأحب خلقك إليك(٦)، وما جرىٰ هٰذا المجرىٰ، ومما لا يفصل الأمر، ويقطع [العذر](٧) ويسكت الخصم، ويفحم المنازع، وثبت الأنصار [فادعتها](٨)، ووثب بنو هاشم فادعوها، فقال(٩) أبو بكر: بايعوا عمر أو أبا عبيدة، وقال العباس لعلي[عليه السلام]: امدد يدك لأبايعك.. وقال قوم ممن رعف(١٠) به الدهر فيما بعد، ولم يكن موجودا حينئذ: إن الأمر كان للعباس لأنه العلم الوارث، وإن أبا بكر وعمر ظلماه وغصباه حقه، فهٰذا هذا(١١).

وأما (السبب الثاني) للاختلاف فهو:

جعل عمر الأمر شورىٰ في الستة، ولم ينص علىٰ واحد بعينه، [إما منهم أو من غيرهم](١٢)، فبقي في نفس كل واحد منهم أنه قد رشح للخلافة وأهل للملك والسلطنة، فلم يزل ذٰلك في نفوسهم وأذهانهم مصورا بين أعينهم، مرتسما في خيالاتهم، منازعة إليه نفوسهم، طامحة نحوه عيونهم، حتىٰ كان من الشقاق بين علي[عليه السلام] وعثمان ما كان، وحتىٰ أفضىٰ الأمر إلىٰ قتل عثمان.

وكان أعظم الأسباب في قتله طلحة.

وكان لا يشك أن الأمر له من بعده لوجوه، (منها): سابقته، و(منها): أنه ابن عم لأبي بكر، وكان لأبي بكر في نفوس أهل ذٰلك العصر منزلة عظيمة، أعظم منها الآن، و(منها): أنه كان سخا(١٣) جوادا، وقد كان نازع عمر في حياة أبي

---

(١) مسند أحمد (ج٣، ص٣٣) وغيره.

(٢) وهو حديث المنزلة المتواتر المشهور الذي قال أبو حازم الحافظ: خرجته بخمسة آلاف اسناد.

(٣) وهو حديث الغدير المقطوع صدوره من النبي صلى الله عليه وآله.

(٤) السيد والرئيس والمقدم، وهو الإمام علي عليه السلام كما في عمدة القاري (ج١٦، وص٢١٥) وغيره.

(٥) كما في تحفة الأحوذي (ج٦، ص١٨٢) وغيره.

(٦) في حديث الطير المتواتر.

(٧) من المصدر. (٨) من المصدر.

(٩) في المصدر: وقال.

(١٠) طعن (الصحاح: ج ٤، ص١٣٦٥).

(١١) في المصدر: أحدهما.

(١٢) من المصدر.

(١٣) في المصدر: سمحا.

بكر، وفوض الأمر إليه أبو بكر من بعده[١]، فما زال يقتل[٢] في الذروة والغارب في أمر عثمان، وينكر له القلوب، ويكدر عليه النفوس، ويغري أهل المدينة والأعراب وأهل الأمصار به، وساعده الزبير، وكان أيضا يرجو الأمر لنفسه، ولم يكن رجاؤهما الأمر بدون رجاء علي، بل رجاؤهما كان أقوىٰ لأن عليا دحضه الأولان، وأسقطاه، وكسرا ناموسه بين الناس، فصار نسيا منسيا، ومات الأكثر ممن يعرف خصائصه التي كانت في أيام النبوة وفضله، ونشأ قوم لا يعرفونه ولا يرونه إلا رجلا من عرض المسلمين، ولم يبق له مما يمت به إلا أنه ابن عم الرسول، وزوج ابنته، وأبو سبطيه، ونسي ما وراء ذٰلك كله.

واتفق له من بغض قريش وانحرافهما ما لم يتفق لأحد، وكانت قريش بمقدار ذٰلك البغض، تحب طلحة والزبير، لأن الأسباب الموجبة لبغضهم لم تكن موجودة فيهما، وكانا يتألفان قريشا في أواخر أيام عثمان، ويعدانهم بالعطاء والإفضال، وهما عند أنفسهما وعند الناس خليفتان بالقوة لا بالفعل، لأن عمر نص عليهما وارتضاهما للخلافة، وعمر متبع القول ومرضي الفعال، موفق مؤيد مطاع، نافذ الحكم في حياته وبعد وفاته.

فلما قتل عثمان أرادها طلحة، وحرص عليها، فلو لا الأشتر وقوم معه من شجعان العرب جعلوها في علي[عليه السلام] لم تصل إليه أبدا.

فلما فاتت طلحة والزبير، فتقا ذٰلك الفتق العظيم علىٰ علي[عليه السلام]، وأخرجا أم المؤمنين معهما، وقصدا العراق، وأثارا الفتنة، وكان من حرب الجمل ما قد علم وعرف.

ثم كانت حرب الجمل مقدمة وتمهيدا لحرب صفين، فإن معاوية لم يكن يفعل ما فعل، لو لا طمعه بما جرىٰ في البصرة، ثم أوهم أهل الشام أن عليا[عليه السلام] قد فسق بمحاربة أم المؤمنين، ومحاربة المسلمين، وإنه قتل طلحة والزبير، وهما من أهل الجنة، ومن يقتل مؤمنا من أهل الجنة فهو من أهل النار، فهل كان الفساد المتولد في صفين إلا فرعا للفساد الكائن يوم الجمل.

ثم نشأ من فساد صفين وضلال معاوية كل ما جرىٰ من الفساد والقبيح في أيام بني أمية، ونشأت فتنة ابن الزبير فرعا من فروع يوم الدار، لأن عبدالله كان

---

(١) في المصدر: وأحب أن يفوض أبو بكر الأمر إليه من بعده.

(٢) في المصدر: يفتل.

يقول: إن عثمان لما أيقن بالقتل نص عليّ بالخلافة، ولي بذلك شهود، ومنهم مروان بن الحكم.

أفلا ترىٰ كيف تسلسلت هٰذه الأمور فرعا علىٰ أصل، وغصنا من شجرة، وجذوة[1] من ضرام[2]، هٰكذا يدور بعضه علىٰ بعض، وكله من الشورىٰ في الستة.

قال: وأعجب من ذٰلك قول عمر رضي الله عنه[3]، وقد قيل له: إنك استعملت يزيد بن أبي سفيان، وسعيد بن العاص، ومعاوية، وفلانا وفلانا من المؤلفة قلوبهم من الطلقاء وأبناء الطلقاء، وتركت أن تستعمل عليا[عليه السلام] والعباس والزبير وطلحة.. فقال: أما علي[عليه السلام] فأنبه من ذلك، وأما هٰؤلاء النفر من قريش، فإني أخاف أن يتيسروا[4] في البلاد فيكثروا فيها الفساد، فمن يخاف من تأميرهم لئلا يطمعوا في الملك، ويدعيه كل واحد منهم لنفسه، كيف لم يخف من جعلهم ستة متساوين في الشورىٰ، مرشحين للخلافة.

وهل شيء أقرب إلىٰ الفساد من هذا، وقد روي أن الرشيد رأىٰ يوما محمدا وعبدالله ابنيه يلعبان ويضحكان، فسر بذلك، فلما غابا عن عينه بكىٰ، فقال له الفضل بن الربيع: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، وهٰذا مقام جذل[5] لا مقام حزن؟ فقال: أما رأيت لعبهما ومودة بينهما؟ أما والله ليبدلن[6] ذٰلك بغضا وسيفا[7]، وليختلسن[8] كل واحد منهما نفس صاحبه عن قريب، فإن الملك عقيم، وكان الرشيد قد عقد الأمر لهما علىٰ ترتيب، هٰذا بعد هذا، فكيف من لم يرتبوا في الخلافة، بل جعلوا فيها كأسنان المشط!!.

فقلت أنا لجعفر: هٰذا كله نحكيه عن محمد بن سليمان، فما تقول أنت؟ فقال:

---

(١) الجمرة الملتهبة (الصحاح: ج٦، ص ٢٣٠).

(٢) اشتعال (الصحاح: ج٥، ص١٩٧١).

(٣) ليست في المصدر.

(٤) في المصدر: ينتشروا.

(٥) فرح (النهاية: ج١، ص٢٥١).

(٦) في المصدر: ليتبدلن.

(٧) في المصدر: شنفا (أي: كرها).

(٨) يستلبن (الصحاح: ج٣، ص٩٢٣).

إذا قالت حذام فصدقوها
فإن القول ما قالت حذام[١]

أقول: قال ابن أبي الحديد في الشرح[٢]: روىٰ الناس كافة أن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام: «هٰذا وليي وأنا وليه، عاديت من عاداه، وسالمت من سالمه»، ونحو هٰذا اللفظ.

ثم قال: وروىٰ محمد بن عبيدالله بن أبي رافع، عن زيد بن علي بن الحسين[عليه السلام]، قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «عدوك عدوي، وعدوي عدو الله عز وجل»[٣].

وقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «وليك وليي، ووليي ولي الله، وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله»[٤].

وعلمه مشهور.

الباب الرابع

في غصب عثمان أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة

مع علمه بأنه عليه السلام ولي الأمر وإقراره بذلك وإيذاؤه، وإنه حمال الخطايا، وما ينساق إلىٰ ذٰلك من عداوته

ابن أبي الحديد قال[٥]: روىٰ الزبير بن بكار في كتاب الموفقيات[٦]، عن عمه عيسىٰ بن داوود، عن رجاله، قال: قال ابن عباس (رحمه الله تعالىٰ): لما بنىٰ عثمان داره بالمدينة أكثر الناس عليه في ذلك، فبلغه، فخطبنا في يوم جمعة، ثم صلىٰ بنا، ثم عاد إلىٰ المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، وصلىٰ علىٰ رسوله، ثم قال:

(١) البيت لـ جيم بن مصعب، و(حذام) امرأته وللبيت حادثة يطول ذكرها من أحب فليراجع مجمع الأمثال للميدان (ج٣، ص٨٢).
(٢) الجزء الرابع (ص١٠٧).
(٣) الرياض النضرة (ج٣، ص١٢٢) ومستدك الحاكم (ج٣، ص١٢٧) ومجمع الزوائد (ج٩، ص١٣٣) وغيرها.
(٤) الخصال (ص٤٢٩).
(٥) في شرحه لنهج البلاغة (ج٩، ص٦).
(٦) ص٦٠٢.

أما بعد.. فإن النعمة إذا حدثت حدث لها حساد حسبها، وأعداء قدرها، وإن الله لم يحدث لنا نعما ليحدث لها حساد عليها، ومنافسون فيها، ولكنه قد كان من بناء منزلنا هٰذا ما كان إرادة جمع المال فيه، وضم القاصية إليه، فأتانا عن أناس منكم أنهم يقولون: أخذ فيئنا وأنفق شيئا، واستأثر بأموالنا، يمشون حمرا[1] وينطقون سرا، كأنا غيب عنهم، وكأنهم يهابون مواجهتنا، معرفة منهم بدحوض حجتهم، فإذ غابوا عنا يروح بعضهم إلىٰ بعض يذكرنا، وقد وجدوا علىٰ ذٰلك أعوانا من نظرائهم، ومؤازرين من شبهائهم، فبعدا بعدا، ورغما رغما.

ثم أنشد بيتين كأنه يومئ فيهما إلىٰ علي عليه السلام:

توقد بنار أينما كنت واشتعل
فلست ترىٰ مما تعالج شافيا
تشط فيقضىٰ الأمر دونك أهله
وشيكا، ولا تدعي إذا كنت نائيا

ما لي ولفيئكم وأخذ مالكم، ألست من أكثر قريش مالا، وأظهرهم من الله نعمة، ألم أكن علىٰ ذٰلك قبل الإسلام وبعده، وهبوني بنيت منزلا من بيت المال، أليس هو لي ولكم، ألم أقم أموركم، وإني من وراء حاجاتكم، مما[2] تفقدون من حقوقكم شيئا، فلم لا أصنع في الفضل ما أحببت، فلم كنت إماما إذا، ألا وإن من أعجب العجب، أنه بلغني عنكم أنكم تقولون: لنفعلن به ولنفعلن، فبمن تفعلون، لله آباؤكم، أبنقد البقاع أم بفقع القاع، ألست أحراكم إن دعا أن يجاب، وأقمنكم إن أمر أن يطاع، لهفي علىٰ بقائي فيكم بعد أصحابي، وحياتي فيكم بعد أترابي، يا ليتني تقدمت قبل هذا، لكني لا أحب خلاف ما أحبه الله لي عزّ وجلّ، إذا شئتم فإن الصادق المصدق محمدا صلى الله عليه وآله قد حدثني بما هو كائن من أمري وأمركم، وهٰذا بدء ذٰلك وأوله، فكيف الهرب مما حتم وقدر، أما إنه عليه السلام [قد بشرني][3] في آخر حديثه بالجنة دونكم إذا شئتم فلا أفلح من ندم.

(١) في المصدر: خمران.

(٢) في المصدر: فما.

(٣) من المصدر.

قال: ثم هم بالنـزول منه فبصر بعلي بن أبي طالب عليه السلام و[معه][1] عمار بن ياسر رضي الله عنه[2] وناس من أهل هواه يتناجون، فقال: إيها إيها، إسرارا لا اجهارا، أما والذي نفسي بيده ما أحنق علىٰ جرة، ولا أوتي من ضعف مرة، ولو لا النظر مني لي ولكم، والرفق بي وبكم لعالجتكم، فقد اغتررتم وأقلتم من أنفسكم.

ثم رفع يديه يدعو ويقول: اللهم قد تعلم حبي للعافية فألبسنيها، وإيثاري للسلامة فآتينها.

قال: فتفرق القوم عن علي عليه السلام وقام عدي بن الخيار[3]، فقال: أتم الله عليك يا أمير المؤمنين النعمة، وزادك في الكرامة، والله لأن تحسد أفضل من أن تحسد، ولأن تنافس أجل من أن تنافس، [أنت والله][4] في حسبنا الصميم، ومنصبنا الكريم، إن دعوت أجبت، وإن أمرت أطعت، فقل نفعل، وادع تجب، جعلت الخيرة والشورىٰ إلىٰ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ليختاروا لهم ولغيرهم، وإنهم ليرون مكانك، ويعرفون مكان غيرك، فاختاروك منيبين طائعين، غير مكرهين ولا مجبرين، ما غيرت ولا فارقت، ولا بدلت ولا خالفت، فعلام يقدمون عليك، وهٰذا رأيهم فيك، أنت والله كما قال [الأول][5]:

اذهب إليك فما للحسود إلا طلابك تحت العثار
حكمت فما جرت في خلة فحكمك بالحق بادي المنار
فإن يسبعوك[6] فسرا وقد جهرت بسيفك كل الجهار

قال: ونزل عثمان فأتىٰ منزله، وأتاه الناس وفيهم ابن عباس، فلما أخذوا مجالسهم، أقبل علىٰ ابن عباس، فقال: ما لي وما لكم يا ابن عباس، ما أغراكم بي، وأولعكم بتعقب أمري، أتنقمون علىٰ أمر العامة، أتيت من وراء حقوقهم،

---

(١) من المصدر.
(٢) في المصدر: رضي الله عنه.
(٣) تابعي ثقة من كبار التابعين (الإصابة: ج٤، ص٣٩٠).
(٤) من المصدر.
(٥) من المصدر.
(٦) يشتموك.

أم أمركم فقد جعلتهم يتمنون منزلتكم، لا والله لٰكن الحسد والبغي وتثوير الشر وإحياء الفتن، والله لقد ألقىٰ النبي صلى الله عليه وآله إلي ذلك، وأخبرني به عن أهله واحدا واحدا، والله ما كذبت ولا أنا بمكذوب.

فقال ابن عباس: علىٰ رسلك يا أمير المؤمنين، فوالله ما عهدتك جهرا بسرك، ولا مظهرا ما في نفسك، فما الذي هيجك وثورك، إنا لم يولعنا بك أمر، ولم نتعقب أمرك بشي، أتيت بالكذب، وتسوق عليك بالباطل، والله ما نقمنا عليك لنا ولا للعامة قد أوتيت من وراء حقوقنا وحقوقهم، وقضيت ما يلزمك [لنا][1] ولهم، فأما الحسد والبغي، وتثوير الفتن، وإحياء الشر، فمتىٰ رضيت به عترة النبي وأهل بيته؟ وكيف وهم منه وإليه، علىٰ دين الله يثورون الشر، أم علىٰ الله يحبون[2] الفتن، كلا ليس البغي ولا الحسد من طباعهم، فاتئد[3] يا أمير المؤمنين، وأبصر أمرك، وأمسك عليك، فإن حالتك الأولىٰ خير من حالتك الأخرىٰ، لعمري إن كنت لأثيرا[4] عند رسول الله[صلى الله عليه وآله]، وإن كان ليفضي إليك بسره ما يطويه عن غيرك، ولا كذبت ولا أنت بمكذوب، إخش[5] الشيطان عنك، [و][6]لا يركبك، وأغلب غضبك ولا يغلبك، فما دعاك إلىٰ هٰذا الأمر الذي كان منك؟.

قال: دعاني إليه ابن عمك علي بن أبي طالب[عليه السلام].. فقال ابن عباس: وعسىٰ أن يكذب مبلغك.. قال عثمان: إنه ثقة.. قال ابن عباس: إنه ليس بثقة من بلغ وأغرىٰ.. قال عثمان: يا ابن عباس؛ والله إنك ما تعلم من علىٰ ما شكوت منه؟ قال: اللهم لا إلا أن تقول[7] كما يقول الناس، وينقم كما ينقمون؟ فمن أغراك به وأولعك بذكره دونهم.. فقال عثمان: إنما آفتي من أعظم الداء الذي ينصب نفسه لرأس الأمر، وهو علي بن أبي طالب[عليه السلام] ابن عمك، وهٰذا والله كله من نكده وشؤمه.. قال ابن عباس: مهلا استثن أمير المؤمنين، قل: إن شاء الله.. فقال: إن شاء الله.

---

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: يحبون.
(٣) أي: تمهل (لسان العرب: ج٣، ص٧٥).
(٤) كريما عليه (معجم مقاييس اللغة: ج١، ص٥٤).
(٥) في المصدر: إخس.
(٦) من المصدر.
(٧) في المصدر: يقول.

ثم قال: إني أنشدتك يا ابن عباس الاسلام والرحم فقد والله غلبت وابتليت بكم، والله لوددت أن هٰذا الأمر كان صار إليكم دوني فحملتموه عني، وكنت أحد أعوانكم عليه، إذا والله لوجدتموني لكم خيرا مما وجدتكم لي، ولقد علمت أن الأمر لكم، ولكن قومكم دفعوكم عنه واختزلوه دونكم، فوالله ما أدري أدفعوه عنكم أم دفعوكم عنه.

قال ابن عباس: مهلا يا أمير المؤمنين، فإنما[1] ننشدك الله والاسلام والرحم مثل ما نشدتنا أن تطمع فينا وفيك عدوا، وتشمت بنا وبك حسودا، إن أمرك إليك ما كان قولا، فإذا صار فعلا فليس إليك ولا في يديك، وإنا والله لنخالفن إن خولفنا، ولننازعن إن نوزعنا، وما تمنيك أن يكون الأمر صار إلينا دونك إلا أن يقول قائل منا ما يقوله الناس ويعيب كما عابوا، فأما صرف قومنا عنا الأمر فعن حسد قد والله عرفته، وبغي قد والله علمته، فالله بيننا وبين قومنا، وأما قولك: إنك لا تدري أرفعوه[2] عنا أم رفعونا[3] عنه؟ فلعمري إنك لتعرف أنه لو صار إلينا هٰذا الأمر ما ازددنا[4] به فضلا إلىٰ فضلنا ولا قدرا إلىٰ قدرنا وإنا لأهل الفضل وأهل القدر، وما فضل فاضل إلا بفضلنا ولا سبق سابق إلا بسبقنا، ولو لا هدينا ما اهتدىٰ أحد ولا أبصروا من عمىٰ، ولا قصدوا من جور.

فقال عثمان: حتىٰ متىٰ يا ابن عباس يأتيني عنكم ما يأتيني، هبوني كنت بعيدا، أما كان لي من الحق عليكم أن أراقب وأن أنظر، بلىٰ ورب الكعبة، ولكن الفرقة سهلت لكم القول في وتقدمت بكم إلىٰ الاسراع إلي، والله المستعان.

قال ابن عباس: مهلا، حتىٰ ألقىٰ عليا[عليه السلام] ثم أحمل إليك علىٰ قدر ما رأىٰ.. فقال [عثمان][5]: افعل فقد فعلت، وطالما طلبت فلا أطلب، ولا أجاب ولا أعتب.

قال ابن عباس: فخرجت فلقيت عليا[عليه السلام] وإذا به من الغضب والتلظي[6] أضعاف ما بعثمان، فأردت تسكينه فامتنع، فأتيت منزلي وأغلقت بابي

(١) في المصدر: فإنا. (٢) في المصدر: أدفعوه.
(٣) في المصدر: دفعوه. (٤) في المصدر: ما زدنا.
(٥) من المصدر.
(٦) من التلهب (كتاب العين: ج٨ ص١٦٩).

واعتزلتهما.. فبلغ ذٰلك عثمان فأرسل إلي، فأتيته وقد هدأ غضبه، فنظر إلي ثم ضحك، وقال: يا ابن عباس؛ ما أبطأ بك عنا، إن تركك العود إلينا لدليل علىٰ ما رأيت عند صاحبك، وعرفت من حاله، فالله بيننا وبينه، خذ بنا في غير ذلك.

قال ابن عباس: فكان عثمان بعد ذٰلك إذا أتاه عن علي[عليه السلام] شيء فأردت التكذيب عنه، يقول: ولا يوم الجمعة حين أبطأت عنا وتركت العود إلينا، فلا أدري كيف أرد عليه.

قال[1]: وروىٰ الزبير بن بكار أيضا في الموفقيات[2]، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: خرجت عن[3] منزلي سحرا أسابق إلىٰ المسجد وأطلب الفضيلة، فسمعت خلفي حسا وكلاما كثيرا، فتسمعته، فإذا حس عثمان، وهو يدعو ولا يرىٰ أن أحدا يسمعه، ويقول: اللهم قد تعلم نيتي فأعني عليهم، وتعلم الذين ابتليت بهم من ذوي رحمي وقرابتي، فأصلحني لهم، وأصلحهم لي.

قال: فقصرت من خطوتي، وأسرع في مشيته، فالتقينا، فسلم، فرددت عليه، فقال: إني خرجت ليلتنا هٰذه أطلب الفضل والمسابقة إلىٰ المسجد.. فقلت: إنه أخرجني ما أخرجك، فقال: والله لئن سابقت إلىٰ الخير إنك لمن سابقين مباركين، وإني لأحبكم وأتقرب إلىٰ الله بحبكم.. فقلت: يرحمك الله يا أمير المؤمنين، إنا لنحبك ونعرف سابقتك ونسبك[4] وقرابتك وصهرك.. قال: يا ابن عباس؛ فما لي ولابن عمك وابن خالي.. قلت: أي بني عمومتي وبني أخوالك؟ قال: اللهم اغفر، أتسأل مسألة الجاهل.. قلت: إن بني عمومتي من بني خؤلتك كثير، فأيهم تعني؟ قال: أعني عليا لا غيره.. فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين ما أعلم منه إلا خيرا، ولا أعرف له إلا حسنا.. قال: والله ما يجرىٰ أن يستر دونك ما يظهره لغيرك، ويقبض عنك ما ينبسط به إلىٰ سواك.

قال: ومررنا[5] بعمار بن ياسر، فسلم عليّ، فرددت عليه سلامه، ثم قال: من معك؟ قلت: أمير المؤمنين عثمان.. قال: نعم، وسلم بكنيته، ولم يسلم

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص١٠).

(٢) ص٦٠٢.

(٣) في المصدر: من.

(٤) في المصدر: وسنك.

(٥) في المصدر: ورمينا.

عليه بالخلافة، فرد عليه، ثم قال عمار: ما الذي كنتم فيه، فقد سمعت ذروا منه؟ قلت: هو ما سمعت.. فقال عمار: رب مظلوم غافل، وظالم متجاهل.. قال عثمان: أما إنك من شنائنا وأتباعهم، وأيم الله إن اليد عليك لمنبسطة، وإن السبيل عليك[1] لسهلة، ولو لا إيثار العافية، ولم الشعث لزجرتك زجرة تكفي ما مضىٰ وتمنع ما بقي.

فقال عمار: والله ما اعتذر من حبي علياً[عليه السلام]، وما اليد بمنبسطة، ولا السبيل بسهلة، إني لازم حجة، ومقيم علىٰ سنة، وأما إيثارك العافية ولم الشعث، فلازم ذلك، وأما زجري فأمسك عنه، فقد كفاك معلمي تعليمي.. فقال عثمان: أما والله إنك ما علمت من أعوان الشر الحاضين عليه، الخذلة عند الخير، والمثبطين عنه.. فقال عمار: مهلا يا عثمان، فقد سمعت رسول الله ﷺ يصفني بغير ذلك.. فقال عثمان: ومتىٰ؟ قال: يوم دخلت عليه منصرفه عن الجمعة، وليس عنده غيرك، وقد ألقىٰ ثيابه، وقعد في فضله، فقبلت صدره ونحره وجبهته، فقال: يا عمار؛ انك لتحبنا وإنا لنحبك، وإنك لمن الأعوان علىٰ الخير المثبطين عن الشر.. فقال عثمان: أجل ولكنك غيرت وبدلت.. قال: فرفع عمار يده يدعو، وقال: أمن يا ابن عباس، اللهم من غير فغير به ثلاث مرات.

قال: ودخلنا المسجد فأهوىٰ عمار إلىٰ مصلاه، ومضيت مع عثمان إلىٰ القبلة، فدخل المحراب، وقال: تلبث علي إذا انصرفنا، فلما رآني عمار وحدي أتاني، فقال: أما رأيت ما بلغ بي آنفا.. قلت: أما والله لقد أصعبت به وأصعبك بك، وأن له لسنة وفضلية وقرابة، قال: إن له لذلك، ولكن لا حق لمن لا حق عليه، وانصرف .

وصلىٰ عثمان وانصرفت معه يتوكأ عليّ، فقال: هل سمعت ما قال عمار؟ قلت: نعم، فسرني [ذلك][2] وساءني، أما مساءته إياي فما بلغ بك، وأما مسرته لي فحلمك واحتمالك.. فقال: إن علياً[عليه السلام] [فارقني][3] منذ أيام علىٰ المقاربة، وإن عمارا آتيه فقائل له وقائل، فأبدر إليه، فإنك أوثق عنده منه وأصدق قولا، فألق الأمر إليه علىٰ وجهه، فقلت: نعم، فانصرفت أريد علياً عليه السلام في المسجد،

---

(١) في المصدر: إليك.

(٢) من المصدر.

(٣) من المصدر.

فإذا هو خارج منه، فلما رآني تفجع لي من فوت الصلاة، وقال: ما أدركتها.. قلت: بلىٰ ولكني خرجت مع أمير المؤمنين ثم اقتصصت عليه القصة.. فقال: أما والله يا ابن عباس إنه ليقرف[1] قرحة[2]، ليحورن[3] عليه ألمها.. فقلت: إن له سنة وسابقته وقرابته وصهره.. قال: إن ذٰلك له، ولكن لا حق لمن لا حق عليه.

قال: ثم رهقنا[4] عمار فسر[5] به علي، وتبسم في وجهه، وسأله، فقال عمار: يا ابن عباس؛ هل ألقيت إليه ما كنا فيه؟ قلت: نعم.. قال: أما والله إذا لقد قلت بلسان عثمان، ونطقت بهواه، قلت: ما عدوت الحق جهدي، ولا ذٰلك من فعلي، وإنك لتعلم أي الحظين أحب إلي، وأي الحقين أوجب علي.

قال: فظن علي[عليه السلام] أن عند عمار غير ما ألقيت إليه، فأخذه بيده وترك يدي، فعلمت أنه يكره مكاني، فتخلفت عنهما، وانشعب بنا الطريق، فسلكاه ولم يدعني، فانطلقت إلىٰ منزلي، فإذا رسول عثمان يدعوني، فأتيته، فأخذ ثيابه[6] مروان وسعيد بن العاص في رجال من بني أمية، فأذن لي وألطفني، وقربني وأدنىٰ مجلسي، ثم قال: ما صنعت؟ فأخبرته بالخبر علىٰ وجهه، وما قال الرجل، وقلت له: وكتمته قوله: إنه ليقرف قرحة ليحوزن عليه ألمها إبقاء عليه، وإجلالا له، وذكرت مجيء عمار، وبش علي[عليه السلام] له، وظن علىٰ أن قبله غير ما ألقيت إليه[7]، وسلوكهما حيث سلكا.. قال: وفعلا؟ قلت: نعم.. فاستقبل القبلة، ثم قال: اللهم رب السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، أصلح لي عليا، وأصلحني له، أمن يا ابن عباس، فأمنت، ثم تحدثنا طويلا، وفارقته وأتيت منزلي.

قال[8]: وروىٰ الزبير بن بكار أيضا في الكتاب المذكور[9]، عن عبدالله بن عباس، قال: ما سمعت من أبي شيئا قط في أمر عثمان يلومه فيه ولا يعذره،

---

(١) يتهم أو يرمي بسوء (الصحاح: ج٤، ص١٤١٥).

(٢) الأمر الجارح (معجم مقاييس اللغة: ج٥، ص٨٢). (٣) يرجعن.

(٤) غشينا.

(٥) في المصدر: فبش.

(٦) في المصدر: فأجد ببابه.

(٧) في المصدر: عليه.

(٨) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص١٣).

(٩) الموفقيات (ص٦١٠).

ولا سألته عن شيء من ذٰلك مخافة أن أتقحم[١] منه علىٰ ما لا يوافقه، فإنا عنده ليلة ونحن نتعشىٰ إذا قيل: هٰذا أمير المؤمنين عثمان بالباب.. فقال: ائذنوا له.. فدخل فأوسع له علىٰ فراشه، وأصاب من العشاء معه، فلما رفع قام من كان هناك، وثبت أنا، فحمد عثمان الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما بعد يا خال، فإني قد جئتك أستعذرك من ابن أخيك علي، شتمني[٢]، وشهر أمري، وقطع رحمي، وطعن في ديني، وإني أعوذ بالله منك يا بني عبدالمطلب، إن كان لكم حق تزعمون أنكم غلبتم عليه، فقد تركتموه في يدي من فعل ذٰلك بكم، وأنا أقرب إليكم رحما منه؟ وما لمت منكم أحدا إلا عليا، ولقد دعيت أن أبسط عليه، فتركته لله والرحم، وأنا أخاف ألا يتركني فلا أتركه.

قال ابن عباس: فحمد أبي لله وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما بعد يا ابن أختي، فإن كنت لا تحمد عليا لنفسك فإني لا أحمدك لعلي، وما علي وحده قال فيك بل غيره، فلو أنك اتهمت نفسك للناس، اتهم الناس أنفسهم لك، ولو أنك نزلت مما رقيت وارتقوا مما نزلوا، فأخذت منهم وأخذوا منك ما كان بذلك بأس.

قال عثمان: فذلك إليك يا خال، وأنت بيني وبينهم، قال: أفأذكر لهم ذٰلك عنك؟ قال: نعم.. وانصرف، فما لبثنا أن قيل: هٰذا أمير المؤمنين قد رجع بالباب.. قال أبي: إئذنوا له.. فدخل فقام قائما ولم يجلس، وقال: لا تعجل يا خال حتىٰ أوذنك.. فنظرنا فإذا مروان بن الحكم كان جالسا بالباب ينتظره، حتىٰ خرج فهو الذي ثناه[٣] عن رأيه الأول، فأقبل علىٰ أبي، وقال: يا بني ما إلىٰ هٰذا من أمره شيء.. ثم قال: يا بني أملك عليك لسانك حتىٰ ترىٰ ما لا بد منه، ثم رفع يديه، فقال: اللهم أسبق بي ما لا خير لي في إدراكه.. فما مرت جمعة حتىٰ مات رضي الله عنه.

وروىٰ أبو العباس المبرد في الكامل[٤]، عن قنبر مولىٰ علي عليه السلام، قال: دخلت مع علي عليه السلام علىٰ عثمان، فأحبا الخلوة، فأومأ إليّ علي عليه السلام بالتنحي،

(١) في المصدر: أهجم.

(٢) في المصدر: سبني.

(٣) وفي بحار الأنوار: فتأه، وفي غيره: فشاه .

(٤) الجزء الأول (ص١٣).

فتنحيت غير بعيد، فجعل عثمان يعاتبه وعلي مطرق[1]، فأقبل عليه عثمان، وقال: ما لك لا تقول! قال[عليه السلام]: «**إن قلت لم أقل إلا ما تكره، وليس لك عندي إلا ما تحب**».

قال أبو العباس: تأويل ذلك: إن قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به علي فلذعك[2] عتابي، وعقدي ألا أفعل ـ وإن كنت عاتبا ـ إلا ما تحب.

وعندي فيه تأويل آخر، وهو: إني إن قلت فاعتذرت[3] فأي شيء حسنته من الأعذار لم يكن ذٰلك مصدقا، ولم يكن إلا مكروها غير مقبول، والله تعالىٰ يعلم أنه ليس لك عندي في باطني وما أطوي عليه جوانحي إلا ما تحب، وإن كنت لا تقبل المعاذير التي أذكرها، بل تكرهها وتنبو نفسك عنها.

وقال[4]: وروىٰ الواقدي في كتاب الشورىٰ عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: شهدت عتاب عثمان لعلي عليه السلام يوما، فقال له في بعض ما قاله: نشدتك الله أن تفتح للفرقة بابا، فلعهدي بك وأنت تطيع عتيقا وابن الخطاب بطلعتك[5] لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولست بدون واحد منهما، وأنا أمس بك رحما، وأقرب إليك صهرا، فإن كنت تزعم أن هٰذا الأمر جعله رسول الله صلى الله عليه وآله لك، فقد رأيناك حتىٰ[6] توفي نازعت ثم أقررت، فإن كانا لم يركبا من الأمر جددا، فكيف أذعنت لهما بالبيعة، وبخعت[7] بالطاعة، وإن كان أحسنا فيما وليا، ولم أقصر عنهما في ديني وحسبي وقرابتي، فكن لي كما كنت لهما.

فقال علي عليه السلام: «**أما الفرقة فمعاذ الله أن أفتح لها بابا، وأسهل إليها سبيلا، ولكني أنهاك عما ينهاك الله ورسوله عنه، [وأهديك إلىٰ رشدك][8]، وأما عتيق وابن الخطاب فإن كانا أخذا ما جعله رسول الله صلى الله عليه وآله لي فأنت أعلم بذلك والمسلمون، وما لي ولهٰذا الأمر وقد تركته منذ حين، فأما ألا يكون حقي بل المسلمون فيه شرع فقد أصاب السهم الثغرة[9]**،

---

(١) مرخي عينيه بالنظر إلى الأرض. (٢) في مصدر: في لذع.
(٣) في المصدر: واعتذرت.
(٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص١٥).
(٥) في المصدر: بطاعتك.
(٦) في المصدر: حين.
(٧) خضعت وأقررت (غريب الحديث: ج٣، ص٣٩٢).
(٨) من المصدر.
(٩) نقرة النحر فوق الصدر (النهاية: ج١، ص٢١٣).

وأما أن يكون حقي دونهم فقد تركته لهم، طبت به نفسا، ونفضت يدي عنه استصلاحا، وأما التسوية بينك وبينهما فلست كأحدهما، إنهما وليا هٰذا الأمر فظلقا[١] أنفسهما وأهلهما عنه، وعمت فيه وقومك عوم السباح في اللجة، فارجع إلىٰ الله أبا عمرو، وانظر هل بقي من عمرك إلا كظمء الحمار[٢]، فحتىٰ متىٰ وإلىٰ متىٰ، ألا تنهىٰ سفهاء بني أمية عن أعراض المسلمين وأبشارهم[٣] وأموالهم، والله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه مشتركا بينه وبينك».

قال ابن عباس: فقال عثمان: لك العتبىٰ، وافعل واعزل من عمالي كل من تكرهه ويكره المسلمون.. ثم افترقا، فصده مروان بن الحكم عن ذلك، وقال: يجترئ عليك الناس فلا تعزل أحدا منهم.

وروىٰ الزبير بن بكار أيضا في كتابه[٤]، عن رجال أسند بعضهم علىٰ بعض، عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: أرسل إلىٰ عثمان في الهاجرة[٥]، فتقنعت بثوبي، وأتيته، فدخلت [عليه][٦] وهو علىٰ سريره، وفي يده قضيب، وبين يديه مال دثر[٧]، صبرتان من ورق وذهب، فقال: دونك خذ من هٰذا حتىٰ تملأ بطنك فقد أحرقتني.. فقلت: وصلتك الرحم، إن كان هٰذا المال ورثته أو أعطاك معط، أو اكتسبته من تجارة، كنت أحد رجلين: إما آخذ وأشكر، أو: أنجز فأجهد[٨]، وإن كان من مال الله وفيه حق المسلمين واليتيم وابن السبيل، فوالله مالك أن تعطينيه ولا لي أن آخذه، فقال: أتيت والله إلا ما أتيت.. ثم قام إلي بالقضيب فضربني، والله ما أرد يده حتىٰ قضىٰ حاجته، فقبعت[٩] بثوبي، ورجعت إلىٰ منزلي، وقلت: الله بيني وبينك إن كنت أمرتك بمعروف أو نهيت عن منكر.

---

(١) في المصدر: فظلفا (أي: كفا).

(٢) مثل يضرب يراد به: لم يبق من عمرك إلا اليسير، لأنه ليس شيء أقصر ظمأ من الحمار.

(٣) الأبشار: ظاهر الجلد.

(٤) الموفقيات (ص٦١٢).

(٥) نصف النهار في القيظ.

(٦) من المصدر.

(٧) كثير.

(٨) في المصدر: أوفر وأجهد.

(٩) في المصدر: فتقنعت.

وروىٰ الزبير بن بكار[١]، عن الزهري، قال: لما أتىٰ عمر بجوهر كسرىٰ، وضع في المسجد، فطلعت عليه الشمس فصار كالجمر، فقال لخازن بيت المال: ويحك أرحني من هٰذا واقسمه بين المسلمين، فإن نفسي تحدثني أنه سيكون في هٰذا بلاء وفتنة بين الناس.. فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن قسمته بين [المسلمين][٢] لم يسعهم وليس أحد يشتريه لأن ثمنه عظيم، ولكنه ندعه إلىٰ قابل فعسىٰ الله أن يفتح علىٰ المسلمين بمال فيشتريه منهم من يشتريه.. قال: ارفعه فأدخله في بيت المال، وقتل عمر وهو بحاله، فأخذه عثمان لما ولي الخلافة فحلىٰ به بناته.

قال الزبير: فقال الزهري: كل قد أحسن، عمر حين حرم نفسه وأقاربه، وعثمان حين وصل أقاربه.

وقال[٣]: قال الزبير[٤]: وحدثنا محمد بن حرب، قال: حدثنا سفيان بن عينية، عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: جاء رجل إلىٰ علي عليه السلام يستشفع به إلىٰ عثمان، فقال: حمال الخطايا! لا والله لا أعود إليه أبدا، فآيسه[٥] منه.

الباب الخامس

في مبايعة علي عليه السلام كرها إذ لم يجد أعوانا عليه

وعفوه عن الهرمزان ظلما، وما قاله أبو سفيان عند بيعة الناس له، وإنكار المقداد وعمار

[روىٰ] ابن أبي الحديد[٦] من رواية عوانة عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي في كتاب الشورىٰ ومقتل عثمان، وقد رواه أيضا أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في زيادات كتاب السقيفة[٧]، قال: لما طعن عمر جعل

(١) في الموفقيات (ص٦١٢).
(٢) من المصدر.
(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص١٧).
(٤) في الموفقيات (ص٦١٠).
(٥) أو: فإيه.
(٦) في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص٤٩).
(٧) السقيفة وفدك (ص٨٤).

الأمر شورىٰ بين ستة نفر: علي بن أبي طالب[عليه السلام]، وعثمان بن عفان، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبدالله[1]، وسعد بن مالك، وكان طلحة يومئذ بالشام، وقال عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض وهو عن هٰؤلاء راض، فهم أحق بهٰذا الأمر من غيرهم، وأوصىٰ صهيب بن سنان، مولىٰ عبدالله بن جدعان ـ ويقال: إن أصله من حي من ربيعة من نزار، يقال لهم: عنزة ـ فأمره أن يصلي بالناس حتىٰ يرضىٰ هٰؤلاء القوم رجلا منهم، وكان عمر رضي الله عنه[2] لا يشك أن هٰذا الأمر صائر إلىٰ أحد الرجلين: علي[عليه السلام] وعثمان، وقال: إن قدم طلحة فهو معهم، وإلا فلتختر الخمسة واحدا منها.

وروىٰ: أن عمر قبل موته أخرج سعد بن مالك من أهل الشورىٰ، وقال: الأمر في هٰؤلاء الأربعة، ودعوا سعدا علىٰ حاله أميرا بين يدي الإمام.

[ثم][3] قال: ولو كان أبو عبيدة ابن الجراح حيا لما تخالجتني فيه الشكوك، فإذا[4] اجتمع ثلاثة علىٰ واحد، فكونوا مع الثلاثة، فإذا[5] اختلفوا فكونوا مع الجانب الذي فيه عبدالرحمن.

وقال لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة؛ فوالله لطالما أعز الله بكم الدين، ونصر بكم الاسلام، اختر من الاسلام خمسين رجلا، فائت بهم هٰؤلاء القوم في كل يوم مرة، فاستحثوهم حتىٰ يختاروا لأنفسهم وللأمة رجلا منهم.

ثم جمع قوما من المهاجرين والأنصار، فأعلمهم ما أوصىٰ به، وكتب في وصيته أن يولي الإمام سعد بن مالك الكوفة، وأبا موسىٰ الأشعري، لأنه كان عزل سعدا عن سخطه فأحب أن يطلب ذٰلك إلىٰ من يقوم بالأمر من بعده استرضاء لسعد.

قال الشعبي: فحدثني من لا أتهمه من الأنصار، وقال أحمد بن عبدالعزيز الجوهري[6]: هو سهل بن سعد الأنصاري، قال: مشيت وراء علي بن أبي طالب[عليه السلام] حيث انصرف من عند عمر، والعباس بن عبدالمطلب يمشي

---

(١) في المصدر: عبيدالله.

(٢) هٰكذا في الأصل وقلنا مرارا إن المصنف لم يرد ما أراده من صاحب الأصل من الرمز إلا انه التزم بأمانة النقل.

(٣) من المصدر.

(٤) في المصدر: فإن.

(٥) في السقيفة وفد: وإن، وكذلك في شرح نهج البلاغة.

(٦) في السقيفة وفدك (ص ٨٤).

في جانبه، فسمعته يقول للعباس: ذهبت منا والله.. فقال: كيف علمت؟ قال: ألا تسمعه يقول: كونوا في الجانب الذي فيه عبدالرحمن لأنه ابن عمه، وعبدالرحمن نظير عثمان وهو صهره، فإذا اجتمع هٰؤلاء فلو أن الرجلين الباقيين كانا معي لم يغنيا عني شيئا، مع أني لست أرجو إلا أحدهما، ومع ذٰلك فقد أحب عمر أن يعلمنا أن لعبدالرحمن عنده فضلا علينا، ألا لعمر الله ما جعل الله ذٰلك لهم علينا، كما لم يجعله لأولادهم علىٰ أولادنا، أما والله لئن عمر لم يمت لا ذكرته ما أتىٰ إلينا قديما، ولا علمته سوء رأيه فينا، وما أتىٰ إلينا حديثا، ولئن مات وليموتن ليجتمعن هٰؤلاء القوم علىٰ أن يصرفوا هٰذا الأمر عنا، ولئن فعلوها ـ وليفعلن ـ ليرونني حيث يكرهون، والله ما بي رغبة في السلطان، ولا حب الدنيا، ولكن لإظهار العدل، والقيام بالكتاب والسنة.

قال: ثم التفت فرآني وراءه فعرفت أنه قد ساءه ذلك، فقلت: لا ترع أبا حسن، لا والله لا يستمع أحد الذي سمعت منك في الدنيا أبدا ما اصطحبنا فيها، فوالله ما سمعه مني مخلوق حتىٰ قبض الله علينا إلىٰ رحمته.

قال عوانة: فحدثنا إسماعيل، قال: حدثني الشعبي، قال: فلما مات عمر، وأدرج في أكفانه، ثم وضع ليصلي عليه، تقدم علي بن أبي طالب[عليه السلام]، فقام عند رأسه، وتقدم عثمان فقام عند رجليه، فقال عليعليه السلام: «**هكذا ينبغي أن تكون الصلاة**».. فقال عثمان: بل هكذا.. فقال عبدالرحمن: ما أسرع ما اختلفتم يا صهيب، صل علىٰ عمر كما رضي أن تصلي بهم المكتوبة، فتقدم صهيب فصلىٰ علىٰ عمر.

قال الشعبي: وأدخل أهل الشورىٰ [دارا](١)، فأقبلوا يتجادلون عليها، وكلها بها ضنين، وعليها حريص، إما لدنيا وإما لآخرة، فلما طال ذٰلك قال عبدالرحمن: من رجل منكم يخرج نفسه عن هٰذا الأمر، ويختار(٢) لهذه الأمة رجلا [منكم](٣)، فإني طيبة نفسي أن أخرج منها، وأختار لكم؟ قالوا: قد رضينا إلا علي بن أبي طالب[عليه السلام] فإنه اتهمه.. وقال: انظر وأرىٰ.. فأقبل أبو طلحة [عليه](٤)، وقال: يا أبا الحسن؛ ارض برأي عبدالرحمن كان الأمر لك أو لغيرك..

---

(١) من المصدر. (٢) في المصدر: واختار.

(٣) من المصدر.

(٤) من المصدر.

[فـ](١)قـال علـي[عليه السلام]: «**اعطني يا عبدالرحمن موثقا من الله لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوىٰ، ولا تمل إلىٰ صهر ولا ذي قرابة، ولا تعمل إلا لله، ولا تألوا هٰذه الأمة أن تختار لها خيرها**».

قال: فحلف له عبدالرحمن بالله الذي لا إلٰه إلا هو لأجهدن(٢) لنفسي ولكم وللأمة، ولا أميل إلىٰ هوىٰ، ولا إلىٰ صهر، ولا ذي قرابة.

قال: فخرج عبدالرحمن، فمكث ثلاثة أيام يشـاور النـاس، ثم رجع واجتمع الناس، وكثروا علىٰ الباب لا يشـكون أنه يبايع علي بن أبي طالب[عليه السلام]، وكان هـوىٰ قريش كافة ما عدا بني هاشـم فـي عثمان، وهـوىٰ طائفة مـن الأنصار مع علي[عليه السلام]، وهـوىٰ طائفـة أخرىٰ مع عثمـان، وهي أقـل الطائفتيـن، وطائفة لا يبالون: أيهما بويع.

قال: فأقبل المقداد بن عمرو، والناس مجتمعون، فقال: أيها الناس؛ اسـمعوا ما أقول، أنا المقداد بن عمرو، إنكـم إن بايعتم عليا سـمعنا وأطعنا، وإن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا.. فقام عبدالله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، فنادىٰ: أيهـا النـاس؛ إنكـم إن بايعتم عثمـان سـمعنا وأطعنـا، وإن بايعتم علينا سـمعنا وعصينا.. فقال له المقداد: يا عدو الله وعدو رسوله وعدو كتابه، ومتىٰ كان مثلك يسـمع له الصالحون.. فقال له عبدالرحمن(٣): يا ابن الحليف العسـيف(٤)، ومتىٰ كان مثلك يجترئ علىٰ الدخول في أمر قريش.

فقال عبدالله بن سعد بن أبي سـرح: أيها الملأ؛ إن أردتم ألا تختلف قريش فيما بينها، فبايعوا عثمان.. فقال عمار بن ياسـر: إن أردتم ألا يختلف المسلمون فيما بينهـم فبايعوا عليـا[عليه السلام].. ثـم أقبل علىٰ عبدالله بن سـعد بن أبي سـرح، فقال: يا فاسـق يا ابن الفاسـق، أأنت ممن يسـتنصحه المسـلمون أو يستشيرونه في أمورهم، وارتفعت الأصوات، ونادىٰ منـاد لا يدري من هو، فقريش تزعم أنه رجل من بني مخـزوم، والأنصـار تزعم أنه رجل طوال آدم مشـرف علـىٰ الناس لا يعرفـه أحد منهـم: يا عبدالرحمن افرغ مـن أمرك، وامض علىٰ ما في نفسـك فإنه الصواب.

---

(١) كما في المصدر. (٢) في المصدر: لأجتهدن.

(٣) في المصدر: عبدالله.

(٤) في المصدر: السعيف.

قال الشعبي فأقبل عبدالرحمن علىٰ علي بن أبي طالب[عليه السلام]، فقال: عليك عهد الله وميثاقه، وأشد ما أخذ الله علىٰ النبيين من عهد وميثاق: إن بايعتك لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله، وسيرة أبي بكر وعمر.. فقال علي عليه السلام: «**طاقتي ومبلغ علمي وجهد رأيي والناس يسمعون**».

فأقبل علىٰ عثمان، فقال له مثل ذلك، فقال: نعم لا أزول عنه ولا أدع شيئا منه.. ثم أقبل علىٰ علي[عليه السلام]، فقال له ذلك ثلاث مرات، ولعثمان ثلاث مرات، في كل ذلك يجيب علىٰ مثل ما كان أجاب به، ويجيب عثمان بمثل ما كان أجاب به.. فقال: ابسط يدك يا عثمان.. فبسط يده فبايعه، وقام القوم فخرجوا، وقد بايعوا إلا علي بن أبي طالب[عليه السلام] فإنه لم يبايع.

قال: فخرج عثمان علىٰ الناس ووجهه متهلل، وخرج علي[عليه السلام] وهو كاسف البال ومظلم، وهو يقول: «**يا ابن عوف؛ ليس هٰذا بأول يوم تظاهرتم علينا من دفعنا عن حقنا، والاستئثار علينا، وإنها لسنة علينا، وطريقة تركتموها**».

فقال المغيرة بن شعبة لعثمان: أما والله لو بويع غيرك لما بايعناه.. فقال له عبدالرحمن بن عوف: كذبت، والله لو بويع غيره لبايعته، وما أنت وذاك يا ابن الدباغة، والله لو وليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن تقربا إليه وطمعا في الدنيا، فاذهب [لا أبا][1] لك.. فقال المغيرة: وأما لو لا مكان أمير المؤمنين لأسمعك ما تكره.. ومضيا.

قال الشعبي: فلما دخل عثمان رحله دخل إليه بنو أمية حتىٰ امتلأت بهم الدار، ثم أغلقوها عليهم، فقال أبو سفيان بن حرب: أعندكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا.. قال: يا بني أمية، تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة.

قال: فانتهره عثمان وساءه بما قال، وأمر بإخراجه.

قال الشعبي: فدخل عبدالرحمن بن عوف علىٰ عثمان، فقال له: ما صنعت، فوالله ما وفقت حيث تدخل رحلك قبل أن تصعد المنبر، فتحمد الله وتثني عليه، وتأمر بالمعروف وتنهىٰ عن المنكر، وتعد الناس خيرا.

---

(١) من المصدر.

قال: فخرج عثمان فصعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: هٰذا مقام لم نكن نقومه، ولم نعد له من الكلام الذي يقام به في مثله، وسأهيء ذٰلك إن شاء الله، ولن آلو أمة محمد خيرا، والله المستعان.. ثم نزل.

قال عوانة: فحدثني يزيد بن جرير، عن الشعبي، عن شقيق بن مسلمة، أن علي بن أبي طالب[عليه السلام]، لما انصرف من[1] رحله، قال لبني هاشم[2]: يا بني عبدالمطلب إن قومكم عادوكم بعد وفاة النبيﷺ كعداوتهم النبي في حياته، وإن تطع[3] قومكم لا تؤمروا أبدا، ووالله لا ينيب هٰؤلاء إلىٰ الحق إلا بالسيف.

قال: وعبدالله بن عمر بن الخطاب، داخل إليهم، قد سمع الكلام كله، فدخل وقال: يا أبا الحسن؛ أتريد أن يضرب[4] بعضهم ببعض، فقال[عليه السلام]: **«اسكت ويحك، فوالله لو لا أبوك وما ركب مني قديما وحديثا، ما نازعني ابن عفان ولا ابن عوف»**، فقام عبدالله فخرج.

قال: وأكثر الناس في أمر الهرمزان وعبيدالله بن عمر، وقتله إياه، وبلغ عثمان ما قال فيه علي بن أبي طالب[عليه السلام]، فقام [عثمان][5] فصعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: أيها الناس؛ إنه كان من قضاء الله أن عبيدالله بن عمر بن الخطاب أصاب الهرمزان، وهو رجل من المسلمين، وليس له وارث إلا الله والمسلمون، وأنا إمامكم وقد عفوت، أفتعفون عن عبيدالله ابن خليفتكم بالأمس؟ قالوا: نعم، فعفا عنه، فلما بلغ [ذلك][6] عليا[عليه السلام] تضاحك وقال: **«سبحان الله، لقد بدأ بها عثمان، أيعفو عن حق امرئ ليس بواليه، تالله إن هٰذا لهو العجب»**.. قالوا: فكان ذٰلك أول ما بدا من عثمان مما نقم عليه.

قال الشعبي: وخرج المقداد من الغد، فلقي عبدالرحمن بن عوف، فأخذه بيده، وقال: إن كنت أردت بما صنعت وجه الله، فأثابك الله ثواب الدنيا والآخرة، وإن كنت إنما أردت الدنيا فأكثر الله مالك.. فقال عبدالرحمن: اسمع، رحمك الله اسمع، قال: لا أسمع والله.. وجذب يده من يده، ومضىٰ حتىٰ دخل علىٰ

(١) في المصدر: إلى.
(٢) في المصدر: أبيه.
(٣) في المصدر: يطع.
(٤) في المصدر: تضرب.
(٥) من المصدر.
(٦) من المصدر.

علي عليه السلام، فقال: قم فقاتل حتىٰ نقاتل معك.. قال علي[عليه السلام]: «**فبمن أقاتل رحمك الله**».. وأقبل عمار بن ياسر ينادي:

يا ناعي الإســـــلام قم فـانـعـه
قــد مــات عــرف وأتىٰ مـنـكـر[1]

أما والله لو أن لي أعوانا لقاتلتهم، والله لئن قاتلهم واحد لأكونن له ثانيا.

فقال علي[عليه السلام]: «**يا أبا اليقظان، والله لا أجد عليهم أعوانا، ولا أحب أن أعرضكم لما لا تطيقون**»، وبقي عليه السلام في داره، وعنده نفر من أهل بيته، وليس يدخل إليه أحد مخافة عثمان.

قال الشعبي: واجتمع أهل الشورىٰ علىٰ أن تكون كلمتهم واحدة علىٰ من لم يبايع، فقاموا إلىٰ علي[عليه السلام]، فقالوا: قم فبايع [عثمان][2].. قال[عليه السلام]: «**فإن لم أفعل**».. قالوا: نجاهدك.. قال: فمشىٰ إلىٰ عثمان حتىٰ بايعه، وهو يقول: صدق الله ورسوله.. فلما بايع أتاه عبدالرحمن بن عوف فاعتذر إليه، وقال: إن عثمان أعطاه يده ويمينه، ولم تفعل أنت فأحببت أن توثق للمسلمين، فجعلتها فيه، فقال: «**إيها عنك إنما آثرته بها لتنالها بعده، دق الله بينكما عطر منشم**»[3].

قال الشعبي: وقدم طلحة من الشام بعد ما بويع عثمان، فقيل له: رد هٰذا الأمر حتىٰ ترىٰ فيه رأيك فقال: والله لو بايعتم شركم لرضيت، فكيف وقد بايعتم خيركم.. قال: ثم عدا عليه بعد ذٰلك وصاحبه حتىٰ قتلاه ثم زعما أنهما يطلبان بدمه.

قال الشعبي: فأما ما يذكره الناس من المناشدة وقول علي عليه السلام لأهل الشورىٰ: «**أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله كذا**»، فإنه لم يكن يوم البيعة، وإنما كان بعد ذٰلك بقليل دخل علي عليه السلام علىٰ عثمان وعنده جماعة من الناس، منهم أهل الشورىٰ، وقد كان بلغه عنهم هنات وقوارص[4]، فقال لهم: «**أفيكم.. أفيكم**»، كل ذٰلك يقولون: لا، قال[عليه السلام]: «**لكني أخبركم عن أنفسكم، أما أنت يا عثمان ففررت يوم حنين، وتوليت يوم التقىٰ الجمعان، وأما أنت يا طلحة، فقلت: إن مات محمد**

(١) في المصدر: وبدا نكر.
(٢) من المصدر.
(٣) تقدم توضيح هٰذا المثل.
(٤) كلمات مؤذية (لسان العرب: ج٧، ص٧٠).

لنركضن بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا، وأما أنت يا عبدالرحمن، فصاحب قراريط[(١)]، وأما أنت يا سعد فتدق عن أن تذكر».

قال: ثم خرج فقال عثمان: أما كان فيكم أحد يرد عليه!! قالوا: وما منعك من ذٰلك وأنت أمير المؤمنين.. وتفرقوا.

قال عوانة[(٢)]: قال إسماعيل: قال الشعبي: فحدثني عبدالرحمن بن جندب، عن أبيه جندب بن عبدالله الأزدي، قال: كنت جالسا بالمدينة حيث بويع عثمان، فجئت فجلست إلىٰ المقداد بن عمرو، فسمعته يقول: والله ما رأيت مثل ما أتىٰ إلىٰ أهل هٰذا البيت.. وكان عبدالرحمن بن عوف جالسا، فقال: وما أنت وذاك يا مقداد.. قال المقداد: إني والله أحبهم لحب رسول الله ﷺ، وإني لأعجب من قريش وتطاولهم علىٰ الناس بفضل رسول الله، ثم انتزاعهم سلطانه من أهله.. قال عبدالرحمن: أما والله لقد أجهدت نفسي لكم.. قال المقداد: أما والله لقد تركت رجلا من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون، أما والله لو أن لي علىٰ قريش أعوانا لقاتلتهم قتالي إياهم ببدر وأحد.. فقال عبدالرحمن: ثكلتك أمك لا يسمعن هٰذا الكلام الناس، فإني أخاف أن تكون صاحب فتنة وفرقة.

قال المقداد: إن من دعا إلىٰ الحق وأهله وولاه الأمر لا يكون صاحب فتنة، ولكن من أقحم الناس في الباطل، وآثر الهوىٰ علىٰ الحق، فذلك صاحب الفتنة والفرقة.

قال: فتزبد[(٣)] وجه عبدالرحمن، ثم قال: لو أعلم أنك إياي تعني لكان لي ولك شأن.

قال المقداد: إياي تهدد يا ابن أم عبدالرحمن، ثم قام عبدالرحمن فانصرف، قال جندب بن عبدالله: فاتبعته، وقلت له: يا عبدالله؛ أنا من أعوانك.. فقال: رحمك الله إن هٰذا الأمر لا يغني فيه الرجلان ولا الثلاثة.. قال: فدخلت من فوري ذٰلك علىٰ علي عليه السلام، فلما جلست إليه، قلت: يا أبا الحسن؛ والله ما أصاب قومك بصرف هٰذا الأمر عنك.. فقال[عليه السلام]: «**صبر جميل والله المستعان**».. فقلت: والله إنك لصبور.. قال[عليه السلام]: «**فإن لم أصبر فماذا أصنع**»؟ قلت: إني جلست

---

(١) ما يعلق في شحمة الأذن (مجمع البحرين: ج٣، ص٤٨٩).

(٢) المؤرخ من أهل الكوفة وصاحب كتاب في التاريخ.

(٣) تغير.

إلىٰ المقداد بن عمرو آنفا وعبدالرحمن بن عوف، فقالا كذا وكذا، ثم قام المقداد فاتبعته، فقلت له: كذا فقال لي كذا.. فقال علي﵇: «**لقد صدق المقداد فما أصنع**»؟ فقلت: تقوم في الناس فتدعوهم إلىٰ نفسك، وتخبرهم أنك أولىٰ بالنبيﷺ، وتسألهم النصر علىٰ هٰؤلاء المظاهرين عليك، فإن أجابك عشرة من مائة شددت بهم علىٰ الباقين، فإن دانوا لك فذاك، وإلا قاتلتهم وكنت أولىٰ بالعذر قتلت أو بقيت، وكنت أعلىٰ عند الله حجة.

فقال[﵇]: «**أترجو يا جندب أن يبايعني من كل عشرة واحد**»؟ قلت: أرجو ذلك.. قال[﵇]: «**لكني لا أرجو ذلك، لا والله ولا من المائة واحد، وسأخبرك إن الناس إنما ينظرون إلىٰ قريش، فيقولون: هم قوم محمد وقبيلته، وأما قريش بينها فتقول: إن آل محمد يرون لهم علىٰ الناس بنبوته فضلا، ويرون أنهم أولياء هٰذا الأمر دون قريش، ودون غيرهم من الناس، وهم إن ولوه لم يخرج السلطان منهم إلىٰ أحد أبدا، ومتىٰ كان في غيرهم من الناس تداولته قريش بينهما، لا والله لا يدفع الناس إلينا هٰذا الأمر طائعين أبدا**».

فقلت: جعلت فداك يا ابن عم رسول الله[ﷺ] لقد صدعت قلبي بهٰذا القول، أفلا أرجع إلىٰ المصر فأوذن الناس بمقالتك، وادعو الناس إليك؟ فقال[﵇]: «**يا جندب، ليس هٰذا زمان ذاك**».

قال: فانصرفت إلىٰ العراق، فكنت أذكر فضل علي[﵇] علىٰ الناس فلا أعدم رجلا يقول ما أكره، وأحسن ما أسمعه قول من يقول: دع عنك هٰذا وخذ فيما ينفعك، فأقول: إن هٰذا مما ينفعني وينفعك فيقوم عني ويدعني.

وزاد أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري(١): حتىٰ رفع ذٰلك من قولي إلىٰ الوليد بن عقبة أيام ولينا، فبعث إليّ فحبسني حتىٰ كلم في، فخلىٰ سبيلي.

وروىٰ الجوهري، قال(٢): نادىٰ عمار بن ياسر ذٰلك اليوم: يا معشر المسلمين؛ إنا قد كنا وما [كنا](٣) نستطيع الكلام، قلة وذلة، فأعزنا الله بدينه، وأكرمنا برسوله[ﷺ]، فالحمد لله رب العالمين، يا معشر قريش.. إلىٰ متىٰ تصرفون هٰذا الأمر عن أهل بيت نبيكم، تحولونه ها هنا مرة، وها هنا مرة،

---

(١) في السقيفة وفدك (ص٩١).

(٢) في السقيفة وفدك (ص٩١).

(٣) من المصدر.

[و](1)ما أنا آمن أن ينزعه الله منكم ويضعه في غيركم، كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله.

فقال له هاشم بن الوليد بن المغيرة: يا ابن سمية؛ لقد عدوت طورك وما عرفت قدرك، ما أنت وما رأت قريش لأنفسها، إنك لست في شيء من أمرها وإمارتها، فتنح عنها.

وتكلمت قريش بأجمعها، فصاحوا بعمار وانتهروه، فقال: الحمد لله رب العالمين، ما زال أعوان الحق أذلاء، ثم قام فانصرف.

وروىٰ إبراهيم بن سعيد بن هلال الثقفي في كتاب الغارات(2)، عن رجاله، عن عبدالرحمن بن جندب، عن أبيه، قال: خطب علي عليه السلام بعد فتح مصر، وقتل محمد بن أبي بكر، فقال:

«أما بعد.. فإن الله بعث محمدا [نذيرا](3) للعالمين، وأمينا علىٰ التنزيل، وشهيدا علىٰ هٰذه الأمة، وأنتم [يا](4) معاشر العرب يومئذ علىٰ شر دين، وفي شر دار، منيخون(5) علىٰ حجارة خشن، وحياة صم، وشوك مبثوث في البلاد، تشربون الماء الخبيث، وتأكلون الطعام الخبيث(6)، وتسفكون دماءكم، وتقتلون أولادكم، وتقطعون أرحامكم، وتأكلون أموالكم بينكم بالباطل، سبلكم خائفة، والأصنام فيكم منصوبة، [والآثام بكم معصوبة](7)، و﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾(8)، فمنّ الله عزّ وجلّ عليكم بمحمد[صلى الله عليه وآله]، فبعثه إليكم رسولا من أنفسكم، [وقال فيما أنزل من كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(9)، وقال: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

(1) من المصدر.
(2) الجزء الأول (ص٣٠٣).
(3) من المصدر.
(4) كما في الغارات.
(5) برك وخضع (القاموس المحيط: ج١، ص٢٧٢).
(6) في الغارات: الجشيب.
(7) كما في نهج البلاغة.
(8) الآية ١٠٦ من سورة يوسف.
(9) الآية الثانية من سورة الجمعة.

عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[١]، وقـال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[٢]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[٣]، فكان الرسـول إليكم من أنفسـكم بلسـانكم، وكنتـم أول المؤمنين تعرفون وجهـه وشـيعته وعمارتـه][٤]، فعلمكم الكتـاب والحكمـة[٥]، والفرائض والسـنن، وأمركم بصلة أرحامكم[٦]، وحقن دمائكم، وصـلاح ذات البين[٧]، وأن تؤدوا الأمانـات إلىٰ أهلهـا[٨]، وأن توفـوا بعهـد الله[٩]، ولا تنقضـوا الإيمان بعد توكيدها[١٠]، و[أمركم][١١] أن تعاطفـوا، وتباروا، وتباذلـوا، وتراحموا، ونهاكم عن التناهب والتظالم والتحاسـد والتباغي والتقاذف، وعن شـرب الحـرام[١٢]، وبخس المكيال، ونقص الميـزان، وتقدم إليكم فيمـا يتلىٰ عليكم: ألا تربـوا، ولا تزنوا، ولا تأكلوا أمـوال اليتامـىٰ ظلما، وأن تـؤدوا الأمانات إلـىٰ أهلهـا، ولا تعثوا في الأرض مفسـدين، ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[١٣]، فـكل[١٤] خير يدنىٰ إلـىٰ الجنـة ويباعد عـن النار أمركم بـه، وكل شـر يدنىٰ مـن[١٥] النار ويباعد عن الجنة نهاكم عنه.

فلما اسـتكمل مدته توفاه الله إليه سـعيدا حميدا، فيا لهـا من مصيبة خصت الأقربيـن، وعمت [جميـع][١٦] المسـلمين، ما أصيبـوا قبلها بمثلها، ولـن يعاينوا

(١) الآية ١٢٨ من سورة التوبة. (٢) الآية ١٦٤ من سورة آل عمران.
(٣) الآية الرابعة من سورة الجمعة.
(٤) من الغارات.
(٥) كما في صريح العديد من الآيات القرآنية.
(٦) كما في الخصال (ص٦١٣) إنه ﷺ قال: «**صلوا أرحامكم ولو بالسلام، يقول الله تبارك وتعالى:** ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾» [الآية الثانية من سورة النساء].
(٧) حيث قال ﷺ: «**صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصوم**» [الكافي: ج٧، ص٥١].
(٨) كما في الآية القرآنية ٥٨ من سورة النساء.
(٩) في المصدر: بالعهد.
(١٠) كما في الآية القرآنية ٩١ من سورة النحل.
(١١) كما في الغارات.
(١٢) في المصدر: الخمر.
(١٣) كما في التعبير القرآني (الآية ١٩٠ من سورة البقرة).
(١٤) في المصدر: وكل.
(١٥) في المصدر: إلى.
(١٦) من الغارات.

بعدها أختها، فلما مضىٰ لسبيله ﷺ تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقىٰ في روعي، ولا يخطر علىٰ بالي أن العرب تعدل بهٰذا الأمر بعد محمد أهل بيته، ولا أنهم منحوه عني من بعده، فما راعني إلا انثيال[١] الناس علىٰ أبي بكر وإجفالهم[٢] إليه ليبايعوه، فأمسكت يدي، ورأيت أني أحق بمقام محمد ﷺ في الناس ممن تولىٰ الأمر من بعده، فلبثت بذلك[٣] ما شاء الله، حتىٰ رأيت راجعة من الناس رجعت عن الإسلام، يدعون إلىٰ محق دين الله وملة محمد عليه السلام، فخشيت إن لم أنصر الاسلام وأهله أن أرىٰ فيه ثلما وهدما يكون المصاب[٤] بها[٥] علي أعظم من فوات ولاية أموركم، التي إنما هي متاع أيام قلائل، ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب، وكما يتقشع السحاب، فمشيت عند ذٰلك إلىٰ أبي بكر فبايعته، ونهضت في تلك الأحداث، حتىٰ زاغ الباطل وزهق، وكانت كلمة الله العليا ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٦].

وتولىٰ[٧] أبو بكر تلك الأمور، فيسر وسدد[٨]، وقارب واقتصد، فصحبته[٩] مناصحا، وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهدا، وما طمعت أن لو حدث به حادث وأنا حي أن يرد إلىٰ الأمر الذي نازعته فيه طمع مستيقن، ولا يئست منه يأس من لا يرجوه، ولو لا خاصة ما كان بينه وبين عمر لظننت أنه لا يدفعها عني، فلما احتضر بعث إلىٰ عمر فولاه [فـ][١٠]سمعنا وأطعنا وناصحنا.

وتولىٰ عمر الأمر، وكان[١١] مرضي السيرة[١٢]، ميمون النقيبة[١٣]، حتىٰ إذا احتضر، قلت[١٤] في نفسي: لن يعدلها عني، ليس يدافعها عني، فجعلني

(١) انصباب. (٢) ذهابهم مسرعين.
(٣) في المصدر: بذاك. (٤) في الغارات: مصيبته.
(٥) في المصدر: بهما.
(٦) كما في التعبير القرآني (الآية ٣٢ من سورة التوبة).
(٧) في المصدر: فتولى.
(٨) في الغارات: وشدد.
(٩) في المصدر: وصحبته.
(١٠) من المصدر.
(١١) في المصدر: فكان.
(١٢) ظاهرا عند الناس كما ذكر العلامة المجلسي رحمه الله.
(١٣) النفس.
(١٤) في المصدر: فقلت.

سادس ستة، فما كانوا لولاية أحد منهم أشد كراهة لولايتي عليهم، [فـ][١]كانوا يسمعون[٢] عند وفاة رسول الله ﷺ لجاج[٣] أبي بكر، وأقول: يا معشر قريش؛ إنا أهل البيت أحق بهٰذا الأمر منكم، ما كان فينا من يقرأ القرآن ويعرف السنة، ويدين بدين الحق، فخشي القوم إن أنا وليت عليهم ألا يكون لهم في[٤] الأمر نصيب ما بقوا، فأجمعوا إجماعا واحدا، فصرفوا الولاية إلىٰ عثمان، وأخرجوني منها رجاء أن ينالوها، ويتداولوها إذ يئسوا أن ينالوا بها من قبلي، ثم قالوا: هلم فبايع وإلا جاهدناك، فبايعت مستكرها، وصبرت محتسبا.

فقال قائلهم: يا ابن أبي طالب؛ إنك علىٰ هٰذا الأمر لحريص، فقلت: أنتم أحرص مني وأبعد، أينا[٥] أحرص، أنا[٦] الذي طلبت تراثي[٧] وحقي الذي جعلني الله ورسوله أولىٰ به، أم أنتم إذ تضربون وجهي دونه، وتحولون بيني وبينه، فبهتوا، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٨].

اللهم إني أستعديك علىٰ قريش فإنهم قطعوا رحمي، ووضعوا[٩] إيباي[١٠]، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا علىٰ منازعتي حقا كنت أولىٰ به منهم، فسلبونيه ثم قالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تمنعه، فاصبرا كمدا[١١] [متوخما][١٢] أو مت سفا[١٣] وحنقا.

فنظرت فإذا ليس معي رافد ولا ذاب ولا ناصر ولا مساعد إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الهلاك[١٤]، فأغضيت[١٥] علىٰ القذىٰ، وتجرعت ريقي علىٰ

---

(١) كما في الغارات. (٢) في الغارات: يسمعوني.
(٣) في الغارات: أحاج. (٤) في المصدر: من.
(٥) في الغارات: أأنا.
(٦) في الغارات: إذا.
(٧) في المصدر: ميراثي.
(٨) الآية ٢٥٨ من سورة البقرة.
(٩) في المصدر: وأضاعوا.
(١٠) في الغارات: إنائي.
(١١) حزنا مكتوما.
(١٢) من الغارات.
(١٣) سريعا.
(١٤) في المصدر: المنية.
(١٥) في المصدر: وأغضيت.

الشجىٰ، وصبرت من كظم الغيظ علىٰ أمر من العلقم، وآلم للقلب من حز الشفار[١].

حتىٰ إذا نقمتم[٢] علىٰ عثمان أتيتموه فقبلتموه[٣]، ثم جئتموني لتبايعوني، فأبيت عليكم، وأمسكت يدي فنازعتموني ودافعتموني، وبسطتم يدي فكففتها، ومددتموها[٤] فقبضتها، وازدحمتم علي حتىٰ ظننت أن بعضكم قاتل بعضكم، أو أنكم قاتلي.. فقلتم: بايعنا لا نجد غيرك، ولا نرضىٰ إلا بك، [فـ][٥]بايعنا لا نفترق ولا تختلف كلمتنا، فبايعتكم ودعوت الناس إلىٰ بيعتي، فمن بايع طوعا[٦] قبلت، ومن أبىٰ لم أكرهه وتركته.

فبايعني فيمن بايعني طلحة والزبير، ولو أبيا ما أكرهتهما، كما لم أكره غيرهما، فما لبثنا إلا يسيرا حتىٰ بلغني عنهما [أنهما][٧] خرجا من مكة متوجهين إلىٰ البصرة، في جيش ما منهم [رجل][٨] إلا قد [بايعني و][٩]أعطاني الطاعة، وسمح لي بالبيعة، فقدما علىٰ عاملي وخزان بيت مالي، وعلىٰ أهل مصري[١٠] الذين كلهم علىٰ بيعتي وفي طاعتي، فشتتوا كلمتهم، وأفسدوا جماعتهم، ثم وثبوا علىٰ شيعتي [من المسلمين][١١] فقتلوا طائفة منهم غدرا، وطائفة صبرا، ومنهم طائفة قد غضبوا لله ولي، فشهروا سيوفهم، وضربوا بها حتىٰ لقوا الله عز وجل صادقين، فوالله لو لم يصيبوا منهم إلا رجلا واحدا متعمدين لقتله لحل بي قتل ذلك الجيش بأسره، فدع ما أنهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العدة التي دخلوا بها عليهم، وقد أدال الله منهم ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١٢].

---

(١) السيف. (٢) في مصباح البلاغة (ج١، ص٢٧٧): أنقمتم.

(٣) في الغارات: قتلتموه.

(٤) في الغارات: ومددتم يدي.

(٥) كما في الغارات.

(٦) في الغارات: طائعا.

(٧) من المصدر.

(٨) كما في المصدر.

(٩) من الغارات.

(١٠) في الغارات: مصر.

(١١) من المصدر.

(١٢) كما في التعبير القرآني (الآية ٤١ من سورة المؤمنون).

ثم إني نظرت في أمر أهل الشام، فإذا أعراب أحزاب وأهل طمع جفاة طغاة، يجتمعون من كل أوب، من كان ينبغي أن يؤدب وأن يولي عليه، ويؤخذ علىٰ يده، ليسوا من المهاجرين ولا الأنصار ولا التابعين بإحسان، فسرت إليهم فدعوتهم إلىٰ الطاعة والجماعة، فأبوا إلا شقاقا وفراقا، ونهضوا في وجوه المسلمين ينضحونهم بالنبل، ويشجرونهم[١] بالرماح، فهناك نهدت[٢] إليهم بالمسلمين فقاتلتهم، فلما عضهم السلاح، ووجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف يدعونكم إلىٰ ما فيها، فأنبأتكم أنهم ليسوا بأصحاب[٣] دين ولا قرآن، وأنهم رفعوا[٤] [غدرا و][٥]مكيدة وخديعة ووهنا وضعفا، فامضوا علىٰ حقكم وقتالكم، فأبيتم عليّ، وقلتم: اقبل منهم، فإن أجابوا إلىٰ ما في الكتاب جامعونا علىٰ ما نحن فيه[٦] من الحق، وإن أبوا كان أعظم لحجتنا عليهم، فقبلت منهم[٧]، وكففت عنهم، إذ ونيتم وأبيتم، فكان الصلح بينكم وبينهم علىٰ رجلين، يحييان ما أحيا القرآن، ويميتان ما أمات القرآن، فاختلف رأيهما، وتفرق حكمهما، ونبذا حكم[٨] القرآن، وخالفا ما في الكتاب، فجنبهما الله السداد، ودلاهما في الضلال[٩]، فانخذلن[١٠] فرقة منا فتركناهم[١١] ما تركونا، حتىٰ إذا عثوا في الأرض يقتلون ويفسدون، أتيناهم فقلنا: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا، ثم كتاب الله بيننا وبينكم.. قالوا: كلنا قتلهم، وكلنا استحل دماءهم، وشدت علينا خيلهم[١٢] ورجالهم، فصرعهم الله مصارع[١٣] الظالمين.

---

(١) يطعنونهم.

(٢) نهضت.

(٣) في المصدر: بأهل.

(٤) في الغارات: رفعوها .

(٥) كما في الغارات.

(٦) في المصدر: عليه.

(٧) في الغارات: منكم.

(٨) في المصدر: ونبذا ما في.

(٩) في المصدر: الضلالة.

(١٠) في المصدر: فانحرفت.

(١١) في المصدر: فتركناها.

(١٢) في المصدر: خيلنا.

(١٣) في الغارات: مصرع.

فلما كان ذٰلك من شأنهم أمرتكم أن تمضوا من فوركم ذٰلك إلىٰ عدوكم، فقلتم: كلت سيوفنا ونفذت نبالنا، ونصلت[1] أسنة رماحنا، وعاد أكثرها قصدا[2]، فارجع بنا إلىٰ مصرنا لتستعد بأحسن عدتنا، وإذا[3] رجعت زدت في مقاتلينا[4] عدة من هلك منا وفارقنا، فإن ذٰلك أقوىٰ لنا علىٰ عدونا.

فأقبلت بكم، حتىٰ إذا أظللتم علىٰ الكوفة أمرتكم أن تنزلوا بالنخيلة[5]، وإن تلزموا معسكركم، وأن تضموا قواضيكم[6]، وإن توطنوا علىٰ الجهاد أنفسكم، ولا تكثروا زيارة أبنائكم ونسائكم، فإن أصحاب[7] الحرب المصابر[8]، وأهل التشطير[9] فيها الذين لا ينقادون[10] من سهر ليلهم، ولا ظمأ نهارهم، ولا خمص بطونهم، ولا نصب أبدانهم، فنزلت طائفة منكم معي معذرة، ودخلت طائفة منكم المصر عاصية، فلا من بقي منكم ثبت وصبر، ولا من دخل المصر عاد [إلي][11] ورجع، فنظرت إلىٰ معسكري، وليس فيه خمسون رجلا، فلما رأيت ما أتيتم، دخلت إليكم فلم أقدر علىٰ أن تخرجوا معي إلىٰ يومنا هذا.

فما تنتظرون؟ أما ترون أطرافكم قد انتقصت، وإلىٰ مصر[12] قد فتحت[13]، وإلىٰ شيعتي بها [بعد][14] قد قتلت، وإلىٰ مسالحكم تعرىٰ[15]، وإلىٰ بلادكم تعزىٰ، وأنتم ذو عدد كثير، وشوكة وبأس شديد، فما بالكم؟ لله أنتم من أين تؤتون؟، وما لكم تؤفكون[16]، وأنىٰ تسحرون.

---

(١) أي: انتزعت. (٢) متكسرا.
(٣) في المصدر: فإذا. (٤) في المصدر: مقاتلتنا.
(٥) موضع قريب من الكوفة. (٦) في شرح نهج البلاغة: قواصيكم.
(٧) في المصدر: أهل.
(٨) في المصدر: المصابروها.
(٩) في المصدر: التشمير.
(١٠) في الغارات: لا ينوحون.
(١١) من الغارات.
(١٢) في الغارات: أمصاركم.
(١٣) في الغارات: افتتحت.
(١٤) كما في الغارات.
(١٥) خالية من الرجال والسلاح.
(١٦) في الغارات: مالكم أنى تؤفكون.

ولو أنكم عزمتم وأجمعتم لم تراموا، إلا أن القوم تراجعوا[١] وتناشبوا وتناصحوا، وأنتم قد ونيتم وأبيتم وتغاششتم افترقتم، ما إن أنتم إن ألممتم[٢] عندي علىٰ هٰذا بسعداء[٣]، فانبهوا نائمكم، وأجمعوا[٤] علىٰ حقكم، وتجردوا لحرب عدوكم، وقد أبدت الرغوة عن الصريح[٥]، وقد ستر[٦] الصبح لذي عينين[٧]، إنما تقاتلون الطلقاء، وأبناء الطلقاء، وأولي الجفاء، ومن أسلم كرها، وكان لرسول الله صلى الله عليه وآله أنف[٨] الاسلام كله حربا، أعداء الله والسنة والقرآن، وأهل البدع والأحداث، ومن كان بوائقه تتقىٰ، وكان عن[٩] الاسلام واهله منحرفا، [و][١٠]أكلة الرشا، وعبيد[١١] الدنيا، لقد أنهىٰ إلي أن ابن النابغة لم يبايع معاوية حتىٰ أعطاه[١٢]، وشرط له أن يؤتيه أتية ما هي أعظم مما في يده من سلطانه.. ألا فصعرت[١٣] يد هٰذا البائع دينه بالدنيا، وحزنت[١٤] أمانة هٰذا المشتري نصرة فاسق غادر بأموال المسلمين، وإن فيهم من[١٥] قد شرب فيكم الخمر وجلد الحد، [و][١٦]يعرف بالفساد في الدين، والفعل السيء، وإن فيهم من لم يسلم حتىٰ رضخ له علىٰ الاسلام رضيخة.

فهؤلاء قادة القوم، ومن تركت ذكر مساوئه من قادتهم مثل من ذكرت منهم، بل هو شر [منهم][١٧]، ويود هٰؤلاء الذين ذكرت لو ولوا عليكم فأظهروا[١٨]

(١) في الغارات: قد اجتمعوا. (٢) في الغارات: أتمتم.
(٣) في الغارات: على ذي سعداء. (٤) في الغارات: واجتمعوا.
(٥) وهو مثل مشهور معناه أن الأمر مغطى عليك وسيبدو لك.
(٦) في المصدر: بين.
(٧) وهو أيضا من الأمثال المشهورة.
(٨) أول وأشد.
(٩) في الغارات: على.
(١٠) كما في الغارات.
(١١) في المصدر: وعبدة.
(١٢) في الغارات: حتى أعطاه ثمنا.
(١٣) في المصدر: صفرت.
(١٤) في المصدر: وخزيت.
(١٥) في الغارات: لمن.
(١٦) كما في الغارات.
(١٧) من الغارات.
(١٨) في الغارات: لأظهروا.

فيكم الكفر[1] والفساد والفجور والتسلط بجبرية [والفساد في الأرض][2]، واتبعوا الهوىٰ وحكموا بغير الحق، ولأنتم علىٰ ما كان فيكم من تواكل وتخاذل خير منهم وأهدىٰ سبيلا، فيكم العلماء والفقهاء، والنجباء والحكماء، وحملة الكتاب والمتهجدون بالأسحار، وعمار المساجد بتلاوة القرآن، أفلا تسخطون وتهتمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم، والأشرار الأراذل منكم.

فاسمعوا قولي [هداكم الله إذا قلت][3]، وأطيعوا أمري [إذا أمرت][4]، فوالله لئن أطعتموني [لا تغوون، وإن عصيتموني][5] لا ترشدون، خذوا للحرب أهبتها، وأعدوا لها عدتها، فقد شبت [وأوقدت][6] نارها، وعلا سنانها[7]، وتجرد لكم فيها الفاسقون، كي يعذبوا عباد الله، ويطفئوا نور الله.

ألا إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والكبر والجفاء بأولىٰ في الجد[8] في غيهم وضلالتهم[9] [وباطلهم][10]، من أهل البر والزهادة والإخبات في حقهم، وطاعة ربهم، [ومناصحة إمامهم][11]، إني والله لو لقيتهم فردا وهم ملأ الأرض، ما باليت ولا استوحشت، وإني من ضلالتهم التي هم فيها والهدىٰ الذي نحن عليه، لعلىٰ ثقة وبينة، ويقين وبصيرة، وإني إلىٰ لقاء ربي لمشتاق، ولحسن ثوابه[12] لمنتظر، ولكن أسفا يعتريني، وحزنا يخامرني، أن يلي أمر هٰذه الأمة سفهاؤها وفجارها، فيتخذوا مال الله دولا، وعباده خولا[13]، والفاسقين حزبا[14]، وأيم الله لو لا ذٰلك لما أكثرت تأنيبكم وتحريضكم، ولتركتكم إذ

---

(١) في الغارات: الكبر. (٢) من الغارات.

(٣) كما في الغارات.

(٤) من الغارات.

(٥) من المصدر.

(٦) من الغارات.

(٧) في الغارات: شنارها.

(٨) في الغارات: بأولى بالجد.

(٩) في الغارات: وظلالهم.

(١٠) من الغارات.

(١١) كما في الغارات.

(١٢) في الغارات: ثواب ربي.

(١٣) خدما وعبيدا.

(١٤) في نهج البلاغة: والصالحين حربا، والفاسقين حزبا.

ونيتم[١] وأبيتم حتىٰ ألقاهم بنفسي، متىٰ حم[٢] لي لقاؤهم، فوالله إني لعلىٰ الحق، وإني للشهادة لمحب، فـ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٣]، ولا تثاقلوا إلىٰ الأرض فتقروا بالخسف[٤]، وتبوأوا بالذل، ويكن نصيبكم إلا خسران[٥]، إن أخا الحرب اليقظان [الأرق، ومن نام لم ينم عنه][٦]، ومن ضعف أودي، ومن ترك الجهاد كان كالمغبون المهين.

اللهم اجمعنا وإياهم علىٰ الهدىٰ، وزهدنا إياهم في الدنيا، واجعل الآخرة خيرا لنا ولهم من الأولىٰ»[٧].

الباب السادس

في مطاعن عثمان وأحداثه

وهي إحدىٰ عشرة المسببة لقتله التي ذكرها في المغني قاضي القضاة والسيد المرتضىٰ[رضي الله عنه] في الشافي في الرد عليه.

قال ابن أبي الحديد[٨] من خطبة له عليه السلام، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «[إنه][٩] **قد كان علىٰ الأمة[١٠] وال أحدث أحداثا، وأوجد الناس[١١] مقالا فقالوا، ثم نقموا فغيروا**»[١٢].

قال ابن أبي الحديد في الشرح[١٣]: الوالي المشار إليه (عثمان).

(١) ضعفتم.

(٢) حان وقته.

(٣) الآية ٤١ من سورة التوبة.

(٤) بالهوان.

(٥) في المصدر: نصيبكم الخسران.

(٦) كما في الغارات.

(٧) وأيضا هذا النص موجود في كتاب الإمامة والسياسة (ج١، ص١٦١).

(٨) في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص٣٢٢).

(٩) من المصدر.

(١٠) في نهج البلاغة: الناس.

(١١) في نهج البلاغة: للناس.

(١٢) نهج البلاغة (ج١، ص٩٤).

(١٣) الجزء الثاني (ص٣٢٣).

ويجب أن نذكر ها هنا أحداثه، وما يقوله أصحابنا في تأويلاتها، وما تكلم به المرتضىٰ[قدس سره] في كتاب الشافي في هٰذا المعنىٰ.

قال ابن أبي الحديد[١]: [فأما][٢] الكلام في المطاعن المفصلة التي طعن بها فيه فنحن نذكرها، ونحكي ما ذكره قاضي القضاة وما اعترض به المرتضىٰ رضي الله عنه.

▪ الطعن الأول:

قال قاضي القضاة رضي الله عنه في المغني: فمما طعن به عليه، قولهم: إنه ولي أمور المسلمين من لا يصلح لذلك ولا يؤتمن عليه، ومن ظهر عليه[٣] الفسق والفساد، ومن لا علم عنده، مراعاة منه لحرمة القرابة، وعدولا عن مراعاة حرمة الدين والنظر للمسلمين، حتىٰ ظهر ذٰلك منه وتكرر، وقد كان عمر رضي الله عنه[٤] حذره من ذلك، حيث وصفه بأنه كلف بأقاربه، وقال له: إذا وليت هٰذا الأمر فلا تسلط بني أبي معيط علىٰ رقاب الناس[٥]، فوقع منه ما حذره إياه، وعوتب في ذٰلك فلم ينفع العتب، وذلك نحو استعماله الوليد بن عقبة[٦]، وتقليده إياه حتىٰ ظهر منه شرب الخمر[٧]، واستعماله سعيد بن العاص حتىٰ ظهرت منه الأمور التي عندها أخرجه أهل الكوفة[٨]، وتوليته عبدالله بن أبي سرح[٩]، وعبدالله بن عامر بن كريز[١٠]، حتىٰ روي عنه في أمر ابن أبي سرح أنه لما تظلم منه أهل مصر وصرفه عنهم بمحمد بن أبي بكر، كاتبه بأن يستمر علىٰ ولايته، فأبطن خلاف ما أظهر، فعل من غرضه خلاف الدين[١١].

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص١١).

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: منه.

(٤) ليست في المصدر.

(٥) الرياض النضرة (ج٢، ص٧٦).

(٦) أخوه من أمه، ولاه الكوفة (الإصابة: ج٣، ص٦٠١).

(٧) حتى صلى بالناس وهو سكران (تذكرة الخواص: ص٢٠٥).

(٨) أنساب الأشراف (ج٥، ص٣٩).

(٩) أخوه من الرضاعة.

(١٠) خاله.

(١١) تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص١٥٨).

ويقال: إنه كاتبه بقتل محمد بن أبي بكر وغيره ممن يرد عليه، وظفر بذلك الكتاب، ولذلك عظم التظلم من بعد، وكثر الجمع، وكان سبب الحصار والقتل، حتىٰ كان من أمر مروان وتسلطه عليه وعلىٰ أموره ما قتل بسببه، وذلك ظاهر لا يمكن دفعه.

قال ابن أبي الحديد[1]: قال عبدالجبار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2]: وجوابنا عن ذٰلك [أن نقول][3]:

أما ما ذكره من: (توليته من لا يجوز أن يستعمل)، فقد علمنا أنه لا يمكن أن يدعي أنه حين استعملهم علم من أحوالهم خلاف الستر والصلاح، لأن الذي ثبت عنهم من الأمور القبيحة حدث من بعد، ولا يمتنع كونهم في الأول مستورين في الحقيقة أو مستورين عنده، وإنما كان يجب تخطئته لو استعملهم، وهم في الحال لا يصلحون لذلك.

فإن قيل: فلما علم بحالهم كان يجب أن يعزلهم.

قيل: كذلك فعل لأنه إنما استعمل الوليد بن عقبة قبل ظهور شرب الخمر عنه، فلما شُهد عليه بذلك جلده الحد وصرفه، و[قد][4] روي مثله عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[5]، فإنه ولىٰ قدامة بن مظعون بعض أعماله[6]، فشهدوا عليه بشرب الخمر[7]، فأشخصه وجلده الحد، فإذا عد ذٰلك في فضائل عمر لم يجز أن يعد ما ذكروه في الوليد من معايب عثمان.. ويقال إنه لما أشخصه أقام عليه الحد بمشهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد اعتذر من عزله سعد بن أبي وقاص بالوليد، بأن سعدا شكاه أهل الكوفة، فأداه اجتهاده إلىٰ عزله بالوليد.

فأما سعيد بن العاص؛ فإنه عزله عن الكوفة وولىٰ مكانه أبا موسىٰ، وكذلك عبدالله بن أبي سرح عزله وولىٰ مكانه محمد بن أبي بكر، ولم يظهر له من

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص١٢).

(٢) في المغني (ج٢٠، ق٢، ص٤٣).

(٣) من المصدر. (٤) من المصدر.

(٥) كذا في الأصل ولأمانة النقل التزم المصنف بالنقل بهٰذا القدر دون إرادة المراد المعروف من هٰذا الرمز أو الإشارة.

(٦) وهي البحرين.

(٧) فتح الباري (ج٧، ص٢٣٨).

مروان ما يوجب أن يصرفه عما كان مستعملا فيه، ولو كان ذٰلك طعنا لوجب مثله في كل من ولي، وقد علمنا أن رسول الله ﷺ ولىٰ الوليد بن عقبة، فحدث منه ما حدث، وحدث من بعض أمراء أمير المؤمنين عليه السلام الخيانة، كالقعقاع بن شور[1]، لأنه ولاه علىٰ ميسان، فأخذ مالها ولحق بمعاوية، وكذلك فعل الأشعث بن قيس بمال أذربيجان، وولىٰ أبا موسىٰ الحكم، فكان منه ما كان، ولا يجب أن يعاب أحد بفعل غيره، وإذا لم يلحقه عيب في ابتداء ولايته فقد زال العيب فيما عداه[2].

وقولهم: (إنه قسم أكثر الولايات في أقاربه، وزال عن طريقة الاحتياط للمسلمين، وقد كان عمر حذره من ذلك) فليس يعيب، لأن تولية الأقارب كتولية الأباعد، في أنه يحسن إذا كانوا علىٰ صفات مخصوصة، ولو قيل: إن تقديمهم أولىٰ لم يمتنع إذا كان المولىٰ لهم أشد تمكنا من عزلهم، والاستبدال بهم، وقد ولىٰ أمير المؤمنين عليه السلام عبدالله بن العباس البصرة، وعبيدالله بن العباس اليمن، وقثم بن العباس مكة، حتىٰ قال مالك الأشتر عند ذلك: (علىٰ ماذا قتلنا الشيخ أمس) فيما يروىٰ، ولم يكن ذٰلك بعيب إذا أرىٰ[3] ما وجب عليه في اجتهاده.

فأما قولهم: (إنه كتب إلىٰ ابن أبي سرح حيث ولىٰ محمد بن أبي بكر بأنه يقتله ويقتل أصحابه)، فقد أنكر ذٰلك أشد إنكار، حتىٰ حلف عليه، وبين أن الكتاب الذي ظهر ليس كتابه ولا الغلام غلامه ولا الراحلة راحلته، وكان في جملة من خاطبه في ذٰلك أمير المؤمنين عليه السلام، فقبل عذره.. وذلك بين لأن قول كل أحد مقبول في مثل ذلك، وقد علم أن الكتاب يجوز فيه التزوير، فهو بمنزلة الخبر الذي يجوز فيه الكذب.

فإن قيل: فقد علم أن مروان هو الذي زور الكتاب، لأنه هو الذي كان يكتب عنه فهلا أقام فيه الحد.

قيل: ليس يجب بهٰذا القدر أن يقطع علىٰ مروان هو الذي فعل ذلك، لأنه وإن غلب ذٰلك في الظن، فلا يجوز أن يحكم به، وقد كان القوم يسومونه

---

(١) تابعي يضرب به المثل في حسن المجاورة (الكامل للمبرد: ج١، ص١٢٠) إلا أنه ملعون.

(٢) في المصدر: بعده.

(٣) في المصدر: أدى.

لتسليم مروان إليهم، وذلك ظلم، لأن الواجب علىٰ الإمام أن يقيم الحد علىٰ من يستحقه أو التأديب، ولا يحل له تسليمه إلىٰ غيره، فقد كان الواجب أن يثبتوا عنده ما يوجب في مروان الحد والتأديب ليفعله به، وكان إذا لم يفعل والحال هٰذه يستحق التعنيف.

وقد ذكر الفقهاء في كتبهم أن الأمر بالقتل لا يوجب قودا ولا دية ولا حدا، فلو ثبت في مروان ما ذكروه لم يستحق القتل وإن استحق التعزير، لكنه عدل عن تعزيره، لأنه لم يثبت، وقد يجوز أن يكون عثمان ظن أن هٰذا الفعل فعل بعض من يعادي مروان تقبيحا لأمره، لأن ذٰلك يجوز، كما يجوز أن يكون من فعله، ولا يعلم كيف كان اجتهاده وظنه.

وبعد؛ فإن هٰذا الحديث[1] من أجل ما نقموا عليه، فإن كان شيء من ذٰلك يوجب خلع عثمان وقتله، فليس إلا هذا، وقد علمنا أن هٰذا الأمر لو ثبت ما كان يوجب القتل، لأن الأمر بالقتل لا يوجب القتل، سيما قبل وقوع القتل المأمور به، فنقول لهم: لو ثبت ذٰلك علىٰ عثمان أكان يجب قتله، أفلا يمكنهم ادعاء ذلك، لأنه بخلاف الدين، ولا بد أن يقولوا: إن قتله ظلم، وكذلك حبسه في الدار، ومنعه من الماء، فقد كان يجب أن يدفع القوم عن كل ذلك، وأن يقال: إن من لم يدفعهم وينكر عليهم يكون مخطئا.

وفي القول بأن الصحابة أجمعوا[2] علىٰ ذٰلك كلهم تخطئة لجميع أصحاب رسول الله ﷺ، وذلك غير جائز، وقد علم أيضا أن المستحق للقتل والخلع لا يحل أن يمنع الطعام والشراب، وعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يمنع أهل الشام من الماء في صفين، وقد تمكن من منعهم، وكل ذٰلك يدل علىٰ كون عثمان مظلوما، وأن ذٰلك من صنع الجهال، وأن أعيان الصحابة كانوا كارهين لذلك، وأيضا فإن قتله لو وجب لم يجز أن يتولاه القوم[3] من الناس، ولا شبهة أن الذين أقدموا علىٰ قتله كانوا بهذه الصفة، وإذا صح أن قتله لم يكن لهم فمنعهم والنكير عليهم واجب.

---

(١) في المصدر: الحدث.
(٢) في المصدر: اجتمعوا.
(٣) في المصدر: العوام.

وأيضا فقد علم أنه لم يكن من عثمان ما يستحق به القتل، من كفر بعد إيمان، أو: زنا بعد إحصان، أو: قتل نفس بغير حق، وأنه لو كان منه ما يوجب القتل لكان الواجب أن يتولاه الإمام، فقتله علىٰ كل حال منكر، وإنكار المنكر واجب.

وليس لأحد أن يقول: إنه أباح قتل نفسه، من حيث امتنع من دفع الظلم عنهم، لأنه لم يمتنع من ذلك، بل أنصفهم، ونظر في حالهم، ولأنه لو لم يفعل ذٰلك لم يحل لهم قتله، لأنه إنما يحل قتل الظالم إذا كان علىٰ وجه الدفع، والمروي أنهم أحرقوا بابه، وهجموا عليه في منزله، وبعجوه[1] بالسيف والمشاقص[2]، وضربوا يد زوجته لما وقعت عليه، وانتهبوا متاع داره، ومثل هٰذه القتلة لا تحل في الكافر والمرتد، فكيف يظن أن الصحابة لم ينكروا ذلك، ولم يعدوه ظلما، حتىٰ يقال: إنه مستحق من حيث لم يدفع القوم عنه.

وقد تظاهر الخبر بما جرىٰ من تجمع القوم عليه، وتوسط أمير المؤمنين عليه السلام لأمرهم، وأنه بذل لهم ما أرادوه، وأعيتهم[3] وأشدهم[4] علىٰ نفسه بذلك، وإن الكتاب الموجود بعد ذٰلك المتضمن لقتل القوم، ووقف عليه وممن وافقه عليه أمير المؤمنين عليه السلام فحلف أنه ما كتبه ولا أمر به، فقال له: فمن تتهم؟ قال: ما أتهم به أحدا، وإن للناس لحيلا.

والرواية ظاهرة أيضا [بقوله][5]: إن كنت أخطأت أو تعمدت فإني تائب ومستغفر، فكيف يجوز والحال هٰذه أن تهتك فيه حرمة الإسلام وحرمة البلد الحرام، ولا شبهة في أن القتل علىٰ وجه الغيلة لا يحل فيمن يستحق القتل، فكيف فيمن لا يستحقه، ولو لا أنه كان يمنع من محاربة القوم ظنا منه أن ذٰلك يؤدي إلىٰ القتل الذريع لكثرة أنصاره.

وقد جاء في الرواية: أن الأنصار بدأت معونته ونصرته، وأن أمير المؤمنين عليه السلام قد بعث إليه ابنه الحسن[عليه السلام][6]، فقال له: قل لأبيك فليأتني[7]،

---

(١) شقوه (كتاب العين: ج١، ص٢٣٦).

(٢) النصال العريضة والسهام الطويلة التي ترمى بها الوحوش (النهاية: ج٢، ص٤٩٠).

(٣) في المصدر: أعتبهم. (٤) في المصدر: وأشهدهم.

(٥) من المصدر.

(٦) كما في المصدر.

(٧) في المصدر: فتأتني.

فأراد أمير المؤمنين عليه السلام المصير إليه، فمنعه من ذٰلك محمد ابنه، واستعان بالنساء عليه، حتىٰ جاء الصراخ[١] بقتل عثمان، فمد يده إلىٰ القبلة، وقال: «**اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان**»[٢].

فإن قالوا: إنهم اعتقدوا أنه من المفسدين في الأرض، وأنه داخل تحت آية المحاربين.

قيل: فقد كان يجب أن يتولىٰ الإمام هٰذا الفعل، لأن ذٰلك يجري مجرىٰ الحد، وكيف يدعىٰ ذلك، والمشهور عنه أنه كان يمنع من مقاتلتهم، حتىٰ روي أنه قال لعبيده ومواليه، وقد هموا بالقتال: من أغمد سيفه فهو حر، ولقد كان مؤثرا لنكير ذٰلك الأمر بما لا يؤدي إلىٰ إراقة الدماء والفتنة، وكذلك[٣] لم يستعن بأصحاب الرسول عليه السلام وإن كان لما اشتد الأمر، أعانه من أعان، لأن عند ذٰلك تجب النصرة والمعونة لا بأمره، فحيث كانت الحال متماسكة، وكان ينهىٰ عن إنجاده وإعانته بالحرب امتنعوا وتوقفوا، وحيث اشتد الأمر أعانه ونصره من أدركه، دون من لم يغلبه ذٰلك في ظنه.

قال[٤]: اعترض المرتضىٰ (رحمه الله [تعالىٰ][٥]) هٰذا الكلام، فقال[٦]:

أما قوله: (لم يكن عالما بحال الفسقة الذين ولاهم قبل الولاية)، فلا تعويل عليه، لأنه لم يول هٰؤلاء النفر إلا وحالهم مشهورة في الخلاعة والمجانة[٧] والتجرم والتهتك، ولم يختلف اثنان في أن الوليد بن عقبة لم يستأنف التظاهر بشرب الخمر والاستخفاف بالدين علىٰ استقبال ولايته للكوفة، بل هٰذه كانت سنته والعادة المعروفة منه، وكيف يخفىٰ علىٰ عثمان ـ وهو قريبه ولصيقه وأخوه لأمه ـ من حاله ما لا يخفىٰ علىٰ الأجانب الأباعد؟!! ولهٰذا قال له سعد بن أبي وقاص في رواية الواقدي، وقد دخل الكوفة: يا أبا وهب[٨]؛ أمير أم

(١) في المصدر: الصريخ (أي: المستغيث).

(٢) المستدرك (ج٣، ص١٠٣).

(٣) في المصدر: ولذلك.

(٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص١٧).

(٥) من المصدر.

(٦) في كتابه الشافي (ج٤، ص٢٥١).

(٧) بمعنى المجون.

(٨) كنية الوليد.

زائر؟ قال: بل أمير.. فقال سعد: ما أدري أحمقت[١] بعدك أم كيست[٢] بعدي.. قال: ما حمقت بعدي ولا كيست بعدك، ولكن القوم ملكوا فاستأثروا.. فقال سعد: ما أراك إلا صادقا.

وفي رواية أبي مخنف لوط بن يحيىٰ [الأزدي][٣]: أن الوليد لما دخل الكوفة مر علىٰ مجلس عمرو بن زرارة النخعي، فوقف فقال عمرو: يا معشر بني أسد؛ بئس ما استقبلنا به أمركم[٤] عثمان بن عفان، أمن عدله أن ينزع عنا ابن أبي وقاص، الهين، اللين، السهل، القريب، ويبعث بدله أخاه الوليد، الأحمق، الماجن، العاجز[٥] قديما وحديثا، واستعظم الناس مقدمه، وعزل سعد به، وقالوا: أراد عثمان كرامة أخيه بهوان أمة محمد عليه السلام.

وهٰذا تحقيق ما ذكرناه: من أن حاله كانت مشهورة قبل الولاية، لا ريب فيها عند أحد، فكيف يقال: إنه كان مستورا حتىٰ ظهر منه ما ظهر، وفي الوليد نزل قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾[٦]، فالمؤمن ها هنا أمير المؤمنين عليه السلام، والفاسق الوليد، علىٰ ما ذكره أهل التأويل[٧]، وفيه نزل قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[٨]، والسبب في ذٰلك أنه كذب علىٰ بني المصطلق عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وادعىٰ أنهم منعوه الصدقة[٩]، ولو قصصنا مخازيه المتقدمة ومساويه لطال بها الشرح.

وأما شربه الخمر بالكوفة وسكره حتىٰ دخل عليه من دخل، وأخذ خاتمه من إصبعه وهو لا يعلم، فظاهر، وقد سارت به الركبان، وكذٰلك كلامه في الصلاة، والتفاته إلىٰ من يقتدي به فيها وهو سكران، وقوله لهم: أأزيدكم؟ فقالوا: لا، قد قضينا صلواتنا، حتىٰ قال الحطيئة[١٠] في ذٰلك شعرا:

---

(١) قل عقلك. (٢) وزن وحكمت عقلك.

(٣) من المصدر. (٤) في المصدر: أخوكم.

(٥) في المصدر: الفاجر.

(٦) الآية ١٨ من سورة السجدة.

(٧) جامع البيان للطبري (ج ٢١، ص٦٨).

(٨) الآية السادسة من سورة الحجرات.

(٩) تفسير الطبري (ج٢٦، ص٧٨).

(١٠) جرول بن أوس بن مالك العبسي.

شهد الحطيئة يوم يلقى ربه
أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد نفدت[١] صلاتهم
وأزيدكم[٢] ثملا ولا[٣] يدري
ليزيدكم[٤] خيرا ولو قبلوا
منه لقادهم[٥] على عشر
فأبوا أبا وهب ولو فعلوا
لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك إذ جريت ولو
خلوا عنانك لم تزل تجري[٦]

وقال[٧] فيه أيضا:

تكلم في الصلاة وزاد فيها
علانية، وجاهر[٨] بالنفاق
ومج الخمر عن[٩] سنن المصلي
ونادى والجميع إلى افتراق
أزيدكم على أن تحمدوني
فما لكم وما لي من خلاق[١٠]

فأما[١١] قوله: (إنه جلده الحد وعزله)، فبعد أي شيء كان ذلك؟ ولم يعزله إلا بعد أن دافع ومانع، واحتج عنه وناضل، و[١٢]لو لم يقهره أمير المؤمنين عليه السلام

(١) في الشافي: تمت. (٢) في المصدر: أأزيدكم.
(٣) في المصدر: وما.
(٤) في شرح النهج: ليزيدهم.
(٥) في الشافي: لزادهم.
(٦) ديوان الحطيئة (ص٨٥).
(٧) نسب شيخ الطائفة قدس سره في كتابه الأمالي (ص١٧٦) هذه الأبيات إلى علباء السدوسي.
(٨) في شرح نهج البلاغة (ج١٧، ص٢٣٠): وأعلن.
(٩) في المصدر: في.
(١٠) ديوان الحطيئة (ص١١٩).
(١١) في المصدر: وأما.
(١٢) في الشافي: فلو.

علىٰ رأيه لما عزله، ولا أمكن[١] من جلده.. وقد روىٰ الواقدي: أن عثمان لما جاءه الشهود [يشهدون][٢] علىٰ الوليد بشرب الخمر أوعدهم وتهددهم.

قال الواقدي[٣]: ويقال إنه ضرب بعض الشهود أيضا أسواطا، فأتوا أمير المؤمنين عليه السلام فشكوا إليه، فأتىٰ عثمان، فقال: عطلت الحدود، وضربت قوما شهودا[٤] علىٰ أخيك، فقلبت الحكم، وقد قال لك عمر: لا تحمل بني أمية وآل أبي معيط علىٰ رقاب الناس.. قال: فما ترىٰ؟ قال: أرىٰ أن تعزله ولا توليه شيئا من أمور المسلمين، وأن تسأل عن الشهود، فإن لم يكونوا أهل ظنة ولا عداوة، أقمت علىٰ صاحبك الحد.

وتكلم في مثل ذٰلك طلحة والزبير وعائشة، وقالوا أقوالا شديدة، وأخذته الألسن من كل جانب، فحينئذ عزله، ومكن من إقامة الحد عليه[٥].

و[قد][٦] روىٰ الواقدي: أن الشهود لما شهدوا عليه في وجهه، وأراد عثمان أن يحده، ألبسه جبة خز، وأدخله بيتا، فجعل إذا بعث إليه رجلا من قريش ليضربه، قال له الوليد: أنشدك الله أن تقطع رحمي وتغضب أمير المؤمنين، فكيف.. فلما رأىٰ علي عليه السلام ذٰلك أخذ السوط[٧] ودخل عليه[٨]، فجلده به[٩]، فأي عذر لعثمان في عزله وجلده بعد هٰذه الممانعة الطويلة، والمدافعة الشديدة[١٠].

وقصة الوليد مع الساحر الذي كان يلعب بين يديه، ويغر الناس بمكره وخديعته، وأن المعروف بجندب بن عبدالله[١١] الأزدي امتعض من ذٰلك فدخل[١٢]

(١) في الشافي: مكن.
(٢) من المصدر.
(٣) في الشافي: قال الراوي.
(٤) في المصدر: شهدوا.
(٥) ومثله في أنساب الأشراف (ج٦، ص١٤٤).
(٦) كما في شرح نهج البلاغة وإلا هي غير موجودة في الشافي.
(٧) وقيل: إن السوط كانت له شعبتان.
(٨) في بعض المصادر: وكان مع الإمام عليه السلام ابنه الإمام الحسن عليه السلام (الغدير: ج٨ ص ١٢١).
(٩) ومثله في أنساب الأشراف (ج٦، ص١٤٥).
(١٠) في الشافي: والمدافعة التامة.
(١١) في سفينة البحار (ج١، ص١٨٣): كعب.
(١٢) في المصدر: ودخل.

عليه فقتله، وقال له: احي نفسك إن كنت صادقا، وإن الوليد أراد أن يقتل جندبا بالساحر، حتىٰ أنكر الأزد ذٰلك عليه، فحبسه وأطال[١] حبسه حتىٰ هرب من السجن، معروفة [و][٢]مشهورة[٣].

فإن قيل: قد ولي رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة هٰذا صدقة بني المصطلق، وولاه عمر[٤] صدقة تغلب[٥]، فكيف تدعون[٦] أن حاله في أنه لا يصلح للولاية ظاهرة؟.

قلنا: لا جرم إنه غر رسول الله ﷺ، وكذب علىٰ القوم، حتىٰ نزلت فيه الآية التي قدمنا ذكرها، فعزله، وليس خطب ولاية الصدقة مثل خطب ولاية الكوفة، فأما عمر رضي الله عنه[٧] فإنه لما بلغه قوله شعرا:

إذا ما شددت الرأس مني بمشوذ[٨]
فويلك مني تغلب ابنة وائل

◉ عزله

وأما عزل أمير المؤمنين[عليه السلام] بعض أمراءه لما ظهر منه الحدث كالقعقاع ابن شور وغيره، وكذلك عزل عمر قدامة بن مظعون لما شهد[٩] عليه بشرب الخمر، وجلده له، فإنه لا يشبه ما تقدم، لأن كل واحد ممن ذكرناه لم يول [الأمر][١٠] إلا من هو حسن [الظن عند تولتيه فيه، حسن][١١] الظاهر عنده وعند الناس، غير معروف باللعب، ولا مشهود بالفساد، ثم لما ظهر منه ما ظهر لم يحام عنه، ولا كذب الشهود عليه وكابرهم، بل عزله مختارا غير مضطر، وكل

(١) في المصدر: وطال.
(٢) من المصدر.
(٣) أنساب الأشراف (ج٥، ص٢٩).
(٤) في الشافي: وولى عمر الوليد أيضا.
(٥) في بعض النسخ: بني تغلب.
(٦) في المصدر: يدعون.
(٧) غير موجودة في الشافي.
(٨) بعمامة (الفائق في غريب الحديث: ج٢، ص٢٢٠).
(٩) في الشافي: شهدوا.
(١٠) من المصدر.
(١١) من الشافي.

هٰذا لم يجر في أمراء عثمان، و[لأنا](١) قد بينا كيف كان عزل الوليد، وإقامة الحد عليه.

فأما أبو موسىٰ فإن أمير المؤمنين عليه السلام لم يوله الحكم مختارا، لكنه غلب علىٰ رأيه وقهر علىٰ أمره، ولا رأي لمقهور.

فأما قوله: (إن ولاية الأقارب كولاية الأباعد، بل الأقارب أولىٰ(٢)، من حيث كان التمكن من عزلهم أشد)، وذكر تولية أمير المؤمنين عليه السلام أولاد العباس (رحمهم الله)(٣) وغيرهم، فليس بشيء، لأن عثمان لم ينقم(٤) عليه تولية الأقارب من حيث كانوا أقارب، بل من حيث كانوا أهل بيت الظنة والتهمة، ولهٰذا حذره عمر رضي الله عنه(٥) منهم وأشعر بأنه يحملهم علىٰ رقاب الناس، وأمير المؤمنين عليه السلام لم يول من أقاربه متهما ولا ظنينا، وحين أحس من ابن العباس ببعض(٦) الريبة لم يمهله ولا احتمله، وكتابه(٧) بما هو شائع(٨) ظاهر، ولو لم يجب علىٰ عثمان أن يعدل عن ولاية أقاربه إلا من حيث جعل عمر رضي الله عنه(٩) ذٰلك سبب عدوله عن النص عليه، وشرط عليه يوم الشورىٰ ألا(١٠) يحمل أقاربه علىٰ رقاب الناس، ولا يؤثرهم لمكان القرابة بما لا يؤثر به غيرهم، لكان صارفا قويا، فضلا عن أن ينضاف إلىٰ ذٰلك ما انضاف من خصالهم الذميمة، وطرائفهم القبيحة.

فأما سعيد بن العاص، فإنه قال في الكوفة: إنما السواد بستان لقريش، تأخذ منه ما شاءت وتترك، حتىٰ قالوا له: أتجعل ما أفاء الله علينا بستانا لك ولقومك، ونابذوه، وأفضىٰ [ذلك](١١) الأمر إلىٰ تسييره [من سير](١٢) عن(١٣) الكوفة، والقصة

---

(١) كما في الشافي. (٢) في الشافي: بل الأباعد أجدر وأولى أن يقدم الأقارب عليهم.

(٣) في شرح نهج البلاغة: رضي الله عنهم تعالى، وفي الشافي: وذكر تولية أمير المؤمنين عليه السلام عبدالله وعبيدالله وقثما بني العباس. (٤) في الشافي: تنقم.

(٥) غير موجود في الشافي.

(٦) في الشافي: بعض.

(٧) في الشافي: وكاتبه.

(٨) في الشافي: سائر.

(٩) غير موجودة في الشافي.

(١٠) في الشافي: أن لا.

(١١) من المصدر.

(١٢) كما في المصدر.

(١٣) في الشافي: من.

مشـهورة[١]، ثم انتهـىٰ الأمر إلىٰ منـع أهل الكوفة سـعيدا من دخولهـا، وتكلموا فيه وفي عثمان كلامـا ظاهرا، حتـىٰ كادوا يخلعـون عثمان، فاضطـر حينئذ إلىٰ إجابتهم إلىٰ ولاية أبي موسـىٰ، فلم يصرف سـعيدا مختارا، بـل ما صرفه جملة، وإنما صرفه أهل الكوفة عنهم.

فأما قوله: (إنه أنكـر الكتاب المتضمن لقتل محمد بـن أبي بكر وأصحابه، وحلف علىٰ [أن][٢] الكتاب ليس بكتابـه، ولا الغلام غلامه، ولا الراحلة راحلته، وأن أميـر المؤمنيـنعليه السلام قبل عـذره)، فـأول ما فيـه: أنه حكـىٰ القصـة بخلاف ما جـرت عليـه، لأن جميع مـن يـروي[٣] هٰذه القصـة ذكر أنـه اعتـرف بالخاتم والغـلام والراحلة، وإنمـا أنكر أن يكـون أمـر بالكتابـة[٤]، لأنـه رأىٰ[٥] أن القوم لما ظفروا بالكتـاب قدموا المدينة، فجمعـوا أمير المؤمنيـنعليه السلام وطلحة والزبير وسـعدا وجماعة الأصحاب، ثـم فكوا الكتـاب بمحضر منهـم، وأخبروهم بقصة الغـلام، فدخلوا علـىٰ عثمـان والكتاب مـع أميـر المؤميـنعليه السلام، فقال لـه: أهٰذا الغلام غلامك؟ قـال: نعم.. قـال: والبعير بعيرك؟ قـال: نعم.. قـال: أفأنت كتبت هٰذا الكتـاب؟ قـال: لا وحلف بالله أنـه ما كتـب الكتـاب، ولا أمر به، فقـال له: فالخاتم خاتمك؟ قـال: نعم.. قال: فكيـف يخرج غلامك علىٰ بعيـرك[٦] بكتاب عليه خاتمك، ولا تعلم به.

وفي رواية أخرىٰ: أنـه لما واقفه عليه، قـال [له][٧] عثمـان: أما الخط فخط كاتبي، وأما الخاتم فعلىٰ خاتمـي. قال: فمن تتهـم؟ قال: أتهمـك وأتهم كاتبي.. فخرج أمير المؤمنينعليه السلام مغضبا، وهو يقول: بل بأمـرك[٨].. ولزم داره، وبعد أن توسط[٩] أمره، حتىٰ جرىٰ عليه ما جرىٰ [من أمره][١٠].

---

(١) تاريخ الطبري (ج٣، ص٣٦٥). (٢) من المصدر.
(٣) في الشافي: روى.
(٤) في الشافي: الكتاب.
(٥) في المصدر: روى.
(٦) في الشافي: ببعيرك.
(٧) كما في الشافي.
(٨) في الشافي: بل هو أمرك.
(٩) في الشافي: وقعد عن توسط.
(١٠) من الشافي.

وأعجب الأمور قوله لأمير المؤمنين عليه السلام: (إني أتهمك) وتظاهره بذلك، وتلقيه إياه في وجهه بهٰذا القول، مع بعده[1][عليه السلام] من[2] التهمة والظنة في كل شيء، و[3]في أمره خاصة، فإن القوم في الدفعة الأولىٰ أرادوا أن يعجلوا له ما أخبروه[4]، حتىٰ قام أمير المؤمنين عليه السلام بأمره وتوسطه، وأصلحه وأشار عليه[5] بأن يقاربهم ويعينهم[6]، حتىٰ انصرفوا عنه، وهٰذا فعل النصيح المشفق الحدب المتحنن، ولو كان عليه السلام ـ وحوشي من ذلك ـ متهما عليه، لما كان للتهمة عليه مجال في أمر الكتاب خاصة، لأن الكتاب بخط عدوه[7] مروان، وفي يد غلام عثمان، ومحمول علىٰ بعيره، ومختوم بخاتمه، فأي ظن تعلق بأمير المؤمنين عليه السلام في هٰذا المكان، لو لا العداوة وقلة الشكر للنعمة.

ولقد قال له المصريون لما جحد أن يكون الكتاب كتابه شيئا لا زيادة عليه في باب الحجة، لأنهم قالوا له: إذا كنت ما كتبت[8] ولا أمرت به، فأنت ضعيف، من حيث تم عليك أن يكتب كاتبك بما[9] تختمه[10] بخاتمك، وينفذه بيد غلامك، وعلىٰ بعيرك بغير أمرك، ومن تم عليه [مثل][11] ذٰلك لا يصلح أن يكون واليا علىٰ أمور المسلمين، فاختلع عن الخلافة علىٰ كل حال.

قال: ولقد[12] كان يجب علىٰ صاحب المغني أن يستحي[13] من قوله: (إن أمير المؤمنين عليه السلام قبل عذره)، وكيف يقبل عذر من يتهمه ويستغشه[14]، وهو له ناصح وما قاله أمير المؤمنين عليه السلام بعد سماع هٰذا القول منه معروف.

---

(١) في الشافي: مع بعد أمير المؤمنين عليه السلام. (٢) في الشافي: عن.
(٣) في الشافي: ثم.
(٤) في الشافي: أخروه.
(٥) في الشافي: إليه.
(٦) في الشافي: ويعتبهم.
(٧) في الشافي: بخط عدو الله وعدو رسوله وعدو أمير المؤمنين عليه السلام.
(٨) في الشافي: كتبته.
(٩) في الشافي: فيما.
(١٠) في الشافي: يختمه.
(١١) كما في الشافي.
(١٢) في الشافي: وقد.
(١٣) في الشافي: يستحيي.
(١٤) في الشافي: ويشنعه.

وقوله: (إن الكتاب يجوز فيه التزوير) ليس[١] بشيء، لأنه لا يجوز التزوير في الكتاب والغلام والبعير، وهذه الأمور إذا انضاف بعضها إلىٰ بعض، بعد فيها التزوير، وقد كان يجب علىٰ كل حال أن يبحث عن القصة، وعمن زور الكتاب، وأنفذ الرسول، ولا ينام عن ذلك، ولا ينيم حتىٰ يعرف من أين دهىٰ، وكيف تمت الحيلة عليه فيحترز من مثلها، ولا يغضي عن ذٰلك إغضاء ساتر له[٢]، خائف[٣] من بحثه وكشفه.

فأما قوله: (إنه وإن غلب علىٰ[٤] الظن أن مروان كتب الكتاب، فإن الحكم بالظن لا يجوز، وتسليمه إلىٰ القوم علىٰ ما سألوه[٥] إياه ظلم، لأن الحد والأدب[٦] إذا وجب عليه، فالإمام يقيمه دونهم)، فتعلل بما لا يجدي[٧]، لأنا لا نعمل إلا علىٰ قوله: في أنه لم يعلم أن مروان هو الذي كتب الكتاب، وإنما غلب علىٰ[٨] ظنه، أما كان يستحق مروان بهٰذا الظن بعض التعسف[٩] والزجر والتهديد، أو ما كان يجب مع وقوع التهمة عليه، وقوة الإمارات في أنه جالب الفتنة وسبب الفرقة أن يبعده عنه، ويطرده من داره، ويسلبه [نعمته، و][١٠]ما كان يخصه به من إكرامه، وما في هٰذه الأمور أظهر من أن ينبه له.

فأما[١١] قوله: (إن الأمر بالقتل لا يوجب قودا ولا دية سيما قبل وقوع القتل المأمور به)، فهب أن ذٰلك علىٰ ما قال، أما أوجب[١٢] الله تعالىٰ علىٰ الأمر بقتل المسلمين تأديبا ولا تعزيرا ولا طردا ولا إبعادا.

---

(١) في الشافي: وليس.

(٢) في الشافي: ولا يغضى عن ذٰلك إغضاء خائف له ساتر عليه.

(٣) في الشافي: مشفق.

(٤) في الشافي: في.

(٥) في الشافي: ساموه.

(٦) في الشافي: والتأديب.

(٧) في الشافي: فتعلل منه بالباطل.

(٨) في الشافي: في.

(٩) في المصدر: التعنيف.

(١٠) من الشافي.

(١١) في الشافي: وأما.

(١٢) في الشافي: يوجب.

وقوله: (لم يثبت ذلك) قد مضىٰ ما فيه، وبينا أنه لم يستعمل فيه ما يجب استعماله من البحث والكشف، وتهديد المتهم وطرده وإبعاده، والتبرؤ من التهمة بما يتبرأ به من مثلها.

فأما قوله: (إن قتله ظلم، وكذلك حبسه في الدار ومنعه من الماء، وإنه لو استحق القتل أو الخلع، لا يحل أن يمنع الطعام والشراب) [وأطنابه في ذلك][1].

وقوله: (إن من لم يدفع عن ذٰلك من الصحابة يجب أن يكون مخطئا).

وقوله: (إن قتله لو وجب لم يجز أن يتولاه العوام من الناس) فباطل، لأن الذين قتلوه، غير منكر[2] أن يكونوا ما تعمدوا قتله، وإنما طالبوه بأن يخلع نفسه لما ظهر لهم من أحداثه، ويعتزل عن الأمر اعتزالا يتمكنون معه من إقامة غيره، فلج وصمم علىٰ الامتناع، وأقام علىٰ أمر واحد، فقصد القوم بحصره [إلىٰ][3] أن يلجئوه إلىٰ خلع نفسه، فاعتصم بداره، واجتمع إليه نفر من أوباش بني أمية، يدفعون عنه، ويرمون من دنا إلىٰ الدار فانتهىٰ الأمر إلىٰ القتال بتدريج، ثم إلىٰ القتل، ولم يكن القتال ولا القتل مقصودين[4] في الأصل، وإنما أفضىٰ الأمر إليهما علىٰ ترتيب[5]، وجرىٰ ذٰلك مجرىٰ ظالم[6] غلب إنسانا علىٰ رحله أو[7] متاعه، فالواجب علىٰ المغلوب أن يمانعه ويدافعه ليخلص ماله من يده، ولا يقصد إلىٰ إتلافه ولا قتله، فإنه[8] أفضىٰ الأمر إلىٰ ذٰلك بلا قصد كان معذورا، وإنما خاف القوم في التأني به، والصبر عليه، إلىٰ أن يخلع نفسه من كتبه التي طارت في الآفاق يستنصر عليهم، ويستقدم الجيوش إليهم، ولم يأمنوا أن يرد بعض من يدفع عنه، فيؤدي ذٰلك إلىٰ الفتنة الكبرىٰ، والبلية العظمىٰ.

وأما منع الطعام والشراب[9]؛ فما فعل ذٰلك إلا تضييقا عليه، ليخرج[10] ويحوج إلىٰ الخلع الواجب عليه، وقد يستعمل في الشريعة مثل ذٰلك فيمن لجأ

(١) من الشافي. (٢) في الشافي: لا ينكر.
(٣) من الشافي. (٤) في الشافي: مقصودا.
(٥) في الشافي: إليهما بتدريج وترتيب.
(٦) في المصدر: ظلم.
(٧) في الشافي: و.
(٨) في الشافي: فإن.
(٩) في المصدر: الماء والطعام.
(١٠) في الشافي: ليحرج.

إلىٰ الحرم من ذي[١] الجنايات، وتعذر[٢] إقامة الحد عليه لمكان الحرم، علىٰ أن أمير المؤمنين عليه السلام قد أنكر منع الماء والطعام، وأنفذ من مكن من حمل ذلك، لأنه قد كان في الدار من الحرم والنسوان والصبيان من لا يحل منعه من الطعام والشراب، ولو كان[٣] حكم المطالبة بالخلع والتجمع عليه والتظافر فيه حكم منع الطعام والشراب في القبح والمنكر، لأنكره أمير المؤمنين عليه السلام ومنع منه كما منع من غيره، فقد روي عنه عليه السلام أنه لما بلغه أن القوم قد منعوا الدار من الماء قال: «**لا أرىٰ ذلك، إن في الدار صبيانا وعيالا، ولا أرىٰ أن يقتل هٰؤلاء عطشا بجرم عثمان**»، فصرح بالمعنىٰ الذي ذكرناه، ومعلوم أن أمير المؤمنين عليه السلام ما أنكر المطالبة بالخلع، بل كان مساعدا علىٰ ذٰلك ومشاورا فيه.

فأما قوله: (إن قتل الظالم إنما يحل علىٰ سبيل الدفع)، فقد بينا أنه لا ينكر أن يكون قتله وقع علىٰ ذٰلك الوجه، لأنه[٤] في تمسكه بالولاية عليهم وهو لا يستحقها، في حكم الظالم لهم، فمدافعته واجبة.

وأما [ما قصه من][٥] قصة الكتاب الموجود[٦]، فلم يحكها علىٰ الوجه[٧]، وقد شرحنا [نحن][٨] الرواية الواردة بها.

وأما قوله: (إنه قال: إن كنت أخطأت أو تعمدت فإني تائب مستغفر)، فقد أجابه القوم عن هذا، وقالوا[٩]: هٰكذا قلت في المرة الأولىٰ، وخطبت علىٰ المنبر بالتوبة والاستغفار، ثم وجدنا كتابك بما يقتضي الإصرار علىٰ أقبح ما عتبنا فيه[١٠]، فكيف نثق بتوبتك واستغفارك؟.

فأما قوله: (إن القتل علىٰ وجه الغيلة لا يحل فيمن يستحق القتل، فكيف فيمن لا يستحقه)، فقد بينا أنه لم يكن علىٰ سبيل الغيلة، وأنه لا يمتنع أن يكون إنما وقع علىٰ سبيل المدافعة.

---

(١) في المصدر: ذوي. (٢) في الشافي: فتعذر.
(٣) في الشافي: ولو أن. (٤) في الشافي: لأن.
(٥) كما في الشافي.
(٦) في الشافي: الموجودة.
(٧) في الشافي: فقد حرفها.
(٨) من المصدر.
(٩) في الشافي: فقالوا.
(١٠) في المصدر: منه.

فأما ادعاؤه أنه منع من نصرته، وأقسم علىٰ عبيده بترك[1] القتال، فقد كان ذٰلك لعمري في ابتداء الأمر [طلبا للسلامة، و][2]ظنا منه أن[3] الأمر ينصلح[4]، والقوم يرجعون عما هموا به[5]، فلما اشتد الأمر، ووقع اليأس من الرجوع والنزوع لم يمنع أحدا من نصرته، والمحاربة عنه، وكيف يمنع من ذلك، وقد بعث إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام يستنصره ويستصرخه، والذي يدل علىٰ أنه لم يمنع في الابتداء من محاربتهم إلا الوجه[6] الذي ذكرناه دون غيره، أنه لا خلاف بين أهل الرواية في أن كتبه تفرقت في الآفاق يستنصر ويستدعي الجيوش، فكيف يرغب عن نصرة الحاضر من يستدعي نصرة الغائب.

فأما قوله: (إن أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يأتيه حتىٰ منعه ابنه محمد)، فقول بعيد مما جاءت به الرواية جدا، لأنه لا إشكال في أن أمير المؤمنين عليه السلام لما واجهه عثمان بأنه متهم[7] ويستغشه، انصرف مغضبا عامدا، علىٰ أنه لا يأتيه أبدا قائلا فيه ما يستحقه من الأقوال.

فأما قوله في جواب سؤال من قال: إنهم اعتقدوا فيه أنه من المفسدين في الأرض وأن آية المحاربة[8] تتناوله، وأنه (قد كان يجب أن يتولىٰ الإمام ذٰلك الفعل بنفسه لأن ذٰلك يجري مجرىٰ الحد) فطريف، لأن الإمام يتولىٰ ما يجري [هٰذا المجرىٰ إذا كان منصوبا ثابتا، ولم يكن علىٰ مذهب القوم هناك إمام يجوز أن يتولىٰ ما يجري][9] مجرىٰ الحدود، ومتىٰ لم يكن[10] إمام يقوم بالدفع عن الدين، والذب عن الأمة، جاز أن تتولىٰ الأمة ذٰلك بنفوسها.

قال[11]: وما رأيت أعجب من ادعاء مخالفينا أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله كانوا كارهين لما جرىٰ علىٰ عثمان، وأنهم كانوا يعتقدونه منكرا وظلما، وهٰذا يجري

(١) في الشافي: في ترك. (٢) من الشافي.
(٣) في الشافي: بأن. (٤) في الشافي: يصلح.
(٥) في الشافي: عما هم عليه.
(٦) في الشافي: للوجه.
(٧) في المصدر: يتهمه.
(٨) في الشافي: المحاربين.
(٩) من المصدر.
(١٠) على مذهب أكثر القوم (كما في الشافي).
(١١) السيد الشريف المرتضى قدس سره في الشافي (ج٤، ص٢٦٢).

عند من تأمله مجرىٰ دفع الضرورات[١] قبل النظر في الأخبار، وسماع ما ورد من شرح هٰذه القصة، لأنه معلوم أن ما يكرهه جميع الصحابة أو أكثرهم في دار عزهم، وبحيث ينفذ أمرهم ونهيهم، لا يجوز أن يتم.. ومعلوم أن نفرا من أهل مصر لا يجوز أن يقدموا المدينة، فيغلبوا[٢] جميع المسلمين علىٰ آرائهم، ويفعلوا بإمامهم ما يكرهونه بمرأىٰ منهم ومسمع، وهٰذا معلوم بطلانه بالبداهة والضرورات، قبل [مجيء الآثار و][٣]تصفح الأخبار وتأملها.

وقد روىٰ الواقدي، عن ابن أبي الزناد، عن أبي جعفر القاري (مولىٰ بني مخزوم)، قال: كان المصريون الذين حصروا عثمان ستمائة، عليهم عبدالرحمن بن عيسىٰ البلوىٰ، وكنانة بن بشر الكندي، وعمرو بن الحمق الخزاعي، والذين قدموا المدينة من الكوفة مائتين عليهم مالك الأشتر النخعي، والذين قدموا من البصرة مائة رجل، رئيسهم حكيم بن جبلة العبدي، وكان من أصحاب النبيﷺ الذين خذلوه لا يرون أن الأمر يبلغ به القتل، ولعمري لو قام بعضهم فحثا التراب في وجوه أولٰئك لانصرفوا.

وهذه الرواية تضمنت عدد القوم الوافدين في هٰذا الباب أكثر مما تضمنه غيرها[٤].

وروىٰ شعبة بن الحجاج، عن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، قال: قلت له: كيف لم يمنع أصحاب رسول اللهﷺ عن عثمان؟ فقال: إنما قتله أصحاب رسول اللهﷺ.

وروي عن أبي سعيد الخدري أنه سئل عن مقتل عثمان: هل شهده أحد من أصحاب رسول اللهﷺ؟ فقال: نعم، شهده ثمانمائة[٥].

وكيف يقال: إن القوم كانوا كارهين، وهؤلاء المصريون كانوا يغدون إلىٰ كل واحد منهم، ويروحون ويشاورونه فيما يصنعونه، هٰذا عبدالرحمن بن عوف وهو عاقد الأمر لعثمان، وجالبه إليه، ومصيره في يده، يقول علىٰ ما روىٰ

(١) في الشافي: الضرورة.

(٢) في الشافي: وان يغلبوا.

(٣) من الشافي.

(٤) حيث نقل الحادثة جملةمن كتب التاريخ من بينها: تاريخ خليفة بن خياط (ص١٢٤) وتاريخ مدينة دمشق (ج٣٩، ص٣٢١) وتاريخ المدينة لابن شبة (ج٤، ص١١٥٦) ومروج الذهب (ج٢، ص٣٥٢).

(٥) أنساب الأشراف (ج٥، ص٥٧) وتاريخ المدينة (ج٤، ص١١٧٥).

الواقدي، وقد ذكر له عثمان في مرضه الذي مات فيه: عاجلوه قبل أن يتمادىٰ في ملكه، فبلغ ذٰلك عثمان، فبعث إلىٰ بئر كان عبدالرحمن يسقىٰ [منها][1] نعمه، فمنع منها، ووصىٰ عبدالرحمن ألا يصلي عليه عثمان، فصلىٰ عليه الزبير أو سعد بن أبي وقاص، وقد كان حلف لما تتابعت أحداث عثمان ألا يكلمه أبدا[2].

ورویٰ الواقدي، قال: لما توفیٰ أبوذر بالربذة تذاكر أمير المؤمنين عليه السلام وعبدالرحمن فعل عثمان، فقال أمير المؤمنين عليه السلام له: «**هٰذا عملك**».. فقال عبدالرحمن: فإذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي، إنه خالف ما أعطاني[3].

فأما محمد بن مسلمة، فإنه أرسل إليه عثمان يقول له عند قدوم المصريين في الدفعة الثانية: أردد عني.. فقال: لا والله لا أكذب في سنة مرتين، وإنما عنىٰ بذلك أنه كان أحد من كلم المصريين في الدفعة الأولىٰ، وضمن لهم عن عثمان الرضا.

وفي رواية الواقدي: أن محمد بن مسلمة كان يموت وعثمان محصور، فيقال له: عثمان مقتول.. فيقول: هو قتل نفسه.

فأما كلام أمير المؤمنين عليه السلام وطلحة والزبير وعائشة وجميع الصحابة واحدا واحدا، فلو تعاطينا ذكره لطال به الشرح، ومن أراد أن يقف علىٰ أقوالهم مفصلة، وما صرحوا به من خلعه والإجلاب عليه فعليه بكتاب الواقدي، فقد ذكر هو وغيره من ذٰلك ما لا زيادة عليه.

▫ الطعن الثاني:

كونه رد الحكم بن أبي العاص إلىٰ المدينة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله طرده[4]، وامتنع أبو بكر من رده[5]، فصار بذلك مخالفا للسنة ولسيرة من تقدمه، مدعيا علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، عاملا بدعواه من غير بينة.

---

(١) من المصدر. (٢) ومثله في أنساب الأشراف (ج٥، ص٥٧) وفي طبعة (ج٦، ص١٧١).

(٣) ومثله في أنساب الأشراف (ج٥، ص٥٧) وكتاب الفتوح (ج٢، ص٣٧١). (٤) المستدرك للحاكم (ج٤، ص٤٧٩) والسيرة الحلبية (ج٢، ص٧٦). (٥) تاريخ الخميس (ج٢، ص٢٦٧).

قال قاضي القضاة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[١]: وجوابنا عن ذلك: أن المروي في الأخبار أنه لما عوتب في ذٰلك ذكر أنه استأذن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فيه، وإنما لم يقبل[٢] أبو بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٣] قوله لأنه شاهد واحد، ولذلك[٤] روىٰ عنهما، فكأنهما جعلا ذٰلك بمنزلة الحقوق التي تختص فلم يقبلا فيه خبر الواحد، وأجرياه مجرىٰ الشهادة، فلما صار الأمر إليه حكم بعلمه، لأن للحاكم أن يحكم بعلمه في هٰذا الباب وفي غيره عند شيخينا[٥] (ره)[٦]، ولا يفصلان بين حد وحق، ولا بين أن يكون العلم قبل الولاية أو حال الولاية، ويقولان: إنه أقوىٰ من البينة والإقرار.

وقال شيخنا أبو علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنه لا وجه يقطع به علىٰ كذب روايته في إذن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في رده، ولا بد من تجويزه كونه صادقا، وفي تجويز ذٰلك كونه معذورا.

فإن قيل: الحاكم إنما يحكم بعلمه مع زوال التهمة، وقد كانت التهمة في رد الحكم قوية لقرابته.

قيل: الواجب علىٰ غيره ألا يتهمه إذا كان لفعله وجه يصح عليه، لأنه قد نصب منصبا يقتضي زوال التهمة عنه، وحمل أفعاله علىٰ الصحة، ومتىٰ طرقنا عليه التهمة أدىٰ إلىٰ بطلان كثير من الأحكام.

وقد قال الشيخ أبو الحسين الخياط (رَحِمَهُ اللهُ [تعالىٰ][٧]): إنه لو لم يكن في رده إذن من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لجاز أن يكون طريقه الاجتهاد، لأن النفي إذا كان صلاحا في الحال لا يمتنع أن يتغير حكمه باختلاف الأوقات ويتغير حال النفي[٨]، وإذا كان لأبي بكر أن يسترد عمر من جيش أسامة للحاجة إليه، وإن كان قد أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بنفوذه من حيث تغيرت الحال، فغير ممتنع مثله في الحكم.

---

(١) في المغني (ج٢٠، ق٢، ص٥١).

(٢) في المصدر: يقل.

(٣) غير موجودة في المصدر.

(٤) في المصدر: وكذلك.

(٥) الكعبي والجبائي.

(٦) غير موجودة في المصدر.

(٧) من شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٢٩).

(٨) في المصدر: المنفي.

قال: اعترض المرتضىٰ (رحمه الله [تعالىٰ][1]) علىٰ هذا، فقال[2]: أما دعواه أن عثمان ادعىٰ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أذن في رد الحكم فشيء لم يسمع إلا من قاضي القضاة، ولا يدري من أين نقله، ولا في أي كتاب وجده، والذي رواه الناس كلهم خلاف[3] ذلك.

[وقد][4] روىٰ الواقدي من طرق مختلفة، وغيره: أن الحكم بن أبي العاص لما قدم المدينة بعد الفتح، أخرجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ الطائف، وقال[صلى الله عليه وآله وسلم]: «**لا تساكني في بلد أبدا**»، فجاءه عثمان فكلمه فأبىٰ، ثم كان من أبي بكر مثل ذلك، ثم كان من عمر مثل ذلك، فلما قدم[5] عثمان أدخله ووصله وأكرمه، فمشىٰ في ذٰلك علي[عليه السلام][6]، والزبير، وطلحة، وسعد، وعبدالرحمن بن عوف، وعمار بن ياسر، حتىٰ دخلوا علىٰ عثمان، فقالوا له: إنك قد أدخلت هٰؤلاء القوم ـ يعنون الحكم ومن معه ـ وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخرجهم[7] [وأبو بكر وعمر][8]، وإنا نذكرك الله والاسلام ومعادك، فإن لك معادا ومنقلبا، وقد أبت ذٰلك الولاة قبلك، ولم يطمع أحد أن يكلمهم فيهم، وهٰذا شيء[9] نخاف الله [تعالىٰ][10] فيه عليك[11].. فقال عثمان: إن قرابتهم مني ما[12] تعملون، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث كلمته أطعمني في أن يأذن لهم[13]، وإنما أخرجهم لكلمة بلغته عن الحكم، ولن[14] يضركم مكانهم شيئا، وفي الناس من هو شر منهم.. فقال

---

(١) كما في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٣٠).
(٢) في الشافي (ج٤، ص٢٦٩).
(٣) في الشافي: بخلاف.
(٤) كما في الشافي.
(٥) في الشافي: قام.
(٦) من الشافي.
(٧) في الشافي: أخرجه.
(٨) من الشافي.
(٩) في الشافي: سبب.
(١٠) من الشافي.
(١١) في الشافي: عليك فيه.
(١٢) في الشافي: حيث.
(١٣) في الشافي: له.
(١٤) في المصدر: ولم.

علي عليه السلام: «**لا أجد شرا منه ولا منهم**»، ثم قال[عليه السلام]: «**هل تعلم [أن]**[١] **عمر يقول: والله ليحملن آل**[٢] **أبي معيط على رقاب الناس، والله إن**[٣] **فعل ليقتلنه**».. [قال][٤] فقال عثمان: ما كان منكم أحد ليكون بينه وبينه من القرابة ما بيني وبينه، وينال من المقدرة ما نلت[٥] إلا قد كان سيدخله، وفي الناس من هو شر منه.. قال: فغضب علي عليه السلام وقال: «**والله لتأتينا بشر من هٰذا إن سلمت، وسترىٰ يا عثمان غب ما تفعل**»، ثم خرجوا من عنده.

وهٰذا كما ترىٰ خلاف ما ادعاه صاحب المغني، لأن الرجل لما احتفل ادعىٰ أن رسول الله صلى الله عليه وآله[٦] كان أطمعه في رده، ثم صرح بأن رعايته فيه [من][٧] القرابة هي الموجبة لرده ومخالفة الرسول عليه السلام.

وقد روي من طرق مختلفة: أن عثمان لما كلم أبا بكر وعمر رضي الله عنه[٨] في رد الحكم أغلظا له وزبراه، وقال له عمر: يخرجه رسول الله صلى الله عليه وآله وتأمرني أن أدخله، والله لو أدخلته لم آمن أن يقول قائل غير عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، والله لأن أشق باثنتين كما تشق الأبلمة[٩] أحب إلىٰ من أن أخالف لرسول الله صلى الله عليه وآله [أمرا][١٠]، وإياك يا ابن عفان أن تعاودني فيه بعد اليوم.. وما رأينا عثمان قال في جواب هٰذا التعنيف والتوبيخ من أبي بكر وعمر: إن عندي عهدا من رسول الله صلى الله عليه وآله[١١] فيه، لا أستحق معه عتابا ولا تهجينا[١٢]، وكيف تطيب نفس مسلم موقر لرسول الله صلى الله عليه وآله معظم له، أن[١٣] يأتي إلىٰ عدو رسول[١٤] الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) من الشافي. (٢) في المصدر: بني.
(٣) في الشافي: لئن.
(٤) من الشافي.
(٥) في الشافي: أنال.
(٦) في الشافي: الرسول صلى الله عليه وآله.
(٧) من الشافي.
(٨) غير موجودة في المصدر.
(٩) خوص النخل، وهو مثل يضرب في المساواة.
(١٠) من المصدر.
(١١) في المصدر: الرسول صلى الله عليه وآله.
(١٢) تقبيحا.
(١٣) في الشافي: بأن.
(١٤) في الشافي: لرسول.

مصرح بعداوته والوقيعة فيه، حتىٰ بلغ به الأمر إلىٰ أن كان يحكىٰ مشيته، [فـ][١]طرده رسول الله[ﷺ][٢]، وأبعده ولعنه، حتىٰ صار مشهورا بأنه طريد رسول اللهﷺ، فيئويه ويكرمه ويرده إلىٰ حيث أخرج منه، ويصله بالمال العظيم، [ويصله][٣] إما من مال المسلمين أو من ماله، إن هٰذا لعظيم كبير، قبل التصفح والتأمل، والتعلل بالتأويل الباطل.

فاما قول صاحب المغني[٤]: (إن أبا بكر وعمر لم يقبلا قوله لأنه شاهد واحد، وجعلا ذٰلك بمنزلة الحقوق التي تخص)، فأول ما فيه: أنه لم يشهد عندهما بشيء [واحد][٥] في باب الحكم، علىٰ ما رواه جميع الناس، ثم ليس هٰذا من باب الذي يحتاج فيه إلىٰ الشاهدين، بل هو بمنزلة كل ما يقبل فيه أخبار الآحاد، وكيف يجوز أن يجرىٰ أبو بكر وعمر مجرىٰ الحقوق ما ليس منها[٦].

وقوله: (لا بد من تجويز كونه صادقا في روايته، لأن القطع علىٰ كذب روايته لا سبيل إليه) ليس بشيء، لأنا قد بينا أنه لم يرو عن الرسولﷺ إذنا، إنما ادعىٰ أنه أطمعه في ذلك، وإذا جوزنا كونه صادقا في هٰذه الرواية، بل قطعنا علىٰ صدقه لم يكن معذورا.

فأما قوله: (الواجب علىٰ غيره ألا يتهمه إذا كان لفعله وجه يصح عليه، لانتصابه منصبا يزيل التهمة[٧])، فأول ما فيه: أن الحاكم لا يجوز أن يحكم بعلمه مع التهمة، والتهمة قد تكون لها أمارات وعلامات، فما وقع منها عن أمارات وأسباب تتهم في العادة كان مؤثرا، وما لم يكن كذلك فلا تأثير له، والحكم هو عم عثمان، وقريبه ونسيبه، ومن قد تكلم فيه وفي رده مرة بعد أخرىٰ، ولوال بعد وال، وهذه كلها أسباب التهمة، فقد كان يجب أن يتجنب الحكم بعلمه في هٰذا الباب خاصة، لتطرق التهمة إليه.

---

(١) من الشافي.

(٢) من المصدر.

(٣) من الشافي.

(٤) في المصدر: الكتاب.

(٥) من المصدر.

(٦) في الشافي: فيها.

(٧) في الشافي: لانتصابه منصبا يقضي إلى زوال التهمة.

فأما ما حكاه عن أبي الحسين الخياط من: (أن الرسولﷺ لو لم يأذن في رده لجاز أن يرده إذا أداه اجتهاده إلىٰ ذلك، لأن الأحوال قد تتغير) فظاهر البطلان، لأن الرسولﷺ إذا حظر شيئا أو أباحه لم يكن لأحد أن يجتهد في إباحة المحظور، أو حظر المباح، ومن يجوز[1] الاجتهاد في الشريعة لا يقدم[2] علىٰ مثل هذا، لأنه إنما يجوز عندهم فيما لا نص فيه، ولو سوغنا[3] الاجتهاد في مخالفة ما تناوله النص لم يؤمن[4] أن يؤدي اجتهاد مجتهد إلىٰ تحليل الخمر وإسقاط الصلاة، بأن تتغير الحال، وهٰذا هدم للشريعة.

فأما الاستشهاد[5] باسترداد عمر من جيش أسامة، فالكلام في الأمرين واحد.

⊡ الطعن الثالث:

إنه كان يؤثر أهل بيته بالأموال العظيمة التي هي عدة المسلمين[6]، نحو ما روي[7] إنه دفع إلىٰ أربعة أنفس من قريش زوجهم بناته أربعمائة ألف دينار، وأعطىٰ مروان مائة ألف عند فتح أفريقية، ويروىٰ: خمس إفريقية، وغير ذلك، وهٰذا بخلاف سيرة من تقدمه في القسمة علىٰ الناس بقدر الاستحقاق وإيثار الأباعد علىٰ الأقارب.

قال: قال قاضي القضاة[8]: وجوابنا علىٰ ذلك: أن من الظاهر المشهور أن عثمان كان عظيم اليسار، كثير المال[9]، فلا يمتنع أن يكون إنما أعطىٰ أهل بيته من ماله، وإذا احتمل ذٰلك وجب حمله علىٰ الصحة.

---

(١) في المصدر: جوز.

(٢) في المصدر: يقدم، إلا أنه في الشافي: لا يقدم.

(٣) في المصدر: جوزنا.

(٤) في المصدر: نأمن.

(٥) في المصدر: استشهاده.

(٦) أي: من بيت مال المسلمين.

(٧) في العقد الفريد (ج٢، ص ٢٦١) وغيره.

(٨) في المغني (ج٢٠، ق٢، ص ٥١).

(٩) أو: الأموال.

وقد قال شيخنا أبو علي رحمه الله: إن الذي روي من دفعه إلىٰ ثلاثة نفر من قريش زوجهم بناته، إلىٰ كل واحد منهم مائة ألف دينار، إنما هو من ماله، ولا رواية تصح أنه أعطاهم ذٰلك من بيت المال، ولو صح ذٰلك لكان لا يمتنع أن يكون أعطاهم من بيت المال ليرد عوضه من ماله، لأن للإمام عند الحاجة أن يفعل ذلك، كما له أن يقرض غيره.

وقال شيخنا أبو علي أيضا: إن ما روي من دفعه خمس إفريقية لما فتحت إلىٰ مروان، ليس بمحفوظ ولا منقول علىٰ وجه يجب قبوله، وإنما يرويه من يقصد التشنيع.

وقد قال الشيخ أبو الحسين الخياط: إن ابن أبي سرح لما غزا البحر، ومعه مروان في الجيش، ففتح الله عليهم، وغنموا غنيمة عظيمة، اشترىٰ مروان من ابن أبي سرح الخمس بمائة ألف، وأعطاه أكثرها، ثم قدم علىٰ عثمان بشيرا بالفتح، وقد كانت قلوب المسلمين تعلقت بأمر ذٰلك الجيش، فرأىٰ عثمان أن يهب له ما بقي عليه من المال، وللإمام فعل مثل ذلك، ترغيبا في مثل هٰذه الأمور.

قال: وهٰذا الصنع[1] [منه][2] كان منه في السنة الأولىٰ من إمامته، ولم يبرأ[3] أحد منه فيها، فلا وجه للتعلق بذلك.

وذكر أبو الحسين الخياط أيضا: فيما أعطاه أقاربه[4] إنه وصلهم لحاجتهم، فلا[5] يمتنع مثله في الإمام إذا رآه صلاحا، وذكر في إقطاعه القطائع لبني أمية، (إن الأئمة قد يحصل[6] في أيديهم الضياع لا مالك لها [من جهات][7]، ويعلمون أنها لا بد فيها ممن يقوم بإصلاحها وعمارتها، ويؤدىٰ[8] عنها ما يجب من الحق، فله[9] أن يصرف من ذٰلك إلىٰ من يقوم به، وله أيضا أن

---

(١) في الشافي: الصنيع.
(٢) من المصدر.
(٣) في الشافي: يتبرأ.
(٤) في المصدر: لأقاربه.
(٥) في المصدر: ولا.
(٦) في المصدر: تصلح.
(٧) كما في الشافي.
(٨) في الشافي: فيؤدي.
(٩) في الشافي: وله.

يزيد بعضها[1] علىٰ بعض بحسب ما يعلم من الصلاح والتآلف، وطريق ذٰلك الاجتهاد).

قال[2]: اعترض المرتضىٰ (﵀ تعالىٰ) هٰذا القول[3]، فقال[4]:

أما قوله: (يجوز[5] أن يكون إنما أعطاهم من ماله)، فالرواية بخلاف ذلك، وقد صرح الرجل بأنه[6] كان يعطي من بيت المال صلة لرحمه، ولما وقف علىٰ ذٰلك لم يعتذر عنه[7] بهٰذا الضرب من العذر، ولا قال: إن هٰذه العطايا من مالي، فلا اعتراض لأحد فيها.

و[قد][8] روىٰ الواقدي بإسناده عن المسور[9] بن محرمة[10]، قال: سمعت عثمان يقول: إن أبا بكر وعمر كانا يتأولان في هٰذا المال ظلف[11] أنفسهما وذوي أرحامهما، وإني تأولت فيه صلة رحمي.

وروي عنه أيضا: أنه كان بحضرته زياد بن عبيد[12]، مولىٰ الحارث بن كلدة الثقفي، وقد بعث إليه أبو موسىٰ بمال عظيم من البصرة، فجعل عثمان يقسمه بين ولده وأهله بالصحاف، فبكىٰ زياد، فقال: لا تبك، فإن عمر كان يمنع أهله وذوي قرابته ابتغاء وجه الله، وأنا أعطي أهلي [وولدي][13] وقرابتي ابتغاء وجه الله.

وقد روي هٰذا المعنىٰ عنه من عدة طرق بألفاظ مختلفة.

وروىٰ الواقدي [أيضا][14] بإسناده، قال: قدمت إبل من إبل الصدقة علىٰ عثمان، فوهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص.

---

(١) في الشافي: بعضا. (٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٣٤).

(٣) في المصدر: الكلام. (٤) في الشافي (ج٤، ص٢٧٢).

(٥) في الشافي: إنه لا يمتنع.

(٦) في الشافي: أنه.

(٧) في الشافي: منه.

(٨) من الشافي.

(٩) في الشافي: الميسور.

(١٠) في المصدر: عتبة.

(١١) منع.

(١٢) في الشافي: زياد بن عبيدالله الحارثي.

(١٣) من المصدر.

(١٤) من المصدر.

وروي أيضاً: أنه ولىٰ الحكم بن أبي العاص صدقات قضاعة، فبلغت ثلاثمائة ألف فوهبها له حين أتاه بها.

ورویٰ أبو مخنف والواقدي: أن الناس أنكروا علىٰ عثمان إعطاء[١] سعيد بن [أبي][٢] العاص مائة ألف، فكلمه[٣] علي[عليه السلام] والزبير وطلحة وسعد وعبدالرحمن بن عوف في ذلك، فقال: إن له[٤] قرابة ورحما[٥].. قالوا: فما كان لأبي بكر وعمر قرابة وذوي[٦] رحم؟ فقال: إن أبا بكر وعمر كان يحتسبان في منع قرابتهما، وأنا أحتسب في إعطاء قرابتي.. قالوا[٧]: فهديهما والله أحب إلينا من هديك.

و[قد][٨] رویٰ أبو مخنف: أن عبدالله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص[٩] بن أمية، قدم علىٰ عثمان مكة، ومعه ناس، فأمر لعبدالله بثلاثمائة ألف، ولكل واحد من القوم بمائة ألف وصك بذلك علىٰ عبدالله بن الأرقم ـ وكان خازن بيت المال ـ فاستكثره، ورد الصك به، ويقال: إنه سأل عثمان أن يكتب عليه بذلك كتابا[١٠]، فأبىٰ [ذلك][١١]، وامتنع ابن الأرقم أن يدفع المال إلىٰ القوم، فقال له عثمان: إنما أنت خازن لنا، فما حملك علىٰ ما فعلت؟ فقال ابن الأرقم: كنت أراني خازن المسلمين[١٢]، وإنما خازنك غلامك، والله لا إلىٰ لك بيت المال أبدا.. وجاء[١٣] بالمفاتيح فعلقها علىٰ المنبر، ويقال: بل ألقاها إلىٰ عثمان، فرفعها إلىٰ نائل مولاه.

---

(١) في الشافي: إعطاءه.
(٢) كما في المصدر.
(٣) في المصدر: وكلمه.
(٤) في الشافي: لي.
(٥) في الشافي: وذو رحم.
(٦) في المصدر: وذوو.
(٧) في الشافي: قال.
(٨) من الشافي.
(٩) في المصدر وغيره: العيص.
(١٠) في الشافي: كتاب دين.
(١١) كما في الشافي.
(١٢) في الشافي: خازنا للمسلمين.
(١٣) في الشافي: فجاء.

وروىٰ الواقدي: أن عثمان أمر زيد بن ثابت أن يحمل من بيت مال المسلمين إلىٰ عبدالله بن الأرقم في عقب[١] هٰذا الفعل ثلاثمائة ألف درهم، فلما دخل بها إليه[٢]، قال له: يا أبا محمد؛ إن أمير المؤمنين أرسل إليك يقول: إنا قد شغلناك عن التجارة، ولك ذوو رحم أهل حاجة، ففرق هٰذا المال فيهم، واستعن به علىٰ عيالك، فقال عبدالله بن الأرقم: ما لي إليه حاجة، وما علمت لأن يثيبني[٣] عثمان، والله إن[٤] كان هٰذا من بيت مال المسلمين ما بلغ قدر عملي أن أعطىٰ ثلاثمائة ألف [درهم][٥]، وإن[٦] كان [هذا][٧] من مال عثمان ما أحب أن أرزأه من ماله شيئا، وما في هٰذه الأمور أوضح من أن يشار إليه وينبه عليه.

فأما قوله: (ولو صح أنه أعطاهم من بيت المال لجاز أن يكون ذٰلك علىٰ طريق القرض)، فليس بشيء، لأن الروايات أولا تخالف ما ذكره، وقد كان يجب لما نقم عليه وجوه الصحابة إعطاء أقاربه من بيت المال، أن يقول لهم: هٰذا علىٰ سبيل القرض، وأنا أرد عوضه، ولا يقول ما تقدم ذكره، من أنني أصل به رحمي، علىٰ أنه ليس للإمام أن يقترض من بيت مال المسلمين إلا ما ينصرف في مصلحة لهم مهمة، يعود عليهم نفعها، أو في سد خلة وفاقة لا يتمكنون من القيام بالأمر معها، فأما أن يقرض المال ليتسع به، ويمرح فيه مترفي بني أمية وفساقهم فلا أحد يجيز ذلك.

فأما قوله حاكيا عن أبي علي: (إن دفعه خمس أفريقية إلىٰ مروان ليس بمحفوظ ولا منقول) فباطل[٨]، لأن العلم بذلك يجري [مجرىٰ الضروري][٩] مجرىٰ العلم بسائر ما تقدم، ومن قرأ الأخبار علم ذٰلك علىٰ وجه لا يعترض فيه شك[١٠]، كما يعلم نظائره.

---

(١) في المصدر: عقيب. (٢) في المصدر: عليه.
(٣) في الشافي: يثبتني. (٤) في الشافي: لئن.
(٥) من الشافي.
(٦) في المصدر: لئن.
(٧) من الشافي.
(٨) في الشافي: فتعلل منه بالباطل.
(٩) كما في الشافي.
(١٠) في الشافي: لك.

و[قد][١] روىٰ الواقدي، عن أسامة بن زيد، عن نافع مولىٰ الزبير، عن عبدالله بن الزبير، قال: أغزانا عثمان سنة سبع وعشرين إفريقية، فأصاب عبدالله بن سعد بن أبي سرح غنائم جليلة، فأعطىٰ عثمان مروان بن الحكم تلك الغنائم، وهٰذا كما ترىٰ يتضمن الزيادة علىٰ إعطاء الخمس، ويتجاوزه[٢] إلىٰ إعطاء الأصل[٣].

وروىٰ الواقدي، عن عبدالله بن جعفر، عن أم بكر بنت المسور، قالت: لما بنىٰ مروان داره بالمدينة، دعا الناس إلىٰ طعامه، وكان المسور ممن دعاه، فقال مروان وهو يحدثهم: والله ما أنفقت في داري هٰذه من مال المسلمين درهما فما فوقه.. فقال المسور: لو أكلت طعامك وسكت كان خيرا [لك][٤]، لقد غزوت [معنا][٥] إفريقية، وإنك لأقلنا مالا ورقيقا وأعوانا، وأخفنا ثقلا، فأعطاك ابن عمك خمس إفريقية، وعملت علىٰ الصدقات، فأخذت أموال المسلمين.

وروىٰ الكلبي عن أبيه، عن أبي مخنف، أن مروان ابتاع خمس إفريقية بمائتي ألف درهم و[٦]مائتي ألف دينار، وكلم عثمان، فوهبها له، فأنكر الناس [ذلك][٧] علىٰ عثمان.

وهٰذا بعينه هو الذي اعترف به أبو الحسين الخياط، واعتذر عنه بـ(أن قلوب المسلمين تعلقت بأمر ذٰلك الجيش، فرأىٰ عثمان أن يهب لمروان ثمن ما ابتاعه من الخمس لما جاءه بشيرا بالفتح علىٰ سبيل الترغيب)، وهٰذا الاعتذار ليس بشيء، لأن[٨] (الذي رويناه من الأخبار في هٰذا الباب خال من البشارة، وإنما يقتضي أنه سأله ترك ذٰلك عليه فتركه، و[٩]ابتدأ هو بصلته، ولو أتىٰ بشيرا بالفتح كما ادعوا لما جاز أن يترك عليه خمس الغنيمة العائد نفعه علىٰ

---

(١) من الشافي.
(٢) في الشافي: ويتجاوز.
(٣) في الشافي: الكل.
(٤) من المصدر.
(٥) من المصدر.
(٦) في الشافي: أو.
(٧) من المصدر.
(٨) في الشافي: ثم قال.
(٩) في الشافي: أو.

المسلمين، لأن[١] تلك البشارة لا تبلغ إلىٰ أن يستحق البشير بها مائتي ألف درهم، ولا اجتهاد في مثل هذا، ولا فرق بين من جوز أن يؤدي الاجتهاد إلىٰ مثله، ومن جوز أن يؤدي الاجتهاد إلىٰ دفع أصل الغنيمة إلىٰ البشير بها، ومن ارتكب ذٰلك ألزم جواز أن يؤدي الاجتهاد إلىٰ اعطاء هٰذا البشير جميع أموال المسلمين في الشرق والغرب).

فأما[٢] قوله: (إنه وصل بني عمه لحاجتهم، ورأىٰ في ذٰلك صلاحا)، فقد بينا أن صلاته لهم كانت أكثر مما تقتضيه الخلة والحاجة، وأنه كان يصل فيهم[٣] المياسير [وذوي الأحوال الواسعة، والضياع الكثيرة][٤]، ثم الصلاح الذي زعم أنه رآه لا يخلو إما[٥] أن يكون عائدا علىٰ المسلمين أو علىٰ أقاربه، فإن كان علىٰ المسلمين فمعلوم ضرورة أنه لا صلاح لأحد من المسلمين في إعطاء مروان مائتي ألف دينار، والحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم، وابن أسيد ثلاثمائة ألف درهم، إلىٰ غير ما ذكرنا[٦]، بل علىٰ المسلمين في ذٰلك غاية الضرر، وإن أراد الصلاح الراجع[٧] إلىٰ[٨] الأقارب فليس له أن يصلح أمر أقاربه بفساد أمر المسلمين، وينفعهم بما يضر به المسلمين.

وأما[٩] قوله: (إن القطائع التي أقطعها بني أمية، إنما أقطعهم إياها لمصلحة تعود علىٰ المسلمين، لأن تلك الضياع كانت خرابا لا عامر لها، فسلمها إلىٰ من يعمرها ويؤدي الحق عنه)، فأول ما فيه: أنه لو كان الأمر علىٰ ما ذكره، ولم تكن[١٠] هٰذه القطائع علىٰ سبيل الصلة والمعونة لأقاربه لما خفي ذٰلك علىٰ الحاضرين، ولكانوا لا يعدون ذٰلك من مثالبه، ولا يوافقونه عليه في

(١) في الشافي: و.
(٢) في الشافي: وأما.
(٣) في الشافي: منهم.
(٤) من الشافي.
(٥) في الشافي: من.
(٦) في الشافي: مما هو مذكور.
(٧) في الشافي: العائد.
(٨) في الشافي: على.
(٩) في الشافي: فأما.
(١٠) في الشافي: يكن.

جملة ما واقفوه عليه من إحداثه، ثـم كان يجب لو فعلوا ذٰلـك أن يكون جوابه [لهم](١)، بخلاف ما روي في(٢) جوابه، لأنه كان يجب أن يقول لهم: وأي منفعة في هٰـذه القطائع عائدة علـىٰ قرابتي حتـىٰ تعدوا ذٰلـك من جملـة صلاتي لهم، وإيصالـي المنافع إليهـم؟!! وإنما جعلتهم فيهـا بمنزلة الأكرة الذيـن ينتفع بهم أكثر من انتفاعهـم أنفسـهم، وما كان يجـب أن يقول ما تقدمـت روايته، من أني محتسـب في إعطاء قرابتي، وأن ذٰلك علىٰ سـبيل الصلة لرحمي، إلىٰ غير ذٰلك مما هو خال من المعنىٰ الذي ذكره.

⊡ الطعن الرابع:

إنـه حمـىٰ الحمـىٰ علـىٰ المسـلمين، مـع أن رسول الله ﷺ جعلهم سواء في الملأ والكلأ(٣).

قال قاضـي القضـاة(٤): وجوابنـا علىٰ ذلـك: أنه لم يحـم الكلأ لنفسـه، ولا اسـتأثر به، لكنه حماه لإبل الصدقة التـي منفعتها تعود علىٰ المسـلمين(٥)، وقد روي عنه هٰذا الكلام بعينه، وأنه قال: إنما فعلت ذٰلك لإبل الصدقة، وقد أطلقته الآن، وأنا أستغفر الله، وليس في الاعتذار ما يزيد عن ذلك.

قال(٦): اعترض المرتضىٰ رحمه الله) هٰذا الكلام، فقال(٧):

أما (أولا) فالمروي بخلاف ما ذكر(٨)، لأن الواقدي روىٰ بإسـناده، قال: كان عثمان يحمي الربذة(٩) والشرف(١٠) والبقيع(١١)، فكان لا يدخل [في](١٢) الحمىٰ بعير

(١) من الشافي. (٢) في الشافي: من.
(٣) العشب (الصحاح: ج١، ص٦٩).
(٤) في المغني (ج٢٠، ق٢، ص٥٢).
(٥) علل في البداية والنهاية (ج٧، ص١٩١) لكي تسمن.
(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٣٩).
(٧) في الشافي في الإمامة (ج٤، ص٢٧٨).
(٨) في الشافي: ما ذكره.
(٩) من قرى المدينة على ثلاثة أميال (مراصد الاطلاع: ج٢، ص٦٠١).
(١٠) في بحار الأنوار: السرف (وهو: موضع على بعد ستة أميال من مكة كما في مراصد الاطلاع: ج٢، ص٧٠٨).
(١١) في الشافي: النقيع (وهو موضع قرب المدينة جماه النبي ﷺ كما في مراصد الاطلاع: ج٣، ص١٣٧٨).
(١٢) من الشافي.

له ولا فرس، ولا لبني أمية، حتىٰ كان آخر الزمان، فكان يحمي الشرف لإبله، وكانت ألف بعير، ولإبل الحكم بن أبي العاص، و[كان][1] يحمي الربذة لإبل الصدقة، ويحمي البقيع[2] لإبل[3] المسلمين وخيله وخيل بني أمية.

قال[4]: علىٰ أنه لو كان إنما حماه لإبل الصدقة لم يكن بذلك مصيبا، لأن الله تعالىٰ ورسوله[ﷺ][5] أباحا الكلأ[6]، وجعلاه مشتركا، فليس لأحد أن يغير هٰذه الإباحة، ولو كان في هٰذا الفعل مصيبا، وأنه إنما حماه لمصلحة تعود علىٰ المسلمين، لما جاز أن يستغفر الله منه ويعتذر، لأن الاعتذار إنما يكون من الخطأ دون الصواب.

◘ الطعن الخامس:

أنه أعطىٰ من بيت مال الصدقة المقاتلة وغيرها، وذلك مما لا يحل في الدين.

قال قاضي القضاة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[7]: وجوابنا عن ذٰلك أنه إنما جاز له ذٰلك لعلمه بحاجة المقاتلة، واستغناء أهل الصدقة، ففعل ذٰلك علىٰ سبيل الإقراض، وقد فعل رسول الله ﷺ مثله، وللإمام في مثل هٰذه الأمور أن يفعل ما جرىٰ هٰذا المجرىٰ، لأن عند الحاجة ربما يجوز له أن يقترض من الناس، فتارة[8] يجوز له أن يتناول من مال في يده، ليرد عوضه من المال الأخر أولىٰ.

قال[9]: اعترض المرتضىٰ (رَحِمَهُ اللهُ [تعالىٰ][10]) هٰذا الكلام، فقال[11]: إن المال الذي جعل الله تعالىٰ له جهة مخصوصة، لا يجوز أن يعدل به عن جهته

---

(١) من الشافي. (٢) في الشافي: النقيع.

(٣) في المصدر: لخيل.

(٤) السيد الشريف المرتضى قُدِّسَ سِرُّهُ في الشافي (ج٤، ص٢٧٨).

(٥) من الشافي.

(٦) في الشافي: أحلا الكلأ وأباحاه.

(٧) في المغني (ج٢٠، ق٢، ص٥٢).

(٨) في الشافي: فبان.

(٩) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٤٠).

(١٠) من شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٤٠).

(١١) في الشافي في الإمامة (ج٤، ص٢٧٨).

بالاجتهاد، ولو كانت المصلحة في ذٰلك موقوفة علىٰ الحاجة لشرطها الله تعالىٰ في هٰذا الحكم، لأنه سبحانه[١] أعلم بالمصالح واختلافها منا، ولكان لا يجعل لأهل الصدقة منها القسط مطلقا.

وأما[٢] قوله: (إن الرسول ﷺ فعل مثله)، فهي[٣] دعوىٰ مجردة من [غير][٤] برهان، وقد كان يجب أن يروي ما ذكر في ذلك، وأما[٥] ما ذكره من الاقتراض، فأين كان عثمان عن هٰذا العذر لما وقف عليه.

▣ الطعن السادس:

إنه ضرب عبدالله بن مسعود حتىٰ كسر بعض أضلاعه.

قال قاضي القضاة[٦]: قال شيخنا أبو علي (رحمه الله [تعالىٰ]): لم يثبت عندنا [ضربه إياه][٧]، ولا صح عندنا ما يقال من طعن عبدالله عليه، و[لا][٨] إكفاره له، والذي يصح من ذٰلك أن عبدالله كره منه جمعه الناس علىٰ قراءة زيد بن ثابت وإحراقه المصاحف، وثقل ذٰلك عليه كما يثقل علىٰ الواحد منا تقديم غيره عليه.

وقد قيل: إن بعض موالي عثمان ضربه لما سمع منه الوقيعة في عثمان، [فإما أن يكون هو الذي ضربه أو أمر بضربه فلم يصح عندنا][٩]، ولو صح أنه أمر بضربه لم يكن بأن يكون طعنا في عثمان بأولىٰ من أن يكون طعنا في ابن مسعود، لأن للإمام تأديب غيره، وليس لغيره الوقيعة فيه إلا بعد البيان.

وقد ذكر الشيخ أبو الحسين الخياط: أن ابن مسعود إنما عابه لعزله إياه، وقد روي أن عثمان اعتذر إليه فلم يقبل عذره، ولما أحضر إليه عطاءه في

---

(١) في الشافي: تعالى. (٢) في الشافي: فأما.
(٣) في الشافي: فهو.
(٤) من الشافي.
(٥) في الشافي: فأما.
(٦) في المغني (ج٢، ق٢، ص٥٢).
(٧) من المصدر.
(٨) من المصدر.
(٩) كما في المغني.

مرضه، قال ابن مسعود: منعتني إياه إذ كان ينفعني، وجئتني به عند الموت لا أقبله، وأنه وسط أم حبيبة زوج النبيﷺ ليزيل ما في نفسه فلم يجب، وهٰذا يوجب ذم ابن مسعود إذ لم يقبل الندم، ويوجب براءة عثمان من هٰذا العيب، لو صح ما صح ما رووه من ضربه.

قال[١]: اعترض المرتضىٰ (رحمه الله [تعالىٰ][٢]) هٰذا الكلام فقال[٣]: المعلوم المروي خلاف ما ذكره أبو علي، ولا يختلف أهل النقل في طعن ابن مسعود علىٰ عثمان، وقوله فيه أشد الأقوال وأعظمها، والعلم بذلك كالعلم بكل ما يدعي فيه الضرورة.

وقد روىٰ كل من روىٰ السيرة من أصحاب الحديث علىٰ اختلاف طرقهم أن ابن مسعود كان يقول: ليتني وعثمان برمل عالج[٤] يحثو علي وأحثو عليه حتىٰ يموت الأعجز مني ومنه.

ورووا أنه كان يطعن عليه، فيقال له: ألا خرجت عليه[٥] ليخرج معك؟ فيقول: [والله][٦] لأن أزاول جبلا راسيا أحب إلي من أن أزاول ملكا مؤجلا.

وكان يقوم كل يوم جمعة بالكوفة جاهرا معلنا: (إن أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدىٰ هدىٰ محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار) وإنما كان يقول ذٰلك معرضا بعثمان، حتىٰ غضب الوليد بن عقبة من استمرار تعريضه، ونهاه عن خطبته هذه، فأبىٰ أن ينتهي، فكتب إلىٰ عثمان فيه، فكتب عثمان يستقدمه عليه.

وروي: أنه لما خرج عبدالله بن مسعود إلىٰ المدينة مزعجا عن الكوفة خرج الناس معه يشيعونه، وقالوا له: يا أبا عبدالرحمن؛ ارجع فوالله لا يوصل[٧] إليك أبدا فإنا لا نأمنه عليك.. فقال: أمر سيكون، ولا أحب أن أكون أول من فتحه.

وقد روي عنه أيضا من طرق لا تحصىٰ كثرة أنه كان يقول: ما يزن عثمان عند الله جناح ذباب.

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٤١). (٢) من شرح نهج البلاغة.

(٣) في الشافي في الإمامة (ج٤، ص٢٧٩).

(٤) رمال بين فيد والقريات (مراصد الاطلاع: ج٢، ص٩١١).

(٥) في المصدر: عليهن.

(٦) من الشافي.

(٧) في المصدر: توصله.

وتعاطي شرح ما روي عنه في هٰذا الباب يطول، وهو أظهر من أن يحتاج إلىٰ الاستشهاد عليه، وأنه بلغ من إصرار عبدالله علىٰ مظاهرته بالعداوة أن قال لما حضره الموت: من يتقبل مني وصية أوصيه بها علىٰ ما فيها[(١)].. فسكت القوم وعرفوا الذي يريد فأعادها، فقال عمار بن ياسر (رحمه الله [تعالىٰ][(٢)]): أنا[(٣)] أقبلها.. فقال: ابن مسعود لا يصلي علي عثمان.. قال[(٤)]: ذٰلك لك.. فيقال: إنه لما دفن جاء عثمان منكرا لذلك، فقال له قائل: إن عمارا ولي [هذا][(٥)] الأمر.. فقال لعمار: ما حملك علىٰ أن لم[(٦)] تؤذني؟ فقال [له][(٧)]: عهد إلي ألا أوذنك.. فوقف علىٰ قبره وأثنىٰ عليه، ثم انصرف وهو يقول: رفعتم والله أيديكم عن خير من بقي.. فتمثل الزبير بقول الشاعر[(٨)]:

لا ألفينك[(٩)] بعد الموت تندبني
وفي حياتي ما زودتني زادي[(١٠)]

ولما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه، أتاه[(١١)] عثمان عائدا، فقال: ما تشتكي؟ فقال[(١٢)]: ذنوبي.. قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة بي.. قال: ألا أدعو لك طبيبا؟ قال: الطبيب أمرضني.. قال: أفلا آمر لك بعطائك؟ قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغن عنه.. قال: يكون لولدك.. قال: رزقهم علىٰ الله تعالىٰ.. قال: استغفر لي يا أبا عبدالرحمن.. قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي[(١٣)].

---

(١) في الشافي: ما بها.
(٢) من شرح نهج البلاغة.
(٣) في الشافي: فأنا.
(٤) في الشافي: فقال.
(٥) من الشافي.
(٦) (لم) غير موجودة في المصدر.
(٧) كما في الشافي.
(٨) عبيد بن الأبرص.
(٩) في الشافي: لأعرفنك.
(١٠) ديوانه (ص٤٨).
(١١) في الشافي: فأتاه.
(١٢) في الشافي: قال.
(١٣) في المصدر: حقي.

قال[١]: وصاحب المغني قد حكىٰ بعض هٰذا الخبر في آخر الفصل الذي حكاه[٢] من كلامه، وقال: هٰذا (يوجب ذم ابن مسعود من حيث لم يقبل العذر)، وهٰذا منه طريف، لأن مذهبه لا يقتضيي قبول كل عذر ظاهر، وإنما يوجب قبول العذر الصادق الذي يغلب في الظن أن الباطن فيه كالظاهر، فمن أين لصاحب المغني أن اعتذار عثمان إلىٰ ابن مسعود كان مستوفيا للشرائط التي يجب معها القبول؟! وإذا جاز ما ذكرناه لم يكن علىٰ ابن مسعود لوم في الامتناع من قبول عذره.

فأما قوله: (إن عثمان لم يضربه، وإنما ضربه بعض مواليه لما سمعه وقيعته فيه)، فالأمر بخلاف ذلك، وكل من قرأ الأخبار علم أن عثمان أمر بإخراجه عن المسجد علىٰ أعنف الوجوه، وبأمره جرىٰ ما جرىٰ عليه، ولو لم يكن بأمره ورضاه لوجب أن ينكر علىٰ مولاه كسر ضلعه[٣]، ويعتذر إلىٰ من عاتبه علىٰ فعله بابن مسعود، بأن يقول: إني[٤] لم آمر بذلك، ولا رضيته من فاعله، وقد أنكرت علىٰ من فعله.. وفي علمنا بأن ذلك لم يكن دليل علىٰ ما قلناه.

وقد روىٰ الواقدي بإسناده وغيره: أن ابن مسعود لما استقدم المدينة[٥]، دخلها ليلة جمعة، فلما علم عثمان بدخوله، قال: أيها الناس؛ إنه قد طرقكم الليلة دويبة، من تمشي علىٰ طعامه يقيء ويسلح[٦].. فقال ابن مسعود: لست كذلك، ولكنني صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر، وصاحبه يوم أحد، وصاحب[٧] يوم بيعة الرضوان، وصاحبه يوم الخندق، وصاحبه يوم حنين.

قال: وصاحت[٨] عائشة: يا[٩] عثمان؛ أتقول هٰذا لصاحب رسول الله ﷺ.. فقال عثمان: اسكتي، ثم قال لعبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن

(١) السيد الشريف المرتضى قُدِّسَ سِرُّهُ في الشافي (ج ٤، ص ٢٨١).
(٢) في الشافي: حكيناه.
(٣) في الشافي: لضلعه.
(٤) في الشافي: إنني.
(٥) في الشافي: أن عثمان لما استقدمه المدينة.
(٦) يخرج ما في البطن.
(٧) في الشافي: وصاحبه.
(٨) في الشافي: فصاحت.
(٩) في الشافي: أيا.

عبدالعزىٰ بن قصي: أخرجه إخراجا عنيفا، فأخذه ابن زمعة، فاحتمله حتىٰ جاء به باب مسجد، فضرب به الأرض، فكسر ضلعا من أضلاعه.. فقال ابن مسعود: قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان(١).

وفي رواية أخرىٰ: إن ابن زمعة الذي فعل به ما فعل كان مولىٰ لعثمان، أسود مسدما(٢) طوالا.

وفي رواية أخرىٰ: إن فاعل ذلك: يحموم مولىٰ عثمان.

وفي رواية: إنه لما احتمله ليخرج من المسجد ناداه عبدالله: أنشدك الله ألا تخرجني من مسجد خليليﷺ.

قال الراوي: فكأني أنظر إلىٰ خموشة(٣) ساقي عبدالله بن مسعود ورجلاه تختلفان(٤) علىٰ عنق مولىٰ عثمان، حتىٰ أخرج من المسجد، وهو الذي يقول فيه رسول اللهﷺ: «**لساقا ابن أم عبد أثقل في الميزان يوم القيامة من جبل أحد**».

وقد روىٰ محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي: أن عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطا دفنه أبا ذر، وهذه قصة أخرىٰ وذلك إن أبا ذر [رحمه الله تعالىٰ](٥) لما حضرته الوفاة بالربذة، وليس معه إلا امرأته وغلامه(٦) عهد إليهما أن غسلاني ثم كفناني، ثم ضعاني علىٰ قارعة الطريق، فأول ركب يمرون(٧) بكم قولوا لهم: هٰذا أبو ذر صاحب رسول اللهﷺ فأعينونا علىٰ دفنه.. فلما مات فعلوا ذلك.

وأقبل ابن مسعود في ركب من العراق معتمرين(٨)، فلم يرعهم(٩) إلا الجنازة علىٰ قارعة الطريق، قد كادت الإبل تطؤها(١٠)، فقام إليهم العبد، فقال:

(١) قال المرحوم السيد عبدالزهراء الخطيب الحسيني في تعليقته على هٰذا الخبر في هامش الشافي (ج٤، ص٢٨٢): المعروف أن عبدالله بن زمعة شيعة لعليعليه السلام فيبعد أن يفعل ذلك.

(٢) أهوجا.

(٣) في المصدر: حموشة (أي: دقة).

(٤) في الشافي: يختلفان.

(٥) من المصدر.

(٦) وهو جون الشهيد يوم الطف.

(٧) في الشافي: يمر.

(٨) في الشافي: عمارا.

(٩) في الشافي: ترعهم.

(١٠) في الشافي: تطاؤها.

هٰذا أبو ذر صاحب رسول اللهﷺ، فأعينونا علىٰ دفنه، فأنهل ابن مسعود باكيا، وقال: صدق رسول اللهﷺ قال له: «**تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك**»، ثم نزل هو وأصحابه، فواروه.

قال[1]: فأما[2] قوله: (إن ذٰلك ليس بأن يكون طعنا في عثمان بأولىٰ من أن يكون طعنا في ابن مسعود)، فواضح البطلان، وإنما كان طعنا في عثمان دون ابن مسعود، [لأنه لا خلاف بين الأمة في ظهارة ابن مسعود][3]، وفضله، وإيمانه، ومدح رسول اللهﷺ، وثنائه عليه، وأنه [مات][4] علىٰ الجملة المحمودة منه، وفي جميع هٰذا خلاف بين المسلمين في عثمان [فلهٰذا طعنا فيه][5].

فأما قوله: (إن ابن مسعود كره[6] جمع عثمان الناس علىٰ قراءة زيد، وإحراقه المصاحف)، فلا شك أن عبدالله كره ذٰلك كما كرهه جماعة من أصحاب رسول اللهﷺ، وتكلموا فيه، وقد ذكر الرواة كلام كل واحد منهم في ذٰلك مفصلا، وما كره عبدالله من ذلك[7] إلا مكروها، وهو الذي يقول رسول اللهﷺ في حقه: «**من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه علىٰ قراءة ابن أم عبد**».

وروي عن ابن عباس [ﷺ تعالىٰ][8] أنه قال: «**قراءة ابن أم عبد هي القراءة الأخيرة**»، إن رسول اللهﷺ كان يعرض عليه القرآن في كل سنة من شهر رمضان، فلما كان العام الذي توفىٰ فيه عرض عليه دفعتين، فشهد عبدالله ما نسخ منه، وما صح وهي القراءة الأخيرة.

وروىٰ شريك عن الأعمش، قال: قال ابن مسعود لقد أخذت [القرآن][9] من في رسول اللهﷺ سبعين سورة، وإن زيد بن ثابت لغلام يهودي في الكتاب له ذؤابة.

---

(١) السيد الشريف المرتضى ﷺ في الشافي في الإمامة (ج٤، ص٢٨٣). (٢) في الشافي: وأما.
(٣) من المصدر.
(٤) من المصدر.
(٥) كما في الشافي.
(٦) في الشافي: سخط.
(٧) تحريم قراءته، وقصر الناس على قراءة غير.
(٨) كما في شرح نهج البلاغة.
(٩) كما في شرح نهج البلاغة.

فأما حكايته عن أبي الحسين الخياط أن ابن مسعود إنما عاب عثمان لعزله إياه، فعبدالله عند كل من عرفه بخلاف هٰذه الصورة، وأن[1] لم يكن ممن[2] يخرج[3] علىٰ عثمان [دينه][4] ويطعن في إمامته بأمر يعود إلىٰ منفعة الدنيا، وإنه كان عزله بما لا شبهة فيه في دين ولا أتىٰ به[5] عيبا لا شك فيه[6].

▫ الطعن السابع:

إنه جمع الناس علىٰ قراءة زيد بن ثابت خاصة، وأحرق المصاحف[7]، وأبطل ما لا شك أنه منقول[8] من القرآن، وانه مأخوذ عن الرسول عليه السلام، ولو كان ذٰلك مما يسوغ لسبق إليه رسول الله ﷺ، ولفعله أبو بكر وعمر رضي الله عنه[9].

قال قاضي القضاة[10]: وجوابنا عن ذٰلك: أن الوجه في جمع القرآن في[11] قراءة واحدة تحصين القرآن وضبطه، وقطع المنازعة والاختلاف فيه.

وقولهم: لو كان ذٰلك واجبا لفعله الرسول عليه السلام[12] غير لازم، لأن الإمام إذا فعله صار كأن الرسول عليه السلام[13] فعله، ولأن الأحوال في ذٰلك تختلف، وقد

---

(١) في المصدر: وأنه. (٢) في الشافي: فيمن.

(٣) في الشافي: يحرج.

(٤) من الشافي.

(٥) في المصدر: ولا أمانة.

(٦) في الشافي: لا يشك فيه أحد من المخلصين.

(٧) وهٰذا الخبر فيه متظافر وعليه مجموع كبير من المصادر، منها: أنساب الأشراف (ج٥، ص٦٢) والتاج الجامع لأصول العامة (ج٤، ص٣٤) وتاريخ الخميس (ص٢٢٣) وجامع الأصول (ج٢، ص٥٠٣) والرياض لمحب الدين (ج٢، ص١٤١) وسنن أبي داوود (كتاب المصاحف: ص٣٤) وصحيح البخاري (ج١، ص١٤) ومسند أحمد (ج٢، ص٤٣) وغيرها وغيرها.

(٨) في المصدر: نزل.

(٩) غير موجودة في المصدر.

(١٠) في كتابه المغني (ج٢٠، ق٢، ص٥٢).

(١١) في المصدر: على.

(١٢) في المصدر: ﷺ.

(١٣) في المصدر: ﷺ.

روي أن عمر كان عزم علىٰ ذٰلك فمات دونه، وليس لأحد أن يقول: إن إحراق المصاحف استخفاف بالدين، وذلك لأنه إذا جاز من الرسول عليه السلام أن يخرب المسجد الذي بني ضرارا وكفرا، فغير ممتنع إحراق المصاحف.

قال[1]: اعترض المرتضىٰ (رحمه الله [تعالىٰ][2]) هٰذا الكلام، فقال[3]: إن[4] اختلاف الناس في القراءة ليس[5] بموجب لما صنعه عثمان، لأنهم يروون[6] أن النبي صلى الله عليه وآله، قال: «**نزل القرآن علىٰ سبعة أحرف، كلها شاف كاف**»، فهٰذا الاختلاف عندهم في القرآن مباح مسند عن الرسول عليه السلام[7] فكيف يحظر عليهم عثمان من التوسع في الحروف ما هو مباح؟! فلو كان في القراءة الواحدة تحصين القرآن كما ادعىٰ، لما أباح النبي عليه السلام في الأصل إلا القراءة الواحدة لأنه أعلم بوجوه المصالح من جميع أمته، من حيث كان مؤيدا بالوحي، موفقا في كل ما يأتي ويذر، وليس له أن يقول: حدث من الاختلاف في أيام عثمان ما لم يكن في أيام الرسول عليه السلام[8]، ولا من جملة ما أباحه، وذلك لأن الأمر لو كان علىٰ هٰذا لوجب أن ينهىٰ عن القراءة الحادثة، والأمر المبتدع، ولا يحمله ما أحدث[9] من القراءة علىٰ تحريم المتقدم [المباح][10] بلا شبهة.

وقوله[11]: (إن الإمام إذا فعل ذٰلك فكأن الرسول عليه السلام[12] فعله)، تعلل[13] بالباطل [منه][14]، وكيف يكون كما ادعىٰ وهٰذا الاختلاف بعينه قد كان موجودا

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٤٦). (٢) كما في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٤٦).

(٣) في كتابه الشافي (ج٤، ص٢٨٤).

(٤) في المصدر: فأما.

(٥) في المصدر: فليس.

(٦) مسند أحمد (ج٢، ص٣٠٠) ومجمع الزوائد (ج٧، ص١٥١) ومسند الحميدي (ج١، ص١٦٣) والمصنف لابن أبي شيبة (ج٧، ص١٨١) ومسند أبي يعلي (ج١٠، ص٤١٠) وغيرها.

(٧) في المصدر: صلى الله عليه وآله.

(٨) في المصدر: صلى الله عليه وآله.

(٩) في المصدر: ما حدث.

(١٠) من المصدر.

(١١) في المصدر: وقول صاحب الكتاب (يعني: المغني).

(١٢) في المصدر: صلى الله عليه وآله.

(١٣) في المصدر: فتعلل.

(١٤) من المصدر.

في أيام الرسولﷺ وما نهىٰ عنه؟ فلو كان سببا لانتشار الزيادة في القرآن، وفي قطعه تحصين له، لكانﷺ بالنهي عن هٰذا الاختلاف أولىٰ من غيره، اللهم إلا أن يقال: حدث اختلاف لم يكن، فقد قلنا فيه ما كفىٰ.

وأما قوله: (إن عمر قد كان عزم علىٰ ذٰلك فمات دونه)، فما سمعناه إلا منه، ولو[1] فعل ذٰلك أي فاعل لكان [ذلك][2] منكرا.

فأما اعتذاره[3] عن[4] (كون[5] إحراق المصاحف لا يكون استخفافا بالدين)، بحمله إياه علىٰ تخريب مسجد الضرار [والكفر][6] فبين الأمرين بون بعيد جداً، لأن البنيان إنما يكون مسجدا وبيت الله[7] تعالىٰ بنية الباني، وقصده: ولو لا ذٰلك لم يكن بعض البنيان بأن يكون مسجدا أولىٰ من بعض، ولما كان قصد الباني لذلك[8] الموضع غير القربة والعبادة، بل خلافها وضدها من الفساد والمكيدة، لم يكن في الحقيقة مسجدا، وإن سمي بذلك مجازا، [و][9]علىٰ ظاهر الأمر فهدمه لا حرج فيه، وليس كذلك ما بين الدفتين، لأنه كلام الله تعالىٰ الموقر المعظم، الذي يجب صيانته عن البذلة [والاستخفاف][10]، فأي نسبة بين الأمرين؟.

⊡ الطعن الثامن:

أنه أقدم علىٰ عمار بن ياسر بالضرب، حتىٰ حدث به فتق، ولهٰذا صار أحد من ظاهر المتظلمين من أهل الأمصار علىٰ قتله، وكان يقول: قتلناه كافرا.

---

(١) في المصدر: فلو.

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: الاعتذار.

(٤) في المصدر: من.

(٥) في المصدر: أن.

(٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: وبيتا لله.

(٨) في المصدر: في.

(٩) من المصدر.

(١٠) من المصدر.

قال قاضي القضاة[١]: وقد أجاب شيخنا أبو علي (رحمه الله تعالىٰ)[٢] عن ذلك، فقال: إن ضرب عمار غير ثابت، ولو ثبت أنه ضربه للقول العظيم الذي كان يقوله لم يجب أن يكون طعنا عليه، لأن للإمام تأديب من يستحق التأديب، ومما يبعد صحة ذٰلك أن عمارا لا يجوز أن يكفره، ولما يقع منه ما يستوجب به الكفر، لأن الذي يكفر به الكافر معلوم، ولأنه لو كان قد وقع ذٰلك لكان غيره من الصحابة أولىٰ بذلك، ولوجب أن يجتمعوا علىٰ خلعه، ولوجب أن [لا][٣] يكون قتله مباحا لهم، بل كان يجب أن يقيموا إماما ليقتله علىٰ ما قدمناه[٤]، وليس لأحد أن يقول: إنما كفره عمار من حيث وثب علىٰ الخلافة، ولم يكن لها أهلا، لأنا قد بينا القول في ذلك، ولأنه كان مصوبا[٥] لأبي بكر وعمر علىٰ ما تقدم، وقد بينا أن صحة إمامتها تقتضي صحة إمامة عثمان.

وقد روي أن عمارا نازع الحسن بن علي عليه السلام في أمر عثمان، فقال عمار: إن عثمان قُتل كافرا[٦].. وقال الحسن عليه السلام: قتل مؤمنا، وتعلق بعضهما ببعض، فصارا إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: ماذا تريد من ابن أخيك؟ فقال: إني قلت كذا.. وقال كذا، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أتكفر برب كان يؤمن به عثمان، فسكت عمار.

وقد ذكر الشيخ أبو الحسين الخياط: أن عثمان لما نقم عليه ضربه عمارا احتج لنفسه، فقال: جاءني سعد وعمار، فأرسلا إلي أن ائتنا، فإنا نريد أن نذاكرك أشياء فعلتها.. فأرسلت إليهما: إني مشغول فانصرفا، فموعدكما يوم كذا.. فانصرف سعد وأبىٰ عمار أن ينصرف، فأعدت الرسول إليه، فأبىٰ أن ينصرف، فتناوله [بعض غلماني][٧] بغير أمري، ووالله ما أمرت به ولا رضيت، وها أنا فليقتص مني.

قال: وهٰذا من أنصف قول وأعدله.

---

(١) في المغني (ج٢٠، ق٢، ص٥٤).

(٢) من شرح نهج البلاغة.

(٣) كما في الشافي.

(٤) في الشافي: ما قدمنا القول فيه.

(٥) في المصدر: منصوبا.

(٦) في المصدر: قتل عثمان كافرا.

(٧) كما في الشافي.

قال[١]: اعترض المرتضىٰ (رحمه الله [تعالىٰ][٢]) هٰذا الكلام، فقال[٣]:

أما الدفع لضرب عمار فهو كالإنكار [لوجود أحد يسمىٰ عمار، و][٤]لطلوع الشمس ظهورا وانتشارا، وكل من قرأ الأخبار، وتصفح السير يعلم من هٰذا الأمر ما لا تثنيه عنه مكابرة ولا مدافعة، وهٰذا الفعل ـ أعني[٥]: ضرب عمار ـ لم تختلف[٦] الرواة فيه، وإنما اختلفوا في سببه.

فروىٰ عباس بن[٧] هشام الكلبي، عن أبي مخنف، في إسناده أنه[٨] كان في بيت المال بالمدينة سفط فيه حلي وجوهر، فأخذ منه عثمان ما حلىٰ به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك، وكلموه فيه بكل كلام شديد، حتىٰ أغضبوه، فخطب فقال: لتأخذن حاجتنا من هٰذا الفيء، وإن رغمت به أنوف أقوام، فقال له علي عليه السلام: «**إذن تمنع من ذٰلك ويحال بينك وبينه**». فقال عمار: أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك.. فقال عثمان: أعلي يا ابن ياسر [وسمية][٩] تجترئ؟ خذوه فأخذ[١٠] ودخل[١١] عثمان فدعا به، فضربه حتىٰ غشي عليه، ثم أخرج فحمل حتىٰ أتي به منزل أم سلمة [زوج النبي][١٢] (رضي الله [تعالىٰ][١٣] عنها)[١٤]، فلم يصل الظهر والعصر والمغرب، فلما أفاق توضأ وصلىٰ، وقال: الحمد لله، ليس هٰذا أول يوم أوذينا فيه في الله تعالىٰ، فقال هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان عمار حليفا لبني مخزوم: يا عثمان أما علي فاتقيته،

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٤٨).

(٢) كما في شرح نهج البلاغة.

(٣) في كتابه الشافي (ج٤، ص٢٨٩).

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: يعني.

(٦) في المصدر: يختلف.

(٧) في المصدر: عن.

(٨) في المصدر: قال.

(٩) كما في الشافي.

(١٠) في الشافي: فأخذوه.

(١١) في الشافي: فدخل.

(١٢) كما في الشافي.

(١٣) كما في شرح نهج البلاغة.

(١٤) في الشافي: رحمة الله عليها.

وأما نحن فاجترأت علينا، وضرب[١] أخانا حتىٰ أشفيت[٢] به علىٰ التلف، أما والله لئن مات لأقتلن به رجلا من بني أمية عظيم الشأن[٣].. فقال عثمان: وإنك لها هنا يا ابن القسرية.

قال: فإنهما قسريتان ـ وكانت أم هشام وجدته قسريتين من بجيلة ـ فشتمه عثمان، [وأمر به][٤] فأخرج، فأتىٰ به أم سلمة (رضي الله [تعالىٰ][٥] عنها) فإذا هي قد غضبت لعمار، وبلغ عائشة (رضي الله تعالىٰ عنها)[٦] ما صنع بعمار، فغضبت أيضا، وأخرجت شعرا من شعر رسول الله ﷺ، ونعلا من نعاله، وثوبا من ثيابه، وقالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم، وهٰذا شعره وثوبه ونعله ولم يبل بعد.

وروىٰ آخرون: أن السبب في ذٰلك أن عثمان مر بقبر جديد، فسأل عنه، فقيل: عبدالله بن مسعود، فغضب علىٰ عمار لكتمانه إياه موته، إذ كان المتولي للصلاة عليه، والقيام بشأنه فعندها وطئ عثمان عمارا حتىٰ أصابه الفتق.

وروىٰ آخرون: أن المقداد وعمارا وطلحة والزبير وعدة من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتابا عددوا فيه أحداث عثمان، وخوفوه به، وأعلموه أنهم مواثبوه إن لم يقلع، فأخذ عمار الكتاب، فأتاه به، فقرأ منه صدرا، ثم قال له: أعلي تقدم من بينهم؟.. فقال: لأني أنصحهم لك.. قال: كذبت يا بن سمية.. فقال: أنا والله ابن سمية وأنا ابن ياسر.. فأمر عثمان غلمانا له، فمدوا بيديه ورجليه، ثم ضربه عثمان برجليه وهي في الخفين علىٰ مذاكيره، فأصابه الفتق، وكان ضعيفا كبيرا فغشي عليه.

قال[٧]: فضرب عمار علىٰ ما ترىٰ غير مختلف فيه بين الرواة، وإنما اختلفوا في سببه، والخبر الذي رواه صاحب المغني[٨] وحكاه عن أبي الحسين

---

(١) في الشافي: وضربت.
(٢) أي: أشرفت.
(٣) في الشافي: السيرة.
(٤) من المصدر.
(٥) كما في شرح نهج البلاغة.
(٦) غير موجودة في المصدر.
(٧) السيد الشريف المرتضى قُدِّسَ سِرُّهُ في الشافي (ج ٤، ص ٢٩١).
(٨) في المصدر: الكتاب.

الخياط ما نعرفه، وكتب السيرة المعلومة خالية منه ومن نظيره، وقد كان يجب أن يضيفه إلىٰ الموضع الذي أخذ منه، فإن قوله وقول من أسند إليه ليس بحجة، ولو كان صحيحا لكان يجب أن يقول بدل قوله: (ها أنا فليقتص مني) - إذا كان ما أمر بذلك، ولا رضي به[1]، وإنما ضربه هٰذا الغلام الجاني، (فليقتص منه) فإنه أولىٰ وأعدل.

وبعد، فلا تنافي بين الروايتين [و][2]لو كان ما رواه معروفا لأنه يجوز أن يكون غلامه ضربه في حال أخرىٰ، [و][3]الروايات إذا لم تتعارض لم يجز إسقاط شيء منها.

فأما قوله: (إن عمارا لا يجوز أن يكفره، ولم يقع منه ما يوجب الكفر) فإن تكفير عمار وغير عمار له معروف، وقد جاءت به الروايات، وقد روي من طرق مختلفة وبأسانيد كثيرة أن عمار كان يقول: ثلاثة يشهدون علىٰ عثمان بالكفر وأنا الرابع، وأنا شر الأربعة ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[4]، وأنا أشهد أنه قد حكم بغير ما أنزل الله.

وروي عن زيد بن أرقم من طرق مختلفة أنه قيل له: بأي شيء كفرتم عثمان؟ فقال: بثلاث[5]: جعل المال دولة بين الأغنياء، وجعل المهاجرين [من][6] أصحاب رسول الله ﷺ بمنزلة من حارب الله ورسوله، وعمل بغير كتاب الله.

وروي عن حذيفة أنه كان يقول: ما في عثمان بحمد الله أشك، لكني[7] أشك في قاتله، لا أدري أكافر قتل كافرا، أم مؤمن خاض إليه الفتنة حتىٰ قتله، وهو أفضل المؤمنين إيمانا.فأما ما رواه من منازعة الحسن عليه السلام عمارا في ذلك، وترافعهما إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام، فهو (أولا) غير دافع لكون عمار مكفرا له، بل شاهد بذلك من قوله عليه السلام، ثم[8] إن كان الخبر صحيحا فالوجه فيه أن

---

(١) في المصدر: عنه.

(٢) من المصدر.

(٣) من المصدر.

(٤) الآية ٤٤ من سورة المائدة.

(٥) في المصدر: بثلاثة.

(٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: لكنني.

(٨) في المصدر: و.

عمارا كان يعلم من لحن كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وعدوله عن أن يقضي بينهما بصريح من القول أنه متمسك بالتقية، فأمسك عمار متابعة لغرضه[١].

فأما قوله: (لا يجوز أن يكفره من حيث وثب علىٰ الخلافة، لأنه كان مصوبا لأبي بكر وعمر، [و][٢]لما تقدم من كلامه في ذلك)، فإنا لا نسلم له أن [عمارا][٣] كان مصوبا لهما، وما تقدم من كلامه قد تقدم كلامنا عليه.

فأما قوله عن أبي علي: (إنه لو ثبت أنه ضربه للقول العظيم الذي كان يقول فيه لم يكن طعنا، لأن للإمام تأديب من يستحق ذلك)، فقد كان يجب أن يستوحش صاحب كتاب المغني، أو من حكىٰ كلامه من أبي علي وغيره من أن يعتذر من ضرب عمار ووقذه[٤] حتىٰ لحقه من الغشي ما ترك له الصلاة، ووطئه بالأقدام امتهانا واستخفافا بشيء من العذر، فلا عذر يسمع من إيقاع نهاية المكروه بمن روىٰ أن النبي صلى الله عليه وآله قال فيه: «**عمار جلدة ما بين العين والأنف ومتىٰ مكان[٥] الجلدة يدم[٦] الأنف**».

وروي أنه قال عليه السلام: «**ما لهم ولعمار، يدعوهم إلىٰ الجنة ويدعونه إلىٰ النار**».

وروىٰ العوام بن حوشب، عن سلمة بن كهيل، عن علقمة، عن خالد بن الوليد: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**من عادىٰ عمارا عاداه الله، ومن أبغض عمارا أبغضه الله**».

وأي كلام غليظ سمعه عثمان من عمار يستحق به ذلك المكروه العظيم الذي يجاوز[٧] مقدار[٨] ما فرضه الله تعالىٰ في الحدود، وإنما كان عمار وغيره أثبتوا عليه إحداثه ومعايبه أحيانا علىٰ ما يظهر من سيء أفعاله، وقد كان يجب عليه أحد أمرين: [إما][٩] أن ينزع عما تواقف عليه من تلك الأفعال، أو [أن][١٠]

---

(١) في المصدر: فأمسك عمار لما فهم من غرضه. (٢) من المصدر.
(٣) من المصدر.
(٤) ضربه حتى أشرف على الموت.
(٥) في المصدر: تنكأ.
(٦) في الشافي: تدم.
(٧) في المصدر: يتجاوز.
(٨) في الشافي: المقدار.
(٩) من المصدر.
(١٠) من المصدر.

يبين من عذره عنها[١] و[٢]براءته منها ما يظهر ويشتهر، فإن أقام مقيم بعد ذٰلك علىٰ توبيخه وتفسيقه زجره عن ذٰلك بوعظ أو غيره، ولا يقدم علىٰ ما يفعله[٣] الجبابرة والأكاسرة من شفاء الغيظ بغير ما أنزل الله تعالىٰ وحكم به.

⊡ الطعن التاسع:

إقدامه علىٰ أبي ذر مع تقدمه في الإسلام، حتىٰ سيره إلىٰ الربذة ونفاه، وقيل: إنه صرفه[٤].

قال قاضي القضاة في الجواب عن ذلك[٥]: إن شيخنا أبا علي (رحمه الله [تعالىٰ][٦]) قال: إن الناس اختلفوا في أمر أبي ذر (رحمه الله [تعالىٰ][٧]) وروي[٨] [عنه][٩] أنه قيل لأبي ذر: عثمان أنزلك الربذة؟ فقال: لا بل اخترت لنفسي ذلك.

وروي أن معاوية كتب [يشكوه][١٠] وهو بالشام، فكتب عثمان إليه أن صر[١١] إلىٰ المدينة[١٢]، فلما صار إليها، قال: ما أخرجك إلىٰ الشام، قال: لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا بلغت عمارة المدينة إلىٰ موضع كذا فأخرج عنها**» فلذلك خرجت، فقال: فأي البلاد أحب إليك بعد الشام؟ قال: الربذة.. فقال: صر إليها.

قال: فإذا[١٣] تكافأت الأخبار لم يكن لهم في ذٰلك حجة، ولو ثبت ذٰلك لكان لا يمتنع أن يخرجه إلىٰ الربذة لصلاح يرجع إلىٰ الدين، فلا يكون ظلما

---

(١) في المصدر: فيها. (٢) في المصدر: أو.
(٣) في المصدر: تفعله. (٤) في المصدر: ضربه.
(٥) في المغني (ج٢٠، ق٢، ص٥٤).
(٦) من المصدر.
(٧) كما في شرح نهج البلاغة.
(٨) في الشافي: فروي.
(٩) من الشافي.
(١٠) نقله المؤلف كما ذكره صاحب الأصل ومراده غير ما أراد.
(١١) في الشافي: صيره.
(١٢) في المغني: الخدمة.
(١٣) في المصدر: وإذا.

لأبي ذر، بل يكون إشفاقا عليه، وخوفا من أن يناله من بعض أهل المدينة مكروه، فقد روي أنه كان يغلظ في القول ويخشن في الكلام، ويقول[١]: لم يبق أصحاب محمد[ﷺ][٢] علىٰ ما عهد وينغر[٣] بهٰذا القول، فرأىٰ [أن][٤] إخراجه أصلح بما[٥] يرجع إليه وإليهم وإلىٰ الدين، وقد روي أن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٦] أخرج عن المدينة نصر بن الحجاج لما خاف ناحيته، وقد ندب الله سبحانه[٧] إلىٰ خفض الجناح للمؤمنين، وإلىٰ القول اللين للكافرين، وبين للرسول ﷺ أنه لو استعمل الفضاضة لانفظوا من حوله، فلما رأىٰ عثمان من خشونة كلام أبي ذر، وما كان يورده مما يخشىٰ منه التغيير[٨] فعل ما فعل[٩].

قال: وقد روي عن زيد بن وهب قال: قلت لأبي ذر (رَحِمَهُ اللهُ [تعالىٰ][١٠]) وهو بالربذة: ما أنزلك هٰذا المنزل؟ قال: أخبرك إني كنت بالشام في أيام معاوية، [فتذاكرت أنا ومعاوية][١١] وقد ذكرت هٰذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[١٢]، فقال معاوية: هٰذه في أهل الكتاب.. فقلت: هي فيهم وفينا.. فكتب معاوية إلىٰ عثمان في ذلك، فكتب إلي أن أقدم [عليّ][١٣]، فقدمت عليه، فانثال الناس إليّ كأنهم لم يعرفوني، فشكوت [ذلك][١٤] إلىٰ عثمان، فخيرني وقال: انزل حيث شئت، فنزلت الربذة.

---

(١) في المصدر: فيقول.

(٢) في المصدر: أصحاب رسول الله ﷺ.

(٣) يصيح.

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: لما.

(٦) كذا في المصدر ولذا التزم المصنف بالنقل دون إرادة المعنى.

(٧) في الشافي: تعالى.

(٨) في الشافي: التنفير.

(٩) في المغني: فأورده ما أورده.

(١٠) من شرح نهج البلاغة.

(١١) من الشافي.

(١٢) الآية ٣٤ من سورة التوبة.

(١٣) من المصدر.

(١٤) كما في الشافي.

وقد ذكر الشيخ أبو الحسين الخياط قريبا مما تقدم من أن خروج[١] أبي ذر إلىٰ الربذة كان باختياره، وروىٰ في ذٰلك خبرا، قال: (وأقل ما في ذٰلك أن تختلف الأخبار فتطرح، ونرجع[٢] إلىٰ الأمر الأول في صحة إمامة عثمان وسلامه وأحواله).

قال[٣]: اعترض المرتضىٰ (رحمه الله [تعالىٰ][٤]) هٰذا الكلام، فقال[٥]:

أما قول أبي علي رضي الله عنه: (إن الأخبار في سبب خروج أبي ذر إلىٰ الربذة متكافئة)، فمعاذ الله أن تتكافأ في ذٰلك بل المعروف والظاهر أنه نفاه أولا إلىٰ الشام، ثم استقدمه إلىٰ المدينة لما شكا منه معاوية، ثم نفاه من المدينة إلىٰ الربذة، وقد روىٰ جميع أهل السير علىٰ اختلاف طرقهم وأسانيدهم أن عثمان لما أعطىٰ مروان بن الحكم ما أعطاه، وأعطىٰ الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم، وأعطىٰ زيد بن ثابت مائة ألف درهم، جعل أبو ذر يقول: بشر الكافرين بعذاب أليم، ويتلو قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٦] فرفع ذٰلك مروان إلىٰ عثمان، فأرسل إلىٰ أبي ذر نائلا مولاه: أن انته عما يبلغني عنك، فقال: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله [تعالىٰ][٧]، وعيب من ترك أمر الله، فوالله لأن أرضي الله بسخط عثمان أحب إلي وخير لي من أن أسخط برضاه[٨]، فأغضب عثمان ذٰلك وأحفظه، فتصابر.

وقال [عثمان][٩] يوما: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال، فإذا أيسر قضىٰ؟ فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك.. فقال له أبو ذر: يا ابن اليهوديين، أتعلمنا ديننا.. فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي، إلحق بالشام.. فأخرجه إليها، فكان[١٠] أبو ذر ينكر علىٰ معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية ثلاثمائة

---

(١) في المصدر: إخراج. (٢) في المصدر: ويرجع.

(٣) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٥٤).

(٤) كما في شرح نهج البلاغة. (٥) في الشافي في الإمامة (ج٤، ص٢٩٣).

(٦) الآية ٣٤ من سورة التوبة.

(٧) من المصدر.

(٨) في الشافي: أن أرضي عثمان بسخط الله.

(٩) من المصدر.

(١٠) في المصدر: وكان.

دينار، فقال أبو ذر: إن كانت هٰذه من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هٰذا قبلتها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها، وردها [عليه][1].

وبنىٰ معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبو ذر: يا معاوية؛ إن كانت هٰذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهو الإسراف.

وكان أبو ذر (رحمه الله [تعالىٰ][2]) يقول: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، والله إني لأرىٰ حقا يطفأ وباطلا يحيىٰ، وصادقا مكذبا، وأثرة بغير تقىٰ، وصالحا مستأثرا عليه.. فقال جندب[3] بن مسلمة الفهري لمعاوية: إن أبا ذر أفسد[4] عليكم الشام، فتدارك أهله إن كانت لكم فيه حاجة[5].. فكتب عثمان إلىٰ معاوية [فيه][6]: أما بعد، فاحمل جندبا إلي علىٰ أغلظ مركب وأوعره، فوجه به مع من سار به الليل والنهار، وحمله علىٰ شارف[7] ليس عليها إلا قتب[8] حتىٰ قدم به المدينة، وقد سقط لحم فخذيه من الجهد.. فلما قدم أبو ذر المدينة، بعث إليه عثمان أن الحق بأي أرض شئت، فقال: بمكة؟ قال: لا.. قال: فبيت المقدس؟ قال: لا.. قال: فأحد[9] المصرين[10]؟ قال: لا، ولكني مسيرك إلىٰ الربذة، فسيره إليها، فلم يزل بها حتىٰ مات.

وفي رواية الواقدي: أن أبا ذر لما دخل علىٰ عثمان، قال[11] له: لا أنعم الله بك عينا يا جندب[12]، فقال أبو ذر: أنا جندب[13] وسماني رسول الله صلى الله عليه وآله عبدالله، فاخترت اسم رسول الله الذي سماني به علىٰ اسمي.. فقال عثمان: أنت

---

(١) من المصدر.

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: حبيب.

(٤) في المصدر: لمفسد.

(٥) في المصدر: لكم حاجة فيه.

(٦) من شرح نهج البلاغة.

(٧) بعير مسن هزيل.

(٨) الصغير على قدر سنام الناقة.

(٩) في المصدر: بأحد.

(١٠) الكوفة والبصرة.

(١١) في المصدر: فقال.

(١٢) في المصدر: جنيدب.

(١٣) في المصدر: جنيدب.

الذي تزعم أنا نقول: إن ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[١]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[٢].. فقال أبو ذر: لو كنتم لا تعمون لأنفقتم مال الله على عباده، ولكن[٣] أشهد لسمعت رسول اللهﷺ يقول: «**إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا، وعباد الله خولا، ودين الله خولا**[٤]، **[ثم يريح الله العباد منهم]**[٥]»، فقال عثمان لمن حضره: أسمعتموها من نبي الله[ﷺ][٦]؟ فقالوا: ما سمعناه.. فقال عثمان: ويلك يا أبا ذر أتكذب على رسول اللهﷺ.. فقال أبو ذر لمن حضر: أما تظنون أني صدقت.. قالوا: لا والله ما ندري.. فقال عثمان: ادعوا لي عليا.. فلما جاء، قال عثمان لأبي ذر: أقصص عليك حديثك في بني أبي العاص.. فحدثه، فقال عثمان لعلي[عليه السلام][٧]: هل سمعت هذا من رسول اللهﷺ؟ فقال علي عليه السلام: «**لا وقد صدق أبو ذر**».. قال عثمان: بم[٨] عرفت صدقه؟ قال[عليه السلام]: «**لأني سمعت رسول اللهﷺ يقول: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، من ذي لهجة أصدق من أبي ذر**».. فقال جميع[٩] من حضر من أصحاب النبيﷺ: لقد صدق أبو ذر.. فقال أبو ذر: أحدثكم أني سمعت هذا من رسول اللهﷺ ثم تتهموني، ما كنت أظن أني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمدﷺ.

وروى الواقدي في خبر آخر بإسناده عن صهبان مولى الأسلميين، قال: رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان، فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت؟ فقال له أبو ذر: إني نصحتك فاستغششتني، ونصحت صاحبك فاستغشني.. فقال عثمان: كذبت ولكنك تريد الفتنة وتحبها، قد أنغلت[١٠] الشام علينا، فقال له أبو ذر: اتبع سنة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام.. قال[١١] عثمان: ما لك

(١) كما ذكر القرآن في الآية ٦٤ من سورة المائدة.
(٢) كما ذكر القرآن في الآية ١٨١ من سورة آل عمران.
(٣) في المصدر: ولكني.
(٤) في المصدر: دخلا.
(٥) من المصدر.
(٦) من المصدر.
(٧) من المصدر.
(٨) في المصدر: كيف.
(٩) غير موجودة في المصدر.
(١٠) في المصدر: فقال أفسدت.
(١١) في المصدر: فقال.

وذلك[١] لا أم لك؟ قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذرا إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. فغضب عثمان، وقال: أشيروا علي في هٰذا الشيخ الكذاب، إما أن أضربه[٢] أو أحبسه أو أقتله، فإنه قد فرق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام[٣]، فتكلم علي عليه السلام وكان حاضرا، وقال[٤]: «**أشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون:** ﴿وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾[٥]»، قال: فأجابه عثمان بجواب غليظ، لا[٦] أحب ذكره[٧]، وأجاب علي[عليه السلام] بمثله.

قال: ثم إن عثمان حظر[٨] علىٰ الناس أن يقاعدوا أبا ذر أو[٩] يكلموه، فمكث ذلك[١٠] أياما ثم أمر أن يؤتىٰ به، فلما أتي به وقف بين يديه، قال: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ورأيت أبا بكر ورأيت عمر، هل رأيت هٰذا هديكم[١١] إنك لتبطش[١٢] بي بطش جبار.. فقال: اخرج عنا من بلادنا.. فقال أبو ذر: ما أبغض إلي جوارك فإلىٰ أين أخرج؟ قال: حيث شئت، قال: أنا أخرج[١٣] إلىٰ الشام أرض الجهاد.. فقال: إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها أفأردك[١٤] إليها؟ قال: أفأخرج إلىٰ العراق؟ قال: لا.. قال: ولم؟ قال: تقدم علىٰ قوم أهل شبه.. وطعن علىٰ الأمة[١٥]، قال: أفأخرج إلىٰ مصر؟ قال: لا. قال: فإلىٰ[١٦] أين أخرج؟ قال: حيث شئت.. قال أبو ذر: فهو[١٧] إذن[١٨] التعرب بعد

(١) في المصدر: ولذلك. (٢) في المصدر: أسربه.
(٣) في المصدر: أو أنفيه من الأرض. (٤) في المصدر: فقال.
(٥) الآية ٢٨ من سورة غافر. (٦) في المصدر: لم.
(٧) في المصدر: أحب أن أذكره. (٨) منع.
(٩) في المصدر: و.
(١٠) في المصدر: كذلك.
(١١) في المصدرك هديهم.
(١٢) في المصدر: تبطش.
(١٣) في المصدر: فأخرج.
(١٤) في المصدر: فأردك.
(١٥) في المصدر: في الأئمة.
(١٦) غير موجودة في المصدر.
(١٧) في المصدر: وهو.
(١٨) في المصدر: أيضا.

الهجرة، أأخرج[١] إلىٰ نجد؟ فقال عثمان: الشرف [الشرف][٢] الأبعد، أقصىٰ فأقصىٰ.. [فقال أبو ذر: قد أبيت ذٰلك علي.. قال][٣]: امض علىٰ وجهك هٰذا ولا تعدون الربذة.. فخرج إليها.

وروىٰ الواقدي: عن مالك بن أبي الرجال[٤]، عن موسىٰ بن ميسرة، أن أبا الأسود الدؤلي قال: كنت أحب لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه، فنزلت [به][٥] الربذة.. فقلت: ألا تخبرني؟ أخرجت[٦] من المدينة طائعا أم[٧] خرجت[٨] [مكرها][٩]؟ قال: [أما إني][١٠] كنت في ثغر من ثغور المسلمين[١١] أغنىٰ عنهم، فأخرجت إلىٰ مدينة الرسول عليه السلام.. فقلت: أصحابي ودار هجرتي، فأخرجت منها إلىٰ ما ترىٰ.

ثم قال: بينما أنا ذات ليلة نائم في المسجد إذ مر بي رسول الله صلى الله عليه وآله فضربني برجله، وقال[١٢]: لا أراك نائما في المسجد.. فقلت: بأبي أنت وأمي غلبتني عيني فنمت فيه.. فقال: كيف تصنع إذا أخرجوك منه؟ فقلت: إذن ألحق بالشام، فإنها أرض مقدسة، وأرض بقية الاسلام، وأرض الجهاد.. فقال: كيف تصنع إذا خرجت منها[١٣]؟ فقلت: أرجع إلىٰ المسجد.. قال: فكيف[١٤] تصنع إذا أخرجوك منه؟ قلت: آخذ سيفي فأضرب به.. فقال [رسول الله][١٥] صلى الله عليه وآله: «**ألا أدلك علىٰ خير من ذلك، أنسف[١٦] معهم حيث ساقوك، وتسمع وتطيع**»، فسمعت وأطعت وأنا أسمع وأطيع، والله ليلقين الله عثمان وهو آثم في جنبي.

(١) في المصدر: أخرج. (٢) من المصدر.
(٣) من المصدر. (٤) في المصدر: الرحال.
(٥) من المصدر. (٦) في المصدر: خرجت.
(٧) في المصدر: أو.
(٨) في المصدر: أخرجت.
(٩) من شرح نهج البلاغة.
(١٠) كما في المصدر.
(١١) في المصدر: كنت في ثغر من الثغور.
(١٢) في المصدر: فقال.
(١٣) في المصدر: كيف بك إذا أخرجوك منها.
(١٤) في المصدر: كيف.
(١٥) من المصدر.
(١٦) في المصدر: أنسق.

وكان يقول بالربذة: ما ترك الحق لي صديقا.

وكان يقول: فيها ردني عثمان بعد الهجرة أعرابيا.

والأخبار في هٰذا الباب أكثر من أن تحصر[1] وأوسع من أن نذكرها.

وما يحمل نفسه علىٰ ادعاء أن أبا ذر خرج مختارا إلىٰ الربذة إلا مكابر، ولسنا ننكر أن يكون ما أورده صاحب الكتاب[2] من أنه خرج مختارا قد روي، إلا أنه من الشاذ النادر، وبإزاء هٰذه الرواية الفذة كل الروايات التي تتضمن خلافها، ومن تصفح الأخبار علم أنها غير متكافئة علىٰ ما ظن صاحب الكتاب، وكيف يجوز خروجه عن اختياره[3] وإنما أشخص من الشام علىٰ الوجه الذي أشخص عليه، من: خشونة المركب، وقبح السير [به][4] للموجدة[5] عليه، ثم لما قدم منع الناس من كلامه، وأغلظ له في القول، وكل هٰذا لا يشبه أن يكون خروجه إلىٰ الربذة باختياره، وكيف يظن عاقل أن أبا ذر يختار الربذة منزلا مع جذبها وقحطها وبعدها عن الخيرات، ولم يكن بمنزل مثله.

فأما قوله: (إنه أشفق عليه من أن يناله بعض أهل المدينة بمكروه، من حيث كان يغلظ له القول)، فليس بشيء [يعول عليه][6]، لأنه لم يكن في أهل المدينة إلا من كان راجيا[7] [بقوله][8]، عايبا مثل عيبه[9]، إلا أنهم كانوا بين مجاهر بما في نفسه، ومحق[10] ما عنده، وما في أهل المدينة إلا من رثىٰ لأبي ذر مما حدث عليه، [ومن استفظعه، ومن رجع إلىٰ كتب السيرة عرف ما ذكرناه][11].

---

(١) في المصدر: نحصرها.

(٢) في المصدر: كتاب المغني.

(٣) في المصدر: عن تخيير.

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: للوجد.

(٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: راضيا.

(٨) من المصدر.

(٩) في المصدر: عاتبا مثل عتبه.

(١٠) في المصدر: ومخف.

(١١) من المصدر.

وأما[١] قوله: (إن عمر أخرج من المدينة نصر بن حجاج)، فيما[٢] بعد ما بين الأمرين، وما كنا نظن أن أحدا يسوي بين أبي ذر وهو وجه الصحابة وعينهم، ومن أجمع المسلمون علىٰ توقيره وتعظيمه، وأن رسول الله ﷺ مدحه من صدق اللهجة بما لم يمدح به أحدا، وبين نصر بن الحجاج الحدث الذي كان خاف عمر من افتتان النساء به [وبشبابه][٣]، ولا حظ له في فضل ولا دين.. علىٰ أن عمر قد ذم بإخراجه نصر بن الحجاج من غير ذنب كان منه، فإذا[٤] كان من أخرج نصر بن حجاج مذموما فكيف من[٥] أخرج أبا ذر [رحمه الله تعالىٰ][٦].

فأما قوله: (إن الله تعالىٰ والرسول[ﷺ][٧] قد ندبا إلىٰ خفض الجناح، ولين القول للمؤمن والكافر)، فهو كما قال، إلا أن هٰذا أدب كان ينبغي أن يتأدب به عثمان في أبي ذر، ولا يقابله بالتكذيب، وقد قطع رسول الله ﷺ علىٰ صدقه، ولا يسمعه مكروه الكلام، فإنما[٨] [هو][٩] نصح له، وأهدي إليه [عيوبه][١٠]، وعاتبه علىٰ ما لو نزع عنه لكان خيرا له في الدنيا والآخرة، [وهذه جملة كافية][١١].

⊡ الطعن العاشر:

تعطيله الحد الواجب علىٰ عبيدالله بن عمر بن الخطاب، فإنه قتل الهرمزان مسلما فلم يقده به، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يطلبه بذلك.

---

(١) في المصدر: فأما.
(٢) في المصدر: فما.
(٣) من المصدر.
(٤) في المصدر: وإذا.
(٥) في المصدر: بمن.
(٦) من المصدر.
(٧) من المصدر.
(٨) في المصدر: وإنما.
(٩) من المصدر.
(١٠) من المصدر.
(١١) من المصدر.

قال قاضي القضاةﭬ في الجواب عن ذلك[١]: إن شيخنا أبا علي (ﭬ [تعالىٰ][٢])[٣] قال: (إنه لم يكن للهرمزان ولي يطلب بدمه، والإمام ولي من لا ولي له، وللولي أن يعفو كما له أن يقتل، وقد روي أنه سأل المسلمين أن يعفوا عنه، فأجابوا عنه إلىٰ ذلك).

قال: (وإنما أراد عثمان بالعفو عنه ما يعود إلىٰ عز الدين، لأنه خاف أن يبلغ العدو قتله، فيقال: قتلوا إمامهم وقتلوا ولده ولا يعرفون الحال في ذٰلك فيكون فيه شماتة، وقد قال[٤] الشيخ أبو الحسين الخياط: أن عامة المهاجرين أجمعوا علىٰ أنه لا يقاد بالهرمزان، وقالوا لعثمان: هٰذا دم سفك في غير ولايتك، وليس له ولي يطلب به، وأمره إلىٰ الإمام، فاقبل منه الدية، فذلك صلاح للمسلمين[٥]).

قال: (ولم يثبت أن أمير المؤمنينﭬ كان يطلبه ليقتله بالهرمزان، لأنه لا يجوز قتل من قد عفا عنه ولي المقتول، وإنما كان يطلبه ليضع من قدره، ويصغر من شأنه).

قال: (ويجوز أن يكون ما روي عن عليﭬ من أنه قال: «**لو كنت بدل عثمان لقتلته**»، يعني: أنه كان يرىٰ ذٰلك أقوىٰ في الاجتهاد، وأقرب إلىٰ التشدد في دين الله سبحانه).

قال[٦]: اعترض المرتضىٰ (ﭬ [تعالىٰ][٧]) هٰذا الكلام، قال[٨]:

أما قوله: (لم يكن للهرمزان ولي يطلب بدمه، فالإمام يكون وليه، وله أن يعفو عنه، كما له أن يقتص)، فليس بمعتمد[٩]، لأن الهرمزان رجل من أهل فارس، ولم يكن له ولي حاضر يطالب بدمه، وقد كان الواجب أن يبذل الانصاف

---

(١) في المغني (ج٢٠، ق٢، ص٥٤).
(٢) من المصدر.
(٣) من شرح نهج البلاغة.
(٤) في المصدر: حكي عن.
(٥) في المصدر: المسلمين.
(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٦٠).
(٧) كما في شرح نهج البلاغة.
(٨) في كتابه الشافي (ج٤، ص٣٠٣).
(٩) في المصدر: بشيء.

لأوليائه ويؤمنوا متىٰ حضروا، حتىٰ إنه لو[١] كان له ولي يريد المطالبة حضر وطالب، ثم لو لم يكن له ولي لم يكن عثمان ولي دمه، لأنه قتل في أيام عمر، فصار عمر ولي دمه، وقد أوصىٰ عمر علىٰ ما جاءت به الروايات الظاهرة بقتل ابنه عبيدالله إن لم تقم[٢] البينة العادلة علىٰ أن الهرمزان وجفينة أنهما أمرا أبا لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة بقتله، وكانت وصيته بذلك إلىٰ أهل الشورىٰ، فقال: أيكم ولي هٰذا الأمر فليفعل كذا وكذا مما ذكرناه، فلما مات عمر، طلب المسلمون إلىٰ عثمان إمضاء الوصية في عبيدالله بن عمر، فدافع عن ذٰلك وعللهم، ولو[٣] كان هو ولي الدم علىٰ ما ذكروا[٤]، لم يكن له أن يعفو، وأن يبطل حدا من حدود الله تعالىٰ، وأي شماتة للعدو في إقامة حد من حدود الله تعالىٰ، وإنما الشماتة كلها من أعداء الاسلام في تعطيل الحدود، وأي حرج في الجمع بين قتل الإمام وابنه[٥]، حتىٰ يقال: كره أن ينتشر الخبر بأن الإمام وابنه قتلا، وإنما قتل أحدهما ظلما، والآخر عدلا، أو أحدهما بغير أمر الله، والآخر بأمره سبحانه[٦].

وقد روىٰ زياد بن عبدالله البكائي، عن محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، أن امير المؤمنين عليه السلام أتىٰ عثمان، بعدما استخلف، فكلمه في عبيدالله ولم يكلمه أحد غيره، فقال: اقتل هٰذا الفاسق الخبيث الذي قتل أميرا مسلما.. فقال عثمان: قتلوا أباه بالأمس وأقتله اليوم، وإنما هو رجل من أهل الأرض، فلما أبىٰ عليه مر عبيدالله علىٰ علي عليه السلام، فقال له: «**إيه يا فاسق، أما والله لئن ظفرت بك يوما من الدهر لأضربن عنقك**»، فلذلك خرج مع معاوية عليه[٧].

روىٰ القناد[٨]، عن الحسن بن عيسىٰ بن يزيد[٩]، عن أبيه، أن المسلمين لما قال عثمان: إني قد عفوت عن عبيدالله بن عمر، قالوا: ليس لك أن تعفوا

---

(١) في المصدر: إن. (٢) في المصدر: يقم.

(٣) في المصدر: فلو.

(٤) في المصدر: ما ذكره.

(٥) في المصدر: قتل الأب والابن.

(٦) في المصدر: بأمر الله تعالى.

(٧) على أمير المؤمنين عليه السلام.

(٨) في الشافي: القباد.

(٩) في المصدر: زيد.

عنه، قال: بلىٰ إنه ليس لجفينة والهرمزان قرابة من أهل الإسلام، وأنا ولي أمر المسلمين، وأنا أولىٰ بهما، وقد عفوت، فقال علي عليه السلام: «**إنه ليس كما تقول، إنما أنت في أمرهما بمنزلة أقصىٰ المسلمين، إنه قتلهما في إمرة غيرك، وقد حكم الوالي الذي قتلا في إمارته بقتله، ولو كان قتلهما في إمارتك لم يكن لك العفو عنه، فاتق الله، فإن الله سائلك عن هذا**»، فلما رأىٰ عثمان أن المسلمين قد أبوا إلا قتل عبيدالله أمره فارتحل إلىٰ الكوفة، وأقطعه[1] بها دارا و[أقطعه][2] أرضا، وهي التي يقال لها: كويفة بن عمر، فعظم ذٰلك عند المسلمين وأكبروه، وكثر كلامهم فيه.

وروي عن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: ما أمسىٰ عثمان يوم وليلة[3] حتىٰ نقموا عليه في أمر عبيدالله بن عمر، حيث لم يقتله بالهرمزان.

فأما قوله: (إن أمير المؤمنين عليه السلام لم يطلبه ليقتله، بل ليضع من قدره)، فهو بخلاف ما صرح به عليه السلام من أنه تمكن ليضربن[4] عنقه.

وبعد: فإن ولي الدم إذا عفا عنه علىٰ ما أدعوا لم يكن لأحد أن يستخف به، ولا يضع[5] من قدره، كما ليس له أن يقتله.

وأما قوله: (إن أمير المؤمنين عليه السلام لا يجوز أن يتوعده مع عفو الإمام عنه)، فإنما يكون صحيحا لو كان ذٰلك العفو مؤثرا، وقد بينا أنه غير مؤثر.

وأما قوله: (يجوز أن يكون عليه السلام رأىٰ أن قتله أقوىٰ في الإجتهاد، وأقرب إلىٰ التشدد في دين الله)، فلا شك أنه كذلك، وهٰذا بناء منه علىٰ أن كل مجتهد مصيب، وقد بينا أن الأمر بخلاف ذلك، وإن[6] كان اجتهاد أمير المؤمنين عليه السلام يقتضي قتله، فهو الذي لا يسوغ خلافه.

---

(١) في المصدر: وابتنى.

(٢) من المصدر.

(٣) كذا في شرح نهج البلاغة ولكن في المصدر (الشافي): ولي .

(٤) في المصدر: إنه لم يكن إلا لضرب عنقه.

(٥) في المصدر: ويضع.

(٦) في المصدر: وإذا.

⊡ الطعن الحادي عشر:

◎ وهو إجمالي

قالو: وجدنا أحوال الصحابة دالة علىٰ تصديقهم المطاعن فيه، وبراءتهم منه، والدليل علىٰ ذٰلك أنهم تركوه بعد قتله ثلاثة أيام لم يدفنوه، ولا أنكروا علىٰ من أجلب عليه من أهل الأمصار، بل أسلموه ولم يدفعوا عنه، ولكنهم أعانوا عليه[١]، ولم يمنعوه[٢] من حصره ولا من منع الماء عنه، ولا من قتله، مع تمكنهم من خلاف ذلك.

وهٰذا من أقوىٰ الدلائل علىٰ ما قلناه، ولو لم يدل علىٰ أمره عندهم إلا ما روي عن علي عليه السلام أنه قال: «**الله قتله وأنا معه**»[٣]، وأنه كان في أصحابه عليه السلام من يصرح بأنه قتل عثمان، ومع ذٰلك لا يقيدهم، بل ولا ينكر عليهم، وكان أهل الشام يصرحون بأن مع أمير المؤمنين[عليه السلام][٤] قتلة عثمان، ويجعلون ذٰلك من أوكد الشبه، ولا ينكر ذٰلك عليهم، مع أنا نعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام لو أراد أن يتعاضد هو وأصحابه علىٰ المنع عنه لما وقع في حقه ما وقع، فصار كفه وكف غيره عن ذٰلك من أدل الدلائل علىٰ أنهم صدقوا عليه ما نسب إليه من الأحداث، وأنهم لم يقتلوا منه ما جعله عذرا.

قال: وأجاب قاضي القضاة رضي الله عنه عن هٰذا فقال[٥]:

أما تركه بعد القتل ثلاثة أيام لم يدفن فليس بثابت، ولو صح [ذلك][٦] لكان طعنا علىٰ من لزمه القيام به، وقد قال شيخنا أبو علي (رحمه الله [تعالىٰ][٧]): إنه لا[٨] يمتنع أن يشتغلوا بإبرام البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام خوفا علىٰ الاسلام من الفتنة فيؤخروا دفنه.

---

(١) أنساب الأشراف (ج٥، ص١٦٥) والإمامة والسياسة (ج١، ص٩٢) وكتاب صفين (ص٢١٣) وغيرها.

(٢) في المصدر: يمنعوا.

(٣) المصنف لابن أبي شيبة (ج٨ ص٦٨٥).

(٤) من المصدر.

(٥) في كتابه المغني (ج٢٠، ق٢، ٥٤).

(٦) من المصدر.

(٧) من شرح نهج البلاغة.

(٨) في المصدر: لم.

قال: وبعيد مع حضور قريش وقبائل العرب وسائر بني أمية ومواليهم أن يترك عثمان ولا[(١)] يدفن هٰذه المدة، وبعيد[(٢)] أن يكون أمير المؤمنين عليه السلام لا يتقدم بدفنه، ولو مات في جواره يهودي أو نصراني ولم يكن له من يواريه ما تركه [أمير المؤمنين عليه السلام][(٣)] ألا يدفن، فكيف يجوز مثل ذٰلك في عثمان، وقد روي أنه دفن في تلك الليلة، وهٰذا هو الأولىٰ.

فأما التعلق[(٤)] بأن الصحابة لم تنكر علىٰ القوم، ولا دفعت عنه، فقد كان سبق القول في ذلك[(٥)]، والصحيح أن أمير المؤمنين عليه السلام أنه تبرأ من قتل عثمان، ولعن قتلته في البر والبحر والسهل والجبل، وإنما كان يجري من جيشه[(٦)] هٰذا القول منه علىٰ جهة[(٧)] المجاز، لأنا نعلم أن جميع من كان يقول: نحن قتلناه، لم يقتله، لأن في الخبر أن العدد الكثير كانوا يصرحون بذلك، والذين دخلوا عليه وقتلوه اثنان أو ثلاثة، وإنما كانوا يقصدون[(٨)] بهٰذا القول، أي[(٩)]: احسبوا أنا قتلناه فما لكم[(١٠)] وذلك أن الإمام هو الذي يقوم بأمر [الدين في][(١١)] القود، وليس للخارج عليه أن يطالب بذلك، ولم يكن لأمير المؤمنين عليه السلام أن يقتل قتلته، [و][(١٢)]لو عرفهم ببينة أو إقرار، وميزهم من غيرهم إلا عند مطالبة ولي الدم، [أما علىٰ جهة الابتداء فلم يكن][(١٣)]، والذين كانوا أولياء الدم لم يكونوا يطالبونه، ولا كانت صفتهم صفة من يطالب، لأنهم كانوا[(١٤)] كلهم أو بعضهم

---

(١) في الشافي: فلا.
(٢) في الشافي: ويبعد.
(٣) من المصدر.
(٤) في الشافي: تعلقهم.
(٥) في الشافي: فقد بينا ما يسقط كل ذلك.
(٦) في الشافي: حديثه.
(٧) في الشافي: وجه.
(٨) في الشافي: يريدون.
(٩) غير موجودة في الشافي.
(١٠) في الشافي: بالكم.
(١١) كما في الشافي.
(١٢) كما في الشافي.
(١٣) كما في المغني.
(١٤) غير موجودة في الشافي.

يدعون أن علياً عليه السلام [قتله، وأنه][١] ليس بإمام، ولا يحل لولي الدم مع هٰذا الاعتقاد أن يطالب بالقود، فلذلك لم يقتلهم [أمير المؤمنين][٢] عليه السلام، هٰذا لو صح أنه كان يميزهم، فكيف وذلك غير صحيح.

فاما ما روي عنه من قوله عليه السلام: «**الله قتله**[٣] **وأنا معه**»، فإن صح فمعناه مستقيم، يريد: أن الله أماته وسيميتني[٤] وسائر العباد.

ثم قال سائلا نفسه: ([و][٥]كيف يقول ذٰلك وعثمان مات مقتولا من جهة المكلفين).

فأجاب[٦]: (بأنه وإن قتل فالإماتة من قبل الله[٧] تعالىٰ، ويجوز أن يكون ما ناله من الجراح لا يوجب انتفاء الحياة لا محالة، فإذا مات صحت الإماتة علىٰ طريق الحقيقة).

قال[٨]: اعترض المرتضىٰ (رحمه الله [تعالىٰ][٩]) هٰذا الكلام فقال[١٠]:

أما تضعيفه أن يكون عثمان ترك بعد القتل ثلاثة أيام لم يدفن فليس[١١] بحجة، لأن ذٰلك قد رواه جماعة الرواة، وليس يخالف في مثله أحد يعرف بالرواية[١٢]، وقد ذكر ذٰلك الواقدي وغيره، وروي المنع من دفنه، [وروي][١٣] أن أهل المدينة منعوا الصلاة عليه، [حيث حمل][١٤] حتىٰ حمل بين المغرب والعتمة[١٥]، ولم يشهد جنازته غير مروان وثلاثة من مواليه، ولما أحسوا بذلك

---

(١) من المصدر. (٢) كما في المغني.

(٣) في المصدر: قتله الله.

(٤) في الشافي: ويميتني معه.

(٥) من المصدر.

(٦) في المصدر: وأجاب.

(٧) في المصدر: من قبله تعالى.

(٨) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٦٤).

(٩) كما في شرح نهج البلاغة.

(١٠) في الشافي (ج٤، ص٣٠٦).

(١١) في المصدر: ليس.

(١٢) في المصدر: الرواية به.

(١٣) من المصدر.

(١٤) من المصدر.

(١٥) في المصدر: والعشاء.

رموه بالحجارة، وذكروه بأسوء الذكر، ولم يقع التمكن من دفنه إلا بعد أن أنكر أمير المؤمنين عليه السلام المنع من دفنه، وأمر أهله بتولىٰ ذٰلك منه.

فأما قوله: (إن ذٰلك لو[١] صح كان طعنا علىٰ من لزمه القيام بأمره)، فليس الأمر علىٰ ما ظنه، بل يكون طعنا علىٰ عثمان من حيث لا يجوز أن يمنع أهل المدينة، وفيها وجوه الصحابة من دفنه والصلاة عليه إلا لاعتقاد قبيح، أو[٢] لأن أكثرهم وجمهورهم يعتقد ذلك.

وهٰذا طعن لا شبهة فيه، واستبعاد صاحب الكتاب لذلك، مع ظهور الرواية لا يلتفت إليه.

فأما أمير المؤمنين عليه السلام واستبعاد صاحب الكتاب[٣] منه أن لا يتقدم بدفنه، فقد بينا أنه تقدم بذلك بعد مماكسة ومراوضة.

وأعجب من كل شيء قول صاحب الكتاب[٤]: (إنهم أخروا دفنه تشاغلا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام)، وأي شغل في البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام يمنع من دفنه، والدفن فرض علىٰ الكفاية، لو قام به البعض وتشاغل الباقون بالبيعة لجاز، ولا[٥] الدفن ولا البيعة أيضا مفتقرة إلىٰ تشاغل جميع أهل المدينة بها.

فأما قوله: (إنه قد روي أن عثمان دفن تلك الليلة)، فما تعرف[٦] هٰذه الرواية وقد كان يجب أن يسندها ويعزوها إلىٰ راويها، أو[٧] الكتاب الذي أخذها منه، فالذي ظهر في هٰذه الرواية هو ما ذكرناه.

فأما إحالته علىٰ ما تقدم في معنىٰ الانكار من الصحابة علىٰ القوم المجلبين علىٰ عثمان، فقد سبق القول في ذلك[٨].

فأما روايته عن أمير المؤمنين عليه السلام تبرؤه من قتل عثمان، ولعنه قتلته في البر والبحر، والسهل والجبل، فلا شك في أنه عليه السلام كان بريئا من قتله، وقد روي

(١) في المصدر: إن.
(٢) غير موجودة في المصدر.
(٣) في المصدر: المغني.
(٤) في المصدر: المغني.
(٥) في المصدر: وليس.
(٦) في المصدر: نعرف.
(٧) في المصدر: و.
(٨) في المصدر: فقد بينا فساد ما أحال عليه ولا معنى لإعادته.

عنهعليه السلام أنه قال: «**والله ما قتلت عثمان**[١]**، ولا مالأت في قتله**»، و(الممالاة) هي: المعاونة والمؤازرة، وقد صدقعليه السلام في أنه ما قتل ولا وازر علىٰ القتل.

فأما (لعنه قتلته) فضعيف في الرواية، وإن كان قد روي فأظهر منه ما رواه الواقدي، عن الحكم بن الصلت، عن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه، قال: رأيت علياعليه السلام علىٰ منبر رسول اللهصلى الله عليه وآله حين قتل، وهو يقول: «**ما أحببت قتله ولا كرهت**[٢]**، ولا أمرت به، ولا نهيت عنه**».

وقد روىٰ محمد بن سعد، عن عفان بن جرير[٣] بن بشير، عن أبي جلدة، أنه سمع علياعليه السلام يقول وهو يخطب، فذكر عثمان، وقال: «**والله الذي لا إلٰه إلا هو ما قتلته ولا مالأت علىٰ قتله، ولا ساءني**».

وروىٰ ابن بشير، عن عبيدة السلماني، قال: سمعت علياعليه السلام، يقول: «**من كان سائلي عن دم عثمان، فإن الله قتله وأنا معه**»، وقد روي هٰذا اللفظ من طرق كثيرة.

وقد روىٰ شعبة، عن أبي حمزة الضبعي، قال: قلت لابن عباس: إن أبي أخبرني أنه سمع عليا[عليه السلام][٤]، يقول: «**ألا من كان سائلي علىٰ دم عثمان، فإن الله قتله وأنا معه**»، فقال: صدق أبوك، هل تدري ما معنىٰ قوله، إنما عنىٰ: الله قتله وأنا مع الله؟.

قال: فإن قيل: كيف يصح الجمع بين معاني هٰذه الأخبار؟

قلنا: لا تنافي بينها[٥]، لأنهعليه السلام تبرأ من مباشرة قتله والمؤازرة عليه، ثم قال[عليه السلام]: «**ما أمرت بذلك ولا نهيت عنه**»، يريد أن قاتليه لم يرجعوا إلي، ولم يكن مني قول في ذٰلك بأمر ولا نهي.

فأما قوله[عليه السلام]: «**الله قتله وأنا معه**»، فيجوز أن يكون المراد به: الله حكم بقتله وأوجبه وأنا كذلك، لأن من المعلوم أن الله تعالىٰ لم يقتله علىٰ الحقيقة، فإضافة القتل إليه لا تكون إلا بمعنىٰ الحكم والرضا، وليس يمتنع[٦] أن يكون مما حكم الله تعالىٰ به ما لم يتوله بنفسه، ولا وازر[٧] عليه، ولا شايع فيه.

(١) في المصدر: ما قتلته. (٢) في الشافي: كرهته.
(٣) في الشافي: جوين. (٤) من الشافي. (٥) في الشافي بين الجميع.
(٦) في الشافي: يمنع.
(٧) في المصدر: آزر.

فإن قال قائل: هٰذا ينافي ما روي عنه من قوله[عليه السلام]: «**ما أحببت قتله ولا كرهته**»، [وكيف يكون من حكم الله وحكمه أن يقتل وهو لا يحب قتله][1].

[قلنا: يجوز أن يريد بقوله[عليه السلام]: «**ما أحببت قتله ولا كرهته**»][2] أن ذٰلك لم يكن مني علىٰ سبيل التفصيل، ولا خطر لي ببال، وإن كان علىٰ سبيل الجملة يحب قتل من غلب المسلمين علىٰ أمورهم، وطالبوه بأن يعتزل، لأنه متولىٰ[3] عليهم بغير حق فامتنع من ذلك، ويكون فائدة هٰذا الكلام التبرؤ من مباشرة قتله، والأمر به علىٰ سبيل التفصيل[4] أو النهي عنه، ويجوز أن يريد أنني ما أحببت قتله، إن كانوا تعمدوا القتل، ولم يقع علىٰ سبيل الممانعة وهو غير مقصود، ويريد بقوله[عليه السلام]: «**ما كرهته**» إني لم أكرهه علىٰ كل حال، ومن كل وجه.

فأما (لعنه قتلته) فقد بينا أنه ليس بظاهر ظهور ما ذكرناه، وإن[5] صح فهو[6] مشروط بوقوع القتل علىٰ الوجه المحظور من تعمد له، وقصد إليه وغير ذلك، علىٰ أن المتولي للقتل علىٰ ما صحت به الرواية[7]: كنانة بن بشير النجيبي[8]، وسودان بن حمران المرادي، وما بينهما[9] من كان غرضه صحيحا في القتل، ولا له أن يقدم عليه، فهو ملعون به.

فأما محمد بن أبي بكر، فما تولىٰ قتله، وإنما روي أنه لما جثا بين يديه قابضا علىٰ لحيته، قال له: يا ابن أخي؛ دع لحيتي، فإن أباك لو كان حيا لم يقعد مني هٰذا المقعد.. فقال محمد بن أبي بكر: [إن أبي][10] لو كان حيا ثم يراك[11] تفعل ما تفعل[12] لأنكره علينا[13]، ثم وجأه بجماعة قداح كانت في

---

(١) من المصدر. (٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: مسئول. (٤) في الشافي: التفضيل.

(٥) في الشافي: فإن.

(٦) في الشافي: وهو.

(٧) وكما في جملة من مصادر التاريخ، كـ الكامل (ج٣، ص١٥٥).

(٨) في الشافي: التجيبي.

(٩) في المصدر: منهما.

(١٠) من المصدر.

(١١) في الشافي: رآك.

(١٢) في الشافي: تعمل هٰذا العمل.

(١٣) في المصدر: عليك.

يده فحزت[1] في جلده ولم تقطع، وبادره من ذكرناه [في قتله][2] بما كان فيه قتله[3].

فأما تأويله قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**قتله الله وأنا معه**»، على: (أن المراد به: الله أماته وسيميتيني [معه][4])، فبعيد من الصواب، لأن لفظة (أنا) لا تكون كناية عن المفعول، وإنما تكون كناية عن الفاعل، ولو أراد ما ذكره لكان يقول: (وإياي معه)، وليس له أن يقول: إننا نجعل[5] قوله: (وأنا معه) مبتدأ محذوف الخبر، ويكون تقدير الكلام: (وأنا معه مقتول)، وذلك لأن هٰذا ما ترك للظاهر، وإحالة علىٰ ما ليس فيه، والكلام إذا أمكن حمله علىٰ معنىٰ يستقل ظاهره به من غير تقدير وحذف كان أولىٰ مما يتعلق بمحذوف، علىٰ أنهم إذا جعلوه مبتدأ وقدروا خبرا لم يكونوا بأن يقدروا ما يوافق مذهبهم بأولىٰ من تقدير خلافه، ويجعل بدلا من لفظة (المقتول) المحذوفة لفظة (معين) أو (ظهير).

وإذا[6] تكافأ القولان في التقدير وتعارضا سقطا، ووجب الرجوع إلىٰ ظاهر الخبر، علىٰ أن عثمان مضىٰ مقتولا، فكيف[7] يقال: إن الله تعالىٰ أماته، والقتل كاف في انتفاء الحياة، وليس يحتاج معه إلىٰ ناف للحياة[8] يسمىٰ موتا.

وقول صاحب الكتاب[9] ([و][10]يجوز أن يكون ما ناله من الجراح لا يوجب انتفاء الحياة)، ليس بشيء[11]، لأن المروي أنه ضرب علىٰ رأسه بعمود عظيم من حديد، وأن أحد قتلته قال: جلست علىٰ صدره فوجأته تسع طعنات، علمت أنه مات في ثلاث، ووجأته الست الأخر لما كان في نفسي عليه من الحنق [والغيظ][12].

---

(١) في الشافي: فخزت. (٢) من المصدر.
(٣) في الشافي: القتل.
(٤) من الشافي.
(٥) في الشافي: إنما يجعل.
(٦) في المصدر: وإن.
(٧) في الشافي: وكيف.
(٨) في الشافي: لحياة.
(٩) في المصدر: المغني.
(١٠) من الشافي.
(١١) في الشافي: فليس ذٰلك بجائز.
(١٢) من الشافي.

وبعد: فإذا كان ذلك جائزا فمن أين علمه أمير المؤمنين عليه السلام حتى يقول: إن الله أماته، وإن الحياة لم تنتف بما فعله القائلون[١]، وإنما انتفت بشيء زاد على فعلهم من قبل الله تعالى مما لا يعلمه على سبيل التفصيل إلا [الله][٢] علام الغيوب سبحانه.

الباب السابع

في نفيه أبا ذر، وإيذاه له، وتكذيبه أبا ذر، وقد صدقه رسول الله صلى الله عليه وآله

ابن أبي الحديد، قال[٣]: ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام لأبي ذر رضي الله عنه لما أخرج إلى الربذة: «يا أبا ذر، إنك غضبت لله فارج من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم وما أغناك عما منعوك، وستعلم من الرابح غدا، والأكثر حسدا، ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقا: ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشك[٤] إلا الباطل، [فـ][٥]لو قبلت دنياهم لأحبوك، ولو قرضت منها لأمنوك»[٦].

قال في الشرح[٧]:

واقعة أبي ذر رضي الله عنه وإخراجه إلى الربذة، أحد الأحداث التي نقمت على عثمان رضي الله عنه[٨]، وقد روى هذا الكلام أبو بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب السقيفة[٩]، عن عبدالرزاق، عن أبيه عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: لما أخرج أبو ذر إلى الربذة، أمر عثمان، فنودي في الناس ألا يكلم أحد

---

(١) في المصدر: القاتلون.

(٢) كما في الشافي.

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج٨ ص٢٥٢).

(٤) في المصدر: يوحشنك.

(٥) من المصدر.

(٦) نهج البلاغة (ج٢، ص١٢) وعيون الحكم والمواعظ (ص٥٥٢).

(٧) الجزء الثامن (ص٢٥٢).

(٨) غير موجودة في المصدر.

(٩) ص٧٨.

أبا ذر ولا يشيعه، وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به، فخرج به، وتحاماه الناس إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، وعقيلا أخاه، وحسنا وحسينا عليهما السلام، وعمارا، فإنهم خرجوا معه يشيعونه، فجعل الحسن عليه السلام يكلم أبا ذر، فقال له مروان: إيها يا حسن، ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهىٰ عن كلام هٰذا الرجل، فإن كنت لا تعلم فاعلم ذلك.. فحمل علي عليه السلام علىٰ مروان فضرب بالسوط بين أذني راحلته، وقال: «**تنح نحاك**[١] **الله إلىٰ النار**».

فرجع مروان مغضبا إلىٰ عثمان، فأخبر الخبر، فتلظىٰ[٢] [علىٰ][٣] علي عليه السلام، ووقف أبو ذر فودعه القوم، ومعه ذكوان مولىٰ أم هانيء بنت أبي طالب.

قال ذكوان فحفظت كلام القوم ـ وكان حافظا ـ فقال علي عليه السلام: «يا أبا ذر؛ إنك غضبت لله، إن القوم خافوك علىٰ دنياهم، وخفتهم علىٰ دينك، فامتحنوك بالقلىٰ[٤]، ونفوك إلىٰ الفلا[٥]، والله لو كانت السماوات والأرض علىٰ عبد رتقا، ثم اتقىٰ الله لجعل له منها مخرجا، يا أبا ذر لا يؤنسك إلا الحق، ولا يوحشك إلا الباطل، ثم قال لأصحابه: ودعوا عمكم.. وقال لعقيل: ودع أخاك.

فتكلم عقيل فقال: ما عسىٰ أن نقول يا أبا ذر وأنت تعلم أنا نحبك وأنت تحبنا، فاتق الله فإن التقوىٰ نجاة، واصبر فإن الصبر مر[٦]، واعلم أن استثقالك الصبر من الجزع، وأن استبطاءك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع.

ثم تكلم الحسن[عليه السلام]، فقال: «يا عماه؛ لو لا أنه [لا][٧] ينبغي للمودع أن يسكت، وللمشيع أن ينصرف، لقصر الكلام[٨] وإن طال الأسف، وقد أتىٰ القوم إليك كما ترىٰ، فدع[٩] عنك الدنيا بتذكر فراغها، وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها، واصبر حتىٰ تلقىٰ نبيك صلى الله عليه وآله وهو عنك راض.

---

(١) في المصدر: لحاك.

(٢) اشتعل قلبه.

(٣) كما في السقيفة وفدك.

(٤) بالبغض (لسان العرب: ج١٥، ص١٩٨).

(٥) وفي الكافي (ج٨ ص٢٠٧): الفناء، وفي بحار الأنوار: القلا.

(٦) في المصدر: كرم.

(٧) من المصدر.

(٨) في السقيفة وفدك: الكلم.

(٩) في المصدر: فضع.

ثم تكلم الحسين عليه السلام فقال: «**يا عماه، إن الله تعالىٰ قادر أن يغير ما قد ترىٰ، والله كل يوم هو في شأن، وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك، فما أغناك عما منعوك، وأحوجهم إلىٰ ما منعتهم، فأسأل الله الصبر والنصر، واستعذ به من الجشع والجزع، فإن الصبر من الدين والكرم، وإن الجشع لا يقدم رزقا، والجزع لا يؤخر أجلا**».

ثم تكلم عمار رضي الله عنه مغضبا، فقال: لا آنس الله من أوحشك، ولا آمن من أخافك، أما والله لو أردت دنياهم لأمنوك، ولو رضيت أعمالهم لأحبوك، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا، والجزع من الموت، مالوا إلىٰ ما سلطان جماعتهم عليه، والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، ومنحهم القوم دنياهم، فخسروا الدنيا والآخرة، ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[1].

فبكىٰ أبو ذر رضي الله عنه، وكان شيخا كبيرا، وقال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة، إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله، ما لي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم، إني ثقلت علىٰ عثمان بالحجاز، كما ثقلت علىٰ معاوية بالشام، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصرين، فأفسد الناس عليهما، فسيرني إلىٰ بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله، والله ما أريد إلا الله صاحبا، وما أخشىٰ مع الله وحشة.

ورجع القوم إلىٰ المدينة، فجاء علي عليه السلام إلىٰ عثمان، فقال له: ما حملك علىٰ رد رسولي، وتصغير أمري.. فقال علي عليه السلام: «**أما رسولك، فأراد أن يرد وجهي فرددته، وأما أمرك فلم أصغره**».

قال: وما[2] بلغك نهيي عن كلام أبي ذر.. قال: أو كلما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه!! قال عثمان: أقد مروان من نفسك.. قال: مم ذا؟ قال: من شتمه وجذب راحلته.. قال: أما راحلته فراحلتي بها، وأما شتمه إياي فوالله لا يشتمني شتمة إلا شتمتك مثلها، لا أكذب عليك.

فغضب عثمان، وقال: لم لا يشتمك كأنك خير منه.. قال علي[عليه السلام]: «**أي والله ومنك**».. ثم قام فخرج.

فأرسل عثمان إلىٰ وجوه المهاجرين والأنصار وإلىٰ بني أمية يشكو إليهم عليا عليه السلام، فقال القوم: أنت الوالي عليه، وإصلاحه أجمل.. قال: وددت ذاك..

---

(١) كما في قوله تعالى (الآية ١٥ من سورة الزمر).

(٢) في السقيفة وفدك: أما.

فأتوا علياعليه السلام، فقالوا: لو اعتذرت إلىٰ مروان وأتيته، فقال[عليه السلام]: «**كلا، أما مروان فلا آتيه ولا أعتذر منه، ولكن إن أحب عثمان أتيته**».

فرجعوا إلىٰ عثمان، فأخبروه، فأرسل عثمان إليه، فأتاه ومعه بنو هاشم، فتكلم عليعليه السلام، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: «**أما وجدت علي فيه من كلام أبي ذر ووداعه، فوالله ما أردت مساءتك ولا الخلاف عليك، ولكن أردت به قضاء حقه.. وأما مروان فإنه اعترض يريد ردي عن قضاء حق الله عز وجل، فرددته رد مثلي مثله، وأما ما كان مني إليك فإنك أغضبتني، فأخرج الغضب مني ما لم أرده**».

فتكلم عثمان، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: أما ما كان منك إلي فقد وهبته لك، وأما ما كان منك إلىٰ مروان، فقد عفا الله عنك، وأما ما حلفت عليه فأنت البر الصادق، فأدن يدك.. فأخذ يده فضمها إلىٰ صدره.

فلما نهض قالت قريش وبنو أمية لمروان: أأنت رجل، جبهك[1] علي[عليه السلام] وضرب راحلتك، وقد تفانت وائل في ضرع ناقة[2]، وذبيان وعبس في لطمة فرس[3]، والأوس والخزرج في نسعة[4]، أفتحمل لعليعليه السلام ما أتاه إليك.. فقال مروان: والله لو أردت ذٰلك لما قدرت عليه.

ثم قال ابن أبي الحديد[5]: واعلم أن الذي عليه [أكثر][6] أرباب السيرة وعلماء الأخبار والنقل، أن عثمان نفىٰ أبا ذر أولا إلىٰ الشام، ثم استقدمه إلىٰ المدينة لما شكا منه معاوية، ثم نفاه من المدينة إلىٰ الربذة لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام.

وأصل هٰذه الواقعة: أن عثمان لما أعطىٰ مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال، واختص زيد بن ثابت بشيء منها، جعل أبو ذر يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع: بشر الكافرين بعذاب أليم، ويرفع بذلك صوته، ويتلو قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾[7] فرفع ذٰلك إلىٰ عثمان مرارا وهو ساكت.

---

(١) ضربك على جبهتك. (٢) إشارة إلى يوم البسوس.

(٣) إشارة إلى يوم داحس ويوم الغبراء.

(٤) حبل عريض طويل تشد به الرحال.

(٥) في شرح نهج البلاغة (ج٨ ص٢٥٥).

(٦) من المصدر.

(٧) الآية ٣٤ من سورة التوبة.

ثم إنه أرسل إليه مولىٰ من مواليه: أن انتهي عما يبلغني[1] عنك.. فقال أبو ذر: أينهاني[2] عثمان عن قراءة كتاب الله، وعيب من ترك أمر الله تعالىٰ، فوالله لأن أرضىٰ الله بسخط عثمان أحب إلي وخير لي من أن أسخط الله برضا عثمان.

فأغضب عثمان ذٰلك وأحفظه، فتصابر وتماسك، إلىٰ أن قال عثمان يوما، والناس حوله: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال شيئا قرضا، فإذا أيسر قضىٰ؟ فقال: كعب الأحبار لا بأس بذلك.. فقال أبو ذر: يا بن اليهوديين، أتعلمنا ديننا.. فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي، الحق بالشام فأخرجه [إليها][3].

فكان أبو ذر ينكر علىٰ معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية يوما ثلاثمائة دينار، فقال أبو ذر لرسوله: إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هٰذا أقبلها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها، وردها عليه.

ثم بنىٰ معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبو ذر: يا معاوية؛ إن كانت من مالك فهي الاسراف، وإن كانت [هذه][4] من مال الله فهي الخيانة.

وكان أبو ذر يقول بالشام: والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه صلى الله عليه وآله، والله إني لأرىٰ حقا يطفأ، وباطلا يحيا، وصدقا مكذبا، وأثره بغير تقىٰ، وصالحا مستأثرا [عليه][5].. فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية: إن أبا ذر لمفسد عليكم الشام، فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة.

قال[6] شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب السفيانية، عن جلام بن جندل الغفاري، قال: كنت غلاما لمعاوية علىٰ قنسرين والعواصم في خلافة عثمان، فجئت إليه يوما أسأله عن حال عملي، إذ سمعت صارخا علىٰ باب داره [يقول][7]: أتتكم القطار تحمل[8] النار، اللهم العن الآمرين بالمعروف التاركين

---

(١) في المصدر: بلغني. (٢) في المصدر: أو ينهاني.

(٣) من المصدر.

(٤) من المصدر.

(٥) كما في المصدر.

(٦) في المصدر: وروى.

(٧) من المصدر.

(٨) في المصدر: بحمل.

له، اللهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له.. فازبأر معاوية وتغير لونه، وقال: يا غلام[١]؛ أتعرف الصارخ؟ فقلت: اللهم لا.. قال: من عذيري من جندب بن جنادة، يأتينا كل يوم فيصرخ علىٰ باب قصرنا بما سمعت.. ثم قال: أدخلوه علي، فجيء بأبي ذر بين قوم يقودونه، حتىٰ وقف بين يديه، فقال له معاوية: يا عدو الله وعدو رسوله، تأتينا في كل يوم فتصنع ما تصنع، أما إني لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك، ولكني أستأذن فيك.

قال جلام: وكنت أحب أن أرىٰ أبا ذر لأنه رجل من قومي، فالتفت إليه، فإذا رجل أسمر، ضرب[٢] من الرجال، خفيف العارضين، في ظهره جنأ[٣]، فأقبل علىٰ معاوية، وقال: ما أنا بعدو لله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله، أظهرتما الاسلام وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك رسول الله ﷺ، ودعا عليك مرات ألا تشبع، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا ولي الأمة الأعين الواسع البلعوم، الذي يأكل ولا يشبع، فلتأخذ الأمة حذرها منه**».. فقال معاوية: ما أنا ذاك الرجل.. قال أبو ذر: بل أنت ذلك الرجل، أخبرني بذلك رسول الله ﷺ، وسمعته ﷺ يقول، وقد مررت به: «**اللهم العنه ولا تشبعه إلا بالتراب**»، وسمعته ﷺ يقول: «**است معاوية في النار**»، فضحك معاوية وأمر بحبسه، وكتب إلىٰ عثمان فيه، فكتب عثمان إلىٰ معاوية: أن أحمل جندبا إلي علىٰ أغلظ مركب وأوعره، فوجه به مع من سار به الليل والنهار، وحمله علىٰ شارف[٤] ليس عليها إلا قتب، حتىٰ قدم به المدينة، وقد سقط لحم فخذيه من الجهد.

فلما قدم بعث إليه عثمان: أن الحق بأي أرض شئت؟ قال: بمكة.. قال: لا.. قال: بيت المقدس.. قال: لا.. قال: بأحد المصرين.. قال: لا، ولكني مسيرك إلىٰ ربذة.. فسيره إليها فلم يزل بها حتىٰ مات.

وفي رواية الواقدي: أن أبا ذر رضي الله عنه لما دخل علىٰ عثمان، قال له:

لا أنعم الله بقين عينا
نعم ولا لقاه يوما زينا
تحية السخط إذا التقينا

---

(١) في المصدر: يا جلام. (٢) خفيف اللحم.
(٣) بوادر الحدب في الظهر. (٤) ناقة مسنة.

فقال أبو ذر: ما عرفت اسمي «قينا» قط.. وفي رواية أخرىٰ: لا أنعم الله بك عينا يا جندب[1]، فقال أبو ذر: أنا جندب؛ وسماني رسول الله صلى الله عليه وآله عبدالله، فاخترت اسم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي سماني به علىٰ اسمي.

فقال له عثمان: أنت الذي تزعم أنا نقول: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[2] و﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[3].. فقال أبو ذر: لو كنتم لا تقولون هٰذا لأنفقتم مال الله علىٰ عباده، ولكني أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا**[4] **مال الله دولا، وعباده خولا، ودينه دخلا**».. فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من رسول الله[صلى الله عليه وآله]؟ قالوا: لا.. فقال عثمان: ويلك يا أبا ذر أتكذب علىٰ رسول الله[صلى الله عليه وآله].. فقال أبو ذر لمن حضر: أما تظنون[5] أني صدقت.. قالوا: لا والله ما ندري.. فقال عثمان: ادعوا لي عليا[عليه السلام].. فلما جاء، قال عثمان لأبي ذر: أقصص عليه حديثك في بني أبي العاص.. فحدثه، فقال عثمان لعلي[عليه السلام]: هل سمعت هٰذا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال علي عليه السلام: «**لا، وقد صدق أبو ذر**».. قال عثمان: كيف عرفت صدقه؟ قال[عليه السلام]: «**لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء، من ذي لهجة أصدق من أبي ذر**».. فقال من حضر: أما هٰذا فسمعناه كلنا من رسول الله صلى الله عليه وآله.. فقال أبو ذر: وأحدثكم أني سمعت هٰذا من رسول الله صلى الله عليه وآله فتتهموني، ما كنت أظن أني أعيش حتىٰ أسمع هٰذا من أصحاب محمد عليه السلام.

وروىٰ الواقدي في خبر آخر بإسناده عن صهبان مولىٰ الأسلميين، قال: رأيت أبا ذر يوم دخل علىٰ عثمان، فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت وفعلت، فقال له أبو ذر: نصحتك فاستغششتني، ونصحت صاحبك فاستغشني.. قال عثمان: كذبت، ولكنك تريد الفتنة وتحبها، قد أنغلت[6] الشام علينا.. فقال له أبو ذر: اتبع سنة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام.. وقال[7] عثمان: ما لك

(١) في المصدر: جنيدب.
(٢) كما في التعبير القرآني (الآية ٦٤ من المائدة).
(٣) كما في الآية ١٨١ من سورة آل عمران.
(٤) في المصدر: جعلوا.
(٥) في المصدر: أما تدرون.
(٦) أفسدت.
(٧) في المصدر: فقال.

وذلك لا أم لك.. قال أبو ذر: والله ما وجدت لي عذرا إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. فغضب عثمان، وقال: أشيروا علي في هٰذا الشيخ الكذاب، إما أن أضربه أو أحبسه أو أقتله، فإنه قد فرق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام.. فتكلم علي عليه السلام ـ وكان حاضرا ـ وقال[1]: «**أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون**: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾[2]».. فأجابه عثمان بجواب غليظ، وأجابه علي[عليه السلام] بمثله، ولم يذكر الجوابين تدمما منهما[3].

قال الواقدي: ثم إن عثمان حظر علىٰ الناس أن يقاعدوا أبا ذر أو يكلموه، فمكث كذلك أياما ثم [أمر أن يؤتىٰ به، فلما][4] أتي به فوقف[5] بين يديه، فقال: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ولا[6] رأيت أبا بكر ولا رأيت عمر، هل هديك كهديهم[7] أما إنك لتبطش بي بطش جبار.. فقال عثمان: اخرج عنا من بلادنا.. قال أبو ذر: ما أبغض إلىٰ جوارك فإلي أين أخرج؟ قال: حيث شئت.. قال: فأخرج إلىٰ الشام أرض الجهاد.. قال: إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها أفأردك إليها [قال: أفأخرج إلىٰ العراق؟ قال: لا.. قال: ولم؟ قال: تقدم علىٰ قوم أهل شبه وطعن في الأئمة][8].. قال: أخرج[9] إلىٰ مصر؟ قال: لا. قال: فإلىٰ أين أخرج؟ قال: إلىٰ البادية[10].. قال أبو ذر: أصير بعد الهجرة اعرابيا[11]؟ قال: نعم.. قال أبو ذر: فأخرج إلىٰ بادية نجد؟! قال عثمان: بل إلىٰ الشرق[12] الأبعد أقصىٰ فأقصىٰ، امض علىٰ وجهك هٰذا فلا تعدون الربذة.. فخرج إليها.

---

(١) في المصدر: فقال.

(٢) الآية ٢٨ من سورة غافر.

(٣) حيث قال: لا أحب ذكره.

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: وقف.

(٦) (لا) غير موجودة في المصدر.

(٧) في المصدر: هل رأيت هديهم.

(٨) من المصدر.

(٩) في المصدر: أفأخرج.

(١٠) في المصدر: حيث شئت.

(١١) في المصدر: قال أبو ذر: فهو إذن التعرب بعد الهجرة.

(١٢) في المصدر: الشرف.

وروىٰ الواقدي أيضا، عن مالك بن أبي الرجال، عن موسىٰ بن ميسرة: أن أبا الأسود الدؤلي قال: كنت أحب لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه، فنزلت [به][١] الربذة، فجئته، فقلت له: ألا تخبرني؟ أخرجت من المدينة طائعا أم خرجت [مكرها][٢]؟ قال: [أما أني][٣] كنت في ثغر من ثغور المسلمين، أغنىٰ عنهم، فأخرجت إلىٰ المدينة[٤]، فقلت: دار هجرتي وأصحابي، فأخرجت من المدينة[٥] إلىٰ ما ترىٰ.

فقال[٦]: بينما أنا ذات ليلة نائم في المسجد علىٰ عهد رسول الله ﷺ إذ مر بي [رسول الله][٧] عليه السلام[٨] وضربني[٩] برجله، وقال[١٠]: (لا أراك نائما في المسجد)!! فقلت: بأبي أنت وأمي غلبتني عيني [فنمت][١١] فيه.. فقال: (كيف تصنع إذا أخرجوك منه)؟ فقلت: إذا ألحق بالشام، فإنها أرض مقدسة، [وأرض بقيّة الاسلام][١٢]، وأرض الجهاد.. فقال: (فكيف تصنع إذا أخرجت منها)[١٣]؟ قلت: أرجع إلىٰ المسجد.. قال: (وكيف تصنع إذا أخرجوك منه)؟ قلت: آخذ سيفي وأضربهم به.. فقال [رسول الله][١٤] ﷺ: (ألا أدلك علىٰ خير من ذلك، أستق[١٥] معهم حيث ساقوك، وتسمع وتطيع)، فسمعت وأطعت، وأنا أسمع وأطيع، والله ليلقيني[١٦] عثمان الله وهو آثم في جنبي.

---

(١) من الشافي.
(٢) من شرح نهج البلاغة، أما في الشافي: خرجت من المدينة طائعا أو أخرجت.
(٣) من الشافي.
(٤) في الشافي: أخرجت من مدينة الرسول ﷺ.
(٥) في الشافي: فأخرجت منها.
(٦) في المصدر: ثم قال.
(٧) من الشافي.
(٨) في الشافي: ﷺ.
(٩) في الشافي: فضربني.
(١٠) في الشافي: فقال.
(١١) من المصدر.
(١٢) من المصدر.
(١٣) في المصدر: كيف بك إذا أخرجوك منها.
(١٤) من الشافي.
(١٥) في الشافي: انسق.
(١٦) في الشافي: والله ليلقين الله.

الباب الثامن

إنه آوىٰ الحكم بن العاص طريد رسول الله ﷺ

ابن أبي الحديد قال[١]: قال أبو عثمان الجاحظ: [وأما أبوه][٢] الحكم بن أبي العاص، فهو طريد رسول الله ﷺ ولعينه، والمتجلح[٣] في مشيته، الحاكي لرسول الله ﷺ، والمستمع عليه ساعة خلوته، ثم صار طريدا لأبي بكر وعمر، امتنعا عن إعادته إلىٰ المدينة، ولم يقبلا شفاعة عثمان، فلما ولي أدخله فكان أعظم الناس شؤما عليه، ومن أكبر الحجج في قتله وخلعه من الخلافة.

وقال: إن رسول الله ﷺ لما طرد الحكم بن أبي العاص إلىٰ الطائف، لأمور نقمها عليه، أقام بالطائف في جبلة اتباعها[٤]، وهي المكرمة[٥]، وكان يرعىٰ غنيمات اتخذها، يشرب من لبنها، فلما ولي أبو بكر شفع إليه عثمان في أن يرده، فلم يفعل، فلما ولي عمر شفع إليه أيضا فلم يفعل، فلما ولي الأمر هو رده.

وقال[٦]: وأعاد عثمان الحكم بن أبي العاص بعد أن كان رسول الله ﷺ قد سيره، [ثم][٧] لم يرده أبو بكر ولا عمر، وأعطاه ماية ألف درهم[٨].

الباب التاسع

في إحداثه لابن جبير لقتله

قال ابن أبي الحديد[٩]: نحب أن نذكر ابتداءا اضطراب الأمر علىٰ عثمان إلىٰ أن قتل، وأصح ما ذكر في ذٰلك ما أورده أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في التاريخ[١٠]، وخلاصة ذلك:

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١٥، ص٢٣٩). (٢) من المصدر.
(٣) في المصدر: والمتخلج. (٤) في شرح نهج البلاغة: في حبلة ابتاعها.
(٥) في شرح نهج البلاغة: وهي الكرمة. (٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١، ص١٩٨).
(٧) من شرح نهج البلاغة. (٨) ومثل ذٰلك في المصادر: العقد الفريد (ج٢، ص٢٦١) والمعارف (ص٨٤) ومحاضرات الراغب (ج٢، ص٢١٢) ومرآة الجنان (ج١، ص٨٥) والملل والنحل (ج١، ص١٩) وغيرها.
(٩) في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص١٢٩).
(١٠) في حوادث السنوات ٣٣ إلى ٣٥ للهجرة.

أن عثمان أحدث أحداثا مشهورة نقمها الناس عليه، من تأمير بني أمية، ولا سيما الفساق منهم، وأرباب السفه، وقلة الدين، وإخراج مال الفيء إليهم، وما جرىٰ في أمر: عمار، وأبي ذر، وعبدالله بن مسعود، وغير ذٰلك من الأمور التي جرت في أواخر خلافته.

ثم اتفق أن الوليد بن عقبة لما كان عامله علىٰ الكوفة، وشهد عليه بشرب الخمر، صرفه وولىٰ سعيد بن العاص مكانه، فقدم سعيد الكوفة، واستخلص من أهلها قوما يسمرون عنده، فقال سعيد يوما: إن السواد بستان لقريش وبني أمية.. فقال الأشتر النخعي ـ وكان من جملة سماره ـ: أتزعم[١] أن السواد الذي أفاء[٢] الله علىٰ المسلمين بأسيافنا بستان لك ولقومك.. فقال صاحب شرطته: أترد علىٰ الأمير مقالته! وأغلظ له، فقال الأشتر لمن كان حوله من النخع وغيرهم من أشراف الكوفة[٣]: ألا تسمعون.. فوثبوا عليه بحضرة سعيد فوطئوه وطأ عنيفا، وجروا برجله، فغلظ ذٰلك علىٰ سعيد، وأبعد سماره فلم يأذن بعد لهم، فجعلوا يشتمون سعيدا في مجالسهم، ثم تعدوا ذٰلك إلىٰ شتم عثمان، واجتمع عليهم[٤] ناس كثير، حتىٰ غلظ أمرهم، فكتب سعيد إلىٰ عثمان في أمرهم، فكتب إليه أن يسيرهم إلىٰ الشام، لئلا يفسدوا أهل الكوفة، وكتب إلىٰ معاوية وهو والي الشام: إن نفرا من أهل الكوفة قد هموا بإثارة الفتنة، وقد سيرتهم إليك، فانههم، فإن آنست [منهم][٥] رشدا فأحسن إليهم، وارددهم إلىٰ بلادهم.

فلما قدموا علىٰ معاوية ـ وكانوا: الأشتر، ومالك بن كعب الأرحبي، والأسود بن يزيد النخعي، وعلقمة بن قيس النخعي، وصعصعة بن صوحان العبدي، وغيرهم جمعهم يوما، وقال لهم: إنكم قوم من العرب، ذوو أسنان وألسنة، وقد أدركتم بالإسلام شرفا، وغلبتم الأمم، وحويتم مواريثهم، وقد بلغني أنكم ذممتم قريشا، ونقمتم علىٰ الولاة فيها، ولو لا قريش لكنتم أذلة، إن أئمتكم لكم جنة، فلا تفرقوا عن جنتكم، إن أئمتكم ليصبرون لكم علىٰ الجور، ويحتملون منكم[٦] العقاب، والله لتنتهين أو ليبتليكم الله بمن يسومكم الخسف،

---

(١) في المصدر: وتزعم. (٢) في المصدر: أفاءه.
(٣) في المصدر: مكة. (٤) في المصدر: إليهم.
(٥) من المصدر.
(٦) أو: فيكم.

ولا يحمدكم علىٰ الصبر، ثم تكونون شركاءهم فيما جررتم علىٰ الرعية في حياتكم، وبعد وفاتكم.

فقال له صعصعة بن صوحان: أما قريش فإنها لم تكن أكثر العرب ولا أمنعها في الجاهلية، وإن غيرها من العرب لأكثر منها كان وأمنع.

فقال معاوية: إنك لخطيب القوم، ولا أرىٰ لك عقلا، وقد عرفتكم الآن، وعلمت أن الذي أغراكم قلة العقول، أعظم عليكم أمر الاسلام فتذكرني الجاهلية، أخزىٰ الله قوما عظموا أمركم، إفقهوا عني ولا أظنكم تفقهون، إن قريشا لم تعز في جاهلية ولا إسلام إلا بالله وحده، لم تكن بأكثر العرب ولا أشدها، ولكنهم كانوا أكرمهم أحسابا، وأمحضهم[١] أنسابا، وأكملهم مروءة، ولم يمتنعوا في الجاهلية - والناس يأكل بعضهم بعضهم- إلا بالله، فبوأهم الله حرما آمنا، يتخطف الناس من حولهم، هل تعرفون عربا أو عجما أو سودا أو حمرا إلا وقد أصابهم[٢] الدهر في بلدهم[٣] وحرمهم[٤]، إلا من[٥] كان من قريش، فإنه لم يردهم أحد من الناس بكيد إلا جعل الله خده الأسفل، حتىٰ أراد الله تعالىٰ أن يستنقذ[٦] من أكرمه باتباع[٧] دينه من هوان الدنيا، ومن سوء مرد الآخرة، فارتضىٰ لذلك خير خلقه، ثم ارتضىٰ له أصحابا، وكان خيارهم قريشا، ثم بنىٰ هٰذا الملك عليهم، وجعل هٰذه الخلافة[٨] فيهم، فلا[٩] يصلح الأمر[١٠] إلا بهم[١١]، وقد كان الله يحوطهم في الجاهلية وهم علىٰ كفرهم [بالله][١٢]، أفتراه لا يحوطهم وهو علىٰ دينه [وقد حاطهم في الجاهلية من الملوك

---

(١) وأخلصهم.

(٢) في تاريخ الطبري: أصابه.

(٣) في تاريخ الطبري: بلده.

(٤) في تاريخ الطبري: حرمته.

(٥) في تاريخ الطبري: ما.

(٦) في تاريخ الطبري: يتنقذ.

(٧) في تاريخ الطبري: من أكرم واتبع.

(٨) في تاريخ الطبري: الخليفة.

(٩) في تاريخ الطبري: ولا.

(١٠) في تاريخ الطبري: ذلك.

(١١) في تاريخ الطبري: إلا عليهم.

(١٢) كما في تاريخ الطبري.

الذين كانوا يدينونكم][١]، أف لك ولأصحابك، [ولو أن متكلما غيرك تكلم ولكنك ابتدأت][٢].

أما[٣] أنت يا صعصعة؛ فإن قريتك شر القرىٰ[٤]، أنبتها[٥] نبتا، وأعمقها واديا، وألأمها جيرانا، وأعرفها بالشر، لم يسكنها شريف قط، ولا وضيع إلا سب بها، [وكانت عليه هجنة، ثم كانوا أقبح العرب ألقابا، وألأمه أصهارا][٦]، براع[٧] الأمم، وعبيد فارس، وأنت شر قومك، أحين[٨] أبرزك الإسلام، وخلطك بالناس، أقبلت تبغي دين الله عوجا، وتنزع إلىٰ الغواية[٩]، إنه لن يضر ذٰلك قريشا، ولا يضعهم، ولا يمنعهم من تأدية ما عليهم، إن الشيطان عنكم لغير غافل، قد عرفكم بالشر، فأغراكم بالناس، وهو صارعكم، وإنكم لا تدركون بالشر أمرا [أبدا][١٠] إلا فتح عليكم شر منه وأخزىٰ، قد أذنت لكم فاذهبوا حيث شئتم، [لا والله][١١] لا ينفع الله بكم أحد أبدا ولا يضره، ولستم[١٢] برجال منفعة ولا مضرة، [ولكنكم رجال نكير، وبعد][١٣] فإن أردتم النجاة فالزموا جماعتكم، [وليسعكم ما وسع الدهماء][١٤]، ولا تبطرنكم[١٥] النعمة[١٦]، فإن البطر لا يجر[١٧] خيرا[١٨]، اذهبوا حيث شئتم، فسأكتب[١٩] إلىٰ أمير المؤمنين فيكم.

---

(١) من تاريخ الطبري. (٢) من تاريخ الطبري.
(٣) في تاريخ الطبري: فأما. (٤) في تاريخ الطبري: شر قرى عربية.
(٥) في تاريخ الطبري: أنتنها.
(٦) كما في تاريخ الطبري.
(٧) في المصدر: نزاع.
(٨) في المصدر: حتى.
(٩) في تاريخ الطبري: وتنزع إلى اللامة والذلة.
(١٠) كما في تاريخ الطبري.
(١١) من تاريخ الطبري.
(١٢) في تاريخ الطبري: ولا أنتم.
(١٣) من تاريخ الطبري.
(١٤) من تاريخ الطبري.
(١٥) في تاريخ الطبري: ولا يبطرنكم.
(١٦) في تاريخ الطبري: الأنعام.
(١٧) في تاريخ الطبري: لا يعترى.
(١٨) في تاريخ الطبري: الخيار.
(١٩) في تاريخ الطبري: فإني كاتب.

وكتب إلىٰ عثمان: إنه قدم عليّ قوم ليست لهم عقول ولا أديان، أضجرهم العدل، لا يريدون الله بشيء، ولا يتكلمون بحجة، إنما همهم الفتنة، والله مبتليهم ثم فاضحهم، وليسوا بالذين نخاف نكايتهم، وليسوا الأكثر ممن [له][1] شغب ونكير.. ثم أخرجهم من الشام[2].

وروىٰ أبو الحسن المدائني: أنه كان لهم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات والمخاطبات بينهم، وأن معاوية قال لهم في جملة ما قاله: إن قريشا قد عرفت أن أبا سفيان كان أكرمها وابن أكرمها، إلا ما جعل الله لنبيهﷺ فإنه انتجبه وأكرمه، ولو أن أبا سفيان ولد الناس كلهم لكانوا حلماء.

فقال له صعصعة بن صوحان: كذبت قد ولدهم خير من أبي سفيان، من خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا له، فكان فيهم البر والفاجر، والكيس والأحمق[3].

قال: ومن المجالس التي دارت بينهم، أن معاوية قال لهم: أيها القوم ردوا خيرا أو اسكتوا، وتفكروا وانظروا فيما ينفعكم والمسلمين، فاطلبوه وأطيعوني.. فقال له صعصعة: لست بأهل لذلك، ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله.. فقال: إن أول كلام ابتدأت به أن أمرتكم بتقوىٰ الله وطاعة رسوله، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا.

فقال[4]: بل أمرت بالفرقة وخلاف ما جاء به النبيﷺ.. فقال: إن كنت فعلت فإنا[5] الآن أتوب، وآمركم بتقوىٰ الله وطاعته، ولزوم الجماعة، وأن توقروا أئمتكم وتطيعوهم.

فقال صعصعة: إن كنت تبت فإنا نأمرك أن تعتزل عملك، فإن في المسلمين من هو أحق به منك، ممن كان أبوه أحسن أثرا في الإسلام من أبيك، وهو أحسن قدما في الاسلام منك.

فقال معاوية: إن لي في الاسلام لقدما، وإن كان غيري أحسن قدما مني، لكنه ليس في زماني أحد أقوىٰ علىٰ ما أنا فيه مني، ولقد رأىٰ عمر بن الخطاب ذلك، فلو كان غيري أقوىٰ مني لم يكن عند عمر هوادة[6] لي ولا لغيري،

---

(١) من المصدر. (٢) تاريخ الطبري (ج٥، ص٨٧).
(٣) تاريخ الطبري (ج٥، ص٨٩). (٤) في المصدر: فقالوا. (٥) في المصدر: فإني.
(٦) أو: هوادة.

ولم أحدث ما ينبغي له أن أعتزل عملي، فلو رأىٰ ذٰلك أمير المؤمنين لكتب إلي [بخط يده][١]، فاعتزلت عمله، فمهلا فإني في دون ما أنتم فيه ما يأمر فيه الشيطان وينهىٰ، ولعمري لو كانت الأمور تقضي علىٰ رأيكم وأهوائكم، ما استقام الأمر لأهل الاسلام يوما ولا ليلة، فعاودوا الخير وقوله، فإن الله ذو سطوات، وإني خائف عليكم أن تتابعوا إلىٰ مطاوعة الشيطان ومعصية الرحمن، فيحلكم ذٰلك دار الهون في العاجل والآجل.

فوثبوا علىٰ معاوية، فأخذوا برأسه ولحيته، فقال: مه؛ إن هٰذه ليست بأرض الكوفة، والله لو رأىٰ أهل الشام ما صنعتم بي وأنا إمامهم ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتىٰ يقتلوكم، فلعمري إن صنيعكم يشبه بعضه بعضا.

ثم قام من عندهم، وكتب إلىٰ عثمان في أمرهم، فكتب إليه: أن ردهم إلىٰ سعيد بن العاص بالكوفة، فردهم، فأطلقوا ألسنتهم في ذمه وذم عثمان وعيبهما، فكتب إليه عثمان أن يسيرهم إلىٰ حمص، إلىٰ عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، فسيرهم إليها[٢].

وروىٰ الواقدي قال: لما سير بالنفر الذين طردهم عثمان عن الكوفة إلىٰ حمص، وهم: الأشتر، وثابت بن قيس الهمذاني، وكميل بن زياد النخعي، وزيد بن صوحان، وأخوه صعصعة، وجندب[٣] بن زهير الغامدي، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمرو بن الحمق الخزاعي، وابن الكواء، جمعهم عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، بعد أن أنزلهم أياما، وفرض لهم طعاما، ثم قال لهم: يا بني الشيطان، لا مرحبا بكم ولا أهلا، قد رجع الشيطان محسورا، وأنتم بعد في بساط ضلالكم وغيكم، جزىٰ الله عبدالرحمن إن لم يؤذكم، يا معشر من لا أدري أعرب هم أم عجم، أتراكم تقولون لي ما قلتم لمعاوية، أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من عجمته العاجمات، أنا ابن فاقئ عين الردة، والله يا ابن صوحان لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوىٰ، إن بلغني أن أحدا ممن معي دق أنفك فأقنعت[٤] رأسك.

قال: فأقاموا عنده شهرا، كلما ركب أمشاهم معه، ويقول لصعصعة: يا ابن الخطيئة؛ إن من لم يصلحه الخير أصلحه الشر، ما لك لا تقول كما كنت

---

(١) كما في شرح نهج البلاغة. (٢) تاريخ الطبري (ج٥، ص٨٩ و٩٠).

(٣) أو: حبيب. (٤) رفعت.

تقول لسعيد ومعاوية.. فيقولون: نتوب[١] إلىٰ الله، أقلنا أقالك الله، فما زال ذاك دأبه [ودأبهم][٢]، حتىٰ قال: تاب الله عليكم، فكتب إلىٰ عثمان يسترضيه عنهم، ويسأله فيهم فردهم إلىٰ الكوفة.

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري[٣] (رحمه الله [تعالىٰ][٤]): ثم أن سعيد بن العاص قدم علىٰ عثمان سنة إحدىٰ عشرة من خلافته، فلما دخل المدينة اجتمع قوم من الصحابة، فذكروا سعيدا وأعماله، وذكروا قرابات عثمان وما سوغهم من مال المسلمين، وعابوا أفعال عثمان، فأرسلوا إليه عامر بن عبدالقيس وكان متألها[٥]، واسم أبيه: عبدالله، وهو من بني تميم، ثم من بني العنبر، فدخل علىٰ عثمان، فقال له: إن ناسا من الصحابة اجتمعوا ونظروا في أعمالك، فوجدوك قد ركبت أمورا عظاما، فاتق الله وتب إليه.

فقال عثمان: انظروا إلىٰ هذا، يزعم[٦] [الناس][٧] أنه قارئ، ثم هو يجيء إلي فيكلمني فيما لا يعلمه، والله ما تدري أين الله.. فقال عامر: بلىٰ والله إني لأدري أن الله لبالمرصاد.. فأخرجه عثمان، وأرسل إلىٰ عبدالله بن [سعد][٨] بن أبي سرح، وإلىٰ معاوية وسعيد ابن العاص [وعمرو بن العاص][٩] وعبيدالله[١٠] بن عامر، وكان قد استقدم الأمراء من أعمالهم، فشاورهم، وقال: إن لكل أمير وزراء ونصحاء، وإنكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وقد صنع الناس ما قد رأيتم، وطلبوا إلي أن أعزل عمالي، وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلىٰ ما يحبون، فاجتهدوا رأيكم.

فقال عبدالله بن عامر: أرىٰ لك يا أمير المؤمنين أن تشغلهم عنك بالجهاد حتىٰ يذلوا لك، ولا تكون همة أحدهم إلا في نفسه، وما هو فيه من دبر دابته، وقمل فروته.

---

(١) في المصدر: سنتوب. (٢) من المصدر.
(٣) في تاريخه (ج٥، ص٩٤). (٤) من شرح نهج البلاغة.
(٥) متعبدا.
(٦) في شرح نهج البلاغة: تزعم.
(٧) من المصدر.
(٨) من المصدر.
(٩) من المصدر.
(١٠) في المصدر: عبدالله.

وقال سعيد بن العاص: أحسم عنك الداء، واقطع عنك الذي تخاف، إن لكل قوم قادة متىٰ يهلكوا يتفرقوا ولا يجتمع لهم أمر.

فقال عثمان: إن هٰذا لهو الرأي لو لا ما فيه.

وقال معاوية: أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد، فيكفيك كل رجل منهم ما قبله، فأنا أكفيك أهل الشام.

وقال عبدالله بن سعد: إن الناس أهل طمع، فأعطهم من هٰذا المال، تعطف عليك قلوبهم.. فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين إنك قد ركبت الناس ببني أمية، فقلت وقالوا، وزغت وزاغوا، فاعتدل أو اعتزل، فإن أبيت فاعزم عزما، وامض قدما.

فقال له عثمان: مالك قمل فروك، أهٰذا بجد[1] منك.

فسكت عمرو حتىٰ تفرقوا، ثم قال: والله يا أمير المؤمنين، لأنت أكرم علي من ذلك، ولكني علمت أن بالباب من يبلغ الناس قول كل رجل منا، فأردت أن يبلغهم قولي، فيتقوا بي، فأقود إليك خيرا، وأدفع عنك شرا.

فرد عثمان عماله إلىٰ أعمالهم، وأمرهم بتجهيز الناس في البعوث، وعزم علىٰ أن يحرمهم أعطياتهم ليطيعوه، ورد سعيد بن العاص إلىٰ الكوفة، فتلقاه أهلها بالجرعة[2]، وكانوا قد كرهوا إمارته، وذموا سيرته، فقالوا له: ارجع إلىٰ صاحبك، فلا حاجة لنا فيك، فهم بأن يمضي لوجهه ولا يرجع، فكثر الناس عليه، فقال له قائل: يا[3] هذا!! أترد السيل عن أدراجه، والله لا يسكن الغوغاء إلا المشرفية[4]، ويوشك أن تنتضي بعد اليوم، ثم يتمنون ما هم اليوم فيه، فلا يرد عليهم، فارجع إلىٰ المدينة، فإن الكوفة ليست لك بدار.

فرجع إلىٰ عثمان، فأخبره بما فعلوا، فانفذ أبا موسىٰ الأشعري أميرا علىٰ الكوفة، وكتب إليهم: أما بعد؛ فقد أرسلت إليكم أبا موسىٰ الأشعري أميرا، وأعفيتكم من سعيد، ووالله لأفوضنكم عرضي، ولأبذلن لكم صبري، ولأستصلحنكم جهدي، فلا تدعوا شيئا أجبتموه لا يعصىٰ الله فيه إلا سألتموه،

---

(١) في تاريخ الطبري: الجد.

(٢) موضع قرب الكوفة بين النجف والحيرة.

(٣) في المصدر: ما.

(٤) السيوف المنسوبة إلى مشارف، ومشارف: قرى قرب حوران.

ولا شيئا كرهتموه لا يعصىٰ الله فيه إلا استعفيتم منه، لأكون فيه عندما أحببتم وكرهتم، حتىٰ لا يكون لكم علىٰ الله حجة، والله لنصبرن كما أمرنا، وسيجزي الله الصابرين.

قال أبو جعفر[١]: فلما دخلت سنة خمس وثلاثين، فكانت[٢] أعداء عثمان وبني أمية في البلاد، وحرض بعضهم بعضا علىٰ خلع عثمان عن الخلافة، وعزل عماله عن الأمصار، واتصل ذٰلك بعثمان، فكتب إلىٰ أهل الأمصار: أما بعد.. فإنه رفع إلي أن أقواما منكم يشتمهم عمالي [ويضربونهم][٣]، فمن أصابه شيء من ذٰلك فليواف الموسم بمكة، فليأخذ بحقه مني أو من عمالي، فإني قد استقدمتهم أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين.

ثم كاتب عماله واستقدمهم، فلما قدموا عليه جميعهم، وقال: ما شكاية الناس منكم؟ إني لخائف أن تكونوا مصدوقا عليكم، وما يعصب هٰذا الأمر إلا بي، فقالوا له: والله ما صدق من رفع إليك ولا بر، ولا نعلم لهٰذا الأمر أصلا، فقال عثمان: فأشيروا علي.. فقال سعيد بن العاص: هٰذه أمور مصنوعة تلقي في السر، فيتحدث بها الناس، ودواء ذٰلك السيف.. وقال عبدالله بن سعد: خذ من الناس الذي عليهم، إذا أعطيتهم الذي لهم.. وقال معاوية: الرأي حسن الأدب.. وقال عمرو بن العاص: أرىٰ لك أن تلزم طريق صاحبيك فتلين في موضع اللين، وتشتد في موضع الشدة.

فقال عثمان: قد سمعت ما قلتم، إن الأمر الذي يخاف علىٰ هٰذه الأمة كائن لا بد منه، وإن بابه الذي يغلق عليه ليفتحن، فكفكفوهم[٤] باللين والمدارة إلا في حدود الله، فقد علم الله إني لم آل الناس خيرا، وإن رحا الفتنة لدائرة، فطوبىٰ لعثمان إن مات ولم يحركها، سكنوا الناس وهبوا لهم حقوقهم، فإذا تعوطيت حقوق الله فلا تدهنوا[٥] فيها.

ثم نفر فقدم المدينة، فدعا عليا وطلحة والزبير، فحضروا وعنده معاوية، فسكت عثمان ولم يتكلم، وتكلم معاوية، فحمد الله، وقال: أنتم أصحاب رسول الله ﷺ وخيرته من خلقه، وولاة أمر هٰذه الأمة، لا يطمع فيه أحد غيركم، اخترتم صاحبكم عن غير غلبه ولا طمع، وقد كبر وولىٰ عمر، فلو انتظرتم به

---

(١) في تاريخه (ج٣، ص٣٧٨). (٢) في المصدر: تكاتب.
(٣) كما في شرح نهج البلاغة. (٤) اصرفوهم. (٥) الإدهان: المصانعة.

الهرم كان قريبا، مع إني أرجو أن يكون أكرم علىٰ الله أن يبلغه ذلك، وقد فشت مقالة خفتها عليكم، فما عبتم فيه من شيء فهذه يدي لكم به رهنا، فلا تطمعوا الناس في أمركم، فوالله إن أطعتموهم لا رأيتم أبدا منها إلا إدبارا.

فقال علي عليه السلام: «**وما لك وذاك ولا أم لك**».. فقال: دع أمي فإنها ليست بشر أمهاتكم، قد أسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وآله وأجبني عما أقول لك.

فقال عثمان: صدق ابن أخي، أنا أخبركم عني وعما وليت، إن صاحبي اللذين كانا قبلي، ظلما أنفسهما ومن كان منهما بسبيل، احتسابا، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعطي قرابته، وأنا في رهط أهل عيلة، وقلة معاش، فبسطت يدي في شيء من ذٰلك لما أقوم به فيه، فإن رأيتم ذٰلك خطأ فردوه، فأمري لأمركم تبع.

فقالوا[1]: أصبت وأحسنت، إنك أعطيت عبدالله بن خالد بن أسيد خمسين ألفا، وأعطيت مروان خمسة عشر ألفا، فاستعدها منهما، فاستعادها، فخرجوا راضين.

قال أبو جعفر[2]: وقال معاوية لعثمان: اخرج معي إلىٰ الشام، فإنهم علىٰ الطاعة قبل أن يهجم عليك ما لا قبل لك به، فقال: لا أبيع جوار رسول الله صلى الله عليه وآله بشيء، وإن كان فيه قطع خيط عنقي، قال: فأبعث إليك جندا من الشام يقيم معك لنائبة إن نابت المدينة أو إيتك[3]، فقال: لا أضيق علىٰ جيران رسول الله صلى الله عليه وآله.. فقال: والله لتقاتلن[4].. فقال: حسبي الله ونعم الوكيل.

قال أبو جعفر: وخرج معاوية من عند عثمان، فمر علىٰ نفر من المهاجرين، فيهم علي عليه السلام، وطلحة، والزبير، وعلىٰ معاوية ثياب سفره، وهو خارج إلىٰ الشام، فقام عليهم، فقال: إنكم تعلمون أن هٰذا الأمر كان الناس يتغالبون عليه، حتىٰ بعث الله نبيه، فتفاضلوا بالسابقة والقدمة والجهاد، فإن أخذوا بذلك فالأمر أمرهم، والناس لهم تبع، وإن طلبوا الدنيا بالتغالب سلبوا ذلك، ورده الله إلىٰ غيرهم، وإن الله علىٰ البدل لقادر، وإني قد خلفت فيكم شيخنا، فاستوصوا به خيرا وكانفوه، تكونوا أسعد منه بذلك.. ثم ودعهم ومضىٰ، فقال علي عليه السلام:

(١) في شرح نهج البلاغة: قالوا.
(٢) تاريخ الطبري (ج٥، ص١٠١).
(٣) في المصدر: إياك.
(٤) في المصدر: لتغتالن.

كنت أرىٰ في هٰذا خيرا.. فقال الزبير: والله ما كان أعظم قط في صدرك وصدورنا منه اليوم.

قلت: من هٰذا اليوم أنشب معاوية أظفاره في الخلافة، لأنه غلب علىٰ ظنه قتل عثمان، ورأىٰ أن الشام بيده، وأن أهلها يطيعونه، وأن له شبهة[١] يحتج بها عليهم، ويجعلها ذريعة إلىٰ غرضه، وهي قتل عثمان إذا قتل، ويجعلها ذريعة إلىٰ غرضه، وهي قتل عثمان إذا قتل، وأنه ليس في أمراء عثمان أقوىٰ منه ولا أقدر علىٰ تدبير الجيوش، واستمالة العرب، فبنىٰ أمره من هٰذا اليوم علىٰ الطمع في الخلافة، ألا ترىٰ إلىٰ قوله لصعصعة من قبل: إنه ليس أحد أقوىٰ مني علىٰ الإمارة، وإن عمر استعملني ورضي سيرتي، أو لا ترىٰ إلىٰ قوله للمهاجرين الأولين: إن شرعتم في أخذها بالتغالب، وملتم علىٰ هٰذا الشيخ، أخرجها الله منكم إلىٰ غيركم، وهو علىٰ الاستبدال قادر، وإنما كان يعني نفسه، وهو يكنىٰ عنها، ولهٰذا تربض[٢] بنصرة عثمان لما استنصره ولم يبعث إليه أحدا.

وروىٰ محمد بن عمر الواقدي (رحمه الله [تعالىٰ][٣]) قال: لما أجلب الناس علىٰ عثمان، وكثرت القالة فيه، خرج ناس من مصر منهم عبدالرحمن بن عديس البلوي، وكنانة بن بشر الليثي، وسودان بن حمران السكوني، وقتيرة بن وهب السكسكي، وعليهم جميعا أبو حرب الغافقي، وكانوا في ألفين.

وخرج ناس من الكوفة، منهم: زيد بن صوحان العبدي، ومالك الأشتر النخعي، وزياد بن النضر الحارثي، وعبدالله بن الأصم الغامدي، في ألفين.

وخرج ناس من أهل البصرة، منهم: حكيم بن جبلة العبدي، وجماعة من أمرائهم، وعليهم حرقوص بن زهير السعدي، وذلك في شوال من سنة خمس وثلاثين، وأظهروا أنهم يريدون الحج، فلما كانوا من المدينة علىٰ ثلاث، تقدم أهل البصرة، فنزلوا ذات[٤] خشب[٥]، وكان هواهم في طلحة، وتقدم أهل الكوفة، فنزلوا الأعوص[٦] وكان هواهم في الزبير، وجاء أهل مصر فنزلوا (ذا)[٧]

---

(١) في المصدر: حجة. (٢) قعد.

(٣) من شرح نهج البلاغة.

(٤) في المصدر: ذا.

(٥) بالقرب من المدينة المنورة.

(٦) بالقرب من المدينة المنورة.

(٧) غير موجودة في المصدر.

المـروة[١]، وكان هواهم في علي عليه السلام.. ودخل ناس منهم إلىٰ المدينة يخبرون ما في قلوب الناس لعثمان، فلقوا جماعة من المهاجرين والأنصار، ولقوا أزواج النبي صلى الله عليه وآله، وقالوا: إنما نريد الحج، ونستعفي من عمالنا.

ثم لقي جماعة من المصريين علياً عليه السلام، وهو متقلد سيفه عند أحجار الزيت[٢]، فسلموا عليه، وعرضوا عليه أمرهم، فصاح بهم وطردهم، وقال: «**لقد علم الصالحون أن جيش المروة وذي خشب والأعوص، ملعونون علىٰ لسان محمد صلى الله عليه وآله**»، فانصرفوا عنه.

وأتىٰ البصريون طلحة، فقال لهم مثل ذلك، وأتىٰ الكوفيون الزبير، فقال لهم مثل ذلك، فتفرقوا وخرجوا من[٣] المدينة إلىٰ أصحابهم.

فلما أمن أهل المدينة منهم واطمأنوا إلىٰ رجوعهم ولم يشعروا إلا والتكبير في نواحي المدينة، وقد نزلوها، وأحاطوا بعثمان، ونادىٰ مناديهم: يا أهل المدينة من كف يده عن الحرب فهو آمن، فحصروه في منزله، إلا أنهم لم يمنعوا الناس من كلامه ولقائه، فجاءهم جماعة من رؤساء المهاجرين، وسألوهم: ما شأنهم؟ فقالوا: لا حاجة لنا في هٰذا الرجل ليعتزلنا لنولي غيره، لم يزيدوهم علىٰ ذلك.

فكتب عثمان إلىٰ أهل الأمصار يستنجدهم ويأمرهم بتعجيل الشخوص إليه للمنع عنه، ويعرفهم ما الناس فيه، فخرج أهل الأمصار علىٰ الصعب والذلول، فبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري، وبعث عبدالله بن سعد بن أبي سرح معاوية بن خديج، وخرج من الكوفة القعقاع بن عمرو، بعثه أبو موسىٰ.

وقام بالكوفة نفر يحرضون الناس علىٰ نصر عثمان وإعانة أهل المدينة، منهم: عقبة بن عمر، وعبدالله بن أبي أوفي، وحنظلة الكاتب، وكل هٰؤلاء من الصحابة، ومن التابعين: مسروق، والأسود، وشريح، وغيرهم.

وقام بالبصرة: عمران بن الحصين، وأنس بن مالك، وغيرهما من الصحابة، ومن التابعين: كعب بن سور[٤]، وحرم بن هيان، وغيرهما.

---

(١) جبل بمكة.

(٢) موضع بالمدينة المنورة.

(٣) في المصدر: عن.

(٤) أو: شور (كما في بعض المصادر).

وقام بالشام ومصر جماعة من الصحابة والتابعين.

وخرج عثمان يوم الجمعة، فصلىٰ بالناس، وقام علىٰ المنبر، فقال: يا هؤلاء.. الله الله، فوالله إن أهل المدينة يعلمون أنكم ملعونون علىٰ لسان محمدﷺ، فامحوا الخطأ بالصواب.

فقام محمد بن مسلمة الأنصاري، فقال: نعم أنا أعلم ذلك.. فأقعده حكيم بن جبلة.

وقام زيد بن ثابت، فأقعده قتيرة بن وهب.

وثار القوم فحصبوا الناس حتىٰ أخرجوهم من المسجد، وحصبوا[1] عثمان حتىٰ صرح[2] عن المنبر مغشيا عليه، فأدخل داره، واستقبل نفر من أهل المدينة مع عثمان، منهم: سعد بن أبي وقاص، والحسن بن علي‌عليه‌السلام، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة، فأرسل إليهم عثمان: عزمت عليكم أن تتصرفوا، فانصرفوا.

وأقبل علي[عليه‌السلام] وطلحة والزبير، فدخلوا علىٰ عثمان يعودونه من صرعته، ويشكون إليه ما يجدون لأجله، وعند عثمان نفر من بني أمية، منهم مروان بن الحكم، فقالوا لعلي‌عليه‌السلام: أهلكتنا وصنعت هٰذا الذي صنعت، والله إن بلغت هٰذا الأمر الذي تريده لتمرن عليك الدنيا.. فقام مغضبا، وخرج الجماعة الذين حضروا معه إلىٰ منازلهم[3].

وروىٰ الواقدي، قال: صلىٰ عثمان بعد ما وثبوا به في المسجد شهرا كاملا، ثم منعوه الصلاة، وصلىٰ بالناس أميرهم الغافقي.

وروىٰ المدائني، قال: كان عثمان محصورا محاطا به، وهو يصلي بالناس في المسجد، وأهل مصر والكوفة والبصرة الحاضرون له يصلون خلفه، وهم أدق في عينه من التراب.

قال أبو جعفر في التاريخ[4]: ثم إن أهل المدينة تفرقوا عنه، ولزموا بيوتهم، لا يخرج أحد منهم إلا بسيفه يمتنع به، فكان حصاره أربعين يوما.

وروىٰ الكلبي والواقدي والمدائني: أن محمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة كانا بمصر يحرضان الناس علىٰ عثمان، فسار محمد بن أبي بكر مع من

---

(١) رموه بالحصباء، وهي صغار الحصى أو كبارها (كتاب العين: ج٣، ص١٢٣). (٢) في شرح نهج البلاغة: صرع. (٣) ومثله في تاريخ الطبري (ج٣، ص٣٨٨) والكامل في التاريخ (ج٣، ص١٦٠) وغيرهما.

(٤) تاريخ الطبري (ج٥، ص١٢٢).

سار إلىٰ عثمان، وأقام محمد بن أبي حذيفة بمصر، ثم غلب عليها لما سار عبدالله سعد بن أبي سرح عامل عثمان عنها إلىٰ المدينة في أثر المصريين، بإذن عثمان له، فلما كان بأيلة، بلغه أن المصريين قد أحاطوا بعثمان وأنه مقتول، وإن محمد بن أبي حذيفة قد غلب علىٰ مصر، فعاد عبدالله إلىٰ مصر، فمنع عنها، فأتىٰ فلسطين، فأقام بها حتىٰ قتل عثمان[١].

وروىٰ الكلبي، قال: بعث عبدالله بن سعد بن أبي سرح رسولا من مصر إلىٰ عثمان يخبره بنهوض من نهض من مصر إليه، وأنهم قد أظهروا العمرة، وقصدهم خلعه أو قتله، فخطب عثمان الناس وأعلمهم حاله، وقال: إنهم قد أسرعوا إلىٰ الفتنة واستطالوا عمري، والله إن فارقتهم ليتميز[٢] كل منهم أن عمري كان طال عليهم مكان كل يوم سنة، مما يرون من الدماء المسفوكة، والإحن والإثرة الظاهرة، والأحكام المغيرة[٣].

وروىٰ أبو جعفر، قال[٤]: كان عمرو بن العاص ممن يحرض علىٰ عثمان ويغري به، ولقد خطب عثمان يوما في أواخر خلافته، فصاح به عمرو بن العاص: اتق الله يا عثمان، فإنك قد ركبت أمورا وركبناها معك، فتب إلىٰ الله نتب.. فناداه عثمان: وإنك ها هنا يا ابن النابغة، قملت[٥] والله جبتك منذ نزعتك[٦] عن العمل.. فنودي من ناحية أخرىٰ: تب إلىٰ الله.. ونودي من أخرىٰ مثل ذلك، فرفع يديه إلىٰ السماء، وقال: اللهم إني أول التائبين[٧]، ثم نزل.

وروىٰ أبو جعفر، قال[٨]: كان عمرو بن العاص شديد التحريض والتأليب علىٰ عثمان، وكان يقول: والله إني كنت لألقىٰ الراعي فأحرضه علىٰ عثمان، فضلا عن الرؤساء والوجوه، فلما سعر الشر بالمدينة خرج إلىٰ منزله بفلسطين، فبينا هو بقصره ومعه إبناه عبدالله ومحمد، وعندهم سلامة بن روح الجذامي،

---

(١) كذلك في تاريخ الطبري (ج٣، ص٤١١).

(٢) في المصدر: ليتمنيّن.

(٣) كذلك في تاريخ الطبري (ج٥، ص١٢٢) والكامل في التاريخ (ج٣، ص١٦٢).

(٤) في تاريخه (ج٣، ص٣٩٥).

(٥) ضخمت.

(٦) في تاريخ الطبري: تركتك.

(٧) في تاريخ الطبري: اللهم إني أول تائب تاب إليك.

(٨) في تاريخه (ج٣، ص٣٩٥).

إذ مر بهم راكب من المدينة فسألوه عن عثمان، فقال: محصور.. فقال عمرو: أنا أبو عبدالله؛ العير [قد][1] يضرط والمكواة في النار.. ثم مر بهم راكب آخر، فسألوه، فقال: قتل عثمان.. فقال عمرو: أنا أبو عبدالله؛ إذا نكأت[2] قرحة أدميتها.. فقال سلامة بن روح: يا معشر قريش؛ إنما كان بينكم وبين العرب باب فكسرتموه.. فقال: نعم، أردنا أن يخرج الحق من خاصرة الباطل، ليكون الناس في الأمر شرعا سواء.

وروىٰ أبو جعفر، قال: لما نزل القوم ذا خشب يريدون قتل عثمان إن لم ينزع عما يكرهون، وعلم عثمان ذلك، جاء إلىٰ منزل علي عليه السلام، فدخل، وقال: يا بن عم؛ إن قرابتي قريبة، ولي عليك حق، وقد جاء ما ترىٰ من هٰؤلاء القوم وهم مصحبي، ولك عند الناس قدر، وهم يسمعون منك، وأحب أن تركب إليهم فتردهم عني، فإن في دخولهم علي وهنا لأمري، وجرأة علي، فقال له علي عليه السلام: «**علىٰ أي شيء أردهم**»؟ قال: علىٰ أن أصير إلىٰ ما أشرت به، ورأيته لي.. فقال علي عليه السلام: «**إني قد كلمتك مرة بعد أخرىٰ، فكل ذٰلك تخرج وتقول، وتعد ثم ترجع، وهٰذا من فعل مروان ومعاوية وابن عامر وعبدالله بن سعد، فإنك أطعتهم وعصيتني**».. قال: عثمان: فإني أعصيهم أطيعك.

فأمر علي عليه السلام الناس أن يركبوا معه، فركب معه ثلاثون رجلا من المهاجرين والأنصار، منهم: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وأبو جهم العدوي، وجبير بن مطعم، وحكيم بن حزام، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن عتاب ابن أسيد.

ومن الأنصار أبو أسيد الساعدي، وزيد بن ثابت، وحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وغيرهم.

فأتوا المصريين فكلموهم، فكان الذي يكلمهم علي ومحمد بن مسلمة، فسمعوا منهما، ورجعوا بأصحابهم يطالبون مصر، ورجع علي عليه السلام حتىٰ دخل علىٰ عثمان، فأشار عليه أن يتكلم بكلام يسمعه الناس منه، ليسكنوا إلىٰ ما يعدهم به من النزوع.. وقال[عليه السلام] له: «**إن البلاد قد تمخضت عليك، ولا آمن أنه يجيء ركب من جهة أخرىٰ.. فتقول لي: يا علي؛ اركب إليهم، فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك، واستخففت بحقك**».

---

(١) من المصدر. (٢) قشرت (النهاية: ج١، ص١١٧) أو: كثرت جراحها.

فخرج عثمان، فخطب الخطبة التي ينـزع[1] فيها، وأعطىٰ الناس من نفسه التوبة، وقال لهم: أنا أول من اتعظ، وأستغفر الله عما فعلت وأتوب إليه، فمثلي نزع وتاب، فإذا نزلت فليأتني أشرافكم فليروا رأيهم، وليذكر كل واحد ظلامته، لأكشفها، وحاجته لأقضيها، فوالله لئن ردني الحق عبدا لأستن بسنة العبيد، ولأذلن ذل العبيد، وما عن الله مذهب إلا إليه، والله لأعطينكم الرضا، ولأنحين مروان وذويه، ولا أحتجب عنكم.

فرق الناس له وبكوا حتىٰ خضلوا لحاهم[2]، وبكىٰ هو أيضا.

فلما نزل وجد مروان وسعدا ونفرا من بني أمية في منزله قعودا لم يكونوا شهدوا خطبته، ولكنها بلغتهم، فلما جلس، قال مروان: يا أمير المؤمنين؛ أأتكلم أم أسكت؟ فقالت نائلة ابنة القراقصة[3] امرأة عثمان، لا بل تسكت، فأنتم والله قاتلوه وميتموا أطفاله، إنه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها، فقال لها مروان: وما أنت وذاك، والله لقد مات أبوك وما يحسن أن يتوضأ.. فقالت: مهلا يا مروان عن ذكر أبي إلا بخير، والله لو لا أن أباك عم عثمان، وأنه يناله غمه وعيبه، لأخبرتك من أمره بما لا أكذب فيه عليه.

فأعرض عنه عثمان، ثم عاد فقال: يا أمير المؤمنين، أأتكلم أم أسكت؟ فقال: تكلم.. فقال: بأبي أنت وأمي، والله لوددت أن مقالتك هٰذه كانت وأنت ممتنع، فكنت أول من رضي بها وأعان عليها، ولكنك قلت ما قلت، وقد بلغ الحزام الطبيين، وجاوز السيل الزبىٰ، وحين أعطي الخطة الذليلة الذليل، والله لإقامة علىٰ خطيئة تستغفر الله منها، أجمل من توبة تخوف عليها، ما زدت علىٰ أن جرأت عليك الناس.

فقال عثمان: قد كان من قولي ما كان، وإن الفائت لا يرد، ولم آل خيرا.. فقال مروان: إن الناس قد اجتمعوا ببابك أمثال الجبال.. قال: ما شأنهم؟ قال: أنت دعوتهم إلىٰ نفسك، فهٰذا يذكر مظلمة، وهٰذا يطلب مالا، وهٰذا يسأل نزع عامل من عمالك عنه، وهٰذا ما جنيت علىٰ خلافتك، ولو استمسكت وصبرت كان خيرا لك.

---

(١) في المصدر: نزع.

(٢) بلوها بالدموع.

(٣) أو: الفرافصة (كما في شرح نهج البلاغة).

قال: فاخرج [أنت](١) إلىٰ الناس فكلمهم فإني أستحيي أن أكلمهم وأردهم.

فخرج مروان إلىٰ الناس، وقد ركب بعضهم بعضا، فقال: ما شأنكم؟ قد اجتمعتم كأنكم جئتم لنهب، شاهت(٢) الوجوه، أتريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا، اعزبوا عنا، والله إن رمتمونا ليمرن(٣) عليكم ما حلا، وليحلن(٤) عليكم(٥) ما لا يسركم، ولا تحمدوا فيه غب رأيكم، ارجعوا إلىٰ منازلكم، فإنا والله غير مغلوبين علىٰ ما في أيدينا.

فرجع الناس خائبين يشتمون عثمان ومروان، وأتىٰ بعضهم علياعليه السلام فأخبره الخبر، فأقبل عليعليه السلام علىٰ عبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث الزهري، [فـ](٦)قال: أحضرت خطبة عثمان؟ قال: نعم.. [قال: أحضرت مقالة مروان للناس؟ قال: نعم](٧).. فقال: أي عباد الله، يا لله للمسلمين، إني إن قعدت في بيتي، قال لي: تركتني وخذلتني، وإن تكلمت فبلغت به(٨) ما يريد، جاء مروان فتلعب به حتىٰ قد صار سيقة(٩) له، يسوقه حيث يشاء، بعد كبر السن، وصحبته الرسولصلى الله عليه وآله.

وقام مغضبا من فوره حتىٰ دخل علىٰ عثمان، فقال له: أما يرضىٰ مروان منك إلا أن يحرفك عن دينك وعقلك، فأنت معه كجمل الظعينة، يقاد حيث يسار به، والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا عقله، وإني لأراه يوردك ثم لا يصدرك، وما أنا عائد بعد مقامي هٰذا لمعاتبتك، أفسدت شرفك، وغلبت علىٰ رأيك.. ثم نهض.

ثم دخلت(١٠) نائلة بنت الفرافصة، فقالت: [قد سمعت](١١) قول علي[عليه السلام] لك، وإنه ليس براجع إليك ولا معاود لك، وقد أطعت مروان يقودك حيث

(١) من المصدر. (٢) قبحت.
(٣) في المصدر: لنمرن. (٤) في المصدر: لنحلن.
(٥) في المصدر: بكم.
(٦) كما في شرح نهج البلاغة.
(٧) من شرح نهج البلاغة.
(٨) في المصدر: له.
(٩) مسوقا ومنقادا.
(١٠) في المصدر: فدخلت.
(١١) من شرح نهج البلاغة.

يشاء.. قال: فما أصنع؟ قالت: تتقي الله وتتبع سنة صاحبيك، فإنك متىٰ أطعت مروان قتلك، وليس لمروان عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة، وإنما تركك الناس لمكانه، وإنما رجع عنك أهل مصر لقول علي، فأرسل إليه فاستصلحه، فإن له عند الناس قدما وإنه لا يعصىٰ.

فأرسل إلىٰ علي﵇ فلم يأته وقال: «**قد أعلمته أني غير عائد**».

قال أبو جعفر[1]: فجاء عثمان إلىٰ علي﵇ بمنزله ليلا، فاعتذر إليه، ووعد من نفسه الجميل، وقال: إني فاعل، وإني غير فاعل، فقال له علي﵇: «**أبعد ما تكلمت علىٰ منبر رسول الله ﷺ، وأعطيت من نفسك، ثم دخلت بيتك، وخرج مروان إلىٰ الناس يشتمهم علىٰ بابك**».. فخرج عثمان من عنده، وهو يقول: خذلتني يا أبا الحسن، وجرأت الناس علي.. فقال علي﵇: «**والله إني لأكثر الناس ذبا عنك، ولكني كلما جئت بشيء أظنه لك رضا، جاء مروان بغيره، فسمعت قوله، وتركت قولي**».

ولم يعد علي[﵇] إلىٰ نصر عثمان، إلىٰ أن منع الماء لما اشتد الحصار عليه، فغضب علي﵇ من ذٰلك غضبا شديدا، وقال لطلحة: «**ادخلوا عليه الروايا**[2]».. فكره طلحة ذٰلك وساءه، فلم يزل علي﵇ حتىٰ أدخل الماء إليه.

وروىٰ أبو جعفر أيضا[3]: أن عليا﵇ كان في ماله بخيبر لما حصر عثمان، فقدم المدينة والناس مجتمعون علىٰ طلحة، وكان لطلحة في حصار عثمان أثر، فلما قدم علي﵇ أتاه عثمان، وقال له: أما بعد، فإن لي حق الاسلام وحق الإخاء وحق القرابة والصهر، ولو لم يكن من ذٰلك شيء وكنا في جاهلية، لكان عارا علىٰ بني عبد مناف أن يبتز بنو تيم أمرهم - يعني طلحة - فقال له علي﵇: «**أنا أكفيك فاذهب أنت**».

ثم خرج[﵇] إلىٰ المسجد، فرأىٰ أسامة بن زيد، فتوكأ علىٰ يده، حتىٰ دخل دار طلحة، وهي مملوءة من الناس، فقال له: «**يا طلحة، ما هٰذا الأمر الذي صنعت بعثمان**»؟ **فقال**: يا أبا حسن، أبعد أن مس الحزام الطبيين.

فانصرف علي﵇ حتىٰ أتىٰ بيت المال، فقال: «**افتحوه**».. فلم يجدوا المفاتيح، فكسر الباب، وفرق ما فيه علىٰ الناس، فانصرف الناس من عند طلحة

(١) في تاريخه (ج٥، ص١١٢).

(٢) القرب التي يكون فيها الماء (لسان العرب: ج١٤، ص٣٤٦).

(٣) في تاريخه (ج٤، ص٤٣٠).

حتىٰ بقي وحده، وسر عثمان بذلك، وجاء طلحة فدخل علىٰ عثمان، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إني أردت أمرا فحال بيني وبينه، وقد جئتك تائبا.. فقال: والله ما جئت تائبا ولكن جئت مغلوبا، الله حسيبك يا طلحة.

⊡ [بداية الفتنة علىٰ عثمان برواية الطبري]:

قال أبو جعفر[1]: كان عثمان مستضعفا، طمع فيه الناس، وأعان علىٰ نفسه بأفعاله وباستيلاء بني أمية عليه، وكان ابتداء الجرأة عليه: أن إبلا من إبل الصدقة قدم بها عليه، فوهبها لبعض ولد الحكم بن أبي العاص، فبلغ ذٰلك عبدالرحمن بن عوف، فأخذها وقسمها بين الناس، وعثمان في داره، فكان ذٰلك أول وهن دخل علىٰ خلافة عثمان.

وقيل: بل كان أول وهن دخل عليه، أن عثمان مر بجبلة بن عمرو الساعدي، وهو في نادي قومه، وفي يده جامعة، فسلم فرد القوم عليه، فقال جبلة: لم تردون علىٰ رجل فعل كذا وفعل كذا، ثم قال لعثمان: والله لأطرحن هٰذه الجامعة في عنقك أو لتتركن بطانتك هٰذه الخبيثة: مروان وابن عامر، وابن أبي سرح، فمنهم من نزل القرآن بذمه، ومنهم من أباح رسول الله ﷺ عليه دمه.

وقيل: إنه خطب يوما وبيده عصا كان رسول الله [ﷺ]، وأبو بكر وعمر يخطبون عليها، فأخذها جهجاه الغفاري من يده، وكسرها علىٰ ركبته.

فلما تكاثرت أحداثه، وتكاثر طمع الناس فيه، كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم إلىٰ من بالآفاق: إن كنتم تريدون الجهاد، فهلموا إلينا فإن دين محمد قد أفسده خليفتكم فاخلعوه، فاختلفت عليه القلوب، وجاء المصريون وغيرهم إلىٰ المدينة حتىٰ حدث ما حدث.

وروىٰ الواقدي والمدائني وابن الكلبي وغيرهم، وذكره أبو جعفر في التاريخ[2]، وذكره غيره من جميع المؤرخين: أن عليا عليه السلام لما رد المصريين رجعوا، بعد ثلاثة أيام، فأخرجوا صحيفة في أنبوبة رصاص، وقالوا: وجدنا غلام عثمان بالموضع المعروف بالبويب[3] علىٰ بعير إبل الصدقة، ففتشنا متاعه، لأنا استربنا أمره، فوجدنا فيه هٰذه الصحيفة، ومضمونها: أمر عبدالله بن سعد بن

---

(١) في تاريخه (ج٥، ص١١٤). (٢) تاريخ الطبري (ج٣، ص٣٩١).
(٣) وهو مدخل أهل الحجاز إلى مصر.

أي سرح بجلد عبدالرحمن بن عديس، وعمرو بن الحمق، وحلق رؤوسهما ولحاهما، وحبسهما وصلب قوم آخرين من أهل مصر.

وقيل: إن الذي أخذت منه الصحيفة أبو الأعور السلمي، وإنهم لما رأوه وسألوه عن مسيره، وهل معه كتاب، فقال: لا.. فسألوه: في أي شيء هو؟ فتغير كلامه، فأخذوه وفتشوه وأخذوا الكتاب منه، وعادوا إلىٰ المدينة.

وجاء الناس إلىٰ علي عليه السلام وسألوه أن يدخل إلىٰ عثمان فيسأله عن هٰذه الحال، فقام فجاء إليه فسأله، فأقسم بالله ما كتبته ولا علمته، ولا أمرت به، فقال محمد بن مسلمة: صدق، هٰذا من عمل مروان.. فقال: لا أدري.. وكان أهل مصر حضورا، فقالوا: أفيجترئ عليك ويبعث غلامك علىٰ جمل من إبل الصدقة، وينقش علىٰ خاتمك، ويبعث إلىٰ عاملك بهذه الأمور العظيمة، وأنت لا تدري.. قال: نعم.. قالوا: إنك إما صادق أو كاذب، فإن كنت كاذبا فقد استحققت الخلع لما أمرت به من قتلنا وعقوبتنا بغير حق، وإن كنت صادقا فقد استحققت الخلع لضعفك عن هٰذا الأمر وغفلتك، وخبث بطانتك، ولا ينبغي لنا أن نترك هٰذا الأمر بيد من تقطع الأمور دونه لضعفه وغفلته، فاخلع نفسك منه.. فقال: لا أنزع قميصا ألبسنيه الله، ولكني أتوب وأنزع.. قالوا: لو كان هٰذا أول ذنب تبت منه، لقبلنا ولكنا رأيناك تتوب ثم تعود، ولسنا بمنصرفين حتىٰ نخلعك أو نقتلك أو تلحق أرواحنا بالله، وإن منعك أصحابك وأهلك، قاتلناهم حتىٰ نخلص إليك.. فقال: إما أن أبرأ من خلافة الله، فالقتل أحب إلي من ذلك، وإما قتالكم من يمنع عني، فإني لا آمر أحد بقتالكم، فمن قاتلكم، فبغير أمري قاتل، ولو أردت قتالكم لكتبت إلىٰ الأجناد، فقدموا علي أو لحقت ببعض الأطراف، وكثرت الأصوات واللغط، فقام علي فأخرج أهل مصر معه، وخرج إلىٰ منزله[1].

قال أبو جعفر[2]: وكتب عثمان إلىٰ معاوية وابن عامر وأمراء الأجناد، يستنجدهم، ويأمر بالعجل والبدار وإرسال الجنود إليه، فتربص به معاوية، فقام في أهل الشام يزيد بن أسد القسري جد خالد بن عبدالله بن يزيد أمير العراق، فتبعه خلق كثير، فسار بهم إلىٰ عثمان، فلما كان بوادي القرىٰ، بلغهم قتل عثمان فرجعوا.

---

(١) ومثله في الكامل لابن الأثير (ج٣، ص١٧٠). (٢) في تاريخه (ج٥، ص١٣٣).

وقيل: بل أشخص معاوية من الشام حبيب بن مسلمة الفهري، وسار من البصرة مجاشع بن مسعود السلمي، فلما وصلوا الربذة، ونزلت مقدمتهم الموضع [المسمىٰ][1] صرارا بناحية المدينة، أتاهم قتل عثمان، فرجعوا وكان عثمان قد استشار نصحاءه في أمره، فأشاروا أن يرسل إلىٰ علي عليه السلام، يطلب إليه أن يرد الناس ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم، حتىٰ تأتيه الامداد، فقال: إنهم لا يقبلون التعليل، وقد كان مني في المرة الأولىٰ ما كان.

فقال مروان: أعطهم ما سألوك وطاولهم ما طاولوك، فإنهم قوم قد بغوا عليك، ولا عهد لهم.

فدعا عليا عليه السلام وقال له: قد ترىٰ ما كان من الناس ولست آمنهم علىٰ دمي فارددهم عني، فإني أعطيهم ما يريدون من الحق من نفسي ومن غيري.. فقال علي[عليه السلام]: «**إن الناس إلىٰ عدلك أحوج منهم إلىٰ قتلك، وإنهم لا يرضون إلا بالرضا، وقد كنت أعطيتهم من قبل عهدا فلم تف به، فلا تغرر في هٰذه المرة، فإني معطيهم عنك الحق**».. قال: أعطهم فوالله لأفين لهم.

فخرج علي عليه السلام إلىٰ الناس، فقال: «**إنكم إنما تطلبون الحق، وقد أعطيتموه، وإنه منصفكم من نفسه**».. فسأله الناس أن يستوثق لهم، وقالوا: إنا لا نرضىٰ بقول دون فعل.. فدخل عليه فأعلمه، فقال: اضرب بيني وبين الناس [أجلا، فإني لا أقدر علىٰ تبديل ما كرهوا في يوم واحد، فقال علي عليه السلام: «**أما ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وأما ما غاب فأجله وصول أمرك**».. قال: نعم، فأجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام، فأجابه إلىٰ ذلك، وكتب بينه وبين الناس][2] كتابا علىٰ رد كل مظلمة، وعزل كل عامل كرهوه، فكف الناس عنه، وجعل يتأهب سرا للقتال، ويستعد بالسلاح، واتخذ جندا، فلما مضت الأيام الثلاثة ولم يغير شيئا ثار به الناس، وخرج قوم إلىٰ من بذي خشب من المصريين، فأعلموهم الحال، فقدموا المدينة، فتكاثر[3] الناس عليه، وطلبوا منه عزل عماله، ورد مظالمهم، فكان جوابه لهم: إني إن كنت أستعمل من تريدون لا من أريد، فلست إذن في شيء من الخلافة، والأمر أمركم.. فقالوا: والله لتفعلن أو لتخلعن أو لنقتلنك، فأبىٰ عليهم، وقال: لا أنزع سربالا سربلنيه الله.. فحصروه وضيقوا الحصار عليه.

---

(١) من المصدر. (٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: وتكاثر.

وروىٰ أبو جعفر قال[1]: لما اشتد الحصار علىٰ عثمان، أشرف علىٰ الناس، فقال: يا أهل المدينة؛ أستودعكم الله وأسأله أن يحسن عليكم الخلافة من بعدي.

ثم قال: أنشدكم الله هل تعلمون أنكم دعوتم الله عند مصاب عمر أن يختار لكم ويجمعكم علىٰ خيركم، أفتقولون: إن الله لم يستجب لكم، وهنتم عليه، وأنتم أهل حقه وأنصار دينه[2].

أم تقولون: هان علىٰ الله دينه، فلم يبال من ولي، والدين لم ينفق[3] أهله بعد.

أم تقولون لم يكن أخذ عن مشورة، إنما كان مكابرة، فوكل الله الأمة أو[4] عصته ولم يتشاوروا في الإمامة إلىٰ أنفسها.

أم تقولون: إن الله لم يعلم عاقبة أمري، فمهلا مهلا، لا تقتلوني، وإنه لا يحل إلا قتل ثلاثة: زان بعد إحصان، أو كافر بعد إيمان، أو قاتل نفس بغير حق، أما إنكم إن قتلتموني وضعتم السيف علىٰ رقابكم ثم لا يرفعه الله عنكم أبدا.

فقالوا: أما ما ذكرت من استخارة الناس بعد عمر، فإن كل ما يصنعه الله الخيرة، ولكن الله جعلك بلية ابتلىٰ بها عباده، ولقد كانت لك قدم وسابقة، وكنت أهلا للولاية، ولكن أحدثت ما تعلمه، ولا نترك اليوم إقامة الحق عليك مخافة الفتنة عاما قابلا.

وأما قولك: لا يحل دم إلا بإحدىٰ ثلاث: فإنا نجد في كتاب الله إباحة دم غير الثلاثة: دم من سعىٰ في الأرض بالفساد، ودم من بغىٰ ثم قاتل علىٰ بغيه، ودم من حال دون شيء من الحق ومنعه وقاتل دونه، وقد بغيت ومنعت الحق، وحلت دونه، وكابرت عليه، ولم تقد من نفسك من ظلمته، ولا من عمالك، وقد تمسكت بالإمارة علينا، والذين يقدمون دونك، ويمنعونك، إنما يمنعونك ويقاتلوننا لتسميتك بالإمارة، فلو خلعت نفسك لانصرفوا عن القتال معك.

---

(١) في تاريخه (ج٥، ص١٣٣).

(٢) في المصدر: نبيه.

(٣) في المصدر: يتفرق.

(٤) في المصدر: إذا.

فسكت عثمان، ولزم الدار وأمر أهل المدينة بالرجوع، وأقسم عليهم فرجعوا، إلا الحسن بن علي[عليه السلام]، ومحمد بن طلحة، وعبدالله بن الزبير وأشباها لهم، وكانت مدة الحصار أربعين يوما[١].

قال أبو جعفر[٢]: ثم إن محاصري عثمان أشفقوا من وصول أجناد من الشام والبصرة تمنعه، فحالوا بين عثمان وبين الناس، ومنعوه كل شيء حتىٰ الماء، فأرسل عثمان سرا إلىٰ علي عليه السلام، وإلىٰ أزواج النبي صلى الله عليه وآله: أنهم قد منعونا الماء، فإن قدرتم أن ترسلوا إلينا ماء فافعلوا.

فجاء علي عليه السلام في الغلس[٣] وأم حبيبة بنت أبي سفيان، فوقف علي عليه السلام علىٰ الناس فوعظهم، وقال: «**أيها الناس؛ إن الذي تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، إن فارس والروم لتأسر فتطعم وتسقىٰ، فالله الله، لا تقطعوا الماء عن الرجل**».. فأغلظوا له، وقالوا: لا نعم ولا نعمة عين.. فلما رأىٰ منهم الجد نزع عمامته عن رأسه، ورمىٰ بها إلىٰ دار عثمان، يعلمه أنه قد نهض وعاد.

وأما [أم] حبيبة وكانت مشتملة علىٰ إداوة، فضربوا وجه بغلتها، فقالت: إن وصايا أيتام بني أمية عند هٰذا الرجل، فأحببت أن أسألها[٤] عنها لئلا تهلك أموال اليتامىٰ.. فشتموها، وقالوا: أنت كاذبة، وقطعوا حبل البغلة بالسيف، فنفرت وكادت تسقط عنها، فتلقاها الناس فحملوها إلىٰ منزلها.

وروىٰ أبو جعفر، قال[٥]: أشرف عثمان عليهم يوما، فقال: أنشدكم الله، هل تعلمون أني أشتريت بئر رومة[٦] بمالي، أستعذب بها، وجعلت رشائي[٧] فيها كرجل من المسلمين.. قالوا: نعم.. قال: فلم تمنعونني أن أشرب منها حتىٰ أفطر علىٰ ماء البحر.. ثم قال: أنشدكم الله؛ هل تعلمون إني اشتريت أرض كذا، فزدتها في المسجد؟ قالوا: نعم.. قال: فهل علمتم أن أحدا منع أن يصلي فيه قبلي.

---

(١) ومثله في الكامل لابن الأثير (ج٣، ص١٧٢).

(٢) في تاريخه (ج٥، ص١٢٧).

(٣) ظلام آخر الليل (كتاب العين: ج٤، ص٣٧٨).

(٤) في المصدر: أسأله.

(٥) في تاريخه (ج٥، ص١٢٥).

(٦) من آبار المدينة المنورة.

(٧) الرشاء: الحبل الذي يوصل إلى الماء (لسان العرب: ج١٤، ص٣٢٢).

وروىٰ أبو جعفر، عن عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، قال: دخلت علىٰ عثمان فأخذ بيدي فأسمعني، كلام من علىٰ بابه من الناس، فمنهم من يقول: ما تنتظرون به ومنهم من يقول: لا تعجلوا فعساه ينزع ويراجع، فبينا نحن إذ مر طلحة، فقام إليه ابن عديس البلوي، فناجاه، ثم رجع ابن عديس، فقال لأصحابه: لا تتركوا أحدا يدخل إلىٰ عثمان ولا يخرج من عنده.. فقال لي عثمان: هٰذا ما أمر به طلحة، اللهم اكفني طلحة، فإنه حمل هٰؤلاء القوم وألبهم علي، والله إني لأرجو أن يكون منها صفرا، وإن يسفك دمه، قال: فأردت أن أخرج فمنعوني حتىٰ أمرهم محمد بن أبي بكر، فتركوني أخرج[1].

قال أبو جعفر[2]: فلما طال الأمر وعلم المصريون أنهم قد أجرموا إليه جرما كجرم القتل، وأنه لا فرق بين قتله وبين ما أتوا إليه، وخافوا علىٰ نفوسهم من تركه حيا، راموا الدخول عليه من باب داره، فأغلقت الباب، ومانعهم الحسن بن علي[عليه السلام]، وعبدالله بن الزبير، ومحمد بن طلحة، ومروان، وسعيد بن العاص، وجماعة معهم من أبناء الأنصار، فزجهم عثمان، وقال: أنتم في حل من نصرتي.. فأبوا ولم يرجعوا.

وقام رجل من أسلم يقال له: نيار بن عياض ـ وكان من الصحابة ـ فنادىٰ عثمان، وأمره أن يخلع نفسه، فبينا هو يناشده ويسومه خلع نفسه، رماه كثير بن الصلت الكندي ـ وكان من أصحاب عثمان من أهل الدار ـ بسهم فقتله، فصاح المصريون وغيرهم عند ذلك: ادفعوا إلينا قاتل ابن عياض لنقتله به.. فقال عثمان: لم أكن لأدفع إليكم رجلا نصرني وأنتم تريدون قتلي.. فثاروا إلىٰ الباب، فأغلق دونهم، فجاءوا بنار فأحرقوه وأحرقوا السقيفة التي عليه، فقال لمن عنده من أنصاره: إن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إلي عهدا فأنا صابر عليه، فأحرج علىٰ رجل يقاتل دوني.. ثم قال للحسن[عليه السلام]: إن أباك الآن لفي أمر عظيم من أجلك، فاخرج إليه، أقسمت عليك لما خرجت إليه، فلم يفعل، ووقف محاميا عنه.

وخرج مروان بسيفه يجالد الناس، فضربه رجل من بني ليث علىٰ رقبته، فأثبته وقطع إحدىٰ علياويه، فعاش مروان بعد ذٰلك أوقص، وقام إليه عبيد بن

---

(١) ومثله في الكامل لابن الأثير (ج٣، ص١٧٤).

(٢) في تاريخه (ج٥، ص١٢٨).

رفاعة الزرقي ليدفف[1] عليه، فقامت دونه فاطمة أم إبراهيم بن عدي وكانت أرضعت مروان وأرضعت له، فقالت له: إن كنت تريد قتله فقد قتل، وإن كنت إنما تريد أن تتلعب بلحمه فأقبح بذلك.. فتركه، فتخلصته وأدخلته بيتها، فعرف لها بنوه ذلك بعد، واستعملوا ابنها إبراهيم، وكان له منهم خاصة.

وقتل المغيرة بن الأخنس بن شريق، وهو يحامي عن عثمان بالسيف، واقتحم بالقوم الدار، ودخل كثير منهم الدور المجاورة لها، وتسوروا من دار عمرو بن حزم إليها حتىٰ ملأوها وغلب الناس علىٰ عثمان، وندبوا رجلا لقتله، فدخل إليه البيت، فقال له: اخلعها وندعك، فقال: ويحك والله ما كشفت عن امرأة في جاهلية ولا إسلام، ولا تعينت ولا تمنيت، ولا وضعت يميني علىٰ عورتي مذ بايعت رسول الله ﷺ، ولست بخالع قميصا كسانيه الله تعالىٰ، حتىٰ يكرم أهل السعادة، ويهين أهل الشقاوة.

فخرج عنه، فقالوا: ما صنعت؟ قال: إني لم استحل قتله.. فأدخلوا إليه رجلا من الصحابة، فقال له: لست بصاحبي، إن النبي ﷺ دعا لك أن يحفظك يوم كذا ولن تضيع فرجع عنه.

فأدخلوا إليه رجلا من قريش، فقال له: إن رسول الله ﷺ استغفر لك يوم كذا، فلن تقارف دما حراما، فرجع عنه.

فدخل عليه محمد بن أبي بكر، فقال له عثمان: ويحك أعلىٰ الله تغضب؟!! هل لي إليك جرم إلا أني أخذت حق الله منك؟ فأخذ محمد بلحيته، وقال: أخزاك الله يا نعثل.. قال: لست بنعثل، ولكني عثمان وأمير المؤمنين.. فقال: ما أغنىٰ عنك معاوية وفلان وفلان.. فقال عثمان: يا ابن أخي دعها من يدك، فما كان أبوك ليقبض عليها.. فقال: لو عملت ما عملت في حياة أبي لقبض عليها، والذي أريد بك أشد من قبضي عليها.. فقال: استنصر الله عليك، وأستعين به، فتركه وخرج.

وقيل: بل طعن في جنبيه[2] بمشقص كان في يده، فثار سودان بن حمران، وأبو حرب الغافقي، وقنبرة بن وهب السكسكي، فضربه الغافقي بعمود كان في يده، وضرب المصحف برجله، وكان في حجره، فنزل بين يديه، وسال عليه

---

(١) ليجهز (الصحاح: ج٤، ص١٣٦٠).

(٢) في المصدر: جبينه.

الدم، وجاء سودان ليضربه بالسيف، فأكبت عليه امرأته نائلة بنت القرافصة[١] الكلبية، واتقت السيف بيدها وهي تصرخ، فنفح أصابعها فأطنها[٢]، فولت، فغمز بعضهم أوراكها، وقال: إنها لكبيرة العجز.

وضرب سودان عثمان فقتله.. وقيل: بل قتله كنانة بن بشر التجيبي، وقيل: بل قتيرة بن وهب.

ودخل غلمان عثمان ومواليه، فضرب أحدهم عنق سودان فقتله، فوثب قتيرة بن وهب علىٰ ذلك الغلام فقتله، فوثب غلام آخر علىٰ قتيرة فقتله، ونهبت دار عثمان، وأخذ ما علىٰ نسائه، وما كان في بيت المال، وكان فيه غرارتان دراهم.

ووثب عمرو بن الحمق علىٰ صدر عثمان وبه رمق، فطعنه تسع طعنات، وقال: أما ثلاث منها فإني طعنتهن لله تعالىٰ، وأما ست منها فلما كان في صدري عليه.. وأرادوا قطع رأسه، فوقعت عليه زوجتاه نائلة بنت القرافصة[٣] وأم البنين ابنة عينية بن حصن الفزاري، فصحن وضربن الوجوه، فقال ابن عديس: اتركوه.

وأقبل عمير بن ضابئ الرحمن[٤] فوثب عليه، فكسر ضلعين من أضلاعه، وقال له: سجنت أبي حتىٰ مات في السجن.

وكان قتله في يوم الثامن عشر من ذي الحجة من سنة خمس وثلاثين، وقيل: بل في أيام التشريق، وكان عمره ستا وثمانين سنة.

قال أبو جعفر[٥]: وبقي عثمان ثلاثة أيام لا يدفن.

ثم إن حكيم بن حزام، وجبير بن مطعم، كلما علياعليه السلام في أن يأذن في دفنه، ففعل، فلما سمع الناس بذلك قعد له قوم في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس يسير من أهله، ومعهم الحسن بن علي[عليه السلام]، وابن الزبير، وأبو جهم بن حذيفة بين المغرب والعشاء، فأتوا به حائطا من حيطان المدينة، يعرف بـ(حش كوكب) وهو خارج البقيع، فصلوا عليه.

(١) في المصدر: الفرافصة. (٢) فقطعها.
(٣) أو: الفرافصة.
(٤) في المصدر: البرجمي.
(٥) في تاريخه (ج٣، ص٤٣٨).

فجاء[١] ناس من الأنصار ليمنعوا من الصلاة عليه، فأرسل علي عليه السلام، فمنع من رجم سريره، وكف الذين راموا منع الصلاة عليه، ودفن في حش كوكب، فلما ظهر معاوية علىٰ الأمر أمر بذلك الحائط فهدم، وأدخل في البقيع، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره، حتىٰ اتصل بمقابر المسلمين بالبقيع.

وقيل: إن عثمان لم يغسل، وإنه كفن في ثيابه التي قتل فيها.

قال أبو جعفر[٢]: وروي عن عامر الشعبي، أنه قال: ما قتل[٣] عمر بن الخطاب حتىٰ ملته قريش واستطالت خلافته، وقد كان يعلم فتنتهم، فحصرهم في المدينة، وقال لهم: إن أخوف ما أخاف علىٰ هٰذه الأمة انتشاركم في البلاد، وإن كان الرجل ليستأذنه في الغزو، فيقول: إن لك في غزوك مع رسول الله صلى الله عليه وآله ما يكفيك، وهو خير لك من غزوك اليوم، وخير لك من الغزو، ألا ترىٰ الدنيا ولا تراك، فكان يفعل هٰذا بالمهاجرين من قريش، ولم يكن يفعله بغيرهم من أهل مكة، فلما ولي عثمان الخلافة خلىٰ عنهم، فانتشروا في البلاد، وخالطهم الناس، وأفضي الأمر إلىٰ ما أفضي إليه، وكان عثمان أحب إلىٰ الرعية من عمر.

قال أبو جعفر[٤]: وكان أول منكر ظهر بالمدينة في خلافة عثمان حين فاضت الدنيا علىٰ العرب والمسلمين طيران الحمام علىٰ[٥] المسابقة بها، والرمي علىٰ الجلاهقات ـ وهي قسي البندق ـ فاستعمل عثمان عليها رجلا من بني ليث في سنة ثمان من خلافته، فقص الطيور وكسر الجلاهقات.

وروىٰ أبو جعفر، قال[٦]: سأل رجل سعيد بن المسيب عن محمد بن أبي حذيفة: ما دعاه إلىٰ الخروج علىٰ عثمان؟ فقال: كان يتيما في حجر عثمان، وكان والي أيتام أهل بيته ومحتمل كلهم، فسأل عثمان العمل، فقال: يا بني لو كنت رضا لاستعملتك.. قال: فأذن لي فأخرج فأطلب الرزق، قال: اذهب حيث شئت.. وجهزه من عنده، وحمله وأعطاه، فلما وقع إلىٰ مصر كان فيمن

(١) في المصدر: وجاء.
(٢) في تاريخه (ج٣، ص٤٢٦).
(٣) في المصدر: لم يمت.
(٤) في تاريخه (ج٣، ص٤٢٧).
(٥) في المصدر: و.
(٦) في تاريخه (ج٥، ص١٣٥).

أعان عليه، لأنه منعه الإمارة، فقيل له: فعمار بن ياسر؟ قال: كان بينه وبين العياش[١] بن عتبة بن أبي لهب كلام فضربهما عثمان، فأورث ذلك تعاديا بين عمار وعثمان: وقد كانا تعاديا[٢] قبل ذلك.

قال أبو جعفر[٣]: وسئل سالم بن عبدالله عن محمد بن أبي بكر: ما دعاه إلىٰ ركوب عثمان؟ فقال: لزمه حق، فأخذه[٤] عثمان من ظهره، فغضب، وغره أقوام فطمع، لأنه كان من الاسلام بمكان، وكانت له دالة، فصار مذمما بعد أن كان محمدا، وكان كعب بن ذي الجبلة[٥] النهدي يلعب بالنيرنجات[٦] بالكوفة، فكتب عثمان إلىٰ الوليد أن يوجعه ضربا، فضربه وسيره إلىٰ دنباوند[٧].

فكان[٨] ممن خرج إليه وسار إليه، وحبس ضابئ بن الحوت[٩] البرجمي، لأنه هجا قوما فنسبهم إلىٰ أن كلبهم يأتي أمهم، فقال لهم شعرا:

فأمكم لا تتركوها وكلبكم
فإن عقوق الوالدين كبير

فاستعدوا عليه عثمان، فحبسه فمات في السجن، فلذلك حقد ابنه عمير عليه، وكسر أضلاعه بعد قتله.

قال أبو جعفر[١٠]: وكان لعثمان علىٰ طلحة بن عبيدالله خمسون ألفا، [فخرج عثمان يوما إلىٰ المسجد][١١] فقال طلحة له يوما: قد تهيأ مالك فأقبضه.. فقال: هو لك [يا أبا محمد][١٢] معونة علىٰ مروءتك.

فلما حصر عثمان، قال علي عليه السلام لطلحة: **«أنشدك الله إلا كففت عن عثمان»**.. فقال: لا والله حتىٰ تعطي بنو أمية الحق من أنفسها، فكان علي عليه السلام [بعد ذلك][١٣] يقول: **«لحا[١٤] الله ابن الصغبة[١٥] أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل»**.

---

(١) في المصدر: العباس. (٢) في المصدر: تقاذفا.
(٣) في تاريخه (ج٣، ص٤٢٩). (٤) في المصدر: فأخذ. (٥) في المصدر: الحبكة.
(٦) معرب (نيرنك) بالفارسية، أخذ كالسحر يعتقد المجوس أن لها تأثيرات خارقة لدفع المضار.
(٧) جبل بنواحي الري. (٨) في المصدر: وكان. (٩) في المصدر: الحارث.
(١٠) في تاريخه (ج٣، ص٤٣٣). (١١) من المصدر.
(١٢) كما في تاريخ الطبري.
(١٣) كما في تاريخ الطبري (ج٤، ص٤٠٥).
(١٤) قبح ولعن، وهو دعاء على الشخص مأخوذ من اللحو وهو: نزع ما على العود من قشر.
(١٥) في المصدر: ابن الصعبة (وهي: بنت عبدالله بن مالك الحضرمي).

الباب العاشر

في اعتراف عثمان بمظالم العباد وهو من الأحداث التي نقمت عليه

قال ابن أبي الحديد[1]: ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما نقموا من[2] عثمان وسألوه مخاطبته عنهم، واستعتابه لهم، فدخل[عليه السلام] علىٰ عثمان فقال:

«إن الناس ورائي وقد استفسروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقول لك، ما أعرف شيئا تجهله، ولا أدلك علىٰ أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلىٰ شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغك هو[3]، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا، وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولىٰ بعمل الحق[4] منك، وأنت أقرب إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وشيجة ورحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينالا، فالله الله في نفسك فإنك والله ما تبصر من عمىٰ، ولا تعلم من جهل، وإن الطريق لواضح[5]، وإن أعلام الدين لقائمة.

واعلم[6] أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل، هدىٰ وهدىٰ، فأقام سنة معلومة وأمات بدعة مجهولة، وإن السنن لنيرة لها أعلام، وإن البدع لظاهرة لها أعلام، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وضل به، فأمات سنة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يؤتىٰ يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقىٰ في نار جهنم فيدور فيها كما تدور الرحىٰ ثم يرتبط في قعرها.

وإني أنشدك الله أن تكون إمام هٰذه الأمة المقتول، فإنه كان يقال: يقتل في هٰذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلىٰ يوم القيامة، ويلبس أمورها عليها ويبث الفتن فيها، فلا يبصرون الحق من الباطل، يموجون فيها موجا، ويمرجون فيها مرجا، فلا تكونن لمروان سيقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السنن، وتقضي العمر».

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص٢٦١). (٢) في المصدر: على.
(٣) في المصدر: فتبلغكه. (٤) في المصدر: الخير. (٥) في المصدر: وإن الطرق لواضحة.
(٦) في المصدر: فاعلم.

فقال له عثمان: كلم الناس في أن يؤجلوني حتىٰ أخرج إليهم من مظالمهم.

فقال عليه السلام: «**ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه**».

قال في الشرح[1]:

(نقمت علىٰ زيد) ـ بالفتح ـ أنقم، فأنا ناقم، إذا عتبت عليه، وقال الكسائي: نقمت بالكسر أيضا، أنقم لغة، وهٰذه اللفظة تجيء لازمة ومتعدية، قالوا: نقمت الأمر، أي: كرهته.

و(استعتبت فلانا): طلبت منه العتبىٰ، وهي الرضا، واستعتابهم عثمان طلبهم منه ما يرضيهم عنه.

و(استسفروني): جعلوني سفيرا ووسيطا بينك وبينهم.

ثم قال له: وأقسم علىٰ ذلك: إنه لا يعلم ماذا يقول له لأنه لا يعرف أمرا يجهله، أي: من هٰذه الأحداث خاصة، وهٰذا حق، لأن عليا عليه السلام لم يكن يعلم منها ما يجهله عثمان، بل كل أحد من[2] الصبيان، فضلا عن العقلاء المميزين، يعلمون وجهي الصواب والخطأ فيه.

ثم شرع معه في مسلك الملاطفة والقول اللين، فقال: «**ما سبقنا إلىٰ الصحبة، ولا انفردنا بالرسول دونك، وأنت مثلنا ونحن مثلك**».

ثم خرج إلىٰ ذكر الشيخين، فقال قولا معناه أنهما ليسا خيرا منك، فإنك مخصوص دونهما بقرب النسب، يعنىٰ المناقبة[3] وبالصهر، وهٰذا كلام هو موضع المثل: «**يسرحسوا في ارتغاء**»، ومراده تفضيل نفسه عليه السلام، لأن العلة التي باعتبارها فضل عثمان عليهما محققة فيه وزيادة، لأن له مع المناقبية[4] الهاشمية، فهو أقرب.

والوشيجة: عروق الشجرة.

ثم حذره جانب الله تعالىٰ، ونبهه علىٰ أن الطريق واضحة، وأعلام الهدىٰ لائحة[5]، وإن الإمام العادل أفضل الناس عند الله، وأن الإمام الجائر شر الناس عند الله.

---

(١) الجزء التاسع (ص٢٦٢). (٢) في المصدر: كان أحداث.

(٣) في المصدر: المنافية.

(٤) في المصدر: المنافية.

(٥) في المصدر: قائمة.

ثم روىٰ له الخبر المذكور، ثم[١] روىٰ: «**ثم يرتبك في قعرها**» أي ينشب.. وخوفه أن يكون الإمام المقتول الذي يفتح الفتن بقتله، وقد كان رسول الله ﷺ قال كلاما هو هذا، أو يشبه هذا.

و(مرج الدين) أي: فسد.

و(السيقة): ما استاقه العدو من الدواب، مثل الوسيقة، قال الشاعر[٢]:

فما أنا إلا مثل سيقة العدا
إن استقدمت نحر[٣] وإن جبأت عقر

و(الجلال) ـ بالضم ـ: الجليل، كالطوال والطويل، أي: بعد السن الجليل، أي: العمر الطويل.

وقوله[عليه السلام]: «**ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه**»، كلام شريف فصيح، لأن الحاضر أي معنى لتأجيله، والغائب فلا عذر بعد وصول الأمر في تأخيره، لأن السلطان لا يؤخر أمره.

وقد ذكرنا من الأحداث التي نقمت علىٰ عثمان فيما تقدم ما فيه كفاية، وقد ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رضي الله عنه في التاريخ الكبير[٤] هٰذا الكلام، فقال:

إن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ تكاتبوا، فكتب بعضهم إلىٰ بعض: أنْ أقدموا، فإن الجهاد بالمدينة لا بالروم، واستطال الناس علىٰ عثمان، ونالوا منه، وذلك في سنة أربع وثلاثين، ولم يكن أحد من الصحابة يذب عنه ولا ينهىٰ، إلا نفر، منهم: زيد بن ثابت، وأبو أسيد الساعدي، وكعب بن مالك، وحسان بن ثابت، فاجتمع الناس، فكلموا علي بن أبي طالب[عليه السلام][٥] وسألوه أن يكلم عثمان، فدخل عليه، وقال له: إن الناس.. وروىٰ [الكلام][٦] إلىٰ آخره بألفاظه.

فقال عثمان: وقد علمت أنك لتقولن ما قلت، أما والله لو كنت مكاني ما عنفتك، ولا عتبت عليك[٧] ولم آت منكرا، إنما وصلت رحما، وسددت خلة،

---

(١) في المصدر: و. (٢) نصيب بن رباح (كما في تاج العروس: ج١٣، ص٢٢٨).

(٣) في المصدر: بحر.

(٤) الجزء الخامس (ص٩٦).

(٥) من المصدر.

(٦) كما في شرح نهج البلاغة.

(٧) في تاريخ الطبري: ولا أسلمتك.

وآويت ضائعا، ووليت شبيها بمن كان عمر يوليه، أنشدك [الله][1] يا علي، ألا تعلم أن المغيرة بن شعبة ليس هناك.. قال: نعم بلىٰ.. قال: أفلا تعلم أن عمر ولاه، قال: بلىٰ.. قال: فلم تلومني أن وليت ابن عامر في رحمه وقرابته.

فقال علي عليه السلام: «**إن عمر كان يطأ علىٰ صماخ[2] من يوليه، ثم يبلغ منه إن أنكر منه أمرا أقصىٰ العقوبة وأنت فلا تفعل، ضعفت ورققت علىٰ أقربائك**».

[قال عثمان: هم أقرباؤك أيضا.. فقال علي[عليه السلام]: «**لعمري إن رحمهم مني لقريبة ولكن الفضل في غيرهم**»][3].

قال[4] عثمان: أفلا تعلم أن عمر ولىٰ معاوية، فقد وليته.. قال علي[عليه السلام]: «**أنشدك الله، ألا تعلم أن معاوية كان أخوف لعمر من يرفأ غلامه له**»؟ قال: بلىٰ.. قال[عليه السلام]: «**فإن معاوية يقطع الأمور دونك ويقول للناس: هٰذا بأمر عثمان وأنت تعلم ذٰلك فلا تغير عليه**».

ثم قام علي عليه السلام، فخرج عثمان علىٰ أثره، فجلس علىٰ المنبر، فخطب الناس، وقال:

أما بعد.. فإن لكل شيء آفة، ولكل أمر عاهة، وإن آفة هٰذه الأمة، وعاهة هٰذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون، ويسرون عنكم ما تكرهون، يقولون لكم وتقولون، أمثال النعام يتبع أول ناعق أحب مواردها إليها البعيد، لا يشربون إلا نغصا ولا يردون إلا عكرا.. أما والله لقد عبتم علىٰ ما أقررتم لابن الخطاب بمثله، ولكنه وطأكم برجله وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدنتم له علىٰ ما أحببتم وكرهتم، ولنت لكم، وأوطأتكم كتفي وكففت يدي ولساني عنكم، فاجترأتم علي.. أما والله لأنا أقرب ناصرا وأعز نفرا وأكثر عددا، وأحرىٰ إن قلت: هلم أن يجاب صوتي، ولقد أعددت لكم أقرانا وكشرت لكم عن نابي، وأخرجتم مني خلقا لم أكن أحسنه، ومنطقا لم أكن أنطق به.. فكفوا عني ألسنتكم وطعنكم وعيبكم علىٰ [ولاتكم][5]، فما الذي تفقدون من حقكم، والله ما قصرت عن بلوغ من كان قبلي يبلغ وما وجدتكم تختلفون عليه، فما بالكم.

---

(١) من المصدر. (٢) صماخ الأذن، وهو الخرق الذي يفضي إلى الرأس وهو المسمع (غريب الحديث لابن قتيبة: ج٢، ص٦). (٣) من تاريخ الطبري.

(٤) في المصدر: فقالوا.

(٥) من المصدر.

فقام مروان بن الحكم فقال: وإن شئتم حكمنا بيننا وبينكم السيف.

فقال عثمان: اسكت لأسكت، دعني وأصحابي، ما منطقك في هٰذا ألم أتقدم[1] إليك ألا تنطق.. فسكت مروان ونزل عثمان.

الباب الحادي عشر

في إحراق عثمان المصاحف

قال ابن أبي الحديد[2]: قال قاضي القضاة عبدالجبار[3]: قال شيخنا أبو علي (رحمه الله [تعالىٰ][4]): [لم يثبت عندنا ولا صح عندنا ما يقال من طعن عبدالله عليه، ولا إكفاره له، و][5]الذي صح[6] [في ذلك][7] أن عبدالله بن مسعود كره من عثمان جمعه الناس علىٰ قراءة زيد بن ثابت وإحراقه المصاحف، فلا شك إن عبدالله كره ذٰلك كما كرهه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وتكلموا فيه، وقد ذكر الرواة كلام كل واحد منهم في ذٰلك مفصلا، وما كره عبدالله من ذٰلك إلا مكروها.

الباب الثاني عشر

في مدح أمير المؤمنين عليه السلام المصريين الذين من حزب قتلة عثمان

وقوله عليه السلام: «إنهم غضبوا لله تعالىٰ».

وشهادته عليه السلام عصيان عثمان، وإتيانه المنكر، ووصفه[عليه السلام] المصريين بصفات الصالحين.

ابن أبي الحديد قال[8]: ومن كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام لأهل مصر لما ولىٰ عليهم الأشتر رضي الله عنه:

(١) آمرك. (٢) في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٤١).

(٣) في كتابه المغني (ج٢٠، ق٢، ص٥٢). (٤) كما في شرح نهج البلاغة.

(٥) من المصدر.

(٦) في المصدر: يصح.

(٧) من المصدر.

(٨) شرح نهج البلاغة (ج١٦، ص١٥٦).

«من عبدالله علي أمير المؤمنين إلىٰ القوم الذين غضبوا لله حين عصي في الأرض، وذهب بحقه، فضرب الجور سرادقه علىٰ البر والفاجر، والمقيم والظاعن، فلا معروف يستراح إليه، ولا منكر يتناهىٰ عنه» ثم ساق الكلام بمدح الأشتر[1].

قال في الشرح[2]:

هٰذا الفصل مشكل[3] تأويله عليّ لأن أهل مصر [هم][4] الذين قتلوا عثمان، وإذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام أنهم غضبوا لله حين عصىٰ في الأرض، فهذه شهادة قاطعة علىٰ عثمان بالعصيان وإتيان المنكر، ويمكن أن يقال وإن كان متعسفا: إن الله تعالىٰ عصىٰ في الأرض لا من عثمان، بل من ولاته وامرائه وأهله، وذهب بينهم بحق الله وضرب الجور سرادقه بولايتهم، وأمرهم علىٰ البر والفاجر، والمقيم والظاعن، فشاع المنكر وفقد المعروف.

يبقىٰ أن يقال: هب أن الأمر كما تأولت، فهؤلاء الذين غضبوا لله إلىٰ ماذا آل أمرهم؟ أليس الأمر آل إلىٰ أنهم قطعوا المسافة من مصر إلىٰ المدينة فقتلوا عثمان، فلا تعدو حالهم أمرين، إلا أن يكونوا أطاعوا الله بقتله فيكون عثمان عاصيا مستحقا للقتل أو يكونوا أسخطوا الله تعالىٰ بقتله، فعثمان إذا علىٰ حق، وهم العصاة الفساق[5] فكيف يجوز أن يبجلهم أو يخاطبهم خطاب الصالحين.

يمكن أن يجاب عن ذٰلك بأنهم غضبوا لله، وجاءوا من مصر وأنكروا علىٰ عثمان تأميره الأمراء الفساق، وحصروه في داره طلبا أن يدفع إليهم مروان ليحبسوه، أو يؤدبوه علىٰ ما كتبه في أمرهم، فلما حصر طمع فيه مبغضوه وأعداؤه من أهل المدينة وغيرها، وصار معظم الناس إلبا عليه، وقل عدد المصريين بالنسبة إلىٰ من[6] اجتمع من الناس علىٰ حصره ومطالبته بخلع نفسه وتسليم مروان وغيره من بني أمية إليهم، وعزل عماله، والاستبدال بهم، ولم يكونوا حينئذ يطلبون نفسه، ولكن قوما منهم ومن غيرهم تسوروا داره، فرماهم بعض عبيده بالسهام، فجرح بعضهم، فقادت الضرورة إلىٰ النزول والإحاطة به، وتسرع إليه واحد منهم فقتله، ثم إن ذٰلك القاتل قتل في ذٰلك الوقت.

---

(١) نهج البلاغة (ج٣، ص٦٣).　　(٢) الجزء ١٦ (ص١٥٦).

(٣) في المصدر: يشكل.　　(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: الفساق العصاة.

(٦) في المصدر: ما.

وقد ذكرنا فيما تقدم، وشرحناه، فلا يلزم من فسق ذٰلك القاتل وعصيانه أن يفسق الباقون، لأنهم ما أنكروا إلا المنكر، وأما القتل فلم يقع منهم، لا راموه ولا أرادوه، فجاز أن يقال: إنهم غضبوا لله، وأن يثنىٰ عليهم ويمدحهم.

أقول: لا يخفىٰ ما في جواب ابن أبي الحديد من البعد في تأويله ومخالفته الظاهر المعلوم في حال المصريين، وهم من أشد من ألب علىٰ عثمان وعلىٰ قتله، بل في هٰذا التأويل طعون علىٰ عثمان لمن تأمل.

الباب الثالث عشر

تحليه عثمان بناته بحلي بيت المال

ابن أبي الحديد قال[1]: روىٰ الزبير بن بكار[2]، عن الزهري، قال: لما أتي عمر بجوهر كسرىٰ، وضع في المسجد، فطلعت عليه الشمس فصار كالجمر، فقال لخازن بيت المال: ويحك أرحني من هٰذا واقسمه بين المسلمين، فإن نفسي تحدثني أنه سيكون في هٰذا بلاء وفتنة بين الناس.. فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن قسمته بين المسلمين لم يسعهم وليس لأحد[3] يشتريه لأن ثمنه عظيم، ولكنه ندعه إلىٰ قابل فعسىٰ الله أن يفتح علىٰ المسلمين بمال فيشتريه منهم من يشتريه.. قال: ارفعه فأدخله بيت المال، وقتل عمر وهو بحاله، فأخذه عثمان لما ولي الخلافة فحلىٰ به بناته.

قال الزبير: فقال الزهري: كل قد أحسن، عمر حين حرم نفسه وأقاربه، وعثمان حين وصل أقاربه.

(١) في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص١٦).
(٢) في كتابه الأخبار الموفقيات (ص٦١٢).
(٣) في المصدر: أحد.

الباب الرابع عشر

إن عثمان حمال خطايا

ابن أبـي الحديد قـال[١]: قال الزبير بـن بـكار[٢]: وحدثنـا محمد بن حرب، قال: حدثنا سـفيان بن عيينة، عن إسـماعيل بن أبـي خالد، قال: جـاء رجل إلىٰ عليعليه‌السلام يستشـفع به إلىٰ عثمـان، فقـال: حمال الخطايـا! لا والله لا أعـود إليه أبدا، [فآيسه منه][٣].

قـال[٤]: وروىٰ الأعمـش عن الحكم بـن عيينـة[٥]، عن قيس بن أبـي حازم، قال: سـمعت علياًعليه‌السلام علىٰ منبر الكوفة وهو يقـول: «**يا أبناء المهاجرين، انفروا إلىٰ أئمة الكفر، وبقية الأحزاب، وأولياء الشيطان، انفروا إلىٰ من يقاتل علىٰ دم حمال الخطايا، فوالله الذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه ليحمل خطاياهم إلىٰ يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئا**».

وروىٰ أبو نعيم الحافـظ، قال: حدثنا أبـو عاصم الثقفي، قـال: جاءت امرأة من بني عبس إلىٰ علـيعليه‌السلام، وهو يخطب بهـذه الخطبة علىٰ منبـر الكوفة، ثم ذكر حديثها[٦].

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص١٧).

(٢) في الموفقيات (ص٦١٠).

(٣) من شرح نهج البلاغة.

(٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص١٩٤).

(٥) في المصدر: عتيبة.

(٦) شرح نهج البلاغة (ج٢، ص١٩٥).

الباب الخامس عشر

في أمر عائشة بقتل عثمان وإعانة طلحة، وخذلان زيد بن ثابت مع إعطاه ما أعطاه وخذلان ابن عمر له

ابن أبي الحديد روىٰ في حديث عن بعضهم أنه قال[١]: هٰذه عائشة أم المؤمنين خرجت بقميص رسول اللهﷺ، فقالت للناس: (هٰذا قميص رسول الله لم يبل، وعثمان قد أبلىٰ سنته).. ثم تقول: (اقتلوا نعثلا، قتل الله نعثلا)[٢].

ثم لم ترض بذلك حتىٰ قالت: (أشهد أن عثمان جيفة علىٰ الصراط غدا)[٣].

فمن الناس من يقول: روت في ذٰلك خبرا، ومن الناس من يقول: هو موقوف عليها، وبدون هٰذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامة زنديقا.

ثم قد حصر عثمان وحصره[٤] أعيان الصحابة، فما كان أحد ينكر ذلك، ولا يعظمه، ولا يسعىٰ في إزالته، وإنما أنكروا علىٰ من أنكر من الحاضرين[٥] له، وهو رجل كما علمتم من وجوه أصحاب رسول اللهﷺ، ثم من أشرافهم، ثم هو أقرب إليه من أبي بكر وعمر، وهو مع ذٰلك إمام المسلمين، والمختار منهم للخلافة، وللإمام حق علىٰ رعيته عظيم، فإن كان القوم قد أصابوا فإذن ليست الصحابة في الموضع الذي وضعتها به العامة، وإن كانوا ما أصابوا فهٰذا هو الذي نقوله من أن الخطأ جائز علىٰ آحاد الصحابة كما يجوز علىٰ آحادنا اليوم، ولسنا نقدح في الإجماع ولا ندعي إجماعا حقيقيا علىٰ قتل عثمان، وإنما نقول: إن كثيرا من المسلمين فعلوا ذٰلك والخصم يسلم إن ذٰلك كان خطأ ومعصية، فقد سلم أن الصحابي يجوز أن يخطئ ويعصي، وهو المطلوب.

قال[٦]: روىٰ الواقدي في كتاب الدار: أن مروان بن الحكم لما حصر عثمان الحصر الأخير جاء[٧] إلىٰ زيد بن ثابت فاستصحبه إلىٰ عائشة ليكلمها في هٰذا

(١) في شرح نهج البلاغة (ج٢٠، ص٢٢).

(٢) الإمامة والسياسة (ج١، ص٤٣) وتاريخ الطبري (ج٤، ص٤٠٧) وتاريخ اليعقوبي (ج٢، ص١٥٢) وتذكرة الخواص (ص٦١) والكامل في التاريخ (ج٣، ص٢٠٦) وغيرها.

(٣) أنساب الأشراف (ج٥، ص١٠٥). (٤) في المصدر: حصرته.

(٥) في المصدر: أنكر على المحاصرين.

(٦) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٣، ص٧).

(٧) في المصدر: أتى.

الأمر، فمضيا إليها وهي عازمة علىٰ الحج، فكلماها في أن تقيم وتذب عنه، فأقبلت علىٰ زيد بن ثابت، فقالت: وما منعك يا ابن ثابت ولك الأساويف قد اقتطعكها عثمان، ولك كذا وكذا، وأعطاك عثمان من بيت المال زهاء عشرة آلاف دينار.. قال زيد: فلم ارجع عليها حرفا واحدا، وأشارت إلىٰ مروان بالقيام، فقام مروان وهو يقول:

حرق قيس علىٰ البلاد
حتىٰ إذا اضطرمت أجذما[1]

فنادته عائشة وقد خرج من العتبة: يا ابن الحكم؛ أعليّ تمثل الأشعار، قد والله سمعت ما قلت، أتراني في شك من صاحبك، والذي نفس محمد[2] بيده لوددت أنه الآن في غرارة من غرائري مخيط عليه، فألقيه في البحر الأخضر.

قال زيد بن ثابت: فخرجنا عندها علىٰ اليأس منها.

وروىٰ الواقدي: أن زيد بن ثابت اجتمع عليه عصابة من الأنصار، وهو يدعوهم إلىٰ نصرة عثمان، فوقف عليه جبلة بن عمرو بن حبة المازني، فقال له: وما يمنعك يا زيد أن تذب عنه؟ أعطاك عشرة آلاف دينار وحدائق من نخل لم ترث عن أبيك مثل حديقة منها.

فأما ابن عمر فإن الواقدي روىٰ أيضا عنه أنه قال: والله ما كان فينا إلا خاذل أو قاتل، والأمر في[3] هٰذا أوضح من أن يخفىٰ.

وروي[4]: أن عثمان كان يقول يوم الدار: (اللهم اكفني طلحة) ويكرر ذلك، علما بأنه أشد القوم عليه.وروي: أن طلحة كان عليه يوم الدار درع، وهو يرامي الناس، ولم ينزع عن القتال حتىٰ قبل[5] الرجال.

---

(١) البيت للربيع بن زياد من أبيات في الحماسة بشرح المرزوقي (ج٢، ص٤٨٤).
(٢) في المصدر: والذي نفسي.
(٣) في المصدر: على.
(٤) الكامل في التاريخ (ج٣، ص١٧٤).
(٥) في المصدر: قتل.

الباب السادس عشر

في أن قتل عثمان مباح عند أمير المؤمنين عليه السلام

ابن أبي الحديد قال(١): ومن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في معنىٰ قتل عثمان: «**لو أمرت به لكنت قاتلا، أو نهيت عنه لكنت ناصرا، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير مني، وأنا جامع لكم أمره، استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله حكم واقع في المستأثر والجازع**»(٢).

قال في الشرح(٣): هٰذا الكلام بظاهره يقتضي أنه[عليه السلام] ما أمر بقتله، ولا نهىٰ عنه، فيكون دمه عنده في حكم الأمور المباحة التي لا يؤمر بها، ولا ينهىٰ عنها، غير أنه لا يجوز أن يحمل الكلام علىٰ ظاهره، لما ثبت من عصمة دم عثمان، وأيضا فقد ثبت في السير والأخبار أنه كان[عليه السلام] ينهىٰ الناس عن قتله، فإذا يجب أن يحمل لفظ النهي علىٰ المنع كما يقال: الأمير ينهىٰ عن نهب أموال الرعية، أي يمنع، وحينئذ يستقيم الكلام لأنه عليه السلام ما أمر بقتله ولا منع عن قتله، وإنما كان ينهىٰ عنه باللسان ولا يمنع عنه باليد.

وقال عليه السلام في معنىٰ قتل عثمان يجري هٰذا المجرىٰ نحو قوله: «**ما سرني ولا ساءني**».

وقيل له: أرضيت بقتله؟ فقال[عليه السلام]: «**لم أرض**».. فقيل له: أفسخطت بقتله؟ فقال[عليه السلام]: «**لم أسخط**».. وقوله تارة: «**الله قتله وأنا معه**».. وقوله تارة أخرىٰ: «**ما قتلت عثمان ولا مالأت في قتله**».. وقوله تارة أخرىٰ: «**كنت رجلا من المسلمين أوردت إذا وردوا، وأصدرت إذا صدروا**»، لكل شيء من كلامه إذا صح عنه تأويل تعرفه أولوا الألباب.

فأما قوله[عليه السلام]: «**غير أن من نصره**»؛ كلام معناه: إن خاذليه كانوا خيرا من ناصيره، لأن الذين نصروه كان أكثرهم فساقا، كمروان بن الحكم وأضرابه، وخذله المهاجرون والأنصار.

---

(١) في شرح نهج البلاغة (ج٢، ص١٢٦).

(٢) نهج البلاغة (ج١، ص٧٥).

(٣) الجزء الثاني (ص١٢٦).

فأما قوله[عليه السلام]: «**وأنا جامع لكم أمره...**» إلىٰ آخر الفصل، فمعناه: أنه فعل ما لا يجوز وفعلتم ما لا يجوز، أما هو شر فـ«**استأثر فأساء الأثرة**»؛ أي: استبد بالأمور فأساء في الاستبداد، وأما أنتم فـ«**جزعتم**» مما فعل، أي: حزنتم «**فأسأتم الجزع**»، لأنكم قتلتموه، وقد كان الواجب عليه أن يرجع عن استئثاره، وكان الواجب عليكم ألا تجعلوا جزاءه عما أذنب القتل، بل الخلع والحبس وترتيب غيره في الإمامة.

ثم قال[عليه السلام]: «**ولله حكم**» سيحكم به فيه وفيكم.

الباب السابع عشر

في القطايع وغيرها التي ردها أمير المؤمنين عليه السلام من أحداث عثمان

عن ابن أبي الحديد، قال[1]: ومن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام فيما رده علىٰ المسلمين من قطائع عثمان: «**والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الإماء لرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق**»[2].

قال في الشرح[3]:

الـ«**قطائع**»: الإمام يقطع[4] بعض الرعية من أرض بيت المال ذات الخراج، ويسقط عنه خراجه، ويجعل عليه ضريبة يسيره عوضا عن الخراج.

وقد كان عثمان أقطع كثيرا من بني أمية وغيرهم من أوليائه وأصحابه قطائع من أرض الخراج علىٰ هٰذه الصورة، وقد كان عمر أقطع قطائع، ولكن أرباب[5] الغناء في الحرب والإثارة المشهورة في الجهاد، وجعل[6] ذٰلك ثمنا عما بذلوه من مهجهم في طاعة الله سبحانه، وعثمان أقطع القطائع صلة لرحمه، وميلا إلىٰ أصحابه، من غير عناء في الحرب ولا أثر في الإسلام.

(١) في شرح نهج البلاغة (ج١، ص٢٦٩).
(٢) نهج البلاغة (ج١، ص٤٦).
(٣) الجزء الأول (ص٢٦٩).
(٤) في المصدر: ما يقطعه الإمام.
(٥) في المصدر: لأرباب.
(٦) في المصدر: فعل.

وهذه الخطبة ذكرها الكلبي مروية مرفوعة إلىٰ أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنه[١]: إن علياً عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة، فقال: «**ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت مال المسلمين[٢]، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد[٣] تزوج به النساء، وفرق في البلدان، لرددته إلىٰ حاله، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عنه الحق فالجور عنه[٤] أضيق**».

وتفسير هٰذا الكلام: أن الوالي إذا ضاق عليه تدبيرات أموره في العدل فهو[٥] في الجور أضيق [عليه][٦]، لأن الجائر في مظنة أن يمنع ويصد عن جوره.

قال الكلبي: [ثم][٧] أمر أمير المؤمنين عليه السلام بكل سلاح وجد لعثمان في داره، مما يقوىٰ[٨] به علىٰ المسلمين فقبض، وأمر بقبض نجايب [كانت][٩] في داره من إبل الصدقة، فقبضت، وأمر بقبض سيفه ودرعه، وأمر أن لا يعرض بسلاح[١٠] وجد له مما لم يقاتل به المسلمون، وما تخلف[١١] عن جميع أمواله التي وجدت بداره وبغير[١٢] داره، وأمر أن يرجع[١٣] الأموال التي أجاز بها عثمان حيث أصيب أو أصيب أصحابها.

فبلغ ذٰلك عمرو بن العاص، وكان بايلة[١٤] من أرض الشام، أتاها حيث وثب الناس علىٰ عثمان، فنزلها فكتب إلىٰ معاوية: ما كنت صانعا فاصنع، إذا[١٥] قشرك (يا)[١٦] ابن أبي طالب من كل مال تملكه كما يقشر[١٧] عن العصا لحاها.

---

(١) في المصدر: رضي الله عنه. (٢) في المصدر: في بيت المال.
(٣) في المصدر: وقد. (٤) في المصدر: عليه.
(٥) في المصدر: فهي. (٦) من المصدر.
(٧) من المصدر. (٨) في المصدر: تقوى.
(٩) من المصدر.
(١٠) في المصدر: لسلاح.
(١١) في المصدر: وبالكف.
(١٢) في المصدر: وفي غير.
(١٣) في المصدر: ترجع.
(١٤) في المصدر: بآيلة.
(١٥) في المصدر: إذ.
(١٦) غير موجودة في المصدر.
(١٧) في المصدر: تقشر.

وقال الوليد بن عقبة، وهو أخو عثمان من أمه، يذكر قبض علي عليه السلام نجايب عثمان وسيفه وسلاحه شعرا:

بني هاشم ردوا سلاح ابن أختكم
ولا تنهبوه لا تحل مناهبه

بنو[1] هاشم كيف الهوادة بيننا
وعند علي درعه ونجائبه

بنو[2] هاشم كيف التودد منكم
وبز[3] ابن أروى فيكم وحرائبه[4]

بنو[5] هاشم لا[6] تردوا فينا[7]
سواء علينا قاتلاه وسالبه

بني هاشم إنا وما كان منكم
كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه

قتلتم أخي كيما تكونوا مكانه
كما غدرت يوما بكسري مرازبه[8]

فأجابه عبدالله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب[9] بأبيات طويلة، من جملتها شعرا:

فلا تسألونا سيفكم إن سيفكم
أضيع وألقاه لدى الروع صاحبه

وشبهته كسرى وقد كان مثله
شبيها بكسرى هديه وضرائبه

أي: كان كافرا كما كان كسرى كافرا.

---

(١) في المصدر: بني هاشم. (٢) في المصدر: بني.
(٣) متاع.
(٤) أي: وماله.
(٥) في المصدر: بني.
(٦) في المصدر: إلا.
(٧) في المصدر: فإننا.
(٨) نقلها المسعودي في مروج الذهب (ج٢، ص٣٥٦) باختلاف بسيط.
(٩) وفي المسعودي: إن الأبيات للفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب.

وكان المنصور (رم)[١] إذا أنشد هٰذا الشعر، يقول: لعن الله الوليد، [هو][٢] الذي فرق بين بني عبد مناف بهٰذا الشعر.

الباب الثامن عشر

في ذم أمير المؤمنين عليه السلام أبا بكر وعمر وعثمان

قال ابن أبي الحديد[٣]: ومن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام لما بويع بالمدينة: «ذمتي بما أقول رهينة..»، وساق الخطبة بما ذكره الرضي[٤] (رحمه الله تعالىٰ).

قال في الشرح[٥]: وهذه الخطبة من جلايل خطبه عليه السلام ومن مشهوراتها، وقد رواها الناس كلهم، وفيها زيادات حذفها الرضي (رضوان الله تعالىٰ عليه) إما اختصارا أو خوفا من إيحاش السامعين.

وقد ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في كتاب البيان والتبيين[٦] علىٰ وجهها، ورواها عن أبي عبيدة عن معمر بن المثنىٰ، قال: أول خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة في خلافته حمد الله وأثنىٰ عليه، وصلىٰ علىٰ النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال:

«ألا لا ترعين[٧] مرعىً إلا علىٰ نفسه، شغل من الجنة والنار أمامه، ساع مجتهد [ينجو][٨]، وطالب يرجو، أو مقصر[٩] في النار، ثلاثة، واثنان: ملك طائر[١٠] بجناحيه، ونبي أخذ الله بيده لا سادس، هلك[١١] من ادعىٰ، وردي من اقتحم، [فإن][١٢] اليمين والشمال

(١) هٰكذا ورد الرمز في المصدر ولعله يعني به (ره).

(٢) من المصدر.

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج ١، ص ٢٧٢).

(٤) في نهج البلاغة (ج ١، ص ٤٦).

(٥) الجزء الأول (ص ٢٧٥).

(٦) الجزء الثاني (من ص ٥٠ إلى ص ٥٢).

(٧) في المصدر: لا يرعين.

(٨) كما في البيان والتبيين.

(٩) في المصدر: ومقصر.

(١٠) في المصدر: طار.

(١١) في المصدر: لك.

(١٢) كما في البيان والتبيين.

مضلة، والوسطىٰ الجادة، منهج عليه باقي الكتاب والسنة وآثار النبوة، إن الله داوىٰ هٰذه الأمة بدواءين: بالسوط[١] والسيف، لا هوادة ضد[٢] الإمام فيهما، استتروا في بيوتكم، وأصلحوا ذات بينكم، والتوبة من ورائكم، من أبدىٰ صفحته للحق هلك، قد كانت لكم أمور ملتم فيها علي ميلة، لم تكونوا عندي فيها محمودين، [ولا مصيبين][٣]، أما إني لو شئت لقلت: عفا الله عما سلف، سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب، همته بطنه، ويحه[٤] لو قص جناحاه، وقطع رأسه لكان خير له.. انظروا فإن أنكرتم فأنكروا، وإن عرفتم فآزوروا، حق وباطل، ولكل أهل.. وإن[٥] أمر الباطل لقديما فعل، وإن قل الحق لربما ولعل، وقلما أدبر شيء فأقبل، ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء، وإني لأخشىٰ أن تكونوا في فترة، وما علينا إلا الاجتهاد».

قال شيخنا أبو عثمان (رم)[٦] وقال أبو عبيدة: وزاد فيها في رواية جعفر بن محمد عليه السلام عن آبائه عليهم السلام:

«إلا إن أبرار عترتي، وأطايب أرومتي، أحلم الناس صغارا، (وأعلم الناس صغارا)[٧]، وأعلم الناس كبارا، ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا، وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق و[٨]سمعنا، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا، [و][٩]معنا راية الحق من تبعها لحق، ومن تأخر عنها غرق، ألا وبنا تدرك ترة كل مؤمن، وبنا تخلع ربقة الذل عن أعناقكم، وبنا فتح الله لا بكم وبنا يختم الله لا بكم».

قال[١٠]:

قوله عليه السلام: «كالغراب» يعني: الحرص والجشع، والغراب يقع علىٰ الجيفة، ويقع علىٰ الثمرة، وعلىٰ الحبة، وفي الأمثال: (أجشع من غراب) و(أحرص من غراب).

---

(١) في المصدر: السوط. (٢) في المصدر: عند.
(٣) من البيان والتبيين.
(٤) في البيان والتبين: يا ويحه.
(٥) في المصدر: ولئن.
(٦) من المصدر: شرح نهج البلاغة.
(٧) غير موجودة في المصدر.
(٨) الواو غير موجودة في المصدر.
(٩) من المصدر.
(١٠) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج ١، ص ٢٧٩).

وقوله[عليه السلام]: «**ويحه لو قص**»، يريد: لو كان قتل أو مات قبل أن يتلبس بالخلافة لكان خيرا له، من أن يعيش ويدخل فيها، ثم قال لهم: أفكروا فيما قد قلت، فإن كان منكرا فأنكروه، وإن كان حقا فأعينوا عليه.

وقوله[عليه السلام]: «**استتروا في بيوتكم**» نهىٰ لهم عن العصبية[1] والاجتماع والتحزب، فقد كان قوم بعد قتل عثمان تكلموا في قتله من شيعة بني أمية بالمدينة.

وأما قوله[عليه السلام]: «**قد كانت أمور لم تكونوا عندي فيها محمودين**»، فمراده عليه السلام أمر عثمان، وتقديمه في الخلافة عليه، ومن الناس من يحمل ذٰلك علىٰ خلافة الشيخين أيضا، ويبعد عندي أن يكون أراده، لأن المدة قد كانت طالت، ولم يبق من يعاتبه ليقول: قد كانت أمور لم تكونوا عندي فيها محمودين، فإن هٰذا الكلام يشعر بمعاتبة قوم علىٰ أمر كان أنكره منهم.

وأما بيعة عثمان، ثم ما جرىٰ بينه وبين عثمان من منازعات طويلة، وغضب تارة، وصلح أخرىٰ، ومراسلات خشنة ولطيفة، وكون الناس بالمدينة كانوا حزبين وفئتين: إحديهما[2] معه عليه السلام، والأخرىٰ مع عثمان، فإن صرف الكلام إلىٰ ما قلناه بهٰذا الاعتبار أليق.

ولسنا نمنع من أن يكون في كلامه عليه السلام الكثير من التوجد والتألم لصرف الخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله عنه، وإنما كلامنا الآن في هٰذه اللفظات التي في هٰذه الخطبة، علىٰ أن قوله عليه السلام: «**سبق الرجلان**»، والاقتصار علىٰ ذٰلك فيه كفاية في انحرافه عنهما.

وأما قوله[عليه السلام]: «**حق وباطل**» إلىٰ آخر الفصل، فمعناه كل أمر فهو إما حق، وإما باطل، ولكل واحد من هذين أهل، وما زال أهل الباطل أكثر من أهل الحق، ولأن كان الحق قليلا فربما كثر، ولعله ينتصر أهله.

ثم قال[عليه السلام] علىٰ سبيل التضجر بنفسه: «**وقل ما أدبر شيء فأقبل**» استبعد عليه السلام أن تعود دولة قوم بعد زوالها عنهم، وإلىٰ هٰذا المعنىٰ ذهب الشاعر[3] في قوله شعرا:

---

(١) أو: المعصية.

(٢) في المصدر: إحداهما.

(٣) وهو أحمد بن بندار.

وقالوا: يعود الماء في النهر بعد ما
ذوي نبت جنبيه وجف المشارع
فقلت إلى أن يرجع النهر جاريا
ويعشب جنباه تموت الضفادع[(١)]

ثم قال[عليه السلام]: «وإن[(٢)] **رجعت عليكم أموركم**» أي: إن ساعدني الوقت، وتمكنت من أن أحكم فيكم بحكم الله تعالىٰ ورسوله[صلى الله عليه وآله]، وعادت إليكم شبيهة بأيام رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيرة مماثلة لسيرته في أصحابه، إنكم السعداء[(٣)].

ثم قال[عليه السلام]: «**وإني لأخشىٰ أن تكونوا في فترة**»، (الفترة) هي الأزمنة بين الأنبياء إذا انقطعت الرسل فيها، كالفترة التي بين عيسىٰ عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله، لأنه لم يكن بينهما نبي، بخلاف المدة التي كانت[(٤)] بين موسىٰ وعيسىٰ عليهما السلام، لأنه بعث فيها أنبياء كثيرون، فيقول عليه السلام: إني لأخشىٰ ألا أتمكن من الحكم بكتاب الله تعالىٰ فيكم، فتكونوا كالأمم الذين في أزمنة الفترة لا يرجعون إلىٰ نبي يشافههم بالشرائع والأحكام، وكأنه عليه السلام قد كان يعلم أن الأمر سيضطرب عليه.

ثم قال[عليه السلام]: «**وما علينا إلا الاجتهاد**»، يقول أنا أعمل ما يجب علي من الاجتهاد في القيام بالشريعة وعزل ولاة السوء، وأمراء الفساد عن المسلمين، فإن تم ما أريده فذاك، وإلا كنت قد أعذرت.

وأما التتمة المروية عن جعفر بن محمد عليهما السلام فواضحة الألفاظ، وقوله[عليه السلام] في آخرها: «**وبنا يختم الله لا بكم**» إشارة إلىٰ المهدي الذي يظهر في آخر الزمان، وأكثر المحدثين علىٰ أنه من ولد فاطمة عليها السلام[(٥)]، وأصحابنا المعتزلة [لا ينكرونه][(٦)]، وقد صرحوا بذكره في كتبهم، واعترف به شيوخهم، إلا أنه عندنا لم يخلق بعد، وسيخلق.

---

(١) في يتيمة الدهر (ج٣، ص٤٨٣): ضفادعه. (٢) في المصدر: ولئن.

(٣) في المصدر: لسعداء.

(٤) في المصدر: تكون.

(٥) تذكرة الحفاظ (ج٢، ص٤٦٣) وتهذيب الكمال (ج٩، ص٤٣٧) وسنن ابن ماجه (ج٢، ص١٣٦٨) وسنن أبي داوود (ج٤، ص٤٢٨٥) والعلل المتناهية (ج٢، ص٨٦٠) وكتاب الفتن (ص٢٣١)وكشف الخفاء (ج٢، ص٢٨٨) وكنز العمال (ج١٤، ص٢٦٤) والمستدرك للحاكم (ج٤، ص٥٥٧) وميزان الاعتدال (ج٢، ص٢٤٩) وغيرهم.

(٦) من المصدر.

وإلىٰ هٰذا المذهب يذهب أصحاب الحديث أيضا.

وروىٰ قاضي القضاة، عن كافي الكفاة أبي القاسم إسماعيل بن عباد، بإسناد متصل بعلي عليه السلام أنه ذكر المهدي عليه السلام، وقال: إنه من ولد الحسين عليه السلام، وذكر حليته[١]، فقال: رجل أجلىٰ الجبين[٢]، أقنىٰ الأنف[٣]، ضخم البطن، أزيل الفخذين[٤]، أبلج[٥] الثنايا، بفخذه اليمنىٰ شامة[٦].

وذكر هٰذا الحديث بعينه عبدالله بن قتيبة في كتاب غريب الحديث[٧].

الباب التاسع عشر

في المفردات

قال ابن أبي الحديد[٨] في حديث: قال عبدالرحمن بن عوف: ما كنت أرىٰ أن أعيش حتىٰ يقول لي [عثمان][٩]: يا منافق.

وقوله: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما وليت عثمان شسع نعلي.

وقال: اللهم إن عثمان قد أبىٰ أن يقيم كتابك فافعل به وافعل.

وقال عثمان لعلي رضي الله عنه في كلام دار بينهما، أبو بكر وعمر خير منك.. فقال علي[عليه السلام]: «**كذبت، أنا خير منك ومنهما، عبدت الله قبلهما وعبدته بعدهما**».

وقال[١٠]: روىٰ الزبير بن بكار، عن شداد بن عثمان، قال: سمعت عوف بن مالك في أيام عمر، يقول: يا طاعون خذني.. فقلنا له: لم تقول هذا، وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إن المؤمن لا يزيده طول العمر إلا خيرا**»؟ قال: إني أخاف ستا: خلافة بني أمية، وإمارة السفهاء من أحداثهم، والرشوة في الحكم، وسفك الدم الحرام، وكثرة الشرط، ونشئا ينشأ يتخذون القرآن مزامير.

---

(١) صفته. (٢) أي: الخفيف شعر ما بين النزعتين من الصدفين، والذي انحسر الشعر عن جبهته (النهاية: ج١، ص٢٩٠). (٣) القنا في الأنف: طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه (النهاية: ج٤، ص١١٦).

(٤) كناية عن أنهما عريضتين. (٥) أو: أفلج (أي: منفرجتين) [النهاية: ج٢، ص٣٢٥].

(٦) وورد الخبر أيضا في: عرف الوردي (ج٢، ص٥٨) وفرائد السمطين (ج٢، ص٣٣٠) وفيض القدير (ج٦، ص٢٢٧) وغيرها. (٧) الجزء الأول (ص٣٥٩).

(٨) في شرح نهج البلاغة (ج٢٠، ص٢٥).

(٩) من المصدر.

(١٠) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص١٧).

وقال الزبير، عن أبي غسان، عن عمر بن زياد بن الأسود بن قيس، عن عبيد بن حارثة، قال: سمعت عثمان وهو يخطب، فأكب الناس حوله، فقال: اجلسوا يا أعداء الله.. فصاح به طلحة: إنهم ليسوا بأعداء الله لكنهم عباده، وقد قرأوا كتابه.

وقال الزبير، عن سفيان بن عينية، عن إسرائيل، عن الحسن، قال: شهدت المسجد يوم جمعة، فخرج عثمان، فقام رجل، فقال: أنشد كتاب الله.. فقال عثمان: اجلس؛ أما لكتاب الله ناشد غيرك.. فجلس، ثم قام آخر فقال مثل مقالته، فقال: اجلس، فأبىٰ أن يجلس، فبعث إلىٰ الشرط ليجلسوه، فقام الناس فحالوا بينهم وبينه، قال: ثم تراموا بالبطحاء، حتىٰ يقول القائل: ما أكاد أرىٰ أديم السماء من البطحاء.. فنزل عثمان فدخل داره ولم يصل الجمعة.

قال[١]: وروىٰ الناس الذين صنفوا في واقعة الدار: أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب قد استتر به عن أعين الناس، يرمي الدار بالسهام.

وروي[٢] أيضا أنه لما امتنع علىٰ الذين حصروه الدخول من باب الدار، حملهم طلحة إلىٰ دار لبعض الأنصار، فأصعدهم علىٰ[٣] سطحها وتسوروا منها علىٰ عثمان داره فقتلوه.

ورووا أيضا أن الزبير كان يقول: اقتلوه فقد بدل دينكم.. فقالوا: إن ابنك يحامي عنه بالباب.. فقال: ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدئ بابني، إن عثمان لجيفة علىٰ الصراط غدا.

وقال[٤]: وروىٰ الطبري في التاريخ[٥]: إن عمر استعمل عتبة بن أبي سفيان علىٰ عمل[٦]، فقدم منه بمال، فقال [له][٧]: ما هٰذا يا عتبة؟ قال: ما خرجت به معي فتجرت[٨] فيه.. قال: وما لك تخرج المال معك إلىٰ هٰذا الوجه؟ فأخذ

---

(١) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٩، ص٣٥).

(٢) في المصدر: ورووا.

(٣) في المصدر: إلى.

(٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص٩٧).

(٥) الجزء الأول (ص٢٧٦٦، طبعة أوروبا).

(٦) في الطبري: على كنانة.

(٧) من المصدر.

(٨) في المصدر: وتجرت.

المال منه، فصيره في بيت المال، فلما قام عثمان قال لأبي سفيان: إنك إن طالبت[1] ما أخذه عمر من عتبة رددته عليك.. فقال له أبو سفيان: إياك وما هممت به، إنك إن خالفت صاحبيك من قبلك ساء رأي الناس فيك، إياك أن ترد علىٰ من كان قبلك فيرد عليك من بعدك.

وقال[2]: كتب عثمان إلىٰ أبي موسىٰ: إذا جاءك كتابي هٰذا فاعط الناس أعطياتهم، واحمل ما بقي إلي.. ففعل، وجاء زيد بن ثابت بالمال، فوضعه بين يدي عثمان، فجاء ابن لعثمان فأخذ منه استاندانة من فضة، فمضىٰ بها، فبكىٰ زيد.

قال عثمان: وما يبكيك؟ قال: اتيت عمر مثل ما اتيتك به، فجاء ابن له فأخذ درهما، فأمر به، فانتزع منه حتىٰ أبكىٰ الغلام، وإن ابنك قد أخذ هٰذه فلم أر أحدا قال شيئا.. فقال عثمان: إن عمر كان يمنع أهله وقرابته ابتغاء وجه الله، وأنا أعطي أهلي وأقاربي ابتغاء وجه الله، ولن يلقىٰ مثل عمر[3].

وقال في حديث يرويه عن بعض المشائخ: إن الصحابة قد يرون بعض المنكرات لا ينهون عنه.

قال[4] ولا رأينا أصحاب رسول الله ﷺ أنكروا علىٰ عثمان دوس بطن عمار[5]، ولا كسر ضلع ابن مسعود، ولا علىٰ عمار وابن مسعود ما تلقيا من عثمان.

قال: ولم تلزم الصحابة أنفسها حفظ رسول الله ﷺ في صهره وابن عمه عثمان بن عفان فقد قتلوه، وقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة منهم عائشة[6]، كانت تقول: اقتلوا نعثلا، لعن الله نعثلا[7].

---

(١) في المصدر: طلبت. (٢) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج١٢، ص١٠٦).

(٣) في تاريخ الطبري (ج٣، ص٢٩١): ولن يلقى مثل عمر ثلاثة.

(٤) ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (ج٢٠، ص٢٠).

(٥) الإمامة والسياسة (ص٣٥) وفي طبعة أخرى (ص٥٠) وأنساب الأشراف (ج٥، ص٤٨).

(٦) ومنهم عبدالله بن مسعود.. ولقد لعن معاوية علي بن أبي طالب[ﷺ] وابنيه حسنا وحسينا[ﷺ] وهم أحياء يرزقون بالعراق، وهو يلعنهم بالشام على المنابر، ويقنت عليهم في الصلوات.. وقد لعن أبو بكر وعمر سعد بن عبادة وهو حي، وبرئا منه، وأخرجاه من المدينة إلى الشام.. ولعن عمر خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة.. وما زال اللعن فاشيا في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضي اللعن والبراءة.

(٧) تاريخ الطبري (ج٤، ص٤٥٩) والعقد الفريد (ج٥، ص٤٠) والكامل في التاريخ (ج٣، ص٢٠٦) وغيرها.

وقال: هٰذا عثمان قد نفىٰ أبا ذر إلىٰ الربذة كما يفعل بأهل الخيانة والريب.

وهٰذا عمار وابن مسعود يلعنان[١] عثمان بما يلعنان[٢] به لما ظهر لهما بزعمهما منه ما وعظاه لأجله، ثم فعل بهما عثمان ما تناهىٰ إليكم، ثم فعل القوم بعثمان ما قد علمتم وعلم الناس كلهم.

[خاتمة المصنف]

وعلىٰ هٰذا نقطع الكلام.

والصلاة والسلام علىٰ محمد وآله الأئمة الأعلام.

وجرىٰ ذٰلك باليوم الحادي عشر، من شهر ربيع الأول، من سنة الحادية والماية والألف، علىٰ يد مؤلفه فقير الله الغني، عبده: هاشم بن سليمان بن إسماعيل بن عبدالجواد الحسيني (عفىٰ الله عنهم بمنه وكرمه)[٣].

[رسالة ملحقة في آخر مخطوطة الكتاب]

رسالتان للجاحظ

في حق آل بيت محمد الكرام عليهم السلام قال الشيخ الفاضل الورع التقي علي بن عيسىٰ[٤] (رحمه الله تعالىٰ)، قال في مطلع كتابه كشف الغمة[٥]، فيذكر فنذكر شيئا:

---

(١) في المصدر: تلقيا.

(٢) في المصدر: تلقياه.

(٣) وبحمد الله أكملنا مقابلة المطبوع على المخطوط مع الأخ هاشم العراقي يوم السبت التاسع من ربيع الأول، وأكملنا مراجعة الكتاب وإرساله للإخراج والطباعة في يوم الاثنين ١١ ربيع الأول من سنة ١٤٣٥ للهجرة.

(٤) الملقب بـ(بهاء الدين) وعبر عنه المحدث الشيخ يوسف البحراني قدس سره في الحدائق الناضرة (ج٤، ص١٥٢) بـ(الوزير السعيد) أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، وهو من العلماء الأجلاء في القرن السابع، قال عنه الحر العاملي قدس سره في أمل الآمل (ج٢، ص١٩٥): كان عالما، فاضلا، محدثا، ثقة شاعرا، أديبا، منشئا، جامعا للفضائل والمحاسن، له كتب منها: كشف الغمة في معرفة الأئمة[عليهم السلام]، جامع حسن، فرغ من تأليفه سنة ٦٨٧، وله رسالة الطيف، وديوان شعر، وعدة رسائل، وله شعر كثير في مدائح الأئمة عليهم السلام، ذكر جملة منها في كشف الغمة منقولة من قصيدة:

وإلى أمير المؤمنين بعثتها	مثل السفاين عمن في تيار
تحكي السهام إذا قطعن مفازة	وكأنها في دقة الأوتار

وذكر جملة من قصائده.

(٥) الجزء الأول (ص٢٩).

(فصل)

[في فضل بني هاشم وشرفهم ومزاياهم]

قبل الشروع في ذكر علي وأولاده عليهم السلام نذكر شيئا مما يتعلق بفضل بني هاشم وشرفهم، وما لهم من المزايا التي فضلوا بها علىٰ الناس، ومن ذٰلك رسالة وقعت إليّ من كلام أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ[1] أذكرها مختصرا لها، قال:

اعلم حفظك الله أن أصول الخصومات معروفة بينة، وأبوابها مشهورة، كالخصومة بين الشعوبية[2] والعرب، والكوفي والبصري، والعدناني والقحطاني، فهذه الأبواب الثلاثة أنقض للعقول السليمة، وأفسد للأخلاق الحسنة من المنازعة في القدر والتشبيه، وفي الوعد والوعيد، و[في][3] الأسماء والأحكام، وفي الآثار وتصحيح الأخبار، وأنقض من هٰذه للعقول تمييز الرجال وترتيب الطبقات، وذكر تقديم علي[عليه السلام] وأبي بكر.

فأولىٰ الأشياء بك القصد وترك الهوىٰ، فإن اليهود نازعت النصارىٰ في المسيح، فلج بهما القول، حتىٰ قالت اليهود: إنه ابن يوسف النجار، وإنه لغير رشدة[4]، وإنه صاحب نيرنج[5] وخدع ومخاريق، وناصب شرك، وصياد سمك، وصاحب شص[6] وشبك، فما يبلغ من عقل صياد وربيب نجار.

وزعمت النصارىٰ أنه رب العالمين، وخالق السماوات والأرضين وإله الأولين والآخرين.

فلو وجدت اليهود أسوأ من ذٰلك القول لقالته فيه، ولو وجدت النصارىٰ أرفع من ذٰلك القول لقالته فيه وعلىٰ هذا.

---

(١) الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الليثي البصري اللغوي النحوي، كان من غلمان النظام، وكان مائلا إلى النصب والعثمانية، وله كتب منها (العثمانية) التي ينقض فيها على أبي جعفر الاسكافي والشيخ المفيد والسيد ابن طاووس، وطال عمره وأصابه الفالج في آخر عمره، ومات في البصرة سنة ٢٥٥ للهجرة.

(٢) الشعوبية نزعة تميل إلى الحط من شأن العرب، وتفضيل غيرهم من الأمم عليهم.

(٣) من المصدر.

(٤) الرشدة بكسر الراء وسكون المعجمة يقال لمن كان من غير نكاح صحيح، أي: ولد زنية.

(٥) فارسي معرب، تعني: المكر والحيلة.

(٦) شيء يصاد به السمك (الصحاح: ج٣، ص١٠٤٣).

قال علي عليه السلام: «**يهلك فيّ رجلان: محب مفرط، ومبغض مفرط**»[١].

فالرأي[٢] كل الرأي أن لا يدعوك حب الصحابة إلىٰ بخس عترة الرسول صلى الله عليه وآله حقوقهم وحظوظهم، فإن عمر بن الخطاب لما كتبوا الدواوين وقدموا ذكره أنكر ذلك، وقال: ابدءوا بطرفي النبي[٣] صلى الله عليه وآله وضعوا آل الخطاب حيث وضعهم الله.. قالوا: فأنت أمير المؤمنين.. فأبىٰ إلا تقديم بني هاشم وتأخر نفسه، فلم ينكر عليه منكر، وصوبوا رأيه، وعدوا ذٰلك من مناقبه.

واعلم أنه تعالىٰ[٤] لو أراد أن يسوي بين بني هاشم وبين الناس لما أبانهم بسهم ذوي [القربىٰ][٥]، ولما قال: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[٧].

وإذا كان لقومه في ذٰلك ما ليس لغيرهم فكل من كان أقرب كان أرفع، ولو سواهم بالناس لما حرم عليهم الصدقة، وما هٰذا التحريم إلا لإكرامهم علىٰ الله، ولذلك قال صلى الله عليه وآله للعباس حيث طلب ولاية الصدقات: «**لا أوليك غسالات خطايا الناس وأوزارهم، بل أوليك سقاية الحاج، والإنفاق علىٰ زوار الله تعالىٰ**»، ولهٰذا كان رباه أول ربا وضع، ودم ربيعة بن حارث أول دم أهدر، لأنهما القدوة في النفس والمال.

ولهٰذا قال علي عليه السلام علىٰ منبر الجماعة: «**نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد من الناس**»[٨].

وصدق عليه السلام، وكيف يقاس بقوم منهم رسول الله صلى الله عليه وآله والأطيبان علي وفاطمة[عليهما السلام]، والسبطان الحسن والحسين[عليهما السلام]، والشهيدان أسد الله [حمزة][٩] وذو الجناحين [جعفر][١٠]، وسيد الوادي عبدالمطلب، وساقي الحجيج العباس،

---

(١) نهج البلاغة (ج٤، ص١٠٨). (٢) في المصدر: والرأي.

(٣) في المصدر: رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٤) في المصدر: إن الله.

(٥) من المصدر.

(٦) الآية ٢١٤ من سورة الشعراء.

(٧) الآية ٤٤ من سورة الزخرف.

(٨) شرح الأخبار (ج٢، ص٢٠٢).

(٩) من المصدر.

(١٠) من المصدر.

وحليم البطحاء والنجدة والخير فيهم، والأنصار أنصارهم، والمهاجر من هاجر إليهم ومعهم، والصديق من صدقهم، والفاروق من فرق بين الحق والباطل فيهم، والحواري حواريهم، وذو الشهادتين لأنه شهد لهم، ولا خير إلا فيهم، ولهم ومنهم [ومعهم](١).

وقال ﷺ فيما أبان به أهل بيته: «**إني تارك فيكم الخليفتين، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلىٰ الأرض وعترتي أهل بيتي، نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتىٰ يردا علي الحوض**»(٢).

ولو كانوا كغيرهم لما قال عمر حين طلب مصاهرة علي[عليه السلام]: إني سمعت النبي ﷺ يقول: «**كل نسب وسبب(٣) منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي**»(٤).

واعلم أن الرجل قد ينازع في تفضيل ماء دجلة علىٰ ماء الفرات، فإن لم يتحفظ وجد في قلبه علىٰ شارب ماء دجلة رقة لم يكن يجدها، ووجد في قلبه غلظة علىٰ شارب ماء الفرات لم يكن يجدها، فالحمد لله الذي جعلنا لا نفرق بين أبناء نبينا ورسلنا، نحكم لجميع المرسلين بالتصديق، ولجميع السلف بالولاية، ونخص بني هاشم بالمحبة، ونعطي كل امرئ قسطه من المنزلة.

فأما علي بن أبي طالب عليه السلام فلو أفردنا لأيامه الشريفة، ومقاماته الكريمة، ومناقبه السنية، كلاما لأفنينا في ذٰلك الطوامير الطوال.

العرق صحيح، والمنشأ كريم، والشأن عظيم، والعمل جسيم، والعلم كثير، والبيان عجيب، واللسان خطيب، والصدر رحيب، فأخلاقه وفق أعراقه، وحديثه يشهد لقديمه، وليس التدبير في وصف مثله إلا ذكر جميل قدره، لا(٥) استقصاء جميع حقه، وإن(٦) كان كتابنا لا يحتمل تفسير جميع أمره ففي هٰذه الجملة بلاغ لمن أراد معرفة فضله.

وأما الحسن والحسين عليهما السلام فمثلهما مثل الشمس والقمر، فمن أعطي ما في الشمس والقمر من المنافع العامة والنعم [الشاملة](٧) التامة، بل(٨) لو لم

(١) من المصدر. (٢) كفاية الأثر (ص١٢٨).

(٣) في المصدر: سبب ونسب. (٤) شرح الأخبار (ج٢، ص٥٠٧).

(٥) في المصدر: و.

(٦) في المصدر: فإذا.

(٧) في المصدر: و.

(٨) من المصدر.

يكونا ابني علي من فاطمة عليهما السلام، ورفعت من وهمك كل رواية، وكل سبب توجبه القرابة، لكنت لا أقرن[1] بهما أحدا من أجلة من أولاد المهاجرين والصحابة إلا أراك فيهما الإنصاف من تصديق قول النبي ﷺ إنهما: «**سيدا شباب أهل الجنة**»[2]، وجميع من هما [سادته][3] سادة (أهل)[4] الجنة لا يدخل[5] إلا بالصدق والصبر، وإلا بالحلم والعلم، وإلا بالطهارة والزهد، و[إلا بالعبادة][6] والطاعة الكثيرة، والأعمال الشريفة، والاجتهاد، والإثرة، والإخلاص في النية، فدل علىٰ أن حظهما في الأعمال المرضية والمذاهب الزكية فوق كل حظ.

وأما محمد بن الحنفية فقد أقر الصادر والوارد، والحاضر والبادي، أنه كان واحد زمانه ودهره ورجل عصره، وكان أتم الناس تماما وكمالا.

وأما علي بن الحسين[عليه السلام] فالناس علىٰ اختلاف مذاهبهم مجمعون عليه لا يمتري أحد في تدبيره، ولا يشك [أحد][7] في تقديمه، وكان أهل الحجاز يقولون: [لم نر ثلاثة في دهر يرجعون إلىٰ أب قريب][8] فرأيت كلهم يسمىٰ عليا، وكلهم يصلح للخلافة لتكامل خصال الخير فيهم، يعنون علي بن الحسين [بن علي عليه السلام[9]، وعلي بن عبدالله بن جعفر، وعلي بن][10] عبدالله بن العباس (رضي الله عنهم)، ولو عزونا بكتابنا[11] هٰذا ترتيبهم لذكرنا [رجال][12] أولاد علي عليه السلام لصلبه، وأولاد[13] الحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن

(١) في المصدر: تقرن.
(٢) مسند أحمد (ج٣، ص٣) وسنن ابن ماجه (ج١، ص٤٤) وسنن الترمذي (ج٥، ص٣٢١) وفضائل الصحابة للنسائي (ص٢٠) والمستدرك للحاكم (ج٣، ص١٦٧) وغيرها.
(٣) من المصدر.
(٤) غير موجودة في المصدر.
(٥) في المصدر: تدخل.
(٦) من المصدر.
(٧) من المصدر.
(٨) من المصدر.
(٩) في المصدر: عليهم السلام.
(١٠) من المصدر.
(١١) في المصدر: لكتابنا.
(١٢) من المصدر.
(١٣) في المصدر: وولد.

عبدالله بن جعفر، ومحمد بن علي بن عبدالله بن العباس، إلا أنا ذكرنا جملة من القول فيهم فاقتصرنا من الكثير [علىٰ القليل][١].

فأما النجدة فقد علم أصحاب الأخبار وحمال[٢] الآثار أنهم لم يسمعوا بمثل نجدة علي [بن أبي طالب عليه السلام][٣] وحمزة [رضي الله عنه][٤]، ولا بصبر جعفر الطيار [(رضوان الله عليه)][٥]، وليس في الأرض قوم أثبت جنانا، ولا أكثر مقتولا تحت ظلال السيوف، ولا أجدر أن يقاتلوا، [وقد][٦] فرت الأخيار، وذهبت الصنائع، وخام[٧] ذو البصيرة، وجاد أهل النجدة من رجالات بني هاشم، وهم كما قيل شعرا:

وخام[٨] الكمي[٩] وطاح اللواء
ولا تأكل الحرب إلا السمينا[١٠]

و كذلك قال دعبل[١١] حين وصفهم: أنجاد أمجاد ذوو ألسنة حداد.

وكذلك قال علي[عليه السلام][١٢] حين سئل عن بني هاشم وبني أمية: «**نحن أنجد وأمجد وأجود، وهم أمكر وأنكر وأغدر**».

وقال[عليه السلام] أيضا: «**نحن أطعم للطعام، وأضرب للهام**[١٣]».

وقد عرفت جفاء المكيين، وطيش المدنيين، وأعراق بني هاشم [مكية][١٤] ومناسبهم مدنية.

---

(١) من المصدر.
(٢) في المصدر: وحمالوا.
(٣) من المصدر.
(٤) من المصدر.
(٥) من المصدر.
(٦) من المصدر.
(٧) ضعف (كتاب العين: ج٤، ص٣١٦).
(٨) جبن.
(٩) الشجاع.
(١٠) في المصدر: إلا سمينا.
(١١) في المصدر: دغفل (وهو دغفل بن حنظلة النسابة أحد بني شيبان).
(١٢) من المصدر.
(١٣) للرؤوس.
(١٤) من المصدر.

ثم ليس في الأرض أطهر أخلاقا، ولا أظهر[١] بشرا، ولا أدوم دماثة[٢]، ولا ألين عريكة، ولا أطيب عشيرة، ولا أبعد مركزا[٣] منهم.

والحدة لا يكاد يعدمها الحجازي والتهامي، إلا أن حليمهم لا يشق غباره، وذلك في الخاص، والجمهور علىٰ خلاف ذلك حتىٰ تصير إلىٰ بني هاشم، فالحلم في جمهورهم، وذلك يوجد في الناس كافة، ولكنا نضن[٤] أنهم أتم الناس فضلا وأقلهم نقصا، وحسن الخلق في البخيل أسرع، وفي الذليل أوجد، وفيهم مع فرط جودهم، وظهور عزهم، من البشر الحسن، والاحتمال، وكرم التفاضل ما لا يوجد مع البخيل الموسر، والذليل المكثر، اللذين يجعلان البشر وقاية دون المال، وليس في الأرض خصلة تدعو إلىٰ الطغيان والتهاون بالأمور، وتفسد العقول، وتورث السكر، إلا وهي تعتريهم، وتعرض لهم [دون غيرهم][٥]، إذا قد جمعوا من الشرف العالي، والمغرس الكريم العز والمنعة، مع إبقاء الناس عليهم والهيبة لهم.

وهم في كل أوقاتهم وجميع أعصارهم فوق من هم علىٰ مثل ميلادهم، في الهيئة الحسنة، والمروءة الظاهرة، والأخلاق المرضية، وقد عرفت الحديث[٦] العزيز من فتيانهم، وذوو[٧] الغرامة من شبانهم، أنه إنه [افترىٰ][٨] لم يفتر عليه، وإن ضرب لم يضرب، ثم لا تجده إلا قوي الشهوة، بعيد الهمة، كثير المعرفة، مع خفة ذات اليد، وتعذر الأمور.

ثم لا تجد عند أفسدهم شيئا من المنكر إلا رأيت في غيره من الناس أكثر منه من مشايخ القبائل وجمهور العشائر، وإذا كان فاضلهم فوق كل فاضل، وناقصهم أنقص نقصانا من كل ناقص، فأي دليل أدل، وأي برهان أوضح مما قلته، وقد علمت أن الرجل منهم ينعت بالتعظيم، والرواية في دخول الجنة بغير

---

(١) في المصدر: أطهر.

(٢) سهولة الخلق.

(٣) في المصدر: من كبر.

(٤) في المصدر: نضمن.

(٥) من المصدر.

(٦) في المصدر: الحدث.

(٧) في المصدر: وذوي.

(٨) من المصدر.

حساب، ويتأول القرآن له، [ويزاد][(١)] في طمعه بكل حيلة، وينقص من خوفه، ويحتج له بأن النار لا تمسه، وأنه ليشفع في مثل ربيعة ومضر، وأنت تجد لهم مع ذٰلك العدد الكثير من الصوام والمصلين والتالين الذين لم يحاربهم أحد ولا تباريهم[(٢)].

كان أبو سفيان بن الحرب بن عبد المطلب يصلي في كل ليلة ألف ركعة، وكذا علي بن الحسين بن علي، وعلي بن عبدالله بن جعفر، وعلي بن عبدالله بن العباس[عليه السلام][(٣)] مع الحلم والعلم، وكظم الغيظ، والصفح الجميل، والاجتهاد المبرز، فلو أن خصلة من هٰذه الخصال، أو داعية من هٰذه الدواعي عرضت لغيرهم لهلك وأهلك.

[و][(٤)]اعلم أنهم لم يمتحنوا بهذه المحن، ولم يتحملوا هٰذه البلوىٰ، إلا لما قدموا من العزائم التامة، والأدوات الممكنة، ولم يكن الله ليزيدهم في المحنة إلا وهم يزدادون علىٰ شدة المحن خبرا، وعلىٰ التكشف تهذيبا.

ومن جملة أخرىٰ مما لعلي بن أبي طالب عليه السلام خاصة:

- الأب: أبو طالب.. و:
- الجد: عبدالمطلب بن هاشم.. و:
- الأم: فاطمة بنت أسد بن هاشم.. و:
- الزوجة: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، سيدة نساء أهل الجنة.. و:
- الولد: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.. و:
- الأخ: جعفر الطيار في الجنة.. و:
- العم: العباس وحمزة سيد الشهداء في الجنة.. و:
- العمة: صفية بنت عبد المطلب.. و:
- [ابن العم: رسول الله صلى الله عليه وآله..] و:
- أول هاشمي بين هاشميين (و)[(٥)]كان في الأرض [ولد أبو طالب][(٦)].

(١) من المصدر.
(٢) في المصدر: لا يجاريهم أحد ولا يقاربهم.
(٣) في المصدر: عليهم السلام.
(٤) كما في ينابيع المودة (ج١، ص٤٦٧).
(٥) غير موجودة في المصدر.
(٦) من المصدر.

والأعمال التي يستحق بها الخير أربعة:

[١] التقدم في الإسلام، و:

[٢] الذب عن رسول الله[صلى الله عليه وآله][١] وعن الدين، و:

[٣] الفقه في الحلال والحرام، و:

[٤] الزهد في الدنيا.

و هي مجتمعة في علي بن أبي طالب عليه السلام متفرقة في الصحابة.

وفي علي بن أبي طالب[عليه السلام] يقول أسد بن رقيم[٢] يحرض عليه قريشا، وإنه قد بلغ منهم علىٰ حداثة سنه ما لم يبلغه إنسان[٣].

◘ شعر:

في كل مجمع غاية أخزاكم
جذع[٤] أبر[٥] علىٰ المذاكي[٦] القرحِ

لله دركم ألما تنكروا قد
ينكر الضيم الكريم ويستحي

هٰذا ابن فاطمة الذي أفناكم
ذبحا ويمشي آمنا لم يجرح

أين الكهول وأين كل دعامة
للمعضلات وأين زين الأبطح

أفناكم[٧] ضربا بكل مهند صلت
وحد غزاره لم يصفح[٨]

وأما الجود؛ فليس علىٰ ظهرها[٩] جواد جاهلي ولا إسلامي، ولا عربي ولا عجمي، إلا وجوده [يكاد][١٠] يصير بخلا إذا ذكر جود علي [بن أبي

---

(١) من المصدر. (٢) في المصادر: أسيد بن أبي أياس بن زنيم بن صحبة بن عدي الدئلي.

(٣) في المصدر: ذوو الأسنان. (٤) الشاب الحدث. (٥) غلبهم.

(٦) الخيل التي مضى عليها سنة أو سنتان.

(٧) في المصدر: أفناهم.

(٨) أسد الغابة (ج٤، ص٢٠).

(٩) في المصدر: ظهر ألأرض.

(١٠) من المصدر.

طالب][1]عليه السلام، وعبدالله بن جعفر، وعبدالله بن العباس، والمذكورون بالجود منهم كثير، لكنا اقتصرنا.

ثم ليس في الأرض قوم أنطق خطيبا، ولا أكثر بدعا من غير تكلف ولا تكسب من بني هاشم، وقال أبو سفيان بن الحرث[2] شعر:

لقد علمت قريش غير فخر ... بأنا نحن أجودهم طعانا[3]

وأكثرهم دروعا سابغات ... وأمضاهم إذا طعنوا سنانا

وأدفعهم عن[4] الضراء فيهم[5] ... وأثبتهم[6] إذا نطقوا لسانا[7]

ومما يضم إلىٰ جملة القول في فضل علي [ابن أبي طالبعليه السلام][8]عليه السلام: أنه أطاع قبلهم ومعهم وبعدهم، وامتحن ما[9] لم يمتحن به ذو عزم، وابتلي بما لم يبتل به ذو صبر.

وأما جملة القول في ولد عليعليه السلام فإن الناس لم[10] يعظمون [أحدا من][11] الناس إلا بعد أن يصيبوا منهم وينالوا من فضلهم، وإلا بعد أن تظهر قدرتهم، وهم معظمون قبل الاختبار، وهم بذلك واثقون وبه موقنون، فلو لا أن هناك سرا كريما، وحتما عجيبا، وفضلا مبينا، وعرقا ناميا، لاكتفوا بذلك التعظيم، ولم يعانوا تلك التكاليف الشداد والمحن الغلاظ.

وأما المنطق والخطب فقد علم الناس كيف كان علي بن أبي طالبعليه السلام عند التفكير والتحبير، وعند الارتجال والندر[12]، وعند الإيجاز والإطناب في

---

(١) من المصدر. (٢) ابن عم النبيصلى الله عليه وآله.

(٣) في المصدر: حصانا. (٤) في الاستيعاب: لدى.

(٥) في الاستيعاب: عنهم. (٦) في الاستيعاب: وأبينهم.

(٧) الاستيعاب (ج٤، ص١٦٧٦).

(٨) من المصدر.

(٩) في المصدر: بما.

(١٠) في المصدر: لا.

(١١) من المصدر.

(١٢) في المصدر: البدأة.

وقتيهما، وكيف كان [كلامه][1] قاعدا وقائما، وفي الجماعات ومنفردا، مع الخبرة بالأحكام والعلم بالحلال والحرام.

وكيف كان عبدالله بن العباس [(رضوان الله عليه)][2] الذي [كان][3] يقال له الحبر والبحر، ومثل عمر بن الخطاب يقول له: غص يا غواص، وشنشنة[4] أعرفها من أخزم[5]، قلب عقول ولسان قئول.

ولو لم يكن لجماعتهم إلا لسان زيد بن علي بن الحسين، وعبدالله بن معاوية بن جعفر، لقرعوا بهما جميع البلغاء، وعلوا بهما علىٰ جميع الخطباء، ولذلك قالوا: أجواد أمجاد، وألسنة حداد، وقد ألقيت إليك جملة من ذكر آل الرسول، يستدل بالقليل منها علىٰ الكثير، وبالبعض علىٰ الكل.

والبغية في ذكرهم: أنك متىٰ عرفت منازلهم، ومنازل طاعاتهم، ومراتب أعمالهم، وأقدار أفعالهم، وشدة محنتهم، وأضفت ذٰلك إلىٰ [حق][6] القرابة، كان أدنىٰ ما يجب علينا وعليك الاحتجاج لهم، وجعلت بدل التوقف في أمرهم الرد علىٰ من أضاف إليهم ما لا يليق بهم، وقد تقدم من قولنا فيهم متفرقا ومجملا ما أغنىٰ عن الاستقصاء في هٰذا الكتاب.

تمت الرسالة، وهي بخط عبدالله بن الحسن الطبري.

▣ [الرسالة الثانية من رسائل الجاحظ]

ووقع إليّ رسالة أخرىٰ من كلامه أيضا، أثبتها أيضا مختصرا ألفاظها، وترجمتها[7]:

رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في الترجيح والتفضيل، نسخ من مجموع الأمير[8] أبي محمد الحسن بن عيسىٰ المقتدر بالله، قال:

هٰذا كتاب من اعتزل الشك والظن، والدعوىٰ والأهواء، وأخذ باليقين والثقة من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وبإجماع[9] الأمة بعد نبيها ﷺ مما

---

(١) من المصدر. (٢) من المصدر.
(٣) من المصدر. (٤) طبيعة وسجية.
(٥) رجل عاق لأبيه يضرب به المثل. (٦) من المصدر.
(٧) كشف الغمة (ج ١، ص ٣٧).
(٨) في المصدر: للأمير.
(٩) في المصدر: وإجماع.

تضمنه الكتاب والسنة، وترك القول بالآراء، لإنها[1] تخطئ وتصيب، لأن الأمة أجمعت أن النبيﷺ شاور الصحابة[2] في الأسرىٰ ببدر، واتفق رأيهم علىٰ قبول الفداء منهم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ ﴾ الآية[3]، فقد بان لك أن الرأي يخطيء ويصيب ولا يعطي اليقين، وإنما الحجة الطاعة لله ولرسوله، وما أجمعت عليه الأمة من كتاب الله وسنة نبيها، ونحن لم ندرك النبي ولا أحدا من الصحابة[4] الذين اختلفت الأمة في حقهم[5]، فنعلم أيهم أولىٰ ونكون معه[6]، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[7]، ونعلم أيهم علىٰ الباطل فنجتنبهم، [و][8]كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾[9] حتىٰ أدركنا العلم فطلبنا معرفة الدين وأهله، وأهل الصدق والحق، فوجدنا الناس مختلفين يبرأ بعضهم من بعض، ويجمعهم في حال اختلافهم فريقان:

(أحدهما) قالوا: إن النبيﷺ مات ولم يستخلف أحدا، وجعل ذٰلك إلىٰ المسلمين يختارونه فاختاروا أبا بكر.

والآخرون قالوا: إن النبيﷺ استخلف عليا[عليه السلام]، [فجعله][10] إماما للمسلمين بعده.

وادعىٰ كل فريق [منهم][11] الحق، فلما رأينا ذٰلك أوقفنا الفريقين لنبحث ونعلم المحق من المبطل.

فسألناهم جميعا: هل للناس بد من وال يقيم أعيادهم، ويجبي زكواتهم، ويفرقها علىٰ مستحقيها، ويقضي بينهم، ويأخذ لقويهم من لضعيفهم[12] من قويهم، ويقيم حدودهم؟

---

(١) في المصدر: فإنها. (٢) في المصدر: أصحابه.
(٣) الآية ٦٧ من سورة الأنفال. (٤) في المصدر: أصحابه.
(٥) في المصدر: أحقهم. (٦) في المصدر: معهم.
(٧) الاية ١١٩ من سورة التوبة.
(٨) من المصدر.
(٩) الآية ٧٨ من سورة النحل.
(١٠) من المصدر.
(١١) كما في المصدر.
(١٢) في المصدر: لضعيفهم من قويهم.

فقالوا: لا بد من ذلك.

فقلنا: هل لأحد أن يختار أحدا فيوليه بغير نظر في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله؟

فقالوا: لا يجوز ذلك إلا بالنظر.

فسألناهم جميعا: عن الإسلام الذي أمر الله به؟

فقالوا: إنه الشهادتان، والإقرار بما جاء من عند الله، والصلاة، والصوم، والحج بشرط الاستطاعة، والعمل بالقرآن يحل حلاله ويحرم حرامه.

فقبلنا ذلك منهم لإجماعهم، ثم سألناهم جميعا: هل لله خيرة من خلقه اصطفاهم واختارهم؟

فقالوا: نعم.

فقلنا: ما برهانكم؟

فقالوا: قوله تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾[١].

فسألناهم: من الخيرة؟

فقالوا: هم المتقون.

قلنا: ما برهانكم؟

قالوا: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[٢].

فقلنا: هل لله خيرة من المتقين؟

قالوا: نعم المجاهدون بأموالهم، [بدليل قوله تعالىٰ][٣]: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾[٤].

فقلنا: هل لله خيرة من المجاهدين؟

قالوا جميعا: نعم السابقون من المهاجرين إلىٰ الجهاد، [بدليل][٥] قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ﴾ الآية[٦].

---

(١) الآية ٦٨ من سورة القصص.

(٢) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

(٣) من المصدر.

(٤) الآية ٩٥ من سورة النساء.

(٥) من المصدر.

(٦) الآية العاشرة من سورة الحديد.

فقبلنا ذلك منهم لإجماعهم عليه، وعلمنا أن خيرة الله من خلقه المجاهدون السابقون إلىٰ الجهاد، ثم قلنا: هل لله خيرة منهم؟

قالوا: نعم.

قلنا: من هم؟

قالوا: أكثرهم عناء في الجهاد، وطعنا وضربا وقتلا في سبيل الله، [بدليل][1] قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[2] و﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾[3].

فقبلنا ذلك [منهم][4]، وعلمناه، وعرفنا أن خيرة الخيرة أكثرهم في الجهاد عناء، وأبذلهم لنفسه في طاعة الله، وأقتلهم لعدوه، فسألناهم عن هذين الرجلين علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي بكر، أيهما كان أكثر عناء في الحرب، وأحسن بلاء في سبيل الله؟

فأجمع الفريقان علىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[عليه السلام] أنه كان أكثر طعنا وضربا، وأشد قتالا، وأذب عن دين الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فثبت بما ذكرناه من إجماع الفريقين ودلالة الكتاب والسنة أن عليا عليه السلام أفضل.

وسألناهم ثانيا: عن خيرة الله تعالىٰ من المتقين؟

فقالوا: هم الخاشعون، لقوله[5] تعالىٰ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[6] إلىٰ قوله: ﴿مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾[7] وقال تعالىٰ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[8] ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾[9].

ثم سألناهم: من الخاشعون؟

قالوا: هم العلماء، لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[10].

ثم سألناهم جميعا: من أعلم الناس؟

---

(١) من المصدر. (٢) الآية السابعة من سورة الزلزلة.

(٣) الآية ١١٠ من سورة البقرة. (٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: بدليل قوله.

(٦) الآية ٣١ من سورة ق.

(٧) الآية ٣٣ من سورة ق.

(٨) الآية ١٣٣ من سورة آل عمران.

(٩) كما في العديد من الآيات القرآنية.

(١٠) الآية ٢٨ من سورة فاطر.

قالوا: أعلمهم بالقول، وأهداهم إلىٰ الحق، وأحقهم أن يكون متبوعا ولا يكون تابعا، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾(١) فجعل الحكومة إلىٰ أهل العدل.

فقبلنا ذٰلك منهم، ثم سألناهم عن أعلم الناس بالعدل من هو؟

قالوا: أدلهم عليه.

قلنا: فمن أدل الناس عليه؟

قالوا: أهداهم إلىٰ الحق وأحقهم أن يكون متبوعا ولا يكون تابعا، بدليل قوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾ الآية(٢).

فدل كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله والإجماع: أن أفضل الأمة بعد نبيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، لأنه: إذا كان أكثرهم جهادا كان أتقاهم، وإذا كان أتقاهم كان أخشاهم، وإذا كان أخشاهم كان أعلمهم، وإذا كان أعلمهم كان أدل علىٰ العدل، وإذا كان أدل علىٰ العدل كان أهدىٰ الأمة إلىٰ الحق، وإذا كان أهدىٰ كان أولىٰ أن يكون متبوعا وأن يكون حاكما لا تابعا ولا محكوما عليه.

وأجمعت الأمة بعد نبيها أنه خلف كتاب الله تعالىٰ ذكره، وأمرهم بالرجوع إليه إذا نابهم أمر، وإلىٰ سنة نبيه صلى الله عليه وآله فيتدبرونها، ويستنبطون منهما ما يزول به الاشتباه، لم نقول لقارئهم اقرأ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾(٣) فيقال له: أثبتها، ثم يقرأ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(٤)، وفي قراءة ابن مسعود: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، ثم يقرأ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾(٥)، فدلت هٰذه الآية علىٰ أن المتقين هم الخاشعون، ثم يقال له: اقرأ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(٦)، فننظر عند ذٰلك ونقول: هل العلماء أفضل من غيرهم أم لا فإذا ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٧)، وقوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾(٨) علمنا إنه تعالىٰ قد اختار العلماء وفضلهم ورفعهم درجات.

---

(١) الآية ٩٥ من سورة المائدة. (٢) الآية ٣٥ من سورة يونس.

(٣) الآية ٦٨ من سورة القصص. (٤) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

(٥) من الآية ٣١- ٣٣ من سورة ق. (٦) الآية ٢٨ من سورة فاطر.

(٧) الآية التاسعة من سورة الزمر.

(٨) الآية ١١ من سورة المجادلة.

وقد أجمعت الأمة علىٰ [أن][1] العلماء من أصحاب رسول الله ﷺ الذين يؤخذ عنهم العلم كانوا أربعة: علي بن أبي طالب عليه السلام، وعبدالله بن العباس، وابن مسعود، وزيد بن ثابت، وعمر بن الخطاب.

فسألنا الأمة: من أولىٰ [الناس][2] بالتقديم إذا حضرت الصلاة؟

فقالوا: إن النبي ﷺ قال: «**يؤم القوم أقرؤهم**»[3]، ثم أجمعوا أن الأربعة كانوا أقرأ لكتاب الله تعالىٰ من عمر، فسقط عمر.

ثم سألنا الأمة: أي هٰؤلاء الأربعة أقرأ لكتاب الله وأفقه لدينه؟

فاختلفوا، فوقفناهم حتىٰ نعلم، ثم سألناهم: أيهم أولىٰ بالإمامة؟

فقالوا أن النبي ﷺ قال: إذا كانا عالمين قرشيين فقيهين فأكبرهما سنا، وأقدمهما هجرة، فسقط ابن العباس، وبقي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو أحق بالإمامة، لما أجمعت عليه الأمة، ولدلالة الكتاب والسنة عليه.

هٰذا آخر رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.

---

(١) من المصدر.

(٢) من المصدر.

(٣) صحيح مسلم (ج٢، ص١٣٣).

المصادر والمراجع

بعد كتاب الله

(١) **الآحاد والمثاني**: لأحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك ابن مخلد الشيباني (المتوفى سنة ٢٨٧ للهجرة).

(٢) **الاحتجاج**: لأبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (المتوفى سنة ٥٤٨ للهجرة).

(٣) **أحكام القرآن**: لمحمد بن إدريس الشافعي (المتوفى سنة ٢٠٤ للهجرة).

(٤) **الأخبار الموفقيات**: للزبير بن بكار بن عبدالله القرشي الأسدي المكي (المتوفى سنة ٢٥٦ للهجرة).

(٥) **الأدب المفرد في الحديث**: لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري (المتوفى سنة ٢٥٦ للهجرة).

(٦) **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**: لشهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني المصري (المتوفى سنة ٩٢٣ للهجرة).

(٧) **إرشاد القلوب إلىٰ الصواب (المنجي من عمل به من أليم العقاب)**: للشيخ أبي محمد الحسن بن أبي الحسن بن محمد الديلمي (من أعلام القرن الثامن الهجري).

(٨) **الإرشاد في معرفة حجج الله علىٰ العباد**: للشيخ المفيد، أبي عبدالله محمد بن محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي (المتوفى سنة ٤١٣ للهجرة).

(٩) **أساس البلاغة**: لجار الله أبي القاسم محمود ابن عمر الزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨ للهجرة).

(١٠) **أسباب نزول الآيات**: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (المتوفى سنة ٤٦٨ للهجري).

(١١) **الاستيعاب في أسماء (أو: معرفة) الأصحاب**: لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى سنة ٤٦٣ للهجرة).

(١٢) **أسـد الغابة في معرفة الصحابة**: لابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبـي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشـيباني (المتوفىٰ سـنة ٦٣٠ للهجرة).

(١٣) **أسنىٰ المطالب في مناقب علي بن أبي طالب**عليه السلام: لشمس الدين أبي الخير، محمد بـن محمد بـن محمد بـن علي بن يوسـف الجزري الشـافعي الدمشـقي (المتوفىٰ سنة ٨٣٣ للهجرة).

(١٤) **الإصابـة في تمييـز الصحابة**: للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسـقلاني (المتوفىٰ سنة ٨٥٢ للهجرة).

(١٥) **الاعتقادات في دين الامامية**: للشيخ الصدوق؛ محمد بن علي بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه القمي (المتوفىٰ سنة ٣٨١ للهجرة).

(١٦) **الأغاني**: لأبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني (المتوفىٰ سنة ٣٥٦ للهجرة).

(١٧) **الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين**عليه السلام: للشيخ المفيد؛ أبي عبدالله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي (المتوفىٰ سنة ٤١٣ للهجرة).

(١٨) **إكليـل المنهج في تحقيق المطلب**: للشـيخ محمد جعفر بـن محمد طاهر الخراساني الكرباسي (المتوفىٰ سنة ١١٧٥ للهجرة).

(١٩) **الإكمال في أسماء الرجال**: للشيخ ولي الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي (المتوفىٰ سنة ٧٤١ للهجرة).

(٢٠) **الأمالـي**: لشـيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسـن بن علي بن الحسـن الطوسي (المتوفىٰ سنة ٤٦٠ للهجرة).

(٢١) **الأمالي**: للشـيخ الصدوق؛ محمد بن علي بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه القمي (المتوفىٰ سنة ٣٨١ للهجرة).

(٢٢) **الأمالـي**: لأبـي السـعادات هبة الله بن علي بـن محمد بن حمزة الحسـني العلوي، المعروف بابن الشجري (المتوفىٰ سنة ٥٤٢ للهجرة).

(٢٣) **الإمامة والسياسـة (أو: تاريـخ الخلفاء)**: لأبي محمد عبدالله بن مسـلم بن قتيبة، المعروف بـ: ابن قتيبة الدينوري (المتوفىٰ سنة ٢٧٦ للهجرة).

(٢٤) **أمل الآمل**: للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (المتوفىٰ سنة ١١٠٤ للهجرة).

(٢٥) **الأموال**: لأبي عبيدة قاسم بن سلام البغدادي (المتوفىٰ سنة ٢٢٤ للهجرة).

(٢٦) **أنساب الأشراف**: لأحمد بن يحيىٰ بن جابر المعروف بـ: البلاذري (المتوفىٰ سنة ٢٧٩ للهجرة).

(٢٧) **أنوار الشهادة في مصائب العترة الطاهرة**: للمولىٰ حسن بن علي اليزدي الكثنوي الحائري (المتوفىٰ سنة ١٢٩٧ للهجرة).

(٢٨) **الإيضاح**: للشيخ أبي محمد الفضل بن شاذان بن الخليل الأزدي النيسابوري (المتوفىٰ سنة ٢٦٠ للهجرة).

(٢٩) **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام**: للمولىٰ محمد باقر بن المولىٰ محمد تقي المجلسي (المتوفىٰ سنة ١١١١ للهجرة).

(٣٠) **البدء والتاريخ**: لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي (المتوفىٰ سنة ٣٢٢ للهجرة).

(٣١) **البداية والنهاية**: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي القرشي الدمشقي (المتوفىٰ سنة ٧٧٤ للهجرة).

(٣٢) **بشارة المصطفىٰ لشيعة المرتضىٰ**: لعماد الدين أبي جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري (من أعلام القرن السادس الهجري).

(٣٣) **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**: لأبي محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بـ: ابن أبي أسامة (المتوفىٰ سنة ٢٨٢ للهجرة).

(٣٤) **البيان والتبيين**: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري المعتزلي (المتوفىٰ سنة ٢٥٥ للهجرة).

(٣٥) **التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله**: للشيخ منصور علي ناصف (المتوفىٰ سنة ١٣٧١ للهجرة).

(٣٦) **تاج العروس من جواهر القاموس**: لمحب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضىٰ الحسيني الواسطي الزبيدي الحنفي (المتوفىٰ سنة ١٢٠٥ للهجرة).

(٣٧) **تاريـخ ابن خلدون** (أو: كتاب العبر وديـوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر): لعبدالرحمن بن خلدون المغربي (المتوفى سنة ٨٠٨ للهجرة).

(٣٨) **تاريخ أهل البيت عليهم السلام (نقلا عن الأئمة عليهم السلام برواية كبار المحدثين والمؤرخين في القرنين الثاني والثالث الهجري)**: للسيد محمد رضا الحسيني الجلالي.

(٣٩) **تاريـخ الخلفاء**: لأبي الفضـل عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ للهجرة).

(٤٠) **تاريـخ خليفة بـن خيـاط**: لأبي عمـرو خليفة بن خيـاط شـباب العصفري (المتوفى سنة ٢٤٠ للهجرة).

(٤١) **تاريخ الخميس (في أحوال نفس النفيس)**: للشـيخ حسـين بن محمد الديار البكري (المتوفى سنة ٩٦٦ للهجرة).

(٤٢) **تاريـخ الطبـري** (أو: تاريخ الأمم والملـوك): لأبي جعفـر محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة).

(٤٣) **التاريخ الكبير**: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠ للهجرة).

(٤٤) **تاريـخ مدينة دمشـق**: لأبي القاسـم علي بن الحسـن بن هبة الله بـن عبدالله الشافعي، المعروف بـ: ابن عساكر (المتوفى سنة ٥٧١ للهجرة).

(٤٥) **تاريـخ المدينة المنورة**: لابن شـبة أبو زيـد عمر بن شـبة النميري البصري (المتوفى سنة ٢٦٢ للهجرة).

(٤٦) **تاريـخ اليعقوبي**: لأحمد بن يعقوب بن جعفر بـن وهب بن واضح الكاتب العباسي (المتوفى سنة ٢٨٤ للهجرة).

(٤٧) **تأويـل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة**: للسـيد شـرف الدين علي الحسيني الاسترابادي النجفي (المتوفى سنة ٩٦٥ للهجرة).

(٤٨) **التبيـان في تفسـير القرآن**: لشـيخ الطائفـة أبي جعفر محمد بن الحسـن بن علي بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠ للهجرة).

(٤٩) **تحفة الأحوذي (شرح جامع الترمذي)**: لأبي العلا محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري (المتوفى سنة ١٣٥٣ للهجرة).

(٥٠) **التحفة السنية في شرح النخبة المحسنية**: للسيد عبدالله بن نور الدين بن المحدث الجزائري التستري (المتوفى سنة ١١٧٣ للهجرة).

(٥١) **تخريج الأحاديث والآثار**: لجمال الدين عبدالله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى سنة ٧٦٢ للهجرة).

(٥٢) **تذكرة الحفاظ (أو: تذكرة حفاظ الحديث)**: لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨ للهجرة).

(٥٣) **التذكرة الحمدونية (في التاريخ والأدب والنوادر والأشعار)**: لمحمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي (المتوفى سنة ٥٦٢ للهجرة).

(٥٤) **تذكرة الخواص (من الأمة في ذكر مناقب الأئمة)**: لأبي المظفر يوسف بن قزغلي بن عبدالله، المعروف بـ: سبط ابن الجوزي الحنفي (المتوفى سنة ٦٥٤ للهجرة).

(٥٥) **تذكرة الموضوعات**: لمحمد طاهر بن علي الهندي الفتني (المتوفى سنة ٩٨٦ للهجرة).

(٥٦) **ترتيب إصلاح المنطق لابن السكيت**: للشيخ محمد حسن بكائي.

(٥٧) **التصحيف والتحريف**: لأبي أحمد الحسن بن عبدالله العسكري (المتوفى سنة ٣٨٢ للهجرة).

(٥٨) **تفسير البحر المحيط**: لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى سنة ٧٥٤ للهجرة).

(٥٩) **تفسير البغوي (أو: معالم التنزيل في التفسير والتأويل)**: لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي (المتوفى سنة ٥١٦ للهجرة).

(٦٠) **تفسير الثعلبي (أو: الكشف والبيان في تفسير القرآن)**: لأحمد بن إبراهيم الثعلبي (المتوفى سنة ٤٢٧ للهجرة).

(٦١) **تفسير الثوري**: لأبي عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (المتوفى سنة ١٦١ للهجرة).

(٦٢) **تفسير السمرقندي (أو: بحر العلوم في التفسير)**: لعلاء الدين علي السمرقندي القراماني (المتوفى سنة ٨٦٠ للهجرة).

(٦٣) **تفسير السمعاني**: لأبي المظفر منصور بن محمد المرزوي الشافعي (المتوفىٰ سنة ٥٦٢ للهجرة).

(٦٤) **تفسير الطبري (أو**: جامع البيان في تفسير القرآن): لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفىٰ سنة ٣١٠ للهجرة).

(٦٥) **تفسير العياشي**: لأبي النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بـ: العياشي (المتوفىٰ سنة ٣٢٠ للهجرة).

(٦٦) **تفسير القرآن العظيم**: لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، المعروف بـ: ابن أبي حاتم (المتوفىٰ سنة ٣٢٧ للهجرة).

(٦٧) **تفسير القرآن العظيم**: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي القرشي الدمشقي (المتوفىٰ سنة ٧٧٤ للهجرة).

(٦٨) **تفسير القرطبي (أو**: الجامع لأحكام القرآن): لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المتوفىٰ سنة ٦٧١ للهجرة).

(٦٩) **تفسير القمي**: لأبي الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي (المتوفىٰ سنة ٣٠٧ للهجرة).

(٧٠) **التفسير الكبير (أو**: مفاتيح الغيب): لفخر الدين الرازي، أبي عبدالله محمد بن العمر التميمي البكري الطبرستاني (المتوفىٰ سنة ٦٠٦ للهجرة).

(٧١) **تفسير مقاتل بن سليمان**: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفىٰ سنة ١٥٠ للهجرة).

(٧٢) **تفسير جوامع الجوامع**: للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري).

(٧٣) **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**: للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (المتوفىٰ سنة ٤٠٣ للهجرة).

(٧٤) **التنبيه والاشراف**: لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (المتوفىٰ سنة ٣٤٦ للهجرة).

(٧٥) **تنقيح المقال في علم الرجال**: للشيخ عبدالله بن محمد حسن المامقاني (المتوفىٰ سنة ١٣٥١ للهجرة).

(٧٦) **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**: لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (المتوفىٰ سنة ٧٤٢ للهجرة).

(٧٧) **التوحيد**: للشيخ الصدوق؛ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (المتوفىٰ سنة ٣٨١ للهجرة).

(٧٨) **جالية الكدر**: لعبدالهادي نجا بن السيد رضوان ابن محمد النحوي الأبياري المصري (المتوفىٰ سنة ١٣٠٥ للهجرة).

(٧٩) **جامع الأصول في أحاديث الرسول** صلى الله عليه وآله: لأبي السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري المعروف بـ: ابن الأثير (المتوفىٰ سنة ٦٠٦ للهجرة).

(٨٠) **جامع البيان عن تأويل** (أو: تفسير) القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفىٰ سنة ٣١٠ للهجرة).

(٨١) **جامع الرواة (وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد)**: للشيخ محمد علي الأردبيلي الغروي الحائري (المتوفىٰ سنة ١١٠١ للهجرة).

(٨٢) **جامع الشواهد**: للشيخ محمد باقر الشريف الأردكاني.

(٨٣) **الجامع الصحيح** (أو: سنن الترمذي): لأبي عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي (المتوفىٰ سنة ٢٧٩ للهجرة).

(٨٤) **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**: لأبي الفضل عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفىٰ سنة ٩١١ للهجرة).

(٨٥) **جامع العلوم والحكم (في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم)**: لأبي الفرج بن رجب عبدالرحمن بن أحمد الحنبلي البغدادي (المتوفىٰ سنة ٧٩٥ للهجرة).

(٨٦) **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم** (أو: مسند الحميدي): لأبي عبدالله؛ محمد بن فتوح بن عبدالله الأزدي الحميدي (المتوفىٰ سنة ٤٨٨ للهجرة).

(٨٧) **جواهر التاريخ**: للشيخ علي الكوراني العاملي.

(٨٨) **جواهـر المطالب (في مناقـب علي بن أبي طالب عليه السلام)**: لشـمس الدين أبي البركات محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي (المتوفىٰ سنة ٨٧١ للهجرة).

(٨٩) **الحاوي لجميع المعاني (أو**: تفسير الواحدي): لأبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري (المتوفىٰ سنة ٤٦٨ للهجرة).

(٩٠) **حليـة الأولياء وطبقات الأصفيـاء**: لأبي نعيم أحمد بن عبـدالله الأصبهاني (المتوفىٰ سنة ٤٣٠ للهجرة).

(٩١) **الخرائج والجرائح**: لأبي الحسين سعيد بن هبة الله المشهور بـ: قطب الدين الراوندي (المتوفىٰ سنة ٥٧٣ للهجرة).

(٩٢) **خزانة الأدب ولب لباب لسـان العرب**: للشـيخ عبدالقادر بن عمر البغدادي الحنفي (المتوفىٰ سنة ١٠٩٣ للهجرة).

(٩٣) **الخصـال**: للشـيخ الصـدوق، أبـي جعفـر محمد بن علي بن الحسـين بن موسىٰ بن بابويه القمي (المتوفىٰ سنة ٣٨١ للهجرة).

(٩٤) **خصائص أمير المؤمنين عليه السلام**: لأبي عبدالرحمن أحمد بن شـعيب النسـائي (المتوفىٰ سنة ٣٠٣ للهجرة).

(٩٥) **الخصائـص الكبرىٰ**: لأبـي الفضل عبدالرحمن بن الكمـال أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفىٰ سنة ٩١١ للهجرة).

(٩٦) **خلاصة الأقوال في معرفة الرجال**: للعلامة الحلي ؛ أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي (المتوفىٰ سنة ٧٢٦ للهجرة).

(٩٧) **خلاصـة عبقـات الأنـوار فـي إمامـة الأئمـة الأطهـار عليهم السلام**: للسـيد علـي الحسيني الميلاني.

(٩٨) **الدر المنثور في التفسـير بالمأثور**: لأبي الفضل عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفىٰ سنة ٩١١ للهجرة).

(٩٩) **دلائل الإمامة**: لأبي جعفر محمد بن جرير بن رسـتم الطبري الصغير (من أعلام القرن الخامس الهجري).

(١٠٠) **ديوان أبي طالب وذكر إسلامه**: لأبي نعيم علي بن حمزة البصري التميمي اللغوي (المتوفىٰ سنة ٣٧٥ للهجرة).

(١٠١) **ديوان الأعشىٰ**: ميمون بن قيس بن جندل (المتوفىٰ سنة ٧ للهجرة).

(١٠٢) **ديوان أوس بن حجر**: لأبي شريح أوس بن حجر بن مالك التميمي (المتوفىٰ سنة ١٨٥ للهجرة).

(١٠٣) **ديوان الحطيئة**: أبو مليكة الحطيئة العبسي جرول بن أوس بن جؤبة (المتوفىٰ سنة ٥١ للهجرة).

(١٠٤) **ديوان الحماسة**: لحبيب بن أوس أبي تمام الطائي العاملي (المتوفىٰ سنة ٢٣١ للهجرة).

(١٠٥) **ديوان كعب بن زهير**: لأبي المضرب كعب بن زهير بن أبي سلمىٰ المازني (المتوفىٰ سنة ٢٦ للهجرة).

(١٠٦) **ديوان المتنبي**: لأبي الطيب أحمد بن حسين الجعفي الكندي (المتوفىٰ مقتولا سنة ٣٥٤ للهجرة).

(١٠٧) **ديوان محمد بن هاني المغربي**: لأبي القاسم محمد بن هانئ بن سعدون الأزدي الأندلسي المغربي (المتوفىٰ سنة ٣٦٢ للهجرة).

(١٠٨) **ديوان النابغة**: زياد بن معاوية بن ضباب (أو: خباب) بن جابر الذبياني (المتوفىٰ سنة ٦٠٢م).

(١٠٩) **ديوان زهير بن أبي سلمىٰ**: ربيعة بن رباح المزني (المتوفىٰ في القرن السادس الميلادي).

(١١٠) **ديوان عبيد بن الأبرص**: الأسدي (المتوفىٰ سنة ٦٠٥م).

(١١١) **ذخائر العقبىٰ في مناقب ذوي القربىٰ**: لمحب الدين أحمد بن عبدالله الطبري (المتوفىٰ سنة ٦٩٤ للهجرة).

(١١٢) **رجال الطوسي**: لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفىٰ سنة ٤٦٠ للهجرة).

(١١٣) **رسائل الجاحظ**: لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري (المتوفىٰ سنة ٢٥٥ للهجرة).

(١١٤) **رغبة الآمل من كتاب الكامل**: لسيد بن علي المرصفي (المتوفىٰ سنة ١٣٥٠ للهجرة).

(١١٥) **الروض الأنف في شرح غريب السير**: لأبي زيد السهيلي، عبدالرحمن بن الخطيب الخثعمي (المتوفىٰ سنة ٥٨١ للهجرة).

(١١٦) **روضة الواعظين**: للشيخ محمد بن الفتال النيسابوري (الشهيد في سنة ٥٠٨ للهجرة).

(١١٧) **الرياض النضرة في مناقب العشرة**: لأبي جعفر أحمد بن عبدالله بن محمد الشهير بـ: محب الدين الطبري (المتوفىٰ سنة ٦٩٤ للهجرة).

(١١٨) **سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد**: لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفىٰ سنة ٩٤٢ للهجرة).

(١١٩) **سفينة البحار**: للشيخ عباس بن الشيخ محمد رضا القمي (المتوفىٰ سنة ١٣٥٩ للهجرة).

(١٢٠) **السقيفة وفدك**: لأبي بكر أحمد بن عبدالعزيز الجوهري البصري البغدادي (المتوفىٰ سنة ٣٢٣ للهجرة).

(١٢١) **سلاسل الحديد في تقييد أهل التقليد**: للسيد هاشم بن إسماعيل التوبلي الكتكاني البحراني (المتوفىٰ سنة ١١٠٧ للهجرة).

(١٢٢) **سنن ابن ماجة**: لأبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني (المتوفىٰ ٢٧٣ للهجرة).

(١٢٣) **سنن أبي داوود**: لأبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (المتوفىٰ سنة ٢٧٥ للهجرة).

(١٢٤) **سنن الدارمي**: لأبي محمد عبدالله بن الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (المتوفىٰ سنة ٢٥٥ للهجرة).

(١٢٥) **السنن الكبرىٰ**: لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ الخسروجردي الخراساني البيهقي (المتوفىٰ سنة ٤٥٨ للهجرة).

(١٢٦) **السنن الكبرىٰ**: لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (المتوفىٰ سنة ٣٠٣ للهجرة).

(١٢٧) **سنن المصطفىٰ**: لابن ماجه، أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (المتوفىٰ سنة ٣٧٣ للهجرة).

(١٢٨) **السيرة الحلبية**: لعلي بن برهان الدين الحلبي الشافعي (المتوفىٰ سنة ١٠٤٤ للهجرة).

(١٢٩) **سيرة عمر بن الخطاب**: لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي (المتوفىٰ سنة ٥٩٧ للهجرة).

(١٣٠) **السيرة النبوية**: لابن محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري (المتوفىٰ سنة ٢١٣ أو ٢١٨ للهجرة).

(١٣١) **الشافي في الإمامة**: لعلم الهدىٰ أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي البغدادي المرتضىٰ (المتوفىٰ ٤٣٦ للهجرة).

(١٣٢) **شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار**: للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (المتوفىٰ سنة ٣٦٣ للهجرة).

(١٣٣) **شرح ديوان الحماسة**: لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفىٰ سنة ٤٢١ للهجرة).

(١٣٤) **شرح نهج البلاغة**: لعز الدين عبدالحميد بن محمد بن أبي الحديد المعتزلي (المتوفىٰ سنة ٦٥٦ للهجرة).

(١٣٥) **شواهد التنزيل لقواعد التفضيل**: للحاكم الحسكاني؛ عبيدالله بن أحمد النيسابوري (من أعلام القرن الخامس الهجري).

(١٣٦) **صبح الأعشىٰ في كتابة الإنشا**: لأبي العباس أحمد بن علي بن أحمد عبدالله الشهاب القلقشندي (المتوفىٰ سنة ٨٢١ للهجرة).

(١٣٧) **الصحـاح (تاج اللغـة وصحاح العربية)**: لإسـماعيل بن حمـاد الجوهري (المتوفىٰ سنة ٣٩٣ للهجرة).

(١٣٨) **صحيح ابن حبان (بترتيب ابن بلبان)**: لعلاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفىٰ سنة ٧٣٩ للهجرة).

(١٣٩) **صحيـح البخـاري**: لأبـي عبـد الله محمد بـن إسـماعيل بن إبراهيم بـن المغيرة بن برذريه البخاري الجعفي (المتوفىٰ سنة ٢٥٦ للهجرة).

(١٤٠) **صحيـح الترمـذي**: لأبـي عيسـىٰ محمد بن عيسـىٰ بن سـورة بن موسـىٰ السلمي البوغي الترمذي (المتوفىٰ سنة ٢٧٩ للهجرة).

(١٤١) **صحيح مسلم** (أو: الجامع الصحيح): لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كرشان القشيري النيسابوري الشافعي (المتوفىٰ سنة ٢٦١ للهجرة).

(١٤٢) **الصراط المسـتقيم إلىٰ مسـتحقي التقديم**: للشـيخ زين الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي البياضي (المتوفىٰ سنة ٨٧٧ للهجرة).

(١٤٣) **صفوة الصفوة**: لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي المعروف بـ: ابن الجوزي (المتوفىٰ سنة ٥٩٧ للهجرة).

(١٤٤) **الصواعـق المحرقـة (في الـرد علىٰ أهل البـدع والزندقة)**: لشـهاب الدين أحمد بن محمد علي بن حجر الهيتمي الكوفي (الهالك في سنة ٩٧٤ للهجرة).

(١٤٥) **الطبقات الكبرىٰ**: لمحمد بن سعد كاتب الواقدي (المتوفىٰ سنة ٢٣٠ للهجرة).

(١٤٦) **العثمانية**: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفىٰ سنة ٢٥٥ للهجرة).

(١٤٧) **عرف الوردي في أخبار المهدي**: لأبي الفضل عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفىٰ سنة ٩١١ للهجرة).

(١٤٨) **العقد الفريد**: لأبي عمر أحمد بن محمد المعروف بـ: ابن عبد ربه القرطبي (المتوفىٰ سنة ٣٢٨ للهجرة).

(١٤٩) **علل الشرائع**: للشيخ الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسىٰ بن بابويه القمي (المتوفىٰ سنة ٣٨١ للهجرة).

(١٥٠) **العلل المتناهية**: لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي (المتوفىٰ سنة ٥٩٧ للهجرة).

(١٥١) **عمدة القاري في شرح صحيح البخاري**: لبدر الدين العيني؛ أبو محمد محمود بن أحمد بن موسىٰ الحلبي الحنفي (المتوفىٰ سنة ٨٥٥ للهجرة).

(١٥٢) **عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار**: لابن البطريق؛ يحيىٰ بن الحسن الأسدي الحلي (المتوفىٰ سنة ٦٠٠ للهجرة).

(١٥٣) **عيون الحكم والمواعظ**: للشيخ كافي الدين أبي الحسن علي بن محمد الليثي الواسطي (من أعلام القرن السادس الهجري).

(١٥٤) **الغارات**: لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (المتوفىٰ سنة ٢٨٣ للهجرة).

(١٥٥) **غريب الحديث**: لأبي إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي (المتوفىٰ سنة ٢٨٥ للهجرة).

(١٥٦) **غريب الحديث**: لابي عبيد القاسم بن سلام الهروي (المتوفىٰ سنة ٢٢٤ للهجرة).

(١٥٧) **غريب الحديث**: لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفىٰ سنة ٢٧٦ للهجرة).

(١٥٨) **الفايق في غريب الحديث**: لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (المتوفىٰ سنة ٥٨٣ للهجرة).

(١٥٩) **فتح الباري (شرح صحيح البخاري)**: لشهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن حجر العسقلاني (المتوفىٰ سنة ٨٥٢ للهجرة).

(١٦٠) **الفتح الرباني والفيض الرحماني**: لأبي محمد عبدالقادر بن موسىٰ بن عبدالله بن جنكي دوست الحسني الجيلاني (المتوفىٰ سنة ٥٦١ للهجرة).

(١٦١) **فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)**: لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفىٰ سنة ١٢٥٠ للهجرة).

(١٦٢) **فتوح البلدان**: لأبي الحسن، أحمد بن يحيىٰ البلاذري (المتوفىٰ سنة ٢٧٩ للهجرة).

(١٦٣) **الفتوحات الإسلامية**: لأحمد بن زيني دحلان (المتوفىٰ سنة ١٣٠٤ للهجرة).

(١٦٤) **فرائد السمطين في فضائل المرتضىٰ والبتول والسبطين**: للشيخ إبراهيم بن محمد بن المؤيد بن عبدالله بن علي بن محمد الجويني الخراساني (المتوفىٰ سنة ٧٣٠ للهجرة).

(١٦٥) **الفروق اللغوية**: لأبي هلال حسن بن عبدالله العسكري (المتوفىٰ سنة ٣٩٥ للهجرة).

(١٦٦) **الفصول المختارة**: للشيخ المفيد، أبي عبدالله محمد بن محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي (المتوفىٰ سنة ٤١٣ للهجرة).

(١٦٧) **الفصول المهمة في معرفة الأئمة**: لابن الصباغ المالكي؛ علي بن محمد بن أحمد المكي (المتوفىٰ سنة ٨٥٥ للهجرة).

(١٦٨) **الفضائل**: لسديد الدين شاذان بن جبرائيل بن إسماعيل بن أبي طالب القمي (حدود سنة ٦٦٠ للهجرة).

(١٦٩) **فضائل الصحابة**: لأبي عبدالله أحمد محمد بن حنبل الشيباني (المتوفىٰ سنة ٢٤١ للهجرة).

(١٧٠) **فضائل الصحابة**: لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (المتوفىٰ سنة ٣٠٣ للهجرة).

(١٧١) **فيض القدير (شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير)**: للشيخ محمد عبدالرؤوف المناوي (المتوفىٰ سنة ١٠٣١ للهجرة).

(١٧٢) **القاموس المحيط والقابوس الوسيط**: للشيخ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي (المتوفىٰ سنة ٨١٧ للهجرة).

(١٧٣) **الكافي**: لثقة الإسلام أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (المتوفىٰ سنة ٣٢٨ أو ٣٢٩ للهجرة).

(١٧٤) **الكامل في التاريخ**: لأبي الحسن علي بن محمد الشيباني الموصلي، المعروف بـ: ابن الأثير (المتوفىٰ سنة ٦٠٦ للهجرة).

(١٧٥) **الكامل في اللغة**: لأبي عباس محمد بن يزيد المعروف بـ: المبرد النحوي (المتوفىٰ سنة ٢٨٥ للهجرة).

(١٧٦) **كتاب الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين**: لمحمد طاهر بن محمد حسن الشيرازي النجفي القمي (المتوفىٰ سنة ١٠٩٨للهجرة).

(١٧٧) **كتاب السنة**: لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفىٰ سنة ٢٨٧ للهجرة).

(١٧٨) **كتاب العين**: لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (المتوفىٰ سنة ١٧٥ للهجرة).

(١٧٩) **كتاب الفتن**: لأبي عبدالله نعيم بن حماد المروزي (المتوفىٰ سنة ٢٢٩ للهجرة).

(١٨٠) **كتاب الفتوح**: لأبي محمد احمد بن أعثم الكوفي (المتوفىٰ نحو سنة ٣١٤ للهجرة).

(١٨١) **كتاب المعارف**: لابن قتيبة الدينوري، عبدالله بن مسلم (المتوفىٰ سنة ٢٧٦ للهجرة).

(١٨٢) **كتاب سليم بن قيس**: لصاحب أمير المؤمنين عليه السلام سليم بن قيس الهلالي (المتوفىٰ سنة ٩٠ للهجرة).

(١٨٣) **كتاب صفين (أو**: وقعة صفين**)**: لنصر بن مزاحم المنقري الكوفي (المتوفىٰ سنة ٢١٢ للهجرة).

(١٨٤) **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل**: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (المتوفىٰ سنة ٥٣٨ للهجرة).

(١٨٥) **كشف الخفاء ومزيل الإلباس**: لأبي الفداء الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (المتوفىٰ سنة ١١٦٢ للهجرة).

(١٨٦) **كفاية الأثر (في النص علىٰ الأئمة الاثني عشر)**: لأبي القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز الرازي (المتوفىٰ سنة ٤٠٠ للهجرة).

(١٨٧) **كفاية الطالب (في مناقب علي بن أبي طالب)**: لمحمد بن يوسف القرشي الكنجي الشافعي (المتوفىٰ سنة ٦٥٨ للهجرة).

(١٨٨) **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**: لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري (المتوفىٰ سنة ٩٧٥ للهجرة).

(١٨٩) **كنز الفوائد**: لأبي الفتح محمد بن علي الكراجكي (المتوفىٰ سنة ٤٤٩ للهجرة).

(١٩٠) **الكنز اللغوي في اللسن العربي**: لأبي سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك الباهلي المشهور بـ: الأصمعي (المتوفىٰ سنة ٢١٦ للهجرة).

(١٩١) **كنوز (أو: كنز) الحقائق في حديث خير الخلائق**: للشيخ زين الدين عبدالرؤوف محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي (المتوفىٰ سنة ١٠٣١ للهجرة).

(١٩٢) **لباب التأويل في معاني التنزيل**: لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشحي المعروف بـ: الخازن (المتوفىٰ سنة ٧٤١ للهجرة).

(١٩٣) **لسان العرب**: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (المتوفىٰ سنة ٧١١ للهجرة).

(١٩٤) **لسان الميزان**: لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفىٰ سنة ٨٥٢ للهجرة).

(١٩٥) **مآثر الأناقة في رتبة الخلافة**: لأحمد بن علي القلقشندي (المتوفىٰ سنة ٨٢١ للهجرة).

(١٩٦) **المجازات النبوية**: للشريف الرضي، لأبي الحسن محمد بن الحسين بن موسىٰ الموسوي (المتوفىٰ سنة ٤٠٦ للهجرة).

(١٩٧) **مجمع البحرين ومطلع النيرين**: للشيخ فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن طريح النجفي (المتوفىٰ سنة ١٠٨٥ للهجرة).

(١٩٨) **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (المتوفىٰ سنة ٨٠٧ للهجرة).

(١٩٩) **محاسن التأويل**: لجمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (المتوفىٰ سنة ١٣٣٢ للهجرة).

(٢٠٠) **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**: لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (المتوفیٰ سنة ٥٠٢ للهجرة).

(٢٠١) **محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار (في الأدبيات والنوادر والأخبار)**: للشيخ محي الدين محمد بن علي المعروف بـ: ابن عربي (المتوفیٰ سنة ٦٣٨ للهجرة).

(٢٠٢) **محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر**: لعلي دده بن مصطفیٰ الموستاري السكتواري (المتوفیٰ سنة ١٠٠٧ للهجرة).

(٢٠٣) **المحلیٰ**: لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (المتوفیٰ سنة ٤٥٦ للهجرة).

(٢٠٤) **مختار الصحاح**: لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (المتوفیٰ سنة ٧٢١ للهجرة).

(٢٠٥) **مرآة الجنان وعبرة اليقظان (في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان وتقلب أحوال الإنسان)**: لأبي محمد عبدالله بن أسعد اليافعي اليمني (المتوفیٰ سنة ٧٦٨ للهجرة).

(٢٠٦) **مراصد الاطلاع علیٰ أسماء الأمكنة والبقاع**: لصفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي (المتوفیٰ سنة ٧٣٩ للهجرة).

(٢٠٧) **المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس**: لحاتم بن عارف العوني.

(٢٠٨) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: لأبي الحسن؛ علي بن الحسين المسعودي (المتوفیٰ سنة ٣٤٦ للهجرة).

(٢٠٩) **مسالك الأفهام إلیٰ تنقيح شرائع الإسلام**: للشهيد الثاني؛ زين الدين بن علي العاملي (الشهيد في سنة ٩٦٥ للهجرة).

(٢١٠) **المستدرك علیٰ الصحيحين**: لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (المتوفیٰ سنة ٤٠٥ للهجرة).

(٢١١) **مستدركات أعيان الشيعة**: للسيد حسن بن السيد محسن الأمين العاملي (المتوفیٰ سنة ١٣٧١ للهجرة).

(٢١٢) **مستدركات علم رجال الحديث**: للشيخ علي النمازي الشاهرودي (المتوفیٰ سنة ١٤٠٥ للهجرة).

(٢١٣) **المسترشد في الإمامة**: لمحمد بن جرير بن رستم الطبري (المتوفیٰ أوائل القرن الرابع الهجري).

(٢١٤) **مسند أبي يعلىٰ الموصلي**: لأبي يعلىٰ أحمد بن علي المثنىٰ التميمي الموصلي (المتوفیٰ سنة ٣٠٧ للهجرة).

(٢١٥) **مسند أحمد**: لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفیٰ سنة ٢٤١ للهجرة).

(٢١٦) **مسند البزاز (أو: البحر الزخار)**: لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق بن خلاد بن عبدالله العتكي المعروف بـ: البزاز (المتوفیٰ سنة ٢٩٢ للهجرة).

(٢١٧) **مصابيح السنة**: لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بـ: الفراء البغوي (المتوفیٰ سنة ٥١٦ للهجرة).

(٢١٨) **مصباح البلاغة في مشكاة الصياغة**: لمحمد حسين المير جهاني الطباطبائي (المتوفیٰ سنة ١٣٨٨ للهجرة).

(٢١٩) **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**: لأبي العباس ؛ أحمد بن محمد بن علي الفيومي النحوي (المتوفیٰ نحو سنة ٧٧٠ للهجرة).

(٢٢٠) **المصنف في الأحاديث والآثار**: لعبدالله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (المتوفیٰ سنة ٢٣٥ للهجرة).

(٢٢١) **مطالب السؤول في مناقب آل الرسول**: للشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (المتوفیٰ سنة ٦٥٢ للهجرة).

(٢٢٢) **معاني القرآن**: لأبي جعفر النحاس ؛ أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفیٰ سنة ٣٣٨ للهجرة).

(٢٢٣) **معجم ألفاظ الفقه الجعفري**: للدكتور أحمد فتح الله.

(٢٢٤) **المعجم الأوسط**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفیٰ سنة ٣٦٠ للهجرة).

(٢٢٥) **المعجم الكبير**: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى سنة ٣٦٠ للهجرة).

(٢٢٦) **معجم رجال الحديث (وتفصيل طبقات الرواة)**: للسيد أبي القاسم بن السيد علي أكبر الخوئي (المتوفى سنة ١٤١١ للهجرة).

(٢٢٧) **معجم مقاييس اللغة**: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى سنة ٣٩٥ للهجرة).

(٢٢٨) **معرفة السنن والآثار**: لأبي بكر البيهقي؛ أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني (المتوفى سنة ٤٥٨ للهجرة).

(٢٢٩) **المعيار والموازنة (في فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام)**: لأبي جعفر الإسكافي؛ محمد بن عبدالله المعتزلي (المتوفى سنة ٢٢٠ للهجرة).

(٢٣٠) **المغازي**: لأبي عبدالله محمد بن عمر بن واقد الواقدي (المتوفى سنة ٢٠٧ للهجرة).

(٢٣١) **المغني في أبواب التوحيد والعدل**: لأبي الحسين القاضي عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمداني الأسدآبادي (المتوفى سنة ٤١٥ للهجرة).

(٢٣٢) **مغني المحتاج (إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج)**: للشيخ محمد الشربيني الخطيب (المتوفى سنة ٩٧٧ للهجرة).

(٢٣٣) **المفيد من معجم رجال الحديث**: للشيخ محمد الجواهري.

(٢٣٤) **مقاتل الطالبيين**: لأبي الفرج الإصفهاني؛ علي بن الحسين بن محمد بن أحمد (المتوفى سنة ٣٥٦ للهجرة).

(٢٣٥) **المقالات والفرق**: لسعد بن عبدالله بن أبي خلف الأشعري القمي (المتوفى سنة ٢٩٩ للهجرة أو بعدها بسنتين).

(٢٣٦) **الملل والنحل**: لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني (المتوفى سنة ٥٤٨ للهجرة).

(٢٣٧) **من لا يحضره الفقيه**: للشيخ الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (المتوفى سنة ٣٨١ للهجرة).

(٢٣٨) مناقب آل أبي طالب: لمشير الدين أبي عبدالله محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني (المتوفىٰ سنة ٥٥٨ للهجرة).

(٢٣٩) مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: لمحمد بن سليمان الكوفي القاضي (المتوفىٰ حدود سنة ٣٠٠ للهجرة).

(٢٤٠) مناقب أهل البيت عليهم السلام (مما روته العامة): للمولىٰ حيدر علي بن محمد الشرواني (من أعلام القرن الثاني عشر للهجرة).

(٢٤١) مناقب علي بن أبي طالب (وما نزل من القرآن في علي عليه السلام): لأبي بكر أحمد بن موسىٰ بن مردويه الإصفهاني (المتوفىٰ سنة ٤١٠ للهجرة).

(٢٤٢) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: لابن المغازلي علي بن محمد بن محمد الواسطي الشافعي (المتوفىٰ سنة ٤٨٣ للهجرة).

(٢٤٣) المناقب: لموفق الدين أبي المؤيد محمد بن أحمد المكي الخوارزمي (المتوفىٰ سنة ٥٦٨ للهجرة).

(٢٤٤) مناقب النساء الصحابيات: لأبي محمد تقي الدين عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي (المتوفىٰ سنة ٦٠٠ للهجرة).

(٢٤٥) المنتخب من كتاب ذيل المذيل (من تاريخ الصحابة والتابعين): لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري الآملي (المتوفىٰ سنة ٣١٠ للهجرة).

(٢٤٦) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: لقطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي (المتوفىٰ سنة ٥٧٣ للهجرة).

(٢٤٧) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: للميرزا حبيب الله بن السيد محمد بن هاشم الموسوي العلوي الخوئي (المتوفىٰ سنة ١٣٢٤ للهجرة).

(٢٤٨) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: لأبي عبدالله محمد بن عبدالباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني (المتوفىٰ سنة ١١٢٢ للهجرة).

(٢٤٩) **المواهب اللدنية في المنح المحمدية**: لأبي العباس شهاب الدين؛ أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك القسطلاني القتيبي المصري (المتوفىٰ سنة ٩٢٣ للهجرة).

(٢٥٠) **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**: لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي (المتوفىٰ سنة ٧٤٨ للهجرة).

(٢٥١) **نثر الدرر في المحاضرات**: لأبي سعد الآبي؛ منصور بن الحسين الرازي (المتوفىٰ سنة ٤٢١ للهجرة).

(٢٥٢) **نزهة الناظر وتنبيه الخاطر**: للشيخ الحسين بن محمد بن الحسن بن الحلواني (من أعلام القرن الخامس الهجري).

(٢٥٣) **نسب قريش**: لهشام بن محمد بن السائب بن بشر بن عمر الكلبي (المتوفىٰ سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ للهجرة).

(٢٥٤) **نظم درر السمطين (في فضائل المصطفىٰ والمرتضىٰ والبتول والسبطين)**: لجمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي الحنفي المدني (المتوفىٰ سنة ٧٥٠ للهجرة).

(٢٥٥) **نهاية الإرب في فنون الأدب**: لأحمد بن عبدالوهاب النويري (المتوفىٰ سنة ٧٣٣ للهجرة).

(٢٥٦) **النهاية في غريب الحديث والأثر**: لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفىٰ سنة ٦٠٦ للهجرة).

(٢٥٧) **نهج البلاغة (مجموع مختار من كلام الإمام علي عليه السلام)**: للشريف الرضي، أبي الحسن محمد بن الحسين بن موسىٰ الموسوي البغدادي (المتوفىٰ سنة ٤٠٦ للهجرة).

(٢٥٨) **نهج الحق وكشف الصدق**: للعلامة الحلي؛ الحسن بن يوسف المطهر الأسدي (المتوفىٰ سنة ٧٢٦ للهجرة).

(٢٥٩) **نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة**: للشيخ محمد باقر المحمودي (المتوفىٰ سنة ١٤٢٧ للهجرة).

(٢٦٠) **نيـل الأوطار من أحاديث سـيد الأخبار**: للشـيخ محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفىٰ سنة ١٢٥٥ للهجرة).

(٢٦١) **هديـة العارفين**: لاسـماعيل باشـا بن محمد أمين البغـدادي (المتوفىٰ سنة ١٣٣٩ للهجرة).

(٢٦٢) **الوشـاح (شرح المختصر علىٰ تلخيص المفتاح)**: للشيخ محمد بن الشيخ محمد طه الكرمي الحويزي (المتوفىٰ سنة ١٤٢٣ للهجرة).

(٢٦٣) **وفيـات الأعيـان في أنباء أبنـاء الزمان**: لابن خلـكان؛ شـمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد البرمكي الأربلي الشافعي (المتوفىٰ سنة ٦٨١ للهجرة).

(٢٦٤) **يتيمـة الدهر في محاسـن أهل العصر**: لأبـي منصور عبدالملـك الثعالبي النيسابوري (المتوفىٰ سنة ٤٢٩ للهجرة).

(٢٦٥) **اليقيـن باختصـاص مولانا علي عليه السلام بأمـرة المؤمنين**: للسـيد رضي الدين علي بن الطاووس الحلي (المتوفىٰ سنة ٦٦٤ للهجرة).

(٢٦٦) **ينابيع المودة لذوي القربىٰ**: للشـيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي البلخي (المتوفىٰ سنة ١٢٩٤ للهجرة).

(٢٦٧) **ينابيع النصيحة في العقيدة** (أو: العقائد) الصحيحة: للحسين بن محمد بن أحمد بن يحيى (المتوفىٰ سنة ٦٦٢ للهجرة).

المحتويات

مقدمة التحقيق والشرح ٣
وجيز في سيرة المصنف العلامة السيد هاشم البحراني ٧
مقدمة المصنف ٣٠
المطلب الأول المطاعن البكرية ٣٦
الباب الأول ٣٦
في نسب أبي بكر ٣٦
الباب الثاني ٤٠
في أن أبا بكر جبان في الحروب لم يرم قط بسهم، ولا سل سيف، ولا أراق دما، وكان خامل الذكر ٤٠
الباب الثالث ٥٤
في ضعف أبي بكر عن الحرب وفراره منه ٥٤
الباب الرابع ٥٧
في ضعفه أن يدعوا أهل بيته إلىٰ الإسلام ٥٧
الباب الخامس ٦٢
في أن القوم كانوا شكاكاً في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحاب نفاق فقضية الإسلام عندهم إلا بعد موته صلى الله عليه وآله، وهما يستحقان العقاب والعتاب ٦٢
الباب السادس ٧٤
في سبب العداوة بين أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة عليها السلام وبين أبي بكر وعائشة ٧٤
الباب السابع ٨٤

في أن العداوة بين أبي بكر وعمر شديدة ٨٤
الباب الثامن ٨٥
في قول عمر أبو بكر أحسد قريش كلها، وأعق وأظلم وما جرا بينهما من الملاحاة والمخاصمة، وقول عثمان إن أبا بكر وعمر ظلما أنفسهما ٨٥
الباب التاسع ٩٣
في قول أبي بكر وعمر (كانت بيعة أبي بكر فلتة وقىٰ الله شرها، ومن عاد إلىٰ مثلها، فاقتلوه) ٩٣
الباب العاشر ١٣١
وهو من الباب الأول ١٣١
الباب الحادي عشر ١٨٤
في حال أبو بكر وعلي عليه السلام بعد بيعته، وما في ذٰلك من العداوة لعلي عليه السلام ١٨٤
الباب الثاني عشر ١٩٩
في غصب أبي بكر وعمر وعثمان الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام وتظلمه عليه السلام وتألمه ١٩٩
الباب الثالث عشر ٢٠٤
في غصب أبي بكر فاطمة عليها السلام فدك، وحديث خالد في قتل علي عليه السلام ٢٠٤
الباب السابع عشر ٢١٦
في المطاعن علىٰ أبي بكر ٢١٦
الباب الثامن عشر ٢٢١
في مطاعن شتىٰ ٢٢١
الباب الخامس عشر ٢٦٣
في أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن من تأخر عن جيش أسامة ٢٦٣
الباب السادس عشر ٢٦٦
إن أبا بكر رشىٰ عمر الخلافة من بعده وهو غير مستحق لها، وكان فظا غليظا ٢٦٦
الباب السابع عشر ٢٧١

في أن أبا بكر أول من أزال أمير المؤمنين عليه السلام عن الإمامة والخلافة، وكذا أهل البيت عليهم السلام النعيم الخمس ٢٧١
الباب الثامن عشر ٢٧٥
في مطاعن شتىٰ ٢٧٥
الباب التاسع عشر ٢٨٥
في خطأ من استدل علىٰ خلافة أبي بكر من القرآن ٢٨٥
الباب العشرون ٢٩٨
في خطأ من استدل علىٰ إمامة أبي بكر من الخبر ٢٩٨
الباب الحادي والعشرون ٣٠٦
مبيت الإمام علي عليه السلام علىٰ فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة خروجه إلىٰ الغار والمهاجرة ٣٠٦
الباب الثاني والعشرون ٣١٢
في خطأ من فضل أبا بكر علىٰ أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام من العثمانية ٣١٢
الباب الثالث والعشرين ٣١٩
في خطأ من قال إن أبا بكر أنفق علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وفي سبيل الله ولم ينفق قبل الفتح، وقاتل، بل الفضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام في الإنفاق دونه ٣١٩
المطلب الثاني المثالب العمرية ٣٢٤
الباب الأول ٣٢٦
في نسب عمر ٣٢٦
الباب الثاني ٣٣٠
في إسلامه وكيفية إسلامه ٣٣٠
الباب الثالث ٣٣١
في رد عمر علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ٣٣١
الباب الخامس ٣٤٤
في رد عمر علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله في طلب الدواة في مرض موت الرسول صلى الله عليه وآله وقول عمر إن رسول الله صلى الله عليه وآله يهجر ٣٤٤

الباب السادس ٣٤٧
في إرادة عمر حرق بيت فاطمة عليها السلام ومن فيه ٣٤٧
الباب السابع ٣٥٦
في اعتراف عمر بأن أمير المؤمنين علياً عليه السلام مظلوم وغصبه الخلافة منه ٣٥٦
الباب الثامن ٣٦٢
في مطاعن شتىٰ ٣٦٢
الباب التاسع ٤١٧
في مطاعن ما ورد من مناقبه ٤١٧
الباب العاشر ٤٢٠
في خرقه كتاب فاطمة عليها السلام الذي كتبه أبو بكر إليها برد فدك ومحيه إياه ٤٢٠
الباب الحادي عشر ٤٢١
في جهل عمر ورجوعه إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام في الأحكام الشرعية ٤٢١
الباب الثاني عشر ٤٢٣
في رجوع عمر إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام والصحابة ٤٢٣
الباب الثالث عشر ٤٢٩
في رجوع عمر إلىٰ النساء والصبيان، واعترافه بالجهل في المسائل، وإيذاه بغاة العلم ٤٢٩
الباب الرابع عشر ٤٣٩
في تحريم عمر المتعتين متعة الحج ومتعة النساء ٤٣٩
الباب الخامس عشر ٤٤٦
في بدع عمر ٤٤٦
الباب السادس عشر ٤٤٩
إن عمر يعمل بخلاف سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام يعمل بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ٤٤٩
الباب السابع عشر ٤٥٣
في أن عمر لم يقسم بالسوية بخلاف سيرة النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام يقسم بالسوية كفعل النبي صلى الله عليه وآله ٤٥٣

الباب الثامن عشر ٤٥٤
في نقض عمر حكمه ورجوعه في فتاه ٤٥٤
الباب التاسع عشر ٤٥٥
في شكه في موت رسول الله صلى الله عليه وآله ٤٥٥
الباب العشرون ٤٥٦
في أن عمر كان فظا غليظ القلب ٤٥٦
الباب الحادي والعشرون ٤٦٠
في أن عمر كان يشاطر العمال أموالهم ٤٦٠
الباب الثاني والعشرون ٤٦٥
في عمله الشورىٰ وما فيها من الفساد وخالف الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وآله في ذلك ٤٦٥
الباب الثالث والعشرون ٤٧٠
في مفردات ٤٧٠
الباب الرابع والعشرون ٤٨٤
في تاريخ مقتله وما جرىٰ في ذٰلك وما قاله عمر عند الموت ٤٨٤
المطلب الثالث ما ذكره ابن أبي الحديد في عثمان بن عفان ٤٩٥
الباب الأول ٤٩٧
في نسبه ونبذة من مطاعنه ٤٩٧
الباب الثاني ٥٠٠
أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يتربص لعثمان الدوائر لما أحدث في الدين ما أحدث ٥٠٠
الباب الثالث ٥٠٤
في عداوة عثمان لأمير المؤمنين عليه السلام وعدو علي عدو رسول الله صلى الله عليه وآله ٥٠٤
الباب الرابع ٥١٤
في غصب عثمان أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة ٥١٤
الباب الخامس ٥٢٥
في مبايعة علي عليه السلام كرها إذ لم يجد أعوانا عليه ٥٢٥

الباب السادس ٥٤٣
في مطاعن عثمان وأحداثه ٥٤٣
الباب السابع ٦٠٩
في نفيه أبا ذر، وإيذاه له، وتكذيبه أبا ذر، وقد صدقه رسول الله ﷺ ٦٠٩
الباب الثامن ٦١٨
إنه آوى الحكم بن العاص طريد رسول الله ﷺ ٦١٨
الباب التاسع ٦١٨
في إحداثه لابن جبير لقتله ٦١٨
الباب العاشر ٦٤٦
في اعتراف عثمان بمظالم العباد وهو من الأحداث التي نقمت عليه ٦٤٦
الباب الحادي عشر ٦٥٠
في إحراق عثمان المصاحف ٦٥٠
الباب الثاني عشر ٦٥٠
في مدح أمير المؤمنين عليه السلام المصريين الذين من حزب قتلة عثمان ٦٥٠
الباب الثالث عشر ٦٥٢
تحليه عثمان بناته بحلي بيت المال ٦٥٢
الباب الرابع عشر ٦٥٣
إن عثمان حمال خطايا ٦٥٣
الباب الخامس عشر ٦٥٤
في أمر عائشة بقتل عثمان وإعانة طلحة، وخذلان زيد بن ثابت مع إعطاه ما أعطاه
وخذلان ابن عمر له ٦٥٤
الباب السادس عشر ٦٥٦
في أن قتل عثمان مباح عند أمير المؤمنين عليه السلام ٦٥٦
الباب السابع عشر ٦٥٧
في القطايع وغيرها التي ردها أمير المؤمنين عليه السلام من أحداث عثمان ٦٥٧

الباب الثامن عشر ٦٦٠
في ذم أمير المؤمنين عليه السلام أبا بكر وعمر وعثمان ٦٦٠
الباب التاسع عشر ٦٦٤
في المفردات ٦٦٤
خاتمة المصنف ٦٦٧
رسالة ملحقة في آخر مخطوطة الكتاب ٦٦٧
رسالتان للجاحظ ٦٦٧
(فصل) ٦٦٨
في فضل بني هاشم وشرفهم ومزاياهم ٦٦٨
المصادر والمراجع ٦٨٣